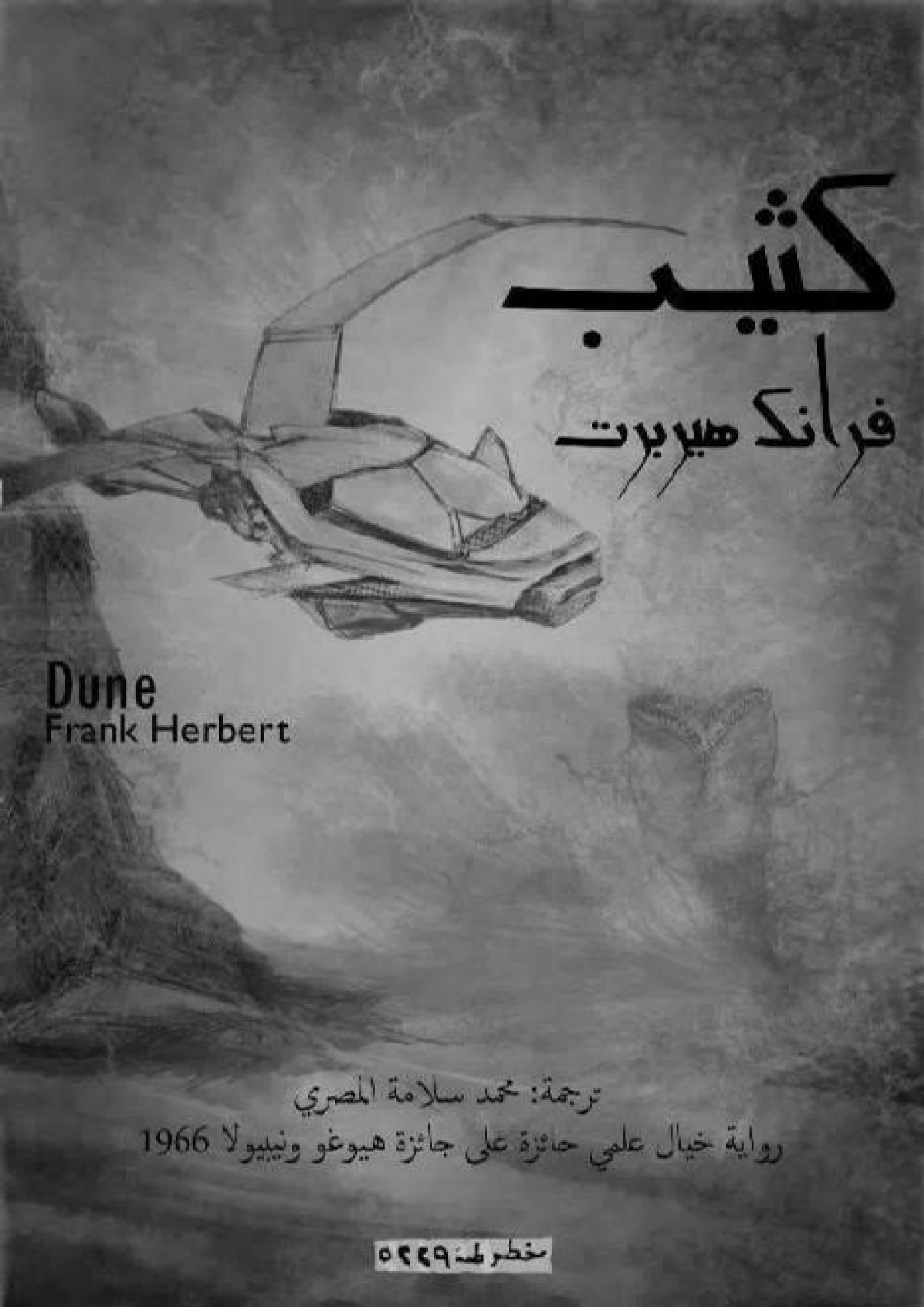
كثيب
فرانك هيربرت
Dune
Frank Herbert
ترجمة: محمد سلامة المصري
رواية خيال علمي حائزة على جائزة هيوغو ونيبولا 1966
مخطوطة ٥٢٢٩

كثيب

DUNE

فرانك هيربِرت

Frank Herbert

ترجمة: محمد سلامة المصري

في 1965 وضع المؤلف هذه الرواية،
ووصلت إلى أيدينا كتحفة فنية أنيقة.

1

البدايات، تلك الأوقات التي تحتم على المرء أن يتحقق من صحّة موازينه، إنها حقيقة تدركها كل أخوات بني-جيزيرِت.

ولتباشر دراستكَ عن حياة المؤدّب - احرص أولاً على أن تحدّد زمانه: وُلد في السّنة ال- 57 من حكم الإمبراطور الپاديشي شدّوم الرابع، وكن حريصاً أكثر وأنت تحدد مكانه: كوكب آرِّاكس. ولا تنخدع بولادته على كالادان حيث عاش أول خمس عشرة عام من حياته! فآرِّاكس - ذلك الكوكب الشهير باسم كثيب - سيظل موطنه للأبد.

من كتاب (دليل المؤدّب)، تأليف الأميرة إيرولان

قبل أسبوعٍ من رحيلهم إلى آرِّاكس، وعندما وصلت جلبةُ التحضيرات النهائية وفوضاها حداً لا يحتمل، جاءت عجوزٌ شعثاء لزيارة أم الصبي پـاول.

كانت لَيلةً دافئةً في قلعة كالادان، حيث الحجارة القديمةِ التي لازمت منزل آل آتريديز على مدى ستة وعشرين جيلاً، وثمّة رطوبة باردة نديّة تكسوها قبل كلِّ تقلبٍ في الطقس.

ولَجتْ المرأة العجوز إلى حجرة پـاول من خلال بابٍ جانبي مروراً بالممر المقوس، وسُمح لها أن تقف لوهلةٍ لتأمُّلهِ وهو مستلقٍ على سريره.

عبرَ ضوءٍ خافتٍ منبعثٍ من المصباح المعلّق، رأى الصّبي طيفاً أنثوياً يقف على بابه، يتقدم خطوةً أمام والدته، ظِلٌ أشبه بساحرةٍ شعرها معقوصٌ كخيوط العنكبوت، يُخفي ملامحها وشاحُ الظلام، وعيناها جواهر برّاقة.

تساءلت العجوز: "حجمٌ ضئيلٌ مقارنةً لمن في عمره يا جيسيكا، أليس كذلك؟". أزّ صوتها ورنّ، كآلة قانونٍ موسيقيةٍ غير موزونة الأوتار.

أجابت أم پـاول بصوتها الناعم: "سيدتي الموقرة، عُرِفَ عن آل آتريديز تأخر نموّهم."

قالت العجوز: " سمعت فعلاً هذا.. نعم سمعت، لكنه في الخامسة عشر، حقاً؟"

"أجل، سيدتي الموقرة."

قالت العجوز: "يدّعي النوم وهو يصغي لنا." ثم ضحكت قائلة: "صغير ماكر، لكن منصب الإمارة يحتاج مكراً، خصوصاً إن كان حقاً كويزاتس هاديراك قافز الطريق."

من وسط الظلال المحيطة بسريره شقّ پـاول عينيه بمقدار صغير، فاتسعت عينا العجوز كعينيّ طائرٍ جارحٍ ولمعتا.

قالت العجوز "نم قريراً أيها الوغد الصغير الماكر، غداً ستحتاج كل قدراتك وأنت تواجه الغوم-جبار."

ورحلت دافعةً أمه للخارج وأغلقت البابَ بصفعةٍ محكمةٍ.

انتبه پـاول من مرقده، متسائلاً: ما معنى غوم-جبار؟ رغم كل الجلبةِ المصاحبة لهذا الوقت من التغيير، تظل هذه العجوز أغرب شيء رآه.

تلك هي الطريقة التي خاطبت بها العجوز أمه جيسيكا، كأنها تخاطب خادمة وضيعة القدر لا ليدي من سيدات بني-جيزيرِت، خليلة دوق، وأم وريث العرش.

تساءل في حيرة: هل هذا الغوم-جبار شيء من آرِّاكس يجب أن أعرفه قبل أن نصل هناك ردّد كلماتها الغريبة: - ... !

في الفترة الأخيرة وجد نفسه مرغماً على تعلم عدة أمور، فآرِّاكس سيكون مكاناً مختلفاً تماماً عن كالادان لدرجة أن عقله أصبح مشوشاً من كمّ المعلومات الجديدة. ... ...

.

ظافر حواط - خبير الاغتيالات لدى والده الدوق - شرح الأمر له: إن آل هاركونِن، الخصم اللدود لأسرته آل آتريديز، حكموا آرِّاكس لثمانين عام، بتوكيل شبه إقطاعي من شركة كوآم الكونية، للتنقيب عن مزيج السپايس الشيخوخي، واستخراجه.

أما الآن فآل هاركونن في طريقهم للرحيل، وسيحل محلهم آل آتريديز بتوكيل إقطاعي كامل، مما يعد نصراً واضحاً لصالح الدوق ليتو آتريديز.

إلا إن هذا النصر الظاهري - وكما أخبره حواط - يحوي الهلاك الفتّاك، فللدوق ليتو مكانة محبوبة بين أعضاء مجلس الأسر النبيلة المعروفة بإسم لاندسراد، وكما قال حواط: "والرجل المحبوب يثير غيرة أصحاب السلطة."

- - .

غطّ پـاول في النوم ليحلم بكهفٍ آرِّاكسي، يحيط به أشخاصٌ صامتين يتحركون في الضوء الخافت المنبعث من كرات الإنارة، كان المكان مهيباً وكأنه كاتدرائية حين سمع صوتاً ضعيفاً لقطرات ماء تتساقط برتابة، قطرة، قطرة، قطرة. حتى وهو في الحلم كان متأكداً من أنه سيستحضر هذا عندما يستيقظ، فدائماً ما كانت أحلامه التنبؤية تتراءى أمامه.

تلاشى الحلم.

استيقظ پـاول ليجد نفسه في دفء سريره، متأملاً ومتفكراً في عالم قلعة كالادان من دون أن يكون له رفيق في مثل سنه يلهو معه أو يلازمه، ربما لا يستحق ذلك حزنه وقت الرحيل، لقد كان معلمه الدكتور يُوي قد لمّح إلى أن كوكب آرِّاكس لا يلتزم بتطبيق قواعد النظام الطبقي، إذ يأوي الكوكب قوم يهيمون في أطراف الصحراء، بلا قائد ولا باشار يحكمهم: شعب الرمال يطلق عليهم فريمِن، لم يحصهم أي تعدادٍ إمبراطوري رسمي.

- - .

أحس پـاول بتوتره، فقرر أن يتمرن بإحدى الدّروس - التي علمته أمّه إياها، ثلاثة أنفاس سريعة أثارت ردّ الفعل المطلوب، فهوى في حالة من الوعي الطاغي، الإدراك المركز ... اتساع الشريان الأورطي ... تجنب الآلية المشتتة للإدراك ... التحكم الإرادي في الوعي ... إثراء الدم وتغذيته ثم تدفقه السريع في أجزاء الجسد المتوتر ...

... فالوعي الحيواني لا يتعدى حدود اللحظة الراهنة، ولا يفهم أن فريسته قد تتعرض للانقراض... قدرُ الحيوان أن يَهلك دون إنتاج... ومُتع الحيوان تقتصر على المستويات الحسية وتتجنب المنطق الإدراكي... أما الإنسان فيحتاج مخططاً حتى يرى الكون من خلاله... التحكم الإرادي في الوعي يصنع هذا المخطط... كمال البدن ينساب مع مجرى الدم والأعصاب ليصل إلى احتياجات الخلايا... وكل الأشياء/الخلايا/الكائنات مجرد أشياء مؤقتة... وتشتهي تحقيق استمرارية التدفق فيها.

مراتٍ ومراتٍ ومراتٍ، توالت الدروس في وعي بِـاول الداخلي.

ولمّا لامس الفجر عتبة نافذته بأشعةٍ صفراءَ أحسها بِـاول عبر جفنيه المغلقين، فتحهما، مستمعاً لتجدّد الصخب الجليِّ في القلعة، متأملاً سقف حجرته بزخرفاتِ أعمدته الخشبية المألوفة.

فُتح باب الردهة وأمه كانت تسترق النّظر للداخلِ، شعرها كمعدن البرونز المتماوج، يربطهُ شريطٌ أسودَ في قمة رأسها. وجهها البيضاوي لا يكشف تعابيرها الداخلية، وعيناها الخضراوان تشعّ من خلالهما نظراتٌ رصينة.

قالت: "أنتَ مستيقظ؟ هل نمت جيداً؟"

"أجل."

تأمّل قوامها الممشوق فلمح أثر التّوتر بادي على كتفيها وهي تختار ملابسه من الخزانة، قد يَخفى أثره عن غيره، لكنّها درّبته على طريقة بني-جيزيرت لملاحظةِ أدقّ التفاصيل، استدارت حاملةً له سترةً شبه رسمية، مزينةً بشارةِ صقرِ آل آتريديز الأحمرَ، فوق جيب الصدر.

"أسرع وارتدي ملابسك، السيدة الموقرة في الانتظار." قالت بعجلة.

قال بِـاول: " حلمت بها مرة، من هي؟"

"كانت معلمتي في مدرسة بني-جيزيرت، والآن هي كاهنة الإمبراطور... آه... وأمر آخر يا بِـاول..." ترددت هنيهة. "عليك أن تروي لها ما تراه في أحلامك."

"سأفعل، هل هي سبب حصولنا على آرِّاكس؟"

"لم نحصل بعدُ عليها."

نفضتِ الغبار عن السروالِ وعلّقته مع السِّترة فوق مِشجَبٍ قائمٍ بجوار سريره، وأردفت: "لا ترغم السيدة الموقرة على الانتظار."

تربّع بِـاول ضاماً ركبتيه متسائلاً: "ما هو غوم-جبار؟"

ومرةً أخرى كشفت له دروسها السابقة ترددها المبطّن... خانتها أعصابها دون إرادة منها، وتعرّى شعورها بالخوف أمامه.

خطتْ جيسكا نحو النافذة وأشاحت بالستائر بعيداً، تأمّلت بساتين النّهر الممتدة نحو جبل سيوبي. وأردفت: "ستعرف ما هو غوم-جبار... قريباً جداً."

سمع الخوف يرتعشُ في صوتها واستغربه.

ودون أن تستدير بجسدها نحوه، قالت: "السّيدة الموقرة تنتظرُ في حجرتي الصباحية، أسرع رجاءً."

***

جلست السّيدة الموقرة غاياس هيلين موهيم على كرسي موشى بالزينة، تترقب حضور الأم وابنها، يحيط بجانبيها نوافذ تطل على التعرجات الجنوبية للنهر والمزارع الخضراء المملوكة من قبل آل آتريديز، لكنها تجاهلت المنظر، كانت تشعر بثقل سنين حياتها في هذا الصباح، وسوء مزاجها يؤرّقها.

ألقت لومها على رحلات الفضاء الشاقّة، بالإضافة إلى تعامل أولئك البغضاء في نقابة الفضاء

وأساليبهم السّرية، لكن هناك مهمة تتطلب انتباهها الشخصي كونها أختاً من بني-جيزيرِت تتمتع ببصيرة نافذة، إنه واجب عظيم لا يمكن أن تتملصَ منه حتى مع كونها الكاهنة الخاصة بالإمبراطور الپاديشي ذاته.

تمتمت في نفسها: .

توقّفت جيسيكا على بعد ثلاث خطواتٍ من الكرسيّ وانحنت انحناءة بسيطة نافضة بيدها اليسرى جانب تنورتها باحترام، أما پـاول فقدم انحناءةً مقتضبة علّمه إياها معلم الرّقص، وتستخدم في المواقف التي 'لا تعرف فيها رتبة الشّخص الذي أمامك'.

لم تغب تفاصيل التّحية الدقيقة هذه عن انتباه السيدة الموقرة، فقالت: "إنه صبي حذر يا جيسيكا."

أحاطت جيسيكا بيدها كتفَ پـاول وشدّت عليها، شعر بضربات قلبها، وبخوفها النابض بين راحتها، لكنها نجحت في ضبط مشاعرها. "هكذا علمناه أيتها الموقرة."

تعجب پـاول:

تفرست العجوز پـاول بنظرة سريعة ثاقبة، وجهٌ بيضاويٌ كأمه جيسيكا لكن تقاسيمه العظمية أقوى... الشعر أسود في أسود كشعر الدوق، لكن مع حاجبين موروثين من والد الأم، الذي لا يمكن التصريح باسمه، ثم ذاك الأنف الرفيع المتكبر، وعينين خضراوين ونظرتهما المباشرة اللتين ورثهما من الدوق الكبير الراحل، والد الأب.

فكرت الأم الموقرة: ... .

ثم أردفت: "إن التعليم شيء، والمادة الخام شيء آخر، سنرى."

رمقَت جيسيكا بنظرة صارمة وقالت: "دعينا وحدنا، وآمرك بالبدء في ممارسة التّفكر السّليم."

سحبت جيسيكا يدها عن كتف پـاول، وقالت: "أيتها الموقرة، أنا..."

"جيسيكا، تعلمين أنه لأمر ضروري."

نظر پـاول نحو أمه، حائراً. اعتدلت جيسيكا في وقفتها، قائلة: "أجل... بالطبع."

أعاد پـاول نظره للأم الموقرة، دفعته تربيته للتصرف بحذر، ثم إن رهبة أمه الواضحة من هذه العجوز تحتم عليه التأدّب، ومع ذلك تملّكه الغضب بسبب إحساسه بالخوف المنبعث من أمه.

"پـاول..." أخذت جيسيكا نفساً عميقاً "إن هذا الاختبار ... هام بالنسبة لي."

رفع رأسه نحوها قائلاً: "اختبار؟"

قالت: "تذكر إنّك ابن دوق"، وسارعت بالخروج من الحجرة وأطراف تنورتها تتطاير حولها، وانغلق الباب بقوة خلفها.

واجه پـاول العجوز، متمالكاً غضبه: "هل تؤمَرُ الليدي جيسيكا بالانصراف هكذا، وكأنها مجرد خادمة؟"

تلوّت ابتسامة ساخرة على جوانب الفم العجوز المجعد، أومأت: "الليدي جيسيكا كانت خادمتي بالفعل أيها الصغير، لأربع عشرة سنة في المدرسة، وكانت خادمة جيدة، والآن تعـــال."

شعر بالأمر كسوط يهوي على جسده، ووجد نفسه يطيعها دون تفكير.

فكر: وتوقف عندما أشارت له، قريباً من ركبتيها.

سألته: "ترى هذا؟" ومن بين طيات ردائها رفعت مكعباً معدنياً أخضر اللون، طول أضلاعه حوالي ال- 15 سنتيمتر، أدارته فرأى أحد الجوانب مفتوحاً... أسود ومخيف بشكل غريب، لا ضوء على الإطلاق يدخل تلك الفتحة السوداء.

قالت: "ضع يدك اليمنى في الصندوق."

اعترى يـاول خوف مفاجئ، وبدأ يتململُ للوراء، لكن قالت العجوز: "أهكذا تطيع أمك؟"

التقت عيناه ببريق عينيها، بثقلٍ ضَعُفَ أمام قدرتها على الإكراه وأدخل يده داخل الصندوق، في البداية أحسّ ببرودة وسواد يلتفانِ كالسّوار حول يده، ثم بمعدنٍ أملس يتحسُّس أصابعه، وخزاتٍ كما لو أن يده أصابها تنميل.

اكتَستْ ملامح العجوز نظرة مفترسة، رفعت يدها اليمنى بعيداً عن الصندوق ووضعتها قُربَ أُنمُلةٍ من عنق يـاول، لمح بريقاً معدنياً في يدها وكاد يلتُّف بجسده ناحيته.

فزجرته: "تـوقــف!"

! أعاد انتباهه لوجهها.

قالت: "أضع الآن على عنقك غوم-جبار، اخصمٌ لا يقهر، إبرة على طرفها نقطة سم. لا، لا، إن سحبتَ يدك فسيصيبك هذا السم."

حاول أن يبتلع ريقه، حلقه جاف، عجز أن يشيح بوجهه عن ذاك الوجه المتجعد، العينين اللامعتين، اللّثة الباهتة المحيطة بأسنان كمعدن فضة يبرق كلما تكلمت.

قالت: "لا بد وأن ابن الدوق يعرف في أمور السموم، طبيعة زماننا، أليس كذلك؟ يستخدمون سمّ موسكي في الشراب، وسم أوماس في الطعام، السموم سريعة المفعول، والبطيئة المفعول، وما بينهما، وها هو سم جديد لتتعلمه، غوم-جبار الذي يقتل الحيوانات فقط."

غلب كبرياءه خوفه، فقال بحدة: "تتجرئين على التلميح أن ابن الدوق... حيوان؟"

قالت: "دعنا نقول إني ألمح باحتمال كونك إنساناً، إلزم مكانك! أحذرك من محاولة التملص، أنا عجوز فعلاً لكن يدي قادرة على غرس هذه الإبرة في عنقك قبل أن تنجح في الفرار."

همس: "من أنتِ؟ وكيف خدعتِ أمي كي تتركني وحيداً معك؟ هل أنتِ من الهاركونِن؟"

"هاركونِن؟ حاشا! والآن اصمت." ولامس إصبعها الجاف عنقه، فقاوم الصبي غريزته التي تلحّ عليه أن يقفز بعيداً.

قالت: "جيد، اجتزت الاختبار الأول، والآن سأخبرك كيف سيجري بقية الاختبار، إذا سحبت يدك من الصندوق ستموت، إنه القانون الوحيد، اترك يدك في الصندوق، تحيا... اسحبها منه، تموت."

أخذ نفساً عميقاً لتهدئة اضطرابه: "لو صرخت سيحيطك الخدم في ثواني، وستموتين."

" لن يتجاوز الخدم أمك التي تقف الآن حارسةً خارج هذا الباب، أؤكد لك، أمك اجتازت هذا الاختبار، والآن جاء دورك،

هذا الاختبار شرف لك، فنادراً ما نجري هذا الاختبار على الصبيان الذكور."

اعتراه الفضول فانخفضت حدة خوفه، ولا ينكر أنه استشفّ الصدق في نبرة المرأة، ماذا لو أمه فعلاً واقفة تحرس هذا الباب... ماذا لو هذا فعلاً اختبار - أو أياً كان وصفه – فهو متورط فيه، وأسير تلك اليد القابعة عند عنقه. غوم-جبار! تذكر الاستعاذة من الخوف التي تعلمها من أمه... أحد طقوس

بني-جيزيرِت:

.

عاد له الهدوء، فقال: "خلصينا يا عجوز."

قالت بحدة: "عجوز! أنت شجاع، لا أنكر ذلك، طيب، سنرى يا هذا." ومالت مقتربة، وخفضت صوتها حتى كاد يكون همسا، "ستشعر بألم في يدك التي داخل الصندوق، ألم، لكن! اسحب اليد، وألمُس عنقك فوراً بغوم-جبار - سيأتيك الموت سريعاً وكأنه سقوط فأس الجلاد، لو سحبت يدك فسيقضي عليك غوم-جبار. فهمت؟"

"ماذا في الصندوق؟"

"الألم."

ارتفعت حدة الوخز في يده فزم شفتيه بقوة،

تحول الوخز إلى حُكاك.

قالت العجوز: "سمعت عن الحيوانات التي تقضم أحد قوائمها لتهرب من شَرك الصياد؟ تلك حيلة حيوانية. أما البشريّ فسيبقى في الشرك، متحملا الألم، متظاهراً بالموت متحين الفرصة لقتل صياده والتخلص من تهديد الصياد لإخوانه ولجنسه."

تحولت الحكّة لحرقة خفيفة، سألها: "لم تفعلين هذا؟"

"كي أحدد إذا ما كنتَ بشراً، اصمت."

كوّر بـاول يده الحرة في قبضة مع تزايد الشعور بالاحتراق، وارتفعت حدة الحرقان باطراد، سخونة فوق سخونة فوق سخونة، فوق سخونة، شعر بأظفاره تجرح راحة يده الحرة، حاول تحريك أصابع يده المحترقة وعجز.

همس: "إنها تحرق."

"صمتاً!"

نبض الألم صاعداً لذراعه، تجمع العرق على جبينه، كل خلية تصرخ به أن يسحب اليد من حفرة الحريق هذه، لكن ماذا سيفعل بغوم-جبار؟ دون أن يدير رأسه حاول تحريك عينيه ليرى تلك الإبرة الشنيعة عند رقبته، أنفاسه تلهث، حاول تهدئتها ولم تفلح المحاولة.

ألم!

فرغ عالمه من كل شيء سوى تلك اليد المغموسة في العذاب، ووجهُ العجوز على بعد بوصات منه، يحدق فيه.

شفتاه جفّتا حتى صعُب عليه فصلهما عن بعضهما.

! !

خُيل له أن جلد يده يتجعد مسوداً، ولحمه ينضج ويتساقط عنها مخلّفا عظام محترقة.

توقف الألم!

توقف الألم وكأن زراً تم إطفاؤه.

شعر بِـاول بذراعه اليمنى تهتز، وبالعرق يغرق جسده.

تمتمت العجوز: "يكفي هذا... عجب العجاب! لم أقابل فتاة احتملت هذا القدر من قبل، يبدو إنني في قرارة نفسي كنت أتمنى أن تفشل."

اعتدلت في جلستها ساحبة غوم-جبار بعيدا عن عنقه. "اخرج يدك من الصندوق أيها الصغير وانظر إليها."

قاوم رعدة دبت فيه، ودقق النظر في الفراغ المظلم حيث تقبع يده، منعته من الحركة ذكرى الألم، وأخبره المنطق أنه سيسحب من الصندوق بقايا محترقة.

أمرته بحدة: "اسحبها!"

سحب اليد بحركة عنيفة ونظر إليها مندهشاً، ما من أثرٍ على جلد يده. رفعها، قلّبها، وحرك الأصابع.

قالت: "ألم بواسطة التحريض العصبي، فليس من المعقول أن نشوه من نأمل أنهم بشر، لكن هناك من هم مستعدون للتضحية بالغالي للحصول على سر عمل هذا الصندوق." وأعادته لطيات ثوبها.

قال: "لكن الألم..."

ردت بازدراء: "مجرد ألم، يستطيع الإنسان التحكم بأي عصب في جسده."

شعر بِـاول بألم يده اليسرى، فأرخى قبضته ورأى أربع علامات دامية حيث جرحت الأظافر راحة اليد، أرخى ذراعه، ونظر للعجوز: "فعلتِ هذا بأمي في الماضي؟"

سألته: "سبق لك أن مرّرت الرمال في غربال؟"

صدمه التحول المفاجئ في الحديث وارتفعت حدة تركيزه استجابة لسؤالها. . أومأ بالإيجاب.

"نحن - بِني جيزيرِت - نغربل الناس لنعثر على البشر بينهم. "

رفع يده اليمنى، مجبراً نفسه على تذكر الألم. "اختبار بالألم؟ بهذه البساطة؟ "

"بل مراقبتي لك أثناء الألم، يا فتى، ليس الألم سوى محور يدور حوله الاختبار، أكيد أن أمك أخبرتك عن طرقنا في المراقبة والتحليل، أرى في طريقتك مؤشرات دروسها، يتلخص اختبارنا في الأزمة والمراقبة والتحليل."

سمع نبرة الصدق في صوتها، فقال: "إنك صادقة!"

رمته بنظرة، ! سارعت بإطفاء جذوة الحماسة بداخلها، مذكرة نفسها بأن .

قالت: "أنت تميز عندما يؤمن الناس بصدق ما يقولونه."

"نعم."

وسمعت في صوته قناعة ناتجة عن تجارب متكررة.

قالت: "ربما تكون حقا قافز الطريق، اجلس يا أخي الصغير، هنا عند قدمي."

"أفضل الوقوف."

"أمك جلست عند قدمي قديماً."

"أنا لست أمي."

"إنك تكرهنا بعض الشيء، أليس كذلك؟". نظرت نحو الباب ونادت: "جيسيكا!"

طار الباب مفتوحاً ووقفت جيسيكا عنده تحدق بعينين جامدتين، جمود سرعان ما ذاب عندما رأت بِـاول، وارتسم شبح ابتسامة على ثغرها.

قالت العجوز متسائلة: "هل توقفتِ عن كرهي يا جيسيكا؟"

أجابت جيسيكا: "أحبك وأكرهك في الوقت ذاته، الكره منبعه آلام يجب ألا أنساها أبداً، أما الحب..."

أكملت العجوز بصوت رقيق: ".. فحقيقة بديهية." ثم قالت: "بإمكانك أن تدخلي الآن، لكن ابقي صامتة، أغلقي الباب واحرص ألا يقاطعنا أحد."

دخلت جيسيكا وأغلقت الباب ووقفت وظهرها إليه.

فكرت جيسيكا: ... ... ! . كان
الباب خلفها صلب ملموس، كل شيء في الحجرة كان حاضراً ويملأ حواسها، .

نظر بِـاول لوالدته، صدقت العجوز فيما قالته! شعر بالرغبة في الابتعاد والتفكير وحيداً في معنى التجربة التي مر بها، لكنه يعلم إنه لا يستطيع الخروج قبل أن يؤذن له، لقد أصبح للعجوز سلطة عليه، أمه مرت فعلا بهذا الاختبار، لا بد وأن وراء الاختبار غايات رهيبة، كان الألم والخوف رهيبين، وهو يعرف مفهوم الغايات الرهيبة، يعرف إنها تتقدم مقتحمة كل العقبات، يعرف إنها واجبة في حد ذاتها.

شعر بِـاول أنه أصيب بعدوى هذه الغاية الرهيبة، لكن لم يفهم طبيعتها بعد.

قالت العجوز: "يوما ما يا فتى، قد تضطر لأن تقف خارج باب مثل هذا... وإنه لعبء ثقيل. "

نظر بِـاول لليد التي شعرت بالألم، ثم للسيدة الموقرة، لحظتها، حملت نبرة صوتها شيئاً مختلفاً تماماً عن أي صوت مر به. فكلماتها تبرز بإطار لامع، بحواف حادة، شعر وكأن أي سؤال سيوجهه لها سيأتيه بإجابة ستحمله من عالم المادة إلى عالم أعظم مكانة.

سألها: "ما الغاية من تحديد ما إذا كان الشخص بشراً أم لا في هذا الاختبار؟"

"كي أحررك."

"تحررينني؟"

"قديماً، أسند البشر مهمة التفكير إلى الآلات، ظنا منهم أن هذا سيحرر البشرية، إلا أن فعلهم هذا جعلهم عبيداً لبشر آخرين يملكون الآلات."

تمتم بِـاول الاقتباس: "لا تصنع آلة تحاكي عقل البشر."

قالت: "اقتبست من نص الجهاد البتلري والإنجيل الكاثوليكي البرتقالي. لكن كان على النص أن يقول: (لا تصنع آلة تكون صورة مزيفة من عقل الإنسان). هل تدبرت المِنتات المُستدرك الموظف عندكم؟"

قال: "لقد درست على يد ظافر حواط."

قالت: "جردتنا الثورة الكبرى من عكاز نعتمد عليه، أجبرت العقول البشرية على أن تتطور، فظهرت مدارس لتدريب المهارات البشرية."

"مدارس تابعة لبني-جيزيرِت؟"

أومأت بالإيجاب: "الآن بقيت جماعتان رئيسيتان من هذه المدارس القديمة: بني-جيزيرِت ونقابة الفضاء، فأما نقابة الفضاء فتركز – حسب فهمنا - تركيزاً شبه تام على الحسابات الرياضية. أما البني-جيزيرِت فلهم وظيفة أخرى."

قال: "السياسة."

قالت العجوز: "يا عجب العجاب!" ووجهت نظرة حادة صوب جيسيكا.

قالت جيسيكا: "لم أخبره أيتها الموقرة!"

وجهت الأم الموقرة انتباهها إلى پـاول، وقالت: "بنيت استنتاجك على قدر ضئيل من المعلومات! وهو أمر مثير للإعجاب، هي السياسة بالفعل، فمدرسة بني-جيزيرِت الأصلية كانت توجهها فئة رأت الحاجة إلى وجود استمرارية في الشؤون البشرية، ورأت استحالةَ تحقيق هذه الاستمرارية دون فرز ذوي الطباع الحيوانية بعيداً عن ذوي الطباع البشرية... لغرض تحسين النسل."

وهكذا فقدت كلمات العجوز بريقها في ذهن پـاول، شعر بأن كلماتها تسيء إلى صفة فيه أسمتها أمه بعبارة لم يبني رد فعله على إنها كاذبة، فمن الواضح إنها تؤمن بما تقول... إنما كان أمر أعمق من هذا، شيء مرتبط بالغايات الرهيبة.

قال: "لكن أمي أخبرتني أن كثيرات من الأخوات في مدارس بني-جيزيرِت جاهلات بالنسب الذي ينتمين إليه."

قالت: "شجرة العائلة محفوظة دائماً في سجلاتنا. وأمك تعلم إنها إما من نسل امرأة من بني-جيزيرِت أو من سلالة كانت مقبولة المعايير."

"إذن لم لا يتم إخبارها بهوية ذويها؟"

"البعض يعرفن... والكثيرات لا تعرفن. فربما كنا نريد - في بعض الحالات على سبيل المثال - أن تتناسل الفتاة مع أحد أقاربها المقربين، بغرض تقوية إحدى الصفات الوراثية السائدة في عائلتهم، أسبابنا كثيرة."

وللمرة الثانية شعر پـاول بأن كلامها يسيء إلى حس الصواب في داخله، قال: "تحملون أنفسكن مسؤولية عظيمة."

حدقت فيه الأم الموقرة متسائلة في نفسها: قالت: "إنه عبء ثقيل فعلاً."

شعر پـاول أن صدمة الاختبار تزول عنه شيئاً فشيئاً، نظر لها نظرة متفرّسة، قائلاً: "تقولين إنني... ربما أكون قافز الطريق هذا، ما طبيعته؟ أهو غوم-جبار بشري؟"

قالت جيسيكا: "پـاول! يجب ألا تتكلم بهذه الصورة مع..."

قالت العجوز: "دعيني أتعامل مع الأمر بنفسي يا جيسيكا، اسمع يا فتى... هل تعرف عقار كاشف الحقيقة؟"

أجاب: "تتناوله الكاهنة لتحسين قدرتها على كشف الأكاذيب، أخبرتني أمي عنه."

"وهل سبق وشهدت إغشاءة الحقيقة؟"

هز رأسه نفيا: "لا."

"إنه عقار خطير، لكنه ينير البصيرة، عندما تتناوله كاهنة يمكنها أن تنظر لأماكن كثيرة في ذاكرتها... في ذاكرة جسدها. نرى الكثير من طرقات الماضي، لكن الطرقات المؤنثة فقط"... وتخللت نبرة الأسف صوتها. "... ويبقى ركن لا تستطيع كاهنة أن تراه، ننفر منه... نرهبه، ويقال إن رجلاً سيأتي يوماً، وسيجد عبر هبة العقار بصيرته الداخلية، سينظر حيث لا نستطيع النظر... سيرى الماضي الذكوري والأنثوي معاً."

"قافز الطريق الذي تنتظرونه؟"

"أجل، من يستطيع أن يتواجد في عدة أماكن في الوقت ذاته... قافز الطريق، كثيرون جربوا العقار... رجال كثيرون، لكن لم ينجح منهم أحد."

"جرّبوه وفشلوا؟ كلهم؟"

هزت رأسها: "لا... جرّبوه وماتوا."

2

إنّ مَثَلَ محاولة فهم المؤدّب دونَ فهم عدوّه اللّدود "آل هاركونِن"، كمَثَلِ محاولة رؤية الحقيقة دون معرفة الزّيف، ومَثَلُهُ كمحاولةِ رؤية النّور دون معرفة الظلام، وهي محاولةٌ في غير محلها.

من كتاب (دليل المؤدّب)، تأليف الأميرة إيرولان

في ركن شبه مظلم دارت الكرة، بتضاريسها الكواكبية البارزة، تحت تأثير تلك اليد السّمينة ذات الخواتم البّراقة، استَقرّت الكرة على حاملٍ حرٍّ يقع بقرب جدارٍ خالٍ من النوافذ، على الجدران الأخرى ظهرت تشكيلة متعددة الألوان من اللفائف وأشرطة الميكروفيلم وبكرات الوثائق، أضاءت بقيّة زوايا الحجرة مصابيح مستديرة، ذهبيّة اللّون، تطفو في مجالات طاقة قابلة للتحريك.

في منتصف الحجرة استقر مكتب بيضاوي، سطحه العلوي خشب من شجر إللأكّه متحجّرة قرنفلية اللون، وحول المكتب مقاعد مضادة للجاذبية، احتل فتىً ورجل مقعدين منهما، قارب عمر الفتى ذي الشّعر الأسود من السادسة عشر، وجهه مستدير وعيناه عابستان، أما الرجل فكان نحيفاً، قصيراً، وذي ملامح أنثوية ناعمة، صوّب كلاهما النّظر للكرة وللرّجل الذي يديرها في الظلام.

قَهقَهَ صَوتٌ خافِتٌ بِجانب الكرةِ، وخرجَت ضَحكةٌ مُجلجلةٌ من ذلك الصّوت: "ها هي يا بِـايتر... أكبر مصيدةٍ في التاريخ، والدوق مُتجه نحو فكّيها، أليست أروع شيء فعلته – أنا البارون ڤلاديمير هاركونِن؟"

أجابه الرّجل بصوت رزين وناعم كأنّه نغمةٌ موسيقية: "بالتأكيد يا بارون."

هبطت اليد السمينة بقوة فأوقفت دوران الكرة، وهنا اتّضح للعيان أنها من الكرات التي يتم صنعها خصيصاً للأثرياء من هواة جمع التحف أو أصحاب السلطة في الإمبراطورية ممن يحكمون كواكب بأكملها، تفاصيلها تشير لدقّة صنع تتناسب مع مقام إمبراطوري، فخطوط الطّول ودوائر العرض مصنوعة من أسلاك بلاتينيةٍ رفيعةٍ، أما القُطبان فقطَعٌ بيضاء بلون اللّبن مصنوعة من أجود أنواع الألماس.

تحرّكت اليد السّمينة تتحسّس التفاصيل الدّقيقة للسّطح، دمدمَ صاحب الصّوت العميق: "انظر وافحص بنفسك يا بِـايتر، وأنت أيضاً يا عزيزي فايد راوثا، من 60 درجة شمالاً وحتى 70 درجة جنوباً، تلك التّموجات الفاتنة، ألا يذكرّكما لونها بحلاوة الكراميل؟ وأنّه لا أثر إطلاقاً للّون الأزرق، لا بحيرات ولا أنهار ولا بحار، وهذان القطبان الجليديان الجميلان، انظرا لحجمهما الصغير، هل يمكن لأحد ألا يتعرف على هذا المكان الفريد؟ آرّاكس! موقع ممتاز لانتصارٍ فريد."

ارتسمت ابتسامة على شفتي بِـايتر: "ويظن الإمبراطور الپاديشي أنه أعطى الدّوق كوكب السپايس الذي كان ملكك، خطأ فادح."

زمجر البارون قائلاً: تصريح غبي تريد به تشويش فكر الفتى فايد راوثا، لا حاجة لتشويش ابن أخي بمعلومات خاطئة."

اضطرب الفتى العابس في مقعده، وسوّى تجعيدة في طيّات ردائه الأسود الضيق، واعتدل في جلسته، ثمّ جاء طرق خفيف على الباب خلفهم.

نهض بِـايتر من مقعده متجهاً نحو الباب، فتحه بمقدار ضئيل يكفي لتسلم رسالة اسطوانية، ثم أغلقه، فكّ اللّفافة وتصفح محتواها، ثم قهقه ضاحكاً مرةً بعد الأخرى.

سأل البارون: "ما الأمر؟"

"الأحمق أرسل لنا ردّه يا بارون."

قال البارون: "ومتى فوّت أحد الآتريديز فرصة استغلال الأحداث لإظهار موقفه السياسيّ؟ ماذا قال؟"

"كتب ردّه بأسلوب فظّ يا بارون، يخاطبك باسمك المجرّد، هاركونِن، بلا ألقاب ولا حتى عزيزي."

ردّ البارون مزمجراً بنفاد صبر: "اسمي له وقع جيّد، وماذا يقول عزيزي ليتو؟"

"يقول: عرضك لعقد لقاء مرفوض، فكثيراً ما نرى منك الخيانة، وهذا معروف للجميع."

ألحّ البارون: "وماذا أيضاً؟"

"يقول: وفنّ مبارزة كانلي ما زال له معجبون في الإمبراطورية، ثم كتب توقيعه: الدوق ليتو حاكم آرّاكس."

وبدأ بِـايتر يضحك: "يقول 'حاكم آرّاكس هاهاها!!'! هذه المفارقات أكبر من قدرتي على التحمل."

قال البارون: "اسكت يا بِـايتر." وعلى الفور توقف الضحك وكأن البارون ضغط على زر الكتم.

"يقول 'كانلي'؟ يقصد الثأر؟ يستخدم تلك الكلمة العريقة كي يؤكّد لي إنّه يعني ما يقول."

قال بِـايتر: "لقد عرضتَ عليه مقدّمات الصّلح، وبهذا تكون أطعت الأعراف."

قال البارون: "أنت ثرثار يا بِـايتر، على غير عادة المِنتات المُستدرك."

دار في فكره: حَمْلقَ في بِـايتر- .
مِنتاتٌ خبيرٌ في الاغتيالات- كلّ من ينظر إليه للمرّة الأولى يلاحظ أبرز ملامحه: العينان، أزرق في أزرق، بلا بياض فيهما.

ارتسمت على وجه بِـايتر ابتسامةٌ خاطفةٌ بدت كقناع مخيفٍ بصحبة تلك العينين، "لكن يا بارون إنّها خطةُ انتقام لذيذة! خيانة فاتنة أن تجعل ليتو يستبدل بحكم كالادان حكم كوكب كثيب، وبأمر من الإمبراطور الذي لا يترك أمامه خياراً، مزاح شقي."

قال البارون بنبرة برود: "هل أصاب فمك اليوم إسهال يا بِـايتر."

"لأني سعيدٌ يا بارون. أما أنت فـ... سعادتك تشوبها الغيرة."

" بِـايتر!"

"لا تنكر يا بارون، ألا يؤلمك عجزك عن التّفكير في خطّة ممتازة كهذه بمفردك؟"

"يوما ما سآمر بإعدامك خنقاً يا بِـايتر."

"هذا لا شك فيه يا بارون، خير تعمل شراً تلقى، أليس كذلك؟"

"هل كنت تمضغ السيموتا أو الڤيريتا يا بِـايتر؟"

رد بِـايتر: "أثار دهشتك الكلام الصريح دون خوف يا بارون،" ثم رسم على وجهه تعبيراً حزيناً قائلاً: "تعلم يا بارون إنني كمِنتات أعرف متى سترسل من يقتلني، ستمتنع عن قتلي طالما أنا مفيدٌ لك، فالاستعجال في قتلي يعتبر هدراً للموارد، وأنا ما زلت مفيداً، وأعرفُ الدّرس الذي علمه لك ذلك الكوكب: 'لا للتبذير'، صحيح؟"

استمرّ البارون في التحديق في بِـايتر.

تململ فايد راوثا في مقعده مفكراً: !

قال البارون: "فايد، عندما دعوتك إلى هنا أمرتك أن تصغي وتتعلم، هل تعلمت؟"

أجاب الفتى بنبرة حَرِص أن تبدو خانعة: "أجل يا عمي."

قال البارون: "أحيانا أتعجّب من أمر بِـايتر، فعندما أتسبّب في الألم، أفعل هذا للضرورة، أما هو... أقسم أنه يستمتع بإيلام الآخرين، وأنا أشفق على الدوق ليتو المسكين، سيتحرك الدكتور يُوي ضده قريباً، وبهذا تزول أسرة آتريدز من الوجود، سيدرك ليتو هوية اليد التي وجهت الطبيب الخانِع لنا... وسيكون له وقع رهيب عليه."

قال بِـايتر متسائلاً: "إن كنت حقاً مشفقاً لماذا لم تأمر الطبيب أن يطعنه بخنجر؟ طريقة بسيطة وهادئة."

قال البارون: "كي يعلم الدوق أني أنا من أحاط به وتسبب في هلاكه، والأسر النبيلة الأخرى يجب أن تعلم أيضاً، معرفتهم بما فعلته ستصيبهم بالذهول. وهكذا يتركون لي مجالاً سياسياً أوسع للحركة بحرية، إنها ضرورة ليس إلّا، حتى إن كنت لا أستسيغها."

قال بِـايتر بتهكّم: "مجالاً للحركة؟ عين الإمبراطور تراقبك يا بارون، فخطواتك السّياسية أصبحت جريئة جداً، ويوما ما سيرسل الإمبراطور فيلقاً أو اثنين من جنوده الساردوكار إلى كوكبنا غيدي پرايم، وتكون نهاية البارون ڤلاديمير هاركونِن."

قال البارون: "سيعجبك هذا يا بِـايتر، سيروقكَ مشهد قوات الساردوكار وهي تسلب قلعتي هذه وتنهب مدني، متعة حقيقية بالنسبة لك، أليس كذلك؟"

رد بِـايتر هامساً: "وهل يحتاج ذلك لسؤالٍ، يا بارون؟"

قال البارون: "كان يجب أن تكون باشًّارا عسكرياً، فأنت تفرط في حبّك للدماء والألم، ربما تسرّعت عندما وعدتك بما وعدتك به من غنائم آرّاكس."

أخذ بِـايتر خطوات غريبة متقطعة في أنحاء الحجرة، ثم توقف مباشرة خلف فايد راوثا، ساد المكان جواً من التوتر، ورفع الفتى رأسه محدقاً نحو بِـايتر بقلق.

قال بِـايتر: "لا تلعب بمشاعر بِـايتر يا بارون، لقد وعدتني الليدي جيسيكا، وعدتني بها."

سأله البارون: "لم تريدها يا بِـايتر؟ للتعذيب؟"

نظر له بِـايتر في صمت ولم يسرع برد.

حرّك فايد راوثا مقعده للجانب، وقال: "عمي، هل لوجودي لزوم؟ لقد قلت إنك س-..."

قال البارون: "عزيزي فايد راوثا بدأ يتململ... هاه" وتحرك نحو الركن المظلم، قريباً من الكرة. "الصبر يا فايد."

ثم وجه كلامه إلى المِنتات قائلا: "وماذا عن الدّوق الصغير، الولد بِـاول، يا عزيزي بِـايتر؟"

تمتم بِـايتر: "سيجلبه الفخ لك أيضاً، أيها البارون."

قال البارون: "ليس هذا سؤالي، تَذْكُر كيف توقَّعت أن تلك الساحرة التّابعة للبني-جيزيرِت ستنجب للدوق بنتاً! كنتَ مخطئاً في توقعاتك يا مِنتات، أليس كذلك؟"

أجاب بِـايتر وقد تسلل الخوف إلى صوته: "لكني غالباً لا أخطئ يا بارون، اعترفْ لي بهذا على

الأقل: أخطائي قليلة، وأنت تعلم أنٍ هؤلاء بني-جيزيرِت ينجبن بنات في العادة، حتى خليلة الإمبراطور لم تنجب له سوى إناثاً."

قال فايد: "عمي، أخبرتني أن حضوري سيفيدني بشيء مهم س-..."

قال البارون مقاطعاً: "يااااه من ابن أخي هذا! يطمح أن يحكم بعدي لكنه يعجز أن يَحكم نفسه."

من مكانه وسط الظلال بجانب مُجسّم الكوكب، أردف البارون: "طيب يا فايد راوثا الهاركونّي، استدعيتك على أملٍ أن ألقنكَ شيئاً من الحكمة، هل انتبهت جيداً لمِنتاتنا المحترم؟ لابد إنّك تعلمت شيئاً من حوارنا."

"لكن يا عمي أنا..."

"مِنتاتٌ شديدُ الكفاءة هذا الـپـايتر، ألا توافقني يا فايد؟"

"نعم، لكن..."

"فعلاً، لكنه يستهلك الكثير من السپايس! يلتهمه وكأنه يتناول حلويات، انظر لعينيه! من يراه يظن أنه جاء للتو مع عمال من آرّاكس. پـايتر كفء بالفعل، لكنه يخضع لتقلبات المزاج ولنوبات الهياج العاطفي، پـايتر كفء، لكنه قد يخطئ أحياناً."

قال پـايتر في ضيق وبصوت خافت: "هل استدعيتني هنا لتعيب كفاءتي بهذا الانتقاد؟"

"أعيب كفاءتك؟ معرفتك بي أفضل من هذا يا پـايتر، بل أردت أن يدركَ ابن أخي القصور الذي يعاني منه أيُّ مِنتات. "

تساءل پـايتر في حدة: "هل بدأت بتأهيل بديلٍ عني؟"

"بديلاً عنكَ؟ وأنّى لي بمِنتات بمثل مهاراتك ومكرك؟"

"ستجده في نفس المكان الذي وجدتني فيه يا بارون."

قال البارون بعد تأمل: "على رأيك، إذ تبدو غير متّزن مؤخَّرا. ناهيك عن كمّيات السپايس التي تأكلها!"

"هل مُتَعي مكلفة يا بارون؟ ألديك اعتراض عليها؟"

"عزيزي پـايتر، مُتعتك هي ما يربطك بي، فكيف لي أن أعترض عليها؟ ما وددّت سوى أن يدرك ابن أخي هذه الصفة فيك."

قال پـايتر: "إذن أنا فُرجة؟ أترغب أن أرقص؟ هل أؤدي شيئاً من مهامي المتعددة أمام 'المبجل' فايد راو..."

قال البارون: "بالضبط، أنت فُرجة، فاصمت." ونظر لفايد ولاحظ شفتيٍ ابن أخيه الممتلئة الممطوطة - تلك الصفة الموروثة من جينات الهاركونِن - وقد تلوَّتْ شفتاه قليلاً كعلامة على استمتاع الفتى بالموقف.

"أمامك مِنتات يا فايد، تم تدريبه وتأهيله لتأدية مهام معينة، لكن لا يجب إغفال الحقيقة، إنه ما زال محبوسا في جسد بشري، وهو عائق خطير، أحياناً يخطر لي أن القدماء كانوا محقين عندما اعتمدوا على الآلات المفكرة."

زمجر پـايتر معترضاً: "كانت مجرد ألعاب بالمقارنة بقدراتي، حتى أنت يا بارون كنت ستتفوق على

تلك الآلات."

قال الباروون: "ربما"، وأخذ نفساً عميقاً ثم تجشأ. "والآن يا پـايتر استعرض أمام ابن أخي الملامح العامة لخطتنا ضد عائلة آتريديز، أدِ وظيفتك كمِنتات لو سمحت."

"نصحتك في السابق ألا تأتمن فتى صغيراً بمثل هذه المعلومات، فما لاحظته فيه هو..."

قاطعه الباروون: "أنا من يقرر هذا، والآن أوامري لك يا مِنتات أن ترينا واحدة من وظائفك المتعددة."

قال پـايتر: "فليكن"، ونصب قامته متبنياً موقف وقار، كما لو كان يرتدي قناعا آخر، لكنه قناع أحاط بجسده كله، "في غضون أيام، بالحساب المعياري، ستصعد أسرة الدوق ليتو وكل التابعين لها على متن إحدى سفن نقابة الفضاء، ستوصلهم النقابة إلى مدينة آراكين، لا مدينة قرطاج التي كنا نحكم منها، حيث استنتج المِنتات ظافر حواط– وهو محق - أن الدفاع عسكرياً عن آراكين أمر أسهل تحقيقه."

قال الباروون: "استمع بانتباه يا فايد، ولاحظ الخطط المتداخلة في بعضها، والمتشابكة في خططٍ أخرى."

أومأ فايد راوثا، وفكرَّ:

.

قال پـايتر: "هناك عدّة احتمالات للانحراف في الخطة، فتوقعاتي تميل إلى أن آل آتريديز سيذهبون فعلا لآرِّاكس، لكن يجب ألا نتجاهل احتماليّة تعاقد الدوق مع النقابة لنقله لمكان آمن بعيداً عن المنظومة كلها، ففي السابق قام آخرون في ظروف مشابهة بالتحول إلى أسر منشقة، معتمرينَ أسلحتهم الذرية ودروعهم لكوكبٍ بعيد عن الإمبراطورية."

قال الباروون: "كرامة الدّوق أكبر من أن تسمح له بهذا."

قال پـايتر: "لكنه يبقى احتمالاً، وعلى أية حال بالنسبة لنا تظل المحصلة النهائية كما هي."

زمجر الباروون: "لا، لن تكون نفس المحصلة! يجب أن أراه ميتاً وأن أقضي على نسله."

قال پـايتر: "وهو الاحتمال الأرجح بالفعل، فعندما تقرر أسرة نبيلة الانشقاق تتخذ إجراءات معينة، ولا يبدو على الدوق إنه اتخذها."

قال الباروون: "تابع يا پـايتر."

"في مدينة آراكين سكن الدوق وأسرته قصر الإقامة، والذي كان حتى وقت قريب منزلاً للكونت فينرنغ وزوجته."

ضحك الباروون قائلا: "السّفير المبعوث إلى المهربين."

سأل فايد: "المبعوث إلى ماذا؟"

قال پـايتر: "عمك يمزح، فهو يطلق على الكونت فينرنغ لقب 'سفير مبعوث للمهربين' ليشير إلى اهتمام الإمبراطور بعمليات التهريب التي تحدث على آرِّاكس."

نظر فايد لعمه في حيرة: "لم؟"

قال الباروون بحدة: "لا تكن غبياً يا فايد، فطالما نقابة الفضاء خارج سلطة الإمبراطور وسيطرته كيف تتوقع ألا يكون على علاقة بالمهربين؟ كيف يتحكم في الجواسيس ومن يقومون بعمليات

الاغتيال؟"

خرجت من فم فايد: "أوه!" خافتة كعلامة على فهمه للأمر.

قال بـ"ايتر: "زرعنا في القصر خططاً لتشتيت انتباههم، فهناك مثلاً محاولةٌ لقتل ولي العهد الآتريدي، محاولةٌ قد تنجح."

قال البارون معترضاً: " بـ"ايتر! لقد أكدت لي أن..."

قال بـ"ايتر مقاطعاً: "أكّدت لك أن الحوادث تقع، ويجب أن تبدو محاولة قتله حقيقية."

قال البارون: "خسارة! للولد جسدٌ غضٌ وجميلٌ، لكنه قد يكون أخطر من أبيه، خصوصاً لما تلقاه من تدريب على يد أمه الساحرة، امرأة لعينة! طيب، استمر من فضلك يا بـ"ايتر."

"سيستنتج حواط حينئذ أننا زرعنا عميلاً بينهم. المتهم البديهي هو دكتور يُوي، والذي هو فعلاً عميلنا، لكن حواط قام بالتحقيق في خلفية يُوي وعلم أنّ الطبيب متخرج من مدرسة السووك وخاضع للبرمجة العقلية الإمبراطورية، وهؤلاء - كما يقال - يؤتمنون تماماً ويصلحون أن يكونوا أطباء للإمبراطور ذاته، تلك البرمجة العقلية لها سمعة عالية، ومن المفترض إنها برمجة قوية لا يمكن نزعها دون قتل الطبيب الخاضع لها، لكن كما يقولون: أعطني الرّافعة المناسبة وسأحرك لك كوكب بأكمله، وقد وجدنا الرّافعة التي نجحت في تحريك الدكتور."

سأل فايد: "كيف؟". أثار هذا الموضوع شغفه. فالكل يعلم إن إفساد البرمجة العقلية الإمبراطورية أمر مستحيل!

قال البارون: "سأخبرك في وقت آخر، أكمل يا بـ"ايتر."

قال بـ"ايتر: "وبدلا من يُوي سنضع في طريق حواط متهمة أخرى مثيرة للاهتمام، بل إن استحالة كونها موضع شك هو ما سيجعلها محط انتباه حواط."

قال فايد متسائلا: "متهمة؟"

قال البارون: "الليدي جيسيكا."

قال بـ"ايتر: "أليست فكرة عبقرية؟ سينشغل عقل حواط باحتمالية صدق هذه الشبهة لدرجة تعيق مهامه كمِنتات، بل وربما حاول قتلها أيضا"، وهنا ظهر العبوس على وجه بـ"ايتر وأكمل قائلا: "لكن لا أظنه سينجح."

قال البارون: "ولا تريد له أن ينجح، صحيح؟"

قال بـ"ايتر: "لا تشتت أفكاري، وعندما ينشغل حواط بأمر الليدي جيسيكا سنشغله بأمور إضافية أيضا: قلاقل وشغب في مدن الحاميات العسكرية، وأشياء من هذا القبيل، لكنها ستخمد في النهاية، مما سيجعل الدوق يظن أن الأمور قد استتبت له، وعندما تحين اللحظة المناسبة سنبعث لـيُوي ونهبط بقواتنا الرئيسية، ال-..."

قال البارون: "هيا، أخبره بكل شيء."

"سنهبط معززين بفيلقين من الساردوكار متنكرين في زيّ الهاركونِن."

قال فايد راوثا منبهرا: "ساردوكار!" وارتسمت في ذهنه صورة القوات الإمبراطورية التي توقع الرهبة في النفوس... القتلة بلا رحمة... الجنود ذوي الولاء الأعمى للإمبراطور البِاديشي.

قال البارون: "هل ترى لأي مدى أثق فيك يا فايد؟ يجب ألا تكشف هذا السر لأي من الأسر النبيلة

الأخرى، ولا حتى بتمليح، وإلا سيتحالف اللاندسراد – مجلس الأسر النبيلة - كله ضد الإمبراطور وتسود الفوضى."

قال بِـايتر: "ما يهمنا هنا هو: بما أن أسرة هاركونِن قبلت أن يستخدمها الإمبراطور لتنفيذ عمله القذر فقد نلنا أفضلية مميزة، هي أفضلية خطرة بلا شك لكن إن تم استغلالها بحذر ستأتي لآل هاركونِن بثروة هائلة تفوق ما لدى أي أسرة نبيلة أخرى."

قال البارون: "لن تصدق مقدار الثروة التي نتحدث عنها يا فايد، تفوق كل ما يمكن أن تحلم به وتتخيله، يكفي إننا سنحصل على مقعد دائم في شركة كوآم - اتحاد الأشراف للارتقاء التجاري."

هز فايد-روثا رأسه، فالثروة هي كل شيء، وشركة كوآم مفتاح الثروة، كل أسرة نبيلة تغترف من خزائن الشركة ما يمكنها الحصول عليه، بسلطة مقعدها الإداري، تلك المقاعد والأسهم هي المؤشر الفعلي على القوة السياسية في الإمبراطورية، تنتقل عبر التصويت بين نبلاء مجلس اللاندسراد، كقوة موازية لقوة الإمبراطور وأتباعه.

قال بِـايتر: "قد يحاول الدوق ليتو الفرار إلى حثالة الفريمِن القاطنين أطراف الصحراء، وقد يحاول أن يرسل أسرته هناك سعياً وراء أمانٍ زائف، لكن ذاك الطريق مسدود بواسطة أحد العاملين في خدمة الإمبراطور: خبير البيئة الكوكبيةً، كاينز... ربما تذكره."

قال البارون: "فايد يتذكره، هيا استمر."

قال بِـايتر ساخراً: "لعابك يسيل بشكل غير جميل يا بارون."

صاح البارون: "قلت لك استمر... هذا أمر."

هز بِـايتر كتفيه وأكمل: " إذا تحقق كل شيء كما هو مخطط له سيحصل آل هاركونِن على حصة إقطاعية من آرِّاكس خلال عام، وسيحق لعمك توزيع هذا الإقطاع، وسيحكم وكيله الشخصي آرِّاكس."

قال فايد: "المزيد من الأرباح."

قال البارون: "بالفعل"، وفكر:

.

قال بِـايتر: "وستعلم الأسر النبيلة أن من قضى على آل آتريديز هو البارون، سيعلمون."

قال البارون بصوت هامس: "نعم... سيعلمون."

قال بِـايتر: "وأجمل ما في الأمر هو أن الدّوق سيعلم أيضاً، بل هو يعرف الحقيقة الآن، ويشعر بالفخ المنصوب له."

قال البارونِ: "صحيح أن الدّوق يعلم"، وبدت في صوته لمحة حزن، "يعلم في قرارة نفسه، شيء مؤسف فعلاً."

ترك البارون كرة آرِّاكس، وبدت ملامح جسده واضحةً عندما خرج من بين الظلال: سَميناً بدرجة هائلة ومقزّزة، ومن تحت ثنايا ردائه الأسود تكاد تبدو النتوءات البارزة التي تكشف أن كل الدهون التي تحملها أجهزة مقاومة الجاذبية ملاصقة لجسده، ففي حين أن وزنه الفعلي 200 كيلو معياري إلا أن قدميه لا تحمل من هذا الوزن أكثر من 50.

قال البارون: "أنا جائع"، ومسح شفتيه الممطوطتين بيدٍ مكتظة، ثم نظر لفايد راوثا بعينين محاطتين

بالدهون وقال: "اجعلهم يرسلون لنا طعاماً يا عزيزي، فسنأكل قبل أن ننام."

3

"هكذا تكلّمت القدّيسة عالية - فَتاة النَّصلِ:

على كل سيِّدة موقِّرة أن تجمع بين حيلِ إغواء الخليلة وعظمةِ الآلهة العذراء، وأن تحافظ على هاتين الصفتين في حالة مدٍ وجزرٍ ما دامت تتمتع بشبابها، وعندما يتلاشى الشّباب حاملاً معه الجمال، ستجد أنّ المكان الواقع تلكَ الصفتين قد تحوّل من تقلّبات المدَّ والجزر إلى نبعٍ من الحيلِ الماكرة."

من كتاب (المؤدّب: تراجم سيرة أسرية)، تأليف الأميرة إيرولان

سألت السّيدة الموقّرة: "والآن أخبريني، ما مبرّراتك لما فعلتيه؟"

أوشكت الشّمس على الغروب، وفي قلعة كالادان، يومَ اجتياز بِـاول لمحنة الاختبار، جلست السّيدتان بمفردهما في حجرة جيسيكا الصّباحية، بينما انتظر بِـاول في حجرةٍ مجاورةٍ مخصّصة للتّأمل تتميّز بعازلٍ صوتي.

وقفت جيسيكا عند النوافذ الجنوبية غارقةً في أفكارها، لم تنتبه لما أمام ناظريها من ألوان المساء المنحدرة على المرج والنّهر، أنصتتْ لسؤال السّيدة الموقّرة وكأنّها لم تسمعه.

لاحت لها ذكرياتُ اختبارٍ آخر حدث قبل سنواتٍ، لفتاةٍ نحيلةٍ - ذات شعرٍ برونزي وجسدٍ آلمهُ طوالعُ البلوغ - دخلت مكتب السّيدة الموقّرة غاياس هيلين موهيم، المشرفَ الأعلى في مدرسة بني-جيزيرت على كوكب والاش 9، نظرت جيسيكا ليدها اليمنى وحرّكت أصابعها، متذكّرة الألم والرّعب والغضب.

همست: "مسكين بِـاول."

قالت العجوز في صوتٍ آمرٍ: "وجّهت لك سؤالاً يا جيسيكا!"

"ما الـ...؟ أوه" استعادت جيسيكا انتباهها بسرعة وتركت ذكريات الماضي، واستدارت لتواجه السّيدة الموقّرة التي أسندت ظهرها للحائط الحجري الواصل بين النافذتين الغربيتين، وقالت: "ماذا تريدين مني أن أقول؟"

ردّدت العجوز بنبرةِ استهزاءٍ قاسيةٍ: "ماذا أريد منك أن تقولي؟ ماذا أريد منك أن تقولي ... هاه!؟"

انفجرت جيسيكا قائلةً: "نعم أنجبت ابناً! ما المشكلة؟" كانت تعلم أنها تُساق لهذه المشاعر الغاضبة عمداً.

"أمرناكِ أن تنجبي بنات، فقط بنات لآل آتريديز."

ردّت جيسيكا بنبرة توسّل: "لكنّه أراد ولداً."

"وغرورك جعلك تظنّين أنّك ستلدين الكويزاتس هاديراك!"

رفعت جيسيكا ذقنها قائلةً: "شَعرت أنّه من الممكن."

قالت العجوز في حدّة: "فكّرت فقط في رغبته في ابن، في حين أنّ رغباته لا أهميّة لها، فلو أنجبتِ ابنة من نسل آل آتريديز، كان بالإمكان تزويجها لوريث آل هاركونِن، وبذلك يتم رأب الصّدع، أمّا فعلتك هذه عقّدت الأمور بدرجةٍ خطيرةٍ، يمكن أن نخسر كلا السّلالتين بهذه الطّريقة."

تصدّت جيسيكا للنّظرة الصّارمة في تلك العينينِ العجوزتينِ: "لستم معصومين من الخطأ."

أخيراً تمتمت العجوز: "ما باليد حيلة الآن."

قالت جيسيكا: "أقسمت ألّا أندم على قراري هذا أبداً."

ردّت السّيدة الموقّرة بتهكّم: "يا لنُبلكِ. لا ندم؟ سنرى عندما تصبحين هاربةً ومطاردةً، ويتم الإعلان عن مكافأة لمن يستطيع القضاء عليكِ، ويتحالف الجميع ضدّك سعياً لقتلك وقتل ابنك."

بدا الشّحوب على وجه جيسيكا: "أما من بديلٍ لهذا؟"

"بديل؟ هذا سؤال تسأله واحدة من بني-جيزيرِت؟"

"استفسرُ فقط عمّا تظهرهُ لك قدراتكِ عن المستقبل."

"أرى في المستقبل ما رأيته في الماضي، أنت يا جيسيكا أعلم بالنّمط الذي يسود شؤوننا، فعرقنا يدرك أنه فانٍ ويخشى الركود في صفاته الوراثية، هذه غريزة تجري فينا مجرى الدم، الرّغبة في مزج السّلالات الجينية دون خطّة ضابطة، وما البيت الإمبراطوري وشركة كوآم وكل الأسر النّبيلة سوى ركامٍ يحركه السّيل في طريقه."

تمتمت جيسيكا: "كوآم، لا أستبعد أنّهم حضّروا خطّة لطريقةِ توزيع غنائم آرّاكس."

قالت العجوز: "كوآم هي المؤشّر الحقيقي في زماننا على اتّجاه رياح السّلطة، فالإمبراطور وأصدقاؤه يتحكّمون اليوم في 59.65 % من الأصوات الإدارية في الشّركة، لا شكّ أنهم يشمّون رائحة الأرباح القادمة، وستزيد هذه النسبة بالتّأكيد عندما ينضم للإمبراطور آخرون ممّن يتوقعون أيضاً هذه الأرباح، هذا هو النّمط التّاريخي المتكرّر يا فتاة."

قالت جيسيكا بتهكّم: "هذا ما كان ينقصني الآن، درسٌ في التّاريخ."

"لا تستظرفي يا فتاة! تعرفين كما أعرف طبيعة القوى التي تحيط بنا، فحضارتنا قائمة على ثلاثة أعمدة: البيت الإمبراطوري في حالة توازنه في المقابل اتحاد الأسر النبيلة المكونة لمجلس اللاندسراد، وبينهما نقابة الفضاء، باحتكارها اللّعين لوسائل السّفر الفضائي، وفي السّياسة يعتبر البِناء الهيكلي ثلاثي القوائم أقل الأنظمة استقراراً، وما يزيد الأمر سوءاً على سوءٍ هو تعقيدات تلك الثّقافة المجتمعية التّجارية المبنيّة على نظام إقطاعيٍّ قد أدار ظهره لأغلب العلوم."

ردّت جيسيكا بنبرة استهزاءٍ لاذعة: "قطعٌ صغيرةٌ عديمة القيمة تتحرك مع السّيل، هذه القطعة هي الدوق ليتو، وتلك القطعة هي ابنه، وهذه ال-..."

"اخرسي يا بنت! انضممتِ لمشروعنا مع علمك التّام بالطبيعة الدّقيقة للمسار الخطر الذي ستسيرين فيه."

ردّدت جيسيكا العبارة الشهيرة: "أنا من بني-جيزيرِت... هدفي الوحيد في الوجود هو أن أخدم."

قالت العجوز: "هذه الحقيقة، ولا أمل لنا الآن سوى منع الأمور من الانفجار والتّطور إلى نار تحرق كل شيء، وأن ننقذ ما يمكننا إنقاذه من السّلالات الرئيسيّة الهامّة."

أغمضت جيسيكا عينيها متحصّنة ضدّ الدّموع التي تكاد تنفجر من تحت الأجفان، حاولت مقاومة اضطرابها الدّاخلي، واهتزازها الخارجيّ، وأنفاسها المتقطّعة، ونبضها غير المنتظم، والتّعرق في راحتي يديها.

أخيراً قالت: "سأدفع ثمن غلطتي."

"وابنك سيدفع أيضاً."

"سأحميه قدر استطاعتي."

ردّت العجوز بحدّة: "حماية؟ تعرفين الضّعف الذي ينتج من وراء ذلك، احمي الابن أكثر من اللازم وسيكبر ليصبح ضعيفاً، غير قادرٍ على تحقيق أيّ شيءٍ عظيم."

أشاحت جيسيكا بوجهها، متأملةً ظلام ليلٍ بدأ في الانسدال عبرَ النّافذة: "هل فعلاً هو بذاك السّوء؟ كوكب آرّاكس؟"

"سيّء!... ربما لكن ليس في كلّ شيء، بعثاتنا الإرسالية زارته قديماً ويسّرت الأمور إلى حد ما."

نهضت السّيدة الموقّرة، وسوّت طيّات ثوبها، وقالت: "استدعي الولد، فيجب أن أرحل قريباً."

"ضروري أن ترحلي؟"

بدا العطف في نبرة العجوز: "جيسيكا يا فتاتي، وددت لو أحمل عنك متاعبك وآلامك، لكن لكلّ واحدة منّا مسارها الخاص."

"أعرف."

"أنت غالية عليّ كواحدة من بناتي، لكن لا يمكن أن أسمح لهذا بأن يؤثر على واجبي."

"أتفهم ال-... ضرورة."

"كلانا يعلم ما فعلتيه، ودافعك لفعله، لكن شفقتي عليك تجبرني أن أصارحك: الأمل ضئيلٌ جداً في أن يكون ولدك هو فعلاً الهدف المنشود الذي تسعى إليه بني-جيزيرِت، فلا تتفاءلي أكثر من اللّازم."

هزّت جيسيكا الدّموع من جانبي عينيها، حركةً تعبّر عن الغضب داخلها: "تجعليني أشعر وكأنّي عدت فتاةً صغيرة، أقف مردّدة درسي الأول: لا ينبغي أبداً لإنسان أن يخنع لحيوان." خرجت الكلمات منها بصعوبة، اهتزّ جسدها بنشيج دون دموع، ثمّ قالت في صوتٍ منخفض: "كنت أشعر بوحدةٍ شديدةٍ."

قالت العجوز: "علينا أن نجعل اختباراتنا تشمل هذا الأمر، فالبشر الحقيقيون دائماً يشعرون بالوحدة، والآن هيّا، استدعي الغلام، فمع أنّ يومه كان طويلاً ومخيفاً إلا أنّ الوقت الذي مرّ يكفيه للتفكّر والتّذكر، ويجب أن أسأله عن تلك الأحلام."

أومأت جيسيكا وذهبت لباب حجرةِ التأمل وفتحته: "پـاول، تعال إلى هنا من فضلك."

دلَف پـاول من الباب، تقدّم ببطءٍ مقصودٍ، وكأنّه يعاند، نظر لأمّه وكأنّه ينظر لشخصٍ لا يعرفه، وعندما نظر للسّيدة الموقّرة كانت عيناه تنضح بالحذر، لكنّه أومأ لها إيماءة لمن يعتبرُه مساوٍ في المرتبة الاجتماعية، سمع أمّه تغلق الباب خلفه.

قالت العجوز: "أيّها الشّاب، دعنا نعود لموضوع الأحلام هذا."

"ماذا تريدين؟"

"هل تحلم كل ليلة؟"

"الأحلام التي تستحقّ أن تذكر لا تأتيني كلَّ ليلةٍ، يمكنني استرجاع كلَّ حلمٍ رأيته، لكنّ بعضها يستحقّ التّذكر."

"وكيف تعرف الفرق بينها؟"

"أعرف."

رمت العجوز نظرةً سريعةً نحو جيسيكا ثم عادت لبـِاول: "وماذا حلمت بالأمس؟ هل كان مناماً يستحقّ السّرد؟"

"أجل"، وأغمض عينيه: "رأيت كهفاً كبيراً... وماءً... وفتاةً نحيلةً بعينين واسعتين. لون عينيها زرقاوين، بلا بياض فيهما. كنت أتحدّث إليها وأخبرها عنك... عن مقابلة السّيدة الموقّرة على كالادان." وفتح عينيه.

"الشّيء الذي تخبر هذه الفتاة به، بشأن لقائي بك، هل حدث اليوم؟"

فكر بـِاول في الأمر: "أجل. أخبرها أنّك حضرتِ ووسمتني بالغرابة."'

كرّرت العجوز بصوت مبهور: "وسم الغرابة،" ورمت نظرةً أخرى نحو جيسيكا ثم أعادت انتباهها لبـِاول. "أصدقني القول يا بـِاول، هل يصدف أن تتحقّق أحلامك كما رأيتها بالضّبط؟"

"أجل. وقد حلمت بهذه الفتاة من قبل."

"تعرفها إذن؟"

"بل سأعرفها."

"أخبرني عنها."

أغمض بـِاول عينيه: " أراني وإيّاها في مكان صغير تحيط به الصخور، الظّلام يكاد يخيّم، لكنّ الجوّ حار، ومن خلال فتحةٍ بين الصخور أستطيع رؤية مساحات رملية، إنّنا... ننتظر لأذهب وأقابل أشخاص آخرين، إنّها خائفة وتحاول إخفاء خوفها عني، أما أنا فأشعر بالحماسة، ثم إذا بها تقول: 'أخبرني عن الماء على موطنك أصول.'"

فتح بـِاول عينيه: "أليس هذا غريباً؟ فموطني اسمه كالادان، ولم أسمع أبداً عن كوكب اسمه أصول."

سألته جيسيكا: "هل للحلم بقية؟"

ردّ بـِاول: "أجل، ربّما كانت تدعوني أنا باسم أصول، خطرت لي هذه الفكرة توًّا"، ثم عاد يغمض عينيه: "تطلب مني أن أخبرها عن المياه، أمسك يدها وأقول لها إنّني سأسرد لها قصيدة، وبالفعل أخبرها بالقصيدة، لكن اضطر أن أفسّر لها معاني بعض كلماتها، مثل: شاطئ، وأمواج، وطحالب، ونورس."

سألت السّيدة الموقّرة: "أي قصيدة؟"

فتح بـِاول عينيه وقال: "إحدى قصائد جيرني هاليك الغنائيّة، يلقيها في المناسبات الحزينة."

ومن خلفه جاء صوت جيسيكا قائلاً:

"أتذكّر دخاناً مالحاً يلوح من نارٍ على الشّاطئ،

وظلالاً تحت أشجار الصنوبر،

قويَّة، صافيةً، راسخةً!

كما طيور النّورس جاثمة على حافّة اليَباس،

الأبيض على الأخضر،

ثمّ من بين الصنوبر تأتي الريآح،

فتميل لها الظلال،

وتنشر النّوارس أجنحتها،

ترتفع..

وتملأ السّماء بصياحها..

أسمع الرّياح تهبّ عبر شاطئنا،

والأمواج المتكسرة،

ثم أدرك أنّ نارناً قد أحرقت الطّحالب."

قال بـِاول: "نعم، تلك هي القصيدة."

حدّقت العجوز في بـِاول: "أيّها الشّاب، بصفتي مشرفةً من بني-جيزيرت، أسعى للعثور على الكويزاتس هاديراك، الذّكر الذي سيصبح واحداً منّا، أمّك ترى إمكانيّة تحقّق هذه الاحتماليّة فيك، لكنّها تنظر للأمر بعين الأم، أنا أيضاً أرى فيك تلكَ احتمالية، لكن مجرّد احتماليّة لا أكثر."

ثم صمتت، فهم بـِاول أنّها تريده أن يجيب فطال صمته.

بعد لحظاتٍ قالت: "طيّب، كما تشاء، شخصيّتك غامضة، أعترفُ بذلك."

سأل: "هل يمكن أن أذهب الآن؟"

قالت جيسيكا: "ألا تريد أن تسمع ما لدى السّيدة الموقّرة من معلومات عن الكويزاتس هاديراك؟"

" قالت لي إنّ من حاولوا أن يصبحوه، ماتوا"

قالت السّيدة الموقّرة: "لكن بإمكاني أن أساعدك ببعض التلميحات عن أسباب فشلهم."

فكر بـِاول: ! .

ثم قال: "لمّحي إذن."

"ولا أهميّة لما سأقوله؟"، ابتسمت ساخرة فتشابكت تجاعيد الوجه العجوز. "طيب: من يخضع... يحكُم."

استغرب كلماتها، فما تتكلم عنه بسيط وبدائي للغاية ويختصّ بفكرة التجاذب بين المعاني، هل تظنّ أنّ أمّه لم تعلّمه شيئاً؟

"هذا تلميح؟"

"لسنا هنا للتّلاعب بالكلمات أو الجدل حول المعاني، شجرة الصّفصاف تخضع للريّاح، فتنمو، إلى أن تصبح يوماً ما عدّة أشجار صفصاف، جداراً يصدّ الرّياح، هذه غاية الصّفصاف."

حدّق فيها بـِاول عندما قالت "غاية"، هزّته الكلمة، وتجدّدت في فكره عدوى "الغاية الرّهيبة لحياته"، غمره غضبٌ تجاهها، شَمطاء مشعوذة، حَمقاء تملؤ فمها العبارات المبتذلة.

قال: "ترين احتمالية أن أكون الكويزاتس هاديراك، وتطيلين الحديث عنّي، لكن! لم تقولي كلمةً واحدةً عمّا يمكن أن نفعله لمساعدة أبي، سمعتك وأنت تخاطبين أمي، تتحدّثين وكأنّ أبي قد مات، إنّه لم يمت بعد."

زمجرت العجوز: "لو كان بيدنا حيلة لإنقاذه لفعلناه، أمّا أنت فربّما يمكننا تخليصك، أمرٌ مشكوكٌ فيه ولكنّه محتمل، أمّا والدك فلا شيء له، عندما تتعلّم تقبّل هذه الحقيقة ستكون قد تعلّمت درساً حقيقياً من دروس بني-جيزيرِت."

رأى بِـاول كيف هزّت تلك الكلمات أمّه، حملق في العجوز، كيف تسمح لنفسها أن تقول هذا عن والده؟ لم هي واثقة لهذه الدرجة؟ شعر بعقله يغلي من الاستياء.

نظرت السّيدة الموقّرة لجيسيكا: "أرى من تصرفاته إنّك كنت تعلّمينه طريقتنا، لو كنت مكانك لفعلت الشّيء ذاته، واللّعنة على القوانين التي تمنعُ ذلك."

أومأت جيسيكا إيجاباً.

قالت العجوز: "أنصحك إذن أن تتجاهلي الترتيب المعتاد للدروس، فسلامته تتطلّب أن يتمكّن من استخدام الصوت. بدايته جيّدة لكنّنا نعلم أنّه يحتاج المزيد ليُتقنه."

اقتربت من بِـاول محدِّقة فيه من عُلوٍّ طولها: "وداعاً أيّها الآدمي الشّاب، أرجو أن تنجو، لكن وإن لم تنجُ، فسننجح نحن في تحقيق غايتنا في النّهاية."

نظرةٌ أخيرةٌ منها إلى جيسيكا، وفي لحظةٍ ساد تفاهمٌ مشتركٌ بين المرأتين، أسرعت العجوز خارجةً من الحجرة، وحفيف ردائها يُصاحبها، دون أن تلقي بالاً لما تركته خلفها، فقد مسحت الحجرة بمن فيها من محطّ اهتمامها.

لكنّ جيسيكا استرقت لمحةً خاطفةً لوجه السّيدة الموقّرة وهي تبتعد، رأت دموعاً على الوجنتين المجعّدتين، تلك الدّموع أرهبتها أكثر من أيِّ كلمةٍ أو إشارةٍ تبادلتها معها اليوم.

4

مرّ عليك في قراءاتك أنّ المؤدّب لم يكن له أقرانٌ من عمره يلهو معهم، إن لذلك مخاطر عظيمة، لكن كان لديه معلمون رائعون مرافقون له، منهم جيرني هاليك، المحارب والشّاعر المتجوّل - ستُغني بعض قصائده فيما بعد وأنت تقرأ هذا الكتاب، وكان منهم أيضاً ظافر حواط، المِنتات العجوز وخبير الاغتيال، والذي يُلقى الرّعب في قلوب الجميع حتّى في قلب الإمبراطور البِاديشي ذاته، ومنهم دَنكِن آيداهو، خبير المبارزة من آل جِناز، ودكتور ويلينغتون يُوي، اسم أسود بخيانته، متألق بمعرفته، واللّيدي جيسيكا، التي درّبت ابنها على طريقة بني-جيزيرِت، والدّوق ليتو- بالطبع- الذي ينسى النّاس دائماً صفاته الأبويّة المميّزة.

من كتاب (المؤدّب: تاريخ للأطفال) - تأليف الأميرة إيرولان

تسلّل ظافر حواط داخلاً حجرة التّدريب في قلعة كالادان، وأغلق الباب بهدوء. توقّف للحظاتٍ يثقله شعوره بتقدّمه في السّن، وكأنّ عاصفة قد جلدت جسده، نبضت رجله اليسرى بألم جرح قديم، تلقاه أثناء عمله في خدمة الدوق القديم، جالَ في فكره:

حدّق عبر الحجرة الكبيرة - المضاءة بأشعة الظهيرة المتدفّقة عبر فتحات الإنارة العلوية - فرأى الفتى جالساً وظهره للباب، مستغرقاً في دراسة أوراقٍ وخرائطَ منثورةً على سطح منضدة من خشب الإل.

.تنحنح حواط.

وظلّ يِاول منكباً على دراسته.

مرّ ظلّ سحابةٍ على فتحات الإنارة العلويّة، تنحنح حواط مجدداً.

اعتدل يِاول دون أن يستدير: "أعلم، أجلسُ وظهري للباب."

كبح حواط ابتسامته، وعبر الحجرة في خطواتٍ واسعةٍ.

رفع يِاول نظره للعجوز الأشيب الواقف عند ركن المنضدة، كانت عينا حواط كنبعين يتدفقان يقظةً في وجهٍ أسمر مليءٍ بالأخاديد.

قال يِاول: "سمعتك وأنت قادمٌ من الممرّ... وسمعتك وأنت تفتح الباب."

"ما يصدر عنّي من أصواتٍ يمكن أن يُحاكيها آخرون."

"أعرفُ الفرق."

فكّر حواط:

-

.

سحب حواط مقعداً مقابل يِاول، وجلس مواجهاً الباب، فعلها عن قصدٍ، أسند ظهره للمقعد وتفحّص الحجرة، صُدِم لأنّها بدت مكاناً غريباً فجأة، إذ انتقلت أغلب معداتها لآرِّاكس، لم يبقَ سوى طاولة تدريب، ومرآة مبارزة بمناشيرها البلورية السّاكنة، وجوارها دمية تدريب، مرقّعة كأنّها جندي قديمٍ مشوّه، سحقته أهوال الحروب.

فكّر حواط:

سأله يِاول: "ظافر، فيم تفكر؟"

نظر حواط للفتى: "قريباً سنغادر هذا المكان، وعلى الأرجح لن نراه ثانية."

"وهل يُحزنك هذا؟"

"الحزن! سخافة. مفارقة الأصحاب تثير الحزن، أمّا الأماكن فتبقى مجرّد أماكن." ألقى نظرةً على الخرائط المتناثرة على المنضدة وأكمل: "وآرّاكس أيضاً مجرد مكان."

"هل أرسلك أبي لتختبرني؟"

قطّب ظافر جبينه، نعم. يتمتُّع هذا الفتى ببصيرة نافذة، أومأ إيجاباً. "أنت تفكّر فيه الآن، وتفضّل لو أتى بنفسه، لكنّك تعلم مدى انشغاله، سيأتي في وقتٍ لاحقٍ."

"كنت أدرس موضوع عواصف آرّاكس."

"آه... العواصف."

"عواصف رهيبة."

"ليست رهيبة فقط، فعواصف الكوكب تتعاظم بالتّدريج وهي تعبر الأراضي المنبسطة لمسافة 6 أو 7 آلاف كيلومتر، تتغذّى على كلّ ما يزيدها قوة: ظاهرة الكوريولِس، والعواصف الأخرى، وكل ما يملك ولو حتى مقدار ضئيل من الطاقة، قد تصل سرعاتها أحياناً لـ 700 كيلومتر في السّاعة، محمَّلة بكل ما تجده في طريقها: رمال، غبار... كلّ شيء، يمكنها أن تنزع اللّحم عن العظام وأن تفتّت العظام لبقايا متشظية."

"ولم لا يستخدمون أجهزة التّحكم في الطّقس؟"

"لآرّاكس مشاكله الخاصّة، فالتّكاليف أعلى، وستحتاج الأجهزة لصيانة دائمة وما شابه، والنّقابة تطلب أسعاراً باهظة مقابل أقمارٍ صناعيةٍ تتحكم في الطقس، وأسرة أبيك ليست من الأسر الغنيّة يا فتى، أنت تعلم هذا."

"هل سبق ورأيت الفريمن؟"

فكّر حواط:

.

ثم قال: "ربما، ليس من فروق كبيرة بينهم وبين سكّان الأودية والحوض، كلهم يرتدون الأثواب الفضفاضة ورائحتهم سيّئة، سببها تلك البذل التي يرتدونها، يطلقون عليها: بذل التّقطير، وظيفتها تدوير مياه الجسم."

زَرَدَ بِـاول ريقه، وتفاجأ برطوبة فمه، متذكّرا حلماً عن العطش، عجيبٌ أنّ شُحّ الماء يضطّر شعباً بأكمله لتدوير رطوبة الجسد، حياة فظيعة.

قال: "الماء مادّة ثمينة عندهم؟"

أومأ حواط وخطرت له فكرة:

.

نظر بِـاول للنّوافذ العلوية، مدركاً أنّ السّماء بدأت تمطر، رأى انتشار البلل على الشِّبه-زجاج الرّمادي، وقال: "الماء."

قال حواط: "ستتعلم التّركيز الشّديد على أهمّية الماء، بصفتك ابن دوقٍ لن ينقصك ماء، لكنّك سترى في كل ما يحيط بك تلك الضّغوط النّاتجة عن العطش."

بلّل بِـاول شفتيه بلسانه، عائداً بذاكرته ليوم مرّ عليه قبل أسبوع، ولاختبار السّيدة الموقّرة، هي

أيضاَ ذكرت شيئاَ عن الحرمان من الماء.

قالت: "سترى سهولَ الموت الجنائزية، البراري القاحلة خاويةً من أي حياة، لا شيء سوى السّپايس وديدان الرّمل العملاقة، ستلطخ أسفل عينيك بسواد كي تتقي وهج الشّمس، لن تجد الملجأ سوى في تجويفٍ يقيك الرّيح ويخفيك عن الأنظار، سيكون عليك ركوب قدميك دون طائرة ثوبتر ولا عربة ولا ظهر حيوان."

نبراتُ صوتها المرتعشة الرّتيبة أثّرت في پـاول أكثر من كلماتها.

قالت: "عندما تعيش على آرّاكس ستجدها أرضاً خاوية، وستكون الأقمارُ لكَ أصدقاءً، والشّمس لكَ عدواً."

لحظتها شعر پـاول بوالدته تقترب منه، تاركةً مكانها كحارسٍ على الباب، نظرت للسّيدة الموقرة وسألتها: "ألا ترين بارقة أمل أيتها الموقرة؟"

قالت العجوز: "بالنسبة للأب لا أمل"، وأشارت لجيسيكا بالصّمت ثم عادت لپـاول: "احفر هذا في ذاكرتك يا فتى: كلّ عالمٍ قائم على أربعة أشياء" ورفعت أربعة أصابعٍ ضخمة المفاصل، "معرفة الحكيم، عدل العظيم، دعواتُ الصالح، وبسالة الشّجاع، لكن كلها تصبح لا شيء... "وأغلقت أصابعها في قبضةٍ، وأكملت: "دون حاكمٍ متمكنٍ من فنّ الحُكم فلتكن هذه قاعدةً علميةً لتقاليدك!"

مرّ أسبوعٌ منذ ذلك اليوم مع السّيدة الموقّرة، ولم يبدأ يستوعب كلماتها إلّا الآن، في هذه اللّحظة، وهو جالسٌ في حجرة التّدريب مع ظافر حواط، شعر پـاول بوخزة خوفٍ حادةٍ ومؤلمةٍ، ونظر لوجه المِنتات العابس الحائر.

سأله حواط: "أين كان ذهنك سارحاً هذه المرة؟"

"هل قابلت السيّدة الموقّرة؟"

"تلك السّاحرة الكاهنة من البلاط الإمبراطوري؟" ولمعت عينا حواط باهتمام: "التقينا."

"إنّها...". تردد پـاول، وأدرك عجزه عن إخبار حواط عن المحنة، لجَمته موانع دفينة بداخله.

"نعم؟ ماذا فعلت؟"

أخذ پـاول نفسين عميقين: " قالت لي"، وأغلق عينيه مستعيدًا كلماتها، وعندما تكلّم خرج صوته - دون وعي منه ولا قصد - محاكياً نبرة العجوز: "عليك يا پـاول آتريديز، سليل الملوك، ابن الدوق، أن تتعلم كيف تحكم، إنه شيء لم يفلح أسلافك في تعلمه." فتح پـاول عينيه وقال: "أغضبني هذا الكلام، فقلت إنّ أبي يحكم كوكباً بأكمله! فأجابت: إنه على وشك أن يخسره، فأجبتها: أبي سيحصل في مقابله على كوكبٍ أشد ثراءً، فقالت: هذا أيضاً سيخسره. أردت عندها أن أعدو لتحذير أبي! لكنها قالت إنه تم تحذيره فعلاً: على لسانكَ ولسان أمّي، وكثيرٍ من الناس."

تمتم حواط: "صحيحٌ فعلاً."

احتدّ پـاول: "لِم نذهب إذن؟"

"لأنّها أوامر الإمبراطور، ولأنّه لا زال هناك أملٌ رغم ما قالته تلك السّاحرة الجاسوسة، أخبرني ماذا نضحَ أيضاً من إناءِ حكمتها العتيق هذا؟"

نظر پـاول ليده اليمنى المضمومة في قبضة تحت المنضدة، وببطءٍ أجبر عضلاته على الاسترخاء.

.

قال پـاول: "طلبت مني أن أخبرها كيف يحكم الحاكم، فقلت: على المرء أن يصدر الأوامر، فقالت

إن عليّ تصحيح الدّروس السّيئة التي تعلمتها."

فكر حواط: .ثم أومأ لبـاول ليكمل.

"قالت إنّ على الحاكم أن يتعلم كيف يقنع الآخرين لا أن يجبرهم، وقالت إنّ عليه أن يقدم أفضل قهوة كي يجتذب حوله أفضل الرجال."

سأل حواط: "وكيف في نظرها استطاع أباك اجتذاب رجال مثل دَنكِن وجيرني؟"

هز بـاول كتفيه: "ثم قالت إنّ على الحاكم الجيّد أن يتعلّم لغة عالمه، وأن الأمر مختلفٌ لكلّ عالم. ظننتُ أنّها تقصد بأنّ الناس على آرّاكس لا يتكلّمون اللّغة الجالاكية. قالت إنّ هذا ليس مقصدها، بل تقصد لغة الصّخور والأحياء، تلك اللّغة التي لا تسمعها بأذنيك فقط، فأخبرتها أن هذا هو ما يطلق عليه دكتور يُوي اسم: سرُّ الحياة."

قهقه حواط: "وما كان ردّ فعلها؟"

"اممم أظنّها غضبت. قالت إن سرّ الحياة ليس مسألةً تحتاج الحلّ، بل واقعاً نعيشه ونتفاعل معه، فرميتها باقتباسٍ من القانون الأوّل للمِنتات: لا يمكن فهم العمليات الجارية عن طريق إيقافها، بل على الفهم أن ينساب مع تدفّق مجرى العملية، يجب أن يسايرها ويتدفّق معها، فارتاحت لما قلتُه."

فكّر حواط: .

سأله بـاول: "ظافر، هل سيكون آرّاكس بالسّوء الذي وصفَته؟"

أجبر حواط نفسه على الابتسام: "لا شيء يمكن أن يكون بهذا السّوء، انظر لأولئك الفريمن على سبيل المثال، قوم الصّحراء المنشقّين، من أول تقديرٍ يمكنني أن أخبرك أنّ عددهم أكبر بكثيرٍ ممّا يظنّه البلاط الإمبراطوري، النّاس يستطيعون العيش هناك يا فتى، عددٌ هائلٌ من النّاس"، وقرّب حواط إصبعاً نحو عينه، وقال: "... ويكرهون الهاركونِن كراهيةً لا حدّ لها، لا تنبسّ بكلمةٍ من هذا لأحدٍ يا فتى، أخبرتك فقط لأنني معاون أبيك."

قال بـاول: "أخبرني أبي عن كوكب سالوسا سيكوندس. أتعلم يا ظافر، يبدو لي أنه يشبه آرّاكس، ربما ليس بنفس السّوء لكن قريبٌ منه."

قال حواط: "لا نعرف الكثير عن سالوسا سيكوندس اليوم، فقط بعض المعلومات عمّا كان عليه حاله قديماً، لكن في ضوء ما نعرفه أقول إنّ رأيك في محله."

"هل سيساعدنا الفريمن؟"

نهض حواط: "احتمال، سأغادر اليوم لآرّاكس، وعليك أن تعتني بنفسك، لأجل خاطر شيخ عجوزٍ يحبّك... طيّب؟ وكن فتىً مطيعاً وتعال اجلس مواجهاً الباب، ليس لظنّي أن خطرًا يهدّدك هنا بالقلعة، لكنّها مجرّد عادةٍ أريدك أن تعتادها".

نهض بـاول ودار حول المنضدة: "سترحل اليوم؟"

"أنا اليوم، وأنت تلحقني غداً، لقاؤنا القادم سيكون على تراب عالمك الجديد."

أمسك حواط بذراع بـاول اليمنى: "دائماً اترك ذراعك حرّة، واضبط درعك على أقصى قوّة." ثم أطلقَ ذراع بـاول وربّت على كتفه، واستدار مسرعاً نحو الباب.

صاح به بـاول: "ظافر!"

استدار حواط، عند الباب المفتوح.

قال پـاول: "لا تجلس وظهرك لأيّ باب."

ارتسمت ابتسامةٌ واسعةٌ على الوجه العجوز المتغضّن: "لك هذا يا فتى، أعدك."

وغادر، موصداً البابَ خلفهُ بهدوء.

جلس پـاول حيث كان حواط يجلس، ورتّب الأوراق. . نظر للحجرة حوله. . فجأةً وأكثر من أي وقت مضى، صارت فكرة المغادرة واقعيةً وملموسةً. تذكّر شيئاً آخر قالته العجوز: كلّ عالم مكوّن من مجموعةٍ من العناصر، النّاس، التّراب، الأحياء، الأقمار، المدّ والجزر، الشّموس. هذه المحصّلة المجهولة تسمّى الطّبيعة. محصّلة مبهمة بلا معنى حاضر. وتساءل:

انفتح الباب بعنفٍ، ودلفت منه كتلةً بشريةً قبيحةً، تحمل أمامها عدّة أسلحة.

قال پـاول: "هاه، يا جيرني هاليك؟ أنت الآن مدّرب الأسلحة الجديد، ها!؟"

أغلق هاليك الباب بركلةٍ من كعبه، وقال: "طبعا تُفضِّل لو قدِمتُ للّهو واللّعب." وألقى نظرة فاحصةً حول الحجرة، ملاحظاً أنّ حُرّاس حواط قد أمنّوها في وقتٍ سابقٍ، لتليق بأمن وريث الدوق، فعينُه التقطت الإشارات الرّمزية الخفيّة في كلّ ركنٍ.

راقب پـاول الرّجل الدّميم يبدأ عمله متّجها نحو طاولة التّدريب بما يحمله من أسلحة، ولمح آلة القانون ذات الأوتار التّسعة معلّقة من كتف هاليك، والأعواد تتخلّل الأوتار عند لوح الأصابع.

ألقى هاليك الأسلحة على طاولة التّدريب ونسّقها في صفوف: السّيوف والمغارز والخناجر، والأسلحة بطيئة الطّلقات، وأحزمة دروع الطّاقة. وعندما استدار من موقعه، ابتسم فرقصت ندبة سوط إنكثاين على طرف فكّه.

قال هاليك: "ولا حتّى صباح الخير منك أيها العفريت الصغير؟ وأي شوكةٍ نخستَ بها حواط العجوز؟ رأيته في الممر يجري وكأنّه ذاهب لجنازة ألدّ أعدائه."

ابتسم پـاول، كان هاليك أحبّ رجال والده إليه، فـپـاول يعرف تغيرات مزاجه وسلوكه الشيطاني المازح، وكان يعتبره صديقاً لا مجرّد جنديٍ أجيرٍ.

أمسك هاليك آلة القانون من على كتفه وبدأ يضبط أوتارها: "إن لم ترغب في الكلام فلا داع للكلام."

نهض پـاول وتقدّم عبر الحجرة قائلاً بصوتٍ مرتفعٍ: "ما هذا يا جيرني، أنستعد بالموسيقى في وقت القتال؟"

قال هاليك: "إذن اخترت الاستهزاء بكبار السنّ اليوم؟" ضرب وتراً على الآلة وأومأ حانياً.

قال پـاول: "أين دَنكِن آيداهو؟ أليست وظيفته تدريبي على الأسلحة؟"

قال هاليك: "دَنكِن سيقود الموجة الثّانية الراحلة لآرّاكس، كل ما تبقّى لك الآن هو جيرني المسكين، الذي خلت جعبته من القتال ويريد تدليل نفسه ببعض الألحان."

ضرب وتراً آخر، واستمع له مبتسماً: "وقد اتّخذ المجلس قراراً بأنّك مقاتلٌ سيء، لذا علينا تعليمك حرفة الموسيقى كي لا تذهب حياتك كلها هباءً."

قال پـاول: "في هذه الحالة أسمعني معزوفةً، كي أعرف كيف أتجنّب تقليد عزفك السّيء."

ضحك هاليك: "هاهاه"، وبدأ بمقطوعة البنات الجلاكيات، وانتقلت أعواده على الأوتار بسرعة خاطفة وهو يغني:

"يا للبنات الجلاكيات

يمِلنَ مقابل اللآلئ

والآزّاكسيات مقابل الماء

أما إن اشتهيت نساء متّقدات كالنيران

فعليك ببنات كالادان."

قال پـاول: "لا بأس، رغم رقص أصابعك المضطربة، لكن لو سمعتك أمي تغنّي فسقاً كهذا في القلعة لأمرت بتزيين السّور الخارجي بأذنيك المبتورتين."

شدّ جيرني أذنه اليسرى قائلاً: "زينةٌ قبيحةٌ، تعرضتا لرضوض جرّاء الاستماع عبر ثقوب الباب لعزفِ فتىً صغيرٍ أعرفه كان يتمرّن على عزف ألحانٍ غريبةٍ من آلته الموسيقية."

قال پـاول: "يبدو أنّك نسيتَ ملمس الرّمل في سريرك." والتقط أحد أحزمة الدّروع وربطه حول وسطه قائلاً: "هيا نتبارز."

اتسعت عينا هاليك في دهشة مفتعلة: "آهاا! كانت يدك المجرمة إذن! دافع عن نفسك اليوم يا سيدي الصغير، دافع عن نفسك."

والتقط سيفاً وضرب به الهواء: "فأنا شيطان يسعى للانتقام."

أمسك پـاول السّيف الآخر ولوّح به مرّة ثم وقف في وضع الاستعداد، واضعاً إحدى القدمين للأمام، وتبنّى ملامح الوقار في تقليد هزلي للدكتور يُوي.

قال پـاول بصوت منغّم: "أي أحمق هذا الذي أرسله لي أبي كي يدرّبني على الأسلحة!"، لقد نسى هذا الأحمق جيرني هاليك الدّرس الأول للمقاتل المتسلّح والمتدرّع وضغط زرّ الطّاقة على وسطه، فداعبت جلده وخزات مجال الطاقة الدفاعي بدءاً بجبهته وهبوطاً لظهره، فقدت الأصوات الخارجية وضوحها نتيجة طاقة الدرع.

قال: "في القتال بالدّروع يتحرك المقاتل بسرعة عند الدفاع، وببطء عند الهجوم، فالهدف الوحيد للهجوم هو إيقاع الخصم في فخ اتخاذ خطوةٍ خاطئةٍ، مما يجعله عرضة لهجومٍ قاتلٍ وخفيٍّ، فمن ميزة الدّروع إنها تصدّ الضرباتِ السريعةِ وتسمح بمرور خنجرٍ مدفوعٍ ببطء."

بادر پـاول بضربة سيفٍ سريعةٍ، متظاهراً بهجومٍ سريعٍ، ثم استعاده للوراء وجهّزه لطعنةٍ بطيئةٍ مضبوطةٍ زمنياً بحيث تقتحم الدّرع.

راقب هاليك الحركة، متقهقراً في اللّحظة الأخيرة، تاركاً الشّفرة الحادّة تمر بعيداً عن صدره. "سرعةٌ ممتازةٌ... لكنّك تركت المجال مفتوحاً لحركةٍ مضادةٍ تتسلّل خلسة."

تراجع پـاول، متكّدرا.

قال هاليك: "ربّما عليّ أن أضربك على مؤخرتك عقاباً على هذا الإهمال."

التقط خنجراً من الطاولة وأمسكه عالياً: "يمكن لسلاح كهذا في يد عدوٍ أن يسفك دمك، لم أر تلميذ أفضل منك، لكن حذّرتك من قبل أنّه حتّى أثناء اللّعب لا تسمح لشخصٍ أن يقترب منك وهو يحمل الموت في يده."

قال پـاول: "ربّما مزاجي ليس مناسب للمبارزة اليوم."

"مزاج؟" ونمّ صوت هاليك عن غضبٍ عارم، سمعه بِـاول حتى عبر الدروع الثقيلة. "ما علاقة المزاج؟ نقاتل عند الضرورة، مهما كان مزاجنا! المزاج هذا يكون للماشية أو لممارسة الحب أو لعزف الموسيقى... لا للقتال."

"آسف يا جيرني."

"لستَ آسفاً بما فيه الكفاية!" أشعل هاليك درعه، وربض بخنجره في يده اليسرى والسيف مرفوعاً في يمناه. "والآن يبدأ الجد!" وقفز عالياً في هجوم محموم.

تراجع بِـاول، محاولاً صدّ الهجوم. طقطقت الدّروع حيث تصادمت حوافها وتنافرت، مولّدة وخزات إضافية على جلده.

!

حرك بِـاول يده اليسرى وأسقط مغرَزه من غمد معصمه إلى راحة يده.

زمجر هاليك بصوت خشن: "أراك تلجأ لسلاح إضافي؟"

.

تحركوا من ركن إلى ركن، هجوم ودفاع... صَدٌّ ورَدٌّ. بدأ الهواء المحبوس داخل فقاعتي الدّرعان يفسد، إذ ما عادت مسامات التهوية قادرة على استبدال الهواء بسرعةٍ كافيةٍ. ومع كل اصطدام بين الدرعين كانت رائحة الأوزون تزداد.

استمر بِـاول في التقهقر، إلا أنّه أخذ يتّجه نحو طاولة التّدريب.

. .

وأخذ جيرني الخطوة.

صد بِـاول هجوماً، مجبراً سيف هاليك للأسفل، ثم استدار ورأى سيف هاليك يصطدم بحافة الطّاولة. اندفع بِـاول واضعاً المغرز عند رقبة هاليك، لكنّه توقف على بعد بوصة من شريان الرقبة.

وهمس: "هل هذا ما تريده؟"

قال جيرني لاهثاً: "انظر للأسفل يا فتى."

نظر بِـاول فرأى خنجر هاليك من تحت حافة المنضدة، وطرفه يكاد يلمس منطقة ما بين فخذيه.

قال هاليك: "كلانا كان سيقتل، لكن أعترف أنك قاتلت بصورة أفضل عندما ضغطت عليك، وعاد لك المزاج." وابتسم بشقاوة، فانتفضت ندبة السّوط على فكّه.

قال بِـاول: "تلك الطريقة التي هجمت بها عليّ، هل كنت فعلاً مستعداً لأن تجرحني؟"

سحب هاليك الخنجر واعتدل: "لو شعرت بك تقاتل باستخفاف لخدشتك بجرح ممتاز، ندبة لن تنساها، لن أسمح لتلميذي المفضل أن يسقط فريسةً أمام أوّل صعلوكٍ هاركوني يقابله."

أطفأ بِـاول طاقة درعه واستند إلى المائدة ملتقطاً أنفاسه: "أستحقّ هذا يا جيرني، لكن لو جرحتني لأغضبت أبي، ولا أرضى أن تعاقب بسبب إخفاقي."

قال هاليك: "كان سيعتبره إخفاقاً لي أيضاً. ولا تخشى من ندبة أو ندبتين أثناء التدريب، أنت محظوظ لأن ندوبك قليلة، أما بخصوص والدك، فالدوق سيعاقبني فقط إن لم أجعل منك مقاتلاً من الطراز الأول، وكنت سأعتبر فاشلاً إن لم أوضّح لك خطأ فكرة المزاج هذه التي طرأت عليك فجأة."

اعتدل بِـاول وأعاد مغرزه لغمد معصمه.

قال هاليك: "ليس لهواً ما نفعله هنا."

أومأ بـاول، وأدهشته نبرة الجدية غير المعتادة التي بدت في تصرفات هاليك.

نظر لندبة السّوط البنفسجية على فكّ هاليك، وتذكر قصّة رابان الملقّب بالوحش الذي وضعها هناك عندما كان هاليك في حفرة عبيد آل هاركونِن على كوكب غيدي برايم. غمرته مشاعر العار لشكّه المؤقّت في هاليك. تبادر له أن هذه النّدبة رافقها ألم ربما يقترب في شدّته من الألم الذي تسبّبت فيه السّيدة الموقّرة. وسرعان ما رماها بعيداً عن ذهنه، فمجرّد التّفكير فيها يهزّ عالمه.

قال بـاول: "نعم كنت أرغب في اللّهو اليوم. فكل شيءٍ صار جاداً مؤخراً."

أشاح هاليك بوجهه ليخفي عواطفه، حرقة في عينيه، في داخله ألم، كقرحة ترمز لما تبقي له من أمس ضائع سلبه منه الزمن. وفكر: سيضطر هذا الصغير أن يصبح رجلاً قريبًا. وسرعان ما سيقرأ تلك الاستمارة في ذاك العقد المتوحش، وأن يُدخل الجملة المطلوبة في خانة تقول: الرجاء ذكر بيانات أقرباءك لإبلاغهم في حالة الوفاة.

قال هاليك دون أن يستدير مواجهاً له: "شعرت برغبتك في اللّهو اليوم يا فتى، ولا شيء يفوق رغبتي في مشاركتك إياه. لكن لا يمكن لهذه التّدريبات أن تكون لهواً بعد الآن، فغداً نرحل لآرِّاكس، آرِّاكس واقعنا، وخطر آل هاركونِن واقعنا."

لمس بـاول جبهته بنصل سيفه، استدار هاليك ورأى التّحية، فردّ عليها بإيماءة، ثم أشار لدمية التّدريب: "والآن سنركز على تطوير التوقيت لديك، دعني أراك تتسلّل لتقهر الدّمية، سأتحكّم فيها من هنا حيث يمكنني أن أرى ما يحدث بوضوح. وحذار، فأنا سأجرّب حركاتٍ دفاعيةٍ جديدةٍ اليوم، وهو إنذارٌ لن يمنحك ايّاه خصمٌ حقيقي."

تمطّى بـاول ووقف على أطراف أصابعه ليخفّف من توتّر عضلاته، أحزنه إدراكه بأنّ حياته صارت مليئة بالتّغيرات السّريعة. عبر الحجرة إلى الدّمية، وبطرف سيفه ضرب المفتاح على صدرها وأحسّ بحقل الطّاقة الدّفاعي الخاصّ بها يجبر نصله على الابتعاد.

صاح هاليك: "استعد!"، وبدأت الدّمية الهجوم.

أشعل بـاول درعه، وبدأ في حركات الصدّ والرّد.

راقبه هاليك متحكماً في أزرار الجهاز. بدا وكأنّ ذهنه انفصل شطرين: جزء منتبه لمتطلبات التمرين على القتال وآخر هائم في أفكاره.

. . .

ولسبب ما تذكر أخته الصغيرة. وجهها الفاتن واضحٌ في ذهنه. لكنّها ميّتة الآن... في بيت دعارةٍ لخدمة جنود آل هاركونِن.

كانت تحب زهور البنفسج... أو ربّما زهور الأقحوان؟ لم يستطع أن يتذكّر، وضايقه عجزه عن التذكّر.

صد بـاول ضربة سدّدتها الدّمية ببطء، وهوت يده اليسرى بضربةٍ مضادةٍ.

فكّر هاليك: . وركّز انتباهه على حركات بـاول اللّولبية. .

.

أضافت تلك الخاطرة لحزن هاليك. .

تمتم لنفسه: "لو كانت الأمنيات أسماكاً لألقينا كلّنا الشّباك."

كان تعبيراً سمعه من أمّه، ويستحضره كلّما أحسّ بسواد كآبة الغد تطبق عليه. عجيبٌ أنّه سيأخذ هذا

التّعبير لكوكبٍ لم يعرف أبداً لا بحار ولا أسماك.

5

يُوي ويلينغتون: وُلِد في 10082

تخرج كطبيب من مدرسة السووك في 10112

تزوج وانا ماركوس، من بني-جيزيريت (10092 حتى 10186؟)

عُرف بخيانته للدوق ليتو آتريديز.

(انظر أيضاً: قائمة الكتب، الملحق 7 عن التهيئة العقلية الإمبراطورية، [قسم: الخيانة])

من كتاب (معجم المؤدّب)، تأليف الأميرة إيرولان

سمع پـاول الدكتور يُوي يدخل حجرة التّدريب بخطواتٍ رزينة، إلّا أنّه بقي ممدداً على بطنه فوق طاولة التّمرين، تماماً كما تركه المدلّك، متلذّذا بحالة الاسترخاء بعد جلسة التّدريب مع جيرني هاليك.

قال يُوي بصوتٍ حادِّ النّبرة: "تبدو مرتاحاً."

رفع پـاول رأسه ليرى شخصيّة رجلٍ نحيلٍ كالعصا يقف على بعد خطواتٍ منه، إنّه كما هو بملابسه السّوداء المجعّدة، ورأسه المضلّعة وشفتيه الأرجوانية وشاربه المتدلّي، ناهيك عن وشم جبهته الماسيّ الذي يشير إلى البرمجة العقلية الإمبراطورية، أمّا شعره الأسود الطّويل المنسدل عند كتفه الأيسر فيضمه مشبكٌ فضيٌ خاصٌ بمدرسة سووك.

قال يُوي: "سيسرّك ألّا وقت لدينا اليوم للدّروس المعتادة، إذ سينضمّ لنا والدك بعد قليل."

جلسَ پـاول.

"أعددت لك عرضاً ميكروفيلمياً يحوي عدّة دروسٍ خلال رحلتنا إلى آرّاكس."

"أوه!" شرع پـاول في ارتداء ملابسه، تحمّس لخبر حضور والده، فهما لم يستمتعا بصحبة بعضهما منذ أوامر الإمبراطور باستلام إقطاع آرّاكس.

اقترب يُوي من المنضدة، مفكراً: !
.ثم تدارك نفسه: .
.

انضم له پـاول عند المنضدة وهو يزرّر سترته: "ماذا سأدرس خلال الرحلة؟"

"الكائنات الحية التي تعيش على أرض آرّاكس، يبدو أن الكوكب قد يحتضن بعض الأنواع، لا أدري كيف نجت في الحياة، عندما نصل سأبحث عن الخبير البيئي دكتور كاينز، وأعرض عليه المساعدة في دراسة الأمر." أنَّبَ يُوي نفسه: .

سأله پـاول: "هل هناك دروس بخصوص الفريمن؟"

"الفريمن؟" نقر المنضدة بأصابعه، ثم لمَح پـاول يحدّق في تلك الحركة العصبية فتوقف.

قال پـاول: "ربّما لديك شيئاً بخصوص السّكان الآرّاكسيين."

قال يُوي: "آآ ... نعم، بالطبع. ينقسم الشّعب لفرقتين رئيسيتين: الفريمن، ويشكّلون مجموعةً واحدة، والأخرى تضمّ سكّان مناطق الوادي والحوض والغور، هناك زيجات مشتركة حسبَ ما قيل لي، نساء قُرى الغور والحوض يفضّلن الاقتران برجال الفريمن، والرّجال يفضّلون زوجاتٍ من

الفريمن، عندهم مقولة: التَحضر يأتي من المُدن، أما الحِكمة فمن الصّحراء."

"هل عندك صورٌ لهم؟"

"سأرى ما يمكنني توفيره لك، أكثر الملامح المثيرة بالطبع هي عيونهم... زرقاء بالكامل، بلا بياض فيها."

"طفرة؟"

"لا. يتعلّق بتشبّع الدم بمزيج السپايس."

"لا بد وأن الفريمن شجعان كي يتمكنوا من العيش على أطراف تلك الصّحراء."

قال يُوي: "كلّ التّقارير تشير لهذا، إنّهم يؤلفون قصائد لخناجرهم، نساؤهم في نفس شراسة الرّجال، حتّى أطفال الفريمن عنيفون وخطرون، لن يُسمح لك الاختلاط بهم."

حدّق پـاول في يُوي، كلماتٌ سريعةٌ عن طبيعة الفريمن استحوذت على كامل اهتمامه.

!

سأل پـاول: "والدّيدان؟"

"ماذا؟"

"أريد أن أعرف المزيد عن ديدان الرّمال."

"آه، بالطّبع، عندي ميكروفيلم عن عيّنة صغيرة، لا تتعدّى 110 متر طولاً و22 متر عرضاً، تم اصطيادها في دوائر العرض الشمالية، شهودٌ موثوقٌ فيهم شاهدوا ديداناً يصل طولها لأكثر من 400 متر، وهناك أدلّة على وجود ديدانٍ أكبر حجماً."

تفحّص پـاول الخريطة المخروطية على المنضدة وظهرت عليها دوائر العرض الشّمالية لآرّاكس.

"مناطق الحزام الصّحراوي والقطب الجنوبيّ مكتوب جوارها أنّها غير صالحةٍ للعيش، هل السّبب الديدان؟"

"والعواصف."

"لكن يمكن تغيير أي مكان ليصبح صالحاً للعيش."

قال يُوي: "إن كان هذا مجدياً اقتصادياً، يحوي آرّاكس مخاطر مكلفة"، ثم فتل شاربه المتدلي وأكمل: "سيأتي والدك قريباً، لكن قبل أن أذهب لديٍّ هدية من أجلك، شيء عثرتُ عليه أثناء حزم حقائبي"، ووضع على المنضدة بينهما شيئاً... أسودَ اللّون، مستطيلاً، لا يتعدّى حجمه ظُفر إبهام پـاول.

نظر پـاول للشّيء، لاحظ يُوي كيف أنّ الفتى لم يتناوله بيده.

"إنّها نسخةٌ قديمةٌ جداً من الإنجيل الكاثوليكي البرتقالي، مصنوعةٌ من أجل المسافرين عبر الفضاء، ليس ميكروفيلم، بل مطبوعٌ على ورقٍ نسيجيٍّ، به عدسة تكبيرٍ خاصةٍ ونظام شحنةٍ كهروستاتيكيةٍ."

التقطه يُوي شارحاً: "الشحنة تحافظ على الكتاب مغلقاً وتضغط الغلافين بين قفل زنبركي، تضغط على الحافة هكذا فتتنافر الصفحات التي اخترتها عن بعضها البعض وينفتح الكتاب."

"يا لصغره."

"ومع ذلك، فيه 1800 صفحة، عندما تضغط على الحافّة هكذا ستتحرّك الشّحنة متقدّمة صفحةً

للأمام مع كلّ ضغطةٍ أثناء القراءة، لا تلمس الصّفحات الفعلية بأصابعك، فالنّسيج الخيطي رقيقٌ جداً"، أغلق الكتاب وناوله لـيـاول: "جرّبه."

راقب يُوي يـاول يضبط الصّفحات، وفكّر:

.

قال يـاول: "لابدّ أنّه مصنوعٌ قبل زمنِ كُتُب الميكروفيلم."

"إنّه قديمٌ فعلاً، اجعله سرًّا بيننا، اتّفقنا؟ فقد يعتبره والداك أثمن من أن يُعطى لفتىً صغيرٍ."

وتبادر في ذهنه: .

أغلق يـاول الكتاب وقال:" طيب، ما دام غالياً لهذه الـ..."

قال يُوي: "خذني بقدرِ عقلي، فقد استلمته وأنا صغير." .

"افتحه على فصل الكلمة رقم 467، حيث يَرِدُ النّص القائل: من الماء تبدأ الحياة كلها، توجد ثلمةٌ ضئيلةٌ على حافة الغلاف كعلامة على الفقرة المقصودة."

تحسّس يـاول الغلاف فشعر بثلمتين، إحداهما أقل عمقاً من الأخرى، ضغط عليها فانفرش الكتاب على راحة يده، وانزلقت عدسة المكبّر نحو المكان المطلوب.

قال يُوي: "اقرأها بصوتٍ عالٍ."

بلّل يـاول شفتيه بلسانه وقرأ: "تفكّر في الأصمّ الذي يعجزٍ عن السّماع، ألسنا جميعاً صمّ؟ أيّ حواس نفتقد حين نعجز أن نرى أو نسمع عالماً يحيط بنا جميعاً؟ ماذا يوجد حولنا بحيث لا ن..."

صاح يُوي: "توقّف!"

قطع يـاول القراءة، وحدّق فيه.

أغمض يُوي عينيه وتصارع مع نفسه لضبط أعصابه.
فتح عينيه فرأى يـاول يراقبه.

سأله يـاول: "ما الأمر؟"

قال يُوي: "أعتذر، تلك كانت الفقرة المفضّلة لدى ... زوجتي المتوفّاة، ليست الفقرة التي قصدتها لك، إنّها تحمل لي ذكرياتٍ... مؤلمة."

قال يـاول: "كان هناك ثلمتان."

فكّر يُوي: !

.

قال يُوي: "قد يهمّك الكتاب، ففيه حقائق تاريخية بالإضافة لفلسفة أخلاقية جيّدة."

نظر يـاول للكتاب الصغير في راحته، يا لضآلته، ومع ذلك يحتوي على أمرٍ غامضٍ... ثمّة شيءٌ حدث له عندما قرأ منه، شعر بتحرّك غايته الرّهيبة.

قال يُوي: "سيكون والدك هنا في غضون دقائق، ضع الكتاب جانباً ثم اقرأه فيما بعد على راحتك."

لمس يـاول حافّة الكتاب بالطّريقة التي أراه إيّاها يُوي، فأنغلق الكتاب، وأخفاه في سترته، عندما صاح به يُوي منذ لحظات، خشي يـاول أنّ الرّجل كان سيطلب استرجاع الكتاب.

قال يـاول بنبرة رسمية: "أشكرك على هديّتك يا دكتور يُوي، سيظلّ سرًّا بيننا، وإن كان لديك طلباً

يمكن أن أقدّمه لك كخدمة فأرجو ألا تتردّد في السّؤال."

قال يُوي: "لا أ... لا ينقصني شيء."

...

6

كيف نبدأ دِراستنا حول شخصيّة والد المؤدّب؟ فالدّوق لِيتو آتريديز كان رجلاً شديد الدِّفء وتذهلك برودته، إلّا أنّ المعلومات التي نعرفها تفتح أمامنا نافذةً لفهم هذا الدّوق: منها حبُّه الرّاسخ لامرأته من بني-جيزيرت، والأحلام التي تمنّى لها أن تتحقّق في ابنه، وإخلاص رجاله. رجلٌ وقع في شباك القدر، وحيدٌ بنورٍ معتمٍ بالمقارنة ببريقٍ عظمة ابنه، ورغم هذا نقول: وما الأبناءُ سوى امتدادٌ لآبائهم.

من كتاب (المؤدّب: تراجم سيرة أسريّة)، تأليف الأميرة إيرولان

تَبعت عينا يِـاول والده وهو يدخل حجرة التَّدريب، ولمح الحُرّاس يتّخذون مواقعهم بالخارج، أغلق أحدهم باب الحجرة، وكالعادة، كان لوجود والده في الغرفة حضور جلي، إنّه شخصٌ يملأ المكان بحضوره وبذهنهِ المتيقّظ طوال الوقت.

كان الدّوق طويلاً ببشرة زيتونية، وجهه النّحيل حادّ الزّوايا، إلّا أنّ عيناه العميقتين الرّماديتين تخفّف من تلك الحدّة، ارتدى بذلة عملٍ سوداءَ تزيّن صدرها شارة درع الأسرة على شكل صقر أحمرَ، وفي حزامه تعلّق درعُ طاقةٍ فضيّ - تبدو عليه علامات الاستخدام المتَكرّر.

قال الدّوق: "غارقٌ في الدّراسة يا بني؟"

ألقى نظرةً على الأوراقِ المبعثرةِ فوق المِنضدة، ثم جال بنظرهِ في زوايا الحجرة قبل أن يركّز ثانيةً في يِـاول، كان تعباً مثقَلاً بألم حاجته المستمرّة لإخفاء علامات الإرهاق.

.

.

قال يِـاول: "ليس بانغماسٍ كاملٍ. فكلّ شيءٍ..."، وهزّ كتفيه.

"لا بأس، على أيّة حال سنرحل غداً، وبعدها سننعم بالهدوء والاستقرار، وننسى الضّوضاء".

أومأ يِـاول، وفجأةً سيطرت عليه ذكرى كلمات السّيدة الموقّرة: "... بالنّسبة للأبّ لا أمل".

قال يِـاول: "أبي، هل آرِّاكس بالخطورة التي يتحدّث الجميع عنها؟"

بدرت من الأب إشارة لا مبالاةٍ، وجلس على ركنٍ من أركان المنضدة، وابتسم! كلّها حركات متكلّفة من باب طمأنة الفتى، دار في ذهنه شريط من الحوارات التي اعتاد استخدامها مع رجاله قبل المعارك لتبديد علامات الخوف فيهم، إلّا إن فكرة هامّة أوقفت الشّريط قبل أن ينطق به.

.

فقال معترفاً: "سيكون خطراً".

قال يِـاول: "أخبرني حواط إنّنا نجهّز خطَّة للتّفاعل مع الفريمن". لماذا

لاحظ الدّوق اضطّراب ابنه، فقال: "كالعادة يقتنص حواط الفرص الواضحة لكنّ هناك أكثر منها. فأنا أنظر أيضاً في اتحاد الأشراف للتّرقي التّجاري... شركة كوآم... فعندما منحني جلالته آرِّاكس ترتّب على ذلك منحي حصّة إدارية في كوآم، وهذا مكسبٌ إضافيٌ خفيٌّ".

قال يِـاول: "كوآم تتحكّم في السپايس".

قال الدّوق: "وآرّاكس بما فيه من سپايس هو سبيلنا لدخول كوآم، فلا تنحصر تجارة كوآم في السپايس فقط".

"هل حذّرتك السّيدة الموقّرة؟" انفجرت الجملة من پـاول، ضمّ قبضتيه بقوّة، شاعراً براحتيه يغمرهما العرق، يا للجهد الذي تطلّبه النّطق بهذا السّؤال.

قال الدّوق: "أخبرني حواط إنّها أثارت مخاوفك بتحذيرات عن آرّاكس، لا تدع مخاوف امرأةٍ تغشى عقلك، لم تولد امرأة تقبل بالمخاطرة بحياة من تحب، فاليد المختفية وراء هذه التّحذيرات هي يد أمّك، اعتبرها علامة على حبّها لنا."

"وهل هي على علمٍ بموضوع الفريمن؟"

"أجل، وأكثر من هذا".

"مثل ماذا؟"

فكّر الدّوق:

. . .

قال الدّوق: "لا يكاد يفلت شيء من قبضة كوآم. أخشابٌ وحميرٌ وخيولٌ وبقرٌ ولحاء شجرٍ وروث الحيوانات وأسماك القرش، ووبر الحيتان. كل الأشياء المألوفة والغريبة النّادرة. حتى رُزّنا الكالاداني المسكين، كلّ ما يمكن أن تنقله سفن النّقابة: من مصنوعات كوكب إكاز الفنّية، ومعدّات ريشيس وإكس، لكن لا شيء يعلو فوق مزيج السپايس، فحفنة من السپايس تشتري بيتاً على كوكب توبيل، والسپايس لا يمكن تصنيعه، بل يلزم التّنقيب عنه على آرّاكس. إنّه فريدٌ من نوعه، وله خصائص تقاوم الشّيخوخة فعلاً".

"والآن نحن نتحكّم فيه؟"

"تقريباً، لكن علينا أن نضع في اعتبارنا كل الأسر النّبيلة المعتمدة على أرباح كوآم، وللثّروة الهائلة من تلك الأرباح التي تعتمد على هذا المنتج الواحد... السّپايس. تخيل ما سيحدث لو انخفضت معدلات إنتاج السّپايس".

قال پـاول: "أولئك الذين اهتمّوا بتخزين كميّات منه سيحققّون أرباحاً هائلةً، أمّا الآخرون فسيكونون في مهبّ الرّيح".

سمح الدّوق لنفسه بلحظةٍ من الرضا: .ثم أومأ وقال: "آل هاركونِن يخزّنون منذ أكثر من عشرين عاماً".

"إذن يخطّطون لفشل إنتاج السپايس، وأن تقع اللّائمة عليك".

قال الدّوق: "يريدون أن تنخفض شعبيّة اسم آل آتريديز. انظر للأسر النّبيلة في مجلس اللاندسراد الّتي تعتبرني - لدرجةٍ ما - قائداً لها ... المتحدّث غير الرّسمي باسمها. كيف ستكون ردّة فعلهم إن أصبحتُ مسؤولاً عن انخفاض دخلهم؟ فالأرباح تأتي في المقام الأول... وليذهب الميثاق العظيم إلى الجحيم! فالمرء لا يسمح لأحدٍ أن يتسبّب في إفقاره." وارتسمت ابتسامةٌ حزينةٌ على فم الدّوق: "عندها سيغضّون الطّرف عمّا سيصيبني."

"حتى لو تمّت مهاجمتنا بالأسلحة الذّرية؟"

"لن تصل لتلك الدّرجة من التمّادي المعلن، ولن يخرقوا الميثاق صراحةً، لكن قد يستخدمون كلّ ما هو دون ذلك، ربمّا يلجؤون حتى للتّغبير وعمليّات صغيرة من تسميم التّربة."

"لم إذن نخطو نحو هذه المصيدة؟"

قطّب الدّوق جبينه: "يـاول! معرفة مكان المصيدة أولى خطوات تجنّبها. يا بنيّ، إنّها كالمبارزة، لكن على نطاقٍ أوسع، خدعة داخل خدعة داخل خدعة... تبدو وكأنّها بلا نهاية، مهمّتنا أن نحلّ اللّغز، فبمعرفتنا أنّ الهاركونِن يخزّنون المزيج، علينا أن نسأل: من أيضاً يقوم بالتّخزين؟ وهكذا نحصل على قائمةٍ بأسماء أعدائنا".

"من؟"

"أسرٌ نبيلةٌ كنّا نعلم بكراهيّتها لنا، وأخرى كنّا نظنّها صديقةً لنا، لن نشغل أنفسنا بهم حالياً إذ هناك طرفٌ آخر أكثر أهميّة: إمبراطورنا الپاديشي الغالي."

حاول يـاول أن يبلّل حلقه الجافّ بريقه: "ألا يمكنك أن تدعو اللاندسراد للاجتماع، وتفضح..."

"ونكشف أمام أعدائنا أنّنا على علم باليد التي تمسك السّكين؟ لا يا يـاول. فحالياً نحن نرى السّكين، من يدري إلى أيّ يدٍ ستنتقل فيما بعد؟ إنْ وضعنا هذا الأمر أمام اللّاندسراد فكلّ ما سيحدث مجرّد سحابةٍ من الاضطراب. وسينكر الإمبراطور التّهمة. ومن سيعارضه؟ قد نجني بعض الوقت لكن سنكون قد عرّضنا أنفسنا لخطرٍ الفوضى، ولن نعلم من أين سيأتي الهجوم التّالي".

"عندها ستبدأ كلّ الأسر في تخزين السپايس".

"خصومنا بدؤوا مبكراً... صعبٌ أن نتقدّم عليهم الآن".

قال يـاول: "الامبراطور! هذا يعني تورّط الساردوكار أيضاً".

قال الدوق: سيتنكّرون في زيّ الهاركونِن بلا شك، لكنّهم يظلّون نفس الجنود بقدراتهم القتالية الرّهيبة."

"وكيف يمكن للفريمن أن يساعدونا في مواجهة الساردوكار؟"

"هل كلّمك حواط عن سالوسا سيكوندس؟"

"الكوكب السّجن التابع للإمبراطور؟ لا."

"ماذا لو كان هناك أكثر من كوكب يستخدم كسجنٍ يا يـاول؟ لا أحد يسأل أبداً فيما يخصّ قوّات الساردوكار الإمبراطورية: من أين يأتون؟"

"من الكوكب السّجن؟"

"بديهي أن يأتوا من مكان ما."

"لكن حصّة المجنّدين التي يفرضها الامبراطور على ال-..."

"هذا هو ما يراد لنا أن نصدّقه، أن الساردوكار مجرد مجنّدين مدربين تدريباً ممتازاً منذ الصّغر، بين الحين والآخر نسمع همسات تتكلّم عن كوادر التّدريب الإمبراطورية، لكن توازن حضارتنا يظلّ كما هو: القوّات العسكرية التّابعة لأسر مجلس اللاندسراد النّبيلة من جهة، وفي الجهة الأخرى الساردوكار والمجنّدين الدّاعمين لهم. لاحظ يا يـاول... 'الدّاعمين' لهم. أمّا الساردوكار فيظلّون الساردوكار."

"لكن كل تقرير يذكر سالوسا سيكوندس يقول إنّه كوكبٌ كالجحيم!"

"بلا شك، إن كنت تريد تخريج رجالٍ صلدين أقوياء وشرسين فما هي الظّروف البيئية التي ستضعهم

فيها؟"

"وكيف يمكن الفوز بولاء أمثال هؤلاء؟"

"هناك طرقٌ مجرّبة: التلّاعب على معرفة معينة تسهم في تميّزهم، أو على أحجية الميثاق السّري الخاصّ بهم، أو ربمّا على روح المعاناة المترّابطة بينهم، فالولاء يمكن تحقيقه، وهذه الطّرق تمّ استخدامها بنجاحٍ عدّة مرّات على عوالم عديدة."

أومأ پـاول مركّزًا انتباهه على وجه أبيه، وشعر بأن تصريحاً ما على وشك أن يقال.

قال الدّوق: "خذ آرّاكس على سبيل المثال؛ عندما تترك وراءك المدن وقرى الحاميات ستجد بيئةً رهيبةً مشابهةً لسالوسا سيكوندس."

اتسعت عينا پـاول: "الفريمن!"

"قد نجد فيهم بذرة القوّة التي لا تقلّ خطورةً عن الساردوكار، ولكي ننجح في تسخيرهم سرًّا يجب أن نتحلّى بالصّبر، ونتسلّح بالثّروة الكافية لتجهيزهم بأسلحةٍ مناسبةٍ، لكن سلاح الفريمن وثروة السيايس متوافرة فقط على آرّاكس، فهمت الآن لماذا قبلنا أن نذهب لآرّاكس مع علمنا بالمصيدة المعدّة لنا؟"

"ألا يعلم الهاركونِن بالفريمن؟"

"آل هاركونِن استحقروا الفريمن، وتلذّذوا بتصيدهم كنوعٍ من الرّياضة، ولم يهتموا حتى بإحصاء عددهم، نحن نعرف سياسة الهاركونِن تجاه سكّان الكواكبً: انفق عليهم أقل ما يمكن" تحرّك الدّوق فلمعت الخيوط المعدنية على شارة رمز الصّقر المطرزة فوق صدره. "فهمت؟"

قال پـاول: "إذن بدأنا المفاوضات مع الفريمن."

قال الدّوق: "أرسلت بعثةً يقودها دَنكِن آيداهو، رجلٌ يتحلى بالكبرياء وعدم الرّأفة، لكنّه محبّ للحقّ، أظنّ أنّ الفريمن سيعجبون به، وإن حالفنا الحظ سيحكمون علينا قياساً عليه دَنكِن الخلوق."

قال پـاول: " دَنكِن الخلوق، وجيرني الباسل."

قال الدّوق: "أحسنت في انتقاء ألقابهم."

وفكّر پـاول: :

.

قال الدّوق: "أخبرني جيرني أنّك أحسنت الأداء في تدريب السّلاح اليوم."

"لم يقلها لي. "

قهقه الدّوق ضاحكاً: "لا شك أن جيرني ممن يبخلون في تقديم الثّناء، أخبرني أنّك تتمتّع بإدراكٍ لطيفٍ - كما قال بالحرف - للفرق بين شفرة النّصل ورأسه."

"يقول جيرني لا فنّ في القتل برأس الخنجر، وأن القتل بالشّفرة أفضل."

زمجر الدّوق: "جيرني كلاسيكيّ الذّوق"، ضايقه هذا الكلام مع ابنه عن القتل، "لا أتمنّى لك موقفاً يضطرّك للقتل، لكن إن استدعت الضّرورة فافعلها بأيّ طريقةٍ متاحةٍ... رأس النّصل أو الشّفرة"، ثمّ نظر للنّوافذ العلوية التي كانت تنقرها قطرات المطر في رتابة.

لمّا رأى پـاول اتجاه عينا والده فكّر في هذه السّماوات الماطرة، وهو أمرٌ لا يحدث أبداً على آرّاكس - كما تقول التّقارير، وهذا قادهُ إلى التّفكير في الفضاء البعيد، فسأل: "هل سفن النّقابة كبيرة حقاً؟"

نظر له الدّوق: "صحيح أنّها المرّة الأولى التي تسافر فيها لكوكبٍ آخر. أجل إنّها ضخمة، سنستقل سفينةً من طراز هايلاينر بسبب طول الرّحلة، وهذا النّوع ضخمٌ للغاية، كل فرقاطاتنا ووسائل مواصلاتنا لن تشغل سوى ركنٍ صغيرٍ بها".

"ولن يُسمح لنا بمغادرة فرقاطاتنا؟"

"هذا جزءٌ من الثّمن الذي ندفعه مقابل ضمان النّقابة لأماننا، قد يُصادف مجاورتنا لسفنٍ تابعة للهاركونِن ومع ذلك لن نخشى منها شيئاً، فالهاركونِن أعقل من أن يرتكبوا فعلاً يخاطر بامتيازات التّنقل الممنوحة لهم".

"سأراقب شاشاتنا علّني ألمح أحد ملّاحي النّقابة".

"لن تنجح، ولا حتى وكلاؤهم يرونهم، فالنّقابة حريصةٌ على الاحتفاظ بخصوصيّتها تماماً كحرصها على احتكارها لوسائل السّفر. بـاول، لا ترتكب حماقةً تعرّض امتيازاتنا للخطر".

"أتعتقد أنهم يؤثرون السّرية لأنّ أجسادهم تشوّهت وما عادوا... بشراً؟"

هزّ الدّوق كتفيه: "من يدري؟ إنّهم لغزٌ يستبعد حلّه، عندنا مشاكل حاليّة أهم... أنت إحداها"

"أنا؟"

"أمّك أرادت أن أخبرك شخصيًّا يا بني، إذ يبدو أنّك تملك قدرات مِنتات."

حدّق بـاول في أبيه للحظةٍ عاجزاً عن الكلام: "مِنتات؟ أنا؟ لكن أنا..."

"حواط يتّفق مع تحليلنا يا بني، إنّها الحقيقة."

"لكن كنت أظنّ أنّ تدريب المِنتات يجب أن يبدأ من الطّفولة، ويخفون الحقيقة عن الطّفل كي لا يعيقه..." قطع حديثه، إذا تكشّفت له كل مواقف حياته في عمليةٍ حسابيةٍ سريعةٍ. قال: "آه... الآن فهمت."

قال الدّوق: "يأتي يومٌ في حياة المِنتات حين يتحتّم إخباره بالتّهيئة التي مرّ بها... وبدلاً من مواصلة تدريبه خِفية، يُمنح فرصة اختيار التّدريب طواعية... أو يختار هجرَهُ، يُقرّر البعض الاستمرار، في حين يعجز غيرهم عن ذلك، الشّخص الوحيد القادر على الحكم على هذا هو المِنتات نفسه."

حكّ بـاول ذقنه، كل تلك التّدريبات الخاصة التي تلقّاها من حواط وأمه... تمارين الذّاكرة، تركيز الانتباه، التّحكم في العضلات، شحذ الحواس، دراسة اللّغات والفوارق الدّقيقة لنبرات الصّوت... كل تلك القطع المتفرّقة استقرّت في مكانها السّليم مكوِّنة وعياً جديداً.

قال أبوه: " في يوم ما يا بني ستكون الدّوق، والدّوق-المِنتات سيكون شخصاً لا يُشقُّ له غبار، هل تستطيع أن تتّخذ القرار الآن... أم ترغب في المزيد من الوقت؟"

بلا تردد قال بـاول: "سأستمر في التّدريب."

تمتم الدّوق: "لا يشقُّ له غبارٌ فعلاً". ورأى بـاول ابتسامة الفخر على وجه أبيه، صدمته تلك الابتسامة، فعلى ملامح الدّوق الدّقيقة بدت وكأنها مرسومةٌ على جمجمة.

أغلق بـاول عينيه، مستشعراً الغاية الرّهيبة تستيقظ مجدداً في داخله.

.

لكن حتّى وهو غارقٌ في تلك الفكرة، استنكرها وعيه الجديد.

7

أثمرت جُهود برنامج البعثاتِ الإرساليِّة بنجاحٍ كاملٍ في إنتاجها، والذي سخُّرته طائفة بني-جيزيرِت لزرع بذورٍ دينيّة أسطوريّة، كان ذلك مع اللّيدَي جيسيكا وفي كوكب آرّاكس، فالحكمة من بذر كونٍ معروفٍ بنمّط تنبّؤي، وتسخيره فيما بعد لحماية أفراد بني-جيزيرت كان دائماً محطّ تقدير واهتمام. لكنّنا لم نر قطّ حالةً مثاليَّة كهذه، إذ ظهر فيها توافقٌ تامٌّ بين الشّخص والتّنظيم.

فقد أخذت الأساطير التنبُّؤية في بيئة آرّاكس أبعاداً تجاوزت فيها حدّ المسمِّيات المعهودةِ مثل: (سيّدة موقّرة، كانتو وريسبوندو، وأغلب الكلمات الشرعيّة التنبُّؤية)، وإنّه لمن المسلمّ به عموماً الآن أنّ القدرات الخفيّة لليدي جيسكا قد تمّ الاستخفاف بها على نحوٍ فادحٍ.

من (تحليل الأزمة الآرّاكسية)، تأليف الأميرة إيرولان

للتّداول الخاصّ فقط، أرشيف ب. ج. [بني-جيزيرِت]، ملف رقم: AR-81088587

في كل الاتجاهات التي تحيط باللّيدي جيسكا، تكوّمت حمولاتٌ مُغلّفة، مركونةً في زوايا واسعة من ردهةِ قصرِ آراكين، ومتكدِّسة في المساحات المفتوحة منه والتي جُمعت لأجل رحلتهم:(صناديق، حقائب، كراتين، خزائن، وبعض الأشياءِ التي لا تزال متناثرةً دون تغليف)، كان بإمكانها سماع عمّال الشّحن من مكّوك النّقابة يودِعون حمولةً أخرى في المدخل.

وقفت جيسيكا وسط ردهة القصر، استدارت بشكلٍ بطيءٍ تحدّق عالياً فيما حولها من نُقوشٍ مظـلّلة، وزوايا عتمةٍ، ونوافذ غائرة الحنايا، تلك الرّدهةُ العملاقة قديمة الطّراز ذكّرتها بقاعة الأخوات في مدرسة بني-جيزيرِت، لكنّ قاعة المدرسة كان لها تأثيرٌ دافئ، على عكس هذه الرّدهة الحجريّة التي تدعو للكآبة.

فكّرت، لا بدّ وأنّ مهندساً اقتبسَ هذه الجدران المدعّمة والسّتائر الدّاكنة من تصاميم تاريخيّة بعيدة الأزل، وإلّا فكيف جاء بفكرتها! كان السُّقف المقوّس يمتدّ فوقها بارتفاع طابقين متعامداً مع دعّامات ضخمة، ولم يكن لديها أدنى شكّ أنّها جُلبت عبر الفضاء إلى آرّاكس بتكاليف باهظة، فلا يوجد كوكبٌ في تلك المنظومة النّجمية تنمو عليه أشجارٌ تصلح لعمل مثل هذه الدّعامات، إلّا إذا كانَ خشباً مقلداً.

لكن لا يمكن أن تكون كذلك.

كان هذا المبنى مقرّ الحكم في عهد الإمبراطورية القديمة، وفي تلك الحقبة، لم تكن التّكاليف أكبر همّهم، كان هذا قبل فترة آل هاركونِن ومدينتهم الكبيرة المسمّاة قرطاج، تلك المدينة ذات الذّوق المبتذل، والتي تبعد عن هنا حوالي 200 كيلومتر في الاتّجاه الشّمال الشرقي، عبر منطقة الأرض المتصدّعة، كان اختياراً حكيماً من ليتو أن يجعل هذا المكان مقرّ حكمه، حتى اسم المدينة، آراكين، له وقع جيّد ويوحي بأنّ له تاريخٌ عريقٌ، إضافةً إلى أنّ هذه المدينة صغيرة الحجم، ويسهل تطهيرها من جواسيس الخصوم، ناهيك عن الدّفاع عنها عسكرياً.

مجدداً سمعت جيسيكا قرقعةِ الصّناديق التي يتمّ إنزالها عند المدخل، وتنهّدت!

استندت لوحةُ والدِ الدّوق بجانب صندوقٍ يقعُ على يمينها، حيث كانت خيوط التّغليف ملتفَّة حولها كزينةٍ باليةٍ، قطعةٌ من تلك الخيوط كانتً في قبضة جيسكا اليسرى، وبجوار اللّوحة قبع رأس ثورٍ أسودَ مثبَّت على لوحٍ مصقولٍ، بدت الرّأس كجزيرةٍ مظلمةٍ في بحرٍ واسعٍ من اللّفائف، أمّا خطامُ الثّور اللّامع فكان مستقرًّا في اتّجاه السّقف كما لو كان مستعداً لأن يخور بصوتٍ عالٍ متحدياً بذلك أصداء الغرفة.

تساءلت جيسيكا عن الدّافع الخفيّ الذي جعلها تقوم بفتح هذين الشيئين بالذات، الرّأس واللوحة! كانت تعلم أنّ لهذا دلالة رمزية، لم تشعر بمثل هذا الخوف وتزعزعٍ في نفسها منذ ذاك اليوم الذي اشتراها فيه رجال الدّوق من مدرستها.

الرّأس واللّوحة!

زادا من اضطرابها. فارتجفت، ونظرت للنّوافذ الطّولية فوق رأسها، لم ينتصف النّهار بعد، وفي هذه المنطقة بدت السّماء سوداءَ باردةً، أكثر قتامةً من سماء كالادان ذات اللّون الأزرق الهادئ، وخزةٌ من الحنين للوطن أوجعتها.

كم هو بعيدٌ كالادان.

"وها قد وصلنا"، كان صوت الدّوق ليتو.

التفَتَتْ، فرأته يقترب بخطواتٍ سريعةٍ من الرّواق المقوّس المؤدّي لقاعة الطّعام، غطّى التّراب زيّه العملي الأسود، وشارة درع الأسرة على صدره.

قال: "ظننتُكِ تائهةً في هذا المكان الشّنيع".

قالت: "إنّه بيتٌ كئيبٌ". ثم تفقّدته من رأسه لقدميه، حتى بشرته السّمراء التي ذكّرتها بأشجار الزيتون، وبشمسٍ ذهبيةٍ منعكسةٍ على مياه البحرِ الزرقاء، وعينيه الرّماديتين، يندسّ فيهما سواد الدّخان، لكنّ وجهه كان كحيوان مفترس: نحيفاً، مليئاً بالزوايا والمساحات الحادّة، انقبض قلبها بخوفٍ مفاجئٍ، فمنذ قراره بتنفيذ أوامر الإمبراطور، تحوّل إلى شخصٍ شرسٍ يدفع الآخرين للعمل.

تمْتمت: "المدينة كلّها كئيبة".

أومأ موافقاً لها: "إنّها بلدةٌ تابعةٌ لحاميةٍ عسكرية، صغيرةٌ ومعفِّرة، إلا أنّنا سنغيرها"، نظر حوله: "هذه حجرات عامّة للمناسبات الرّسمية، زُرتُ الغرف العائلية في الجناح الجنوبيّ، ووجدتها أكثر لطفاً".

تقدّم خطوةً مقترباً منها، لامساً ذراعها، متأمِّلا هيبتها بإعجاب، وتساءل مجدَّدا عن أسلافها المجهولين، ربّما كانت أسرةً نبيلةً منشقةً؟ أو فرعاً مغضوباً عليه من الأسرة الإمبراطورية؟ مظهرها الجليل يفوق سلالة الإمبراطور ذاته.

تحت تأثير تحديقاته، استدارت نصف استدارة، فبدت ملامحها الجانبية، وأدرك عندها أنّ جمالها لا يرتكز على عنصرٍ محددٍ، وجهها البيضاويّ محاطٌ بتاجٍ من الشّعر بلون البرونز البّراق، عيناها الواسعتان بلون خضرة وصفاء سماء كالادان في الصّباح، أنفها دقيق، وفمها الواسع الرّضب، قامتها مناسبة ولكن نحيلة البُنية، طويلة مع انحناءات تغلبها النّحافة.

تذّكر أن زميلاتها في المدرسة كانوا يسمّونها بالنحيلة، حسب ما أخبره رجاله الذين اشتروها له، لكنّها أكثر من مجرّد أوصافها الخارجية، لقد أعادت لسلالة آل آتريديز جمالاً ملكياً، ومن حسن حظّهم أنّ بِـاول يشبهها أكثر.

سألها: "أين بِـاول؟"

"في مكان ما يتلقّى دروسه من يُوي".

قال: "غالباً في الجناح الجنوبّي، أظنّني سمعت صوت يُوي هناك لكن لم يكن لديّ وقتٌ لأتحقّق بنفسي".

ثم نظر لها في تردد وقال: "جئت للرّدهة لتعليق مفتاح قلعة كالادان في قاعة الطعام".

حبست أنفاسها وكبحت رغبتها في احتضانه، تعليق المفتاح يعني قطع الشك باليقين، ولا عودة لهم بعدها، أرادت مواساته، لكن لم يكن هذا الوقت أو المكان مناسبين لتلك الحميمية.

قالت: "أثناء دخولنا لمحت رايتنا تعلو البيت".

رمى نظرةً نحو لوحة والده: "أين ستعلّقينها؟"

"في مكان ما هنا".

"كلّا"، كانت نبرةً صارمةً وقاطعةً! تلك النّبرة التي أغرتها كي تستخدم المراوغة لاقناعه، لكنّها اختارت أن تجادله فهي لن تسمح لنفسها أبداً بخداعه.

قالت: "مولاي، لو يمكن أن تس-..."

"لا تزال الإجابة: كلّا... أخضع لرأيك في كثيرٍ من المواقف، لكن ليس في هذا الموضوع، قدِمتُ لتوّي من قاعة الطعام حيث يو..."

"مولاي! أرجوك".

قال: "هو خيار بين هضمك وبين فخري بأسلافي يا عزيزتي، سيتم تعليقهما في قاعة الطعام".

تنهّدت: "أمرك مولاي".

"وبإمكانك أن تستأنفي عادتك السّابقة بتناول الطّعام في حجراتك كلما سنحت الفرصة، أما في المناسبات الرّسمية على الأقل فمكانك على طاولة الطّعام في القاعة".

"شكراً مولاي".

"ولا تبدئي بهذا الأسلوب الجافّ والتّعامل البارد! كوني ممتنّة لعدم زواجي منك يا عزيزتي، لو كنا زوجين سيحتم عليك واجبك كزوجة أن تشاركيني كل وجبة".

أومأت إيجاباً بوجهٍ خالٍ من الايحاءات.

ثم أردف: "وضع حواط جهاز تبّاع السّموم على مائدة الطّعام، وهناك آخر متنقّل في حجرتك".

قالت: "إذن لقد كنت تتوقّع حدوث هذا ال-... جدال".

"إنّي أفكّر في راحتك أيضاً يا عزيزتي، تعاملت مع بعض الخدم، إنّهم محلّيون، لكنّ حواط فحصهم أمنياً، كلهم من الفريمن، سيؤدّون الغرض إلى أن يفرغ قومنا من مهامّهم الأخرى".

"هل يمكن الوثوق بأي شخص من هذا المكان؟"

" بكل واحدٍ يكره الهاركونِن، يمكنك أيضاً أن تحتفظي برئيسة الخدم كما هي دون تغيير: الشادوت ماييس."

قالت جيسيكا: "شادوت... هل هو لقب فريمني؟"

"قيل لي أنّ معناه: الغارفة من البئر، معنى له دلالات هامّة هنا، لم تبدُ من فنة الخدم، لكنّ حواط يزكّيها بناءً على التّقرير الذي قدّمه دَنكِن، وكلاهما مقتنع برغبتها في خدمتنا... أن تخدمك أنتِ على وجه الخصوص".

"أنا!!"

ردّ: "اكتشف الفريمن أنّك من بني-جيزيرِت، يؤمنون هنا بأساطير متعلّقة ب-بني-جيزيرِت".

فكّرت جيسيكا: البعثات الإرسالية، لا مفرّ منهم أبداً.

سألت: "هل يعني هذا أنّ مهمّة دَنكِن نجحت؟ هل سيصبح الفريمن حلفاء لنا؟"

أجابها: "لا شيء مؤكّد حتى الآن، دَنكِن يرى أنّهم يرغبون في مراقبة أفعالنا أولاً لفترةٍ من الزّمن، لكنّهم وعدوا بهدنةٍ توقف غاراتهم على القرى الحدودية، وهذا مكسبٌ هامٌ، فحواط أخبرني أنّ الفريمن كانوا شوكةً عميقةً في خاصرة الهاركونِن، وأنّ الأرقام الحقيقية للخسائر سرٌّ حرَص آل هاركونِن على عدم انتشاره، فلو أدرك الإمبراطور عدم كفاءة قوّات الهاركونِن لاستاء منهم".

عادت جيسيكا لموضوع الشادوت مايپس: "مدبّرة منزل من الفريمن... لا بدّ أن عينيها كاملة الزّرقة".

قال: "لا تدعي مظهرهم يخدعك، ففيهم جَلَدٌ وهِمّة، أظنّهم ما نحتاجه هنا".

قالت: "إنّها مُقامرة خطرة".

قال: "لا داع لأن نتجادل في هذا الموضوع مجدَّدا".

أجبرت نفسها على الابتسام: "نحن ملتزمون الآن، لا شكّ في هذا"، ثمّ دخلت في عملية سرّيعة لتهدئة نفسها: نفسان عميقان، وطقوس إدراكيّة، وقالت: "عندما أقوم بتوزيع الحجرات، هل أحجز لك شيئاً محدداً؟"

قال: "يجب عليك أن تعلميني كيف أقوم بذلك يوماً ما! تلك الطريقة التي تطرحين جانباً ما يقلقك وتركّزين على الأمور العمليّة، لا بدّ أنّها من عادات بني-جيزيرِت".

قالت: "هي أمور النساء".

ابتسم وقال: "موضوع توزيع الحجرات: احرصي أن يكون لي مكتبٌ كبير المساحة جوار حجرة نومي، فالأعمال الورقية هنا ستفوق ما كانت عليه في كالادان، وحجرة حرس بالطبع، هذا يكفي، ولا تشغلي بالك بتأمين البيت، فرجال حواط فحصوه بدقة".

"لا شكّ لديّ في دقتهم".

نظر لساعة معصمه: "وتأكدي من ضبط كلّ ساعاتنا بحيث توافق التّوقيت الآرّاكسي المحلّي، عيّنت أحد التّقنيين ليهتمّ بالأمر، وسيأتي بعد قليل".

أزاح خصلة شعرٍ كانت تغطّي جبهتها: "يجب أن أعود للمهبط، فالمكّوك الثّاني سيصل في أيّة لحظة وعليه ضبّاط احتياط قواتنا".

"ألا يمكن لحواط أن يقابلهم يا مولاي؟ يبدو عليك التّعب".

"ظافر العزيز مشغولٌ أكثر مني، فكما تعلمين لا يزال هذا الكوكب مليئاً بمكائد تركها الهاركونِن، إضافة إلى ذلك، عليّ أن أقنع بعض عمّال التّنقيب عن السپايس بأن يتراجعوا عن قرارهم بالرّحيل، فالقانون يسمح لهم بذلك عندما يتم تغيير المسؤول عن الإقطاعية، وخبير البيئة هذا - الذي عيّنه الإمبراطور واللاندسراد كقاضي تحكيم في فترة التّغيير - لا يمكن رشوته، وسمح للعمّال بالاختيار.

نتوقّع رحيل حوالي 800 يدٍ مدربةٍ على متن مكّوك السپايس، وهناك سفينةٌ من سفن نقابة الفضاء تنتظرهم".

"مولاي..." قطعت جملتها فجأة، متردّدة.

"نعم؟"

فكّرت: ... .

قالت: "متى تودّ تناول العشاء؟"

فكّر: .

... .

قال: "سأتناول الطّعام في حجرة الضّباط في الميدان، لا تتوقّعي عودتي إلّا في وقتٍ متأخرٍ، وسأرسل عربة حراسةٍ لي-اول، أريده أن يحضر اجتماع الاستراتيجية معي".

تنحنح وكأنّه على وشك أن يقول شيئاً آخر، ثم استدار بلا مقدماتٍ وابتعد متجهاً نحو المدخل، حيث يتم إنزال المزيد من الصّناديق، بلغها صوته بنبرته الآمرة المتعجرفة عندما يحادث الخدم على عجلٍ: "اللّيدي جيسيكا في القاعة الكبرى، انضمّي لها في الحال."

وانغلقت البّوابة الخارجية بصفقةٍ مسموعةٍ.

استدارت اللّيدي جيسيكا لتواجه لوحة والد ليتو، من أعمال الفنّان الشّهير 'ألبي'، تمثّل الدّوق الكبير في منتصف عمره. بدا فيها وهو في ثياب مصارعي الثيران، برداء أرجوانيّ اللّون مطروح على ذراعه الأيسر، كان الوجه شاباً، لا يكاد يكبر ليتو الآن بكثير... وبذات الملامح الصّقرية ونظرة العين الرّمادية.

كوّرت أصابعها في قبضتين متشنّجتين وحدّقت في اللّوحة. همست: "اللّعنة عليك! اللّعنة! اللّعنة!"

"بماذا تأمرين، يا ابنة النّبلاء؟" كان صوت امرأةٍ رقيقٍ وناعمٍ.

التفتت جيسيكا فرأت امرأةً ذات شعرٍ أشيبٍ وجسدٍ مُكَعبَرٍ، ترتدي ثوباً فضفاضاً بنيًّا بلون ملابس العبيد، بدت على المرأة نفس ملامح الشّقاء والجفاف التي ظهرت على العامّة الذين قدموا لتحيّة آل آتريديز خلال قدومهم من المهبط هذا الصباح، كل فردٍ من المحلّيين ممن رأتهم جيسيكا بدت عليه علامات الجفاف الشّديد وسوء التّغذية، إلا أنّ ليتو يقول إنّ بهم جلدٌ وهمّةٌ. ولا ننسى العينين، تلك الزّرقة العميقة القاتمة التي لا يبدو فيها بياض، توحي بالسّرية والغموض، أجبرت جيسيكا نفسها على عدم التّحديق.

أومأت المرأة برسميّة مهذّبة وقالت: "أُدعى الشادوت مايبس، يا ابنة النبلاء. بماذا تأمرين؟"

قالت جيسيكا: "ناديني بـ 'سيّدتي'، فلستُ من سلالةٍ نبيلةٍ، أنا خليلةُ الدّوق ليتو، ومرتبطة به".

ردّت المرأة بنفس الإيماءة الغريبة وحدّقت في جيسيكا، ثم سألت في استفهام ماكر: "إذن هناك زوجة؟"

"لا يوجد الآن ولا في أي وقت مضى، أنا... رفيقة الدّوق الوحيدة... أمّ وريثه."

أثناء تفوهها بهذه الكلمات، ضحكت جيسيكا في قرارة نفسها مزهوّة بردها.

... .

. .

تناهت لسمعها صيحة غريبة من الطّريق خارج البيت، تكرّرت: "سو-سو-سوق! سو-سو-سوق!"، ثم "إيخوتيه! إيخوتيه!" ثم مجدداً: "سو-سو-سوق!"

سألت جيسيكا: "ما هذا؟ سمعته مراراً صباح اليوم ونحن نمرّ بالطّرقات".

"مجرّد بائع ماءٍ يا سيّدتي، لكن لا تشغلي بالك بهم، الصّهريج هنا يسع 50 ألف لترٍ، ونحرص على أن يكون ممتلئاً على الدّوام"، ثمّ نظرت لثوبها وقالت: "بل ولا أحتاج حتى لارتداء بذلة التّقطير

هنا"، وقهقهت: "ههه، وما زلتَ حيّة!"

ترددّت جيسيكا، فقد أرادت أن تستفسر من هذه المرأة الفريمنية عن المزيد من الأمور، فهي تحتاج إلى معلومات تتصرف على هداها، لكن الأهم حالياً هو تنظيم فوضى هذه القلعة. ومع ذلك، أقلقتها فكرة اعتبار الماء هنا علامة من علامات الثّراء.

قالت جيسيكا: "قريني أخبرني بلقبك، الشادوت؛ كلمة قديمة".

سألت مايپس: "تفهمين اللّغات القديمة؟"، وانتظرت الإجابة بتحفزٍ غريبٍ.

قالت جيسيكا: "اللّغات هي أول ما تتعلمه بني-جيزيرِت، أعرف البهوتاني جِب والت تشاكوبسا... كل لغات الصّيد".

هزّت مايپس رأسها: "كما تقول الأسطورة بالضّبط".

سألت جيسيكا نفسها: لكن أساليب بني-جيزيرِت مراوغة وفيها إثارة.

قالت جيسيكا: "وأعرف طقوس الظّلام وشرائع الأم العظمى"، وقرأتْ في أفعال وتعابير مايپس إشارات واضحة وأخرى دقيقة تكشف عما تفكر فيه، تلك الخيانات الصّغيرة.

قالت جيسيكا، بلسان الت تشاكوبسا: "ميسيسز بريجا. أندرال تيرا برال! ترادا سيك بوساكري ميسيسز بيراكري."

تراجعت مايپس خطوةً للوراء وكأنّها مستعدٌّة للفرار.

قالتِ جيسيكا: "أعرف الكثير من الأمور، أعرف مثلاً أنّك أنجبتِ أطفالاً، وفقدتِ أحباباً، واختبأتِ خيفةً، وارتكبتِ أفعالاً عنيفةً وستقدمين على مثلها في المستقبل، أمورٌ كثيرةٌ أعرفها".

قالت مايپس في صوت خافت: "لم أقصد الإساءة يا سيّدتي".

قالت جيسيكا: "تذكرين الأسطورة وتطلبين إجابات، حذارِ من الإجابات التي قد تجديها، فأنا أعلم أنّك جئتِ مستعدةً لعملٍ عنيفٍ، بسلاح تخفينه الآن في صدريتك".

"سيّدتي أنا..."

قالت جيسيكا: "هناك احتمال - مع أنّه ضئيل - أن تنجحي في سفك دمي، لكن نجاحك سيجلب دماراً أشنع مما تصوره مخاوفكّ! لعلمك، هناك أشياء أسوأ بكثيرٍ من الموت... حتّى بالنسبة لشعبٍ بأكمله".

توسّلت مايپس: "سيّدتي!"، بل وأوشكت أن تركع على ركبتيها، "هذا السّلاح هديّة لك، لو اتضح أنّك فعلاً المنتظرة".

قالت جيسيكا: "وكأداة لموتي إن اتضح أنّني لست هي"، وانتظرت في حالة الاسترخاء الظّاهري التي تجعل متدربات بني-جيزيرِت مخيفاتٍ في القتال.

مدّت مايپس يدها ببطءٍ في فتحة ثوبها وأخرجت غمداً غامق اللّون، برز منه مقبضٌ أسود منحوتٌ فيه تجاويف عميقة لموضع الأصابع، أمسكت الغمد في يدٍ والمقبض في الأخرى وسحبت كاشفةً عن نصلٍ في بياض اللّبن، رفعته لأعلى، بدا النّصل وكأنّه يلمع ويبرق بنورٍ داخليٍّ. كان ذا حدّين، بنصلٍ حوالي 20 سنتيمتر.

قالت مايپس: "تعرفين ما هذا يا سيّدتي؟"

أدركت جيسيكا أنّه سكّين الكريسْنايف الآرِّاكسيّ ذو السّمعة الخرافيّة، النّصل الذي لم يخرج أبداً بعيداً عن الكوكب، لا يعرفه أحد سوى في الإشاعات.

قالت: "إنّه كريسْنايف."

قالت مايپس: "لا تستهيني بالاسم، هل تعرفين دلالته؟"

فكّرت جيسيكا: !.

. ...

...

.

قالت جيسيكا: "إنّه صانع ال-..."

تنهّدت مايپس: "إيييه!"، صوتٌ يدلّ على الحبور والحزن في الوقت ذاته، اهتزّت مضطّربة حتى انعكست الأضواء على السّكين ناشرةً بريقاً في كل اتجاه.

انتظرت جيسيكا متحفّزة، كان مرادها أن تصف السّكين بصانع الموت ثم تضيف المصطلح القديم للكلمة، لكنّ جميع حواسّها الآن حذّرتها من الإكمال، استخدمت مهارات الانتباه العميقة لاكتشاف المعاني المضمرة في أدقّ حركات العضلات.

الكلمة الهامّة هنا كانت... .

صانع؟ صانع.

لا تزال مايپس ممسكةً بالسّكين وكأنّها مستعدَّة لاستخدامه.

قالت جيسيكا: "وهل ظننتِ أنّني – العالمة بالطّقوس والأسرار الدّينية للأم العظمى – لن أتعرّف على الصّانع؟"

أنزلت مايپس السّكين: "سيّدتي، عندما يعيش المرء طويلاً منتظراً تحقّق النبوءة، تصدمه لحظة تكشّف الحقيقة".

فكّرت جيسيكا في النبوءة، مستعيدةً الشّريعة العامّة التّنبوئية، هبطت هنا منذ قرونٍ أختٌ من بني-جيزيرت، كجزءٍ من البعثات الإرساليّة، ميّتة الآن بلا شك، لكنّها حقّقت هدفها بزرع الأساطير الحاميَة بين هؤلاء النّاس تحسُّبا لليوم الذي ستستفيد منهم إحدى بني-جيزيرِت.

وها قد أتى هذا اليوم!

أعادت مايپس السّكين إلى غمده وقالت: "لم تتم معالجة هذا النّصل يا سيّدتي، ابقيه قريباً منك، فإذا بقي بعيداً عن اللّحم لأكثر من أسبوع سيبدأ بعدها بالتحلّل، سِنٌّ من شَاي-هلود، هو لك الآن مدى الحياة".

مدّت جيسيكا يدها اليمنى ثم جازفت بخطوةٍ خطيرةٍ: "مايپس، لقد أغمدتِ النّصل دون سفك دم!".

شهقت مايپس وقذفت بالسّكين في يد جيسيكا، وشقّت صدر الثّوب البنيّ وهي تنتحب: "خذي ماء حياتي!"

سحبت جيسيكا النّصل من غمده، يا للمعانه! حرّكته نحو مايپس فرأت على وجه المرأة رعباً يفوق رهبة الموت.

أبعدت رأس السّكين واستخدمت شفرة النّصل لشقّ جرحٍ رقيقٍ فوق ثدي مايپس الأيسر، انبثقت دفقة دمٍ غليظٍ ثمّ توقّفت في الحال.

...

أغمدت النّصل وقالت: "زرّري ثوبك يا مايبس".

أطاعت مايبس وهي ترتجف، حدّقت العينان الخاليتان من البياض في جيسيكا، وتمتمت: "أنتِ منّا، أنتِ المنتظرة".

صدر صوتٌ من المدخل، شحنةٌ جديدةٌ قادمةٌ، دسَّت مايبس السّكين بغمده وأخفته في صدريّة جيسيكا، وزمجرت: "من يرى هذا السكّين إمّا أن يتم تطهيره أو قتله! تعرفين هذا يا سيّدتي".

.

ورحل حمّالو الشّحنة دون تلكُّؤٍ في ردهة القصر.

اعتدلت مايبس وقالت: "إذا وقع بصر غير الأطهار على سكّين كريسْنايف فيجب ألّا يغادر آرِّاكس حيًّا، لا تنسي هذا أبداً يا سيّدتي، أنتِ الآن مؤتمنة على كريسْنايف"، ثم أخذت نفساً عميقاً: "والآن على الأمر أن يأخذ مجراه، لا يمكن استعجال هذه الأمور".

نظرت للصّناديق المرصوصة حولهما: "وأمامنا هنا الكثير من العمل لتمضية الوقت".

تمتمتْ جيسيكا: . إنّه اقتباسٌ من مخزون أدعية البعثات الإرسالية، تشير

.

ثم صدمها الاكتشاف: ! ! .

قالت مايبس بنبرةٍ عمليةٍ: "بأي الأعمال أبدأ يا سيّدتي؟"

فطنتها وجّهتها بإجابة السّؤال بالنّبرة ذاتها: "لوحة الذّوق الكبير هناك، يجب تعليقها على أحد جانبيّ قاعة الطعام، رأس الثّور توضع على الجدار المقابل للوحة".

اقتربت مايبس من الرّأس: "إن كانت هذه رأسه فلا بدّ أنّه كان حيواناً ضخماً، يجب أن أنظفه أولاً يا سيّدتي، أليس كذلك؟"

"كلّا".

"لكن على قرنيه تراب متكتّل".

"ليس تراباً يا مايبس، إنّه دم والد دوقنا، هذان القرنان تمّ رشّهما بمثبِّت شفّاف اللّون بعد بضع ساعاتٍ من قتل هذا الحيوان للذّوق الكبير".

اعتدلت مايبس وقالت متعجّبة: "آه!"

قالت جيسيكا: "إنّه مجرّد دم... دم قديم، فليساعدك أحدهم في التّعليق، فالقطعتان الشّنيعتان ثقيلتان".

قالت مايبس: "هل ظننتِ أنّ الدّم ضايقني؟ أنا من الصّحراء ورأيت من الدّماء الكثير".

قالت جيسيكا: "فعلاً، واضح!"

قالت مايبس: "وبعضه كان دمي أنا، أكثر بكثير مما تسبّب فيه خدشك الصّغير هذا"،

"كنت تودين أن أجرحك بشكل أعمق؟"

"لا! مياه أجسادنا ضئيلة بما فيه الكفاية، ولا داع لهدرها، أحسنتِ في فعلك".

انتبهت جيسيكا للدّلالات العميقة التي حملتها تلك الكلمات وطريقة نطقها، 'ماء الجسد'. ومجدداً

استوعبت الحكم المستبدّ للماء على آرّاكس.

قالت مايبس: "على أيّ جانب من جانبي قاعة الطعام أعلّق كل من هاتين التّحفتين يا سيّدتي؟"

. قالت: "احكمي بنفسك يا مايبس، لا فرق بين الأمرين".

"كما تريدين يا سيّدتي". ركعت مايبس وبدأت تفك الأغلفة واللّفائف من الرّأس، قالت في همهمة: "قتلت دوقاً عجوزاً يا هذا؟"

سألتها جيسيكا: "هل أستدعي أحد الحمّالين ليساعدك؟"

"سأتصرف يا سيّدتي".

فكّرت جيسيكا: . .

شعرت جيسيكا بغمد السّكين بارداً داخل صدريتها، وفكّرت في تلك السّلسلة الطويلة من خطط بني-جيزيرِت التي صنعت لها هنا حلقةً أخرى، وبفضل هذا التّخطيط تمكّنت من النجاة من أزمةٍ قاتلةٍ.

قد تؤمن مايبس بعدم الاستعجال، لكن كلّ ما حدث في الماضي القريب كان عبارة عن اندفاع مستعجل بإيقاع سريع يقودها لهذا المكان، وهذا هو مصدر شعورها بالتّشاؤم من القادم، ولن تنجح تحضيرات البعثات الإرسالية ولا تأمينات حواط التي تنظر بشك لكلّ ركنٍ من أركان كومة الحجارة هذه في طرد هذا الشّعور.

قالت جيسيكا: "حين تنتهين من تعليق هذين، باشري في تفريغ هذه الصّناديق، أحد المسؤولين عن الحمولة يقف عند المدخل ومعه كل المفاتيح ويعرف مكان كل شيء، خذي منه المفاتيح والقائمة، ولو عندك أسئلة فسأكون في الجناح الجنوبي".

قالت مايبس: "أمركِ سيّدتي".

ابتعدت جيسيكا:

.

سيطرت عليها رغبة ملحّة في رؤية ابنها، اتجهت نحو الباب المقوّس المؤدّي لممر قاعة الطعام والأجنحة العائلية، وتسارعت خطاها حتى كادت تجري.

ومن خلفها توقّفت مايبس للحظةٍ عن إزالة اللّفائف من حول رأس الثّور، نظرت لظهرها المبتعد وتمتمت: "إنّها فعلاً من كنّا ننتظرها، أيتها المسكينة".

8

تقول الأغنية: "يُوي! يُوي! يُوي! الموت مليون مرّة لا يكفي ليُوي".

من كتاب (المؤدّب: تاريخ للأطفال)، تأليف الأميرة إيرولان

كان الباب مواربا، دلفت جيسيكا منه لحجرةٍ ذات جدرانٍ صفراءِ اللّون، على يسارها أريكةٌ منخفضةٌ بجلدٍ طبيعيّ أسود، وخزانتي كتبٍ فارغتين، وقارورة ماءٍ معلّقة وقد تراكمت الأتربة على جوانبها المنتفخة، وعلى يمينها وقفت خزاناتٌ فارغةٌ تحيط بجانبي باب آخر، ومكتبٌ جلبوه من كالادان، وثلاثة مقاعد، عند النّوافذ المواجهة لجيسيكا وقف دكتور يُوي، مديراً لها ظهره، وانتباهه مُنصبٌّ على العالم الخارجي.

أخذت جيسيكا خطوةً صامتةً داخل الحجرة.

لاحظتْ أنّ رداء يُوي كان مجعَّدا وبه لطخةٌ بيضاء قرب المرفق الأيسر كما لو كان قد استند إلى جدارٍ طبشوريّ، بدا - من الخلف - كعصا نحيلةٍ بلا لحم، تغطّيها ملابس سوداء أكبر من مقاسها، دميةٌ ساكنة تنتظر أن يشدّ خيوطها محرّك الدّمى، الجزء الوحيد الذي بدت عليه الحياة هو رأسه المضلّع، بشعره الأسود الطويل الملفوف بالحلقة الفضيّة التي ترمز لمدرسة السووك، تحرّك الرّأس قليلاً، متابعاً حركةً في الخارج.

جالتْ بنظرها في أرجاء الحجرة فلم تر لابنها أثراً، لكنّها تعلم أنّ هذا الباب المغلق على يمينها يؤدّي لحجرة نومٍ كان پاول قد أظهر إعجابه بها.

قالت: "مساء الخير يا دكتور يُوي، أين پاول؟"

أومأ كما لو كان يشير لشيء يقع خارج النافذة، ودون أن يستدير نحوها تكلم كمن هو غارق في أفكاره: "ابنك شعر بالإرهاق يا جيسيكا، فأرسلته للحجرة المجاورة ليرتاح".

ثم نهضَ فجأةً واستدار سريعاً بحيث اضطرب شاربه فوق شفتيه الأرجوانيتين: "اعذريني يا سيّدتي! كنت مستغرقاً في أفكاري ... أنا... لم أقصد أن أسقط الكُلفة."

ابتسمت ورفعت له يدها اليمنى، للحظةٍ خشيت أن ينحني راكعاً، "لا بأس يا ويلينغتون".

"أن أستخدم اسمك هكذا دون... أن-..."

قالت: "نعرف بعضنا منذ ستّة أعوامٍ، حان الوقت لإسقاط تلك الرّسميات بيننا - عندما نكون على انفراد".

رسم يُوي ابتسامةً رفيعةً على وجهه:

.

قال: "يبدو أنّني كنت غارقاً في أفكاري، عندما أشعر بالحزن على حالك فإني أفكر فيكِ ك- 'جيسيكا' فقط".

"حزن على حالي! لمَ؟"

هزّ يُوي كتفيه، في الماضي أدرك أنّ جيسيكا لا تتمتّع بقدرةٍ كاملةٍ على كشف الأكاذيب، على عكس ما كانت عليه حبيبته وانا، ومع ذلك كان يتجنب الكذب أمام جيسيكا قدر الإمكان، هكذا أسلم له، "هذا المكان حاله كما ترين يا سي-.. يا جيسيكا"، تلعثم في نطق الاسم للحظةٍ ثم اندفع مكمِّلا حديثه:

"قاحل تماماً بالمقارنة بكالادان. والشعب! نسوة المدينة اللائي مررنا بهنّ في طريقنا إلى هنا كنّ ينتحبن تحت خُمرهنّ، ونظراتهنّ لنا".

عقدت ذراعيها أمام صدرها، محتضنةً نفسها، متحسِّسة سكين الكريسْنايف في صدريّتها، ذاك النّصل المصنوع من سنِّ دودة الرّمال، إن صحّت التّقارير التي تقول هذا، "نحن غرباء عنهم، مختلفون وعاداتنا مختلفة، وفي السّابق لم يعرفوا سوى الهاركونِن"، ثم نظرت للنّوافذ وراءه: "بم كنت تحدق؟".

عاد ينظر للنّافذة وقال: "في النّاس".

اقتربت جيسيكا من النّوافذ وأطلّت منها لليسار، ناحية مدخل المنزل، حيث كان يتّجه نظر يُوي، اصطفّت عشرون نخلة في خطٍ واحدٍ تحيط بهم تربةٌ قاحلةٌ، ويفصلهنّ سياجٌ عن دربٍ يتردّد عليه أناسٌ يرتدون عباءات، التقطت عينا جيسيكا وميضاً خفيفاً في الهواء الواقع بينها وبين النّاس... درع طاقةٍ منزليٍّ، تابعت مراقبتها للزّحام المارّ بالطّريق، متسائلة:

ثمّ تجلّى لها النّمط المتكررِّ فاندهشت واضعةً يداً على وجنتها: إنّها طريقتهم في التّحديق نحو النّخيل! رأت فيها مشاعر حسد، وبعض الكره... بل وبعض الأمل أيضاً، كلّ فردٍ منهم قلّب نظرهُ في تلك النّخلات بتعبيرٍ ثابتٍ وقويٍ.

سألها يُوي: "هل تدرين فيم يفكّرون؟"

قالت: "أَ تدّعي قدرتك على قراءة الأذهان؟"

قال: "هذه الأذهان على الأقل، إنّهم ينظرون لتلك النّخلات ويفكّرون قائلين: 'تساوي مائة منّا'، هذا ما يفكرون".

نظرت له بتقطيبةٍ حائرةٍ: "لماذا؟"

قال: "هذه نخلات تمر، كلّ واحدةٍ تحتاج 40 لتر ماءٍ يومياً، ويحتاج الإنسان 8 لتراتٍ فقط، فالنّخلة الواحدة تساوي خمسةَ رجالٍ، وحيث إنّها 20 نخلة، فالمجموع هو 100 رجلٍ".

"لكنّ بعضهم ينظر للنّخلات نظرة أمل".

"يأملون أن يسقط منها بعض التمّر، وهذا ليس بموسمه".

قالت: "نحن نبالغ في تحليلنا لهذا المكان، فالخطر والأمل موجودان معنا، يمكن للسپايس أن يجعلنا أثرياء، وبخزانة أموال ممتلئة باستطاعتنا أن نغيّر ظروف هذا الكوكب كما نحب"، وضحكت في نفسها ضحكة صامتة: فرطت الضّحكة من قيودها فخرجت ضعيفة خالية من المرح، قالت: "أمّا الأمان فلا يمكن شراؤه".

أشاح يُوي بوجهه ليخفي تعابيره عنها، كانت جيسيكا! تشبه وانا حبيبته في الكثير من تصرّفاتها، لكن تلك الذّكرى حملت معها قسوةً وقيوداً، زادا من عزمه على تنفيذ غرضه، فللهاركونِن طرق تعذيبٍ منحرفةٍ وماكرةٍ، ربمّا تكون وانا حيّة لم تمت، ينبغي أن يكون متيقناً.

قالت جيسيكا: "لا تقلق علينا يا ويلينغتون، فهي مشكلتنا لا مشكلتك".

رمش بعينه ليمنع الدّموع!،

-

.

تنهّد.

سألته: "هل سيستيقظ پاول إذا ألقيتُ عليه نظرة؟"

"على الإطلاق، لقد أعطيته مهدئاً".

سألت: "بدأ يتأقلم مع التغيير؟"

"يشعر بالإرهاق من وقت لآخر، حماسته ترهقه، ومن يلوم فتى في الخامسة عشر إذا ثارت حماسته في مثل هذه الظروف؟"

خطا ناحية الباب وفتحه: "إنّه هنا".

تبعته جيسيكا، وأطلّت برأسها داخل الحجرة المظلمة.

استلقى پاول على سريرٍ ضيقٍ، مُمدِّداً ذراعاً تحت غطاءٍ خفيفٍ والأخرى ملقاةً فوق رأسه، على نافذةٍ مجاورةٍ لسريره كانت ستائر مشقّقة بالعرض، فنسجت على وجهه وغطائه ظلالاً مخططة، أطالت جيسيكا النّظر إلى ابنها، في وجهه البيضاوي الذي يشبهها، أما الشّعر فكان كشعر الدّوق... أشعثَ وبلون الفحم، أهدابٌ طويلةٌ أخفت تحتها عينين بلون اللّيمون.

ابتسمت جيسيكا وبدأت مخاوفها تتراجع، فكرت في الملامح الجينيّة البادية في وجه ابنها، فمنها جاءت العينان وخطوط الوجه، لكن من ناحية الأب بدأت تظهر لمساتٌ حادةٌ، كما يبرز النّضوج من مرحلة الطفولة، فكّرت في ملامحه التي تبدو كاختزالٍ رائعٍ من الأنماط العشوائيّة، قوائمُ انتظار ومصادفات لا نهاية لها للخوض في هذه العلاقة، مما جعلها ترغب في الرّكوع بجوار السّرير وأن تأخذ ابنها في ذراعيها، لكن وجود يُوي جعلها تحجم عن ذلك، فتراجعت وأغلقت الباب بهدوء.

عاد يُوي للنّافذة، غير قادر على احتمال رؤية تلك الطّريقة التي نظرت بها جيسيكا لابنها، سأل نفسه:

ولأوّل مرةٍ طرأت له احتماليّة كونه جزءاً من خطةٍ كبيرةٍ معقدةٍ وملتويةٍ يعجز عقله عن استيعابها.

وقفت جيسيكا جواره وقالت: "في نوم الأطفال غفلةٌ لذيذةٌ".

رد تلقائياً: "ليت الكبار يهنؤون بمثلها".

"أجل".

تمتم: "متى فقدناه؟"

نظرت إليه مستغربةً نبرته الغريبة، لكنّ ذهنها مازال مشغولاً بپاول... في الصّعوبات الجديدة المضافة لتدريبه هنا، وللاختلافات التي طرأت على حياته. ثمّة حياة مختلفة عن تلك التي كانوا قد خطّطوا لها في السّابق.

قالت: "نحن - فعلاً - نفقد شيئاً".

جالت بنظرها نحو تلّ يحمل شجيرات خضراء ورماديّة تثنيها الرياح... أوراقها مغبرّة وأغصانها كمخالب جافّة، والسّماء المعتمة كلطخة حبرٍ تعلو المنحدر، وفوقهم شمس آرّاكس يشعّ نورها بلون اللّبن ليضيف للمشهد لمسةً فضيَّة، كانعكاسٍ سكّين الكريسْنايف المخفيّ في صدريتها.

قالت: "عتمةُ السّماء طاغية!".

قال: "قلّة الرّطوبة في الجّو".

ردّت في حدّة: "الماء! كلما نظر المرء في أيّ اتجاه هنا سيرى آثار قلّة الماء!"

"إنّه سرّ آرّاكس الغامض".

"لماذا الماء قليل هكذا؟ فهناك صخورٌ بركانيٌّة، وعدّة مصادر طاقةٍ أخرى، وهناك جليدٌ قطبيّ، يقولون أنّه لا يمكن الحفر في الصّحراء، حيث إنّ العواصف والمدّ والجزر الرّملي يفسدان الأدوات بمعدّل أسرع من القدرة على استبدالها، هذا إن لم تلتهمها الدّيدان، وعلى أيّة حالٍ لا أثر للماء في الصّحراء أصلاً، لكنّ اللّغز يا ويلينغتون، اللّغز الحقيقيّ هو الآبار التي تمّ حفرها هنا، في مناطق الأودية والأحواض، هل قرأت عنها؟"

قال: "تبدأ كمياهٍ قليلةٍ ثم تجف".

"لكن هذا هو اللّغز يا ويلينغتون، فالماء يكون موجوداً، ثم يجفّ ويتوقف، ولا يعود للبئر مجدداً أبداً، وعندما يحفرون حفرةً أخرى قريبةً فالنّتيجة تتكرّر: قطراتٌ هزيلة ثم ينقطع الماء، ألم يجذْ هذا الأمر فضولاً عند أحدٍ في السّابق؟"

أجاب: "غريبٌ فعلاً، هل تشتبهين في تدخل عضوي؟ لو كان هذا هو السّبب لظهر في عينات التربة العميقة!".

"لظهر ماذا؟ نبتةٌ غريبةٌ أو حيوانٌ مثلاً! ومن سيميّزها أصلاً؟"

عادت بنظرها للتّل المنحدر، "يتعرّض الماء للإيقاف، شيءٌ ما يسدّه، هذا هو اشتباهي".

قال: "ربّما السّبب معروفٌ، فآل هاركونِن حجبوا الكثير من المعلومات الخاصة بآرّاكس، ربّما يوجد دافع لإخفاء هذا الأمر".

سألت: "أيّ دافع يا ترى؟ ثمّ هناك أيضاً رطوبة الجوّ، صحيح أنّها نسبة ضئيلة لكنّها موجودة، إنّها المصدر الرئيسي للماء هنا، يحصل النّاس عليه بجمعه من مصائد الرياح والمرسبات، فمن أين يأتي يا ترى؟"

"من جليد القطبين؟"

"لا يحمل الهواء البارد سوى قدر ضئيل من الرطوبة يا ويلينغتون، هناك أمور محجوبة خلف ستارٍ هاركونِي وتستحقّ الفحص الدقيق، وليست كلّ الأمور متعلقة مباشرة بالسپايس".

قال: "نحن بالفعل قابعون خلف ستار آل هاركونن، ربما لو..." قطع كلامه فجأة منتبها للطريقة الفاحصة التي كانت تنظر له بها. "ما الأمر؟"

قالت: "الطّريقة التي تنطق بها كلمة هاركونِن، حتى صوت الدّوق لا يحمل هذا الكم من الكراهية المسمومة وهو ينطق بهذا الاسم الكريه، لم أكن أعلم أن لديك أسباب شخصية لكرههم يا ويلينغتون!"

فكّر: ! !
: .

قال: "لا تعلمين أن زوجتي، وانا الحبيبة..." اهتز كيانه، غير قادر على التغلب على الغصّة في حلقه. ثم قال: "إنهم..." رفضت الكلمات أن تخرج منه، أصابه الهلع، أغمض عينيه بقوةٍ شاعراً بضيق مؤلم في صدره أعجزه عن الشعور بأي شيء آخر، إلى أن لمست يد كتفه في رفق.

قالت جيسيكا: "سامحني، لم أقصد أن أعيد فتح جرح قديم".

فكّرت: ! -

.

قال: "آسف، أعجز عن الكلام في الأمر"، وفتح عينيه، سامحاً لنفسه بالغرق في مشاعر الأسى الداخلية، على الأقل كان شعوراً لا يحتاج التّمثيل.

تفحصت جيسيكا ملامحه، الوجنتان المرتفعتان، العينان الضّيقتان الدّاكنتان بشكلهما الذي يشبه اللوز، لون البشرة الزبدي، الشارب المتدلي حول شفتين أرجوانيتين وذقن صغيرة، بدت لها تجاعيد الوجنتين والجبهة كعلامات حزنٍ بقدر ما هي في نفس الوقت علامات التّقدم في السّن، اجتاحها شعور بالانسجام والمودة نحوه.

قالت: "ويلينغتون، آسفة لأنّنا أحضرناك لهذا المكان الخطر"،

قال: "جئت بإرادتي"، وتلك أيضاً كانت عبارة صادقة.

"لكنّ الكوكب بأكمله مصيدة هاركونِيّة، بالتأكيد تعلم هذا".

قال: "ليس الدّوق ليتو من تقضي عليه مصيدة"، وهذه أيضاً كانت عبارة صادقة.

أردفت: "معك حق، المفروض أن أثق في قدراته، فهو مخطّط سياسيّ بارع".

قال: "لقد تم انتزاع جذورنا من تربتها، لهذا السبب نشعر بالارتباك".

قالت: "وما أسهل قتل النّبتة عند انتزاعها من تربتها، خصوصاً عندما تضعها في تربة معادية لها".

"وهل نحن متأكّدون بالفعل من أنّ التّربة معادية لنا؟"

قالت: "نشبت أعمال شغبٍ على الماء عندما علم النّاس عدد الأفراد الذين جاء بهم الدّوق وأضافهم لعدد السّكان السابق. لم تتوقف إلا عندما أدركوا أنّنا سنقوم بتركيب مصائد رياحٍ جديدةٍ ومكثفاتٍ إضافيةٍ لتخفيف العبء".

قال: "الماء هنا بالكاد يكفي لإعاشة البشر، والشّعب يعلم أنّ زيادة العدد سيؤدي إلى استهلاكٍ أعلى للماء والذي يؤدي إلى ارتفاع الأسعار، وعندما ترتفع الأسعار سيموت شديدو الفقر، لكن الدّوق حل المسألة، أعمال الشّغب هذه لا تعني بالضّرورة وجود عداءٍ دائم ضدنا".

قالت: "والحرس ينتشرون في كل مكان، ودروع أينما تنظر ترى لمعانها، لم نعش بهذه الطّريقة على كالادان".

قال: "أعطِ لهذا الكوكب فرصة".

لكنّ جيسيكا ظلّت تحدّق في النّافذة بعينين ثابتتين: "أشمّ رائحة الموت في هذا المكان، أرسل حواط فرقاً كاملةً من العملاء كي يسبقونا إلى هنا للاستطلاع، هؤلاء الحرس الواقفون بالخارج هم رجاله التّابعون له، الحمالون تابعون له، وهناك سحوبات كبيرة من الميزانية دون توضيح السّبب، كلّها تدل على شيءٍ واحدٍ فقط لا غير: رشاوي لذوي المناصب الكبيرة"، هزت رأسها: "أينما حل ظافر حواط تبعه الموت والخداع".

"تعيبين عليه!".

"أعيب؟ لا، بل أطري عليه، الموت والخداع هما أملنا الوحيد الآن، لكني لن أخدع نفسي حول أساليب ظافر".

قال: "عليكِ أن... تشغلي نفسك، لا تسمحي بوجود وقت فراغ حتى لا تغلبك تلك المشاعر السوداوية..."

"أشغل نفسي! ألا تعلم ما الذي يستهلك أغلب وقتي يا ويلينغتون؟ أنا سكرتيرة الدوق، مشغولة بدرجة كبيرة وكل يوم يطلعني على أمر جديد يزيد من مخاوفي، أمور لا يدرك هو نفسه أني أعلمها"، زمّت شفتيها وقالت بصوت خافت: "أحيانا أتساءل لأي مدى أسهم تدريبي – في الأعمال الإدارية في بني جيزيرِت - في اختياره لي".

"ماذا تقصدين؟" وجد نفسه مندهشاً للنبرة التشاؤمية، وللمرارة التي لم تظهرها أمامه من قبل.

سألت: "ألا تظن يا ويلينغتون أن سكرتيرة مرتبطة برباط الحب تعدّ أكثر أماناً من غيرها؟"

"جيسيكا، تلك الفكرة لا تليق بك".

صدر التّأنيب من شفتيه تلقائياً، فلا أحد يشكّ في حقيقة مشاعر الدّوق نحو خليلته، تكفي عيناه وهو يتابعها ببصره كدليلٍ على صدق مشاعره.

تنهّدت: "معك حق، لا تليق".

احتضنت نفسها مجدداً، ضاغطةً سكين الكريسْنايف على بشرتها، مستحضرةً ذلك العمل الغير المكتمل الذي ترمز له السّكين.

قالت: "قريباً ستسفك دماءٌ كثيرة، لن يهدأ الهاركونِن إلا بموتهم أو بالقضاء على الدّوق، لا يستطيع البارون أن ينسى نسب ليتو للعائلة الإمبراطورية، حتى وإن كان نسب بعيد، في حينٍ أن ألقاب آل هاركونِن الرّسمية تم شراؤها بأموالهم المكتسبة من كوآم، لكن ما يسمّم عقله فعلاً ويسيطر على تفكيره هو أن أحد أسلاف آل آتريديز حكم بالنفي على أحد أسلاف آل هاركونِن بتهمة الجبن، بعد معركة كورين".

تمتم يُوي: "العداء القديم". وللحظةٍ عابرةٍ شعر بحرارة الكراهية تشتعل داخله، فالعداء القديم سبب وقوعه في شباك المصيدة، ومقتل حبيبته وانا أو ربما تكون في حال أسوأ من الموت: أوقعها في يد وحوش التّعذيب إلى أن ينفذ زوجها المطلوب منه، العداء القديم أوقعه في مصيدته، وهذه الأسرة جزء من هذا الشيء المسموم، ومن المفارقات أن تسقط بذور تلك المأساة المميتة على أرض آرِّاكس... المصدر الوحيد في الكون لمزيج السپايس، مطيل الحياة، وواهب الصحة.

سألته: "فيمَ تفكر؟"

"أفكر أن ديكاغرام واحد من السپايس يباع بـ 620000 سولاريس في السّوق العام الآن، تلك ثروة يمكن أن تشتري الكثير من الأشياء".

"أصابك الجشع يا ويلينغتون؟"

"ليس جشعاً".

"ماذا إذن؟"

هزّ كتفيه: "أمرٌ عقيمٌ"، نظر نحوها: "تذكرين أول مرة تذوقتِ السپايس؟"

"طعمه يشبه القرفة".

قال: "لكنه طعمٌ لا يتكرّر أبداً فهو كالحياة... يرينا وجهاً جديداً في كلّ مرةٍ، يقول البعض أنّ السپايس يَستخرج من الجسد ردّ فعلٍ إدراكي، فعندما يدرك الجسد أن المادة مفيدةٌ له يجعل طعمها شهياً، ومصدراً للنّشوة، وكالحياة لا يمكن اصطناع مادة مطابقة له".

قالت: "كان الأولى بنا لو هربنا، أن نأخذ أسرتنا بعيداً عن براثن الإمبراطورية".

رأى أنّها لم تكن تصغي لما يقوله، فركّز على كلماتها وتساءل: فعلا... لِم لم ترغمه؟ بإمكانها أن تجعل الدّوق ينفذ رغباتها.

عجّل بسؤاله لكونه سؤالاً صادقاً وطريقة لتغيير الموضوع: "هل ستعتبرينها وقاحة مني... يا جيسيكا... إن وجهت لك سؤالاً شخصياً؟"

مالت على إفريز النافذة وقد شعرت بنبضة قلقٍ فجائيةٍ غير مفهومة: "بالطبع لا، فأنت... صديقي."

"لماذا لم تجعلي الدّوق يتزوجك؟"

التفت محملقة: "أجعله يتزوجني؟ لكن..."

قال: "ما كان لي أن أسأل، أعتذر".

"لا"، هزت كتفيها"، السّبب سياسي، فطالما ظلّ الدّوق غير متزوج سيحتفظ بعض نبلاء الأسر الأخرى بأمل في عقد تحالف معه عبر المصاهرة. و..." ، تنهّدت: "حثّ النّاس... إجبارهم على تنفيذ رغباتك... يجعلك في النّهاية تتخذ موقفاً تشاؤمياً كئيباً تجاه البشرية، إنّه أسلوب يقلّل من قيمة كل ما يلمسه، لو أرغمته أن يقوم ب... هذا، فلن يكون ناتجاً عن اختياره الحر".

تمتم: "يطابق ما كانت تقوله وانا"، وتلك العبارة أيضا كانت صادقة، وضع يده على فمه، مبتلعاً لعابه في حركة متشنجة، كاد أن يعترف، ويفضح سرّ دوره فيما سيجري.

تكلمت جيسيكا فتناثرت اللّحظة.

"بالإضافة إلى أنّ الدّوق شخصان مختلفان، واحد منهما أحبه حباً جماً، فاتن وفطن ويراعي الآخرين... ورقيق... كل ما يمكن لامرأة أن تتمناه، أما الآخر ف... بارد وقاس وآمر وأناني... صلب ووحشي كرياح الشتاء، هذا الثاني صنيعة والده".

التوت قسمات وجهها: "تمنّيت لو مات ذاك العجوز فور ولادة دوقي!"

ملأ الصّمت الذي حلّ بينهما صوت مداعبة نسائم التّهوية بين طيات السّتائر في الغرفة.

أخذت نفساً عميقاً وقالت: "ليتو معه حق... هذه الغرف أجمل من تلك الموجودة بأقسام المنزل الأخرى"، واستدارت فاحصة الحجرة ببصرها: "اعذرني يا ويلينغتون، سألقي نظرة أخرى على هذا الجناح قبل توزيع الحجرات على أصحابها".

أومأ: "بالطبع".

وفكّر: . .

أرخت جيسيكا ذراعيها وتقدمت لباب الردهة، وقفت هناك للحظة، مترددة، ثم خرجت.

. . .

تردّدت مرة أخرى وكادت تعود لتواجه يُوي وتستخرج منه ما يخفيه، لكن هذا سيسبب له الإحراج، وسترعبه فكرة سهولة قراءتي لتعابيره وتصرفاته، عليّ أن أضع ثقتي في أصدقائي.

9

"لاحظ العديدون السّرعة التي تعلّم بها المؤدّب ضرورات الحياة على آرِّاكس. وبالطّبع، تعرف أخوات بني جيزيرت السّبب الذي يكمن وراء تلك السّرعة، أمّا لمن هم خارج بني-جيزيرت نصرّح لهم بالآتي: نجح المؤدّب في التّعلم بسرعةٍ لأنّه خضع منذ صغره للتّدريب على كيفيّة التّعلم، وأوّل هذه الدّروس على الإطلاق كان أن يثق ثقةً أساسيّة في قدرته الذّاتية على التّعلم، يصدمنا ذاك العدد الهائل من البشر الذين لا يؤمنون بقدرتهم على التّعلم، ناهيك عن العدد الأكبر الذي يعتقد أن التّعلم صعب، أمّا المؤدّب فقد كان يدرك أنّ كل خبرة نمرّ بها تحمل معها درسها الخاص".

من كتاب (بشرية المؤدّب)، تأليف الأميرة إيرولان

تمدّد پاول على السّرير متظاهراً بالنّوم، كانت عملية إخفاء حبّة المنوم في راحة يده أمراً سهلاً، كما كان التّظاهر بابتلاعها سهلاً أيضاً، كتم پاول ضحكته، حتى أمه ظنّته نائماً، كان يوشكُ على القفز من السّرير لطلب الإذن في استكشاف المنزل، لكنّه أدرك أنها لن توافق على هذا، فالأمور لم تستقّر بعد، لا هكذا أفضل.

.

كان قد سمع أمه ويُوي يتحدثان في الحجرة الأخرى، لم يتبين كلماتهما، سمع السپايس وآل هاركونِن، وتأرجحت نبرة المحادثة بين ارتفاع وهبوط.

انتقل انتباه پاول لعارضة ظهر السرير، عارضة تخفي الأزرار التي تتحكم في وظائف الحجرة، برز على الخشب الاصطناعي شكل سمكة طائرة وتحتها خطوط موجية سميكة بنيّة اللون، كان يعرف أنّه لو ضغط على عين السّمكة فستضيء المصابيح المعلقة، وأن تدوير أحد هذه الخطوط للتحكم في التهوية، بينما الموجة الأخرى مسؤولة عن تغيير درجة الحرارة.

اعتدل پاول في سريره جالساً، على يساره وقفت خزانة كتب طويلة مستندةً إلى الحائط، حيث يمكن إزاحتها جانباً فتظهر خلفها خزانة ملابس على أحد جانبيها أدراج داخلية، أمّا مقبض الباب المؤدي إلى الرّدهة فكان على شكل عصا الدّفع فيّ طائرات الأورنيثوبتر.

بدا له وكأن ديكور الحجرة صُمّم خصيصاً لإرضاء رغباته، الحجرة وهذا الكوكب بأكمله.

فكّر في كتاب الميكروفيلم الذي أراه يُوي له، بعنوان (آرِّاكس: مراكز اختبار الإنبات الصحراوي التّابعة لجلالة الإمبراطور)، كان كتاباً قديماً، من الفترة السّابقة لاكتشاف السپايس، وتتابعت الأسماء متطايرة في ذهن پاول، كل اسم مصحوب بصورته المطبوعة على نبضات الكتاب التذكرية: الساغوارو، شجيرة الحمار، نخيل التمر، زهرة فيربينا الرمال، زهرة بريمروز المساء، الصبار البرميلي، شجيرة البخور، شجرة الدخان، الشجيرة الزيتية، الثعلب القطي، صقر الصحراء، الفأر الكنغري. أسماءٌ وصور كأنها من الماضي الأرضي للإنسان، كثيرة منها لم تعد موجودة في أي مكان آخر بالكون سوى هنا على آرِّاكس.

أشياء كثيرة يجب تعلمها. السپايس. وديدان الرمال.

أُغلق بابٌ في الحجرة الأخرى، سمع پاول صوت خطوات أمه تبتعد في الرّدهة، كان يعلم أن دكتور يُوي سيبحث عن شيء ليقرأه وسيظل جالساً في الحجرة الأخرى.

الآن الوقت المناسب للاستكشاف.

نهض پاول من السّرير واتجه لباب خزانة الكتب والمؤدي لخزانة الملابس، لكنّه توقّف عندما سمع

صوتاً خلفه، فاستدار... تحرّكت عارضة السّرير المنحوتة للوراء، تماماً فوق البقعة التي كان مستلقياً عندها منذ لحظات، تسمَّر پاول في مكانه، وسكونه هذا أنقذ حياته.

من خلف العارضة انزلق جهاز 'صيّاد متتبّع' صغير، لا يزيد طوله عن خمسة سنتيمترات. عرفه پاول، فهو سلاحٌ شائعٌ مستخدمٌ للاغتيالات، يدرسه كل أطفال الأسر النّبيلة منذ الصّغر. شظيَّة معدنيةٌ، كالحيوان المفترس المتربّص، تتحكّم فيه يد وعين شخص يختفي في مكان قريب، وظيفتها اختراق الجسد لتشقّ طريقها ملتهمةً القنوات العصبيّة إلى أن تصلَ لأقرب عضو حيوي.

ارتفع المتتبّع في الهواء، ودار في الحجرة هنا وهناك.

اشتعلت في ذهن پاول المعلومات المعروفة عن الجهاز، بما فيها نقاط ضعف الصّياد المتتبّع: مجاله المضاد للجاذبية مضغوط في حيزٍ صغيرٍ مما يشوّه قدرة عينِ الجهاز على إرسال صورةٍ واضحةٍ، وحيث إنّ النّور في الحجرة خافتٌ ولن يكشف الهدف سيضطر المتحكم في الجهاز الاعتماد على حركة الشّخص المستهدف، أي سينتبه لأيّ شيء متحرك.

يمكن لدروع الطّاقة أن تبطئ حركة المتتبع، مما يعطي لپاول فرصة لتدمير الجهاز، لكنه كان قد خلع درعه ووضعه على السّرير.

ويمكن لمسدسات اللّيزر أن تقضي على المتتبع، لكنها غير شائعة الاستخدام، لسعرها المرتفع ولأنها تحتاج للصيانة الدائمة، ناهيك عن احتمالية حدوث انفجار ناري إن تقاطع شعاع الليزر مع حقل طاقة درع نشيط، وفي الدّفاع يعتمد آل آتريديز على دروعهم وفطنتهم.

وقف پاول متخشباً، فلن يفيده في التصدي لهذا الخطر سوى ذكائه.

ارتفع الصيّاد المتتبّع لنصف مترٍ آخر، تموّجت على سطحه خيوط الضوء القادمة عبر ستائر النافذة، عابراً إياها هنا وهناك، خلال تجوله في أركان الحجرة.

.

هبط المتتبّع نصف متر، ومال لليسار ثم دار في دائرة حول السّرير، صدرت منه همهمةٌ خافتة.

.

سمع صرير باب الرّدهة، وصوت طرقةٍ، ثم انفتح باب غرفته.

وكالسّهم، انطلق الصّياد المتتبّع ماراً برأسه، متجهاً صوب الحركة.

في سرعةٍ خاطفةٍ مدّ پاول يده ممسكاً بالسّلاح القاتل، تلوّى الجهاز في يده مصدراً طنيناً، فشدّ قبضته أكثر خيفةَ أن يفلت منه، وباستدارة ودفعة عنيفتين ضرب مقدمة السّلاح في السّطح المعدني للباب، شعر بتحطّمه وبتهشّم العين في مقدّمته وانطفأ المتتبّع في يده.

لكنّه ظل قابضاً عليه، كي يتيقّن تماماً.

رفع پاول بصره فالتقى بنظرةٍ محدقةٍ، عين الشادوت مايپس تامّة الزّرقة.

قالت: "والدك أرسل يستدعيك للحضور، جاء رجالٌ لرفقتك وهم في ردهة القصر".

أومأ پاول، تفحّص المرأة الغريبة، في ثوبها الفضفاض ذي اللّون البني المشير لطبقة العبيد، أمّا هي فكانت تنظر للشيء الذي يقبض عليه في يده.

قالت: "لقد سمعت عن مثل هذه الأشياء، كاد يقتلني، صحيح؟"

ازدرى ريقه: "أنا... كان يستهدفني أنا".

"لكنه كان قادماً نحوي".

"لأنكِ تحركتِ".

وتساءل:

قالت: "إذن أنقذت حياتي".

"أنقذتُ حياتنا نحن الاثنين".

قالت: "كان في وسعك أن تتركه يهاجمني، وتفلت بجلدك".

سألها: "من أنتِ؟"

"الشادوت مايبس، كبيرة الخدم".

"كيف علمتِ بمكاني؟"

"أمك أخبرتني، قابلتها عند السّلالم المؤدية للحجرة العجائبية في نهاية الردهة"، ثم أشارت ليمينها: "لا زال رجال أبيك ينتظرون".

.

قال: "اذهبي لرجال أبي، أخبريهم أني أمسكت بصيّاد متتبّع في المنزل، وأنّ عليهم الانتشار في المكان للبحث عمن كان يتحكم به، وأخبريهم أن يغلقوا فوراً كل منافذ المنزل وما يحيط به من ساحة، سيفهمون المطلوب وكيفية التّصرف، لا شكّ أن المتحكّم في الجهاز دخيل".

لكنّه شعر بأنّها ليست الشّخص المطلوب، إذ كان المتتبّع يعمل عندما دخلت.

قالت مايبس: "قبل أن أنفّذ أوامرك أيها الفتى يجب أن أزيح شيئاً بيننا، لقد أثقلتني بـ 'عبء ماء' لست متأكدة من رغبتي في الوفاء به، لكنّنا - نحن الفريمن - نؤدي ما علينا من ديون، سواء كانت ديوناً سوداء أو بيضاء، إنّه من المؤكد لدينا وجود خائن بينكم، لا نعرف من هو بالتحديد، لكنّنا نعلم بوجوده، ربّما يده كانت توجه قاطع اللّحم هذا".

استمع پاول لكلامها في صمت، ! وقبل أن يجيبها استدارت المرأة الغريبة خرجت من الباب على عجل.

فكّر أن يناديها، لكن شخصيّتها وأسلوبها أخبراه بأنّها ستستاء، فقد أخبرته بما تعرفه ثم ذهبت لتنفّذ أوامره، وفي لحظات سيزدحم المنزل برجال حواط، عاد يتأمل تفاصيلاً أخرى من تلك المحادثة العجيبة، ! نظر ليساره حيث كانت قد أشارت.

! إذن هي من الفريمن.

توقّف للحظة ليسمح للومضة العقليّة الحافظة أن تسجّل ملامح وجهها في ذاكرته: ملامح مجعّدة يبدو عليها الجفاف، بنيّة قاتمة اللّون، بعينين زرقاوين ليس فيهما بياض، ربط الاسم بالملامح: الشّادوت مايبس.

استدار في الحجرة وهو لا يزال قابضاً على جهار المتتبع المهشّم، والتقط حزام درع الطّاقة الخاصّ به من السّرير، وعلّقه على وسطه وربطه، ثم جرى متجهاً لنهاية الرّدهة نحو اليسار، كانت قد ذكرت أنّ أمه هنا في مكان ما، ذكرت سلالم و... حجرة عجائبية.

10

من أين استمدّت اللّيدي جيسيكا قوّتها في وقتٍ محنتها؟ تأمّل جيِّدا هذه الحكمة عند بني-جيزيرِت وقد تعينك على الاستيعاب: الدّرب الذي تسلكه بدقّة متناهيةٍ سعياً للوصول لنهايته لن يقودك لنهايته ولا لأي مكان محدّد، يكفي أن تتسلق جزءاً من الجبل لتتأكد من أنه جبل، أما من قمة الجبل فلن تستطيع رؤية الجبل".

من كتاب (المؤدّب: تراجم سيرة أسرية)، تأليف الأميرة إيرولان

في الجناح الجنوبي من المنزل وجدت جيسيكا سلَّما معدنياً يصعد ملتوياً نحو باب بيضاوي الشّكل، التفتت إلى الردهة خلفها ثم عادت ببصرها للباب.

عبر النّوافذ تحت السّلم الحلزوني الملتوي، لمحت شمس آرِّاكس البيضاء تتحرك نحو الغرب، واخترقت الرّدهة ظلال المساء، أعادت انتباهها للسّلم، فرأت - في ضوء جانبي خافت - بقعاً من التّراب الجافّ ملتصقة بقوائم السّلم المعدنية.

وضعت جيسيكا يداً على الدّرابزين وبدأت تصعد، كان ملمس الحاجز بارداً تحت راحتها المنزلقة، توقّفت عند الباب فلم تر مقبضاً، لكنها لمحت في موضع المقبض بقعةً منخفضةً قليلاً.

لكنه كان يبدو فعلاً كقفل يفتح براحة اليد، وهناك طرق لفتح هذا النّوع من الأقفال - كما علموها في المدرسة.

ألقت نظرة خلفها لتتأكد من عدم وجود من يراقبها، ووضعت راحة يدها على البقعة، ضغطة رقيقة كي ينبعج شكل خطوط اليد، ثم لفة معصم. لفة أخرى، ثم مسح الراحة بحركة ملتوية على السطح.

شعرت بالقفل ينفتح.

سمعت خطوات مسرعة قادمة من الردهة تحتها، نزعت جيسيكا يدها عن الباب واستدارت فرأت مايپس تقترب من أسفل السّلم.

قالت مايپس: "في ردهة القصر رجال يقولون أن الدّوق أرسلهم ليحضروا السّيد الصّغير پاول، معهم شارة ختم الدّوقية والحارس يعرفهم وتأكّد من شخصيتهم".

رمت نظرة سريعة نحو الباب ثم إلى جيسيكا.

قالت: "ستجدينه في خامس حجرةٍ من طرف الممر هذا، حجرة النّوم الصّغيرة، إن واجهتك صعوبةً في إيقاظه فنادي على الدّكتور يُوي في الحجرة المجاورة، قد يحتاج پاول لحقنةٍ توقظه من المنوم".

حدّقت مايپس مجدداً في الباب البيضاوي، وخال لجيسيكا أن تعابير الوجه تحمل بغضاً نحوه، لكن قبل أن تتمكن جيسيكا من سؤالها عن الباب وما يخفيه كانت مايپس قد استدارت مبتعدةً بسرعة ناحية الممر.

دفعت الباب فدار للداخل كاشفاً غرفةً صغيرةً لها باب بيضاوي آخر في الاتجاه المقابل، وقد حمل الباب الآخر عجلة فتح.

نظرت لأسفل فلمحت دعامة باب ساقطة على أرض الغرفة الصغيرة، كانت الدّعامة تحمل علامة حواط الشّخصية.

.

خطت فوق العتبة إلى داخل الحجرة الصّغيرة. وخطرت ببالها فكرة وجود كائنات غريبة تمّ عزلها في مناخٍ خاصٍ.

!ليس غريباً على كوكب مثل آرّاكس، فهنا حتى أشدّ النباتات المستوردة تحمّلا للجفاف تحتاج للرّي.

الباب خلفها بدأ ينغلق بالتّدريج، فلحقته وأسندته بالعصا التي تركها حواط كي يظلّ مفتوحاً، ثم عادت لتواجه الباب الداخلي ذي العجلة الدّوارة، ولاحظت وجود نقشٍ باهتٍ محفورٍ في الجزء المعدنيّ فوق المقبض، تعرّفت على الكلمات المكتوبة باللّغة الجالاكية:

"أيا أيّها الإنسان، ستجد هنا قطعة مبهجة من مخلوقات الرّب، قف أمامها وتعبّد في كمال خليلك الأعلى".

ضغطت جيسيكا على العجلة، فدارت يساراً وانفتح الباب الدّاخلي، داعبت وجنتها نسمة هواءٍ رقيقةٍ اضطربت لها خصلات شعرها.

شعرت بتغيّرٍ في الهواء، ورائحةٍ قويةٍ، فتحت الباب على أقصى اتّساع له وأطلّت، فرأت خضرةً كثيفةً وشمساً صفراء تتدفّق خلالها.

.

عبرت متخطيّة العتبة فانزلق الباب منغلقاً خلفها.

قالت بصوتٍ منبهرٍ: "مستنبتٌ زجاجيّ لنباتات كوكبٍ مائي!"

انتشرت حولها نباتاتٌ مغروسةٌ في أوعية، وشجيراتٌ مشذبةٌ، تعرّفت على ميموسا، وسفرجل مزهرة وسونداغي وبلينيسينتا [عطرية] مخضوضرة ونبتة أكارسو مخطّطة بالأبيض والأخضر... وورود.

!

انحنت لتشمّ عطر زهرةٍ ضخمةٍ ورديّة اللّون، ثم اعتدلت وفحصت الغرفة، صوتٌ رتيبٌ استحوذ على حواسها.

شقّت طريقاً بين أوراق الشّجر المتداخلة فيما يشبه الغابة، واخترقت ببصرها لمنتصف الغرفة، فرأت نافورةً صغيرةً منخفضةً بحواف محزّزة، صدر الصّوت الرّتيب عن قوس ماءٍ يتساقط على دفعاتٍ فيطرق سلطانيّة معدنية.

تبنّت جيسيكا حالة التّطهير الذّهني، وشرعت في فحص دقيقٍ ومنهجي لمحيط الغرفة، كانت مساحتها تقترب من 10 أمتار مربعة، وبالنّظر لموقعها في أعلى نهاية الممر، ولاختلافات دقيقة أخرى بادية في تصميمها، استنتجت أن الغرفة إضافة حديثة لهذا الجناح بعد إتمام البناء الأصلي.

توقفت عند الطّرف الجنوبي للغرفة، أمام الزّجاج الواسع ونظرت حولها، كل شبرٍ في الغرفة كان مزدحماً بنباتات مستوردة من مناخ مائي، سمعت صوت حفيفٍ قادم من بين الخضرة، توتّرت للحظة ثم لمحت جهاز سيرڤوك ميكانيكي بسيط، تخرج منه خراطيم وأنابيب على هيئة أذرع، ارتفع ذراع وانبثقت منه رشّة رطوبةٍ خفيفةٍ بللت وجنتيها، تراجع الذّراع فرأت شجرة سرخس.

الماء بكلّ مكانٍ في هذه الغرفة - وعلى كوكبٍ يعتبر الماء أندر سائلٍ باعثٍ للحياة، إسرافٌ شنيعٌ صدمها حتى النّخاع.

ألقت نظرة على الشمس الصّفراء، كانت منخفضة فوق أفقٍ متعرِّج، تطل على تلالٍ تكوّن جزءاً من المرتفع الصّخري الهائل المعروف باسم الجدار الجبلي.

.

تذكرت التّقرير الذي ورد فيه أن العديد من المنازل الآرِّاكسية تحوي أبواباً ونوافذ عازلةً بغرض الحفاظ على الرطوبة الداخلية وإعادة تدويرها، ليتو قال إن هذا المنزل يتجاهل هذه الإجراءات عن قصد، كدلالة على السلطة والثراء، فأبوابه ونوافذه غير معزولة إلا ضدّ دخول الغبار السّائد.

أمّا هذه الغرفة فتجسّد تصريح ذي مغزى أكبر بكثير من مجرد غياب عوازل الرّطوبة على الأبواب الخارجية للمنزل، فغرفة الترفيه هذه تستهلك من الماء ما يكفي لسدّ حاجة ألف شخصٍ على آرِّاكس... بل وربما أكثر حسب تقديرها.

مشت جيسيكا محاذاة النافذة مستمرةً في تفحص الغرفة، اكتشفت سطحاً معدنياً بقرب النّافورة، في ارتفاع المناضد المعتاد، ولمحت عليه لوح كتابةٍ أبيض وقلم أخفتهما جزئياً، وورقة شجرٍ مروحيّة الشكل. اقتربت من المنضدة ولاحظت وجود علامة حواط عليها، وقرأت الرّسالة المكتَّوبة على اللّوح:

إلى اللّيدي جيسيكا..

أتمنى أن يمنحك هذا المكان متعةً تعادل ما منحه لي، أرجو أن تسمحي لهذه الغرفة أن تذكرك بدرس تعلمناه كلانا من نفس المعلمين: كلّما سكن المرء قريباً مما يشتهيه يبالغ في الانغماس فيه، وهذا الدرب محفوف بالمخاطر.

مع أطيب تمنياتي،

مارجوت ليدي فينرنغ

هزت جيسيكا رأسها متذكرة أن ليتو أشار للوكيل الإمبراطوري السّابق - الذي كان يسكن هذا المنزل - باسم: الكونت فينرنغ، لكن اهتمامها انصب على الرّسالة المخفيّة في الكلمات، خاصة وأنها صيغت بطريقة تخبرها أن الكاتبة كانت واحدة من بني-جيزيرِت. عبرت خاطرةٌ مُرَّةٌ ذهن جيسيكا:

!

انحنت تبحثُ عن الرّسالة المخفية، لم يكن لديها شكٌ من وجودها، فالرسالة الظاهرية احتوت على العبارة المشفّرة التي يتحتم على كل بني جيزيرِت أن تقولها لأي من زميلاتها عندما تستدعي الظروف - إن لم يكن هناك أمرٌ صريحٌ من المدرسة يمنع هذا - عبارة: وهذا الدّرب محفوفٌ بالمخاطر.

تحسّست جيسيكا ظهر الرّسالة، حكت السّطح بحثاً عن نقاطٍ بارزةٍ، لم تجد شيئاً، تحسّست أصابعها طرف لوح الكتابة، لا شيء!

أعادت اللّوح للمكان الذي وجدته فيه، شاعرةً بالحاجة للإسراع.

لكن حواط فحص هذه الغرفة قبلها وبالتّأكيد قام بتحريك اللّوح. نظرت لورقة الشّجر التي تعلو اللّوح.
! تحسّست بأصبعها السّطح الباطني للورقة وحول الحواف والسّاق. وجدتها! مرّرت أصابعها على النّقاط البارزة وتعرّفت على الفقرة: "إبنك ودوقك في خطر داهم، تم تصميم حجرة نوم بحيث ينجذب إليها ابنك، أغرقها آل "هـ" بمصائد موتٍ يسهل اكتشافها بحيث تبقى واحدة يستحيل اكتشافها".

كبحت جيسيكا رغبتها الملحة في الهرع إلى ابنها، فعليها أولاً أن تقرأ الرّسالة كاملةً، أسرعت

أناملها متحسّسة باقي النّقاط.

"لا أدري طبيعة الخطر بالتّفصيل، لكنه متعلق بسرير، أما الخطر الذي يواجه الدّوق فمتعلق بانشقاق أحد الرفاق الموثوق فيهم أو الضباط، يخطط الـ "مـ" لجعلك هدية لأحد أتباعهم، هذا المستنبت آمن حسب علمي، اعذريني لعدم قدرتي على إعطائك المزيد من المعلومات، فمصادر معلوماتي محدودة حيث إن زوجي ليس ممن يتلقون الرّشاوي من الـ "مـ"، تمّت كتابة هذا على عُجالة. م ف."

أزاحت جيسيكا الورقة جانباً واستدارت لتسرع نحو پاول، انفتح باب غرفة معادلة الضّغط بعنفٍ، وقفز پاول عبره ممسكاً شيئاً في يمناه، ثم أغلق الباب خلفه بقوّة، لمح أمّه فأزاح أوراق الشّجر ليتّجه نحوها، ألقى نظرةً على النّافورة ثم غمس يده - والشّيء الذي يقبض عليه - تحت الماء المتساقط.

"پاول!" أمسكت والدته كتفه محدّقة في اليد: "ما هذا؟"

ردّ بنبرةٍ هادئةٍ، لكنّها شعرت بالجهد الذي يبذله ليحافظ على هدوئه الظاهري: "صيّاد متتبع، أمسكته في حجرتي وهشّمت أنفه، لكن أردت التيقن من تعطله، سيحرق الماء أسلاكه".

قالت بنرة آمرة: "أغرقه بالكامل".

أطاعها.

بعدها بلحظات قالت: "اسحب يدك، واتركه في الماء".

أخرج يده ونفض الماء عنها، ونظر للمعدن الساكن في ماء النافورة، قطعت جيسيكا ساق ورقة نبات ونخست المعدن الفضي القاتل.

ميت، رمت السّاق في الماء ونظرت لپاول، تجولت عيناه في الغرفة بنظرةٍ باحثةٍ مدقِّقة... طريقة بني-جيزيرِت.

قال: "في هذا المكان يمكن إخفاء الكثير من المصائد".

قالت: "عندي من الأسباب ما يجعلني أعتقد أنه آمن".

"حجرتي أيضاً كان من المفترض أنّها آمنة، حواط قال..."

ذكّرته: "هذا صيّاد متتبع، مما يعني أن شخصاً من داخل البيت كان يتحكم فيه، مجال أشعّة التّحكم في المتتبّعات محدود، ربّما تمّ تهريبه خفية بعد تأمين حواط للمكان".

لكنّها فكّرت في الرّسالة التي حملتها ورقة الشّجر: "... انشقاق أحد الرفاق الموثوق فيهم أو الضّباط."

قال: "رجال حواط يفتّشون البيت في هذه اللّحظة، كاد هذا المتتبع أن يصيب تلك المرأة العجوز التي جاءت لتوقظني".

قالت جيسيكا: "الشادوت مايپس!" متذكرةً لقاءهما على السّلم، "أبوك استدعاك كي ت..."

قال پاول: "يمكن لهذا الأمر أن ينتظر، لم اقتنعت بأن هذه الغرفة آمنة؟"

أشارت للرّسالة وشرحت له أمرها، استرخت عضلاته بعض الشيء.

لكن داخلياً كانت جيسيكا متوترة الأعصاب: ! ! ولولا تدريبها في أساليب التّهدئة لدخلت في نوبة اضطراب هيستيري.

قال پاول بلهجةٍ قاطعةٍ: "هم الهاركونِن بالطبع، علينا أن ندمرهم".

سمعا طرقات على باب الغرفة المعزولة، الطرقات السرية المتعارف عليها، علامة جنود حواط.

نادى پاول: "ادخل".

انفتح الباب على اتساعه وأطل منه رجل طويل يرتدي زي آل آتريديز الرّسمي وشارة حواط على قبعته، قال: "أنت هنا يا سيدي، كبيرة الخدم قالت ستكون هنا"، جال بنظره في أنحاء الغرفة ثم قال: "وجدنا تجويفاً حجرياً في القبو وقبضنا على رجل داخله، كان معه لوح مفاتيح تتحكم في جهاز المتتبع".

قالت جيسيكا: "أريد أن أحضر جلسة الاستجواب"،

"آسف يا سيدتي، اضطررنا للتعامل معه بعنف أثناء القبض عليه، مات".

سألت: "لا شيء يرشدنا لهويته؟"

"لم نجد شيئاً حتى الآن يا سيدتي".

سأل پاول: "هل كان من السّكان المحلّيين الآرِّاكسيين؟"

أومأت جيسيكا معجبة بفراسة السّؤال.

قال الرجل: "ملامحه محلية، ومن هيئته يبدو أنه تمّ وضعه في التّجويف الحجري منذ أكثر من شهر، وأمروه بأن يظل هناك منتظراً قدومنا، الحائط الحجري والملاط اللذان خرج عبرهما في القبو كانا في مكانهما الطبيعي عندما فحصنا المكان بالأمس، أراهن بسمعتي على صحة هذا".

قالت جيسيكا: "لا أحد يشكك في إتقانك لعملك".

"أنا أشكك فيها يا سيدتي، كان الأولى أن نستخدم مجسّات صوتية في القبو".

قال پاول: "أتوقع أنكم تقومون بهذا الآن".

"نعم سيدي".

"أرسل لأبي وأخبروه أننا سنتأخر".

"في الحال سيدي"، ورمى بنظرة نحو جيسيكا: "أوامر حواط أنه في مثل هذه الظروف يجب حراسة السّيد الصغير في مكان آمن".

جالت عيناه مجدداً في أنحاء الغرفة: "ما حال هذا المكان؟"

قالت: "عندي أسباب تجعلني أراه مكاناً آمناً، فحصناه أنا وحواط".

"إذن سأضع حرساً بالخارج يا سيدتي، إلى أن نفحص المنزل مرة أخرى"، انحنى ولمس قبعته تحية لپاول، ثم تراجع وأغلق الباب خلفه.

كسر پاول الصمت: "أليس من الأفضل أن نعيد فحص المنزل بأنفسنا؟ قد تلتقط عيناك ما يعجز الآخرون عن ملاحظته".

قالت: "هذا الجناح كان المكان الوحيد الذي لم أفحصه، أجّلته للنهاية لأن..."

قال: "لأن حواط اهتم بفحصه بنفسه".

رمته بنظرة سريعة، متسائلة: "هل تشكّ في حواط؟"

"لا، لكنّه تقدّم في العمر، ومسؤولياته زادت جداً، يمكن أن نريحه بتخفيف بعض الحمل عن عاتقه".

قالت: "لن يفيد هذا إلا شعوره بالعار مما سيؤدي إلى إعاقة كفاءته، بعد أن يعرف ما حدث هنا لن تنجح حشرة في التّسلل لهذا المكان، سيشعر بعار شدي-..."

قال: "يجب أن نأخذ احتياطاتنا الخاصة".

قالت: "خدم حواط ثلاثة أجيال من آل آتريديز خدمة شريفة، يستحق منا كل احترام وثقة... أضعافاً مضاعفةً".

قال پاول: "عندما يتضايق أبي من شيء فعلتيه فإنه يقول: بني-جيزيرِت!، وكأنّها شتيمة".

"وما الذي أفعله ويضايق والدك؟"

"عندما تتجادلين معه".

"أنت لست أباك يا پاول".

فكر پاول: .

سألته جيسيكا: "ما الذي ترفض التصريح به؟ ليس هذا من عادتك يا پاول".

هزّ كتفيه وحكى لها حواره المتبادل مع مايپس.

فاتّجهت أفكار جيسيكا للرسّالة المكتوبة على ورقة الشّجر، اتّخذت قراراً سريعاً وعرضت الورقة على پاول وأخبرته بما تحتويه.

قال: "يجب إخبار أبي بهذا على الفور، سأقوم بتشفيرها ثم إرسالها عبر اللاسلكي".

قالت: "لا، تمهّل حتى تراه وجهاً لوجه، يجب ألا يعلم بشأنها سوى قلّة من النّاس".

"تقصدين ألا نثق في أحد؟"

قالت: "هناك احتمالية أخرى، تلك الرّسالة ربما أريد لها أن تقع في أيدينا، قد يؤمن بصحتها من نقلوها لنا، لكن ربّما كان الهدف الوحيد وراءها هو إيصالها لنا".

جمد وجه پاول: "كي يزرعوا الشّك وعدم الثّقة في صفوفنا... طريقتهم لإضعافنا".

قالت: "ينبغي أن تخبر والدك على انفراد وأن تحذره بخصوص هذه الاحتمالية".

"فهمت".

استدارت نحو الزّجاج الواسع ونظرت عبره في الاتجاه الجنوب الغربي حيث توشك شمس آرِّاكس على الغروب... كرة صفراء فوق التّلال.

استدار پاول مثلها وقال: "أنا أيضاً لا أظن حواط هو الخائن، هل هناك احتمال أنه يُوي؟"

قالت: "لكنّه ليس من الضّباط ولا المرافقين، وأؤكد لك بأنه يكره الهاركونِن بنفس كرهنا لهم".

ركز پاول انتباهه على التلال، مفكراً: ... .

... .

دلّكت جيسيكا جبهتها، شاعرة بالإرهاق. !نظرت للمنظر الطبيعي المشوب بصفرة الزجاج، امتدت ما وراء الأراضي الدّوقية ساحة تخزين محاطة بسور عالٍ، تصطف في السّاحة خطوط من صوامع تخزين السپايس، وحولها أبراج حراسة بدت بقوائمها كعناكب أصابها الفزع

المفاجئ، في مجال نظرها ما لا يقل عن 20 من صوامع التخزين ممتدة على طول تلال الجدار الجبلي، وعبر منطقة الحوض امتدت صوامع أخرى بشكل متقطع.

وببطء، دفنت الشّمس نفسها تحت الأفق، ووثبت النجوم، من بينهم رأت نجماً لامعاً، قريباً جداً من خط الأفق لدرجة أن تلألؤه كان واضحاً وبإيقاع منضبط، بقعة ضوئية وامضة، ومضة... ومضة... ومضة... ومضة... ومضة.

بجانبها في الغرفة المعتمة بلون الغسق، تحرّك پاول قليلاً. لكنّ جيسيكا ركّزت على النّجم اللّامع، وأدركت أنّ موقعه منخفض، وأنّه بالتأكيد قادم من تلال الجدار الجبلي ذاته.

! حاولت أن تقرأ الرّسالة لكنها كانت شفرة لا تعرفها.

اشتعلت أضواء أخرى في السّاحة أسفل التّلال، أضواء صغيرة صفراء موزّعة في الظّلمة الزّرقاء، برز على يسار الأضواء ضوء يومض رداً على ضوء التلال، بسرعة شديدة، انبثاق، لمعان، فوميض!

ثم اختفى.

وفي الحال انطفأ ذاك النّجم المزيف الذي كان ظاهراً بين التلال. إشارات... أثارت فيها هواجس قلقة.

وكانت الإجابة واضحة: شبكة الاتصالات أصبحت بلا شك خاضعة الآن لمراقبة رجال الدّوق ليتو، وما الإشارات الضوئية سوى رسائل يتم تبادلها بين أعدائه... بين عملاء تابعين لآل هاركونِن.

طرقات من الباب خلفهما وجاء صوت رجل حواط: "كل شيء آمن يا سيدي وسيدتي، حان وقت توصيل السّيد الصّغير إلى والده".

11

"يقال أن الدّوق ليتو تعامى عن رؤية أخطار آرّاكس، وأنّه سار بطيش إلى أن سقط في الحفرة، لكن أليس من الأدقّ أن نقترح أنه عاش لفترةٍ طويلةٍ وسط أخطارٍ عظيمةٍ مما أدّى لفشله في تقدير شدّة التّغير الذي طرأ على هذه الأخطار؟ أو محتمل أنه تعمّد التّضحية بنفسه كي يعيش ابنه حياةً أفضل؟ فكلّ الأدلّة تشير إلى أنّ الدّوق لم يكن رجلاً يسهل خداعه".

من كتاب (المؤدّب: تراجم سيرة أسرية)، تأليف الأميرة أيرولان

اتكأ الدّوق ليتو آتريديز على حاجز شرفةٍ في برج التّحكم في المطار الواقع خارج حدود مدينة آرّاكين.

قمر اللّيلة الأول - المدوّر كعملةٍ فضيةٍ - بدا معلقاً فوق الأفق الجنوبي، وعبر الضّباب لمعت تحته الحدود المسنّنة لتلال الجدار الجبلي - وكأنها سكّر مسحوق، على يساره تألقت أنوار آرّاكين عبر ذلك الضّباب... صفراء وبيضاء وزرقاء.

أخذ يفكر في تلك المنشورات الممهورة بتوقيعه والتي تمّ نشرها في المناطق العامرة بالسّكان: "كلّفني إمبراطورنا الپاديشي المعظّم بتملك هذا الكوكب وإنهاء كل النزاعات".

أشعرته الصّيغة الرّسمية للجملة بشيءٍ من الوحشة.

.

! كان من الصّعب كبح جماح الغضب.

رأى أضواء عربةٍ تتحرك من آرّاكين إلى ساحة المطار، عساها تكون عربة الحرس والجنود التي ستحضر پاول، أزعجه تأخرهم رغم معرفته بأسباب تلك الإجراءات الحذرة التي يتّخذها الضّباط المعاونون لحواط.

!

هزّ رأسه ليصرف الأفكار الغاضبة، وعاد ببصره للسّاحة حيث تراصّت حول حدودها خمس من فرقاطاته وكأنّها أعمدة حراسةٍ ضخمةٍ. ...

ذكّر نفسه بأن الضابط المسؤول عن حماية ابنه كان من الممتازين، وفي طريقه للصّعود في قوائم التّرقية... .

...

آه لو وقع بصر سكّان هذه المدينة الفقيرة على الرّسالة السّرية التي بعثها الإمبراطور لـ 'دوقه النبيل'... لو رأوا تلميحاته المزدرية للرّجال والنساء الملثمين: "... وكيف نتوقع غير هذا من همجٍ يعتبرون أغلى أمانيهم أن يعيشوا خارج الأمان والنّظام اللذين يوفرهما النّظام الطبقي؟"

شعر الدّوق في تلك اللحظة أنّ أعزّ أحلامه هو أن يقضي كلياً على الاعتبارات الطبقيّة، وألّا يفكر بهذا النّظام المقيت، نظر للأعلى، محاولاً اختراق الغبار نحو النّجوم غير المتلألئة:

.

قرصه الحنين لكالادان، أحسّ بأنّ هذا الشّعور لم ينبع من داخله، بل وكأنّه يصدر من كالادان، مشتاقاً إليه، ولم يفلح في إقناع نفسه بأن هذه الأرض الآرّاكسية القاحلة صارت موطنه، ولن يشعر به أبداً.

... .

.

اجتاحته موجة أسىً على حاله، لكن سرعان ما نفر منها وطردها عن باله، ووجد نفسه يسترجع بيتين من قصيدة كان جيرني هاليك يكررها كثيراً:

"تتذوّق رئتاي هواء الزّمان

يهب على الرّمال المتساقطة..."

.

فلا شيء غير الصحراء الممتدّة في الأقاليم الوسطى القاحلة وراء تلك التّلال التي غمرها القمر بنوره. صخورٌ مجدبة، وكثبانٌ رملية، وغبارٌ متطاير، صحراء جرداء جافّة غير مستكشفةٍ، وعلى أطرافها هنا وهناك - وربّما تتناثر داخلها أيضاً - تجمّعات من الفريمن، إن كانت هناك فرصة لتأمين مستقبل آل آتريديز فالأرجح أنها بيد الفريمن.

هذا على فرض أنّ الهاركونِن لم ينجحوا في نشر عدوى خططهم المسمومة بين الفريمن أيضاً.

!

تردّد اهتزاز معدني صاخب في أرجاء البرج، اضطرب له حاجز الشّرفة تحت ذراعيه، وانسدلت أمامه السّتائر الواقية من شرارات المحرّكات الصّاروخية، فحجبت عنه الرؤية.

.

استدار نحو السّلالم خلفه واتّجه لقاعة التّجمع الكبيرة، واجتهد للحفاظ على هدوئه، كي يهيئ تعابير وجهه للقاء المرتقّب.

!

عند وصوله للقاعة ذات القبّة الصّفراء، رأى الرّجال يتدفقون من السّاحة، على أكتافهم حقائبهم الفضائية، يسودهم الهرج والضّوضاء كما لو كانوا طلبة عائدين من فترة إجازة.

"أتشعر بها تحت قدميك؟ هذه الجاذبية يا رجل"، "ما نسبة جاذبية هذا الكوكب؟ تبدو قويّة"، "تسعة أعشار الجاذبية القياسيّة"،

وامتلأت القاعة بتراشق الحديث.

"هل رأيت حفرة الجحيم هذه ونحن في طريقنا للهبوط؟ أين تلك الغنائم التي سمعنا عنها؟"، "أخذها الهاركونِن معهم!"، "الحقوني بحمّام ساخنٍ وسريرٍ ناعمٍ"، "ألم تسمع بعد يا غبي؟ لا اغتسال هنا، ستمسح مؤخرتك بالرمل!"، "صَـهْ... الدّوق هنا!"

هبط الدّوق من مدخل السّلم فحلّ الصّمت.

في مقدمة الحشد خطا جيرني هاليك خطواتٍ سريعةٍ، حقيبته على كتفه، وفي يده الأخرى أمسك عنقٍ آلة القانون الموسيقية ذات التّسعة أوتار، كانت يداه طويلة الأصابع وضخمة الإبهام، ومع ذلك قادرة على تأدية حركاتٍ دقيقةٍ تخرج من الآلة أنغاماً عذبة.

راقبه الدّوق بنظرة إعجاب، فرغم أنه يبدو ككومة لحم قبيحةٍ، إلّا أنّ عينيه ثاقبتين كشظايا الزّجاج، تبرق منهما حكمة شرسة، ها هو رجلٌ نجح في العيشً خارج النّظام الطبقي، وفي الوقت ذاته يطيع كل قواعده، ما الكلمة التي وصفه بها پاول؟ .

تطاير شعر هاليك الأشقر كالقشّ فوق البقع الصّلعاء من رأسه، وغطّت فمه ابتسامةٌ ساخرةٌ، بينما

تحرّكت ندبة سوط الإنكثاين على فكّه وكأنّها كائنٌ حيٌّ يتحرّك من تلقاء نفسه، كان رجلاً يحيط نفسه بهالةٍ من التّلقائية والكفاءة والعزم، اقترب من الدّوق وانحنى.

قال ليتو: "جيرني".

"سيّدي".

أشار بالآلة الموسيقيّة نحو الرّجال الواقفين في القاعة: "هذه آخر دفعة، كنت أفضل أن آتي مع الدّفعة الأولى لكن..."

قال الدّوق: "تركنا لك بعض الهاركونِن، تعال معي في حديث جانبي يا جيرني".

"بأمرك سيّدي".

انتقلا إلى فجوةٍ بقرب جهاز تقديم الماء، بينما تحرّك الرّجال في أرجاء القاعة في ضجر، رمى هاليك حقيبته في ركنٍ، وأبقى قبضته ممسكة بآلة القانون.

سأله الدّوق: "كم من رجالك يمكنك أن تتخلى عنهم لحواط؟"

"هل ظافر في مأزق يا مولاي؟"

"لم يفقد سوى عميلين، أمّا رجال الاستطلاع فقد وفروا معلومات ممتازة عن منظومة آل هاركونِن هنا، لو تحركنا بسرعة سنضمن مستوى أمانٍ جيد، ومجال حرِّية أكبر، سيحتاج كل رجلٍ تمده به، خاصة نوعية الرّجال الذين لا يستهجنون القتالَ بالسكاكين".

قال هاليك: "يمكنني أن أعطيه 300 من أفضل رجالي، إلى أين أرسلهم؟"

"للبوابة الرئيسية، أحد عناصر حواط ينتظرهم".

"هل أنفّذ على الفور، مولاي؟"

"بعد قليل... فأمامنا قضيةٌ أخرى، سيقوم مدير المطار بتأخير انطلاق المكوك من هنا حتى الفجر بذريعةٍ ما، حاملةً الهايلانر التّابعة لنقابة الفضاء - والتي قدمنا هنا على متنها – ستتابع خطّ رحلتها، ومن المفترض أن يلتحم المكوك بسفينة شحن حمولة سپايس".

"السپايس الذي صار ملكنا يا مولاي؟"

"أجل، لكن المكوك سيحمل أيضاً بعض عمّال التّنقيب عن السپايس الذين كانوا يعملون عند النظام السابق، اختاروا أن يمارسوا حقهم القانوني في ترك الخدمة عند حدوث تغير في ملكية الإقطاع، وقاضي التّحكيم سمح لهم بهذا، إنهم عمالةٌ قيِّمة جداً يا جيرني... حوالي 800، قبل أن يقلع المكّوك عليك أن تقنع بعضهم بالعمل عندنا".

"ما شدّة 'الإقناع' التي تريدها يا مولاي؟"

"أريدهم أن يتعاونوا معنا طواعية يا جيرني، فإنهم يملكون خبرات ومهارات نحن في حاجةٍ إليها، وقرار المغادرة يشير إلى أنهم ليسوا جزءاً من منظومة الهاركونِن، يعتقد حواط باحتمال اندساس بعض العملاء وسطهم، لكنه يرى القتلة في كل زاوية".

"لا يمكن إنكار تاريخ حواط الذي يزخر بنجاحاته في الكشف عمن يختبؤون في الزّوايا، يا مولاي".

"كما فشل في اكتشاف البعض الآخر، لكن أظن أنّ عملية زرع جواسيس في هذا الحشد المغادر أمر يفوق ذكاء الهاركونِن".

"ربّما يا مولاي، وأين هؤلاء الرجال الآن؟"

"في الطّابق السفلي، في قاعة الانتظار، أقترح أن تنزل لهم وتعزف مقطوعة أو اثنتين كي تلين نفوسهم، ثم ابدأ في ممارسة الضّغط، يمكن أن تعرض على بعضهم مناصب قياديّة، واعرض زيادة في الأجور بنسبة 20% مقارنة بما كانوا يتلّقونه من الهاركونِن".

"لا أكثر يا مولاي؟ فأنا أعرف معايير الأجور عند الهاركونِن، هؤلاء رجالٌ جيوبهم مثقلةٌ الآن بمبالغ نهاية الخدمة، وتجيش في نفوسهم شهوة التّجوال، قد لا تمثّل 20% حافزاً كافياً يحثّهم على البقاء يا مولاي".

قال ليتو بنفاد صبر: "إذن لك حريّة التّصرف في بعض الحالات الخاصّة، لكن تذكّر أن الخزانة ليست بئراً بلا قرار، حاول قدر الإمكان ألّا تتجاوز الـ 20 بالمائة، ما نحتاجه على وجه الخصوص عمّال مركبات السيايس، ومتخصصو الطّقس، وعمّال الكثبان... كلّ من له خبرة في العمل في الصحراء".

"فهمتك يا مولاي، وكما يقال: سيأتون كلّهم للعنف، ووجوههم متّجهة إلى الشّرق، فيجمعون الأسرى كالرّمل"،

قال الدّوق: "اقتباسٌ في محلّه، اترك فريقك تحت قيادة أحد الضّباط، وليقدم لهم تدريباً قصيراً عن الانضباط في التّعامل مع الماء، ثم يناموا في المعسكرات المجاورة للسّاحة، سيرشدهم لها موظفو ساحة المطار، ولا تنس إرسال الرّجال لحواط".

"ثلاثمائة من نخبة الرّجال يا مولاي"، والتقط حقيبته، "أين أقدّم لك تقريري بعد إتمامي لما عليّ من مهام؟"

"ستجدني في قاعة الاجتماعات بالطابق العلوي هنا، وسيكون مقرّ عقد الاجتماعات، أريد تنظيم خطة انتشار كوكبي جديدة، بحيث تتقدمها الفرق المدرعة".

جمد هاليك فجأة بعد أن كان شرع في الابتعاد، وصوب النّظر لليتو: "وهل تتوقع مثل هذا النوع من الاضطرابات يا مولاي؟ ظننت أن هناك قاضي تحكيم يشرف على الأمور هنا".

قال الدّوق: "أتوقع المعارك الصريحة والمعارك السّرية، ستُسفك دماءٌ كثيرةٌ قبل أن تستقر لنا الأمور".

قال هاليك مقتبساً: "فإنّ الماء الذي تأخذه من النّهر يتحول دماً على اليابسة".

أطلق الدّوق تنهيدة: "أسرع يا جيرني".

"حسناً يا سيدي"، وتحرّكت ندبة السّوط من أثر ابتسامته: "ها أنا كالحمار البرّي أخرج إلى عملي".

مشى بسرعةٍ نحو منتصف القاعة حيث توقّف للحظةٍ لينقل ما تلّقاه من أوامر، ثم أسرع ماراً عبر حشد الرّجال.

هزّ ليتو رأسه وهو ينظر لظهر الرّجل المبتعد، لطالما كان هاليك مصدر إعجاب الدّوق، فرأسه مليئةٌ بالأغاني والاقتباسات والعبارات البلاغية، وعند التّعامل مع الهاركونِن يصبح قلبه قلب قاتل.

توجّه ليتو نحو المصعد، يردّ على تحية الجنود بحركة يدٍ بسيطةٍ، وقع بصره على أحد أفراد التّوجيه المعنوي، فتوقّف ليبلغه رسالة يرغب في بثها للرجال عبر القنوات المعتادة، فمن جاؤوا ومعهم نساؤهم سيرغبون في معرفة أن نساءهم في موقع آمن، أمّا رسالته للبقية فهي أن عدد الإناث في المنطقة يفوق عدد الذّكور.

ربّت الدّوق على ذراعِ الرجل، كعلامة سرّية أن يعامل الرّسالة بأولوية قصوى لتَنشر في الحال، ثم استمرّ في طريقه عابراً القاعة، أومأ لبعض الرّجال وابتسم لآخرين، وتبادل المزاح مع أحد الضّباط.

.

أطلق تنهيدة ارتياحٍ عندما ابتلعه المصعد وأصبح بإمكانه أن يستدير ويواجه الباب الجامد.

!

12

فوق باب مهبطٍ مدينة آرّاكين نُقِشت عبارةٌ محفورةٌ بطريقةٍ غير متقنةٍ، كما لو أنّ صانعها استخدم في كتابتها أداةً فجةً، وهي عبارة استخدمها المؤدّب مراراً وتكراراً، رآها للمرّة الأولى في أوّل ليلةٍ قضاها على آرِّاكس، عندما تمّ إحضاره لمقرّ القيادة الدّوقي ليشارك في أولِ اجتماع يعقده والده لكامل هيئة أركان الحرب، كانت عبارة رجاء موجّهة لمن يغادر آرِّاكس، وبالنّسبة لفتى نجى للتّو من محاولة قتل، كانت للعبارة دلالاتٍ كئيبة.

'يا من ترى قدر ما نعانيه هنا، لا تنسنا في دعائك'

من كتاب (دليل المؤدّب)، تأليف الأميرة إيرولان

قال الدّوق: "ما النّظرية الحربيّة سوى سلسلةٍ من المخاطرات المحسوبة، لكن عندما تكون أسرتك في المحك تغرق الحسابات تحت موجة من... الاعتبارات الأخرى".

كان واعياً بعجزه عن كتمان غضبه، فصار يذرع الغرفة ذهاباً وإياباً في خط موازٍ للطّاولة الطّويلة.

كان الدّوق وپاول بمفردهما بقاعة الاجتماعات بمبنى المهبط، كادت القاعة أن تكون فارغة، ليس فيها من الأثاث سوى الطّاولة الطّويلة وما حولها من مقاعد قديمة الطّراز، ولوحٌ عليه خريطة، وجهاز عرضٍ ضوئي على أحد طرفيها، وهناك جلس پاول عند الطاولة بقرب الخريطة.

كان قد أخبر أبيه بتفاصيل حادثة الصّياد المتتبّع، ونقل له معلومة أنّ من يهدّده هو خائنٌ مختبئٌ في وسطهم.

توقّف الدّوق مقابل پاول وخبط بيده على الطّاولة: "حواط قال لي أنّ المنزل آمن!"

تردد پاول: "كنتُ غاضباً أيضاً... في البداية، وألقيت اللّوم على حواط، لكن التّهديد جاء من مصدر خارج البيت، عملية بسيطة وماهرة ومباشرة وكانت ستنجح لولا التّدريب الذي تلقيته منك ومن آخرين كثر... بمن فيهم حواط".

سأل الدّوق بحدّة: "هل تدافع عنه؟"

"أجل".

"لقد تقدّم به العمر، نعم يجب أن يتم ع-..."

قال پاول: "إنه حكيمٌ وذو خبرةٍ طويلةٍ، كم من الأخطاء تذكرها من حواط؟"

قال الدّوق: "أنا من عليه الدفاع عنه، لا أنت!"

ابتسم پاول.

جلس ليتو على رأس الطاولة ووضع يده على يد ابنه: "لقد... نضجت في الفترة الأخيرة يا بني"، ثم رفع يده: "هذا أمرٌ يسعدني"، وبادل ابنه الابتسام، وأكمل "حواط سيعاقب نفسه، لوقوعه في هذا الخطأ سيغضب من نفسه بشكل يفوق أي غضب يمكن أن نصبّه عليه".

نظر پاول نحو النّوافذ المظلمة الواقعة وراء لوح الخريطة، وحدق في سواد الليل، انعكست أضواء القاعة من حاجز شرفة بالخارج، فرأى حركة، وأدرك أنها شبح حارس يرتدي زي آل آتريديز الرّسمي.

أعاد پاول بصره للجدار الأبيض خلف أبيه، ثم لسطح الطاولة اللامع، فرأى أصابعه المتشنجة في قبضتين.

انفتح الباب بصوتٍ مفاجئ، خطا عبره ظافر حواط، بادياً عليه التّقدم في السّن وتغضن الوجه أكثر من أي وقت مضى، سار بمحاذاة الطاولة ثمّ توقف في انتباه عسكري أمام ليتو.

قال: "سيدي.." موجهاً بصره لنقطة فوق رأس ليتو، "علمتُ لتوي بخذلاني لك، وأصبح من الواجب أن أتقدم باستقا..."

قال الدّوق: "اجلس وتوقف عن التّصرف كالحمقى"، وأشار للمقعد المقابل لپاول، "إن كنتَ قد أخطأت في شيءٍ فهو بتوقعاتك العالية لذكاء الهاركونِن، فعقولهم البسيطة تفتّقت عن خدعة مماثلةٍ لها في البساطة، ولم نكن قد وضعنا في حسباننا الاحتياط للخدع البسيطة، بالإضافة إلى أن ولدي بذل جهداً كبيراً لإقناعي بأن نجاته من هذه المكيدة عائد بنسبة كبيرة للتّدريب الذي تلقاه على يدك، وفي هذه النقطة لم تخذلني".

وخبط على ظهر المقعد الفارغ قائلاً: "قلت لك: اجلس".

غاص حواط في مقعد، "لكن..."

قال الدّوق: "انتهينا، الحادثة مرّت، وأمامنا مشاغل أخرى هامة، أين الآخرون؟"

"طلبت منهم الانتظار في الخارج إلى أن أق-..."

"استدعيهم".

نظر حواط في عينيّ ليتو: "مولاي، أنا..."

قال الدّوق: "أعرف من هم أصدقائي الحقيقيون يا ظافر، استدعِ الرجال".

ابتلع حواط ريقه: "على الفور يا سيدي"، دار في مقعده ونادى عبر الباب المفتوح: "جيرني، أدخلهم".

قاد هاليك طابور الرّجال إلى داخل الحجرة، وبدت على ضبّاط الأركان ملامح الجدّية الصّارمة، في حين ساد بين المساعدين الأصغر في السّن جو من التّلهف، تردّدت في القاعة أصوات جرّ المقاعد للحظاتٍ إذ شرع الرّجال في احتلال أماكنهم، انبعثت حول الطاولة رائحةٌ خفيفةٌ لشراب الراشاغ المنبّه.

قال الدّوق: "توجد قهوةٌ لمن يرغب".

دار ببصره بينهم: .انتظر حتى تمّ إحضار القهوة
من الحجرة المجاورة وتقديمها، ملاحظاً التّعب البادي على بعض الوجوه، لحظاتٍ ثمّ ارتدى قناع الكفاءة الهادئ، واعتدل واقفاً جاذباً انتباههم بنقرة أصابع على الطاولة.

قال: "يا سادة... يبدو أن حضارتنا انغمست في تمسّكها بسلوكيات الاحتلال لدرجة أننا نعجز عن تنفيذ أمر إمبراطوري بسيط دون أن تطلّ تلك الأساليب القديمة برأسها".

تردّدت ضحكات جافة على امتداد الطّاولة، وأدرك پاول أنّ والده قال العبارة المناسبة بالنبّرة المناسبة التي ضمنت تحسّن مزاج الحاضرين، حتى نبرة الإرهاق في صوته كانت مناسبة.

قال الدّوق: "علينا في البداية أن نعرف من ظافر إن كانت عنده إضافات لتقريره بشأن الفريمن، ظافر؟"

جالت عينا حواط للأعلى: "عندي بعض الشؤون الاقتصادية سأتوسّع في الكلام عنها بعد تقديم تقريري العام يا مولاي، لكنني أستطيع أن أقول أن الفريمن هم فعلاً الحلفاء الذين نحتاجهم، فهم الآن يراقبون أفعالنا ليتيقنوا قبل وضع ثقتهم فينا، لكن تعاملاتهم معنا تبدو حسنة النية، فقد أرسلوا لنا هدايا... بذل تقطير من صنع أيديهم، وخرائط لمناطق صحراوية محدّدة تحيط بالمعاقل التي تركها الهاركونِن".

هبط ببصره إلى الطّاولة: "ثبت أن تقاريرهم الاستخباراتية على قدر عالٍ من الصّحة، وساعدتنا بشكل كبيرٍ في تعاملاتنا مع قاضي التحكيم، وبالإضافة لهذا فقد أرسلوا أيضاً بعض الأشياء الصغيرة، مجوهراتٍ لليدي جيسيكا، خمر مصنوعٌ من السبايس، حلوى، ونباتات طبيّة، رجالي يفحصون هذه الأشياء الآن، ولا يبدو أنها تحوي أفخاخ".

قال رجلٌ يجلس عند طرف الطّاولة: "أنت معجبٌ بهؤلاء القوم يا ظافر؟"

التفت حواط نحو السّائل: " دَنكِن آيداهو يقول إنهم جديرون بالتقدير".

ألقى پاول نظرةً نحو أبيه ثم نحو حواط، وغامر بسؤال: "عندك معلومات جديدة عن تعداد الفريمن؟"

نظر حواط لپاول: "حسب تقدير آيداهو - بالاعتماد على كميّات الطّعام التي يتم استهلاكها وأدلّة أخرى - فإن مجمّع الكهوف الذي زاره يأوي حوالي 10 آلاف شخص تقريباً في المجمل، وأخبره قائدهم أنه يحكم سيآتش المكون من 2000 مأوى أسري، ولدينا أسباب تدفعنا للاعتقاد بوجود عدد كبيرٍ من أمثال هذه المجموعات التي تسكن في سيآتشات، وكلهم يدينون بولائهم لشخص يدعى لييّت".

قال ليتو: "هذه معلومة جديدة".

"قد أكون مخطئاً في الأمر يا مولاي، بعض الأمور تشير إلى أن لييّت هو اسم إله محلي".

تنحنح أحد الحضور وسأل: "وهل من المؤكد أنهم يتعاملون مع المهرّبين؟"

"أثناء وجود آيداهو هناك، خرجت قافلة تابعة للمهرّبين من هذا السيآتش، حاملةً معها حمولةً ثقيلةً من السبايس،كانوا يستخدمون حيواناتٍ لحمل البضاعة وصرّحوا بأنّ أمامهم رحلة سيرٍ ستستغرق 18 يوماً".

قال الدّوق: "يبدو أن المهرّبين ضاعفوا عدد عملياتهم خلال فترة الاضطراب هذه، وهو أمرٌ يستلزم التّفكير الحريص، لا يجب أن نقلق أكثر من اللازم لوجود فرقاطات غير مرخّصة تعمل على نقل البضائع من هذا الكوكب، فهو أمرٌ متوقع الحدوث، لكن أن نتركهم هكذا خارج دائرة مراقبتنا أمرٌ سيء".

قال حواط: "عندك خطة بخصوص هذا الأمر يا مولاي؟"

نظر الدّوق لهاليك: "جيرني، أريدك أن تكون على رأس وفد... سفارة إن صح التّعبير، وأن تتواصل مع رجال الأعمال الحرّة هؤلاء، أخبرهم أنني سأتجاهل عملياتهم طالما أعطوني ضريبة دوقيّة مقدارها العُشر، تقول تقارير حواط إن تقديم الرشاوي واضطرارهم لتأجير مقاتلين لحماية عملياتهم كان يكلفهم أربعة أضعاف هذا المبلغ".

قال حواط: "وماذا لو علم الإمبراطور بهذا؟ فهو غيور على أرباحه من كوآم".

ابتسم ليتو: "سنصرح بأنّ ضريبة العُشر هذه باسم شدّوم الرابع، وفي الوقت ذاته نخصمها - قانونياً - من ضريبتنا التي نقدمها له، دع الهاركونِن يعترضون على هذا إن استطاعوا! وبهذا سنقضي مالياً

على العديد من الأثرياء المحليين الذين أصابتهم التَخمة بتعاونهم مع نظام آل هاركونِن، لا محسوبية بعد الآن!"

التوى وجه هاليك في ابتسامة: "أها يا سيدي... ضربةٌ ماكرةٌ جميلةٌ، أتمنى لو أمكنني رؤية وجه البارون عندما يعلم بها".

التفت الدّوق نحو حواط: "ظافر، هل حصلت على دفاتر الحسابات التي ذكرتَ أنّ بإمكانك شراؤها؟"

"أجل سيدي، ويتم فحصها الآن بدقة، لكني قمت بإلقاء نظرةٍ سريعةٍ عليها ويمكنني تقديم تقدير تقريبي".

"قدمه إذن".

"كان يدخل للهاركونِن من هنا ما قيمته 10 مليار سولاريس كل 330 يوم قياسي".

انتشرت شهقةٌ مكتومةٌ حول الطّاولة، حتى المساعدين الشباب - الذين بدا عليهم بعض الملل قبلها بقليل - اعتدلوا في جلستهم وتبادلوا نظرات الدّهشة.

تمتم هاليك: "سيرضعون من فيض البحار، ومن الكنوز المدفونة في الرّمال".

قال الدّوق: "كما ترون يا سادة، هل لا يزال هنا ساذج يعتقد أن آل هاركونِن رحلوا تاركين كل هذا بهدوء لمجرد أن الإمبراطور أمر بهذا؟"

اهتزّت أغلب الرؤوس، وتعالت الهمهمات المؤيّدة لكلامه.

قال ليتو: "سنضطر لأخذ هذه المكاسب بحدّ السّيف".

واستدار نحو حواط: "والآن أخبرنا بتقريرك عن المعدّات، كم تركوا لنا من زاحفات الرّمال والحاصدات ومصانع معالجة السبايس وباقي المعدات الداعمة لعمليات التنقيب؟"

قال حواط: "المجموعة كاملة، كما ورد في قائمة الجرد الإمبراطورية التي قام بالتفتيش عليها قاضي التّحكيم يا سيدي".

وأشار لأحد مساعديه ليناوله مجلداً، وفتحه على الطاولة أمامه، "لكنّهم نسوا أن يذكروا أن العدد الصّالح للتّشغيل من الزاحفات هو أقل من النصف، وأن ما يقترب من ثلثها فقط له حاملات تنقله جواً لمواقع التّنقيب عن السبايس في الصّحراء، وأن كل ما تركه لنا الهاركونِن يوشك على التّعطل والتّساقط، سنكون محظوظين لو نجحنا في تشغيل نصف المعدّات، وأسعد حظاً لو ظل ربعها صالحاً للعمل بعد ستة شهورٍ من الآن"،

قال ليتو: "كنّا نتوقع هذا بدرجةٍ كبيرةٍ، ما الإحصاء الدّقيق لعدد المعدّات الأساسية؟"

نظر للمجلد أمامه: "حوالي 930 حاصدة ومصنع يمكن إرساله للعمل في غضون عدّة أيام، وحوالي 625 طائرة أورنيثوبتر مخصّصة للمسح الجويّ والاستكشاف ومراقبة الطقس، أمّا الحاملات الطّائرة فأقل من الألف بقليل".

قال هاليك: "أليس من الأرخص إعادة فتح المفاوضات مع النّقابة للحصول على تصريح لوضع فرقاطة في مدار حول الكوكب لرصد الطّقس؟"

نظر الدّوق لحواط: "لا جديد عندك بهذا الشأن يا ظافر؟"

قال حواط: "علينا حالياً أن نبحث عن بدائل أخرى، فوكيل نقابة الفضاء لم يكن يجري معنا مفاوضات حقيقية، بل كان يريد إفهامي بوضوح - من مِنتات لمِنتات - أن السّعر المطلوب أعلى من

قدرتنا على الدّفع وسيظل أعلى من قدرتنا مهما رفعنا الرقم الذي نعرضه، علينا أن نعرف السّبب وراء هذا قبل أن نفاتحهم في الموضوع مجدداً".

أحد مساعدي هاليك الجالسين عند طرف الطّاولة استدار في مقعده وقال بحدة: "هذا ليس عدلاً!"

نظر الدّوق للرجل: "عدل؟ ومن طلب العدل؟ نحن من يصنع عدلنا بأيدينا، سنصنعه هنا، على آرّاكس... فإما أن نفوز أو نموت، هل أنت نادم على ارتباطك بنا يا سيد؟"

حدق الرّجل في الدّوق ثم قال: "لا يا مولاي، أينما توجهتَ فأنا تابع لك، اعذرني على هذه الحدة، لكن..." وهز كتفيه: "تمر علينا أوقات نشعر فيها بالمرارة".

قال الدّوق: "أمّا المرارة فأنا أتفهّم حدوثها، لكن دعنا لا نتأسّف على العدل طالما لا زلنا نملك أذرع، وحريّة لاستخدام هذه الأذرع، هل بينكم من يشعر بالمرارة؟ فليتكلم! هذا مجلس ودّي ومسموح لأيّ شخص بأن يصرّح بما في داخله".

تململ هاليك وقال: "أظنّ أن ما يثير الضّيق يا مولاي هو غياب المتطوعين من أسر النّبلاء الأخرى، فهم يلقبونك بـ 'ليتو العادل' ويتعهّدون بصداقتهم الأبدية طالما لا تكلفهم هذه الصّداقة شيئاً في المقابل".

قال الدّوق: "إنّهم لم يتأكدوا بعد من سيكون الفائز في هذه المعركة، أغلب الأسر النّبيلة تضخمت ثرواتها بالابتعاد عن المجازفات قدر الإمكان، لا يمكن أن نلومهم، ولا نملك سوى أن نحتقرهم،" ونظر لحواط: "كنّا نناقش مسألة المعدات، هل لك أن تعرض صوراً لبعض الأمثلة ليتعرف الرّجال على طبيعة هذه الماكينات؟"

أومأ حواط، وأعطى إشارةً لمساعدٍ مسؤولٍ عن تشغيل العارض الضوئي، ظهرت على سطح الطاولة صورة هولوجرام ثلاثي الأبعاد، بعض الرجال الجالسين بعيدا نهضوا ليشاهدوا بوضوح.

مال پاول للأمام، محدقاً في الماكينة.

بمقارنتها بالأشخاص المحيطين بها، بدا أن طول الماكينة حوالي 120 متراً، وعرضها 40 متراً، وبشكل عام كان لها هيكل طويل يشبه الحشرات، وتتحرك على جنزيرٍ عريضٍ مستقل.

قال حواط: "هذا مصنع حاصد، وهو مصنع بحالة جيدة لذا اخترناه في عرضنا هنا، وهناك أيضاً مصنع آخر من طراز جرٍّ قديم جلبه معه أول فريق إمبراطوري من خبراء البيئة الكوكبية، ولا يزال يعمل... وإن كنت لا أدري كيفَ لا يزال يعمل أو لماذا؟"

قال أحد المساعدين: "إن كنت تقصد الماكينة المسماة 'ماريا العجوز' فمكانها الطبيعي في متحف، أظنّ أن الهاركونِن حافظوا عليها كنوعٍ من العقوبة، كتهديدٍ معلّق دائماً فوق رؤوس عمّالهم: كن مطيعاً وإلا نقلناك للعمل على ماريا العجوز".

تصاعدت الضّحكات حول الطّاولة.

لم يشترك پاول في موجة المرح، وركزّ انتباهه على الصّورة المعروضة، وعلى السّؤال الذي شغل ذهنه، أشار للصورة وقال: "ظافر، هل هناك ديدان رمالٍ كبيرةٍ بما فيه الكفاية بحيث يمكنها ابتلاع هذه الماكينة كلها؟"

حل الصّمت المفاجئ على الطّاولة، تمتم الدوق بشتيمةٍ غير مسموعة، ثم تراجع: ...

.

قال حواط: "في المناطق الصّحراوية العميقة توجد ديدانٌ يمكنها ابتلاع هذا المصنع بقضمةٍ واحدةٍ،

أمّا هنا في المنطقة القريبة من الجدار الجبلي - حيث تتم أغلب عمليات التّنقيب - فتوجد عدّة ديدان قادرة على تعطيل هذا المصنع ثم التهامه على مهل".

سأل پاول: "ولم لا نحيط الماكينة بدروع طاقة؟"

قال حواط: "حسب ما ورد في تقرير آيداهو، فإن استخدام الدّروع في الصحراء مسألة خطيرة، فوجود درع حتى بحجم الجسد الإنساني سيؤدّي لاستدعاء كل الدّيدان التي تعيش على بعد مئات الأمتار، يظهر أن الدّروع تثير فيهم نوبة قتلٍ مجنونةٍ، هذا ما يقوله الفريمن، ولا نرى سبباً يجعلنا نشكّك فيهم، فآيداهو لم يرَ دليلاً على وجود دروع في السيآتش".

سأل پاول: "على الإطلاق؟"

قال حواط: "من الصّعب إخفاء شيءٍ كهذا بين الآلاف من قاطني المكان، فقد تركوا لآيداهو كامل الحريّة في زيارة كلّ ركنٍ في السيآتش، ولم يرَ دروعاً أو أدلةً على استخدامهم لها".

قال الدّوق: "شيءٌ محيرٌ".

قال حواط: "أمّا الهاركونن فلا شكّ في استخدامهم للكثير من الدّروع هنا، فهناك مخازن تصليح في كلّ قريةٍ من قرى الحاميات، وكشوف حساباتهم تظهر فيها نفقاتٍ ثقيلةٍ خاصةٍ باستبدال الدّروع وقطع غيارها".

سأل پاول: "هل من الممكن أن الفريمن عندهم طريقة ما لتحييد الدّروع وإبطال أثرها؟"

قال حواط: "لا أظن، صحيح أنّها ممكنة نظرياً، إذ يقال أن استخدام شحنة مضادة هائلة الحجم يبطل أثر الدّرع، لكن لم يسبق لأحدٍ أن جربها فعلياً".

قال هاليك: "لو كان هناك شيء كهذا لسمعنا عنه، فالمهربون لهم صلات قوية بالفريمن، ولو كان لمثل هذا الجهاز وجود لاقتنوه وما تردّدوا في تسويقه للكواكب الأخرى".

قال ليتو: "لا يعجبني غياب إجابةٍ واضحةٍ لمسألةٍ بهذه الأهمية. ظافر، أريدك أن تضع هذه المسألة على قائمة أولوياتك".

"نعمل على الموضوع بالفعل يا سيدي"، تنحنح ثم أردف: "لكن آيداهو قال شيئاً آخر، قال بأنّ انطباع الفريمن واضحٌ عند رؤيتهم لدرع طاقة، فهم يعتبرون الدّروع موضوعاً مسلياً"،

قطّب الدّوق جبينه وقال: "موضوعنا الآن هو معدات التّنقيب عن السپايس".

أعطى حواط إشارة لمساعده الجالس عند العارض، اختفت صورة الحاصد وظهرت بدلاً منها صورة لجهازٍ مجنّح طغى بحجمه على صور الأشخاص المحيطين به.

قال حواط: "هذه حاملة طائرة، باختصار هي بمثابة ثوبتر ضخمة، ومهمتها الوحيدة توصيل المصنع للمناطق الرملية الغنيّة بالسپايس، ثم انتشاله عندما تظهر دودة رمال، ودائما ما تظهر الديدان، فعملية حصاد السپايس وجمعه هي انتشال كل ما يمكن انتشاله قبل الاضطرار للمغادرة".

قال الدوق: "عملية متوافقة تماماً مع أخلاق الهاركونِن".

انفجرت الضّحكات المرتفعة حول الطّاولة.

ظهرت صورة أورنيثوبتر بدلاً من الحاملة الطائرة.

قال حواط: "طائرات الأورنيثوبتر هذه هي الطراز المألوف، إضافة تعديلات متعدّدة عليها يعطيها مجالاً أوسع للطيران، وتمّ عزل فتحات المكونات الهامّة بإحكام لحمايتها من الرّمال والغبار، من بين

كل الطائرات لا تحمل دروع الطاقة سوى واحدة من كل 30 طائرة، وغالباً تتم التضحية بدرع الطاقة لتخفيف الوزن والحصول على مجال طيران أوسع".

تمتم الدّوق: "لا يعجبني غياب التّركيز على الدّروع"،

هزّ رأسه لينفض عنه تلك الأفكار، وقال: "دعنا نخلص إلى التقدير المتاح، ما حجم أرباحنا المتوقعة؟"

قلب حواط صفحتين في مذكرته: "بعد تقييم التصليحات والمعدات الصّالحة للتّشغيل استطعنا حساب تقدير مبدئي لتكاليف التّشغيل، ويعتمد الرقم بالطبع على افتراضات منقوصة لترك هامش أمان مناسب".

وأغلق عينيه في شبه إغشاءة كعادة المِنتات، وقال: "في عهد الهاركونِن كان حد تكاليف الصيانة والأجور 14%، وسنكون محظوظين إن استطعنا في البداية أن نجعلها 30%، وبحساب عوامل إعادة الاستثمار ونسب النمو - بما في ذلك النسبة التي ستأخذها شركة كوآم والتكاليف العسكرية - فإن هامش ربحنا سيهبط إلى نسبة ضئيلة هي 6 أو 7%، إلى أن نتمكن من استبدال المعدات المستهلكة، ساعتها سيمكننا أن نرفعها إلى مكانها الطبيعي: 12 أو 15%."

ثم فتح عينيه: "إلّا لو كان سيدي يرغب في تبنّي أساليب آل هاركونِن".

قال الدّوق: "هدفنا إنشاء قاعدةٍ كوكبيةٍ قويةٍ ودائمة، فعلينا أن نحافظ على سعادة نسبةٍ كبيرةٍ من السّكان... خاصة الفريمن".

وافقه حواط: "الفريمن على وجه الخصوص".

قال الدّوق: "على كالادان اعتمدنا في تفوقنا على القّوة البحريّة والجويّة، أمّا هنا فعلينا خلق شيء أحبُّ أن أطلقِ عليه: قوّة الصّحراء، وقد يشمل هذا القّوة الجّوية، لكن هناك احتمال ألّا يشملها، ألفت انتباهكم مثلاً لعدم وجود دروع طاقة على طائرات الثوبتر"، وهزّ رأسه: "اعتمد الهاركونِن على استقطاب عناصر من كواكب أخرى لتحلّ محلّ موظفيهم الرّئيسيين، لكنّنا لا نجرؤ على اللّجوء لهذا، إذ سيندسّ في كل دفعةٍ جديدةٍ عملاء محرّضون".

قال حواط: "إذن علينا أن نقنع بهامش ربح أقلّ وبناتج حصادٍ أقلّ، إنتاجنا في أول موسمين سيقلّ بمقدار الثّلث عن متوسط ما كان ينتجه الهاركونِن".

قال الدّوق: "هذه خلاصة الأمر.،كما توقّعنا بالضّبط، علينا أن نتحرك بسرعةٍ في تعاملنا مع الفريمن، أريد أن يكون عندي خمس كتائب كاملة من جنود الفريمن قبل تاريخ أول تدقيق حسابات تقوم به كوآم".

قال حواط: "لكنّها فترةٌ زمنيةٌ قصيرةٌ يا مولاي!"

"ليس لدينا وقتٌ كافٍ كما تعلم، ففي أول فرصةٍ متاحةٍ سيهجم علينا الساردوكار متنكّرين في أزياء الهاركونِن، ما توقعاتك لعدد الجنود الذين سيتم شحنهم إلى هنا يا ظافر؟"

"4 أو 5 كتائب في المجمل يا مولاي لا أكثر، فأسعار نقل الجنود التي تأخذها نقابة الفضاء عاليةً كما هو معروف".

"إذن نريد خمس كتائب فريمن بالإضافة لقواتنا، فلنأسر بعض أفراد الساردوكار ثم نعرضهم أمام مجلس اللاندسراد وسترى أن الأمور ستختلف كثيراً... سواء حققنا أرباحاً مالية أم لا".

"سنبذل ما في وسعنا يا مولاي".

نقل پاول عينيه بين والده وحواط، وبدا له واضحاً تقدم المِنتات في العمر، وأنّ هذا العجوز قد خدم ثلاثة أجيال من آل آتريديز.

إنه في أرذل العمر، بدا ذلك واضحاً في البريق الرّطب للعينين البنيتين، في الوجنتين المجعّدتين والمتأثرتين بمناخ المناطق غير المعتادة، في الانحناءة المستديرة للكتفين، وفي الشّفتين الرّفيعتين الملوّنتين ببقع شراب السافو.

قال الدّوق: "نحن حالياً في حرب اغتيالات، لكنّها لم تصل لذروتها بعد. ظافر، ماهي أحوال منظومة عملاء الهاركونِن هنا؟"

"قضينا على 259 من رجالهم الرئيسيين يا سيدي، لم يتبق سوى ثلاث خلايا تابعة للهاركونِن، في مجملها لا يبدو أنها تزيد على 100 شخص".

قال الدّوق: "هؤلاء العملاء التابعين للهاركونِن الذين قضيت عليهم، هل كانوا يمتلكون ثروات؟"

"أغلبهم كان ثرياً يا سيدي... من طبقة رجال الأعمال".

قال الدّوق: "أريدك أن تزيف توقيع كل واحدٍ منهم على استمارات مبايعة، وقدم نسخاً منها لقاضي التّحكيم، موقفنا الرّسمي هو أنهم بقوا على الكوكب دون أن يعلنوا ولاءهم الحقيقي، صادر ممتلكاتهم، خذ كلّ شيء، اطرد عائلاتهم، وجردهم من ممتلكاتهم، واحرص على أن يحصل الإمبراطور على نسبته، العشرة بالمائة، إذ يجب أن يبدو الأمر كله قانونياً".

ابتسم ظافر، كاشفاً عن أسنانٍ مبقعةٍ بالأحمر تحت الشّفتين القرمزيّتين، "حركةٌ جديرةٌ بجدك نفسه يا سيدي، يخجلني أن لم أفكر فيها قبلك".

قطّب هاليك جبينه لملاحظته تعابير پاول المندهشة، أمّا الآخرون فكانوا يبتسمون ويهزّون رؤوسهم موافقين.

فكّر پاول:
.كان يعلم أن قواعد الثأر لا تمنع استخدام هذه الأساليب المسرفة، إلا أنها خطوة مدمرة حتى لو جلبت لهم النّصر.

قال هاليك مقتبساً: "كنت نزيلاً في أرضٍ غريبة".

حدّق پاول فيه وقد تعرّف على الاقتباس ومصدره في الإنجيل الكاثوليكي البرتقالي، وتساءل:

خطف الدّوق نظرةً نحو الظّلام خارج النافذة وعاد ببصره لهاليك: "جيرني، كم عدد من أقنعت من أولئك العمال بالبقاء معنا؟"

"286 في المجمل يا مولاي، أظنّ أن علينا تقبّل هذا العدد واعتبار أنفسنا محظوظين، كلهم يعمل في تخصصات مفيدة".

"ليس أكثر؟" زمّ الدّوق شفتيه ثم قال: "طيب، قم بنشر خبرٍ أن-..."

قاطعه اضطراب قادم من عند الباب، تجاوز دَنكِن آيداهو الحارس الواقف هناك وأسرع الخطى نحو الدّوق ثم انحنى مقترباً من أذنه.

أشار له الدّوق بالابتعاد وقال: "تكلم بصوت عالٍ يا دَنكِن، فكما ترى هذا اجتماع مع الفريق الاستراتيجي".

حدّق پاول في حركات جسد آيداهو، خفة القط، وردّ الفعل السّريع الذي يميّزه كأستاذ أسلحةٍ صعب المحاكاة، التفت آيداهو نحو پاول للحظة، ورغم السّكون الذي بدا على وجهه الأسمر المستدير إلا أن پاول رأى بوضوح أن قناع الهدوء يُخفي تحته عواطف متأجّجة.

جال آيداهو بعينيّه بين الجالسين حول الطّاولة وقال: "لقد اشتبكنا مع مجموعة من مرتزقة الهاركونِن متنكّرين كفريمن، أرسل الفريمن لنا رسولاً لتحذيرنا من المجموعة المزيفة، لكن خلال الهجوم اكتشفنا أنّ الهاركونِن كانوا قد كمنوا للمبعوث الفريمني، وجرحوه جرحاً بالغاً، مات أثناء نقلنا له إلى هنا لعلاجه على يد أطبائنا، كنت قبلها قد توقفت لمساعدته قدر استطاعتي لمّا رأيت حالته السّيئة، وباغتّه وهو يحاول إلقاء شيءٍ ما بعيداً"، أعاد آيداهو نظره إلى ليتو: "إنه سكّين يا سيدي، سكّين لم تقع عيناك على مثله".

سأل أحدهم: "كريسْنايف؟"

قال آيداهو: "بلا شك، بيضاء كاللّبن وتلمع بنورٍ داخلي"، أدخل يده في ردائه وأخرج غمداً بمقبضٍ أسود.

"دع هذا النّصل في غمده!"

جاء الصّوت من الباب المفتوح، مدوٍ وثاقب جذب انتباه الجميع.

وقف بالباب شخصٌ طويلٌ، يرتدي ثوباً، يمنعه من الدّخول سيفان متقاطعان في قبضة الحرس، اختفى جسده تحت ثوبٍ مدبوغ بلونٍ أصفر خفيفٍ إلّا من شقّ في قلنسوته ولثام أسود يظهر منه عينان زرقاوان بالكامل... بلا بَياض فيهما.

همس آيداهو: "دعه يدخل".

قال الدّوق: "دع الرجل يمر".

تردّد الحرس للحظة، ثم انخفضت السّيوف، ولج الرّجل القاعة ووقف أمام الدّوق.

قال آيداهو: "هذا ستيلغار، زعيم السيآتش الذي زرته، قائد الفرقة التي حذّرتنا من المجموعة المزّيفة".

قال ليتو: "مرحباً بك سيدي، ولم لا نخرج النّصل من غمده؟"

رمى ستيلغار بنظرة نحو آيداهو وقال: "أنت اتبعت طقوس التّطهر والشّرف بيننا، لذا مسموحٌ لك رؤية نصل الرّجل الذي صادقته"، ثم جال ببصره حول الآخرين في القاعة، "لكنّني لا أعرف هؤلاء، هل ستسمح لهم بتدنيس سلاحٍ شريف؟"

قال الدّوق: "أنا الدّوق ليتو، هل تسمح لي برؤية هذا النّصل؟"

قال ستيلغار: "سأسمح لك بأن تستحق شرف إخراجه من غمده،" تعالت همهماتٍ اعتراض من حول الطاولة فرفع الرجل يداً نحيفة مُعرَّقة، وقال: "أذكركّم بأن هذا النّصل يخص رجلاً كان صديقاً لكم".

وفي لحظة الصّمت والانتظار التي حلّت على القاعة تفحّص پاول الرّجل، شاعراً بهالة السّلطة التي كانت تشعّ منه، حقاً كان زعيماً... من قيادات الفريمن.

تمتم رجلٌ يجلس في مقعدٍ مواجهٍ لپاول: "ومن يكون هذا حتى يخبرنا بما يحقّ لنا فعله على آرّاكس؟"

قال الفريمن: "يقال أن الدّوق ليتو آتريديز يحكم برضا رعاياه، لذا سأخبركم بمنهجنا هنا، هناك

مسؤولية تقع على عاتق كل من يرى سكين كريسْنايف، " وهنا رمى آيداهو بنظرةٍ قاتمةٍ: "فمن يراه يصبح ملكنا، ولا يحق له أن يرحل عن آرِّاكس دون إذنٍ منّا".

شرع هاليك وغيره بالنهوض من مقاعدهم، وعلى ملامحهم تعابير غضب، وقال هاليك: "الدّوق ليتو هو من يقرر إن كـ..."

قال ليتو: "لحظة من فضلك".

نبرة الهدوء في صوت الدّوق كبحت غضبهم، فكر: . وجّه كلامه للفريمن: "سيدي، إني أحترم وأقدر الكرامة الشّخصية لأي رجل يحترم كرامتي. أنا بالفعل مدينٌ لكم، ودائماً ما أسددّ ديوني، إن كان من أعرافكم أن تبقى السّكين في غمده فهذا ما سيحدث ... بأمري أنا، وإن كانت هناك طريقةٌ نكرّم بها الرّجل الذي مات في خدمتنا فما عليك إلا أن تذكرها".

حدّق الفريمن في الدّوق، وأزاح لثامه ببطء، كاشفاً أنفاً رفيعاً وفماً بشفتين ممتلئتين تحيط بهما لحية شديدة السّواد، ثم انحنى عند طرف الطاولة، وبصق على سطحها اللامع.

هبّ الرّجال واقفين، لكن صوت آيداهو تردد عالياً في أرجاء القاعة: "توقفوا!"

وفي السّكون الفجائي المشحون قال آيداهو: "نشكرك يا ستيلغار على هدية ماء جسدك، ونتقبلها بنفس النيّة التي تم تقديمها بها"، وبصق آيداهو على الطاولة أمام الدّوق.

ثم وجه كلاماً جانبياً إلى الدوق: "تذكر يا مولاي ندرة الماء هنا، كانت دلالة على الاحترام".

غاص ليتو في مقعده، والتقطت عيناه ابتسامة پاول المرحة، وبدأت عضلاته في الارتخاء، ومع استيعاب رجاله لما حدث خفّت حدة التّوتّر حول الطاولة.

نظر الفريمن لآيداهو: "لقد أثبت جدارتك في سيآتشي يا دَنكِن آيداهو، هل تربطك بدوقك رابطة ولاء؟"

قال آيداهو: "إنه يطلب مني الانضمام تحت إمرته يا مولاي".

سأل ليتو: "هل يقبل وجود ولاء مشترك؟"

"تريدني أن أذهب معه يا مولاي؟"

قال ليتو: "ما أريده هو أن تقرر بنفسك"، ولم يستطع إخفاء نبرة الاستعجال في صوته.

تأمل آيداهو الفريمن: "هل تقبلني تحت هذه الشروط يا ستيلغار؟ ستأتي أوقاتٌ يتحتم عليّ فيها أن أعود لخدمة الدّوق".

قال ستيلغار: "إنّك مقاتلٌ بارعٌ، وقد بذلت جهدك لمساعدة صديقنا"، ثم نظر لليتو: "فليكن الأمر هكذا: ليحتفظ آيداهو بالكريسْنايف الذي يمسك به، كعلامة على ولائه لنا، يجب تطهيره طبعاً وأن تراعى الطقوس، لكنه أمر سهل، سيكون من الفريمن وفي نفس الوقت جنديا لآل آتريديز، هناك سابقة لمثل هذا: فـ ليّت أيضا يخدم سيدين".

سأل ليتو: " دَنكِن؟"

قال آيداهو: "فهمت يا مولاي".

قال ليتو: "اتفقنا إذن".

قال ستيلغار: "ماؤك أصبح ملكاً لنا يا دَنكِن آيداهو، جسد صديقنا سيبقى مع دوقك، ماؤه ملك لآل

آتريديز، هذا ميثاق بيننا".

أطلق ليتو نفساً محبوساً، ورمى بنظرة نحو حواط فالتقت عيناهما، أومأ حواط، وبدا على وجهه الرّضا.

قال ستيلغار: "سأنتظر في الأسفل، بينما يودع آيداهو أصدقاءه، اسم صديقنا الميت كان توروك، تذكروا هذا عندما يحين وقت إطلاق روح توروك أنتم أصدقاء لتوروك".

وبدأ ستيلغار يستدير مبتعداً.

قال ليتو: "هلا بقيت معنا قليلاً؟"

التفت الفريمن وهو يثبت لثامه في مكانه بحركة بسيطة، ويضبط شيئاً ما تحته، لمح پاول شيئاً يبدو كأنبوب رفيع قبل أن يستقر اللّثام في مكانه.

قال الفريمن متسائلاً: "وهل هناك سبب كي أبقى؟"

قال الدّوق: "نرغب في شرف استضافتك".

قال الفريمن: "الشّرف يستدعي أن أكون في مكان آخر قريب" وألقى نظرة أخيرة نحو آيداهو، ثم استدار وخطا ماراً بين حرس الباب.

قال ليتو: "إذا كان باقي الفريمن مثله، فسيخدم كل فريق منا صاحبه جيداً".

قال آيداهو بنبرة مزاح خفيف: "إنّه عينة جيدة يا مولاي".

"هل فهمت دورك يا دَنكِن؟"

"أنا سفيرك إلى الفريمن يا مولاي".

"نعقد الأمل فيك يا دَنكِن، سنحتاج لما لا يقل عن خمس كتائب من هؤلاء القوم قبل أن يباغتنا الساردوكار".

"ليست بالمهمّة الهيّنة يا مولاي، فالفريمن قوم مستقلون بطبيعتهم".

تردد آيداهو قبل أن يضيف: "وهناك أمر آخر يا مولاي، حاول أحد المرتزقة أن يأخذ هذا النّصل من صديقنا الفريمني الميّت، قال جندي المرتزقة أن الهاركونِن يعرضون مكافأة قدرها مليون سولاريس لكل سكين".

ارتفعت ذقن ليتو في اندهاشٍ واضحٍ: "ولم يحتاجونه لهذه الدرجة؟"

"يتم تصنيع هذا السّكين من أسنان دود الرّمال، وهو علامة الفريمن يا مولاي، يمكن لأي شخص ذي عيون زرقاء اللون أن يتسلل إلى أي سيآتش في الكوكب إذا كانت في حوزته السّكين، ولولا معرفتهم لي لفتشوني أنا أيضاً، لا أبدو كواحدٍ من الفريمن لكن..."

قال الدّوق: "پايتر دي ڤرايز".

قال حواط: "إنّه رجل ذو مكر شيطاني يا سيدي".

دسّ آيداهو السّكين تحت ردائه.

قال الدّوق: "احرس هذا السّكين"،

"فهمت، سيدي"، وربّت على جهاز الإرسال الملحق بحزامه: "سأرسل تقريري في أقرب وقت

ممكن، ظافر يعرف شفرة الاتصال بي، استخدموا مصطلحات المعارك،" أدى التَحية واستدار على عقبه وأسرع لاحقا بالفريمن، سمعوا خطوات أقدامه تدوي في الممر.

تبادل الدّوق وحواط نظرة خاصة، وابتسما.

قال هاليك: "أمامنا الكثير يا مولاي".

قال ليتو: "وأنا عطّلتك عن عملك".

قال حواط: "معي التّقرير الخاص بمقرّات قواعد الطّليعة، هل أؤجله لوقت آخر يا مولاي؟"

"أتقرير مطوّل؟"

"سأختصر، يقال في أوساط الفريمن أنه كان يوجد أكثر من 200 مقر من تلك القواعد تم إنشاؤها على آرِّاكس خلال فترة اختبار عمليات الإنبات الصحراوي، ومن المفترض أنها مهجورة كلها الآن، لكن هناك تقارير تقول أنه تم إغلاقها بإحكام قبل هجرها".

سأل الدوق: "وبها معدات؟"

"حسب التّقارير التي وصلتني من دَنكِن".

سأل هاليك: "وأين مواقعها؟"

قال حواط: "الإجابة المتكررة على هذا السؤال: ليتّ أعلم".

تمتم ليتو: "الرّب أعلم".

قال حواط: "ربّما ليس هذا هو المعنى يا مولاي، فقد سمعت بنفسك ستيلغار يستخدم الاسم، هل من الممكن أنه شخصٌ حقيقي؟"

قال هاليك: "عبارة: يخدم سيدين... تبدو لي وكأنها اقتباس من نص مقدس".

قال الدّوق: "وأنت أدرى بهذه المسائل"، فابتسم هاليك.

قال ليتو: "قاضي التّحكيم، خبير البيئة التّابع للإمبراطور، المسمّى كاينز... ألن يكون على علم بمواقع هذه القواعد؟"

قال حواط في نبرة حذرة: "مولاي... كاينز موظفٌ عند الإمبراطور".

قال ليتو: "وهو هنا بعيدٌ جداً عن مكان الإمبراطور، أريد هذه القواعد، ستكون ممتلئةً بمواد يمكن الاستيلاء عليها واستخدامها في تصليح معداتنا".

قال حواط: "مولاي! هذه القواعد لا زالت تابعة قانوناً لإقطاع جلالته الإمبراطور".

قال الدّوق: "المناخ هنا يدمّر كل شيء، يمكن أن نلقي باللّوم على المناخ، تواصل مع كاينز هذا، واعرف على الأقل إن كانت القواعد موجودة فعلاً".

قال حواط: "الاستيلاء عليها عملٌ خطيرٌ، فقد كان دَنكِن واضحاً في تقريره: هذه القواعد - أو فكرة وجود هذه القواعد - لها دلالة عميقة عند الفريمن، فربما ينفر الفريمن منا إن استولينا عليها".

نظر پاول لوجوه الرجال من حوله، ورأى تركيزهم الشّديد في متابعة كل كلمة تقال، بدا عليهم الانزعاج العميق من طريقة تفكير والده.

قال پاول بصوت منخفض: "اصغ لكلامه يا أبي... فما يقوله سليم".

قال حواط: "مولاي، حتى لو كانت هذه القواعد قادرة على إمدادنا بمواد تساعدنا في إصلاح كل المعدات المتروكة لنا فستظل خارج متناول يدنا، لأسباب استراتيجية، من التهور أن نقدم على الأمر دون جمع قدر أكبر من المعلومات، كاينز يستمد من البلاط الإمبراطوري سلطة التحكيم في المنازعات، يجب ألا ننسى هذا، كما أن الفريمن يحترمون قراراته".

قال الدّوق: "كن كيّسا إذن، في البداية أريد أن أعرف إن كانت تلك القواعد موجودةٌ فعلاً"

تراجع حواط في مقعده وخفض بصره: "أمرك مولاي".

قال الدّوق: "جيد، كلنا مدركون لما نحن مقبلون عليه... العمل الدؤوب تدربنا عليه، عندنا خبرة فيه نعرف المكاسب المتوقعة، كما أن البدائل واضحةٌ لنا، وكلّكم تعرفون مهامّكم المحدّدة".

ونظر لهاليك: "جيرني، اهتم أولاً بموضوع المهرّبين".

قال هاليك بصوتٍ منغّم: "سأذهب للمتمرّدين الذين على يباسِ الأرضِ يتربّصون ".

قال الدّوق: "يوماً ما سيعجز هذا الرّجل عن الإتيان باقتباس، وسيبدو لحظتها كما لو كان عارياً".

تردّدت الضّحكات حول الطاولة، إلّا أن پاول سمع فيها قدراً من الافتعال.

التفت الدّوق لحواط: "قم بتجهيز مقرّ قيادةٍ إضافيٍ للاستخبارات والاتصالات بهذا الطّابق يا ظافر، وحينما تنتهي من إعداده أريد أن أراك".

نهض حواط، ودار ببصره في المكان كما لو كان يطلب العون، ثم استدار مبتعداً، يقود موكبَ الحاضرين لخارج القاعة، احتكّت المقاعد بالأرضية وتركها الرّجال وراءهم في تجمّعات صغيرةٍ مضطربةٍ.

فكّر پاول وهو ينظر لظهورِ آخر المغادرين: . في السّابق كانت اجتماعات أركان الحرب تنتهي قاطعةً وواضحة المعالم، أما هذا الاجتماع فانتهى بشكل هزيلٍ متقطعٍ، كما لو أصابه الإرهاق من قلّة الكفاءة... وفوق كلّ هذا فإنه انتهى بجدال.

ولأول مرةٍ سمح پاولٍ لنفسه بالتّفكير في احتماليّة الهزيمة، لم يخطر له هذا جرّاء خوفٍ أو بسبب تحذيرات السّيدة الموقرة العجوز، بل بسبب تقديره الشّخصي للموقف.

.

وحواط، تذكر پاول تصرفات المِنتات العجوز أثناء الاجتماع، ترددات خفيّة، علامات اضطراب، كان حواط قلقاً بشدةٍ من أمرٍ ما.

قال الدّوق: "الأفضل أن تبقى هنا باقي اللّيلة يا بني، والفجر قريب، سأبلغ أمّك".

نهض ببطء، وبحركة متخشّبة: "لم لا تقرّب هذه المقاعد وتتمدّد عليها لترتاح قليلاً".

"لا أشعر بتعبٍ يا سيدي".

"على راحتك".

جمع الدّوق يديه خلف ظهره وراح يسير ذهاباً وإياباً.

فكّر پاول: .

قال پاول: "هل ستناقش مع حواط احتمالية وجود خائن؟"

توقف الدّوق في الجهة المقابلة لابنه، وتكلم ناظراً عبر النّوافذ المظلمة: "لقد ناقشنا - أنا وهو -

الاحتمالية مراتٍ عديدة".

قال پاول: "بدت المرأة العجوز متيقّنة ممّا تقول، والرّسالة التي وجدتها أمي ت-..."

قال الدّوق: "تمّ اتخاذ الاحتياطات المناسبة"، ونظر حوله في أرجاء القاعة، فلاحظ پاول في عينيّ والده نظراتِ الطّريدة في البرّية.

"ابق هنا، لديّ بعض الأمور بخصوص مقرّات القيادة أرغب في مناقشتها مع ظافر"، واستدار مسرعاً لخارج القاعة، مع إيماءةٍ خفيفة لحرس الباب.

حدّق پاول في المكان الذي شغله والده قبل لحظات، كان فارغاً حتى قبل أن يغادر الدّوق القاعة.
وتذكّر تحذير المرأة العجوز: "... بالنّسبة للأب لا أمل".

13

"في ذلك اليوم الذي سارت فيه عربة المؤدّب وأسرته في طرقات آرّاكين لأوّل مرّة، تذكّر بعض أفراد الشعب - الواقفون على جانبِ الطّريق - الأساطير والنّبوءات، فتشجّعوا وصاحوا: 'المهدي!' إلّا أن صيحاتهم تلك كانت سؤالاً أكثر من كونها تصريحاً، مجرّد أمنياتٍ، إنّه المنتظَر المسمى 'لسان الغيب'... الصّوت القادم من العالم الخارجي، وكان انتباههم منصباً أيضاً على الأم، إذ بلغهم أنها من بِني-جيزيرِت، فاعتبروها 'لسان غيبٍ' ثانٍ."

من كتاب (دليل المؤدّب)، تأليف الأميرة إيرولان

عثر الدّوق على ظافر حواط وحيداً في الحجرة الجانبية التي أرشده الحارس إليها، صدرت من حجرة مجاورة أصوات رجالٍ يركّبون أجهزة اتصالات، أما هذه الحجرة فكانت هادئة، جال الدّوق ببصره في المكان، ونهض حواط من المنضدة المزدحمة بالأوراق، حوت الحجرة بجدرانها الخضراء ثلاثة مقاعد مضادة للجاذبية، وبدا له أنّ حرف الـ هـ الهاركوني تم نزعه منها على عجل، تاركاً وراءه بقعةً يختلف لون طلائها عمّا حولها.

قال حواط: "ليست مقاعدنا لكنّها آمنة، أين پاول يا مولاي؟"

"تركته في قاعة الاجتماعات، أتمنى أن ينال بعض الرّاحة دون أن يشتته وجودي معه".

أومأ حواط وخطا نحو الباب المؤدّي للحجرة المجاورة، وأغلقه، كاتماً الضوضاء الإستاتيّة وفرقعات الشّرر الإلكتروني.

قال ليتو: "ظافر، يشغلني أمر مخازن السپايس الاحتياطيّة التّابعة لكل من الإمبراطور وآل هاركونِن".

"سيدي؟"

زمّ الدّوق شفتيه: "ليس من الغريب أن تتعرض المخازن للتّدمير"، ورفع يده لمقاطعة حواط قبل أن يتكلّم: "تجاهل ما يكنزه الإمبراطور من مخزون، لكن إن تعرّض الهاركونِن للإحراج فسيشمت فيهم الإمبراطور، وهل سيعترض البارون على تدمير شيء لا يمكنه أصلاً الاعتراف علانيّة بامتلاكه؟"

هزّ حواط رأسه: "مولاي، حالياً ليس لدينا عددٌ كبير من الرّجال حتى نستغني عنهم".

"استخدم بعض رجال آيداهو، وقد يبتهج بعض الفريمن للخروج في رحلةٍ لكوكبٍ آخر، غارةٌ على كوكب غيدي برايم ... للهجمات الجانبية فوائد تكتيكيّة يا ظافر".

"كما تريد سيدي"، استدار حواط فلمح الدّوق علامات قلقٍ على وجه العجوز.

.

قال: "قليلون من أثق فيهم ثقةً تامةً، وأنت أحدهم يا ظافر، لذا هناك أمرٌ أرغب في مناقشته معك، نحرص كلانا على منع اختراق الخونة لصفوفنا... لكن لدّي تقريران جديدان بهذا الشأن".

استدار حواط وحدّق فيه، أعاد ليتو سرد المعلومات التي جاءه بها پاول، وبدلاً من أن تستحضر تلك التّقارير في حواط تركيزه المِنتاتي أفلحت فقط في زيادة قلقه.

تفرّس ليتو في الرّجل العجوز ثم قال: "إنّك تكتم عني أمراً يا صديقي المخلص، كان عليّ أن أنتبه لمّا رأيتك مضطرباً أثناء الاجتماع، ما هذا الأمر الخطير الذي تحجم عن التصريح به أمام باقي الحضور؟"

انطبقت شفتا حواط وتحولتا لخط مستقيم متزمّت تشعّ منه خطوطاً مجعَّدة صغيرة، ظلا على تزمتهما المتجعّد وهو يقول: "سيّدي، لا أعرف طريقةً مناسبةً لمفاتحتك في هذا الموضوع".

قال الدّوق: "تحمل أجسادنا ندوباً كثيرةً حصلنا عليها في حمايتنا لبعضنا البعض يا ظافر، يمكنك مفاتحتي في أيّ موضوع بلا تحفّظ".

استمرّ حواط في التّحديق، مفكراً: .

استعجله ليتو قائلاً: "تكلم!"

هزّ حواط كتفيه: "وجدنا قصاصة رسالة، أخذناها من جاسوس هاركونيّ، كان من المفروض أن تصل لعميل اسمه پاردي، لدينا ما يؤكد أن پاردي هذا كان كبير شبكة عملاء الهاركونِن السّريين، وهذه الرّسالة... قد تكون لها عواقب خطيرة أو عكس ذلك تماماً، تأويلات فحواها متعدّدة".

"وما هو هذا المحتوى الحسّاس الذي انطوت عليه هذه الرّسالة؟"

"مجرّد قصاصة من رسالة يا سيدي، غير مكتملة المعنى، مسّجلة على شريطٍ ميكروني مصحوب بكبسولة تدمير، نجحنا في إيقاف تأثير الحمض قبل أن يمحوها بالكامل، فلم تتبق سوى قصاصة، إلّا أن للقصاصة المتبقّية دلالاتٌ واضحة".

"وهي؟"

حكّ حواط شفتيه: "إنّها تقول: ...يتو لن يرتاب في الأمر أبداً، وعندما تفاجئه الضّربة من يدٍ يحبها، فإن صدمة معرفته بمصدرها، ستكفي وحدها لتدميره. الرّسالة كانت مختومة بختم البارون ذاته، وقد تأكدتُ من صحّة الختم".

قال الدوق: "واضح إلى من تتجه شكوكك"، وانقلب صوته فجأة.

قال حواط: "أفضّل أن أقطع ذراعي على أن أتسبب لك في ألمٍ. سيدي، ماذا لو..."

قال ليتو: "اللّيدي جيسيكا"، وشعر بالغضب يتملّكه، "ألم تستطع انتزاع الحقيقة كاملة من پاردي هذا؟"

"للأسف مات پاردي قبل الحصول على الرّسالة، أمّا الجاسوس الحامل لها فأنا على يقينٍ من أنه جاهل بمحتوى ما يحمله".

"فهمت".

هزّ ليتو رأسه: . ! .

"سيدي، لو..."

صاح الدّوق: "كلّا! بالتّأكيد في الأمر خطأ ما ي-..."

"لا يمكننا تجاهل المسألة يا سيدي".

"إنها معي منذ 16 عام! أتيحت لها فرصٌ لا حصر لها كي... ثم أنت بنفسك تحقّقت من المدرسة والمرأة!"

ردّ حواط بمرارة: "أحيانا تفوتني بعض الأشياء".

"أقول لك أن الأمر مستحيل! فالهاركونِن يرغبون في إفناء سلالة آل آتريديز... يعني پاول أيضاً،

وقد حاولوا مرّة بالفعل. هل يمكن أن تتآمر امرأة ضد ابنها؟"

"ربما لا تتآمر ضد ابنها، ومحاولة الأمس قد تكون خدعة ماكرة".

"لا يمكن أن تكون خدعة".

"مولاي، كلنا افترضنا أنها لا تعرف أصلها... لكن ماذا لو كانت تعرفه؟ ماذا لو كانت يتيمة على سبيل المثال، وكان من تسبّب في يتمها هو أحد آل آتريديز؟"

"لكانت أقدمت على فعلتها منذ زمن، سمّ في شرابي... طعنةٌ أثناء نومي، كلها فرص كانت متاحة لها".

"هدف الهاركونِن تدميرك يا سيدي، فمرادهم ليس القتل فقط، وفي قواعد الثّأر مستويات دقيقة للتمييز بين الأمرين، قد يكون هذا انتقاماً بارعاً لا مثيل له".

انكمشت هيئة الدّوق بانخفاض كتفيه، أغلق عينيه، وبدا كشيخٍ متعبٍ. ...

.

سأل: "وهل هناك طريقةٍ أفضل لتدميري من زرع الشّك تجاه المرأة التي أحب؟"

قال حواط: "وهو تفسير خطر لي فعلاً. لكن...!"

فتح الدّوق عينيه وحدّق في حواط: . .

.

همس الدّوق: "وماذا تقترح؟"

"في هذه المرحلة أقترح مراقبة دائمة يا سيدي، علينا مراقبتها طوال الوقت، وسأحرص أن يتم الأمر دون ملاحظتها، آيداهو الرّجل المثالي لهذه المهمة، ربما في غضون أسبوع أو اثنين يمكن أن نستدعيه، هناك شاب كنا ندربه ضمن جنود آيداهو قد ينفع كبديل مثالي لإرساله للفريمن، موهوب في الشؤون الدبلوماسية".

"لا تفسد علاقتنا التي نبنيها مع الفريمن".

"بالطبع لا يا مولاي".

"وماذا عن پاول؟"

"ربّما يجب أن ننبه الدكتور يُوي".

أدار ليتو ظهره لحواط: "سأترك الأمر في يديك".

"سأتعامل معه بحرص وسرية يا سيدي".

فكر ليتو: . وأضاف: "سأتمشى قليلاً، إن احتجتني في شيء سأبقى في حدود المكان، ويمكن للحارس أن..."

"سيدي، قبل أن تذهب، معي ميكروفيلم عليك أن تقرأه، تحليل مبدئي عن ديانة الفريمن، وكما تذكر كنتَ قد طلبت مني أن أجمع تقريراً عنها"

توقّف الدّوق، وتكلّم دون أن يستدير: "ألا يمكن للأمر أن ينتظر؟"

"بالطبع يا سيّدي، لكنك استفسرت عن الكلمة التي كانوا يصيحون بها، إنها 'المهدي!'.. وقد وجّهوها للسّيد الصّغير عندما..."

"لپاول؟"

"أجل يا سيدي، فعندهم هنا أسطورة. نبوءة، تقول أن قائداً سيأتيهم، وسيكون ابناً لبني-جيزيرِت، وسيقودهم للحرية الحقيقية، تتبع الأسطورة النمط المألوف لأساطير المسيح".

"ويظنّون أن پاول هو هذا ال-... ال-..."

"هذا أملهم يا سيدي"، ومد يده بكبسولة ميكروفيلم.

تناولها الدّوق ودفعها في أحد جيوبه: "سأطلع عليها لاحقاً".

"بالطبع يا سيدي".

"أما في هذه اللّحظة فإني بحاجة لوقت ل-... للتفكير".

"تمام، سيدي".

أخذ الدّوق نفساً عميقاً وتنهّد، ثم أسرع عبر الباب، انحرف يميناً هابطاً للرّدهة، ثم سار - ويداه خلف ظهره - غير مدركٍ لخط سيره، مشى عبر ممرّات وسلالم وشرفات وردهات، وناس قدّموا له التّحية وانزاحوا جانباً موسعين له الطريق.

بعد فترةٍ عاد لقاعة الاجتماعات، فوجدها مظلمةً، ووجد پاول نائماً على الطّاولة ممدداً فوق رداء أحد الحراس، وقد اتّخذ حقيبةً صغيرةً كوسادةٍ. سار الدّوق بهدوء، عابراً القاعة حتى وصل للشّرفة المُطلة على ساحة المِهبط، وقف أحد الحرس في ركن الشّرفة، وعندما تعرّف على الدّوق في الضّوء الخافت المنعكس من السّاحة، اتّخذ وضع انتباهٍ عسكري،

تمتم الدّوق: "استرح"، واتّكأ على المعدن البارد لحاجز الشّرفة.

هبط على منطقة الحوض الصحراوي ذلك السّكون الذي يسبق طلوع الفجر، رفع بصره فرأى النّجوم كشالٍ مزينٍ بالترتر بخلفيّة زرقاء داكنة، وفي الأفق الجنوبي أطلّ قمر اللّيلة الثاني عبر غشاوة غبار رقيقةٍ، راقبه القمر بنظرةٍ ساخرةٍ.

ثم انخفض القمر تحت تلالٍ الجدار الجبلي، ناشراً نوره الأبيض عليها وكأنّه ثلجٌ، وفي شدّة الظّلام المفاجئ أصابته رجفةٌ باردةٌ، وتصاعد الغضب مسيطراً عليه.

! .

ثم انتابته مسحة حزنٍ: ... ودون وعي مسحت يده شعار الصّقر المعلّق على ردائه.

ناحية الشّرق نبت من الليل خطّ رماديّ طويل، ما لبث أن تحوّل لشكل صدفةٍ بحريةٍ برّاقة طغت على ضوء النّجوم. ثمّ بزغ الفجر، بحركته البطيئة التي شقّت لنفسها طريقاً بين الأفق المتكّسر، بزوغ يستحقّ في روعته أن تُدقّ له الأجراس.

سيطر المنظر على كلّ جوارحه. .

استغرب وجود جمال كهذا في مكان كهذا، ذاك الأفق الأحمر المتكسّر، وتلك التّلال الأرجوانية والكركمية، ووراء ساحة المهبط - حيث ندى اللّيل الخفيف يمنح لمسة الحياة لبذور آرّاكس - رأى بِركاً صغيرةً من أزهارٍ حمراء، يخترقها خط واضح من البنفسج... وكأنّها آثار أقدامٍ عملاقةٍ.

قال الحارس: "صباحٌ جميلٌ يا مولاي"

"هو حقاَ كذلك"

.

ثم رأى أشخاصاً يقتربون من حقول الزّهور، يمسحونها باستخدام آلاتٍ غريبةٍ تشبه المناجل، جامعو النّدى، الماء النّادر لدرجة أن النّدى ذاته يجب أن يُجمع.

.

14

"ثمّة لحظات شديدة التّوهج، إذ يُدرك المرء فيها أنّ والده مجرّد إنسان، من لحمٍ ودم".

من كتاب (الأقوال المجمعة للمؤدّب)، تأليف الأميرة إيرولان

قال الدّوق: "پاول، ما أفعله بغيض إلى نفسي، لكن لا مفرّ منه"، كان واقفاً بجوار جهاز "تتبّاع السّموم" المتنقل الذي تم إحضاره لغرفة الاجتماعات لفحص طعام الإفطار، ارتخت أذرع مجسّات الجهاز على المائدة، فبدت لپاول كجسد حشرةٍ غريبةٍ ماتت قبل لحظاتٍ.

كان انتباه الدوق منجذباً نحو النوافذ، وهو ينظر إلى السّاحة المخصّصة لهبوط الطائرات، تتصاعد أتربتها المثارة إلى سماء الصّباح.

جلست أمام پاول شاشة عارض عليها قصاصة ميكروفيلم قصيرة تتحدث عن طقوس الـفريمِن الدينية، جمعها أحد الخبراء العاملين تحت قيادة حواط، شعر پاول بانزعاج لرؤيته الأجزاء التي تشير إليه.

"المهدي!"

"لسان الغيب!"

عندما يغمض عينيه يسترجع صيحات الجموع. وتذكر الكلمة التي قالتها السّيدة الموقرة... 'الكويزاتس هاديراك، قافز الطريق'، أحيت الذكريات شعوره السابق بوجود "غاية رهيبة" لحياته، وشعوراً آخر لم يفهمه... شعوره بأن عالم هذا الكوكب الغريب مألوف له.

قال الدّوق: "بغيض".

"ماذا تعني يا سيدي؟"

التفت ليتو ونظر إلى ابنه: "يظن الهاركونِن إنهم قادرون على خداعي لأفقد الثّقة في أمك، لا يعلمون أن ثقتي فيها تفوق حتى ثقتي في نفسي".

"لا أفهم ما تقصده يا سيدي".

عاد تأمل ليتو عبر النافذة، الشّمس البيضاء التي وصلت لأقصى ارتفاع في مسارها اليومي، الضّوء المنساب كاللّبن عبر سحب الغبار والتي - بدورها - تحاول تسلّق صخور الجدار الجبلي الحامي للساحة.

أخبر الدّوق پاول بمحتوى الرسّالة الغامضة، تكلم ببطء كي يتحكم في غضبه.

قال پاول: "لا يعلمون أن ثقتك في أمي تقترب من درجة ثقتك فيّ أنا".

قال الدّوق: "لكن يجب أن يقتنع خصومنا أنهم نجحوا في خداعي، وأنني بالحماقة التي يتصورونها، يجب أن تبدو هذه التّمثيلية حقيقية، وأن نخفي ثقتي في أمك حتى عن أمك ذاتها".

"لكن... لماذا يا سيدي؟"

"يجب أن يكون ردّ فعلها حقيقة لا تمثيل، وقدراتها في هذا المجال هائلة، لكن لا يمكن المجازفة في هذا الأمر الخطير، هدفي أن أكشف الخائن الحقيقي، ولهذا يجب أن أظهر وكأنني وقعت في الخدعة وصدّقت أن أمك هي الخائن، قد تسبب شكوكي الظاهرية ألماً لكنّها في مصلحتها على المدى البعيد".

"إذن لماذا أخبرتني يا أبي؟ فربما أفشل في التّمثيل وتنكشف الخدعة".

قال الدّوق: "لن يدققوا كثيراً في أفعالك، وفي كل الأحوال يجب أن تجتهد في الحفاظ على السّر".

اقترب من النوافذ وتكلّم دون أن يلتفت: "وهكذا سيكون بإمكانك أن تخبر أمك بحقيقة مشاعري وبثقتي فيها... إن حدث شيء ما ل فأخبرها أنني لم أشك فيها ولو للحظة، يهمني أن تكون أمك على علمٍ بهذا ومتأكدة منه".

فهم پاول كلمات والده وما تحويه من إشارة إلى الموت، فسارع بالرّد: "لا شيء سيحدث لك يا سيدي، ال-..."

"اصمت يا بني".

حدّق پاول في ظهر أبيه، ورأى ملامح الإرهاق بادية على جسده، متجليّة في بطء حركاته وفي انحناءة رقبته وفي ارتخاء كتفيه. "أنت متعبٌ فقط يا أبي".

وافقه الدّوق: "أنا متعبٌ فعلاً، لكن تعبي معنوي، يبدو أن التّدهور الكئيب المسيطر على أسر النّبلاء قد أدركني أخيراً، كم كنا أقوياء في الماضي".

قال پاول في غضب: "أسرتنا لم تتدهور!"

"متأكد؟"

التفت الدّوق لينظر لابنه، وبرزت الدّوائر السّوداء تحت العينين الحادّتين: "أرغب في أن أعلن أمك كزوجةٍ رسميةٍ لي، وأن تصبح دوق، لكني أعرف أن امتناعي عن الزواج يعطي نبلاء الأسر الأخرى أملاً في أن أتحالف مع أحدهم في المستقبل بالاقتران بإحدى بناتهم"، ثم هزّ كتفيه وقال: "ولهذا لا..."

"أمي شرحت لي الموضوع".

"الثّقة بالنّفس والجرأة عاملان هامّان في زيادة ولاء الرّجال لقائدهم، لهذا أحرص على أن أظهر بمظهر الواثق الجريء".

اعترض پاول: "قيادتك حكيمة وحكمك عادل، الرّجال يحبّونك ويطيعونك طواعية".

قال الدّوق: "لأني أملك آلةً إعلاميةً ممتازة"، ثم عاد لينظر للسّاحة الخارجية، "الفرص المستقبلية المتوفّرة لنا هنا على آرّاكس تفوق كل ظنون الإمبراطور ومخاوفه، ومع ذلك أشعر أنه كان من الأفضل لنا أن نهرب بعيداً، أن ننشق، أحياناً أتمنى أن نذوب بين النّاس ونختفي، فيقل تعرضنا ل-..."

"أبي!"

"عندك حق... أنا متعب فعلاً، هل تعلم أننا بدأنا في استخدام فضلات السپايس كمادة تصنيع، وأننا نملك مصنعاً لإنتاج الشّاشات الورقية؟"

"سيدي؟"

قال الدّوق بتهكم حزين: "طبعاً يجب أن نحرص على أن تتوافر الشاشات الورقية دائماً، وإلا لعجزنا عن أن نغرق القرى والمدن بمعلوماتنا وأخبارنا، يجب أن يبقى الشّعب مطلعاً بشكلٍ دائم على نجاحاتي في إدارة أمورهم، كيف سيعلمون إذن بإدارتي الحكيمة إن لم نخبرهم باستمرار؟"

قال پاول: "يجب أن ترتاح".

واجه الدّوق ابنه مرة أخرى وقال: "لكوكب آرّاكس ميزة أخرى كدت أنسى أن أخبرك بها، السپايس هنا يتغلغل في كل شيء وكل مكان، نستنشقه ونأكله في كل شيء، علمت أن هذا يؤدّي لتكون مناعة طبيعية في الجسد ضد كثير من السّموم المشهورة والموجودة في كتاب دليل الاغتيال، وفي الوقت ذاته، حاجتنا الدّائمة للتّدقيق في عدم الإسراف في استهلاك الماء يؤدي لوضع الأغذيةٍ والأطعمة تحت رقابة مشدّدة، أي عمليات الخبز والاستزراع المائي والتخمير، وهكذا يستحيل مثلاً أن نقضي على أعداد كبيرة من المواطنين باستخدام السّموم الكيماوية، ويستحيل أيضاً أن تتم مهاجمتنا بهذه الطريقة، آرّاكس يجبرنا ويجبرهم على أن نكون أخلاقيين".

هَمَّ پاول لقول شيءٍ لكن الدّوق قاطعه: "هذه أمور أحتاج للفضفضة بها لأحد يا بني"، تنهّد ونظر فوق كتفه ناحية السّاحة، حتى أزهار الصباح اختفت، داسها 'جامعو النّدى'، وذوت تحت وطأة الشمس.

قال الدّوق: "على كالادان حَكمنا باستخدام القوة البحرية والجوية، أما هنا فعلينا السّعي لاقتناص قوة الصحراء. هذا هو ميراثك يا پاول، ماذا سيكون مصيرك إن أصابني مكروه؟ لن تكون أسرتنا منشقّة، بل ستكون فرقة حرب عصابات، معرضة للمطاردة باستمرار".

عجز پاول عن الكلام، لم يسبق له أن رأى والده بهذا القنوط والاكتئاب.

قال الدّوق: "كي نحافظ على حكمنا لآرّاكس تواجهنا قرارات قد تخدش احترامنا لأنفسنا"، أشار لخارج النّافذة نحو راية آل آتريديز بلونيها الأخضر والأسود، تتدلى من سارية العلم في نهاية ساحة هبوط الطائرات، "تلك الرّاية الشّريفة قد تتحول في المستقبل لتصبح رمزاً للشّر".

حاول پاول ابتلاع ريقه لكنّ حلقه كان جافاً، حملت كلمات والده استسلاماً وحتمية يائسة صنعا فراغاً في صدره.

أخرج الدّوق من جيبه حبّة لمعالجة الإرهاق، وابتلعها دون ماء، "القوّة والخوف هما أدوات الحكم، يجب أن أصدر أمراً بأن يتم التركيز في تدريبك على تكتيك حرب العصابات، يطلقون عليك 'المهدي' و 'لسان الغيب'، وربّما عليك استغلال ذلك لمصلحتك... كإجراء احترازي".

راقب پاول والده... رأى ارتخاء الكتفين يزول بالتدريج تحت تأثير حبّة الدواء، لكن لم يستطع نسيان الكلمات المحمّلة بمشاعر الخوف والشك.

تذمّر الدّوق: "لم تأخر الخبير البيئي هكذا؟ ألم أقل لظافر أن يحضره مبكراً؟"

15

"في يوم أمسكني أبي - الإمبراطور الپاديشي - من يدي وقادني معه، وبواسطة 'الأساليب' التي علمتني أمي إياها استطعت استشعار انزعاجه الدّاخلي. مشينا في ردهةٍ مكتظة باللوحات، حتى وصلنا لصورةٍ تجسُّد الذّوق ليتو آتريديز.

كم من الشّبه الشّديد بينهما... أبي وذلك الرّجل في الصورة! الوجه الدقيق والوسيم، تلك الملامح الحادة التي تتوسطها عينان صارمتان.

وهنا قال أبي: 'ابنتي الأميرة، كم كنت أتمنى لو كنت أكبر سناً عندما قرّر هذا الرّجل اختيار رفيقته من النّساء!'.

كان عمر أبي 71 سنة عندما قال لي هذا، والرّجل الظّاهر في الصّورة كان قريباً منه في العمر، أما أنا فلم أكن أتجاوز الـ 14، ومع هذا أتذكّر ما خطر في بالي وقتها: إنّ أبي يتمنى لو أنّ الذّوق كان ابناً له، ويأسف في سريرته لوجود تلك الاعتبارات السّياسية الضّرورية التي جعلتهما أعداء".

من كتاب (في بيت أبي)، تأليف الأميرة إيرولان

كان دكتور كاينز - خبير البيئة الكوكبية - مأموراً بخيانتهم، لكنّه خرج من لقائه الأول معهم مهزوزاً.

في السّابق كان يفخر بكونه عالم تجريبي، لا يتأثر بالأساطير، بل يتعامل معها على أنّها مجرد قصص مثيرةٍ يمكن استخدامها كعلاماتٍ تشير للجذور الثّقافية للمجتمع، لكن هذا الفتى يطابق النّبوءات القديمة بدِّقة بالغةٍ، خصوصاً ما يتّصف به من 'عينٍ لماحةٍ' و'لهجةٍ صادقةٍ'.

طبعاً حملت النّبوءة مساحةً مفتوحةً للتّأويل، خصوصاً في مسألة ما إن كانت 'الأم المقدسة' ستأتي للكوكب ومعها 'المسيح' المنتظر أم أنّها ستلده هنا، لكن - في الوقت ذاته - لا يمكن إنكار وجود توافقٍ عجيبٍ بين الشّخص والنّبوءة.

حدث اللّقاء وقت الضحى، خارج المكتب الإداري الملحق بساحة المهبط في مدينة آرّاكين، في مكان قريب قبعت طائرة أورنيثوبتر عادية - كحشرةٍ ناعسةٍ - تصدر عنها همهمةٌ خافتةٌ تدلّ على وضعيّةً الانتظار، بجوارها وقف حارس آتريدي، مشهراً سيفه، تحيط بجسده تلك التّموجات الهوائية الخفيفة المشيرة لارتدائه درع طاقة.

لدى ملاحظته لتموّجات درع الطّاقة فكّر كاينز بتهكم: !

رفع كاينز يدًا، مشيراً لحارسه الفريمني بالانتظار، ثم أسرع نحو مدخل المبنى، فتحةٌ مظلمةٌ تحيط بها حجارةٌ مغطاةٌ بطبقةٍ من البلاستيك. !

.

جذبت انتباهه حركةٌ في المدخل، فتوقّف، وشغَل لحظة الانتظار بتعديل رداءه وضبط أحد أجزاء بذلة التّقطير عند كتفه الأيسر. انفتحت أبواب المدخل على مصراعيها، وخرج منها حراس آتريديون، مدجّجون بأسلحة صواعقٍ بطيئة الطلقات، وسيوف، ودروع. وخلفهم رجلٌ طويل القامة، بقسمات الصّقور، داكن البشرة والشّعر، كان يرتدي عباءة جُبّة مزيّنة على الصّدر بشارة آل آتريديس، وبدا جلياً - من هيئته - أنّه لم يتعود على ارتداء هذا النّوع من الملابس، إذ التصقت الجبّة برجل بذلة التّقطير تحتها، وكانت حركتها مقيّدة.

ومشى بجوار الرّجل فتى بشعرٍ أسود داكن، ووجهٍ مستديرٍ، بدا الفتى صغير الحجم بالنّسبة لشخص عمره 15 عاماً، لكن ظهرت على جسده الصّغير أمارات القيادة، واتّزان وثقةٌ بالنّفس، كما لو كان

يرى ويدرك أشياء من حوله يعجز الآخرون عن رؤيتها، كان مرتدياً نفس عباءة والده إلا أنها بدت عليه مريحة وطبيعية كما لو أن الفتى تعوّد ارتداءها طوال عمره.

وقد ورد في النّبوءة:

هزّ كاينز رأسه:

جاء برفقتهما رجلٌ - يرتدي مثلهم ملابس الصّحراء ... جيرني هاليك، أخذ كاينز نفساً عميقاً ليخمد استيائه تجاه هاليك، فقد التقى به من قبل حين قام هاليك بتلقينه الأساليب الرّسمية للتّعامل مع الدّوق وولي عهده.

"عليك أن تدعو الدّوق بكلمة: سيّدي، أو مولاي، لقب 'سليل النّبلاء' جائزٌ أيضاً، إلا أنه يستخدم للمناسبات الأكثر رسميّة، أما الابن فعليك أن تناديه بـ 'سيّدي الصّغير' أو 'سيّدي'، الدّوق رجل ليّن الجانب، لكن لا يحتمل رفع الكلفة".

راقب كاينز المجموعة المتقدّمة نحوه:

لم يفلت من كاينز مغزى أسئلة حواط، إنّهم يريدون الحصول على مقرّات القواعد التّابعة للإمبراطور. من الواضح أن آيداهو مصدر معلوماتهم، سأجعل ستيلغار يبعث برأس آيداهو لهذا الدّوق.

اقتربت المجموعة الدّوقية وأحذيتهم الصّحراوية تسحق الرّمال.

انحنى كاينز: "سيّدي الدّوق".

تفرّس ليتو في الرّجل الذّي يقف منفرداً جوار الأورنيثوبتر. طويلٌ، هزيلٌ، يرتدي ملابسّ صحراويّة: ثوباً فضفاضاً، بذلة تقطير، وحذاءً منخفضاً، كانت قلنسوة الرّجل ملقاةً للخلف، ولثامها يتدلّى للجانب، كاشفاً عن شعرٍ طويلٍ بلون صفرة الرّمال، ولحيةٍ خفيفةٍ، أما العينانِ فكانتا بذلك اللّون العميق: أزرق في أزرق، وفوقهما حاجبين كثيفين، حول العينين تناثرت بقعٌ داكنة تلطّخ البشرة.

قال الدّوق: "أنت الخبير البيئي؟"

قال كاينز: "هنا نفضل اللّقب القديم يا سيّدي... خبير بيئة كوكبيّة".

قال الدّوق: "كما تحب"، ونظر لپاول: "هذا هو قاضي تحكيم فترة التّغيير يا بني، المحكِّم في النزاعات، الرّجل الذي تمّ تعيينه لضمان تنفيذ الأعراف والقوانين خلال المرحلة الانتقالية لتولينا للسّلطة في هذه الإقطاعية"، ثم نظر لكاينز وقال: "وهذا هو ابني".

قال كاينز: "سيّدي".

سأله پاول: "أأنت من الفريمن؟"

ابتسم كاينز: "يرحّبون بي في السيآتش أو في القرى، يا سيّدي الصّغير، لكني موظف عند جلالة الإمبراطور... خبير إمبراطوري في البيئة الكوكبية".

أومأ پاول، معجباً بهالة القوّة التي تحيط بالرّجل، كان هاليك قد وجّه نظر پاول ناحية كاينز من النّافذة العلوية للمبنى الإداري، وقال: "الرّجل الواقف هناك ومعه حرس من الفريمن، يتقدّم الآن مقترباً من الأورنيثوبتر"، حينها استخدم پاول نظارة مكبِّرة لتفحّص كاينز، ملاحظاً الفم المستقيم المتزمّت، والجبهة الواسعة.

همس هاليك في أذن پاول: "شخصٌ غريبٌ نوعاً ما، يتكلم بطريقةٍ حريصةٍ، مقتضبةٍ، خالية من اللّغط والحشو، دقيقة كشفرة موسى".

لحظتها قال الدّوق من خلفه: "على منهج العلماء".

والآن، إذ يقف پاول على بعد أقدام قليلة من الرجل، شعر بالقوّة المنبعثة من كاينز، وبالتّأثير النافذ لشخصيّته، بدا وكأنه من سلالة ملكية، وُلِدَ ليكون الآمر النّاهي.

قال الدّوق: "فهمت أن الفضل لك في حصولنا على بذلات التّقطير والعباءات".

قال كاينز: "أرجو أن يكون مقاسها مناسباً يا سيّدي، إنّها من صنع الفريمن، ومطابقة قدر الإمكان للأبعاد التي أعطاني إياها رجلك هاليك".

قال الدّوق: "حيّرني رفضك لاصطحابنا في رحلةٍ للصّحراء إذا لم نلبس هذه البذل!، كما ترى يمكننا أن نحمل معنا الماء الوافر، وأيضاً لا ننوي أن نبقى في الصّحراء لفترةٍ طويلةٍ، وسترافقنا تغطية جويّة، إنها تلك الطائرات التي تراها محلقة فوق رؤوسنا الآن، لذا يستحيل أن نضطر للهبوط في هذه الصّحراء".

حدّق فيه كاينز، في بشرته المفعمة بالماء، وردّ بجفاف: "في آرّاكس لا يذكر المرء المرجحات، بل يخطط لكل الاحتمالات".

وهنا قال هاليك بتشنج: "عندما توجه كلامك للدّوق خاطبه بـ يا سيّدي أو مولاي!"

وجّه ليتو لهاليك إشارة اليد السّرية المتعارف عليها بينهما والتي تأمره بالتّوقف عن الكلام، ثم قال: "أعرافنا جديدة على المكان يا جيرني، علينا أن نتغاضى عن بعض الأمور".

"أمرك مولاي".

قال ليتو: "نحن مدينون لك يا دكتور كاينز، لن ننسى هدية البِذْلات هذه وحرصك على سلامتنا".

عفوياً قال پاول اقتباساً من الإنجيل البرتقالي: "إنّما الهدايا بركاتٌ من المانح".

طنّت الكلمات في السّكون المحيط بهم، الحرس الفريمني - الذين تركهم كاينز جالسين القرفصاء في ظلّ المبنى الإداري - وثبوا فجأة، يتمتمون في إثارةٍ واضحةٍ، وصاح أحدهم: "لسان الغيب!"

التفّ كاينز بسرعة وأشار بيده بحركة قاطعة وقصيرة، ملوحاً للحرس بالابتعاد. تراجعوا متذمّرين، وجرّوا أقدامهم سائرين حول المبنى.

قال ليتو: "مدهش".

حملق كاينز بجمود في الدّوق وپاول، قائلا: "معظم سكان الصحراء المحليين هنا يؤمنون بالخرافات، لا تشغل بالك بهم، لا خطر منهم"، لكن ذهنه انشغل بكلمات الأسطورة:

.

وتبلور في ذهن ليتو تقييماً لكاينز، معتمداً اعتماداً جزئياً على التّقرير الشّفهي الذي قدّمه له حواط في نبرةٍ حذرةٍ ومتشكّكة، هذا الرّجل من الفريمن، فقد حضر متبوعاً بحرسٍ فريمني، وهو الأمر الذي قد لا يكون سوى محاولة من الفريمن لاختبار حرّيتهم الجديدة في زيارة المناطق الحضريّة، غير أنّهم بَدوا حرساً شَرفيّ، إضافة إلى أن طريقة تعامل كاينز كانت توحي بأنّه رجلٌ معتدٌّ بذاته، معتاد على الحرّية، ولا تكبح لسانه وأفعاله سوى شكوكه الخاصّة، أما سؤال پاول فكان في لبّ الموضوع، لقد تشرّب كاينز الثّقافة المحلية واندمج فيها.

قال هاليك: "هلّا انطلقنا في طريقنا يا مولاي؟"

أومأ الدّوق: "سأقود الثوبتر الخاص بي، يمكن لكاينز أن يجلس معي في الأمام كي يوجّهني للطّريق، أما أنت وپاول فاجلسا في المقاعد الخلفية".

قال كاينز: "لحظةً من فضلك، لو تأذن لي يا مولاي، يجب أن أتأكّد من أن بذلاتكم مؤمّنة بشكلٍ جيد".

شرع الدّوق في الكلام لكنّ كاينز استمرّ قائلاً: "إني بهذا أحرص على سلامتي بالإضافة لسلامتكما... يا سيدي، فحلقي أنا التي ستُنحر إن أصابكما مكروهٌ تحت إشرافي".

قطّب الدّوق جبينه: ! .

برقت

تلك الخواطر في عقله وتلاها القرار الفوري، قال الدوق: "نحن تحت تصرفك"، وخطا للأمام فاتحاً عباءته، فرأى تشنّج هاليك، وميله على الأجزاء الأمامية من قدميه، وكلّه حذر.

قال الدّوق: "سيسرني لو تفضلت بشرح وظيفة البذلة، فأنت خبير بها".

قال كاينز: "بالطبع"، وأخذ يتحسس تحت الرداء باحثاً عن أربطة الإحكام الكتفية، وبدأ الشّرح أثناء فحصه البذلة: "إنها عبارة عن طبقاتٍ رفيعةٍ مضغوطةٍ كالشطيرة، وسيلة رشح عالية الكفاءة، ومنظومة تبادلٍ حراري"، ثم قام بتعديل وضبط أربطة الكتف، وتابع: "الطّبقة الملامسة للبشرة طبقة مسامية، يمرّ عبرها العرق بعد أن نجح في خفض حرارة الجسم، عمليةٍ تشبه التبخّر الطبيعي، أما الطّبقتان التّاليتان لها فـ..." أحكم كاينز رباط الصدر، "تحويان خيوطاً شعيرية لتبادل الحرارة ومرسبات ملح، تتم استعادة كل الملح".

رفع الدّوق ذراعيه استجابة لإشارة من كاينز، وقال: "مدهش".

قال كاينز: "خذ نفساً عميقاً".

أطاعه الدّوق.

تفحّص كاينز الأربطة التي تحت الإبطين، وعدّل أحدها، "حركة الجسد - خصوصاً التّنفس وبعض العمليات الأسموزية التّناضحية – هي التي توفر قوّة الضّخ اللّازمة"، قام بتوسيع رباط الصّدر بعض الشّيء، "يتم تخزين الماء المستعاد إلى جيوب تجميعية، ومنها يمكنك أن تسحب الماء عبر هذا الأنبوب بقرب عنقك".

ثنى الدّوق ذقنه لأسفل لينظر إلى طرف الأنبوب، وقال: "كفاءةٌ وعمليّة، تصميمٌ جيد".

ركع كاينز على ركبته وفحص أربطة السّاق: "تتم معالجة البول والبراز في بطانة الفخذ"، ثم وقف وتحسّس الجزء المحيط بالعنق، ورفع منها جزءاً متدلياً، "في قلب الصّحراء سترتدي هذا المرشح على وجهك، وتضع هذا الأنبوب في فتحتي الأنف بهاتين السّدادتين، كي تتأكد من إحكام الغلق، اسحب الشّهيق عبر مرشح الفم، وأخرج الزفير من أنبوب الأنف، إذا كنت ترتدي بذلة من صنع الفريمن، وبحالة جيدة، فلن تفقد من الرّطوبة خلال اليوم أكثر من ملء كشتبان صغير... حتى لو كنت في منطقة العِرق العظيم".

دُهشَ الدّوق: "ملء كشتبانٍ في اليوم!"

ضغط كاينز بأصبعه على بطانة غطاء الجبهة وقال: "قد تسبّب هذه بعض الحكّة، لو ضايقت بشرتك فأرجو أن تخبرني، إذ يمكن أن أقوم بتضييق رقعتها اللاصقة".

قال الدّوق: "أشكرك".

وإذ تراجع كاينز للخلف حرّك الدّوق كتفيه في البذلة، ولاحظ أنها أصبحت مريحة أكثر... محكمة واحتكاكها أقل.

انتقل كاينز ليركز على پاول: "والآن دعنا نلقي نظرة عليك يا فتى".

فكر الدّوق: .

سكنت حركة پاول أثناء فحص كاينز لبذلته، عندما ارتدى البذلة المجعدة ذات السطح الأملس شعر بغرابتها، فعقله الواعي كان متأكداً من أنه لم يسبق له ارتداء بذلة تقطير، لكن حينما ارتداها تحت إرشادات جيرني منعدم الخبرة في هذا الأمر كانت يداه تضبطان شرائطها اللاصقة بحركات طبيعية... فطرية، عندما قام بتضييق الصّدر - ليحصل على قوّة الضخ القصوى من حركات التّنفس - كان مدركاً لما يفعله وللغرض من وراء التّضييق، وعندما ضبط أشرطة العنق والجبهة بإحكام كان مدركاً لضرورة منع البثور التي تنتج عن الاحتكاك بالجلد.

اعتدل كاينز وتراجع للخلف وعلى وجهه تعبير حائر، سأل: "هل ارتديت بذلة تقطير من قبل؟"

"هذه المرة الأولى".

"إذن أحدهم ضبطها لك؟"

"أبداً".

"حذاؤك الصّحراوي تم إحكامه بطريقة طيّه للداخل عند الكاحلين، من أخبرك أن تفعل هذا؟"

"شعرت بأنها... الطّريقة المناسبة".

"فعلاً هي كذلك."

دلّك كاينز وجنته، متذكراً ما تقوله الأسطورة: .

قال الدّوق: "إنّنا نضيّع الوقت هكذا"، ثم أشار للثوبتر المنتظرة، وقادهم إليها، مجيباً تحية الحارس بإيماءة، صعد على متنها وربط حزام الأمان وفحص أجهزة التّحكم، أصدرت المركبة صريراً إذ تسّلق الآخرون إليها.

ربط كاينز حزامه وأمعن النّظر في بطانة المركبة المريحة، في علامات التّرف والنّعومة البادِيان على التّنجيد ذي اللون الأخضر الدّاكن، الأجهزة البّراقة، إحساس رئتيه بالهواء المرشّح والنّظيف بعد أن أوصدت الأبواب ودبّت الحياة في مراوح التّهوية.

فكّر: !

قال هاليك: "كلّه تمام يا مولاي".

غذّى ليتو الأجنحة بالطّاقة، فشعر بها تتقوّس وتنخفض... مرة... ثم ثانية، عشرة أمتار وأقلعوا محلقين في الهواء، والأجنحة ترفرف بانضباط وإحكام، والنفّاثات الثانويّة تدفعها لأعلى في صعودٍ مهسهس.

قال كاينز: "للجنوب الشّرقي وراء الجدار الجبلي، فقد أخبرت المشرف على عمليات التّنقيب أن يركز آلاته هناك".

"تمام".

انحدر الدّوق بالطائرة ناحية طائرات التأمين الجويّ، فاتخذت المركبات موقعاً ملائماً لحراسة طائرة

الدّوق، وانطلقوا جميعاً في اتجاه الجنوب الشرقي.

قال الدّوق: "تصميم وتصنيع بذلات التّقطير يدل على درجة عالية من الاحتراف".

قال كاينز: "يوماً ما قد أريك أحد المصانع الموجودة بالسيآتشات".

قال الدّوق: "أتوقع أنها زيارة ستشبع فضولي، بلغني أيضاً أنّ هناك بِذلات يتم تصنيعها في مدن الحاميات".

قال كاينز: "نسخٌ مقلدةٌ وأقل جودة، من يحب الحياة يفضل ارتداء بِذلة من تصنيع الفريمن".

"وهي بذلة لن تسمح للجسد أن يفقد من مائه سوى مقدار كشتبان صغير؟"

قال كاينز: "إن ارتديتها بالطّريقة السّليمة، وأحكمت غطاء الجبهة وكل الأربطة، فلن تفقد الماء سوى عبر راحة اليد، يمكن بالطبع ارتداء قفازات البذلة في حالة عدم حاجتك لاستخدام يديك في عمل دقيق، لكن أغلب الفريمن في قلب الصّحراء يفركون أيديهم بعصارة أوراق الشجيرة الزيتية، لمنع التّعرق".

ألقى الدّوق نظرة على التّضاريس المتكسّرة للجدار الجبلي، صدوع صخورها مفتتة، بقع صفراء وبنية تشقها خطوط صدعية سوداء، بدا المنظر كما لو أنها سقطت من السماء وتهشّمت.

عبروا وادياً ضحلاً تـتخللّه خطوطاً واضحةً من الرّمال رمادية اللّون تمتدّ من فتحة أحد الأخاديد جنوباً، جرت تلك الأصابع الرّملية وسط الوادي، كدلتا جافة بارزة بالمقارنة بما يحيط بها من صخور داكنة.

أسند كاينز ظهره للمقعد، متذكراً تلك الأجساد الغضّة المفعمة بالماء التي لمسها تحت بذلات التّقطير، كانوا يرتدون أحزمةَ دروعٍ فوق أرديتهم، وعلى الوسط تعلّقت صواعق بطيئة الطّلقات، وقد انسدلت أقراصُ أجهزة إرسالٍ للطّوارئ من الخيوط المتدلية عند أعناقهم، وأيضاً حمل الدّوق وابنه على معصميهما خناجر، بدت على أغمادها علاماتٌ من كثرة الاستعمال، لمحَ كاينز في هؤلاء القوم تشكيلةً عجيبةً من النّعومة والتّرف من ناحية، والقّوة على استخدام الأسلحة من ناحيةٍ أخرى، رأى فيهم اتزاناً غير معهود إطلاقاً في آل هاركونِن.

قال ليتو: "عندما تقدّم تقريرك للإمبراطور بشأن عمليّة تغيير السّلطة الحاكمة هنا، هل ستقول بأننا التزمنا القوانين؟" ورمى كاينز بنظرةٍ سريعةٍ ثم عاد ليركز بصره على الطريق.

قال كاينز: "رحل الهاركونِن، وقدمتم أنتم".

قال ليتو: "وهل تمّت كل الأمور كما يجب؟"

ظهر توتّر خاطف على كاينز، بدا في انقباض إحدى عضلات فكه"، بصفتي خبير بيئي كوكبي وقاضي تحكيم، فإني أتبع الإمبراطور مباشرةً".

ابتسم الدوق ابتسامة قاتمة: "لكن كلانا يعلم واقع الأمور".

"ألفت انتباهك، إلّا أن جلالته يدعم عملي".

"فعلاً! وما هو عملك بالضبط؟"

في الصّمت القصير فكر پاول: ونظر لهاليك لكن المقاتل الشاعر كان مشغولاً بالتّحديق في التّضاريس القاحلة.

قال كاينز بنبرة رسميّة: "إنك - بالطّبع - تشير لواجباتي كخبيرٍ كوكبي".

"بالطبع".

"يتعلق أغلبها بالعلوم البحتة حول الحيوانات والنباتات في البيئة... بالإضافة لبعض الأعمال الجيولوجية... حفر في طبقات الأرض وإجراء اختبارات، هي دراسات لا تنتهي عندما تدرس كوكباً بأكمله".

"وهل تدرس السپايس أيضاً؟"

التفت كاينز، ولاحظ پاول الملامح الحادة لوجنة الرّجل: "سؤالٌ غريب يا سيدي".

"لا يغيب عن ذهنك يا كاينز أن هذه إقطاعيتي الآن، وأساليبي تختلف عن أساليب الهاركونِن، لن أعترض إن كنت فعلاً تقوم بدراسات حول السپايس، طالما تطلعني على ما تصل له من معلومات"، نظرة سريعة نحو الخبير الكوكبي: "كان الهاركونِن يعيقون دراستك للسپايس، أليس كذلك؟"

بادله كاينز النظرة دون إجابة.

قال الدّوق: "عليك الأمان في الحديث بصراحة، دون خوفٍ على حياتك".

تمتم كاينز: "فعلاً البلاط الإمبراطوري بعيدٌ جداً" وفكّر:

ضحك الدّوق، وإن ظل انتباهه منصباً على الطريق: "أتبين في صوتك مرارة يا سيد، ترانا وكأننا هجمنا على الكوكب بهمجنا وقتلتنا المدّربين، أليس كذلك؟ وأننا نتوقع منك أن تدرك فوراً اختلافنا عن الهاركونِن؟"

قال كاينز: "رأيتُ حملاتك الترويجية التي أغرقتَ بها كل سيآتش وكل قرية، 'أحبوا الدّوق الطيّب! قواتكم ال-..."

صاح هاليك: "تأدّب يا هذا!"، وانتزع انتباهه بعيداً عن النافذة، ومال للأمام، وضع پاول يده على ذراع هاليك.

قال الدّوق: "جيرني!" عاش هذا الرّجل لفترة طويلة تحت حكم الهاركونِن".

تراجع هاليك: "صحيح".

قال كاينز: "رجلك، حواط، ماكر... لكن هدفه أثناء حديثه معي كان واضحاً".

قال الدّوق: "إذن هل ستفتح لنا هذه المقرات؟"

قال كاينز في نبرة قاطعة: "إنها أملاك خاصة بجلالة الإمبراطور".

"لكنها غير مستخدمة".

"قد تُستَخدَم لاحقاً".

"هل يتفق جلالته معك على هذا الرأي؟"

رشق كاينز الدّوق بنظرةٍ حادةٍ: "يمكن لآرِّاكس أن يكون جنّة عدن إن أفاق حكامّه قليلاً من تكالبهم على السپايس!"

فكّر الدّوق: . وقال: "وكيف يمكن لكوكب أن يصير جنّة دون مال؟"

قال كاينز: "وما فائدة المال إن لم ينفع في شراء الخدمات التي يحتاجها المرء؟"

فكّر الدّوق: ! وقال: سنناقش هذا في وقت لاحق، أما الآن فأظن أننا مقبلون على حافة الجدار الجبلي، هل أستمر في نفس الاتجاه؟"

تمتم كاينز: "نعم، نفس الاتجاه".

نظر پاول من نافذته، بدأت التّضاريس المشقّقة تتحول تدريجياً إلى سهلٍ صخريٍ قاحلٍ وسلسلة صخورٍ مسطّحة حادّة كالسّكين، وامتدت خلف سلسلة الصّخور كثبانٌ رمليّةٌ، وكأنّها أظافرٌ أو أهلة، وتناثرت هنا وهناك لطخاتٌ باهتة متباعدةٌ وبقع سوداء تشير لوجود شيءٍ آخر غير الرّمال، ربما كانت صخور! لم يستطع پاول أن يتأكّد من هويتها بسبب تموجات الحرارة المتصاعدة في الهواء.

قال پاول: "أتوجد نباتات؟"

قال كاينز: "توجد بعض النباتات، في أقاليم دائرة العرض هذه تنتشر كائنات نطلق عليها: سارقو الماء الصّغار، تكيّفت بحيث صارت تسطو على بعضها البعض للحصول على الماء، ملتهمةً بقايا الندى، تعجّ بعض المناطق الصحراوية بالحياة، وكلها تعلّمت كيف تعيش في مثل هذه الظروف القاسية، إن اضطررت لعبور هذه المنطقة عليك أن تحاكي تلك الكائنات الحيّة وإلا ستموت".

قال پاول: "تقصد أن نسرق الماء من بعضنا البعض؟" أشعلت الفكرة غضبه، وبدا ذلك في صوته.

قال كاينز: "يفعلها البعض، لكنه لم يكن قصدي بالضبط، أقصد أن مناخي يتطلب أسلوبَ تعاملٍ خاصٍ مع الماء. فيكون شغلك الشاغل الماء، ولا تهدر شيئاً يحتوي على رطوبة".

وهنا فكر الدّوق: !

قال كاينز: "انحرف بمقدار درجتين للجنوب يا سيّدي... فهناك عاصفة تهبّ من اتجاه الغرب".

أومأ الدّوق، كان قد انتبه بالفعل لكتلة الغبار الأصفر، انحدر مائلاً بالثوبتر، فرأى أجنحة طائرات التّأمين المرافقة له تعكس لوناً برتقالياً خفيفاً لمرور الضوء عبر الجو المغبر، ثم استدارت للحاق به.

قال كاينز: "سيبعدنا هذا عن حافة العاصفة".

قال پاول: "يبدو هذا الرّمل خطراً، خصوصاً إن حلّقنا فيه، هل هو بالفعل قادر على قطع أقوى المعادن؟"

قال كاينز: "لا يعتبر رملاً على هذا الارتفاع، بل غباراً، يكمن الخطر في انعدام الرّؤية، والاضطرابات الجوّية، وانسداد فتحات الهواء".

قال پاول: "هل سنرى عملية تنقيب سپايس اليوم؟"

قال كاينز: "احتمال كبير".

أسند پاول ظهره لمقعده، كان قد استخدم الأسئلة - وحسّه الإدراكي الفائق - كوسيلة للقيام بما تسميّه أمه 'التسجيل الذهني' للشّخص، الآن استوعب شخصية كاينز بالكامل، نبرة صوته، كل تفصيلٍ دقيقٍ في ملامحه أو حركاته، واستنتج وجود طيةٍ على الكم الأيسر لرداء الرّجل يحمل فيه سكيناً في غمدٍ مربوط على الذراع، في وسطه بعجةٌ غريبةٌ، يقال أن رجال الصّحراء يرتدون كيساً على شكل حزام، لوضع بعض الضّروريات الصّغيرة، ربّما كان هذا سبب البعجة، فلا شكّ أنها لم تنتج عن إخفاء حزام درع طاقةٍ، بقرب العنق كان رداء كاينز مشبوكاً بدبوسٍ نحاسيٍ منقوشٍ عليه صورة أرنب، دبوساً آخر أصغر في الحجم وعليه نفس النّقش كان معلقاً على جانب القلنسوة المتدلية على كتفه.

استدار هاليك والتقط آلة القانون الموسيقية من المقصورة الخلفية، التفت كاينز نحوه عندما سمع هاليك يضبط أوتار الآلة، ثم عاد بانتباهه للطّريق.

قال هاليك: "أترغب في سماع مقطوعة محدّدة يا سيّدي الصّغير؟"

قال پاول: "اختر أنت يا جيرني".

قرّب هاليك أذنه من اللّوحة الموسيقية، ثم ضرب أحد الأوتار وبدأ في الغناء الرقيق:

"آباؤنا أكلوا المَنّ في الصحراء

في الأرض الحارقة ذات الزوابع الغبراء

انقذنا يا ربنا من هذه الأرض الجرداء

انقذنا... أوه، انقذنا

من أرض الجفاف والعطش واليباس"

نظر كاينز للدّوق وقال: "يرافقك في رحلاتك عدد صغير من الحرس يا سيدي، هل كلّهم متعددو المواهب هكذا؟"

قهقه الدّوق: "جيرني؟ جيرني فريدٌ من نوعه، أحب أن يرافقني لبصيرته الثّاقبة، ولا يخفى عن عينيه شيئاً."

عقد الخبير البيئي حاجبيه.

ودون أن يقطع هاليك نغمته دخل في الحوار مغنياً:

"لأني كبومة الصّحراء

آه... كبومة صحراوية أنا".

التقط الدّوق ميكروفوناً من لوحة أجهزة القيادة، وضغط بإبهامه: "من القائد إلى الرفقة جيم، جسمٌ طائرٌ في اتجاه عقرب السّاعة التّاسعة، القطاع ب. أتعرف هويته؟"

قال كاينز: "مجرد طائر، بصرك حاد!"،

طقطقةٌ من السّماعة: "من الرّفقة جيم، تمّ فحص الجسم باستخدام أقصى درجات تكبير الرّؤية، طائرٌ كبير الحجم".

نظر پاول في الاتجاه المقصود فرأى نقطة ذات حركة متقطّعة، وأدرك درجة الانتباه الشديد التي يتمتع بها والده، وأن كل حاسّة من حواسه متيقّظة.

قال الدّوق: "لم أكن أعلم أنّ طيوراً بهذا الحجم تتواجد في هذا العمق داخل الصحراء".

قال كاينز: "غالباً هو نسر، نجحت الكثير من الحيوانات في التكيّف مع هذا المكان".

حلّقت الأورنيثوبتر فوق مساحة صخرية مقفرة، نظر پاول للأسفل من ارتفاع يصل لألفي متر، فرأى الظّلال المعوجة التي تلقيها مركبتهم والمركبات المرافقة لهم، بدت الأرض في الظاهر مسطحة، لكن تموجات الظلال تدلّ على أنها غير مسطحة.

قال الدّوق: "هل نجح شخصٌ في العودة من الصّحراء مشياً؟"

توقفت موسيقى هاليك، ومال للأمام ليسمع الإجابة.

قال كاينز: "ليس من قلب الصحراء، أمّا من الإقليم الثاني فقد نجح بعضهم، نجوا بواسطة عبور المناطق الصخرية، حيث لا توجد الديدان إلا نادراً".

نبرة صوت كاينز شدّت انتباه پاول، تيقظت حواسّه الإدراكية.

قال الدّوق: "الدّيدان، يجب أن أراها".

قال كاينز: "قد ترى واحدةً اليوم، فأينما وُجد السپايس، تتواجد الديدان."

قال هاليك: "دائما؟"

"دائما."

قال الدوق: "هل هناك علاقة بين الديدان والسپايس؟"

التفت كاينز، فرأى پاول شفتيه المزمومتين: "إنّها تدافع عن المناطق الرّملية حيث يتوافر السپايس، لكل دودة منها... منطقة نفوذ تابعة لها، أما بخصوص السپايس، فمن يدري؟ عينات الدّيدان التي فحصناها تبيّن أن هناك عمليات تبادل كيميائي معقّدة تحدث داخل أجسادها، في أوعيتها وجدنا بقايا لحمض الهيدروكلوريك، وأحماض أخرى أكثر تعقيداً في أماكن أخرى من الجسد، سأعطيك دراستي التي كتبتها عن الموضوع".

قال الدّوق: "ودروع الطّاقة لا تصلح كدفاع؟"

قال كاينز في نبرةٍ ساخرةٍ: "الدّروع! قم بتفعيل درعٍ وأنت داخل منطقةٍ من مناطق الدّيدان وستكون قد حكمت على نفسك بالهلاك، حينئذٍ تتجاهل الدّيدان الفواصل الحدودية بين مناطق نفوذها وتأتي من مسافات بعيدة لمهاجمة الدّرع، لم يسبق لشخصٍ يرتدي درعاً أن نجا من هجوم كهذا".

"وكيف أمكن إذن اصطياد الدّيدان؟"

قال كاينز: "صدمةٌ كهربيةٌ عالية الڤولتية لكل قطاع حلقي من حلقات جسد الدّودة، هي الطّريقة الوحيدة المعروفة التي يمكن بها قتل دودةٍ كاملةٍ والاحتفاظ بجسدها، يمكن صعقها وتدميرها باستخدام المتفجرات، لكن لكل قطاع حلقي حياة منفصلة، وباستثناء الأسلحة الذّرية فلا أعلم بوجود مادة مفجّرة قويّة تنجح - بشكلٍ كاملٍ – في تدمير دودةٍ كبيرة الحجم، إنها مخلوقات بالغة الصّلابة".

قال پاول: "ولماذا لم يتم بذل الجهد سعياً للقضاء التام عليهم؟"

قال كاينز: "التّكاليف باهظة، والمساحة اللّازم تغطيتها واسعة".

عاد پاول بظهره للرّكن الذي يجلس فيه، قدرته على اكتشاف الأكاذيب، ووعيه بالتغيرات الطفيفة في النبرة، أخبراه أن كاينز كان يكذب ويقول أنصاف حقائق.

.

قال الدّوق: "قريباً جداً لن يضطر أحدٌ للرجوع من الصحراء سيراً على الأقدام، ما عليك سوى إشعال أجهزة البث هذه المعلّقة في أعناقنا وستكون النّجدة في الطّريق، سنسعى لتوفير جهاز لكل عمالنا، ونقوم حالياً بإعداد خدمة إنقاذٍ خاصةٍ".

قال كاينز: "عمل جدير بالثناء".

قال الدّوق: "نبرتك تشير إلى عدم موافقتك".

"غير موافق! بالطّبع أنا موافق، لكن لا فائدة ترجى منها، فالاستاتيك المنبعث من العواصف الرّملية يشوش على إشارات الإرسال، وأجهزة الإرسال تحترق دوائرها الكهربية، وقد تم تجريبها في السابق، لآرّاكس تأثير سيء على الأجهزة والمعدات، وإذا وجدت نفسك مطارداً من دودةٍ لن يسعفك الوقت، لن يكون أمامك سوى 15 أو 20 دقيقة على الأكثر".

قال الدّوق: "وبم تنصح؟"

"تطلب نصيحتي؟"

"أجل، بصفتك خبير بيئة كوكبية".

"وستتّبع نصيحتي؟"

"إن وجدتها معقولة".

"طيب يا سيدي. لا تسافر وحدك أبداً".

ابتعد انتباه الدّوق عن أدوات التحكم: "هكذا؟"

"هكذا، لا تسافر وحدك أبداً".

قال هاليك: "لكن ماذا إن تسببت عاصفة في افتراقك عن رفاقك وأجبرتك على الهبوط أرضاً؟ ألا توجد طرق أخرى؟"

قال كاينز: "عبارة طرق أخرى فضفاضة للغاية".

قال پاول: "ماذا ستفعل أنت في هذه الحالة؟"

رمى كاينز بنظرة فاحصة نحو الفتى، ثم عاد بانتباهه للدّوق: "سأحرص على التأكد من سلامة بذلة التّقطير، وإن كنت خارج منطقة من مناطق الدّيدان أو في مكان صخري سألازم هيكل الطائرة، أما إن كنت في منطقية رمليّة مفتوحة فسأبتعد عن الطائرة بأقصى سرعة ممكنة، قد يكون كافياً الابتعاد لمسافة ألف متر، ثم سأختفي تحت ردائي، ستلتهم الدّودة الطائرة لكن ربما لا تراني".

قال هاليك: "ثم ماذا؟"

هز كاينز كتفيه: "سأنتظر رحيل الدّودة".

قال پاول: "هذا هو كل شيء؟"

قال كاينز: "عندما ترحل الدّودة يمكن للمرء أن يبدأ بالسّير، عليك أن تمشي بخفة، وأن تتجنب الرّمل الطبلي وأحواض الغبار المدِّي، ثم اتجه إلى أقرب منطقة صخرية يوجد الكثير من هذه المناطق، لحظتها ربما تنجو".

سأل هاليك: "رملٌ طبلي؟"

قال كاينز: "حالة انضغاط للرّمال، أقل خطوة فوقها تجعلها تصدر صوتاً كالطبلة، هذا دائماً يجلب الديدان".

سأل الدّوق: "وحوض الغبار المدي؟"

"على مر القرون امتلأت بعض منخفضات الصّحراء بالغبار، بعضها واسع لدرجة أن له تيارات مد وجزر، ومن يخطئ ويسير فيها تبتلعه".

تراجع هاليك للوراء واستأنف العزف على آلة القانون، بعدها بلحظات قال:

"وحوش الصّحراء البريّة

تصطاد في ذاك المكان

تتأهبُ لمرور الأبرياء

أوّاه، لا تختبر آلهة الصّحراء

إلا إن كنت تسعى لرثاء منعزل

مخاطر ال-..."

قطع غناءه ومال للأمام: "سحابة غبار أمامنا يا مولاي".

"أراها يا جيرني".

قال كاينز: "هذا ما كنا نبحث عنه".

مطّ پاول جسده لينظر أمامه فرأى على سطح الصّحراء سحابةٌ صفراء تتموج على بعد 30 كيلو متر تقريباً.

قال كاينز: "إحدى زاحفاتك الرّملية، تقف على السّطح، وهذا يعني أنها تقف فوق بقعة سپايس، السّحابة عبارة عن رمالٍ مطرودةٍ هوائياً بعد أن تم استخلاص السّپايس منها عن طريق الطّرد المركزي، إنها سحابةٌ منقطعة النّظير!"

قال الدّوق: "طائرةٌ تحوم فوقها... هناك".

قال كاينز: "أرى اثنين... ثلاث... أربع طائرات مراقبة، مهمّتهم رصد العلامات الدّودية".

سأل الدّوق: "علاماتٌ دودية؟"

"موجةٌ رمليةٌ متجهةٌ إلى الزاحفة، كما توجد مجسات زلزالية مزروعة على سطح التّربة، فأحياناً تتحرك الدّيدان على مسافاتٍ عميقةٍ فلا تظهر لها موجة رملية"، أدار كاينز بصره في السّماء: "من المفترض وجود حاملة طائرة في مكان قريب، لكني لا أراها".

قال هاليك: "الدّودة تأتي دائماً إذن؟"

"دائماً."

مال پاول ولمس كتف كاينز: "ما مساحة المنطقة التي تدافع عنها الدودة؟"

قطّب كاينز جبينه، يستمر الصغير في إلقاء أسئلة لا ترد إلا في ذهن الكبار، "هذا يعتمد على حجم الدودة".

قال الدّوق: "ما مقدار تنوعها؟"

"الكبيرة قد تسيطر على مساحة تصل لـ 300 أو 400 كيلو متر مربع، أمّا الصغيرة فـ-..." وقطع حديثه عندما ضغط الدّوق على مكابح النفاثات، وثبت الطائرة مع تباطؤ مراوح الذّيل بالتدريج ثم سكونها، استطالت الأجنحة القصيرة وانحنت متقوسةً في الهواء، تحوّلت المركبة - مع إيقاف النفّاثات الدافعة - إلى ثوبتر كاملة، وانحدر بها الدّوق مائلاً للجانب، محافظاً على إيقاعٍ رتيبٍ للأجنحة، أشار بيده اليسرى للشّرق، فيما وراء زاحفة التّنقيب عن السپايس.

"هل هذه علامة دودية؟"

مال كاينز على الدّوق لينظر للمكان البعيد المشار إليه.

تزاحمٍ پاول وهاليك، ناظرين في الاتجاه نفسه. ولاحظ پاول أن الطائرات المرافقة لهم تجاوزتهم، نتيجةً لتغير الاتجاه المفاجئ، ثم بدأت تستدير عائدةً لهم. كانت الزاحفة على بعد ثلاثة كيلو مترات.

في الاتجاه الذي أشار الدّوق إليه امتدت الكثبان الرّملية هلالية الشكل، ناشرةً عند خط الأفق ظلالاً

متموجة، وممتداً خلالها - في خط مستقيم – برز جزء رملي كأنه جبلٌ متحركٌ، لما رآه پاول تذكر الطّريقة التي يخرق فيها السّمك الكبير سطح الماء عندما يعوم تحته مباشرة.

قال كاينز: "دودة، دودةٌ كبيرةٌ!"

والتقط الميكروفون من لوحة التّحكم وأدخل أرقام موجة ترددٍ جديدةٍ، نظر للخريطة فوق رؤوسهم وتكلم في الميكروفون:

"إلى الزاحفة في موقع إحداثيات دلتا أجاكس تسعة، تنبيه: علامة دودية، الزاحفة في دلتا أجاكس تسعة، انتبه، توجد علامة دودية، أجب من فضلك!" وانتظر.

صدرت من السّماعة قرقعات استاتيكية: "من المتصل بدلتا أجاكس تسعة؟ حوّل".

قال هاليك: "يا لدمهم البارد!"

تكلّم كاينز في الميكروفون: "نحن رحلة جوية غير مسجلة، موقعنا في الشّمال الشرقي من موقعكم، على مسافة 3 كيلو متر تقريباً، علامة دودية متجهة إلى موقعكم، الزّمن المتوقع لوصولها إليكم 25 دقيقة".

علا صوتٌ آخر آتٍ من السّماعة: "هنا طائرة المراقبة المركزية، تم التأكد من رؤية العلامة، استعد لتلقي زمن الوصول".

وبعد صمتٍ قصير: "الوصول في أقل من 26 دقيقة، تقديركم دقيق للغاية، من على متن هذه الرحلة غير المسجلة؟ حوّل".

خلع هاليك حزام الأمان واندفع للأمام بين كاينز والدوق: "هل هذه الموجة الترددية موجة العمال المعتادة يا كاينز؟"

"أجل، لماذا تسأل؟"

"من سيسمعنا؟"

"طاقم العمال في هذه المنطقة فقط، هكذا يتم تلافي تداخل الإشارات".

قرقعت السّماعة من جديد: "هنا دلتا أجاكس تسعة، لرصيد من نودع علاوة الاكتشاف؟ حوّل".

نظر هاليك للدّوق.

قال كاينز: "توجد علاوة مالية يتم حسابها تبعاً لحجم حمولة السپايس، وتعطى لأول من قام بتنبيه الآخرين لوجود دودةٍ تقترب، يريدون أن يعلموا م-..."

قال هاليك: "أخبرهم من رصد الدّودة".

أومأ الدّوق إيجاباً.

تردد كاينز ثم رفع الميكروفون إلى فمه: "علاوة الاكتشاف من نصيب الدّوق ليتو آتريديز. أكرّر، الدّوق ليتو آتريديز. حوّل".

خرج الصوت من السماعة غير واضح، وقد شوّشت عليه نبضات ستاتيكية: "عُلِم. شكراً"

قال هاليك آمراً: "والآن أخبرهم أن يقسموا العلاوة فيما بينهم، وقل لهم أنها رغبة الدّوق".

أخذ كاينز نفساً عميقاً ثم قال: "الدّوق يأمر بتقسيم العلاوة على أفراد طاقمك، هل تسمعني؟ حول".

قال المتكلم عبر السّماعة: "عُلِم، شكراً".

قال الدّوق: "نسيت أن أخبرك أن هاليك موهوبٌ أيضاً في مجال العلاقات العامة".

استدار كاينز ورمى هاليك بنظرةٍ حائرةٍ.

قال هاليك: "بهذه الطّريقة يعلّم الرّجال أن دوقهم مهتم بسلامتهم، وستنتشر القصة، وقد استخدمنا ترددٍ موجيٍ مخصصٍ لعمال المنطقة، فمن غير المحتمل أن يلتقطها عملاء الهاركونن،" ثم نظر لطائرات التّأمين الجوّي: "ثم إننا برفقة قوّة عسكرية لا بأس بها، مخاطرة محسوبة".

مال الدّوق بالطائرة ناحية السّحابة الرّملية المنبعثة من الزّاحفة: "وماذا الآن؟"

قال كاينز: "في مكانٍ قريبٍ حاملة طائرة، ستأتي وتحمل الزاحفة جواً".

قال هاليك: "وماذا لو أصاب الحاملة عطب؟"

قال كاينز: "نفقد بعض المعدات أحياناً، اقترب من الزاحفة يا سيدي، سيدهشك المنظر".

قطّب الدّوق جبينه وانشغل بالتّعامل مع أدوات التّحكم في القيادة لتجاوز المطبّات الجويّة فوق الزاحفة.

نظر پاول للأسفل فرأى الرّمل ينبثق من وحشٍ آلي مصنوع من البلاستيك والمعدن، بدت الزاحفة كخنفساء عظيمة صفراء وزرقاء تمتد منها قَضبانٌ على شكل أذرع، ورأى أمام الزّاحفة خرطوماً ضخماً ينتهي بقمع مغروس في رمل داكن.

قال كاينز: "من لون البقعة يبدو أنها غنية بالسپايس. سيستمرون في العمل حتى اللّحظة الأخيرة".

غذّى الدّوق الأجنحة بمزيدٍ من الطاقة، وصلبها استعداداً لهبوطٍ تدريجي منحدر، وحام في دائرة فوق الزاحفة، وبنظرة إلى يمينه ويساره رأى رفقته التأمينية تطير في دائرة محافظة على ارتفاعها فوقه.

تأمل پاول السّحابة الصفراء المنبثقة من أنابيب الطّرد، ومدّ بصره في الصحراء ناظراً لأثر الدّودة المقتربة.

قال هاليك: "أليس من المفترض أن نسمع اتصالهم بالحاملة الطائرة؟"

قال كاينز: "في العادة يخصص للحاملة تردّد موجي منفصل".

قال الدّوق: "أليس من الواجب توفير حاملتين مستعدتين لكل زاحفة؟ فهي تحوي 26 رجلاً، ناهيك عن ثمن الزاحفة نفسها".

قال كاينز: "لكنك لا تملك ما يكفي من ال-..."

قطع كلامه عندما انفجر صوت غاضب عبر السماعة: "هل رأى أحدكم الحاملة الطائرة؟ قائدها لا يجيب".

قرقعت السّماعة بضوضاء مشوشة، ثم طغت عليها زنّة حادّة لإحدى الإشارات، ساد الصمت بعدها، ثم جاء الصوت الأول قائلا: "قدموا تقاريركم بالترتيب! حول".

"هنا المراقبة المركزية، آخر تقرير من الحاملة رأيتها تحلق عالياً وتحوم في اتجاه الشمال الغربي، أما الآن فلا أراها، حول".

"هنا المراقبة الأولى: لا أراها، حول".

"هنا المراقبة الثانية: لا أراها، حول".

"هنا المراقبة الثالثة: لا أراها، حول".

صمت.

نظر الدّوق للأسفل فرأى ظلّ طائرته يمرّ فوق الزاحفة: "أربع طائرات مراقبة فقط، صحيح؟"

قال كاينز: "صحيح".

قال الدّوق: "مجموعتنا مكونة من خمس طائرات، وهي أكبر من طائرات المراقبة، يمكن أن نحمل معنا 3 أشخاص إضافيين في كل طائرة، أما طائرات المراقبة فيمكنها أن تقلّ شخصين إضافيين".

حسب پاول العدد في ذهنه: "سيتبقى ثلاثة أشخاص".

صاح الدّوق في غضب: "لماذا لا توجد حاملتان مخصصّتان لكل زاحفة؟"

قال كاينز: "عدد المعدات التي تملكها محدود".

"وهو سبب أدعى لنحرص على الحفاظ على ما لدينا!"

قال هاليك: "أين ذهبت تلك الحاملة يا ترى؟"

قال كاينز: "ربما اضطرت للهبوط في مكان بعيد لا نراه".

التقط الدّوق الميكروفون وتردّد قبل أن يضغط الزّر: "كيف يمكن أن تفوتهم رؤية حاملة تختفي؟"

قال كاينز: "لأن انتباههم منصب على مراقبة الأرض، تحسباً لظهور علامةٍ دودية".

ضغط الدّوق الزّر: "دوقكم يتكلم، سنهبط ونحمل معنا طاقم دلتا أجاكس تسعة، على كل طائرات المراقبة تنفيذ الأمر، وأن تهبط على الجانب الشرقي، أما نحن فسنهبط على الجانب الغربي، حول".

ثم أدخل أرقام موجته التردّدية المقصورة على القائد، وكرّر الأمر لطائرات التغطية الجويّة المرافقة له، ثم أعاد الميكروفون لكاينز.

عاد كاينز لموجة الإرسال العمالية فسمع صوتاً هادراً: "... تقريباً حمولة كاملة! معنا حمولة سپايس كاملة تقريباً! لا يمكن أن نترك كل هذا لدودة لعينة! حول".

صاح الدّوق: "اللعنة على السپايس!"، والتقط الميكروفون مجدداً: "سنحصل على المزيد فيما بعد، لدينا مقاعد تتسع لكم إلا ثلاثة، اجروا قرعة أو قرروا بأي طريقة تريدونها من سيذهب ومن سيبقى، لكنكم ستأتون معنا... هذه أوامري!"

وصفق بالميكروفون بعنف في يد كاينز، وتمتم: "آسف"، حين رأى كاينز يهز أصبعاً.

سأل پاول: "كم تبقى من الوقت؟"

قال كاينز: "تسع دقائق".

قال الدّوق: "طائرتنا هذه أقوى من الطائرات الأخرى، إن أقلعنا باستخدام النفاثات وبالأجنحة ممتدة لثلاثة أرباع طولها يمكننا أن نضيف شخصاً آخر لحمولتنا".

قال كاينز: "لكن هذه الرمال ناعمة".

قال هاليك: "إن حاولنا الإقلاع باستخدام النّفاثات ومعنا 4 رجال كحمولةٍ زائدةٍ يمكن أن تنكسر الأجنحة يا مولاي".

قال الدّوق: "ليس لطائرة مثل هذه".

سحب أداة القيادة للخلف فانزلقت الثوبتر جوار الزاحفة، مالت الأجنحة لأعلى فكبحت الثوبتر بالتدريج إلى أن توقفت على بعد 20 متراً من الزاحفة.

كانت الزاحفة قد سكنت، ولم يعد الرّمل ينبثق من أنابيب الطرد، ولم يصدر عنها سوى أزيز ميكانيكي خافت، أصبح صوته أوضح عندما فتح الدوق باب الطائرة.

وفوراً اجتاحت أنوفهم رائحة القرفة... ثقيلة ولاذعة.

وعلى جانب الزاحفة الآخر انحدرت طائرة مراقبة بصوت رفرفة عال وحطت على الرمال، بينما هبطت الطائرات المرافقة للدّوق وحطت بجواره.

نظر پاول للزاحفة فرأى كيف تحولت الطائرات إلى أقزامٍ مقارنةً بحجمها الكبير... كبعوض بجوار خنفساء مقاتلة.

قال الدّوق: "جيرني، أنت وپاول اقذفا المقعد الخلفي للخارج".

وقام يدوياً بتعديل الأجنحة لطول الثلاثة أرباع، وضبط زاوية ميلهم، وفحص أدوات التّحكم في النفاثات، "لماذا لم يخرجوا حتى الآن؟"

قال كاينز: "يأملون أن تظهر الحاملة الطائرة، لا زال أمامهم بضعة دقائق"، ونظر ناحية الشّرق.

صوّب الجميع أبصارهم لنفس الاتجاه، فلم يروا للدّودة أثراً، لكن الجو كان مشحونا بقلقٍ بالغٍ.

التقط الدّوق الميكروفون وأدخل أرقام موجته القيادية: "لتقم طائرتان منكم بالتّخلص من مولدات طاقة الدّروع، فلو حسبنا الحمولة هكذا بإمكانكم حمل شخص إضافي، لن نترك وراءنا رجل ليلتهمه هذا الوحش".

ثم أدخل رقم موجة الإرسال العمالية وصاح: "هيا يا دلتا أجاكس تسعة! اخرجوا حالاً! هذا أمرٌ من الدّوق! أسرعوا وضاعفوا السّرعة وإلا سأشق هذه الزاحفة بمسدسات اللّيزر!"

انفتحت كوة عند مقدمة الزاحفة، وأخرى في الخلف، وثالثة من الأعلى، وتدحرج الرّجال خارجين منها، منزلقين ومتدافعين نحو الرمال، كان آخر الخارجين رجلٌ طويلٌ يرتدي رداء عمل مرقّع، قفز على أحد العوارض أولاً ثم منه إلى الرّمل.

علّق الدّوق الميكروفون على لوحة التّحكم، وتدلّى للخارج مستنداً بقدمه على سلّم الطائرة، وصاح: "رجلان في كل طائرة من طائرات المراقبة".

بدأ الرجل ذو الرداء المرقع في تقسيم عمال الطاقم لأزواج، دافعاً إياهم ناحية المركبات المنتظرة على الجانب الآخر.

صاح الدّوق: "أربعة هنا! وأربعة في تلك الطائرة!"، وأشار بأصبعه لواحدة من طائراته المرافقة، حيث اجتهد الجنود لإخراج مولد الدّرع منها.

"وأربعة في تلك الطائرة هناك!"، وأشار لطائرة أخرى كانت قد تخلّصت من مولد دروعها.

"وثلاثة في كل من الطائرات الأخرى! اركضوا بسرعة يا كلاب الرّمال!"

انتهى الرّجل الطويل من تقسيم رجال طاقمه، وجاء متثاقلاً يتبعه ثلاثة من رفاقه.

قال كاينز: "أسمع الدّودة لكن لا أستطيع رؤيتها!".

ثم سمعها الباقون أيضاً، احتكاك وانزلاق... بعيد، يتصاعد تدريجياً.

تمتم الدّوق: "اللعنة على هذه الفوضى".

أخذت الطائرات من حولهم ترفرف محلقةً، المشهد ذكّر الدّوق بموقف رآه في غابات موطنه، خروجه المفاجئ من الغابة إلى ساحة واسعة، وطيور آكلة الجيف ترتفع محلقة لتبتعد عن جثة ثورٍ بري.

تعثّر العمال نحو الثوبتر وبدأوا يتسلقون لداخلها خلف الدّوق، ساعدهم هاليك، ساحباً إياهم إلى الكابينة: "ادخلوا يا شباب، بسرعة!"

اضطر پاول للانكماش في ركن مع ازدحام المكان بالرجال المتصببين عرقاً، وشم فيهم رائحة الخوف، لاحظ أن اثنين منهما لم يحكما أربطة بذلة التّقطير عند منطقة العنق، سجّل المعلومة في ذاكرته، على والده أن يأمر بالتزام العمال بالقواعد الصحيحة لارتداء بذلات التقطير، فالناس يميلون للإهمال في هذه الأمور إن لم يتم التّشديد عليهم.

اقترب آخر رجل وهو يلهث: "الدّودة! تكاد تصل إلينا! انطلقوا فوراً!"

عبس الدّوق وأخذ مكانه: "لا زال أمامنا ثلاثة دقائقٍ على انتهاء التقدير الزمني الأصلي، أليس كذلك يا كاينز؟" وأغلق بابه وتأكد من إغلاقه بإحكام.

قال كاينز: "بالضّبط يا سيدي"،

قال هاليك: "كل شيء تمام هنا يا مولاي".

أومأ الدّوق، ونظر لآخر طائراته المرافقة وهي تقلع، أدار مفتاح التشغيل، وألقى نظرةً أخيرة على الأجنحة وأجهزة التّحكم، ثم أدخل سلسلة أوامر إشعال النفاثات.

غاص الدّوق وكاينز في مقعديهما عندما بدأ الإقلاع، وانضغط الجالسون في الخلف، راقب كاينز الطّريقة التي يتعامل بها الدّوق مع أدوات القيادة - بخفةٍ وثقة، حلّقت الطائرة في الهواء، وفحص الدّوق لوحة القيادة، ونظر للأجنحة على يمينه ويساره.

قال هاليك: "إنها ثقيلة جداً يا مولاي!".

قال الدّوق: "لم نتجاوز قدرات هذه الطائرة على التحمل، هل كنت تظن أني سأعرض حمولتنا هذه للخطر يا جيرني؟"

ابتسم جيرني وقال: "لم يخطر هذا على بالي إطلاقاً يا مولاي"،

وبسلاسة مال الدّوق بالمركبة في منحنى كبير، وحام فوق الزاحفة.

من ركنه الذي انحشر فيه جوار النافذة، حدّق پاول في الماكينة الصامتة القابعة على الرّمال، اختفت العلامة الدودية على بعد 400 متر من الزاحفة، وبدأت الرمال المحيطة بها تهتز.

قال كاينز: "الدّودة الآن تحت الزاحفة، ستشهدون منظراً لم يره سوى قلة".

غلّفت الزاحفة ذرات الغبار، وبدأت الماكينة الضّخمة في الانزلاق قليلاً ناحية اليمين، وتكونت زوبعة رملية هائلة على جانب الزاحفة، بدأت تتحرك أسرع وأسرع، حتى امتلأ الهواء بالرمال والغبار لمسافة مئات الأمتار.

ثم شاهدوها!

برزت في الرمال حفرة شديدة الاتساع، ولمعت أشعة الشّمس على سنون بيضاء أحاطت بالحفرة، قدّر پاول أن قطر الحفرة كان ضعف طول الزاحفة، راقب انزلاق الماكينة إلى داخل تلك الحفرة في

سحابة من الرّمل والغبار، ثم تراجعت الحفرة واختفت.

تمتم رجل يجلس جوار پاول: "يا للآلهة! يا له من وحش!"

زمجر آخر: "التهمت كل ما جمعناه من سپايس!"

قال الدّوق: "سيحاسب أحدهم على هذه الخسارة، هذا وعد".

سمع پاول نبرة الغضب العميق في صوت والده، وكان يشاركه الشعور، فقد كان هذا هدراً شنيعاً للموارد.

وفي الصمت سمعوا صوت كاينز، كان يتمتم: "بارك الصانع وماءه، بارك مجيئه وذهابه، فليطهر مروره العالم، وليحفظ العالم من أجل شعبه".

قال الدّوق: "ما هذا الذي تقوله؟"

لكن كاينز التزم الصمت.

نظر پاول للرجال المزدحمين من حوله، فوجدهم يحدقون بخوف في ظهر كاينز، همس أحدهم: " لييّت".

التفت له كاينز عابساً، فتراجع الرجل وبدا عليه الارتباك.

شخص آخر بدأ في السّعال، سعالاً جافاً وخشناً، ثم شهق وقال: "اللّعنة على حفرة الجحيم هذه!"

قال الرّجل الطّويل الذي كان آخر من خرج من الزاحفة: "لا تتحرك كثيراً يا كوس، وإلا ستتسبب في زيادة سعالك".

ثم تحرّك لينظر لظهر الدّوق: "أظنّك الدّوق ليتو، ندين بحياتنا لك، فقبل أن تهبط لنا كنّا قد هيئنا أنفسنا للموت هناك".

تمتم هاليك: "اسكت يا رجل ودع الدّوق يركّز على قيادة الطّائرة".

رمى پاول بنظرة نحو هاليك، فهو أيضا لاحظ التجاعيد العصبية على جانبي فكّ والده، على المرء أن يخطو برفق عندما يكون الدّوق في حالة ثورة.

شرع ليتو في إخراج الثوبتر بالتّدريج من انحدارها الدّائري لكنه توقف لما رأى حركة على الرّمال، كانت الدّودة قد انسحبت للأعماق، وحيث كانت الزاحفة ظهرَ شخصان يتحركان شمالاً بعيداً عن المنخفض الرملي، كانا في سيرهما ينزلقان بنعومةٍ على الرّمال دون أن يثيرا غباراً يدل على تحركهما.

صاح الدّوق: "من هذا الذي أراه بالأسفل؟!"

قال الرّجل الطّويل: اثنان من المتسكعين كانا يصحبانا يا مولاي".

"ولماذا لم يذكرهما أحد؟"

قال عامل التنقيب: "هما من اختار أن يخاطرا بالمجيء أصلاً يا مولاي".

قال كاينز: "سيدي، هؤلاء الرجال يعون صعوبة مساعدة المحاصرين في الصّحراء في منطقة من مناطق نفوذ الديدان".

قال الدّوق بحدة: "سنرسل لهما طائرةً من القاعدة".

قال كاينز: "كما تحب يا سيّدي، لكن الأرجح عندما تصل الطائرة إلى هنا لن يوجد من يمكن إنقاذه".

قال الدّوق: "سنرسل الطائرة على أية حال".

قال پاول: "كانا يقفان عند مكان خروج الدّودة! كيف نجحا في الهرب؟"

قال كاينز: "تنحدر جوانب الحفرة فتخدع نظرك بالنّسبة للمسافات".

تجرأ هاليك وقال: "إنّك تهدر الوقود ببقائك هنا يا مولاي".

"صدقت يا جيرني".

أدار الدّوق طائرته متجهاً نحو الجدار الجبلي، تركت طائراته المرافقة الدّائرة التي كانت تحوم فيها، ثم اتخذت مواقعها أعلى طائرته وعلى جانبيها.

فكّر پاول فيما قاله عامل التّنقيب وكاينز، شعر بأنها أنصاف حقائق وأكاذيب صريحة، فالرّجلان كانا يسيران على الرمال بثقةٍ وسلاسةٍ، ويتحركان بطريقة محسوبة يراد منها عدم تنبيه الدّودة أو إحضارها مجدداً من الأعماق التي تسكنها.

!

! !

قال پاول: "ماذا كان الفريمن يفعلون على متن هذه الزاحفة؟"

برم كاينز نحوه، ونظر له الرجل الطويل بعينين واسعتين من الدّهشة... عيونٌ لونها أزرق في أزرق في أزرق، سأل: "من هذا الفتى؟"

حشر هاليك نفسه بين الرّجل وپاول: "إنه پاول آتريديز... ولي العهد الدّوقي".

قال الرجل: "ومن قال إن الفريمن على متن ماكينتنا؟"

قال پاول: "تنطبق الأوصاف عليهما".

قال كاينز في نبرة ساخرة: "لا يمكن التّعرف على الفريمن بمجرد النظر إليهم!" ونظر للعامل: "أنت، أخبرنا من كان هؤلاء؟"

قال العامل: "أصدقاء لأحد العمال الآخرين، مجرد صديقين يسكنان إحدى القرى وقد جاءا ليشاهدا طريقة التنقيب عن السپايس".

استدار كاينز وقال بنبرة سخرية: "يظنّهم فريمن!" لكنّه تذكر كلمات الأسطورة:

.

قال العامل: "غالبا هم في عداد الموتى الآن يا سيّدي الصّغير، اذكروا محاسن موتاكم".

لكن پاول سمع الكذب في نبرتيهما، وشعر بالتّهديد الذي جعل هاليك أيضاً يتحرك بالفطرة ويضع نفسه في موضع حراسة وانتباه.

قال پاول ساخراً: "مكان رهيب هذا الذي ماتوا فيه".

ودون أن يستدير قال كاينز: "عندما يكتب الرّب على مخلوق أن يموت في مكانٍ معين، فإنه يجعل رغبات هذا المخلوق توجهه نحو هذا المكان".

وجّه ليتو نظرة صارمة نحو كاينز.

بادله كاينز النّظرة، لكن ملاحظاته أزعجته:

.

ورغماً عن أحكامه السابقة، اعترف كاينز في نفسه: .

16

"العظمةُ ما هي إلا تجربةٌ مؤقتةٌ ينقصها الثّبات، إذ تعتمد بدورها على مقدرة المخيّلة البشرية في اختلاق الأساطير. وعلى ذلك الشّخص الموصوف بالعظمة أن يدرك طبيعة هذه الأساطير التي ينحدر كجزءٍ منها، ويتحلّى بالصّفات التي أطلقها الأخرون عليه ويجسّدها، وأن يتمتّع بروح ساخرةٍ أيضاً. بذلك يتجنب الوقوع في غيّاهب التّصديق لتلك الصّفات التي رُمي بها. ولكي يُبقي على شيءٍ من ذاته، عليه أن يضعها تحت منظار السّخرية! فوصول الإنسان إلى حالة العظمة – ولو لفترةٍ عابرةٍ – دون أن يضعها تحت هذا المنظار ستكون تلك الحالة سبباً في دماره لا محال!"

من كتاب (أقوال المؤدّب المجمعة)، تأليف الأميرة إيرولان

في قاعةِ طعام القصر الكبيرِ لمدينةِ آرّاكين أضيئت المصابيح العاكسة للجاذبيّة، لتنير اللّيل الذي بدأ يلفّ المكان، ألقت الأضواء بوهجها الأصفر على رأس الثّور الأسود وقرنيه الدّاميين، وعلى اللّوحة الزّيتية البّراقة المُصورة للذّوق الكبير.

وتحت هذينِ الطّلسمين سطع بياض أغطية المائدة تلُفّه انعكاساتُ أدواتِ الطّعام الفضّية الخاصّة بآل آتريديز، رُتّبتْ بشكلٍ دقيقٍ على امتداد المائدة الكبيرة، إذ تُشبه في توسدها جزرَ أرخبيلية تنتظر خَدمها، وبجوارها تزاحمتْ كؤوسٌ بلّورية، كل طَقم منها مصفوفٌ باتساق أمام مقعدٍ خشبيٍ ثقيل، وفي السّقف تعلّقت ثريا كلاسيكيّة الطّراز منطفئة العُمر، انحنتْ سَلاسِلها لتختفي في ظلالٍ عاليةٍ، حيث دُسَّ فيها جهاز 'تبّاع السّموم'.

توقّف الذّوق عند المدخل ليتأكد من التّرتيبات، وأخذ يفكّر في 'تبّاع السّموم'، ودلالة وجود مثل هذا الجهاز في مجتمعه!

-

... ! هزّ رأسه.

على المائدة الطويلة وبجوار كلِّ طبقٍ من الأطباق ربَضَ إبريق ماء، هذه الكميّة من المياه تسدّ حاجة أسرةٍ آرّاكسية فقيرةٍ لأكثر من عام كامل.

واصطفّت على جانبي الباب الذي يقف عنده أحواض غسلٍ واسعة، مكسوّة بقرميد مزخرف بألوان صفراء وخضراء. ومع كل حوض مشاجبُ خاصّة بالمناشفَ، أوضحت له مدبرة المنزل أن العادات تقتضي أن يدخل كل ضيفٍ ويغمس يديه في الحوض، ثم يريق على الأرض عدة أكوابٍ من الماء، يجفّف يديه بمنشفةٍ ويرميها للأرض المبلّلة، وبعد انتهاء الضّيوف من الطعام يتجمع المتسوّلون خارج القصر ليحصلوا على الماء المعصور من تلك المناشف.

. أخذ نفساً عميقاً، وسَورة الغضب تضيّق معدته.

تمتم: "حان لهذه العادة أن تتوقّف!"

لمح خادمةً - إحدى العجائز المتغضنات اللّاتي أوصت بهن مدبّرة المنزل - تقف عند باب المطبخ، أشار لها الذّوق، فدارت حول المائدة مسرعةً نحوه، لاحظ وجهها المجعّد الجافّ وعينيها بزرقتهما السائدة.

"أوامر سيّدي؟" أحنت رأسها وتحاشت تبادل النّظرات معه.

أشار بيده وقال: "أزيلوا هذه الأحواض والمناشف".

"لكن... يا ابن النبلاء..."، رفعت بصرها، فاغرة فمها.

صاح: "أعرف التّقاليد! خذي هذه الأحواض للخارج، وأثناء الوليمة - وإلى أن نفرغ منها - يحق لكل لمتسولٍ طرق بابنا ليحصل على كوب ماءٍ كاملٍ، مفهوم؟"

تضاربت على وجهها المتغضن المشاعر التي تجول داخلها: حيرة، وغضبٍ! لحظتها أدرك ليتو أنّها كانت تنوي بيع الماء المعصور من تلك المناشف المداسة بالأقدام، معتصرة بضعة عملات من هؤلاء البؤساء الذين سيأتون للباب متسولين، ربما تلك أيضاً كانت تقاليد.

اكفهر وجهه وقال: "سأوكل حارساً ليتأكد من تنفيذ أوامري حرفياً".

استدار على عقبيه وأسرع الخطى عبر ممرّ يؤدّي للرّدهة الكبيرة، تعاقبت الذّكريات في ذهنه كما لو كانت همهمات عجائز هُتم، تذّكر المسطحات المائية الواسعة، والأمواج، تذكّر أياماً تملؤها الأعشاب لا الرمال، مواسم صيفٍ مَتعاقبةٍ في سرعةٍ تسبّب الدّوار، مرّت عليه مسرعةً كأوراق الشّجر تحملها رياحٌ عاصفة، راحت كلها.

.

في ردهة القصر، أمام المدفأة، وقفت اللّيدي جيسيكا وسط تشكيلة متنوعة من الأشخاص، فرقعت ألسنة اللّهب مرسلةً ومضاتٍ برتقاليةٍ على المجوهرات وشرائط الزّينة وأقمشة الملابس الباذخة. رأى بين الضّيوف تاجر صناعة بِذلات تقطيرٍ من مدينة قرطاج، ومستورد الأجهزة الإلكترونية، وتاجر ماءٍ كان له قصرٌ صيفيٌ بقرب مصنعه الواقع عند القطب الجليدي، وممثل بنك نقابة الفضاء - رجلٌ طويلٌ وكتوم، وتاجرٌ يتخصّص في قطع غيار ماكينات التّنقيب عن السپايس، وامرأة نحيلة ذات ملامح صارمة، يقال أن لديها خدمة 'توريد المرافِقات' - التي تديرها للزبائن القادمين كزّوار من الكواكب الأخرى - هي غطاء لكثير من عمليّات التّهريب والتّجسس والابتزاز.

غلب على معظم النّساء الحاضرات طابعٌ مشترك: الزيف والتّرف في التأنق، مزيج عجيب يثير الشّهوة الجسدية صعبة المنال.

لجيسيكا حضورٌ مهيمن بين أفراد المجموعة حتى لو لم تكن راعية الحفل، لم ترتدي المجوهرات، واختارت ملابس بألوانٍ دافئة، فستانٌ طويلٌ تكاد تقترب درجة لونه من ألسنة اللّهب، ولفت شعرها البرونزي بشريطٍ بنّي اللّون.

أدرك أنها تعمدت اختيار هذا المظهر كطريقة ماكرة لتوبيخه، على جفائه الذي يعاملها به مؤخراً، هي تعرف تمام المعرفة أنها تعجبه بهذه الألوان، لأنّها توحي له بحفيف أشجارٍ دافئة اللون.

في موضع قريبٍ وقف دَنكِن آيداهو، لم يخالط المجموعة بل وقف مجاوراً لها.كان مرتدياً زياً رسمياً براقاً، تصعب قراءة تعابير وجهه، أمّا شعره الأسود المجعّد فممشط بعناية. تم استدعاؤه من موقعه عند الفريمن وكانت أوامر حواط له واضحة: "ستتظاهر أنّك تحرسها لكن مهمتك أن تضع اللّيدي جيسيكا تحت المراقبة الدّائمة".

جال الدّوق بنظره في أرجاء القاعة، ها هو پاول في أحد الأركان، محاطٌ بمجموعةٍ متملقةٍ من يافعي الأسر النّبيلة الصّغيرة على آرّاكس، ومعهم وقف ثلاثةٌ من ضباط الحرس المنزلي. دقّق الدّوق في الشّابات الصّغيرات على وجه الخصوص، بالنسبة لهن سيكون ولي عهد الدّوقية 'لُقطة' بالتّأكيد! لكن پاول كان يعاملهن على قدم المساواة، دون تمييز، وبتحفّظ نبيل.

ثم ارتجف! هذه خاطرة أخرى متعلّقة بالموت.

لمح پاول والده عند المدخل، فتجنّب نظراته. جال ببصره فيما حوله من تجمعات الضّيوف، وفي

الأيادي المزيّنة بالجواهر، الممسكة بكؤوس المشروبات (ولم يكن لديه شكّ أن كل يدٍ لديها أجهزة متناهية الصغر من تبّاع السّموم تفحص كلّ كأس). نظر پاول لتلك الوجوه المثرثرة فاجتاحه شعور بنفورٍ عارم تجاهها، فما هي سوى أقنعةٌ رخيصة تغطي أفكاراً متقيحة، أصواتٌ تثرثر لتُغرق ذلك الصّمت الرّهيب الذي يملأ الصدور.

.وتساءل ماذا سيكون تعليق جيرني على المزاج.

كان يعرف سبب مزاجه هذا، فلم يكن راغباً في حضور الوليمة، لكنّ والده أصر في حزم، إذ قال له: "لك مركزٌ اجتماعي... ومكانة... عليك الحفاظ عليهما، لقد كبرت وهذا دورك، قريباً ستصبح رجلاً بالغاً".

رأى پاول والده يترك المدخل، ويجول ببصره في القاعة باحثاً عن شيء، ثم يتجه نحو المجموعة المحيطة بالليدي جيسيكا.

أثناء اقتراب ليتو من المجموعة كان تاجر الماء يسأل: "هل صحيح أن الدّوق سيضع أقمار تتحكم بالطقس؟"

ومن خلف الرّجل جاء صوت الدّوق: "لم نصل في تخطيطنا إلى هذه المرحلة المتقدّمة بعد، يا سيد".

التفت الرّجل، فكشف عن وجهٍ دمِثٍ مستديرٍ مُسمَرٍ. "آه الدّوق هنا، لقد افتقدناك".

رمى ليتو بنظرة نحو جيسيكا: "انشغلت قليلاً"، وعاد بانتباهه إلى تاجر الماء، وشرح له أوامره بشأن أحواض الغسل، مضيفا: "بالنّسبة لي، لم يعد لهذه التقاليد مكان هنا".

قال الرّجل: "هل هذا أمر دوقي يا سيدي؟"

قال الدّوق: "سأتركه ل-... ضميرك"، ولاحظ كاينز يقترب من المجموعة.

قالت إحدى النّساء: "أظنّها لفتة كريمة للغاية... أن نعطي الماء لل-..."، لكن أحدهم أسكتها.

لاحظ الدّوق أن الخبير الكوكبي يرتدي زياً رسمياً بلون بنّي داكن وطراز قديم، وتزين كتفيه شارات الموظفين الإمبراطوريين، وعلى ياقة السّترة رتبة على شكل دمعةٍ صغيرةٍ ذهبية.

قال تاجر الماء سائلاً في نبرة غاضبة: "هل يقصد الدّوق أن يلمّح بانتقاد لتقاليدنا؟"

قال ليتو: "لقد تم تغيير التقاليد"، وأومأ تحية لكاينز، ملاحظاً التّقطيبة التي ارتسمت على وجه جيسيكا، لا يليق بها العبوس، لكنّه سيقوي الشائعات بوجود خلاف بينهما.

قال تاجر الماء: "بعد إذن الدّوق، أريد أن أستفسر أكثر بخصوص التقاليد".

سمع ليتو في صوت الرّجل النبرة المداهنة المفتعلة، وانتبه لحالة التّرقب الصّامت التي سادت المجموعة، ولالتفات الرؤوس نحوهم من باقي الحضور في القاعة.

قالت جيسيكا: "ألم يحن وقت الطعام؟"

قال ليتو: "لكن ضيفنا عنده أسئلة"، ونظر لتاجر الماء ذي الوجه المستدير والعينين الواسعتين والشفتين الغليظتين، متذكراً التقرير المختصر الذي قدمه له حواط: "... وتاجر الماء رجل يستحق الانتباه، لينغار بيوط، تذكّر الاسم، استخدمه الهاركونِن لكن لم يستطيعوا التحكم فيه بشكل كامل".

قال بيوط، وعلى وجهه ابتسامة: "إن التّقاليد المرتبطة بالماء عجيبة، يهمني أن أعرف ما تنوي فعله بغرفة الاستنبات الملحقة بهذا المنزل، هل تنوي الاستمرار بالتباهي بها أمام الشعب... يا سيدي؟"

كظم ليتو غضبه محدقاً في الرّجل، تسارعت الأفكار في ذهنه، ليس من السهل أن يتحداه هذا الرجل في قلعته الدوقية، خصوصاً وأن بيوط وقّع على تعهد بالولاء. في تحديه أيضاً دلالة على الثّقة في نفوذه الشّخصي، فالماء هنا يعني النفوذ، خصوصاً لو تمّ دسّ ألغام - على سبيل المثال - في مستودعات المياه بحيث تكون جاهزة للتفجير. بدا على الرّجل القدرة على القيام بأمر كهذا، تدمير مستودعات المياه قد يقضي على آرّاكس، ربّما هذا التّهديد هو الهراوة التي كان يرفعها بيوط على رأس الهاركونِن.

قالت جيسيكا: "أنا وسيدي الدّوق عندنا خطط أخرى فيما يخصّ غرفة الاستنبات"، وابتسمت لليتو... "طبعاً ننوي الاحتفاظ بها، لكن كوديعة لشعب آرّاكس، فنحن نحلم أن يتغيّر مناخ آرّاكس بحيث يصلح لإنبات مثل هذه النباتات في أي مكان مفتوح".

! .

قال الدّوق: "واضح اهتمامك بالماء وبموضوع التّحكم في الطقس، نصيحتي لك بتنويع ممتلكاتك التجارية، فيوماً ما لن يعود الماء سلعةً نادرةً على آرّاكس".

!

أومأ بيوط والابتسامة ما زالت مرسومةً على وجهه: "حلم يستحق الإشادة يا سيدي"، وتراجع خطوة للخلف.

جذبت تعابير كاينز انتباه ليتو، كان الرّجل يحدّق في جيسيكا بانبهار، كرجلٍ واقعٍ في الحب، أو في إغشاءة دينية.

أما كاينز فغمرته كلمات النّبوءة: " " فسأل جيسيكا مباشرة: "هل ستجلبين لنا اختصار الطريق؟"

قال تاجر الماء: "دكتور كاينز! عدت أخيراً من تسكعك مع همج الفريمن، شرفتنا بقدومك".

نظر كاينز لبيوط نظرة خالية من التّعابير، وقال: "يقال في الصحراء أن امتلاك كميات كبيرة من الماء يمكن أن يجعل المرء يتصرف بطيش قاتل".

قال بيوط: "عندهم الكثير من المقولات الغريبة في الصّحراء"، لكن صوته فضح ما يشعر به من ارتباك.

اقتربت جيسيكا من ليتو ووضعت يدها تحت ذراعه لتمنح نفسها لحظة لتستعيد هدوءها، فكاينز قد قال: "... مختصر الطريق"... وهي عبارة - في اللغة القديمة - تترجم إلى 'كويزاتس هاديراك'، بدا سؤاله غريباً ولم يلتفت له الآخرون، وحتى كاينز شغل نفسه بالاستماع لإحدى المرافقات، وهي تثرثر بصوتٍ منخفض.

فكرت جيسيكا: [ ]. أججت الفكرة فيها تلك الأمنية الخفيّة التي تتمناها لپاول.

.

كان ممثل بنك النّقابة منهمكاً في محادثة مع تاجر الماء، وارتفع صوت بيوط فوق همهمة المحادثات الأخرى التي تجددت في المكان، قائلاً: "كثيرون من سعوا لتغيير آرّاكس".

انتبه الدّوق للطريقة التي طعنت فيها تلك الكلمات كاينز، وكيف اعتدل الخبير الكوكبي فجأة عند سماعها مبتعداً عن المرأة التي كانت تغازله.

في جو السّكون المفاجئ تنحنح خادم وقال: "العشاء جاهز يا سيدي".

صوّب الدّوق نظرة تساؤل نحو جيسيكا.

قالت: "العادة هنا أن يمشي صاحب البيت وشريكته خلف ضيوفهما"، ثم ابتسمت: "هل سنغير هذه العادة أيضاً يا مولاي؟"

ردّ ببرود: "تبدو عادةً جيدةً، سندعها كما هي في الوقت الحالي".

. ونظر للضيوف المارّين أمامه في طوابير:

شعرت جيسيكا بجفائه وتساءلت عن سببه، كما فعلت على مدار الأسبوع الفائت.

.

.

نظر ليتو للضيوف المارين أمامه في صفوف وتذكر ما قاله ظافر حواط عندما علم وجود نية لعقد الوليمة: "مولاي! أعترض بشدة!"

ارتسمت ابتسامة قاتمة على فم الدّوق، كانت مواجهة عاصفة، وعندما أصرّ الدوق على حضور الوليمة هزّ حواط رأسه وقال: "أنا متشائم تجاه هذا الأمر يا سيدي، تتحرك الأحداث بسرعة على آرّاكس، ليس هذا من طبع الهاركونِن، ليس من عادتهم على الإطلاق".

مرّ پاول أمام والده، مرافقاً شابة تفوقه طولاً، رمى والده بنظرة امتعاض، ثم عاد بانتباهه للفتاة وأومأ موافقاً إياها على شيء قالته.

قالت جيسيكا: "والدها يصنّع بِذلات تقطير، قيل لي أن الحمقى فقط يخاطرون بارتداء بذلاته في قلب الصحراء".

قال الدّوق: "ومن الرّجل ذو الندوب الذي يتقدم پاول؟ ... لم أتعرف عليه".

همست: "إضافة متأخرة للقائمة، جيرني قام بترتيب دعوته، من المهربين".

"جيرني هو من رتبها!"

"استجابة لطلب مني، ووافق حواط أمنياً على الأمر، لكن أظنها كانت موافقة على مضض، اسم المهرب إزمار تُويك، له نفوذ بين زملائه المهربين، وكل الحاضرين هنا يعرفونه، فقد استضافته على العشاء عدة بيوت".

"ولم هو هنا؟"

قالت: "كل شخص هنا سيسأل السّؤال ذاته، فمجرد وجوده سيزرع بذور الشّك والرّيبة، ووجوده سيوضح للجميع أنك جادّ بأوامرك الخاصة بمنع المحسوبية والرّشوة، وسيعاونك في تنفيذها المهربين أيضاً، بدا حواط معجباً بهذه النقطة".

"لا أعتقد إنني أشاركه الإعجاب"، أومأ بالتحية لزوجين مرا أمامه، ولاحظ قلة متبقية من الضيوف، وبعدها يستطيعان الانضمام للمائدة.

"لماذا لم ترسلي دعوة لبعض الفريمن؟"

قالت: "كاينز هنا".

قال: "نعم، كاينز هنا، هل رتبتِ لي مفاجآت أخرى من هذا النوع؟" وخطا بها للأمام ليتبعا الموكب.

قالت: "كل الأمور الأخرى عادية".

وفكرت:

.

حرّرت يدها من ذراعه عندما ولجا قاعة الطعام، وتركت ليتو يعينها على الجلوس في مقعدها، خطا الدّوق لموقعه في الجهة الأخرى من المائدة، وسحب الخادم المقعد له. استقر الآخرون في أماكنهم وسط حفيف الملابس وصرير أرجل المقاعد، لكن الدّوق ظل واقفاً، أعطى إشارة فتراجع الخدم خطوة للوراء، ووقفوا في وضع انتباه.

خيّم على القاعة صمتٌ مشوب بالقلق.

نظرت جيسيكا على امتداد المائدة الطويلة فرأت اضطراباً خفيفاً على جانب فم ليتو، ولاحظت حمرة الغضب المتصاعدة في وجنتيه. سألت نفسها: .

قال ليتو: "البعض يعترض على تغييري لعادة أحواض الغسل، هذا التغيير طريقتي في إبلاغكم أن الكثير من الأمور ستتغير".

خيّم على المائدة صمت محرَج.

فكرت جيسيكا: .

أمسك ليتو بإبريق مائه ورفعه عالياً، فانعكست عليه أشعة المصابيح العاكسة للجاذبية، "بصفتي أحد الفرسان التابعين للإمبراطورية فإنني أرفع لكم هذا النخب".

التقط الآخرون أباريقهم، وكل العيون مصوّبة على الدّوق. وفي الهدوء المفاجئ انجرف أحد المصابيح الطائرة قليلاً، متأثراً بتيار هواء شاردٍ آتٍ من ردهة مطبخ تقديم الطعام، تراقصت الظّلال على ملامح وجه الدّوق الصقرية.

صاح: "مكاني هنا... وسأبقى ها هنا!"

تحركّت الأباريق إلى الأفواه ثم أُجهضت الحركة، إذ ظل الدّوق رافعاً ذراعه، "نخبي سيكون من تلك المقولات الحكيمة المحببة إلى قلوبنَا: التّجارة سبيل التّقدم! والحظ السّعيد يزور الجميع!" ثم احتسى من الماء.

حذا الآخرون حذوه، وتبادلوا نظرات متسائلة.

نادى الدّوق قائلا: "جيرني!"

جاء صوت هاليك من فجوة في ناحية القاعة القريبة من مكان ليتو: "هنا يا سيدي".

"اعزف لنا شيئاً يا جيرني".

ومن الفجوة تصاعدت نغمة رقيقة من آلة القانون الموسيقية، بإشارةٍ من الدّوق شرع الخدم في وضع أطباق الطعام على المائدة، أرنب صحراوي مشوي بصلصة السيبيدا، أبلوماج سيراني، تشوكا مقدمة تحت الزجاج، قهوة بنكهة مزيج السپايس (تصاعدت معها رائحة قرفة قوية فاحت عبر المائدة)، بوتاوي أصلي مقدم مع نبيذ كالاداني فوّار.

ومع ذلك ظل الدّوق واقفاً.

وإذ انتظر الضيوفُ - واهتمامهم مشتت بين الأطباق الموضوعة أمامهم والدّوق الواقف - قال ليتو: "في الأيام الغابرة كان من واجبات المضيف أن يرفه عن ضيوفه بعرض مواهبه الخاصة"، وابيضت

مفاصل أصابعه الممسكة بقوة بطرف الإبريق، "لا أستطيع الغناء، لكني سألقي عليكم كلمات الأغنية التي يعزفها جيرني، اعتبروها نخباً آخر، نخب لكل من قضوا لِنَصِل إلى هنا".

صدرت عبر المائدة أصوات حركاتٍ مضطربة.

أرخت جيسيكا بصرها، وألقت نظرات على الجالسين قريباً منها، تاجر الماء ذو الوجه المستدير ومعه المرأة المرافقة له، المصرفي ممثل بنك النقابة بوجهه الشاحب وطبعه المتزمت، والذي بدا - وهو ينظر لليتو - وكأنه خيال مآتة بشفاه ممطوطة، تُويك فظ الهيئة، بوجهه ذي الندوب، وقد خفض عينيه تامتي الزرقة.

قال الدوق في صوت منغم:

"انظروا يا أصدقاء، إلى جنود مضوا

طواهم القدر مثقلون بالآلام والدولارات

أرواحهم ترتدي ياقاتنا الفضيّة

انظروا يا أصدقاء، إلى جنود مضوا

كل واحد منهم نقطة في الزمن، بلا ادعاء فارغ ولا نفاق

ومعهم مضت فتنة الثّراء

انظروا يا أصدقاء، إلى جنود مضوا

عندما ينقضي عمرنا بابتسامة الموت، سنسلم لغيرنا فتنة الثّراء".

مطّ الدوق الجملة الأخيرة، ثم تجرع جرعة كبيرة من إبريق الماء، وخبطه على المائدة، اندلق بعض الماء وانسكب على المفرش الكتاني.

شرب الآخرون من مائهم في صمتٍ مرتبك.

ثم رفع الدّوق إبريقه مجدداً، وهذه المرة أفرغ على الأرض النصف الباقي من محتوياته، مدركاً أن التقاليد تحتم على الجالسين أن يحاكوه.

كانت جيسيكا أول من حذا حذوه.

توقف الزّمن للحظة قبل أن يبدأ الآخرون في سكب أباريقهم، لاحظت جيسيكا كيف أن پاول - الجالس قريباً من والده - كان يدرس ردّ فعل من حوله، ووجدت نفسها أيضا مهتمةً بما سيتكشّف عن ضيوفها... خصوصاً النساء. فقد كان هذا ماءً نظيفاً وصالحاً للشرب، وليس شيئاً تم مسحه في منشفة، بدا واضحاً كرههم لسكب المياه، في الأيادي المرتعشة، التردّد والتأخر، الضّحكات العصبية، ثم في الانصياع العنيف. إحدى النساء وقع منها إبريقها، فأشاحت بوجهها للاتجاه الآخر بينما التقطه رفيقها من على الأرض.

لكن أكثر ما شدّ انتباهها هو كاينز، فقد ظهر التردّد على الخبير الكوكبي قبل أن يفرغ إبريقه في وعاء تحت سترته، وعندما التقت عيناه بجيسيكا ابتسم لها، ورفع الإبريق الفارغ في نخب صامت، ولم يبد عليه حرج مما فعله.

استمرت موسيقى هاليك تعم أرجاء القاعة، إلا أنها تحولت من هدوئها السابق وأصبحت مرحةً ومثيرة، كما لو كانت محاولة منه لتخفيف المزاج السائد.

قال الدّوق: "فليبدأ العشاء"، وغاص في مقعده.

فكّرت جيسيكا:
. رفعت شوكتها، على أملٍ أن تخفي حركة المرارة المفاجئة.

ببطء في البداية - ثمّ بنشاط متزايدٍ تدريجياً - بدأ تناول الطّعام، وقام صانع بذلات التّقطير بتقديم إطراء لجيسيكا على طاهيها ونبيذها.

قالت: "أحضرنا الاثنين معنا من كالادان".

قال وهو يتذوّق التشوكا: "ممتاز! ممتاز جداً! ولا ذرة من نكهة مزيج السپايس، فالمرء يشعر بالملل من وجود السپايس في كل شيء".

نظر ممثّل بنك النّقابة إلى كاينز الجالس في المقابل: "حسب ما بلغني يا دكتور كاينز، ذهبت زاحفة مصنعية أخرى ضحية للديدان".

قال الدّوق: "أهاا ... تنتقل الأخبار بسرعة".

قال المصرفي: "إذن الأمر صحيح؟" وحوّل انتباهه لليتو.

قال الدّوق بحدة: "بالطبع صحيح! اختفت تلك الحاملة الملعونة، كيف يختفي شيء بذاك الحجم؟!"

قال كاينز: "عندما وصلت الدّودة، لم يتوافر ما يحمل الزاحفة بعيداً".

كرّر الدّوق: "شيء لا يُعقل!"

سأل المصرفي: "ولم ير أحد الحاملة وهي ترحل؟"

قال كاينز: "في العادة تركّز طائرات المراقبة على الرّمال، فاهتمامهم الأساسي هو اكتشاف العلامات الدّودية، طاقم الحاملة مكون من أربعة رجال، اثنين من الطّيارين ويرافقهما معاونان، فإن كان واحد - أو حتى اثنين - من هذا الطاقم قد تلقى أموالاً من خصوم الدّوق، فـ..."

قال المصرفي: "آه، فهمت. وأنت - بصفتك قاضي التّحكيم - هل ستحقق في المسألة؟"

قال كاينز: "يجب أن أفكّر بحرص، وبالتّأكيد لن أناقش شيئاً كهذا أثناء وليمة طعام".
!

ابتسم المصرفي وأعاد اهتمامه لطعامه.

تذكرت جيسيكا محاضرة حضرتها أيام دراستها في مدرسة بني-جيزيرِت، كان موضوعها التّجسس وكشف التّجسس، ألقتها سيّدة موقرة سمينة ذات وجه مبتهج، تَعارضَ صوتها المرح بشكل غريب مع موضوع الدرس.

"
... .
.
.
.
–
.
.
".

وإذ جلست جيسيكا في تلك اللّحظة على مائدة تضم ابنها ودوقها وضيوفها، مستمعةً إلى ممثل البنك

النقابي، شعرت برجفة ناتجة عن فهم وإدراك: هذا الرجل عميل هاركونِي، فأنماط حديثه كانت أنماط غيدي برايم. صحيحٌ أنه يخفيها بدهاء، لكنها واضحة بالنسبة لوعيها المدرَب كما لو أن الرّجل أعلنها بنفسه.

أفزعتها الفكرة، فأخفت مشاعرها
بطلب إحضار صنف طعام جديد، وإن استمرت في الإصغاء للرجل منتظرةً أن يكشف عن غرضه الحقيقي. . .

بلع المصرفي طعامه واحتسى النبيذ وابتسم رداً على شيءٍ قالته له المرأة الجالسة على يمينه، بدا للحظة كأنه يستمع لرجلٍ جالس بعيداً عنه كان يشرح للذّوق مسألة أن النباتات المحلية على آرِّاكس ليس بها أشواك.

قال المصرفي، موجها كلامه إلى جيسيكا: "أستمتع بمشاهدة طيران الطيور على آرِّاكس، كل طيورنا - بالطبع - من آكلات الجيف، وكثير منها يعيش دون شرب الماء، إذ تحولت لشرب الدماء".

تأفّفت ابنة صانع بذلات التقطير - الجالسة بين پاول ووالده على الطرف الآخر من المائدة - ولوّت وجهها الجميل وقالت: "أوه يا سو-سو... دائما ما تتفوه بأكثر الأشياء بشاعة".

ابتسم المصرفي "يلقبونني بـ سو-سو لأنني المستشار المالي لاتحاد بائعي الماء"، وإذ استمرت جيسيكا في النّظر إليه دون تعليق، أضاف: "بسبب صياح بائعي الماء... سو- سو- سوق!"، وقام بتقليد الصيحة بدقة متناهية حتى ضحك الكثير من الجالسين إلى المائدة.

انتبهت جيسيكا لنبرة التّفاخر في صوته، لكن أكثر ما لفت انتباهها هو أن الفتاة قد تكلمت حسب دورها الملقن لها، إنه مشهدٌ مرتبٌ مسبقاً، فبكلامها كانت تتيح الفرصة المناسبة للمصرفي كي يقول ما قاله. رمت نظرة سريعة نحو لينغار بيوط، فوجدت تاجر الماء الثري عابساً، مركزاً في طعامه. فاتضح لجيسيكا أن ما عناه المصرفي بكلامه هو: "
... ."

كان پاول قد لاحظ الزّيف في صوت الضيف، ورأى أمه تتابع الحوار بتركيز بني-جيزيرِت، وإرضاءً لنزوةٍ عابرةٍ قرر أن يلعب دور النّد في الحوار، وأن يطيل النقاش أكثر، فوجه كلامه للمصرفي. "هل تقصد يا سيدي أن هذه الطيور تأكل لحوم إخوانها؟"

قال المصرفي: "سؤال غريب يا سيّدي الشّاب، كل ما قلته هو أن الطيور تشرب الدماء، ليس بالضّرورة دماء أفراد من نفس نوعها، أليس كذلك؟"

قال پاول: "لم يكن سؤالاً غريباً"، ولاحظت جيسيكا في صوته أثر تدريبها له على الإجابات السريعة كالطعنات الخاطفة، "فأغلب المتعلّمين يعرفون أن أخطر منافسة محتملة يواجهها كائن يافع تأتي من أفراد نوعه"، وبحركة متعمدة التقط بشوكته قطعة طعام من طبق رفيقه، وأكلها"، فإنهم يأكلون من نفس الطبق، ولهم نفس الاحتياجات الأساسية".

تصلب المصرفي ونظر إلى الدوق عابساً.

قال الدّوق مبتسما: "مخطئ إذا كنت تعتقد ابني طفلاً".

جالت جيسيكا ببصرها حول المائدة، فلاحظت عودة ابتهاج بيوط، وأن كُلاً من كاينز والمهرب كانا يبتسمان ابتسامة واسعة.

قال كاينز: "إنّها قاعدة في علم البيئة، وواضح أن السّيد الشاب يفهمها جيداً، الصّراع بين عناصر الحياة صراع على مصادر الطاقة الحرة في المنظومة البيئية، والدّم مصدر جيد للطاقة".

وضع المصرفي شوكته في طبقه وقال بنبرةٍ غاضبةٍ: "يقال إن الحثالة الفريمن يشربون دماء موتاهم".

هزّ كاينز رأسه معترضاً وتكلم بنبرة من يلقي محاضرة: "ليس الدماء يا سيدي، بل كلّ ماء جسد الشّخص يؤول في النّهاية لقومه... لقبيلته. وهذا شيء ضروري، خصوصاً عند الإقامة قريباً من منطقة السّهل العظيم، فالماء هناك شديد الندرة، وجسد الإنسان مكون من الماء بنسبة 70% من وزنه الكلي، وما عاد الميّت بحاجةٍ إلى هذا الماء".

وضع المصرفي كلتا يديه على جانب المائدة جوار طبقه، وظنت جيسيكا أنه سيدفع نفسه للخلف، ويترك المكان غاضباً.

نظر كاينز لجيسيكا: "اعذريني يا سيدتي لتفصيلي في شرح موضوع قبيح كهذا على المائدة، لكن ما يقال لك معلومات خاطئة، ووجب تصحيحها".

قال المصرفي في خشونة: "طال اختلاطك بالفريمن ففقدت التّمييز".

نظر له كاينز بهدوء، فاحصاً الوجه الباهت المضطرب: "هل تتحداني يا سيدي؟"

جمد المصرفي، بلع ريقه وتكلم في نبرة رسمية جافة: "بالطبع لا، لن أهين مضيفنا ومضيفتنا بتصرفٍ كهذا".

سمعت جيسيكا الخوف في صوت الرّجل، ورأته في وجهه، وفي تنفّسه، وفي انتفاض أحد العروق على صدغه. إنه مرتعبٌ من كاينز!

قال كاينز: "مضيفنا ومضيفتنا قادران على تمييز الإهانة من غيرها، فهم قوم باسلون يدركون أهمية دفاع المرء عن شرفه، ويمكننا جميعا أن نشهد على بسالتهم، فها هم هنا... الآن... على آرّاكس".

لاحظت جيسيكا استمتاع ليتو بما يحدث، على عكس أغلب الحضور، فحول المائدة بدا الكثيرون متحفّزين للهرب، وأيديهم مخفاة تحت المائدة، أبرز استثنائين لهذا كانا بيوط، والذي كان يبتسم سعيداً لارتباك المصرفي، والمهرب، تُويك، والذي بدا وكأنه ينتظر إشارة من كاينز، كما لاحظت أن پاول كان ينظر لكاينز بإعجاب.

قال كاينز: "وبعد؟"

تمتم المصرفي: "لم أقصد الإساءة، إن شعرت بإساءةٍ أرجو أن تقبل اعتذاري".

قال كاينز: "الاعتذار المقدّم برحابة صدرٍ مقبولٌ برحابة صدر"، وابتسم لجيسيكا، واستأنف الأكل وكأنّ شيئاً لم يحدث.

لاحظت جيسيكا أن المهرب أيضاً قد زال توتره، سجّلت هذا في ذهنها، فالرّجل أظهر النّية في الوثب لمساعدة كاينز، هناك ائتلاف بين كاينز وتويك.

عبث ليتو بشوكة الطّعام، ونظر لكاينز متأملاً، فقد تغير أسلوب تعامل الجيولوجي نحو آل آتريديز، فخلال رحلتهم المشتركة في الصحراء كان كاينز أكثر تحفظاً وجفاءاً.

أشارت جيسيكا لصنفٍ جديدٍ من الطّعام والشّراب، جاء الخدم ومعهم أطباقاً من اللّحوم الطيّبة، ونبيذٍ أحمر وحساء فطر عشّ الغراب بالزّبد كطبقٍ جانبي.

وبالتّدريج استؤنفت المحادثات، لكن أحست جيسيكا بما يسود تلك المحادثات من قلقٍ، ورأت المصرفي يأكل طعامه في صمتٍ كئيب. وأدركت أن كاينز لا يزعجه القتل، واستنتجت أن هذه صفة من صفات الفَريمن.

التفتت جيسيكا نحو صانع بذلات التقطير على يسارها، وقالت: "ما زلت مشدوهة من أهمية الماء على آرِّاكس".

وافقها: "إنه هامٌ للغاية، ما هذا الطبق؟ شهي جداً".

قالت: "ألسنة أرانب بريّة في صلصة خاصة، وصفة شديدة القِدم".

قال: "يجب أن أحصل على هذه الوصفة".

أومأت: "سأحرص على حصولك عليها".

نظر كاينز لجيسيكا وقال: "دائماً ما يستهين القادمون الجدد لآرِّاكس بأهمية الماء هنا، فالمرء هنا يتعامل مع قانون الحد الأدنى أو القيمة الصغرى".

سمِعت نبرة اختبار في صوته، فقالت: "يعتمد نمو النّباتات على الحدّ الأدنى للموارد المتاحة، وطبيعي أن تتحكم الظروف القاسية في معدل النمو".

قال كاينز: "من النادر أن أجد فرداً من الأسر النبيلة واعياً لطبيعة المسائل البيئية الكوكبيّة. على آرِّاكس، الماء هو أقلّ الظروف المواتية للحياة، وتذكري أن النّمو في حد ذاته قد يتسبب في صنع ظروف غير مواتية، إن لم نعالجه بحرص شديد".

شعرت جيسيكا برسالةٍ خفيّة في كلماتِ كاينز، لكن لم تستطع فهمها، قالت: "تقول: النمو، تقصد أن توافر الظروف الملائمة سيسمح لآرِّاكس أن يمتلك دورة مياه طبيعية ومنتظمة قادرة على دعم حياة بشرية؟"

صاح تاجر الماء: "مستحيل!"

نقلت جيسيكا انتباهها إلى بيوط: "مستحيل؟"

قال: "مستحيل على آرِّاكس، لا تصغي لهذا الحالم، كل الأدلة المخبرية ضده".

نظر كاينز لبيوط، ولاحظت جيسيكا توقف المحادثات الأخرى حول المائدة، وتركز انتباه الجميع على هذا الحوار.

قال كاينز: "الأدلة المخبرية تعمينا أحيانا عن حقيقة بسيطة، هذه الحقيقة هي: نحن نتعامل في هذا الموضوع مع أمور نشأت - وتوجد بالفعل - في العراء، حيث تعيش النباتات والحيوانات حياة طبيعية".

تهكم بيوط: "طبيعية! لا شيء طبيعي على آرِّاكس!"

قال كاينز: "على العكس، يمكن إنشاء بيئات منسجمة في حدود مكتفية بذاتها، عليك فقط أن تفهم حدود قدرات الكوكب والضّغوط الواقعة عليه".

قال بيوط: "لن يتحقق هذا أبداً".

أخيراً استطاع الدّوق تحديد اللّحظة التي غيرت نظرة كاينز لهم، في تلك اللّحظة التي تحدّثت فيها جيسيكا عن الاحتفاظ بنباتات غرفة الاستنبات الزجاجية كوديعة مملوكة لآرِّاكس، قال ليتو: "ما الخطوات الضّرورية لإنشاء نظام بيئي مكتفٍ ذاتياً يا دكتور كاينز؟"

قال كاينز: "لو استطعنا تحويل 3% من العناصر النّباتية إلى عناصر إنتاج مركبات كربونية كمواد غذائية، فسنكون قد بدأنا دورة التغيير".

قال الدّوق: "والماء هو المشكلة الوحيدة؟"، شعر بحماسة كاينز، وبدأ يشاركه نفس الحماسة.

قال كاينز: "الماء يتفوق في أولويته على باقي المشاكل، يملك هذا الكوكب الكثير من الأكسجين دون وجود الأشياء التي تصاحبه في العادة: حياة نباتية واسعة الانتشار، ومصادر كبيرة لثاني أكسيد الكربون الحرّ النّاتج من ظواهر مثل البراكين،وهناك عمليات تبادل كيميائي غير معتادة تحدث على مساحات واسعة من السّطح".

قال الدّوق: "وهل عندكم مشاريع تجريبية؟"

قال كاينز: "خلال فترة زمنية طويلة استطعنا تكوين مجموعات بحث يقوم بها هواة على نطاق محدوداً لتحقيق تأثير تانزلي Tansley Effect، وبدراستها يمكن لخبراتي العلمية أن تخرج بحقائق مفيدة عملياً".

قال بيوط: "لا يوجد ما يكفي من الماء، بمعنى آخر: الماء لا يكفي".

قال كاينز: "السّيد بيوط خبير فيما يخص الماء"، ثم ابتسم وعاد ليصب اهتمامه على طعامه.

أشار الدّوق بيده في حركة حادة وصاح: "لا! أريد إجابة! هل هناك من الماء ما يكفي يا دكتور كاينز؟"

حدّق كاينز في طبقه.

راقبت جيسيكا العواطف المتصارعة على وجهه. ، لكنّها كانت قد "سجلته" ذهنياً، وقرأت في ملامحه إنه نادم على ما كشفه حتى الآن.

قال الدّوق آمراً: "هل هناك ماء كافٍ؟"

قال كاينز: "ربما".

فكّرت جيسيكا: !

أمّا پاول فكشفت له حاسّة كشف الحقيقة الدّافع الخفيّ لدى كاينز، وتصارع مع نفسه لكبح حماسته. الماء كافي! لكن كاينز لا يريد لهذه الحقيقة أن تُعرف.

قال بيوط: "لدى خبيرنا البيئي أحلاماً مثيرةً، فهو يشارك الفريمن أحلامهم، في النبوءات والمسيح".

تعالت ضحكات من مواضع متفرقة من المائدة، حفظتهم جيسيكا في ذاكرتها: المهرّب، ابنة صانع بذلات التّقطير، دَنكِن آيداهو، المرأة صاحبة الخدمة الغامضة الخاصّة بتوريد المرافقات.

فكّرت جيسيكا:

.

أدار الدّوق بصره بين كاينز وبيوط وجيسيكا، غمره إحساس بالخذلان، وكأنّ شيئاً هاماً حدث أمامه وهو غافل عنه. تمتم: "ربّما".

تدارك كاينز: "ربّما علينا أن نؤجّل هذا النّقاش لمرةٍ أخرى يا سيدي، هناك الكثير من الأمور الت-..."

قطع الخبير البيئي حديثه إذ هرع أحد الجنود المرتدين الزي الآتريدي قادماً من باب الخدم، سمح له الحارس بالدخول فأسرع نحو الدّوق، انحنى الرّجل وهمس بشيء في أذن ليتو.

عرفت جيسيكا من علامة القبّعة العسكريّة إنه من جنود حواط، وأرغمت نفسها على الهدوء، وجّهت الكلام لرفيقة صانع البذلات، امرأة ضئيلة الحجم، سوداء الشعر، ذات وجه يشبه الدّمى، وجفنين

منسدلان فوق عينيها.

قالت جيسيكا: "بالكاد لمستِ طعامك يا عزيزتي، هل أطلب لك شيئاً معيناً؟"

نظرت المرأة لصانع البذلات قبل أن تجيب: "لا أشعر بالجوع".

وبلا مقدمات نهض الدّوق، وتكلم في نبرة آمرة جافة: "ليبق الجميع في مقاعدهم. اعذروني، لكن أمراً يتطلب حضوري الفوري"، ابتعد عن مقعده وقال: "پاول، لو سمحت، خذ مكاني على رأس المائدة".

نهض پاول، ورغم رغبته الاستفسار من والده عن سبب مغادرته إلا أنه يعي واجبه للعب دوره بأسلوب النبلاء، فانتقل إلى مقعد والده وجلس فيه.

التفت الدّوق للفجوة الجدارية حيث جلس هاليك وقال: "جيرني، من فضلك اجلس مكان پاول على المائدة، فلا يجب أن نسمح بعدد فردي، عندما ينتهي العشاء قد أطلب منك أن تجلب پاول لمقر القيادة بساحة المهبط، انتظر رسالة مني".

برز هاليك من الفجوة بزيّه الرّسمي، فبدا قبحه المتكتل متنافراً مع البذخ الأنيق المتألّق في القاعة، أسند آلته الموسيقية على الحائط، وتقدّم إلى المقعد الذي كان پاول يحتله من قبل، وجلس فيه.

قال الدّوق: "لا داع للقلق، لكن يجب أن أطلب منكم عدم المغادرة قبل أن يبلغنا حرسنا المنزلي أن الوضع آمن، المكان آمن ما دمتم هنا، وسننتهي من هذه المشكلة الصغيرة".

فهم پاول الكلمات المشفرة في كلام والده: حرس...أمن... أمان... أقرب وقتٍ، مشكلة متعلقة بالأمن، لا بأعمال عنف، لاحظ أنّ أمه أيضاً فهمت الرّسالة، وزال توترهما.

أومأ الدّوق للحاضرين، وأسرع الخطى خارجاً من باب الخدم، يتبعه الجندي.

قال پاول: "من فضلكم أكملوا عشاءكم، وأظن أنّ الدّكتور كاينز كان يناقش موضوع الماء".

قال كاينز: "هل يمكن أن نناقشه في وقت آخر؟"

قال پاول: "كما تحب."

لاحظت جيسيكا بفخر لباقة ابنها، ونضوجه الواثق بالنّفس.

التقط المصرفي إبريق مائه وأشار به نحو بيوط: "ليس بيننا من يتفوق على السّيد لينغار بيوط في ألفاظه المنمّقة، لا عجب إذا اعتقدنا أنه يطمح للانضمام لمرتبة أسر كبار النبلاء. هيّا يا سيد بيوط، ألقي علينا نَخباً، وربّما في جعبتك جوهرة حكمة تنفع بها الفتى الذي يجب أن يُعامل كرجل".

تكّورت أصابع جيسيكا في قبضةٍ تحت المائدة، ورأت إشارة يدٍ سريةٍ من هاليك لآيداهو، وتحّرك الحرس المنزلي الواقف على امتداد جدران القاعة لمواقع التّأمين الطارئ.

رمى بيوط بنظرةٍ مسمومةٍ نحو المصرفي.

ورمى پاول بنظرة نحو هاليك، وانتبه للمواقع الدّفاعية التي اتخذها الحرس التّابعون له، ثم صوّب عينيه نحو المصرفي حتى خفض الرّجل إبريق الماء. وقال: "في كالادان رأيت جثّة صيّاد تم إخراجها بعد غرقه، كان..."

"غرق؟"، كان المتكلم ابنة صانع بذلات التّقطير.

تردّد پاول للحظة ثم قال: "أجل، أن ينغمس في الماء إلى أن يموت، غرق".

تمتمت: "طريقة موتٍ غريبة!"

ابتسم پاول ابتسامة هزيلة، وعاد ليصب اهتمامه على المصرفي، "ما أثار اهتمامي في هذا الرّجل آثار الجروح على كتفيه، والتي تسببت فيها مخالب حذاء صيّاد آخر، فقد كان الصيّاد ضمن مجموعة تركّب قارباً - أي مركبة تستخدم للانتقال فوق سطح الماء – وغرق القارب بهم... أي غاص تحت الماء، صياد آخر كان يساعد في عملية إخراج الجثث قال إنه رأى هذه الجروح من قبلٍ، ومعناها أن أحد الصيادين الآخرين كان يحاول الوقوف على كتفي ذلك الرّجل المسكين آملاً في الوصول للسّطح... كي يتنفس".

قال المصرفي: "ولم أثارت اهتمامك؟"

"بسبب ملاحظةٍ قالها أبي في ذلك الوقت، قال إنه يمكن تفهم ما يفعله الرّجل الذي يغرق عندما يصعد فوق كتفيك محاولاً إنقاذ نفسه... لكن العكس عندما يحدث هذا في الصالونات بين الضيوف،" سكت پاول لحظة كي يستوعب المصرفي المغزى المقصود، ثم قال: "ويمكن أن أضيف أنا: وعندما تراه يحدث على موائد الطعام".

وغرقت القاعة في وجومٍ مفاجئ.

فكرت جيسيكا:

لاحظت آيداهو متوثبا ًلتصرف سريع، والحرس المنزلي متحفزين، بينما ركز جيرني هاليك بصره على الرجال المقابلين له.

"هو-هو-هووووه!" رمى المهرّب، تويك، رأسه للخلف يضحك بلا تحفظ.

وبدت بين الجالسين على المائدة بعض الابتسامات المضطربة.

أما ابتسامة بيوط فكانت واسعة.

أما المصرفي الذي دفع مقعده للوراء، فصوّب النّظر لپاول.

قال كاينز: "على من يستدرج فرداً من آل آتريديز أن يكون واعياً لعواقب فعله".

قال المصرفي في لهجة حادة: "وهل من عادة آل آتريديز إهانة ضيوفهم؟"

قبل أن يتمكن پاول من الإجابة مالت جيسيكا للأمام وقالت: "سيّدي!"
قالت: "ابني يعرض ثوباً على العموم فتأتي أنت وتدعي أنه مفصل على مقاسك؟ أمر عجيب". وانزلقت يدها نحو ساقها حيث وضعت الكريسْنايف مربوطة في غمدها.

استدار المصرفي ليواجه جيسيكا محدقاً فيها، فانصرف بصره عن پاول الذي عاد بظهره بعيداً عن المائدة ليحرر نفسه استعداداً لهجوم، إذ انتبه لكلمة السّر: . والتي تعني: .

وجّه كاينز نظرةً فاحصة نحو جيسيكا، ثم أعطى لتويك إشارةً غير ملحوظة.

وثب المهرّب واقفاً ورفع إبريقه: "سأعطيكم أنا نخباً، إلى پاول آتريديز الشاب، صبيٌ في مظهره، رجلٌ في أفعاله".

تساءلت جيسيكا:

حدّق المصرفي في كاينز، ورأت جيسيكا الرّعب يعود لوجه الوكيل المصرفي.

بدأ النّاس على امتداد المائدة يردّدون النّخب.

فكّرت جيسيكا:

.

أزالت يدها عن مقبض سكين الكريسْنايف، ورفعت إبريقها تحيةً لكاينز، الذي ردّ بالمثل.

فقط پاول والمصرفي (فكّرت جيسيكا: - !) هما من ظلّا فارغي اليد، كان انتباه المصرفي منصباً على كاينز، أما پاول فكان يحدق في طبقه.

فكّر پاول: استرق نظرةً نحو الضّيوف الذّكور الأقرب له. استعدّ للعنف؟ مِن مَن؟ بالتأكيد ليس من هذا المصرفي.

تململ هاليك في مكانه، وتكّلم كما لو أنه لا يوجه الكلام لشخص معين، بل للفراغ الذي فوق رؤوس الضّيوف الجالسين مقابله: "في مجتمعنا ليس من المحمودِ الاستعجال في الاستياء. ففي هذا انتحار"، ونظر لابنة صانع البذلات المجاورة له: "ألا توافقينني يا آنسة؟"

قالت: "أجل، بالطبعِ. هناك إفراطٌ في اللّجوء إلى العنف، أمر مثيرٌ للغثيان. وكثيراً ما تكون الإساءة غير مقصودة أصلاً، ومع ذلك يموت النّاس، لا معنى لكل هذا".

قال هاليك: "فعلاً لا معنى له".

نظرت جيسيكا للإتقان المبهر الذي أدت به الفتاة الدّور، وقالت لنفسها:
. ثم استوعبت طبيعة نمط التهديد، وفهمت أن هاليك أيضا قد استوعبه. كانت خطتهم في استمالة پاول عن طريق الجنس. زال توتر جيسيكا وارتخت أعصابها، فأغلب الظن إن ابنها كان أول من أدرك الخدعة، فتدريبه لم يغفل هذا النوع الواضح من المناورات.

وجه كاينز كلامه للمصرفي: "حان وقت الاعتذار الثاني إذن؟"

استدار المصرفي وواجه جيسيكا بابتسامة صفراء قائلاً: "سيدتي، أخشى إنني قد أسرفت في تناول نبيذكم، تقدمون مشروبات قوية على موائدكم، وأنا غير معتاد عليها".

سمعت جيسيكا السمِ الذي يبطن نبرته، وأجابت برقة: "عندما يلتقي الغرباء يجب ترك مساحة تسامح كبيرة مراعاةً للاختلاف في العادات والتعليم."

قال: "شكراً لكِ يا سيدتي".

مالت رفيقة صانع البذلات سوداء الشّعر نحو جيسيكا وقالت: "ذكر الدّوق ذكر أننا في أمان هنا، أرجو ألا يعني هذا المزيد من القتال".

فكرّت جيسيكا: .

قالت جيسيكا: "أغلب الظّن أن الأمر عديم الأهمية، لكن هذه الأيام هناك الكثير من التفاصيل التي تستدعي انتباه الدّوق الشّخصي، ويجب أن نظل حذرين طالما يستمر العداء بين آل آتريديز وآل هاركونِن. فالدّوق أقسم ثأر الكاتلي، وبهذا لن يسمح ببقاء أي عميل هاركونِي على قيد الحياة في آرّاكس".

ثم نظرت نحو وكيل بنك النّقابة: "والمواثيق المعتادة تؤيده في هذا بطبيعة الحال"، ودارت بانتباهها ناحية كاينز: "أليس هذا صحيحاً يا دكتور كاينز؟"

قال كاينز: "صحيح فعلاً".

سحب صانع البذلات رفيقته للوراء برفق، فنظرت له، ثم قالت: "أظن أنني سأتناول شيئاً الآن، أريد

القليل من طبق الطيور الذي قدمتموه في البداية".

أشارت جيسيكا لأحد الخدم وعادت بانتباهها للمصرفي: "وأنت يا سيد، كنت تتكلم عن الطيور وعاداتها، عدة موضوعات مثيرة على آرّاكس. أخبرني، أين يوجد السپايس؟ هل يتوغل المنقبون عنه في أعماق الصحراء؟"

قال: "أوه لا يا سيدتي، لا نعلم عن أعماق الصحراء البعيدة إلا القليل، ونكاد لا نعرف شيئا إطلاقا عن المناطق الجنوبية".

قال كاينز: "تقول الحكايات إن المناطق الجنوبية تحوي كمياتٍ هائلةٍ من السپايس، لكن أظنّها مجرد اختراع خيالي ألفوه لأغراض غنائية. أحياناً يتجرّأ بعض منقبي السپايس على الولوج إلى حافة الحزام الاستوائي الأوسط، لكنّه أمر شديد الخطورة، فالملاحة هناك بلا هدى، والعواصف متكررة، وترتفع نسبة الحوادث بصورة درامية كلما توغلت عمليات التنقيب بعيداً عن قواعد الجدار الجبلي، فالتقدم جنوباً لا يعد مربحا من الناحية الاقتصادية، أما لو كان عندنا أقماراً صناعية للطّقس..."

رفع بيوط بصره عن طعامه وتكلّم وفمه ممتلئ: "يقال إن الفريمن يزورون تلك المناطق، ويمكنهم الذهاب إلى أي مكان يريدون، وأنهم اكتشفوا نُقوع ورشوف، حتى في المناطق الجنوبية".

قالت جيسيكا: "نقوع ورشوف؟"

قال كاينز بسرعة: "مجرد إشاعات يا سيدتي، هذه الأشياء موجودة على الكواكب الأخرى، لا على آرّاكس، النقع هو مكان ينبع إليه الماء على السطح أو قريباً من السّطح بحيث يمكن الوصول إليه بالحفر، ويُعرف عن طريق علامات معينة، أمّا الرشف فهو نوع من النقع، يسحب الشّخص الماء منه باستخدام قشة... هذا ما يقال".

فكّرت جيسيكا: .

تساءل پاول:

قالت جيسيكا: "عجيب!"، وفكّرت: ، .

.

قال پاول: "سمعت أن عندكم مقولة: التّحضر يأتي من المدن، أما الحكمة فمن الصحراء".

قال كاينز: "كثيرة هي المقولات على آرّاكس".

وقبل أن تصيغ جيسيكا سؤالاً جديداً مالت نحوها إحدى الخادمات لتسلمها ورقة. فتحتها ورأت خط الدّوق وعلامات الشفرة، فقرأتها.

قالت: "سيسعدكم أن تعلموا أن دوقنا يطمئنكم، الأمر الذي استدعى حضوره تم حله بالفعل، عثروا على الحاملة المفقودة، اندس عميل هاركونِي في طاقمها وتغلب عليهم وطار بالحاملة لإحدى قواعد المهربين، آملا أن يبيعها هناك، لكن تمّت إعادة الرجل والمركبة لقواتنا"، وأومأت إلى تويك.

فردّ المهرب الإيماءة.

طوت جيسيكا الورقة ووضعتها في كمها.

قال المصرفي: "يسعدني أن الأمر لم يتطور إلى معركة، فالشعب يعلق آمال عظيمة على السلام والرخاء الذي سيجلبه آل آتريديز".

قال بيوط: "وخصوصاً الرّخاء".

قالت جيسيكا: "هل نتناول التحلية الآن؟ طلبت من الطاهي أن يعد لنا حلوى كالادانية: رز البونجي في صلصة الدولسا."

قال صانع البذلات: "تبدو لذيذة، هل لي بالوصفة؟"

قالت جيسيكا: "لك كل الوصفات التي ترغب فيها"، وسجّلت في ذهنها ملاحظة تخبر بها حواط لاحقاً. فصانع البذلات متسلق اجتماعي مرعوب ويمكن شراؤه.

واستمرت حولها الدّردشة: "نوع القماش جميل..."، "سيأمر بصنع طقم يليق بالجوهرة..."، "سنجرب زيادة الإنتاج في الربع المالي المقبل..."

حدّقت جيسيكا في طبقها مفكرةً في الجزء المشفر من رسالة ليتو: "

."

تفكرت جيسيكا في مسدّسات الليزر. يمكن لأشعتها البيضاء الساخنة أن تقطع أي مادة معروفة للإنسان، إلا المحاطة بدرع طاقة. ويبدو ان الهاركونِن لا تهمهم عواقب ارتداد الليزر عن الدرع وانفجار الاثنين معا. لماذا؟ الانفجارات الناتجة عن تلاقي الدروع بالليزر مزيج خطير صعب التوقع بعاقبته. فيمكن للانفجار أن يفوق الأسلحة الذرية، ويمكن أيضا أن يقتل حامل المسدس وهدفه المرتدي للدرع فقط. أكلها القلق من حجم العناصر المجهولة المحيطة بهم.

قال پاول: "لم يخالجني شكّ في أننا سنجد الحاملة الطّائرة، فعندما يهتم أبي بحلّ مشكلةٍ، فإنّه يحلها. والآن أدرك الهاركونِن هذه الحقيقة".

فكّرت جيسيكا: !

.

17

"لا مفرّ... دائماً ما ندفع ثمن العنف الذي ارتكبه أسلافنا".

من كتاب (أقوال المؤدّب المجمعة)، تأليف الأميرة إيرولان

سمعت جيسيكا صوت الاضطراب من الرّدهة فأضاءت المصباح المجاور لسريرها، لم تكن السّاعة مضبوطةً على الوقت المحلي، فاضطّرت لطرح 21 دقيقة لتحديد الزّمن الصّحيح... الثانية بعد منتصف اللّيل تقريباً.

كان الصّوت عالياً وكلماته غير مفهومة.

قامت من السّرير وفحصت شاشات المراقبة لترى موقع أفراد أسرتها في هذه اللّحظة، على الشّاشة بدا پاول نائماً في حجرة القبو العميقة تحت الأرض، والتي أعدوها له على عجلٍ وحوّلوها لحجرة نوم، من الواضح أنّ الضّوضاء لم تخترق الجدران وتصل لمكان نومه. أمّا حجرة الدّوق فلم يكن فيها أحد، وسريره مرتّب، لم يُمس! هل لا يزال في مقر القيادة بالسّاحة؟ لم يتم تركيب شاشات تطلّ على مدخل البيت.

وقفت جيسيكا وسط حجرتها، مصغيةً.

زعق أحد الأصوات بشكل غير مفهوم، سمعت شخصاً ينادي طالبا دكتور يُوي. التقطت جيسيكا رداءً ولبسته، وأدخلت قدميها في خُفّين، وربطت سكّين الكريسْنايف حول ساقها، ومن جديد سمعت صوتاً ينادي على دكتور يُوي.

ربطت جيسيكا حزام الرّداء حول وسطها وخرجت إلى الممرّ، ثم صدمتها خاطرة:

امتدّ الممرّ إلى ما لا نهاية تحت قدميها الرّاكضتين، مرّت بالباب المقوّس في طرف الممرّ وأسرعت عابرةً قاعة الطّعام، ثمّ هبطت إلى ردهة القصر الكبرى لتجد الأضواء تملأ المكان، والمصابيح الجدارية العاكسة للجاذبية مضاءةً بأقصى طاقتها. على يمينها، عند الباب الأمامي للقصر، رأت اثنين من الحرس المنزلي يمسكان دَنكِن آيداهو بينهما، وقد تدلّت رأسه للأمام.

خيّم على المشهد سكون مترقّب.

قال الحارس مخاطبا آيداهو بنبرة اتهام: "أرأيت؟ أيقظت اللّيدي جيسيكا".

انتفخت السّتائر الكبيرة خلف الرّجال، دلالةً على أن الباب الأمامي لا يزال مفتوحاً، لم ترَ أثراً للدّوق أو ليُوي! وفي الجانب، وقفت مايپس تحدّق في آيداهو ببرود، كانت ترتدي ثوباً طويلاً بنياً تزيّنه حواف ملتفّة كالحيّات، وغطّى قدماها حذاءً صحراوياً لم تُعقد رباطه.

غمغم آيداهو: "إذن أيقظتُ اللّيدي جيسيكا... ما المشكلة؟"، ورفع وجهه للسّقف وجأر: "أدميتُ سيفي لأول مرّة على كوكب جرومان!"

فكّرت جيسيكا: ! ! !

ارتسمت تكشيرةٌ على وجه آيداهو الأسمر المستدير، والتصق التّراب بشعره المجعّد كوبر عنزةٍ سوداء. سترته مشقوقةٌ، كاشفةً تحتها عن القميص الذي كان يرتديه في حفلة العشاء في بداية اللّيلة.

اقتربت جيسيكا منه.

أومأ لها أحد الحرس دون أن يفلت آيداهو: "لم نعرف كيف نتصرّف معه يا سيّدتي لقد أثار ضجةً في الخارج رافضاً الدّخول، وخشينا أن يأتي بعض السّكان المحليين ويشاهدونه، علينا أن نتجنب مثل هذه الأمور، حتى لا تسوء سمعتنا".

قالت جيسيكا: "أين كان؟"

"كان يرافق إحدى الشّابات ليوصلها لمنزلها بعد العشاء يا سيّدتي، أوامر حواط".

"أي شابّة بالضّبط؟"

"واحدة من العاملات في خدمة المرافقات، أتفهمين ما أقصد يا سيدتي؟"، ورمى بنظرةٍ نحو مايپس ثم أضاف بصوتٍ منخفضٍ: "دائماً ما يتم تكليف آيداهو بالمراقبة الخاصة للسّيدات".

ففكّرت جيسيكا: قطّبت جبينها والتفتت لمايپس: "مايپس، أحضري شراباً منبهاً. أفضّل الكافيين، ربّما تبقى شيء من قهوة السپايس".

هزّت مايپس كتفيها واتّجهت للمطبخ، خبط حذاؤها الصّحراوي غير المربوط برتابةٍ على الأرضية الحجرية.

أمال آيداهو رأسه المتأرجحة لينظر لجيسيكا بزاوية، وقال متلعثماً: "قتلتُ أكثر من ثلاثمئة رجلٍ من أجل الذّوق. أريد أن أعرف: لم أنا هنا؟ لا يمكن العيش تحتالأرض هنا. ولا يمكن العيش فوقالأرض هنا. أي مكان هذا؟ هاه؟"

انجذب انتباه جيسيكا لصوتٍ قادم من مدخل الرّدهة الجانبيّ. استدارت فرأت يُوي قادماً، وحقيبته الطبية تتأرجح في يده اليسرى. كان في ملابسه كاملة، ويبدو شاحباً، ومرهقاً، وبرز الوشم ماسي الشّكل بوضوح على جبهته.

صاح آيداهو: "الدوكتور الطيب! ما أنت يا دوك؟ رجل التجبيرة والكبسولة؟"، واستدار مترنحاً لينظر لجيسيكا: "أتصرف كأحمق، هه؟"

عقدت جيسكا حاجبيها والتزمت الصّمت:

قال آيداهو: "أسرفت في شرب بيرة السپايس"، وحاول شد قامته.

عادت مايپس وفي يدها كوباً يتصاعد منه البخار، ووقفت مترددةً خلف يُوي، نظرت لجيسيكا فهزت لها رأسها.

وضع يُوي حقيبة عدته على الأرض وأومأ لجيسيكا بتحية، وقال: "إنّها بيرة السپايس إذن؟"

قال آيداهو: "أفظظل مشروب تذوقته فحياتي هيهيهييه"، وحاول أن يعتدل في وضع انتباه: "أسال سيفي الدّم لأول مرة على جرومان! قتلت هاركن.. هاركون-.. قتلته من أجل الذّوق".

التفت يُوي ونظر للكوب في يد مايپس، "ما هذا؟"

قالت جيسيكا: "كافيين".

أخذ يُوي الكوب وقربه من آيداهو: "اشرب هذا يا فتى".

"لا هوريد شورب المزيد".

"قلت لك اشربه!"

تأرجحت رأس آيداهو ناحية يُوي، وتعثر خطوة للوراء، ساحباً الحارسين معه: "سئمتو من إرظاء هذا الكون الامبراطوري يا دوك. هذي المرة سنفعلها على طريقتي".

قال يُوي: "بعد أن تشرب هذا، إنه مجرد كافيين".

"غالباً سيكون كباقي شاشياء في هذا المكان! الشّمس حارقة أكثر م اللازم، كلشيء لونه مختلف، كلشي إما خطأ أو ..."

قال يوي: "على العموم الوقت الآن ليل"، وتكلم بنبرة متعقلة: "كن فتى طيباً واشرب هذا، ستشعر بتحسن".

"لا ريد، أشعر بتحسن!"

قالت جيسيكا: "هل نجادله اللّيل كله؟"

قال يُوي: "لا سبب يستدعي بقاؤك يا سيدتي، يمكنني تولي هذا الأمر".

هزّت جيسيكا رأسها، ثم خطت قريباً وصفعت آيداهو بقوة على خده.

تعثّر للخلف مع حارسيه، محملقاً فيها.

قالت: "أهذه تصرفاتك في بيت دوقك؟"، وسحبت الكوب من يد يُوي فاندلق بعضه، ثم دفعته تجاه آيداهو: "والآن اشرب هذا! هذه أوامري!"

اعتدل آيداهو ونظر لها عابساً، ثم تكلم ببطء، لافظا كل كلمة بوضوح ودقة: "لا أتلقى الأوامر من جاسوس هاركونِي لعين".

تجمّد يُوي، واستدار بسرعة ناظرا لجيسيكا.

شحب وجهها، لكنها كانت تومئ رأسها، فكل شيء قد اتضح الآن، شذرات المعاني المبتورة التي لاحظتها في كلمات وأفعال من حولها خلال الأيام القليلة الماضية أصبح لها تفسير الآن، شعرت بنفسها واقعة في قبضة غضب يكاد يفوق قدرتها على الاحتمال، واستحضرت تدريبات بني-جيزيرت لتهدئة نبضها، ولتعيد سلاسةً تنفسها، وحتى بعدها، ما زال بإمكانها الإحساس بشعلة الغضَب تتراقص داخلها.

رمت نظرةً نحو يُوي فخفض الطبيب عينيه.

قالت بنبرة آمرة: "كنت تعلم؟"

"سمعت... إشاعات يا سيدتي، لم أرغب في تحميلك المزيد من الهموم".

قالت بحدة: "حواط! أريد ظافر حواط أمامي في الحال!"

"لكن يا سيدتي..."

"في الحال!"

إنّه حواط بالتأكيد، لو أتى هذا الاتهام من أي مصدر آخر لصرفوه في الحال وما ألقوا له بالاً.

هزّ آيداهو رأسه وغمغم: "تجرعته بالكامل".

نظرت جيسيكا للكوب في يدها ثم قذفت محتوياته في وجه آيداهو. "احبسوه في إحدى حجرات الضّيوف بالجناح الشّرقي، ودعوه ينام حتى يفيق من هذه الحالة".

نظر لها الحارسان في ضيق، تجرأ أحدهما وقال: "ربما من الأفضل أن نأخذه لمكان آخر يا سيدتي، يمكن أن ن-..."

قالت جيسيكا بحدة: "مطلوب منه أن يكون هنا! عنده وظيفة يجب أن يؤديها هنا، " وأضافت بصوت يقطر مرارة: "فهو ماهرٌ في مراقبة السّيدات".

ازدرى الحارس ريقه.

قالت آمرة: "هل تعلم أين الدّوق الآن؟"

"في مقر القيادة يا سيّدتي".

"هل حواط معه؟"

"حواط بالمدينة يا سيّدتي".

قالت جيسيكا: "ستقوم بإحضار حواط أمامي في الحال، سأكون في حجرة الاستقبال الخاصة بي عندما يصل".

"لكن يا سيدتي..."

قالت: "سأتصل بالدّوق إذا لزم، أرجو ألا يكون هذا ضرورياً، لا أرغب في إزعاجه بهذا الأمر".

"حاضر يا سيدتي".

دفعت جيسيكا بالكوب الفارغ إلى يد مايپس، فرأت النّظرة المتسائلة في العينين تامتي الزرقة: "يمكنك العودة لسريرك يا مايپس".

"متأكدة أنك لن تحتاجينني؟"

ابتسمت جيسيكا ابتسامة حزينة: "متأكّدة".

قال يوي: "ربما يمكن تأجيل الموضوع للغد، يمكن أن أعطيكِ منوماً و ..."

قالت: "بل ستعود لحجرتك وتدعني أتعامل مع هذا الأمر بطريقتي"، وربّتت على ذراعه كي تمتصّ الحدّة من نبرتها الآمرة: "هذه هي الطريقة الوحيدة".

استدارت برأسٍ مرفوعةٍ، وسارت بشموخٍ عبر البيت حتى وصلت لحجراتها، جدرانٌ باردة... ممراتٌ... بابٌ مألوف، دفعت الباب بقوةٍ فانفتح، أسرعت داخلة، ثم أغلقته خلفها بعنف. وقفت جيسيكا تحدّق في نوافذ حجرة الاستقبال المغطاة بمجال الطّاقة الدّرعي. !

. ...

اقتربت جيسيكا من المقعد الكبير، قديم الطّراز، ذي الغطاء المطّرز من جلد الشلاغ، ونقلته لموضع جديد بحيث يواجه الباب مباشرةً، تذكّرت الكريسْنايف المربوطة حول ساقها، حلّت رباط الغمد وأعادت ربطه حول ذراعها، ثم اختبرت عملية إسقاط النّصل منه.

ومرةً أخرى أدارت نظرها في الحجرة، مسجّلة كل شيء في ذاكرتها تحسباً لأيّ طارئ: الكنبة الطّويلة في الرّكن، المقاعد مستقيمة الظّهر المصطفة بامتداد الجدار، المنضدتان المنخفضتان، آلة القانون الموسيقيّة الواقفة جوار الباب المؤدّي لحجرة نومها.

انبعث من المصابيح المضادة للجاذبية ضوءٌ باهتٌ ورديّ اللّون، خفضت شدته وجلست في المقعد الكبير، وأخذت تربّت على التّنجيد، راضية عن الفخامة التي يضفيها هذا المقعد على الموقف.

.

وجهزت نفسها على طريقة بني-جيزيرِت المعتادة عند الانتظار... مراكمة الصّبر... موفرة قوتها.

صدرت من الباب دقّة في زمن أبكر مما كانت تتوقعه، ودلف حواط للحجرة بعد إذنها له، راقبته من مقعدها دون حركة، فرأت ما في حركاته من جيشان ناتج عن تعاطيه لأدوية الطّاقة، ورأت ما يختفي تحت هذا من إرهاق، برقت عينا حواط الرّطبتان العجوزتان، وبدت بشرته المتجلدة باهتة الصّفار في ضوء الحجرة، وعلى كُم الذّراع التي يستخدم بها سكّينه بدت بقعةٌ واسعةٌ ومبللةٌ.

شمّت منها رائحة الدّم.

أشارت جيسيكا لأحد المقاعد مستقيمة الظّهر وقالت: "أحضر هذا المقعد واجلس أمامي".

انحنى حواط وأطاعها.

فكّر حواط: ! تأمّل وجه جيسيكا متسائلاً عن طريقة إنقاذ هذا الموقف.

قالت جيسيكا: "لقد تأخرنا كثيراً في تصفية الأجواء".

"ما الذي يشغل بال سيدتي؟" وجلس واضعاً يديه على ركبتيه.

قالت بنبرة قاطعة: "لا تلعب دور المغفّل معي! إن لم يكن يُوي قد أبلغك بسبب استدعائي لك فبالتأكيد أحد جواسيسك المزروعين بين خدمي قد فعل، فلنكن صرحاء مع بعضنا في هذه اللّحظة على الأقل".

"كما تريدين سيدتي".

قالت: "أولاً ستجيبني على سؤال واحد، هل أنت عميل للهاركونِن؟"

كاد حواط يثب من مقعده، ووجهه مسودٌ من أثر الغضب الشّديد، قال: "أتجرؤين على إهانتي هكذا؟"

قالت: "اجلس، فقد أهنتني قبلها".

غاص في المقعد.

أمّا جيسيكا فقرأت العلامات الظاهرة على هذا الوجه الذي تعرفه جيداً، ثم تنفست الصّعداء.

.

قالت: "الآن تأكّدت أنك على ولائك السّابق لدوقي الحبيب، ولهذا فأنا مستعدة لأن أصفح عن إهانتك لي".

"وهل هناك ما يستحق الصّفح؟"

عبست جيسيكا وسألت نفسها:

. . .

قالت: "هذه مسألة يمكننا حلها باستخدام كاهنة كاشفة للكذب، لكن للأسف ليس معنا كاهنة مرخصة من الهيئة العليا".

"فعلاً كما قلتِ، ليس في متناول يدنا كاهنة كشف الأكاذيب".

سألت: "هل هناك خائن بيننا؟ لقد درستُ رجالنا بدقة، ترى من يمكن أن يكون؟ ليس جيرني. وبالطبع ليس دَنكِن، والضباط التابعون لهما ليسوا في مناصب استراتيجية تستحق اعتبارهم خطراً، ولست أنت الخائن أيضاً يا ظافر، ولا يمكن أن يكون پاول، وأعلم جيداً أنه ليس أنا، إذن هل هو دكتور يُوي؟ هل أستدعيه الآن وأختبر صدقه؟"

قال حواط: "تعلمين أنها حركة بلا معنى، فهو مبرمج عقلياً في الكلية الطبية العليا، وهذا أمرٌ متأكد منه تمام التأكد".

قالت جيسيكا: "ولا ننسى أن زوجته كانت بني-جيزيرِت قتلها آل هاركونِن".

قال حواط: "هذا إذن ما حدث لها؟"

"ألم تسمع نبرة الكره في صوته عندما ينطق اسم الهاركونِن؟"

قال حواط: "تعلمين أن أذني لا تلتقط هذه الأمور".

قالت: "ما الذي أثار هذه الشكوك الدّنيئة حولي؟"

قطب حواط جبينه: "سيدتي تضع خادمها في موقف محرج، فولائي أولاً للدّوق".

قالت: "وبسبب هذا الولاء أنا مستعدة للصّفح عن الكثير".

"ومن جديد أسأل: وهل هناك ما يستحق الصفح؟"

سألت: "تعادُل إذن؟"

هزّ كتفيه.

قالت: "إذن دعنا نناقش أمراً آخر. دَنكِن آيداهو، المقاتل المثير للإعجاب، من يقدّر الجميع قدراته في مجال الحراسة والمراقبة، أسرف اللّيلة في شرب شيء يدعى بيرة السپايس، ووردتني تقارير تقول إن آخرين من رجالنا مولعون بهذا الشراب المسكر، هل هذا صحيح؟"

"تلك تقاريرك يا سيدتي".

"نعم، ألا ترى أن هذا الشرب هو عَرَض لمرضٍ يا ظافر؟"

"سيدتي تتكلم بالألغاز".

قالت في حدة: "استعمل قدراتك كمِنتات لفهم الأمر! ما المشكلة التي يعاني منها دَنكِن والآخرون؟ يمكنني أن أخبرك في ثلاث كلمات، إنهم بلا وطن".

صوب إصبعاً للأرض وقال: "آرِّاكس، هذا هو وطنهم".

"آرِّاكس عنصر مجهول بالنسبة لهم! كالادان كان موطنهم، لكننا اقتلعناهم منه، إنهم بلا وطن، ويخشون أن الدّوق سينهزم ويخذلهم".

امتعض وقال: "لو صدر مثل هذا الكلام من أحد الرجال لكان عقاب-..."

"كفاية يا ظافر! هل تعتبرها انهزامية أو خيانة إن قام طبيب بتشخيص المرض بصورة صحيحة؟ هدفي الوحيد هو علاج المرض".

"الدّوق أوكل هذه الأمور لي".

قالت: "لكنك تفهم اهتمامي بتطور هذا المرض، وربما توافقني على تمتعي بقدرات تصلح لمثل هذه الأمور".

.

قال حواط: "يكمن تفسير اهتمامك بعدة طرق"، وهزّ كتفيه.

"إذن فقد أصدرت حكمك ضدي؟"

"بالطبع لا يا سيدتي، لكن لا يمكنني المجازفة، خصوصاً وأن الموقف متأزّم كما تعلمين".

قالت: "لقد فاتك الانتباه لشيء عرّض حياة ابني للتّهديد في هذا البيت... مَن جازف بذلك؟"

اسودّ وجهه: "لقد عرضت استقالتي على الدّوق".

"وهل عرضت استقالتك عليّ... أو على پاول؟"

والآن بدا غضبه واضحاً، يظهر في تسارع أنفاسه، وانتفاخ فتحتي الأنف، ونظراته الثّابتة، ولقد رأت نبضاً في جبينه.

قال بكلمات مقتضبة: "أنا رجل الدّوق المخلص".

قالت: "لا يوجد خائن، يكمن التهديد في شيءٍ آخر، ربما هو أمرٌ متعلّق بأسلحة اللّيزر، ربما سيخاطرون بتهريب بعض مسدسات الليزر سراً ومعها آليات توقيت مصوبة إلى دروع الطاقة المنزلية. ربما سي-..."

قال: "وبعد الانفجار من سيقول إنه كان انفجاراً ذرياً أو شيء آخر؟ لا يا سيدتي، لن يخاطروا بخرق القانون، فالإشعاع يستمر أثره، ويصعب محو الدّليل، كلا! سيحافظون على أغلب الأعراف القانونية، هو خائن بلا شكّ".

قالت بتهكّم: "أنت رجل الدّوق المخلص، هل ستتسبب في تدميره وأنت تحاول إنقاذه؟"

أخذ نفسا عميقاً: "إذا اتضح أنك بريئة سأقدم لك اعتذاري في خضوع تام".

قالت: "انظر لنفسك يا ظافر، يعيش النّاس في أفضل حال حينما يعرف كل منهم مكانته المناسبة، عندما يعرف موقعه في المنظومة، عندما تدمّر الموقع تدمّر الشّخص، أنت وأنا يا ظافر - من بين جميع محبي الدّوق - كلانا في المكان الأمثل لتدمير الآخر، ألا أقدر مثلاً أن أهمس بشكوك حولك في أذن الدّوق ليلاً؟ عندما تكون مقاومته لهذه الهمسات في أضعف حالاتها يا ظافر؟ هل يجب أن أوضح لك ما أقصد بالتّفصيل؟"

زمجر: "هل تهددينني؟"

"بالطبع لا، بل أوضح لك إن هناك من يشن هجوماً علينا باستغلال التّرتيب الأساسي لحياتنا، إنّه هجومٌ ماهر... شيطاني. ما أقترحه هو إبطال مفعول هذا الهجوم عن طريق إعادة ترتيب حياتنا بحيث لا ندع فيها شقاً ينفذ منه هذا النصل".

"تتهمينني بأني أهمس بشكوك لا أساس لها من الصحة؟"

"نعم... لا أساس لها".

"وهل ستردين عليها بهمساتك الخاصة المضادة؟"

"حياتك أنت المغموسة في الهمس والمكائد يا ظافر، لا حياتي".

"إذن تشككين في قدراتي؟"

تنهدت، "ظافر، أريد منك أن تفحص تأثير عاطفتك على ما يحدث، الإنسان الطّبيعي حيوان بلا منطق، ما تعاملك بالمنطق مع كل الأمور سوى صفة غير طبيعية، لكن مسموح لها بالبقاء لأنها مفيدة. كمِنتات، أنت التّجسيد الحقيقي للمنطق، لكن الحلول التي تصل إليها تسقطها خارج كينونتك... حيث يمكن فحصها وتدويرها والتدقيق فيها من جميع الجوانب".

قال دون أن يحاول إخفاء الازدراء في صوته: "أتعلميننني مهنتي؟"

قالت: "يمكن رؤية كل ما هو موجود خارج ذاتك وتطبيق منطقك عليه. لكن كبشر، عندما نواجه معضلاتٍ شخصّية - تلك الأمور الشّخصية العميقة التي يصعب جداً إخراجها من ذاتنا وفحصها بالمنطق - فإننا نتخبّط، ونلوم كل الأشياء، باستثناء الشّيء الحقيقي العميق الذي يأكلنا من الدّاخل".

قال منزعجاً: "تتعمدين هزّ ثقتي في قدراتي كمِنتات، لو رأيت أحد رجالنا يحاول هذا ويسعى لتخريب أحد أسلحة ترسانتنا لما تردّدت في اتهامه والقضاء عليه".

قالت: "المِنتات البارع يراعي هامش الخطأ في حساباته".

"لم أنكر هذا أبدا!"

"إذن شغّل عقلك لدراسة هذه الأعراض التي رأيناها: حالة سكرٍ بين الرّجال، شجارات، يتناقلون الإشاعات والمبالغات عن آرّاكس، يتجاهلون أبسط قواع..."

قال: "سأم وبطالة لا غير، لا تحاولي تشتيت انتباهي بجعل شيءٍ بسيط يبدو غامضاً".

حدّقت فيه، تتفكّر في جنود الدّوق في ثكناتهم يدعكون أسفهم وأحزانهم ببعضها البعض حتى تتصاعد رائحة الشحنة الكهربية في المكان، كعازل سلك محترق. إنهم مثل رجال الأسطورة ما قبل عصر نقابة الفضاء، رجال السّفينة الضائعة الباحثة عن النجوم، أمبوليروز. قابضين على أسلحتهم دوما، في سأم، يبحثون هائمين، دائما جاهزين ودائماً غير مستعدين.

قالت: "لماذا لم تستغل قدراتي بشكل تام في خدمتك للدّوق؟ هل تخشى أن أصبح منافسة لك على منصبك؟"

نظر لها بعينين تشتعلان: "عندي علمٌ ببعض الأشياء التي تم تدريبكم عليها يا بني-جيزيرِت، أيتها ال-..." ثم قطع كلامه مكشراً.

قالت: "قلها، هيّا... السّاحرات."

قال: "عندي علمٌ بالتدريب الحقيقي الذي يقدّم لكُنّ، رأيت أثره ظاهراً في پاول، لم أنخدع بما تقوله مدرستكن للعامة: أن وجودكن غرضه الخدمة فقط".

فكرت: .

قالت: "أنت تصغي لي باحترام خلال الاجتماعات، لكن نادراً ما تأخذ بنصيحتي. لماذا؟"

قال: "لأني لا أثق في دوافعك كبني-جيزيرِت، فقد تظنين أن باستطاعتك سبر غور الناس، أو إرغام الشّخص على فعل ما تأمرين ب-..."

قالت في غضب: "ظافر، أيها المسكين الأحمق!"

عبس، دافعاً نفسه للوراء في المقعد.

قالت: "مهما كانت الإشاعات التي سمعتها عن مدرستي فإن الحقيقة أكبر منها بكثير، لو كنت أرغب في تدمير الدّوق، أو تدميرك، أو أي شخص آخر في متناول يدي، لما استطعتَ منعي".

.

.

أدخل حواط يده خلسة تحت ردائه حيث كان يحتفظ بقاذف صغير للسّهام المسمومة.

. ...

.

رأت جيسيكا حركة يده المقتربة من جيبه، وقالت: "دعنا نأمل ألّا يصبح العنف ضروريا أبداً بيننا".

وافقها قائلاً: "دعاء في محله".

قالت: "وفي هذه الأثناء فإن المرض مستمرٌ في الانتشار بيننا، ولهذا يجب أن أسألك مجدداً: أليس من الأرجح أن الهاركونِن زرعوا هذا الشّك كي يجعلوا كلا منا عدواً للآخر؟"

قال: "يبدو أنّنا عدنا لحالة التّعادل".

تنهّدت: .

قالت: "أنا والدّوق نعتبر والدين روحيين لشعبنا. المركز الذ..."

قال حواط: "لكنه لم يتزوجك".

أجبرت نفسها على الهدوء: .

قالت: "لكنّه يرفض الزّواج بأخرى، ولن يتزوج طالما أنا على قيد الحياة، وكما قلت فإننا والدان روحيان لرجالنا، تفتيت هذا النظام الطبيعي لحياتنا... تشويشنا وتمزيقنا وتشتيتنا... أي الأهداف يا ترى يغري الهاركونِن؟"

فهم مقصدها، وعقد حاجبيه.

سألت: "الدّوق؟ هدفٌ مغرٍ فعلاً، لكن حجم الحماية المفروضة عليه لا يفوقها سوى حجم الحماية على پاول. أنا؟ بالتأكيد أنا هدف مغرٍ، لكنهم يعلمون أنّ واحدة من بني-جيزيرِت لن تكون هدفاً سهلاً، بل هناك هدف أفضل، شخصٌ تخلقُ له مهامه نقطة عمياء رهيبة، شخص يَعتبر الشّك عادة طبيعية له كالتنفس. شخص يبني حياته كلها على تقصي الغمزات والألغاز".

ورفعت يدها اليمنى نحوه وقالت: "أنت!"

بدأ حواط يثب من مقعده، فقالت بقوة: "لـم أسـمـح لـك بالانـصـراف يـا ظـافر!"

كاد المِنتات المسن يخرّ جالساً، خانته عضلاته بسرعة البرق.

ابتسمت ابتسامة خالية من المرح، قالت: "والآن وعيت لطبيعة تدريبنا".

حاول حواط أن يبتلع ريقه في حلقه الجاف، أمرها له كان بنبرة ملكية، واجب النفاذ، نبرة عجز عن مقاومتها، أطاعها جسده قبل أن يستطيع التفكير في الأمر، ما كان يمكن لشيء أن يعيق استجابته... لا المنطق ولا سَورة الغضب، لا شيء إطلاقاً، نجاح نبرتها يشير إلى معرفة شاملة ودقيقة عن الشّخص المأمور، قدرة عميقة على السّيطرة، لم يتخيل وجودها.

قالت: "أخبرتك من قبل أن علينا التّفاهم، ما قصدته أن عليك أن تفهمني، فأنا أفهمك بالفعل، وها أنا أخبرك أن وفاءك للدّوق هو الشيء الوحيد الذي يضمن سلامتك مني".

حدّق فيها، ورطّب شفتيه بلسانه.

قالت: "لو كنتُ أرغب في دمية لتزوجني الدّوق، ولربّما ظنّ ساعتها أنّه يفعل هذا بمحض إرادته".

نكس حواط رأسه ونظر لها عبر رموشه الخفيفة، لا يمنعه من استدعاء الحارس الآن سوى التّحكم القاسي. التّحكم، وخوفه من أن هذه المرأة لن تسمح له، اقشعر جسده عندما تذكر كيف تحكمّت فيه، في لحظة التّردد تلك كان بمقدورها أن تسحب سلاحاً وتقتله!

تساءل بعجب:

أذهلته الفكرة!ـ

قالت: "ما رأيته لمحة خاطفة للقبضة التي يغطيها قفاز بني-جيزيرت، قليلٌ من يشهدها ويبقى حيّا، ما رأيته أمر هيّن، لم تر بعد ترسانة أسلحتي الكاملة، فكّر في هذا جيداً".

قال: "ولماذا لم تنشغلي بتدمير خصوم الدّوق؟"

قالت: "وماذا تريد مني أن أدمّر؟ هل تريدني أن أجعل دوقنا ضعيف الشّخصيّة، معتمداً عليّ للأبد؟"

"لكن بقوّة كهذه ي-..."

قالت: "القوّة سلاحٌ ذو حدّين يا ظافر، حتماً أنت تفكّر الآن: ما أسهل عليها أن تحوّل شخصاً إلى سلاحٍ وتوجّهه ليصيب الخصم في مقتل، وهذا صحيح يا ظافر ... يمكن أن أصيبهم في مقتل. لكن ما الذي سأحققه؟ لو قمنا نحن بني جيزيرت بهذه الأفعال ألن يؤدي هذا الأمر لإثارة الشّكوك حولنا؟ لا نريد هذا يا ظافر، لا نرغب في تدمير أنفسنا".

أنهت حديثها بإيماءة: "إنّنا فعلا نعيش لنخدم".

قال: "لا يمكن أن أجيبك، تعلمين أنني أعجز عن إجابتك".

قالت: "لن تتفّوه بكلمةٍ عمّا حدث هنا لأيّ شخصٍ، فأنا أفهمك يا ظافر".

"سيّدتي..."، وحاول العجوز أن يرطّب حلقه الجافّ ثانيةً.

وفكّر: ... .

قالت: "قد يهلك الدّوق على يد أصدقائه بنفس السّرعة التي قد يهلك بها على يد أعدائه، وأتمنّى أن تتخلّص من شكوكك، وتخلّصنا منها ".

قال: "إن اتّضح ألّا أساس لها".

كرّرت في تهكّم: "إن!".

قال: "إن".

قالت: "إنّك عنيدٌ فعلاً".

قال: "بل حذرٌ، وأراعي احتمال وجود هامش الخطأ".

"إذن سأطرح عليك سؤالاً آخر. عندما تقف أمام شخصٍ وأنت مقيدٌ ومعدومُ الحيلة، وهو يمسك سكيناً عند حلقك، إلّا أنّه يمتنع عن قتلك، ثم يحررك من قيودك ويعطيك السّكين لتستعملها كما تريد... كيف تفسر هذا؟"

رفعت نفسها من المقعد وأدارت له ظهرها: "يمكنك أن تنصرف الآن يا ظافر".

نهض المِنتات العجوز... تردّد، وزحفت يده مقتربةً من السّلاح تحت ردائه، تذكّر حلبة مصارعة الثيران، ووالد الدّوق (الذي كان يتمتّع بالشّجاعة، مهما كانت مساوئه الأخرى) في ذاك اليوم البعيد من أيام الحلبة: وقف الحيوان الأسود الهائج، رأسه منحنية، ساكناً ومشوشاً، كان الدّوق الكبير مديراً ظهره للقرنين، قاذفاً الرّداء بأناقةٍ على ذراعه، بينما تمطره الهتافات من المدرّجات.

.

سحب يده عن السّلاح ونظر للعرق الذي يلمع في راحته الخالية.

وعرف أنّه مهما اتّضحت الحقائق، فإنه في النّهاية لن ينسى هذه اللّحظة، ولن يفقد إحساسه بالإعجاب الفائق تجاه اللّيدي جيسيكا.

استدار ظافر بهدوءٍ مجرجراً خلفه خيباته وشكوكه، ثمّ غادر الحجرة.

خفضت جيسيكا بصرها عن الانعكاس في النّوافذ، واستدارت محدِّقة في الباب المغلق.

وهمست: "الآن سنرى جدّية في العمل".

18

"هل تتصارع مع الأحلام؟

هل تتعارك مع الظّلال؟

هل تسير وكأنّك نائم؟

انقضى العُمر وضاع

سُرقت منك حياتك.

تلكَّأت منشغلاً بالتّفاهات..

فأصبحتَ ضحية لطيشك!"

مرثية لـ جامِس، قيلت على السهل الجنائزي.

من كتاب (أغاني المؤدّب)، تأليف الأميرة إيرولان

وقف ليتو في بهو بيته يدقّق في ورقة على ضوء مصباح وحيدٍ من المصابيح العاكسة للجاذبية، ساعاتٍ متبقيةٍ قبل بزوغ الفجر، وأحسّ بالإرهاق يحلّ عليهِ، قبلها بلحظات أتى مبعوث من الفريمن بهذه الورقة وسلّمها للحرس الخارجي، في نفس الوقت الذي كان الدّوق قادماً فيه من مقر قيادته.

نصّ الورقة يقول: "عمود دخانٍ نهاراً، وعمود نارٍ ليلاً".

لم تحمل الورقة توقيعاً.

تساءل متعجباً:

رحل المبعوث دون انتظار إجابة، وقبل أن يتمكن من استجوابه، ذاب في اللّيل كما لو كان ظلاً من الدّخان.

دفع ليتو بالورقة في جيب ردائه، ناوياً أن يريها لحواط فيما بعد، أزاح خصلة شعرٍ من على جبينه، وأطلق تنهيدة. بدأ مفعول الحبّات المعالجة للإرهاق يتبخر، فقد مرّ يومان طويلان منذ وليمة العشاء، ومرّ أكثر من يومين منذ آخر مرة ذاق فيها النوم.

وبالإضافة إلى كلّ المشاكل العسكرية كانت هناك تلك الجلسة المقلقة التي أمضاها مع حواط، حيث قدّم له تقريره عن لقائه بجيسيكا.

!

هزّ رأسه. . .

.

شعر بتحسٍّن لمجرد اتخاذه القرار، فأسرع من البهو وعبر الرّدهة الكبرى إلى الممرّات المؤدّية للأجنحة الأسرية.

عندما وصل للمكان الذي يتشعّب فيه الممر ويؤدي لمنطقة الخدم، توقّف! وهناك سمع صوت أنينٍ غريبٍ آتٍ من مكان داخل ممر الخدم. وضع يسراه بقرب زرّ حزام درع الطّاقة والتقط خنجره بيمناه، منحهُ النّصل إحساساً بالثّقة، فذاك الصّوت الغريب قد أصابه برعدةٍ جليّة.

انساب الدّوق في ممر الخدم، لاعناً الإضاءة غير الكافية، كان المكان مضاءاً بمصابيح صغيرةٍ عاكسةٍ للجاذبية تبعد كلّ واحدةٍ عن الأخرى قرابة الثمّانية أمتار، ومضبوطةً على أقل درجات الإضاءة، حيث امتصّ الضّوء سواد الجدران الصّخرية.

ظهرت في وسط الظّلمة كومةٌ باهتة اللّون تفترش الأرض.

تردّد ليتو وكاد يشغّل درعه، لكنّه امتنع، حتى لا يعيق الدّرع حركته وسمعه، ولأن شحنة مسدّسات الليزر التي عثروا عليها أثارت المخاوف في نفسه.

سار بصمتٍ مقترباً من الكومة الرمادية، وأدرك أنّها جسدٌ بشريٌ، رجلٌ مستلقٍ على وجهه. قلبه ليتو بقدمه، شاهراً خنجره في يده، ثم انحنى مقترباً منه في الضّوء الخافت ليتبيّن وجهه. إنّه المهرّب، تويك!، وعلى صدره بقعةٌ رطبةٌ. حدّقت العينان الميتتان نحو الفراغ، لمس ليتو البقعة، إنّها دافئة.

!

ارتفع الأنين هنا صادراً من ممرٍّ جانبي يؤدّي للحجرة المركزيّة حيث تقبع مولدات دروع الطّاقة الرئيسية للبيت.

بيد على زر الحزام والأخرى متحفزة بالخنجر دار الدّوق حول الجثّة وتقدّم في الممر، أطلّ من زاويته لينظر لحجرة مولدات الدّروع.

على بعد خطوات تمددت على الأرض كومة رمادية أخرى، إنّها مصدر الأنين! زحف الجسد نحوه ببطء مؤلم... لاهثاً، مغمغماً.

سيطر ليتو على انقباضة الخوف المفاجئة وهرع ليركع جوار الجسد الزاحف. كانت مايبس، مديرة المنزل الفريمنية، شعرها مبعثرٌ حول وجهها، وملابسها مبهدلة! لمعت بقعة سوداء داكنة ممتدة من ظهرها إلى جانبها. لمس كتفها فرفعت نفسها على مرفقيها، ورأسها ملقاة للخلف لتنظر له، كانت عيناها فراغ أسود ومظلم.

شهقت قائلة: "أنت... قتل... حارس... أرسلت... استدعاء... تويك... الهرب... سيدتي... أنت... أنت... هنا... لا." ثم انهارت للأمام، وارتطمت رأسها بصوت مكتوم على الأرض الحجرية.

تحسّس ليتو صدغها باحثاً عن نبضٍ، فلم يجده، نظر نحو البقعة، شخص طعنها في الظّهر، من؟! تسارعت الأفكار في ذهنه. هل كانت تعني أن شخصاً قتل أحد الحرس؟ وتُويك... هل أرسلت جيسيكا تستدعيه؟ لماذا؟

على وشك النّهوض، نبّهته حاسته السادسة. أسرعت يده لتضغط على زرّ درع الطّاقة... لكن بعد فوات الأوان. ضربةٌ أصابت ذراعه بخدرٍ، ورأى سهماً صغيراً منغرساً في كم ردائه، وشعر بالشّلل ينتشر من هذا الموضع إلى باقي ذراعه، تصارع مع جسده ليرفع رأسه وينظر لنهاية الممر.

وقف يُوي عند الباب المفتوح لحجرة المولدات، انعكس على وجهه ضوءٌ أصفر يخرج من مصباح منفردٍ لامعٍ معلقاً فوق الباب.

من خلفه حلّ السكون على الحجرة، لا صوت يصدر عن المولدات.

! ! !

اقترب يُوي منه، وهو يضب قاذف السهام في جيبه. أدرك ليتو أنه لا يزال قادراً على الكلام، فقال لاهثاً: "يُوي! كيف؟" ثم وصل الشلل لساقيه فانزلق إلى الأرض مسنداً ظهره إلى الجدار الصخري. علت وجه يُوي تعابير حزنٍ وركع منحنياً ليمس جبهة ليتو. أحسّ الدّوق باللمسة، لكنّه كان إحساساً بعيداً... ضعيفاً.

قال يُوي: "المادة التي يحملها السّهم انتقائية التأثير. يمكنك الكلام، لكن لا أنصح بذلك"، ألقى نظرة على الرّدهة ثم عاد وانحنى على الدّوق، ونزع السّهم الصغير ورماه جانباً، صلصل السّهم على أحجار الأرضية خافتاً وبعيداً في أذني الدّوق.

فكّر ليتو: . همس ليتو: "كيف؟"

"آسف يا دوقي العزيز، لكن هناك أولويات أخرى غير هذا"، ولمس الوشم ذو الشّكل الماسي الموجود على جبهته، "حتى أنا أشعر بغرابة الأمر... وتجاوزاً على الجزء الضّميري النّاريّ، إنّها رغبتي في قتل شخص ما، أجل، أرغب في قتله ولن يعيقني أي شيء لفعل هذا".

التقت عيناه بعيني الدّوق: "أوه، لست أنت المقصود يا دوقي العزيز، بل البارون هاركونِن، أرغب في قتل البارون".

"بار..ون.. هار..."

"أرجوك أن تصمت يا دوقي المسكين، فوقتك قصير، ذلك الضرس الذي زرعته في فمك بعد سقطتك في ناركال، يجب أن أضع مكانه ضرساً آخر. بعد لحظات ستغيب عن الوعي وسأستبدل الضّرس".

فتح يده وحدّق في شيءٍ فيها: "نسخةٌ مطابقةٌ للأصل تماماً، ولُبها الداخلي مصمم بعناية كي يبدو وكأنه عصب، لن تلتقطه آلات الكشف المعتادة، حتى لو قاموا بعملية مسح سريعةٍ، لكن إن ضغطت بفكك بقوة فسينفلق الغلاف، وعندما تنفخ من فمك بسرعة ستملأ الهواء حوَلك بغاز سام... فتّاك".

حدّق ليتو في يُوي، في الجنون المسيطر على عينيّ الرّجل... العرق الممتد على الحاجب والذّقن.

قال يُوي: "كنتَ هالكاً على أية حالٍ يا دوقي المسكين، لكنك ستستطيع الاقتراب من البارون قبل موتك، سيعتقد أن المخدر يمنعك من مهاجمته أثناء احتضارك. وستكون فعلا مخدراً - ومقيداً. لكن الهجمات قد تأتي في أشكال غريبة، وعندها ستتذكر الضّرس. الضّرس يا دوق ليتو آتريديز، ستتذكر هذا الضرس".

انحنى الطبيب المسن مقترباً أكثر وأكثر حتى طغى وجهه وشاربه المتدلي على مجال رؤية ليتو.

تمتم يُوي: "الضّرس".

همس ليتو: "لماذا؟"

اتّكأ يُوي على ركبته جوار الدّوق: "لقد عقدتُ صفقة شيطان مع البارون، ويجب أن أتأكّد من أنّه التزم بالجزء الخاص به. عندما أراه سأتأكد، عندما يقع بصري عليه سأعرف، لكن لن أتمكن من الوقوف في حضرته إلا بعد تقديمي الثّمن، وأنت الثّمن يا أيّها الدّوق المسكين، وسأتأكد عندما أراه. فحبيبتي المسكينة وانا علمتني الكثير من الأشياء، وأحدها هو أن أتعرف على الحقيقة تحت الضّغط العصبيّ الشّديد. لا أنجح دائماً، لكن عندما أنظر للبارون سأتأكد".

حاول ليتو أن ينظر للضّرس في يد يُوي. شعر بأن ما يحدث مجرّد كابوس... لا يمكن أن يكون واقعاً.

تحركت شفتا يُوي الأرجوانية في تكشيرةٍ عابسةٍ: "لن يسمحوا لي بالاقتراب من البارون، وإلا لكنت قمت بهذا بنفسي، بل سيحتجزونني على مسافة آمنة. أما أنت... آه، أنت يا سلاحي الحبيب! سيرغب في الاقتراب منك... ليشمت فيك... ليتباهى بانتصاره".

وجد ليتو نفسه مشدوهاً وبصره منجذب لعضلةٍ على يسار فكّ يُوي. كانت العضلة تلتوي كلما تكلّم الرّجل.

اقترب يُوي أكثر: "وأنت يا دوقي الطيّب، يا دوقي الغالي، عليك تذكر هذا الضَرس"، وأمسك الشيء بين إبهامه وسبابته: "فهو كل ما تملك".

تحرّك فم ليتو دون صوتٍ، ثم قال: "أرفض".

"كلّا! لا ترفض! فلهذه الخدمة الصّغيرة سأقدم لك شيئاً في المقابل، سأنقذ ابنك وامرأتك، لن يفعلها سواي، يمكن نقلهم لمكان لا يقدر هاركونِي الوصول إليهم فيه".

همس ليتو: "كيف... تنقذ... -هم؟"

"سأوهمهم أنهم ماتوا، ويتم تهريبهم سراً وسط قوم يشهرون سكاكينهم كلما سمعوا اسم آل هاركونِن، قوم يكرهون الهاركونِن كراهية شديدة لدرجة أنهم سيحرقون مقعداً لمجرد أن هاركوني جلس عليه، ويرشون أرضاً بالملح لمجرد أن هاركوني سار عليها."

مسّ فكّ ليتو: "هل فقدت الإحساس في فكك؟"

أدرك الذّوق أنه عاجز عن الإجابة، شعر بشيئ يُسحب منه، ورأى يد يُوي ترتفع وبها خاتم الذّوقية.

قال يوي: "سأعطيه لپاول، ستغيب عن الوعي بعد قليل، وداعاً يا دوقي المسكين، فعندما نلتقي ثانية لن يتّسع الوقت للحديث".

انتشرت البرودة عبر فك ليتو، ثم وجنتيه. ضاقت الرّدهة المظلمة أمام ناظره لتتحول إلى نقطة مركزها شفتا يُوي الأرجوانيتان.

قال يُوي في هسيس: "تذكّر الضّرس! الضّرس!"....

19

"ينبغي تأسيس علمٍ يُعنى بالمعاناة، إذ يحتاج النّاس أن يتعرضوا للأوقات العصيبة وللاضطّهاد كي تتطوّر لديهم القدرات الرّوحانية".

من كتاب (أقوال المؤدّب المجمعة)، تأليف الأميرة إيرولان

استيقظت جيسيكا في ظِّلام دامسٍ حولها، توجست خيفةً من السّكون المحيط بها، لم تفهم سبب البلادة المسيطرة على عقلها وجسدها، شعرت بمخالب الخوف تخدش جسدها، لقد أرادت أن تعتدل وتشعل إضاءةً، لكن شيئاً ما أعاق حركتها، أما فمها فشعرت ب... غرابة تسري فيه.

طم... طم... طم... طم. كان صوتاً مكتوماً، لم تتبيّن مصدره في الظّلام، كان حولها في مكان ما.

طالت لحظات الانتظار مكتظّة بالزّمن المحشور فيها، وحفيف حركاتها ووخزات الإبر تدريجياً بدأت تشعر بجسدها، وبوجود أربطة تقيّد معصميها وكاحليها، وأنٍ فمها مكمم. كان مستلقيةً على جانبها، ويداها مقيدتان خلفها. جربت القيود فأدركت أنها مصنوعة من ألياف الكريمسكيل مما يعني أنها ستضيق أكثر كلما حاولت تحريكها.

تذكّرت!

كانت هناك حركةً في ظلام حجرة نومها، ثم خبط وجهها شيءٌ مبللٌ ولاذعٌ، فملأ فمها، فيما قيّدتها أيدٍ مجهولة. وعندما شهقت - ساحبة نفساً واحداً فقط - شعرت بالمادة المخدرة المندسة في البلل. تراجع الوعي، فغرقت في هاويةٍ سوداء مرعبة.

. - . . .

كبحت محاولاتها لنزع القيود. .

وبالتّدريج لملمت هدوئها الدّاخلي. انتبهت لرائحة عرقها، وكيميائية الخوف المندّس فيه.

. أجبرت نفسها على الهدوء، متَّبعة الأساليب القديمة.

لكن الهلع ظل مجاوراً لها.

أحسّت بالظّلام ينقشع، وتفكّكت الأبعاد متحولةً إلى شظايا من الوعي، بياض... خطٌ ظاهرٌ تحت باب. .ناس يمشون، نقلت لها الأرض هذا الإحساس.

أبعدت جيسيكا من ذهنها ذكريات الهلع. .
.ومجدداً أرغمت نفسها على اكتساب الهدوء الداخلي.

انتظمت دقّات قلبها المضطّربة تدريجياً، فصارت مؤشرها على مرور الزمن، قامت بالعد العكسي. .أغمضت عينيها وركزت انتباهها على خطوات الأقدام المقتربة.

.قاست الاختلافات في خطواتهم.

.استرخت على الأرضية الباردة، مختبرة درجة استعداد جسدها. سمعت باباً يفتح، وشعرت - عبر جفنيها - بالضّوء يتزايد.

اقتربت تلك الأقدام، وقف شخصٌ فوقها.

هدر صوت عميق: "إنك مستيقظة، لا تحاولي التّمثيل".

فتحت عينيها.

وقف البارون ڤلاديمير هاركونِن فوقها، تعرفت على ملامح الحجرة، إنه القبو حيث كان ينام پاول، ولمحت سريره في زاوية... كان فارغاً، أحضر الحرس مصابيح عاكسة للجاذبية، ووزعوها بقرب الباب المفتوح. وأما خلف الباب فانتشر في الممر ضوءٌ قويٌ آلم عينيها.

رفعت بصرها إلى البارون، كان يرتدي رداءً أصفر انتفخت تحته أجهزة الحمل المضادة للجاذبية، وجنتاه السمينتان كوجنات تماثيل الملائكة الطفولية، تقبع فوقها عينان في سواد العناكب.

"نعرف توقيت المخدر، وعرفنا متى ستفيقين من تأثيره".

سألت نفسها متعجّبة: ... !

قال البارون: "من المؤسف اضطرارنا لتكميم فمك، كنا تبادلنا حواراً شيقاً".

فكّرت: .

نظر البارون ناحية الباب وقال: "ادخل يا پايتر".

لم يسبق لها لقاء الرجل الذي دخل ووقف جوار البارون، لكن الوجه - وصاحبه - كانا معروفين لها. پايتر دي ڤرايز، المِنتات القاتل. دققت في ملامحه، تقاسيم الوجه الصّقرية... عينان بزرقة الحبر كما هي عيون أهل آرِّاكس، إلا أن تفاصيلَ دقيقة في حركته ووقفته أخبرتها أنه ليس من هنا. ناهيك عن بشرته المشبعة بالماء. كان طويلاً، نحيفاً، وبه شيء يوحي بالأنوثة.

قال البارون: "مؤسفٌ ألا نستطيع التّحاور يا سيدتي العزيزة جيسيكا، لكنني على علم بقدراتك"، ونظر للمِنتات: "أليس هذا صحيحا يا پايتر؟"

قال الرجل: "الأمر كما تقول يا بارون".

كان صوته رخيماً، فسرت برودةٌ في عمودها الفقري. لم يسبق لها أن سمعت صوتاً بهذه البرودة. ولأنها تدربت على أساليب بني-جيزيرِت فضح الصّوت صاحبه: !

قال البارون: "عندي مفاجأة لپايتر، يظن أنه حضر هنا ليستلم مكافأته، أنتِ يا ليدي جيسيكا. لكنني أريد أن أثبت بشكل عملي... أنكِ لستِ مراده".

قال پايتر: "أتعبث بي يا بارون؟" وابتسم.

عند رؤيتها للابتسامة تعجبت جيسيكا من أن البارون لم يثب ليحمي نفسه من پايتر. ثم وبخت نفسها، فالبارون عاجز عن قراءة دلالات تلك الابتسامة، إذ لم يتمتّع بالتدريب الذي تلقّته.

قال البارون: "پايتر ساذج في بعض الأمور، يرفض الاعتراف لنفسه بأنّك - يا ليدي جيسيكا - مخلوقٌ شديدُ الخطورة. بإمكاني أن أريه الأمر عملياً، لكنها مخاطرةٌ حمقاء".

ابتسم البارون لپايتر الذي تحول وجهه لقناع انتظار: "أعرف ما يرغب فيه پايتر. پايتر راغب في النفوذ".

قال پايتر: "وعدتني بأن أحصل عليها"، وبدأ صوته الرخيم يفقد بعض بروده المتحفظ.

أصغت جيسيكا لنبرات صوت الرّجل، وسرت في داخلها رعدة، كيف تمكن البارون من تحويل هذا المِنتات إلى وحش؟

قال البارون: "سأعطيك خياراً يا پايتر".

"أي خيار؟"

فرقع البارون أصابعه السّمينة قائلاً: "لك هذه المرأة، على أن ننفيك من الإمبراطورية، أو تحصل على دوقية آل آتريديز، وتحكمها - باسمي - كما تريد".

راقبت جيسيكا عيني البارون العنكبوتية تتفحصان پايتر.

قال البارون: "ستملك كل امتيازات منصب الدّوق هنا، إلا اللّقب الرّسمي".

سألت جيسيكا نفسها: وتصاعد عويل صامت في داخلها.

صبّ البارون انتباهه على المِنتات: "افهم نفسك يا پايتر، رغبتك فيها كانت بسبب كونها امرأة دوق، رمزاً لسلطته، جميلةً، ومفيدةً، ومدربة بامتياز على القيام بدورها. لكن ما بالك بدوقيّة كاملة يا پايتر! شيء يفوق مجرّد الرّمز، شيء واقعي ملموس. بالحصول عليه يمكنك أن تنال نساءً كثيرات... وأكثر من هذا أيضاً".

"أنت لا تمزح مع پايتر؟"

برم البارون بتلك الخفّة الرّاقصة التي تمنحه إياها مضادات الجاذبية: "أمزح؟ أنا؟ تذكّر، أنا أيضاً سأتخلى عن الفتى. فقد سمعتَ ما قاله الخائن عن التّدريب الذي تلقاه الفتى. إنّهما متشابهان، الأم وابنها... فتّاكان." ثم ابتسم البارون: "يجب أن أرحل الآن، سأستدعي الحارس الذي خصصته لهذه اللحظة، فهو أصمّ كحجر، أوامره أن يرافقك خلال المرحلة الأولى من مراحل رحلتك لمنفاك، وسيقوم بإخضاع هذه المرأة بالقوة إن رآها تسيطر عليك، ولن يسمح لك بفكّ كمامتها إلا بعد رحيلكما عن آرّاكس. أمّا إن قررتَ ألا تغادر... فلديه أوامر أخرى".

قال پايتر: "لا داع لأن ترحل... فقد حسمت أمري".

ضحك البارون: "أها! قرار سريع كهذا يعني شيء واحد فقط".

قال پايتر: "سأقبل الدّوقية".

وفكّرت جيسيكا: ... .

نظر البارون لجيسيكا: "أليست رائعة معرفتي بطبيعة پايتر بهذه الدّقة؟ لقد راهنت قائد الحرب على اختيار پايتر. هاه! على أية حال، أنا راحل الآن. هذا أفضل كثيراً. أجل، أفضل بكثير، أرجو أن تفهمي يا ليدي جيسيكا إنني لا أحمل ضدّك ضغينة شخصيّة، أليس كذلك؟ إنّها ضرورة فقط. هكذا أفضل؟ أجل. كما أنني لم آمر بالقضاء عليكِ، وعندما يسألونني عما حدث لك يمكنني أن أنفض التّهمة عن نفسي بصدقٍ تامٍ".

قال پايتر: "ستترك الأمر في يدي إذن؟"

قال البارون: "الحارس الذي سأرسله لك سينفّذ أوامرك، أترك لك حرية التصرف"، وحدّق في پايتر. "أجل، سأكون بريئاً من الدّماء التي ستراق هنا، القرار قرارك. أجل... لا علم لي به إطلاقاً. عليك أن تنتظر رحيلي ثم تقوم بما عليك أن تقوم به. أجل. حسناً. نعم، نعم، جميل".

فكّرت جيسيكا: .

! .

!

وبعد نظرةٍ أخيرةٍ على جيسيكا استدار البارون وخرج من الباب، تبعته بعينيها:

... .

دخل جنديان، وتبعهما آخر، وجهه مشوّه بالنَدوب، ووقف عند المدخل مشهراً مسدسه الليزري.

فكرّت جيسيكا وهي تفحص الوجه ذي النّدوب: .

.

نظر ذو النّدوب لپايتر: "معنا الصّبي على محفة بالخارج، أوامرك؟"

خاطب پايتر جيسيكا: "خطر لي أن أخضعك بتهديد حياة ابنك، لكنني بدأت أدرك عقم الخطة، لقد تركت للعواطف أن تعمي ذهني، سياسة لا تليق بمِنتات".

خاطب الجنديين مراعٍ أن يقرأ الأصم شفتيه: "خذوهم للصّحراء كما اقترح الخائن أن نفعل بالغلام، خطّة لا بأس بها. فالدِّيدان ستدمّر كلّ الأدّلة. يجب ألا يعثروا على جثتيهما".

قال ذو النّدوب بلهجة قروية: "ما تريد التّخلص منهم بنفسك؟"

فكرّت جيسيكا: .

قال پايتر: "سأقتدي بالبارون، خذوهم حيث اقترح الخائن".

سمعت جيسيكا في نبرة پايتر سيطرة مِنتاتية وضبط نفس، ففكرت: .

هزّ پايتر كتفيه واستدار خارجاً من الباب. تردّد هناك للحظة، وخال لجيسيكا أنه قد يلتفت ويلقي نظرة أخيرة عليها، لكنّه استمرّ في طريقه دون الالتفات.

قال ذو النّدوب: "عن نفسي، ما أريد ألقى الكاهنة كاشفة الأكاذيب بعد عمل اللّيلة".

قال أحد الجنديين: "من المستبعد أن تقابل تلك السّاحرة العجوز"، وتقدم من رأس جيسيكا وانحنى فوقها: "لن ينتهي عملنا إن بقينا واقفين ندردش هكذا، امسك قدمها و ..."

قال ذو الندوب: "ليش ما نقتلهم هنا؟"

قال الأول: "التّنظيف مشكلة، إلا إذا أردت خنقهم، أنا أحب الشغل النظيف الواضح، نلقيهم في الصحراء مثل ما قال الخائن، ونجرحهم جرحاً أو اثنين، ونترك الدّليل للديدان تأكله، ولا حاجة للتنظيف بعدها".

قال ذو النّدوب: "أيوا... زين الكلام".

أصغت جيسيكا إليهم، تراقبهم، وتسجلهم ذهنياً. لكن الكمامّة تعيق استخدامها للصّوت، إضافةً لمشكلة وجود الأصم.

ضبّ ذو النّدوب مسدّسه في جرابه، وأمسك قدميها، حملاها ككيس قمح وخرجا من الحجرة، وألقياها على محفة تطفو بمضادات الجاذبية بجوار شخص آخر مقيد. عندما أداروها جانباً كي يربطونها على المحفة رأت وجه الشخص المرافق لها... پاول! كان مقيداً لكن بلا كمامّة. وجهه لا يبعد عنها أكثر من 10 سنتيمترات، وعيناه مغلقتان، وتنفسه منتظم. !

حرّك الجنود المحفّة فانفتحت عينا پاول بمقدار ضئيل، وحدّق فيها شقّان سوداوان.

فكرّت في توسل: !

أغمض پاول عينيه.

كان يمارس أسلوب التّنفس الإدراكي، مهدئاً ذهنه، مصغياً لمن أسروهما. يُعتبر الأصم مشكلة، لكن پاول لم يسمح لليأس أن يسيطر عليه، أسلوب تهدئة الذّهن الذي علمته أمه إياه ساعده على الحفاظ

على اتزانه، متحفزاً لاستغلال الفرصة السانحة.

استرق پاول نظرةً أخرى نحو أمه، عبر شقّ صغير بين جفنيه. لم يبدُ أنها قد أصيبت بسوءٍ، لكنها مكمّمة الفم.

تساءل عن هويّة من نجح في أسرها. أمّا هو فكان وقوعه بسيط، إذ خلد للنوم بعد تناول حبة دواء وصفها له يُوي، ثم استيقظ ليجد نفسه مربوطاً بهذه المحفّة. ربّما حدث لها شيء مشابه. المنطق يقول أن يُوي هو الخائن، لكنّه قرّر تأجيل البتّ في الأمر. فما حدث مستعصٍ على الفهم، فكيف لطبيب برمجته مدرسة السووك أن يخون؟

مالت المحفّة قليلاً عندما مرّ بها جنود الهاركونن عبر باب، ثم خرجا بها إلى ليلٍ تنيره النّجوم. احتكت إحدى عوّامات الطّفو العاكسةِ للجاذبية بجانب الباب، ثم سمع حركة الأقدام فوق الرّمال. لاح فوقهم جناح ثوبتر، حاجباً خلفه النّجوم، ثم استقرّت المحفّة على الأرض.

تأقلمت عينا پاول مع العتمة، فرأى أنّ الجنديّ الأصم هو من فتح باب الثوبتر وأطلّ داخلها حيث أضاءت الظّلمة الأضواء الخضراء المنبعثة من لوحة القيادة.

قال: "هذه الثوبتر المفترض أن نستخدمها؟"، واستدار ليرى شفتي زميله.

قال الآخر: "هي الطّائرة التي قال الخائن أنّها مصمَّمة للطّيران الصّحراوي".

أومأ ذو النّدوب: "لكنّها من النّوع الصّغير الخاصّ بالزّيارات، لا تسع سوى هذين ولاثنين منّا".

قال حامل المحفة وهو يقترب كي تُقرأ شفتاه: "اثنان كافيان، اتركها علينا يا كينيت".

قال ذو النّدوب: "البارون أمرني أن أتأكّد بنفسي ممّا سيحدث لهذين".

جاء صوت جندي آخر خلف المحفّة: "ولم القلق؟"

قال الأصم: "إنّها من ساحرات بني-جيزيرِت، عندهنّ قدرات".

"آآه، واحدةٌ منهن؟ أعرف ما تقصد"، وضمّ أصابع يده في قبضة وقربها من أذنه.

قال الجندي الواقف خلفه ضاحكاً: "ستكون وليمة ديدانٍ بعد قليل. حتى ساحرات بني-جيزيرِت لا سلطة لهنّ على الدّيدان العملاقة، صحيح يا زيجو؟"، ووكّز حامل المحفة.

قال حامل المحفة: "أي نعم".

عاد للمحفة وأمسك كتفي جيسيكا: "هيا يا كينيت، رافقنا إن كنت تريد التّأكد بنفسك".

قال ذو النّدوب: "شكراً على الدّعوة اللّطيفة يا كينيت".

شعرت جيسيكا بأنّها تُرفع، ودار ظلّ الجناح فبدت النّجوم، دُفعت للمقعد الخلفي في الثوبتر، وتمّ فحص أربطة ألياف الكريمسكيل التي تقيدها، ثم ربطوها بالحزام. حُشر پاول بجوارها، وربطوا حزامه بإحكام، لاحظت أن قيوده مصنوعة من حبالٍ عاديةٍ.

جلس الأصمّ ذو النّدوب في المقعد الأماميّ. ودار حاملاً المحفة، المسمّى زيجو حول الطائرة واستقل المقعد الأمامي الآخر.

أغلق كينت بابه، ومال على لوحة التّحكم، انطلقت الثوبتر محلِّقة، تدفعها الأجنحة، واتّجهت جنوباً ناحية الجدار الجبلي، ربّت زيجو على كتف زميله وقال: "لم لا تستدير وتراقب هذين الاثنين؟"

"متأكّد أنّك تعرف الطّريق؟"، ونظر كينيت لشفتي زيجو.

"سمعتَ الخائن مثلك بالضبط".

أدار كينت مقعده على محوره، لمحت جيسيكا لمعان ضوء النّجوم على المسدّس اللّيزري في يده. وتدريجياً اتّضحت تفاصيل القمّرة مع تأقلم عيني جيسيكا على الإضاءة، حتى وإن بقي وجه الحارس ذي الندوب معتماً. ثم اختبرت جيسيكا حزام مقعدها فوجدته غير محكم. أحسّت بخشونة في الحزام بقرب ذراعها الأيسر، وأدركت أنّه ممزقٌ، ويمكن فصله بحركةٍ سريعةٍ.

... وببطء سحبت قدميها المقيّدتين بعيداً عن قدمي پاول.

قال ذو النّدوب: "خسارة أن تفوتنا الفرصة مع امرأة جميلة، هل تذوقت واحدة من شريفات النّسب؟"، واستدار لينظر للطّيار.

قال الطّيار: "ما كل بني-جيزيرِت من شريفات النّسب".

"لكن كلّهن يبدو عليهن العزّ".

فكّرت جيسيكا: . رفعت قدميها المقيدتين على المقعد، ولفّت جسدها بشكلٍ مغري، مديمة النّظر في ذي الندوب.

قال كينيت: "حلوة جداً"، رطّب شفتيه بلسانه. "خسارة كبيرة"، ونظر لزيجو.

قال الطّيار: "أظنّك تفكر فيما أظنّك تفكر".

قال الحارس: "ومن سيدري؟ وبعد انتهائنا..."، وهزّ كتفيه، "ما تذوّقت من قبل واحدة من علية القوم، ومن أين لي بفرصة مثل هذه؟"

قال پاول في حزم: "لو امتدت يدك إلى أمي..." وحدّق في ذي الندوب.

ضحك الطيّار: "هاه! الجرو ينبح، لكنه لا يعض".

وفكرّت جيسيكا: .

ساد الصّمت لبعض الوقت.

فكرّت جيسيكا وهي تدقّق في الحارسين: .

.

انحدرت الثوبتر فوق الحافّة الجنوبية للجدار الجبليّ، وفي ضوء القمر رأت جيسيكا تحتهم امتداد رمال الصّحراء.

قال الطّيار: "أظنّ أن هذه المسافة تكفي، فالخائن قال إن علينا تركهم على الرّمال في أي مكان قرب الجدار الجبلي"، وانقضّ بالطائرة منحدراً ناحية الكثبان الرّملية، ثم عندما اقترب من الأرض رفع المقدّمة بقوة.

رأت جيسيكا پاول يستهلّ الأنفاس الإيقاعية لتمرين التّهدئة، أغلق عينيه ثم فتحهما. راقبته جيسيكا، عاجزةً عن مساعدته. . ...

لامست الثوبتر سطح الرّمال، نظرت جيسيكا للخلف، في اتجاه الجدار الجبلي، فلمحت ظلّ جناحين يستقر بعيداً عن مرمى البصر.

فكّرت: ! ... .

.

أطفأ زيجو محرّكات الجناح، فغرق الجميع في سكون مفاجئ.

أدارت جيسيكا رأسها، عبر النّافذة خلف ذي النّدوب رأت لمعان ضوءٍ باهتٍ من قمر يشرق فوق الأفق، وحافّة صخرية بارزة فوق رمال الصّحراء أثرت فيها هبّات الرّمال على الجانبين.

تنحنح پاول.

قال الطّيار: "الآن يا كينيت؟"

"ما داري يا زيجو".

التف زيجو وقال: "امم... شوف هدا"، ومدّ يده لتنورة جيسيكا.

قال پاول بنبرة آمرة: "ان ـــزع كم ـامت ـــها".

شعرت جيسيكا بالكلمات تتذبذب في الهواء. النبرة والجرْس ممتازان. نبرة إلزامية، قاطعة. لو استخدم درجة أخفض قليلاً كانت ستكون أفضل، لكن نبرته ما زالت واقعة في الحدّ الطّيفي الملائم لهذا الرجل.

نقل زيجو يده إلى الرّباط المحيط بفم جيسيكا، وشدّ طرف عقدة الكّمامة.

قال كينيت آمراً: "توقف!"

قال زيجو: "اغلق فمك يا رجل، فيداها مقيدتان." فكّ العقدة فسقط الرابط، برقت عيناه وهو يفحص جيسيكا.

وضع كينيت يده على ذراع الطيار: "انظر يا زيجو. لا داع ل-..."

لوت جيسيكا عنقها وبصقت الكمامة. ضبطت درجة صوتها لتجعل النبّرة هادئة وحميمية: "يا س ـادة! لا داع لل ـقت ـال ب ـس ـببي"، وفي نفس الوقت تلوّت بجسدها كي تغري كينيت.

رأت التّوتر يحكم سيطرته عليهما، وكانت متأكّدة أنهما في هذه اللّحظة أصبحا مقتنعين بضرورة القتال للتّنافس على النيل بها، لا حاجة لسبب آخر لخلافهما، في ذهنيهما كانا بالفعل قد بدآ يتقاتلان عليها.

رفعت وجهها ليكون واضحا! في ضوء لوحة التحكم، أرادت أن تتأكد من قدرة كينيت على قراءة شفتيها، وقالت: "يجب ألا تختل ـف ـا."

تباعد جسديهما، وأخذا ينظران لبعضهما بقلقٍ متبادلٍ.

قالت: "وهل تست ـحق إمرأة أن يت ـقات ـل الآخ ـرون عليه ـا؟" بنطقها لهذه الكلمات، وبوجودها بينهما، جعلت نفسها جديرة بالقتال عليها.

أطبق پاول شفتيه، وأجبر نفسه على الصّمت. فقد سنحت له فرصة استخدام الصوت بنجاح. أما الآن فكل شيء يعتمد على أمه التي تفوقه خبرة بمراحل.

قال ذو الندوب: "صحيح... لا داع للقتال عليها"، وانطلقت يده بحركة خاطفة نحو عنق الطيار، لكن الضّربة التقت ببريق معدني مسّ الذّراع ثم - في نفس الحركة - انغرس في صدر كينيت، تأوّه ذو النّدوب، وارتخى للخلف مرتطماً ببابه.

قال زيجو: "تحسبني جاهلاً بهذه الخدعة"، وكشف عن السّكين في يده، تلمع بنور القمر المنعكس عليها.

ثم قال وهو يميل ناحية پاول: "والآن دور الجرو".

تمتمت جيسيكا: "لا حـاجـة لهـذا".

تردد زيجو.

قالت: "ألا تفضـل تعـاوني معـك؟ اعـط الفـتى فرصـة"، والتوت شفتها وهي تقول: "إنـها لفرصـة ضئيـلة جـدًا في تلـك الرّمـال، امنحـها له..."، وابتسمت وهي تكمل: "وستنـال مكافـأة مغريـة".

تلفت زيجو لليمين ولليسار، ثم عاد بانتباهه لجيسيكا: "سمعت عمّا يحدث للإنسان في هذه الصّحراء، ربما تكون السّكين أرحم بالفتى".

توسلت جيسيكا: "ومـل ما أطلبـه بالكثـيـر؟"

غمغم زيجو: "تحاولين خداعي".

قالت جيسيكا: "لا أرغـب في رؤيـة ابـني وهو يمـوت... هل في هذا خـدعـة؟"

تراجع زيجو ودفع مزلاج الباب بمرفقه، سحب پاول من المقعد ودفعه بحيث صار نصف جسده خارج الباب وشهر السّكين في وجهه: "إيش راح تعمل يا صغير لو قطعت قيودك؟"

قالت جيسيكا: "سيبتعد فوراً ويتجه لتلك الصخور البعيدة".

سأله زيجو: "هدا إللي راح تعمله يا صغير؟"

"أجل"، وكانت نبرة پاول نكدة على نحو متقن.

انخفضت السّكين وقطعت قيود ساقيه. أحسّ پاول باليد تدفعه في ظهره لتلقيه على الرّمال، فتظاهر بالتّعثر على إطار الباب، واستدار وكأنه يمنع نفسه من الوقوع، ثم دفع قدمه اليمنى فجأةً.

كان الإصبع موجهاً بدقة بالغة شحذتها سنوات طويلة من التّدريب، كما لو أن كل هذا التّدريب قد تركز في هذه اللّحظة. كل عضلة من عضلات جسده تعاونت في توجيه الضّربة، فصدم طرف إصبعه الجزء الطري في معدة زيجو، تحت عظام الصدر مباشرة، ثم اندفع بقوة رهيبة لبقعة فوق الكبد وعبر الحجاب الحاجز ليهشم البطين الأيمن من قلب الرّجل.

بصرخةٍ متحشرجةٍ اندفع الحارس للوراء. أمّا پاول - ولأنّه عاجزٌ عن استخدام يديه – تابع سقوطه نحو الرّمال، وتدحرج فوقها ليخفف من عنف السّقطة واستقام على قدميه في نفس الحركة، انقض لداخل القمرة، ووجد السّكين وأمسكها بين أسنانه معاوناً والدته في قطع قيودها، ثم التقطت جيسيكا النّصل وحررت يديه.

قالت: "كنت سأتصرف، كان سيضطر لقطع قيودي، ما قمتَ به مخاطرة حمقاء".

قال: "رأيتها فرصةً سانحةً فاقتنصتها".

سمعت في صوته نبرةً قاسيةً، وقالت: "شارة عائلة يُوي مرسومة على سقف هذه القمرة".

نظر للأعلى فرأى الرّمز.

قالت: "اخرج ولنفحص هذه الطائرة، توجد حزمة تحت مقعد الطيار، شعرت بها أثناء دخولنا".

"قنبلة؟"

"لا أظن. أمرها غريب".

وثب پاول للرّمال وتبعته جيسيكا، استدارت ومدّت يدها تحت المقعد لتأخذ الحزمة الغريبة، كانت قدما

زيجو قريبتين من وجهها، أحست ببلل على الحزمة وهي تلتقطها، ثم أدركت أن البلل دماء الطيار. فكرت: .واستدركت أن هذه فكرة آرِّاكسية.

جال پاول بنظره حول المكان المحيط بهم، فرأى الانحدار الصّخري بارزاً من أرض الصَحراء وكأنّه شاطئ على طرف البحر، ووراءه الجروف الصّخرية وقد نحتتها الرياح. التفت نحو والدته وهي ترفع الحزمة من الثوبتر فرآها تحدق نحو الجدار الجبلي.

صوّب نظره نحو ما جذب انتباهها، فرأى طائرة ثوبتر أخرى منقضّة عليهما، وأدرك أنّ الوقت لن يكفي لإخراج الجثتين والهرب بالثوبتر.

صرخت جيسيكا: "اجرِ يا پاول! إنّهم الهاركونِن!"

20

" على آرِّاكس يتعلّم النّاس لغة السّكين... أن تقطع الجزء غير المكتمل وتقول: الآن صار مكتملاً لأنّ طرفه ينتهي هنا".

من كتاب (أقوال المؤدّب المجمعة)، تأليف الأميرة إيرولان

هرع عبر الممرّ رجلٌ يرتدي زيَّ آل هاركونِن، وعندما بلغ نهايته توقّف فجأةً، وبنظرةٍ واحدةٍ استوعب المنظر بأكمله: جثّة مايبس، وجسد الدّوق الممدّد، ويُوي الواقف في مكانه. كان في يد الرّجل مسدسٌ ليزري، وعلى وجهه ملامح الشّراسة والصّلابة والاتزان، فسَرَت في جسد يُوي قشعريرة.

فكر يُوي: . . .

قال الرّجل: "أنت يُوي؟"، محملقاً في قرص مدرسة السووك المحيطة بشعر الطّبيب، والوشم الذي يشبه الماسة، ثم التقت عيناه بعيني يُوي.

قال الطّبيب: "أنا يُوي".

قال الرّجل: "اطمئن يا يُوي، عندما أبطلتَ دروع الطّاقة المنزلية دخلنا المكان على الفور، كلّ شيءٍ تحت السّيطرة، هل هذا هو الدّوق؟"

"إنه الدّوق".

"ميّت؟"

"غائب عن الوعي فقط، أقترح أن تقيده".

ونظر حيث رقد جسد مايبس: "هل قتلتَ البقيّة؟"

تمتم يُوي: "للأسف".

قال الساردوكار متهكما: "الأسف!" ثم تقدم لينظر لليتو: "هذا هو إذن الدّوق الأحمر العظيم".

فكّر يُوي: .

مدّ الساردوكار يده وقطع شارة الصّقر الأحمر من سترة ليتو وقال: "تذكار صغير، أين خاتم الدّوقية؟"

قال يُوي: "غير موجودٍ على إصبعه".

قال الساردوكار بحدة: "أرى هذا!"

تصلّب جسد يُوي، وازدرد ريقه.

قال يُوي: "أحياناً يرسل الدّوق خاتمه مع أحد رسله كتأكيد على أن الأوامر صدرت منه شخصياً".

تمتم الساردوكار: "ثقةٌ كبيرةٌ في الرّسل".

تجرّأ يُوي وسأل: "ألن تقيّده؟"

"إلى متى سيظلّ غائباً عن الوعي؟"

"حوالي ساعتين، لم أكن دقيقاً في تحضيري لجرعته كما فعلت مع المرأة والفتى".

رفس الساردوكار الدّوق بازدراء: "هذا لم يكن مخيفاً حتى وهو متيقظ، متى ستفيق المرأة الصبي؟"

"في غضون 10 دقائق".

"بهذه السرعة؟"

"قيل لي أن البارون سيصل على أعقاب رجاله".

"نعم، عليك أن تنتظر بالخارج يا يُوي، الآن!" وقالها بحدّة وهو يرمقه بنظرةٍ صلبةٍ.

نظر يُوي لليتو وقال: "وماذا عن..."

"سيتم توصيله للبارون في لفة محكمة وكأنّه شواء سيدخل الفرن"، ثم رمى نظرةً أخرى نحو الوشم الماسي على جبهة يُوي. "أنت معروف بيننا، ستكون بمأمن في أروقة المكان، لا وقت لدينا للدّردشة أيها الخائن، فإني أسمع أصوت اقتراب الآخرين".

فكّر يُوي: ! خفض بصره ومرّ جوار الساردوكار، هكذا سيتذكّره التاريخ: يُوي .

في طريقه للمدخل الرئيسي مرّ بالمزيد من الجثث، ونظر إليها وهو يخشى أن يكون پاول أو جيسيكا بينها، لكن كلهم كانوا إمّا من الحرس المنزلي أو ممن يرتدون زياً هاركونياً.

حدّق فيه الحرس الهاركوني وهو يخرج من الباب الرئيسي إلى اللّيل الذي تنيره المشاعل، كانوا قد أضرموا النّار في النّخلات المرصوصة على جانب الطّريق لإنارة المنزل، من بين أسنة اللهب البرتقالية تصاعد دخان أسود من المواد الحارقة المستخدمة لإشعال أشجار النخيل.

قال أحدهم: "إنّه الخائن".

قال آخر: "سيرغب البارون في رؤيتك".

فكر يُوي: . .ثم اجتاحته موجة خوف: ...

. . .

أشار الحارس الهاركوني بذراعه قائلاً: "انتظر هناك".

رأى يُوي نفسه منبوذاً في هذا المكان المدمّر، لا يبال به أحد، ولا تناله شفقة. !

ارتطم به حارسٌ آخر وصاح: "ابتعد عن الطّريق يا هذا!"

فكّر يُوي: .شدّ قامته، واستعاد شيئاً من كرامته.

زمجر ضابط من الحرس قائلاً: "انتظر البارون!"

أومأ له يُوي، ومرّ أمام مدخل المنزل بطريقةٍ حاول أن تكون طبيعية، ثم انحرف عند الرّكن، والجأ الظلال، بعيداً عن ضوء النّخيل المحترق. وبسرعة – ومع كل خطوة تفضح تلهفه – قصد السّاحة الخلفية الواقعة تحت صوبة الاستنبات، حيث وقفت طائرة الثوبتر منتظرة، المركبة التي وضعوها هنا كي تحمل پاول ووالدته.

وقف حارسٌ عند الباب الخلفي المفتوح للمنزل، واهتمامه منصبٌّ على القاعة المضيئة وعلى الرجال المتحركون هناك في ضوضاء، يفتشون الحجرات واحدة بعد الأخرى.

يتصرّفون بثقةٍ كبيرةٍ!

احتضن يُوي الظّلال، ودار حول الثوبتر، وفتح بابها البعيد عن جهة الحارس، تحسس تحت المقاعد الأمامية باحثاً عن عُدّة الأدوات الفريمينية التي أخفاها هناك. رفع غطاء جيب وأدخل خاتم الدّوقية. لامست يده الورقة المصنوعة من السپايس، الرسالة التي كتبها، فوضع الخاتم داخل الورقة، ثم أخرج يده وأعاد غلق الحقيبة.

أغلق يُوي باب الثوبتر بهدوءٍ، وعاد سائراً نحو ركن المنزل ثم استدار مقترباً من مكان النّخيل المحترق. .

برز في ضوء النّخلات المشتعلة، وأحكم رداءه حول جسده وحدّق في اللّهب.

. . ... .

21

"هناك أسطورة تقول: في لحظةِ موتِ الدّوق ليتو آتريديز هوى نيزكٌ عبر السّماء وتناثر فوق قصر أسلافه على كوكب كالادان".

من مقدمة الأميرة إيرولان لكتاب (المؤدّب: تاريخ للأطفال)

وقف البارون ڤلاديمير هاركونِن أمام نافذةٍ زجاجيةٍ في سفينته الفضائية الصّغيرة الرّاسية على الأرض، والتي كان يستخدمها كمقرٍّ للقيادة. من النّافذة كان يرى ليلَ مدينة آرّاكين في الخارج وقد أنارته ألسنةُ اللّهب. انصبَّ اهتمامه على الجدار الجبلي البعيد، حيث كان سلاحه السّري يؤدي مهمته المنوطة به.

قذائف المدفعية.

كانت المدافع تقضم لقماً من الكهوف التي تقهقر إليها جنود الدّوق آملين أن يتخندقوا فيها لمحاولةٍ أخيرةٍ، قضماتٌ بطيئةٌ مدروسةٌ ذات وهج برتقالي، ووابلٌ من الصّخور والغبار يمكن رؤيته في الوميض الخاطف، وهكذا يعلق رجال الدّوق خلف الرّكام ليموتوا جوعاً، كما لو كانوا حيواناتٍ أُغلقت عليها جحورها.

أحسّ البارون بعملية القضم البعيدة، كدّقات طبولٍ تصله عبر معدن السّفينة: بووم... بووم، يليها:

بروووم بووووم!

فكّر بمرحٍ:

ضبط إحدى مضادات الجاذبية الصّغيرة التي تحمي جسده السّمين من شدة الجاذبية، تقوّس فمه في ابتسامةٍ جرّت جوانب حنكه المترهّل.

ثم اتّسعت ابتسامته أكثر، ساخراً من نفسه.

أجل، فالفشل - حسب تعريفه - يجعل الشّخص عرضةً للاستبدال، بينما امتدّ أمامه الكون بأكمله ينتظر الإنسان القادر على اتخاذ القرارات السّليمة. أمّا الأرانب المتذبذبة فيجب فضحها، وإرغامها على الفرار لجحورها، وإلا فكيف سيمكنك أن تتحكم في تربيتها؟ تخيّل مقاتليه كنحلٍ تطارد الأرانب وتهزمهم.

انفتح الباب خلفه، وقبل أن يستدير البارون دقّق في الانعكاس الظّاهر في زجاج النّافذة التي صبغها سواد اللّيل. تقدم پايتر دي ڤرايز داخلاً الغرفة، يتبعه أومان كودو، قائد الحرس الشّخصي للبارون. وعند الباب لمح حركة الرّجال، حرسه ذوو الوجوه الخانعة كالحملان في حضوره.

استدار البارون.

لمس پايتر ناصية رأسه بإصبعه في تقليد ساخر للتّحية العسكرية: "أخبار جيدة يا سيدي، جاء الساردوكار بالدّوق".

هدر صوت البارون: " بالطبع".

تأمّل الشّر الكئيب البادي على وجه پايتر المخنّث. والعينين، هذين الشّقين المظلّلين تماماً بلونهما الأزرق.

نقل البارون انتباهه إلى قائد الحرس، أومان كودو، بعضلات فكّه الحادّة كالمقص، وذقنه التي تشبه مقدّمة الحذاء، رجل يستطيع وضع الثّقة فيه، فرذائل هذا القائد معروفة.

قال البارون: "أولاً، أين الخائن الذي مكنني من الدّوق؟ يجب أن أعطي الخائن مكافأته".

استدار پايتر على عقبه وأشار للحارس الواقف بالخارج.

دلف يُوي للغرفة، في خطواتٍ جامدةٍ وجسدٍ مشدودٍ، تدلّى شاربه على جانبي شفتيه الأرجوانيتين. لم تبد الحيويّة سوى على العينين المسنتين. توقف يُوي على بعد ثلاث خطواتٍ فقط، مطيعاً إشارة من پايتر، ثم سكنت حركته محملقاً في البارون عبر فراغ الغرفة الفاصل بينهما.

"أها... دكتور يُوي".

"سيدي هاركونِن".

"بلغني أنك مكّنتنا من الدّوق".

"نصف الصفقة من جانبي يا سيدي".

نظر البارون لپايتر، فأومأ پايتر إيجاباً.

أعاد البارون بصره ليُوي: "التزامٌ حرفيٌ بالصّفقة إذن؟ وأنا..."، وبصق باقي الكلمات في قوّة: "ما الذي وعدت بفعله في المقابل؟"

"تذكر جيداً وعدك يا سيّدي الهاركونِن".

وسمح يُوي لنفسه في تلك اللحظة أن يغرق في التفكير، منصتاً للسكونٍ المفاجئ للساعات التي كانت تدقّ في ذهنه، كان قد انتبه لتفاصيل دقيقةٍ في أسلوب البارون. وانا فعلاً ميتة، رحلت لمكان يعجزون عن أذيتها فيه، لو كانت حيّة لاستمر التّحكم في الطبيب الضّعيف، أما الآن فكشف له أسلوب البارون غياب ذلك التّحكم. قُضِيَ الأمر إذن.

قال البارون: "متأكدٌ أنني أتذكره؟"

"لقد وعدتَ أن تخلص حبيبتي وانا من عذابها".

أومأ البارون: "آه، أجل. تذكّرت الآن، وعدتك بهذا فعلاً، كانت تلك هي الطريقة التي كسرنا بها برمجتك العقلية. لم تحتمل رؤية امرأتك، ساحرة بني-جيزيرت، تتذلّل تحت تأثير مضخمات الألم التي صنعها پايتر. طيب! البارون ڤلاديمير هاركونِن دائماً يفي بوعوده، فقد أخبرتك إنني سأحرّرها من العذاب وأن أسمح لك بمرافقتها، وهذا ما سيحصل"، وأشار لپايتر.

انقلبت عيني پايتر لقطعتي زجاجٍ عاكسٍ، وتحرّك بانسيابية القط. برقت السّكين في يده وكأنها مخلبٌ ينقضّ لطعن ظهر يُوي.

جمد جسد العجوز دون أن يرفع عينيه عن البارون.

لفظ البارون كلماته في قوة: "رافقها إذن!"

تمايل جسد يُوي، وتحركت شفتاه بتركيزٍ شديدٍ. خرج صوته في إيقاع موزون: " تظنّ... أنك... هزمتني. تظن... أنني... لم... أكن... أعلم... ما... اشتريته... لحبيبتي... وانا"،

ثم انهار، بلا انحناء ولا التواء، سقط كما تسقط الأشجار.

كرّر البارون: "رافقها إذن!"، لكن كلماته كانت أشبه بصدى ضعيف.

توجّس خيفةً من الموقف مع يُوي، طارت عيناه نحو پايتر فرآه يمسح النّصل على قطعة قماش، ورأى في العينين الزرقاوين نظرة الرّضا اللّزجة.

فكر البارون:

قال البارون: "سلّمنا الدّوق فعلاً؟"

قال پايتر: "بكل تأكيد سيّدي".

"أدخله إذن!"

نظر پايتر نحو قائد الحرس فاستدار مسرعاً لتنفيذ الأمر.

نظر البارون لجثة يُوي، من الطريقة التي سقط يخال للمتفرج أن الرّجل مصنوعٌ من خشب بلوطٍ بدلاً من العظام.

قال البارون: "يستحيل أن أضع ثقتي في خائن... حتى لو كان من صنع يدي".

ثم عاد بنظره للنّافذة التي غطّاها اللّيل بظلامه. هذا الغطاء الأسود السّاكن القابع بالخارج أصبح ملكاً له، كان صوت المدفعية الموجّهة لكهوف الجدار الجبلي قد توقف... وأُغلِقت فتحات الجحور، بالنسبة للبارون لا جمال يفوق هذا السّواد الفارغ. باستثناء البياض على السّواد، أبيض لامع على السواد، بياض كخزف البورسلين.

لكن الشّكوك لم تغادره.

ماذا كان يقصد ذاك الطّبيب المسنّ الأحمق؟ طبعاً كان يعرف ما سيحدث له في النهاية، لكن تلك الجملة عن إنه لم يُهزم: 'تظن أنك هزمتني!'

دلف الدّوق ليتو آتريديز من الباب، كانت ذراعاه مقيدتان بالسّلاسل، ويعلو التّراب وجهه ذو الملامح النّسرية، وسترته الرّسمية ممزّقة حيث انتزع أحدهم شارته. ومن وسطه تدلّت قطعٌ ممزقةٌ من الثّياب حيث خُلع منها حزام درعه دون فكّه أولاً من أربطة السّترة، أما عينا الدّوق فبدت فيهما غشاوةٌ شبه زجاجية ونظرةٌ مجنونة.

قال البارون: "أخيييرا". ثم تردد، ساحباً نفساً عميقاً، أدرك أنه تكلم بنبرة أعلى مما ينبغي. تلك اللّحظة - التي تخيلها طويلاً - فقدت شيئاً من مذاقها.

!

قال پايتر: "أظن أن الدّوق المحترم واقع تحت تأثير مخدر، فبهذه الطريقة استطاع يُوي أن يمكننا منه"، ثم التفت للدّوق وقال: "ألستَ مخدراً يا دوقي العزيز؟"

كان الصّوت بعيداً بالنّسبة لليتو. أحسَّ بالسّلاسل، بألم العضلات، بشفتيه المشقوقتين، ووجنتيه المتوهّجتين، وبمذاق العطش الخشن في فمه. لكن الأصوَات كانت شبه مكتومة، وكأنها مخفيّة وراء دثار قطني، وعبر هذا الدّثار بدت له الأشكال ضبابية.

قال البارون: "ماذا عن المرأة والصبي يا پايتر؟ هل وصلتك أخبار بشأنهما؟"

طار لسان پايتر مرطباً شفتيه.

قال البارون بحدة: "إذن فقد وصلك شيء عنهما بالفعل! ما هو؟"

رمى پايتر نظرة نحو قائد الحرس ثم عاد ببصره للبارون: "الرّجلان اللذان أرسلناهما للقيام بالمهمة يا سيدي... لقد... احم... عثرنا عليهما".

"وهل قدما تقريراً يفيد بأن كل شيء تم كما مخطط له؟"

"ماتوا سيدي".

"طبعا ماتوا! ما أستفسر عنه هو..."

"كانا ميتين عندما عثرنا عليهما يا سيدي".

احمر وجه البارون. "والمرأة والصبي؟"

"لا أثر لهما يا سيدي، لكن تواجدت دودة في المكان، جاءت أثناء قيامنا بفحص الموقع والتحقيق فيما حدث، ربما جرت الأمور كما نحب... حادثة. احتمال إن..."

"لا نتعامل بالاحتمالات يا پايتر، ثم ماذا عن طائرة الثوبتر المفقودة؟ أليس هذا مؤشر يا مِنتات؟"

"واضحٌ أن أحد رجال الدّوق هرب فيها يا سيدي، قتل طيارنا وهرب".

"أي رجال الدّوق بالتحديد؟"

"كانت عملية قتل نظيفة وصامتة سيدي. فربما يكون حواط، أو ذاك المسمّى هاليك. أو احتمال أن يكون آيداهو، أو أحد الضّباط الكبار".

تمتم البارون: "احتمالات"، وألقى نظرةً للدّوق المخدّر المتمايل.

قال پايتر: "الموقف تحت السيطرة يا سيدي".

"لا ليس تحت السّيطرة! أين ذلك الخبير الكوكبي الغبي؟ أين المسمّى كاينز؟"

"وصلتنا معلومات عن موقع تواجده وتم استدعاؤه، مولاي".

تمتم البارون: "لا تعجبني الطريقة التي يعاوننا بها موظف الإمبراطور".

وصلته الكلمات عبر دثار قطني، لكن بعضها ترك أثراً في ذهن ليتو. - .إذن نجح پاول وجيسيكا في الفرار، وما يزال مصير حواط وهاليك وآيداهو مجهولاً، ما زال هناك أمل.

قال البارون آمراً: "أين الخاتم الدّوقي؟ إصبعه فارغ".

قال قائد الحرس: "يقول الساردوكار أنه لم يكن يرتديه عند الإمساك به يا سيدي".

قال البارون: "تعجلت في قتلك للطبيب. تلك غلطة! كان عليك أن تحذرني يا پايتر، اندفعتَ بتهور بطريقةٍ ليست في صالح مشروعنا"، وكشّر قائلاً: "احتمالات!"

تعلّقت الفكرة كرمز الحياة في ذهن ليتو: !وعلِق في ذهنه شيء آخر أيضاً: صفقة! يوشك أن يتذكرها.

!

تذكّر شيء منها... كبسولة غازٍ سامٍ على شكل ضرسٍ مزيفٍ.

شخص أخبره أن يتذكر الضّرس، الضّرس في فمه، تحسّسه بطرف لسانه، ما عليه سوى أن يعضّ عليه بقوة.

!

أخبره الشخص أن ينتظر اقتراب البارون. من أخبره؟ لا يتذكر.

سأل البارون: "إلى متى سيظل مخدراً بهذا الشكل؟"

"ربّما لساعةٍ أخرى سيدي".

تمتم البارون: "ربما"، ومن جديد استدار ليواجه النّافذة التي سوّدها اللّيل.. "أنا جائع".

فكّر ليتو: .تراقص الشكل جيئةً وذهاباً، متأرجحاً مع تأرجح الغرفة. اتّسعت الغرفة ثم ضاقت، أضاءت وأعتمت، ثم انطوت في ظلام وتلاشت.

أصبح الزّمن بالنّسبة للدّوق طبقات متتابعة، ينساق عبرها. .

هناك طاولة، رأى ليتو الطاولة بوضوح، وعلى الطّرف الآخر منها جلس رجلٌ ضخمٌ، سمينٌ، وأمامه بقايا وجبة طعام، أحس ليتو بأنّه يجلس على مقعدٍ مقابل الرّجل السّمين، وأحس بالسّلاسل، وبالأربطة التي تقيد جسده الخدر بالمقعد. كان مدركاً لمرور الزّمن، لكن لم يستطع تحديد مقداره.

"أظنه بدأ يفيق يا بارون".

. .

"أرى هذا يا پايتر".

. .

بدأ محيط ليتو يزداد وضوحاً، فالمقعد تحته ازداد صلابة، وإحساسه بالأربطة ازداد حدّة.

اتضح شكل البارون، راقب ليتو حركات يدي الرّجل... حركاته القهرية لا الإرادية، يلمس حافة طبق، يدٌ ملعقةٌ، يحرك إصبعاً متحسساً طيات حنكه المترهل، راقب ليتو اليد المتحرّكة، مأخوذاً بها.

قال البارون: "تسمعني يا دوق ليتو، أعرف بأنك تسمعني، نريد أن نعرف منك: أين نجد محظيتك والولد الذي أنجبته لك".

غمرته كلمات البارون بموجة اطمئنان. : .

هدر صوت البارون: "هذه ليست لعبة أطفال، بالتأكيد تعلم هذا". انحنى مقترباً من ليتو، مدققاً في وجهه. كان البارون مستاءً من عدم وجود خصوصية في تعامله مع هذا الأمر، تمنى لو جرى كل شيء بينهما هما فقط، فهي سابقة سيئة أن يرى الآخرون نبيلاً في عسر وضيق هكذا.

شعر ليتو بقوته تعود، وكبرت في ذهنه ذكرى الضّرس المزيف، كبرج في مساحة أرضٍ مسطحةٍ. الكبسولة على شكل عصبٍ داخل الضّرس، الغاز السّام، وتذكر من وضعَ السّلاح القاتل في فمه.

.

وعادت في ذهن ليتو ذكرى ضبابية من أثر المخدر، جثّة تم سحبها أمامه في هذه الغرفة، كانت جثة يُوي.

قال البارون: "هل تسمع ذاك الصّوت يا دوق ليتو؟"

انتبه ليتو لصوت ضفدعي، دمدمة أنين.

قال البارون: "قبضنا على أحد رجالك متنكراً في هيئة الفريمن. كشفنا تنكّره بسهولة، بسبب العينين طبعاً. الرّجل يصر على أنه كان مزروعاً بين الفريمن كي يتجسّس عليهم. لكني عشت على هذا الكوكب لفترة يا قريبي العزيز. لا يتجسس المرء على حثالات الصّحراء. أخبرني، هل اشتريت

مساعدتهم بالمال؟ هل أرسلت بامرأتك وابنك لهم؟"

ضاق صدر ليتو. .

قال البارون: "هيّا، هيّا. فالوقت قصير والألم سريع. أرجوك لا تضطرني لهذا يا دوقي العزيز"، ورفع البارون بصره لپايتر الذي كان واقفاً بقرب كتف ليتو: "لم يحضر پايتر كل أدواته هنا، لكني متأكد من قدرته على الارتجال".

"والارتجال يكون أفضل أحياناً يا بارون".

سمعه ليتو بقرب أذنه. !

قال البارون: "كانت عندك خطة للطوارئ، إلى أين أرسلت المرأة والصبي؟" نظر ليد ليتو: "وخاتمك مفقود، هل هو مع الصبي؟"

رفع البارون بصره وحدّق في عيني ليتو.

"لا إجابة، هل ستضطرني لشيء لا أرغب في القيام به؟ سيستخدم پايتر أساليب بسيطة ومباشرة، وأوافقه إنها الأفضل أحياناً، لكن لا يليق أن يتعرض مثلك لهذه الأمور".

قال پايتر: "ربّما شحم حيواني ساخن على الظهر، أو على الأجفان، وممكن وضعه على أجزاءٍ أخرى من الجسد. فإنه مؤثرٌ أكثر عندما لا يعلم الشّخص على أي موضع سيسقط الشّحم. طريقةٌ جيّدة، وهناك جانبٌ جمالي في شكل البثور البيضاء المتقيحة على البشرة العارية، أليس كذلك يا بارون؟"

"فاتن"، قالها البارون بنبرة زنق.

! راقب ليتو اليدين السّمينتين، الجواهر البّراقة على اليدين المكتظتين كأيدي الأطفال، تجولهما لا الإرادي.

أصوات العذاب خلفه كانت تنهش في أعصاب الدّوق. تساءل:

قال البارون: "صدقني يا قريبي العزيز، لا أريد للأمور أن تصل لهذا الحد".

قال پايتر: "فكّر في الأعصاب المتسارعة لحمل رسائل لعضلات تطلب نجدةً عاجزةً عن الحضور. لعلمك، تتمتع طرقي بمهارة فنية".

زمجر البارون: "وأنت فنان ممتاز، لكن الآن تفضّل علينا بصمتك".

تذكر ليتو شيئاً قاله جيرني هاليك مرة عندما رأى صورة للبارون: "
..." .

قال پايتر: "إننا نضيع وقتنا يا بارون".

"ربما"، ثم أومأ البارون: "تعلم يا دوقي العزيز أنك ستخبرنا بمكانهما في النهاية، فهناك مستويات من الألم كفيلةٌ بحل عقدة لسانك".

فكر ليتو: .

التقط البارون قطعة لحم وأدخلها في فمه، ماضغاً ببطء، ثم بلعها. وفكّر: .

قال البارون: "تأمل هذا الشّخص البارز الذي ينكر أنّه للبيع، تأمله يا پايتر." !

. ! ! !

توقفت الأصوات الضفدعية.

رأى البارون قائد حرسه أومان كودو يظهر عند مدخل الباب ويهزّ رأسه، لم يبُح الأسير بالمعلومات المطلوبة، فشلٌ جديد. حان الوقت للتوقّف عن إضاعة الوقت مع هذا الدّوق الأحمق، هذا الغبي الأحمق الطّري غير المدرك للعذاب الجحيمي الذي يكاد يناله، والذي يبعد عنه بِسُمكِ عصب واحد.

هدّأت هذه الخاطرة البارون، متغلبةً على نفوره من تعريض نبيل لآلام العذاب، رأى نفسه كجرّاح يقوم بعددٍ لا نهائي من عمليات التّشريح بمبضعه، نازعاً الأقنعة عن الحمقى، كاشفاً ما تخفيه من جحيم.

!

وانظر لهم ينكمشون عندما يقع بصرهم على الحيوان المفترس!

حدق ليتو من الطرف الآخر للطاولة، سائلاً نفسه عن سبب انتظاره. فالضرس سينهي كل هذا بسرعة، وقد كانت حياة طيبة في مجملها، وجد نفسه يتذكر طائرةً ورقيةً محلقةً في سماء كالإدان الزرقاء، وپاول يضحك فرحاً بمنظرها. وتذكر شروقاً للشّمس هنا على آرِّاكس، طبقاتٌ متدرجةٌ من الجدار الجبلي وقد ألانتها سحابة ترابية.

تمتم البارون: "مؤسف!"، دفع نفسه للوراء مبتعداً عن الطاولة، واعتدل واقفاً بخفةٍ صنعتها عاكساتُ الجاذبية، ثم تردّد للحظة عندما رأى تغيراً يطرأ على الدّوق، رأى الرّجل يسحب نفساً عميقاً، وفكه يتصلّب، وانتفضت عضلةٌ فيه إذ أطبق الدّوق على فمه، مغلقاً إياه بقوة.

فكّر البارون: !

أما ليتو، فخوفاً من أن يفلت منه البارون، عض بقوة على كبسولة الضّرس، وشعر بها تنكسر. فتح فمه وزفر البخار اللّاذع الذي ذاق طعمه على لسانه. بدأت صورة البارون تصغر، كشكل في نفقٍ يزداد ضيقاً، سمع ليتو شهقة جوار أذنه إنّه ذو الصّوت الناعم، پايتر.

!

"پايتر! ما بك؟"

كان الصّوت الهادر بعيداً للغاية.

تدافعت الذكريات في ذهن ليتو، همهمات العجائز الهُتْم. الغرفة، الطاولة، البارون، زوجان من العيون المرتعبة، كاملة الزّرقة، انضغطت كلها من حوله في انسجام متدهور.

كان هناك رجل ذقنه تشبه مقدمة الحذاء، دمية عسكرية تهوي، كانت أنف العسكري الدّمية مكسورة ومنحرفة لليسار، كجهاز مترونوم إيقاعي مستمر للأبد في ضرب الدّقة المبدئية للحن. سمع ليتو تحطم آنية فخارية، زئيرٌ بعيد. وأصبح عقله علبة بلا قعر، تلتقط كل شيء. كل شيء في الوجود، كل صيحة، كل همسة، كل... صمت.

بقت له خاطرة وحيدة، رآها ليتو في نور هلامي على أشعة سوداء:
. غمرته الخاطرة بإحساس عجز عن تفسيره: الإكتمال.

صمت.

وقف البارون وظهره لبابه الخاص، فهو طريق الفرار الذي وضعوه خلف الطّاولة. كان قد أغلق الباب على غرفة كل من فيها موتى.

سجّلت حواسه حرساً محتشدين حوله.

عاد له سمعه... وعقله. وسمع شخصاً يصرخ الأوامر - أقنعة غاز... اتركوا الباب مغلقاً... شغلوا مضخات الهواء.

. . . ! .

الآن أمكنه تحليل ما حدث. كان درع الطّاقة الذي يرتديه يعمل ساعتها، مضبوطاً على أقل مستوى بما يكفي لإبطاء سرعة تبادل الجزيئات على جانبي حقل الطاقة، وكان ساعتها أيضاً يدفع نفسه مبتعداً عن الطاولة. ثم شهقة پايتر المصدومة والتي جعلت قائد الحرس يندفع للأمام لاقياً حتفه.

المصادفة والتحذير أتى من شهقة رجل محتضر، هذا هو ما أنقذه.

لم يشعر البارون بامتنان لپايتر. فالأحمق عرّض نفسه للقتل، وقائد الحرس الغبي ذاك! قال إنه فحص كل شيء قبل المجيء بهم في حضرة البارون! كيف تمكن الدّوق من ...؟ بلا تحذير. ولا حتى من تبّاع السّموم فوق الطاولة، إلا بعد فوات الوقت. كيف؟

فكّر البارون وقد بدأ ذهنه يستعيد ترابطه: .

.

انتبه لنشاط زائد عند نهاية الممر، وراء الرّكن القريب من الباب الآخر لغرفة الموت تلك. دفع البارون نفسه مبتعداً عن بابه الخاص وتأمل الأتباع الخانعين المحيطين به. وقفوا في أماكنهم محدقين، صامتين، منتظرين رد فعل البارون.

وأدرك البارون أنه لم تمر سوى ثوانٍ قليلةٍ على فراره من تلك الغرفة الرّهيبة.

بعض الحرس كانوا رافعين أسلحتهم تجاه الباب، والبعض الآخر وجّه غضبه ناحية الممر الفارغ الممتدّ إلى مكان الضوضاء المنبعثة على يمينهم.

ومن هناك ظهر رجل يخطو خطوات واسعة، وقناع الغاز متدلٍ برباط من عنقه، عيناه تتفرّسان أجهزة تباع السّموم المعلقة في السقف على امتداد هذا الرّواق. كان أشقر، بوجه عريض وعينين خضراوين، وتشعّ من حول فمه - ذي الشّفتين الممتلئتين - خطوط متموجة، وبدا وكأنه حيوان مائي في غير مكانه بين أهل اليابسة.

حدق البارون في الرّجل القادم نحوه، متذكراً الاسم: نيفود، إياكين نيفود، حارسٌ برتبة عريف. كان نيفود مدمناً على السيموتا، مزيج من مخدّر تصاحبه موسيقى، يؤثر في أعمق أعماق الوعي، معلومة مفيدة.

توقّف الرّجل أمام البارون وأدى التّحية: "الرّواق آمن يا سيّدي، كنت واقفا بالخارج أشاهد ما يحدث وأدركت أنه غازٌ سامٌ. كانت مراوح التّهوية بغرفتك تسحب الهواء من هذه الممرات"، ورفع بصره لتبّاع السموم فوق رأس البارون: "لم يتسرب شيء من المادة. قمنا بتطهير الغرفة. أوامرك؟"

تعرف البارون على صوت الرجل، كان هو من يصرخ الأوامر. .

قال البارون: "كلهم موتى بالداخل؟"

"أجل يا سيدي".

.

قال: "أولاً، أهنئك يا نيفود. فأنت القائد الجديد لحرسي، وأرجو أن تستوعب جيداً الدّرس الذي يجب تعلمه مما أصاب سلفك".

راقب البارون ردّة فعل الرّجل مع استيعابه لترقيته ومعناها، فقد اطمأن نيفود أنه لن يعوزه المال لشراء السيموتا بعد اليوم.

أومأ نيفود: "فليتأكّد سيّدي بأنني سأكرّس نفسي بالكامل للحفاظ على سلامته".

"طيب، والآن للعمل. أظنّ أن الدّوق كان يحمل شيئاً في فمه. عليك معرفة طبيعة هذا الشّيء، وكيف تم استخدامه، ومن أعانه على وضعه في مكانه، وستأخذ جميع الاحتياطات كي..."

قطع كلامه وتبدّد حبل أفكاره بسبب صوت شغبٍ من الممرّ خلفه. رأى الحرس أمام المصعد القادم من الأدوار السفلى للفرقاطة يحاولون منع عقيدٍ باشّار طويل القامة من المرور بعد أن خرج لتوه من المصعد.

لم يتعرف البارون على الباشّار العقيد. كان نحيفاً، فمه كشق في جلد مدبوغ، وعيناه كنقطتي حبر.

زأر الرجل وهو يزيح الحرس جانباً: "ارفعوا أيديكم عني يا قطيع من آكلي الجيف!"

فكّر البارون: . .

أسرع الباشّار الخطى مقترباً من البارون الذي ضاقت عيناه قلقاً. يثير ضباط الساردوكار فيه شعوراً بالقلق، فكل فردٍ فيهم يبدو وكأنه من أقرباء الدّوق، الدّوق الراحل. ناهيك عن طريقة تصرّفهم مع البارون!

زرع الباشّار نفسه على بعد نصف خطوة من البارون ويداه على وسطه، بينما حام الحرس خلفه مرتبكين، لاحظ البارون غياب التحية، والازدراء البادي في تصرّفات الساردوكار، فازداد قلقه. لم يكن على الكوكب هنا سوى فيلقٌ واحدٌ منهم - أي 10 فرقٍ عسكريةٍ – وظيفتها دعم فيالق الهاركونِن، لكنّ البارون لم يخدع نفسه، فهذا الفيلق الواحدً كان قادراً على الانقضاض على الهاركونِن والقضاء عليهم.

زمجر الساردوكار: "أخبر رجالك ألا يمنعوني من لقائك يا بارون، رجالي أحضروا الدّوق الآتريدي قبل أن أتمكن من مناقشة مصيره معك. سنناقش هذا الأمر الآن".

فكّر البارون: .

"ثم؟" كانت كلمة مضبوطة وباردة، وشعر البارون بالزّهو لطريقة نطقها.

قال الباشّار العقيد: "حمّلني إمبراطوري مسؤولية التأكد من أن يموت ابن عمه النبيل بشكل محترم، دون عذاب".

كذب البارون قائلاً: "وكانت هذه أوامر الإمبراطور لي أيضاً، هل كنت تظن أني سأعصيها؟"

قال الساردوكار: "أوامري أن أقدم تقريرًا للإمبراطور بما رأيته بأمّ عيني".

قال البارون بشكل قاطع: "مات الدّوق"، ولوّح بيده مشيراً للرّجل بالانصراف.

لم يتحرك الباشّار العقيد من مكانه، وبقي مواجهاً البارون، ولم تطرف عينه لإشارة الانصراف.
زمجر سائلاً: "كيف؟"

فكّر البارون: !

قال البارون: "قتل نفسه، إن كان لابدّ أن تعرف. تناول سماً".

قال الباشّار العقيد: "سأرى الجثّة الآن".

رفع البارون بصره للسّقف متظاهراً بالسخط بينما تسارعت أفكاره. !

!

زمجر الساردوكار: "الآن. يجب أن أراه بعيني".

أدرك البارون أنه لا مفر، سيرى الساردوكار كل شيء. سيرى أنّ الدّوق قتل رجالاً تابعين للهاركونِن، وأنّ البارون نفذ بجلده بشقّ الأنفس. وهناك بقايا وجبة الطّعام على الطاولة، والدّوق الميت الجالس عندها وحوله الدّمار الذي خلّفه. لا مفر.

زمجر ثانية: "لن أقبل بأي تأجيل".

قال البارون محدقاً في عيني الساردوكار السوداء كالصخور البركانية: "لا تأجيل. لا أخفي شيئاً عن إمبراطوري"، وأومأ لنيفود: "سيرى الباشّار العقيد كل شيء، في الحال. أدخله عبر الباب الذي كنت واقفا تحرسه يا نيفود".

قال نيفود: "من هنا يا سيدي".

وببطءٍ متغطرسٍ دار الساردوكار حول البارون، ودفع بكتفيه بين الحرس.

فكّر البارون: .

ما آلمه حقا إدراكه أن الإمبراطور مثله مثل الساردوكار في ازدرائهم للضعف. عضّ البارون على شفته السفلى، معزياً نفسه بجهل الإمبراطور بأمر غزوة آل آتريديز التي شنّوها على كوكب غيدي برايم، وما قاموا به من تدمير مخازن السپايس الهاركوني هناك.

!

نظر البارون للظهور المبتعدة، الساردوكار المتغطرس، ونيفود الكفء، بقامته القصيرة وجسده القوي الممتلئ.

. .

.

! .

تنهّد البارون. . .

سعل حارس قريب.

استدار البارون إلى الرجل: "أنا جائع".

"حاضر يا سيدي".

قال البارون: "وأريد شيئاً أتسلى به بينما ينظّفون الغرفة ويتحققون من أسرارها".

خفض الحارس عينيه وقال: "وأي تسلية يشتهيها سيّدي؟"

قال البارون: "سأكون في حجرة نومي. أحضر لي ذاك الفتى الذي اشتريناه على كوكب غامونت، الفتى ذي العيون الجميلة، وخدره جيداً، فمزاجي لا يسمح بالمصارعة".

"حاضر سيدي".

استدار البارون مبتعداً نحو حجرته بخطواتٍ واثبةٍ، تكاد تطفو من أثر عاكسات الجاذبية.

.

22

"يا بحار كالادان

يا قوم الدّوق ليتو

سقطت قلعة ليتو

سقطت للأبد".

من كتاب (أغاني المؤدّب)، تأليف الأميرة إيرولان

شعر پاول أنّ ماضيه كله، وكلّ خبرةٍ مرّ بها في حياته قبل هذه اللّيلة، أصبحت رمالاً تنساب منحدرةً في ساعةٍ رمليةٍ. كان جالساً بجانب أمّه جامعاً ركبتيه داخل خيمةٍ صغيرة من القماش والبلاستيك، تسمّى خيمة تقطير، عثرا عليها - كما عثرا على الملابس الفريمنية التي يرتدونها الآن - من الحقيبة التي وضعها شخصٌ ما في الثوبتر.

لم يكن لدى پاول أدنى شكّ بهويّة الشّخص الذي وضع العُدة الفريمنية في هذا المكان، الشّخص الذي قام بتوجيه مسار طائرة الثوبتر التي كانا أسيرين على متنها. !

فالطّبيب الخائن هو من أوصلهما مباشرةً إلى دَنكِن آيداهو.

حدّق پاول عبر الجزء الشّفاف من خيمة التّقطير ناظراً للصّخور التي ينيرها القمر، والتي كانت تحيط هذا المكان - الذي أخفاهما فيه آيداهو. .أغاظته الفكرة، لكنّه لم يستطع إنكار حكمة هذه الخطوة التي اتخذوها.

حدث تحوّل ملحوظ لوعيه هذه اللّيلة. إذ رأى - بوضوح فائق - كلّ التّفاصيل والأحداث التي تقع من حوله. وشعر بعجزه عن إيقاف تدفّق البيانات، وتلكَ الدّقّة المجرّدة من العواطف التي أضافت معلوماتٍ جديدةٍ إلى محصّلته المعرفية، وإلى حساباته المدفونة في مركز الوعي لديه. كانت قدرة مِنتاتية، بل وأكثر من ذلك.

عاد پاول بذاكرته للحظة الغضب العاجز عندما انقضت عليهما الثوبتر تحت جنح الظّلام، كصقرٍ عملاقٍ يحوم فوق الصّحراء والرّياح تصرخ تحت جناحيه. في تلك اللّحظة حدث لوعيه ما حدث، انزلقتَ الثوبتر واستدارت على سطح الرّمال مقتربةً من الشّخصين الرّاكضين... هو ووالدته، تذّكر پاول كيف غمرتهما رائحة الكبريت المحترق النّاتجة عن احتكاك لوحي انزلاق الثوبتر بالرّمال.

تذكّر كيف استدارت والدته متوقعةً أن ترى مسدّس ليزر في يد جنود الهاركونِن المرتزقة، لكنّها رأت دَنكِن آيداهو يميل بجسده من باب الثوبتر المفتوح وهو يصيح: "أسرعا! علامة دودية نحو الجنوب!"

أمّا پاول فدلّته غريزته على هوية قائد الثوبتر، تفاصيل دقيقة رآها في طريقة تحليق الطّائرة، سرعة الهبوط، تفاصيل متناهية الصّغر لدرجة أنّ والدته ذاتها لم تنتبه لها، كل هذا كشف لپاول هوية من يتحكّم في الطّائرة.

داخل خيمة التّقطير تحرّكت جيسيكا، وقالت: "لا يوجد سوى تفسيرٌ واحد، كان الهاركونِن يحتجزون زوجة يُوي، فقد كان يكره الهاركونِن فعلاً! لا يمكن أن أكون مخطئة، وأنتَ قرأتَ رسالته. لكن، لم أنقذنا من المذبحة؟"

فكّر پاول: . صدمته الفكرة، أما هو فاستوعب ما حصل

بمجرد قراءته الرّسالة المصاحبة للخاتم الدّوقي في الحقيبة.

كتب يُوي: "لا تجهدا أنفسكما بمسامحتي، لا أريد غفرانكما، فلديّ ما يكفيني من الأوزار، ما أقدمتُ عليه لم يكن بدافع الحقد، ولا الأمل في تفَهُّم الآخرون لدوافعي، إنّه اختباري النّهائي، أقدم لكما خاتم الدّوقية الآتريدي كدليل على صدق ما أكتبه، في الوقت الذي ستقرآن فيه هذه الرسالة سيكون الدّوق قد مات، لكن أؤكد لكما إن عزاؤكما الوحيد أنّه لم يمت وحده، بل مات معه شخصٌ آخر، ذلك الرّجل الذي نكرهه جميعاً".

لم تذكر الرّسالة صاحبها، وكانت خالية من التوقيع، لكن صاحب خط اليد كان معروفاً: يُوي.

بتذكّره للرّسالة استرجع پاول الشّقاء الذي شعر به في تلك اللحظة. شعورٌ حادٌ وغريبٌ بدا وكأنّه يحدث خارج إدراكه المِنتاتي الجديد. فقد قرأ لتوه أنّ والده مات، وأكّدت له الكلمات حقيقة ما حدث، لكنّها لم تكن عنده سوى معلومة كغيرها، سيدخلها في عقله ويستعملها عند اللّزوم.

.لكنه لم يكن يشعر بشيء!
كانت مجرّد معلومة هامة كغيرها. معلومةٌ من ضمن باقي المعلومات الأخرى، وخلال كل هذا كان عقله يجمع الانطباعات الحسّية، ويستنبط منها، ويحسبها.

ومرّت كلمات هاليك بذهن پاول: "المزاج للماشية أو لممارسة الحب... لا للقتال".

... .

لم تبارحه تلك الدّقة الباردة المسيطرة على كيانه، وشعر بأن وعيه الإدراكي الجديد ليس سوى مجرد بداية... وأنه سيتطور. غمره الإحساس بـ 'الغاية الرهيبة' الذي شعر به لأول مرة خلال اختباره على يد السّيدة الموقرة غاياس هيلين موهيم. أحسّ في يده اليمنى - التي تتذكر الألم - بوخز ونبض.

قالت جيسيكا: "ظننتُ لوهلةٍ أنّ حواط خذلنا مجدداً، وأن يُوي ربما لم يكن طبيباً من مدرسة السووك".

قال پاول: "بل كان كما عرفناه... وأكثر قليلاً"، قال: "إن لم يفلح آيداهو في الوصول لكاينز فسنكون..."

قالت: "إنه ليس أملنا الوحيد الذي نتعلق به".

قال: "لم أقصد هذا".

سمعت صلابة الحديد في صوته، ونبرته القيادية. نظرت له عبر الظلمة الرمادية التي تسود الخيمة، بدا پاول كصورةٍ ظليةٍ في خلفيتها صخورٌ ينيرها القمر.

قالت: "لابدّ أنّ بعض أتباع والدك نجحوا في الفرار. علينا أن نجمعهم، وأن نجد..."

قال: "بل سنعتمد على أنفسنا، أولويتنا الآن أسلحتنا الذرية، علينا أن نصل لها قبل أن يعثر عليها آل هاركونِن".

قالت: "من المستبعد أن يُعثر عليها، خاصّة بالنّظر للطّريقة التي تمّ إخفاؤها بها".

"يجب ألا نترك أمراً كهذا للمصادفة".

فكّرت:

. .

أثارت كلمات أمه سلسلة أفكارٍ جديدة في ذهنه، على الدّوق أن يفكر في أتباعه الذين هلكوا اللّيلة.

.وتذكر ما قاله حواط: "مفارقة الأصحاب تثير الحزن، أمّا الأماكن فتبقى مجرد أماكن".

قالت جيسيكا: "إنهم يستعينون بالساردوكار. علينا أن ننتظر إلى أن ينسحب الساردوكار."

قال پاول: "يظنوننا محاصرين بين الصّحراء من جهة والساردوكار من جهة أخرى، هدفهم ألا ينجو فردٌ من أسرة آل آتريديز. إبادة تامة، لا تركني إلى نجاة رجالنا".

"لا يمكن أن يبقوا هنا لأجل غير مسمى، فبقاؤهم سيفضح تورط الإمبراطور".

"متأكدة؟"

"أكيد سيفر بعض رجالنا".

"متأكدة؟"

أشاحت جيسيكا بوجهها، بعد أن أرعبتها القوة والمرارة في صوت ابنها، وتقديره الدّقيق للاحتمالات. استنتجت أن عقله وثب متخطياً قدراتها، وإنّه الآن يرى الأمور بوضوح أكبر منها، نعم هي من درّبت هذا العقل الذّكي، لكنه الآن يرعبها. حولت أفكارها نحو الملجأ النفسي الضائع الذي كان يوفره الدّوق... وحرقت الدّموع عينيها.

فكّرت: . " ".

ووضعت يدها على بطنها، وركّزت وعيها على الجنين.

: .

. .

قال پاول: "جربي الاتصال ثانية".

فكّرت: .

التقطت جيسيكا الجهاز الصّغير الذي تركه لهما آيداهو، وأدارت مفتاحه. لمع ضوءٌ أخضر على واجهة الجهاز، وصدر من سمّاعته تشويش. خفضت الصّوت، وأدارت مؤشره باحثة بين التّرددات. سُمع في الخيمة صوتُ شخص يتكلم بلغة آل آتريديز المخصصة للمعارك"... وأعيدوا التّجمع عند السّلسلة الصّخرية، أبلغنا فيدور بعدم نجاة أحد في معركة قرطاج، وتم نهب بنك النقابة".

فكّرت جيسيكا: ! .

قال الصّوت: "إنّهم ساردوكار، انتبهوا لساردوكار متنكرين في زي الآتريديز. إنهم..." وصدر من الجهاز هدير تبعه الصمت.

قال پاول: "جربي الترددات الأخرى".

قالت جيسيكا: "هل تعي ما حدث؟"

"توقعت ذلك، يريدون من نقابة الفضاء أن تلقي علينا باللّوم في واقعة تدمير مصرفهم، وبانقلاب النّقابة ضدنا يكتمل حصارنا على آرّاكس، جربي التّرددات الأخرى".

تأمّلت كلماته:

عادت جيسيكا بانتباهها للجهاز، وخلال إدارتها لمؤشر التّرددات التقطا مقتطفات من العنف بعدة أصوات تصرخ بلغة المعارك المتعارف عليها بين آل آتريديز: "...تراجعوا"، "...حاولوا إعادة التجمع عند..."، "... ـن محاصرون في كهف عند..."

أمّا من التَرددات الأخرى فلم يكن صعباَ التَعرف على نبرات النَصر في لغة الهاركونِن غير المفهومة. في أوامرهم القاطعة، وفي تقاريرهم. ما التقطته جيسيكا لا يكفي لفكّ الشّفرة، لكن النّبرة كانت شديدة الوضوح.

انتصار هاركوني.

هزّ پاول الحقيبة، فسمع قرقرة في قربتي الماء، أخذ نفساً عميقاً ورفع بصره - عبر الجزء الشّفاف من الخيمة - ناظراً للجرف الصّخري وقد انتشرت خلفه النّجوم، تحسّست يده القفل العاصر الذي يحكم فتحة الخيمة.

قال: "سيحل الفجر قريباً، يمكن أن نقضي هذا النّهار منتظرين آيداهو، لكن لا ينبغي أن ننتظر لليلة أخرى، ففي الصّحراء تكون الحركة ليلاً، أمّا النّهار فللراحة في الظل".

تسرّبت لذهن جيسيكا معلوماتٌ من الأمور المتعارف عليها هنا:

أحسّت ببطانة بذلة التّقطير النّاعمة ملتصقةً بجسدها، وكيف تعتمد حياتهما على هذه الملابس.

قالت: "إن تركنا المكان لن يتمكن آيداهو من العثور علينا".

قال: "كثيرةٌ هي طرق التعذيب التي تجبر الإنسان على البوح بما يعلم، إن لم يعد آيداهو مع حلول الفجر فعلينا النّظر في احتمالية أنه وقع في يدهم، كم سيصمد في ظنك؟"

لم يكن سؤالاً يتطلب جواباً، فجلست صامتة.

فتح پاول الحقيبة وأخرج منها دليلاً صغيراً، مرفقاً به لسانٌ ضوئيٌ وعدسةٌ مكبرةٌ، وعلى صفحاته المضيئة ظهرت حروفٌ خضراء وبرتقالية: "القرب اللترية، خيمة التقطير، كبسولات الطاقة المغذية، أنابيب فلترة الإخراج، أنبوب التنفس الصحراوي، النظارة المكبرة، أدوات إصلاح بذلة التقطير، مسدس رش الصبغة، خرائط الأحواض، السدادات الأنفية، بوصلة صحراوية، خُطافات الصانع، الدقّاقات، عُدة الأدوات الفريمنية، العمود الناري ..." كلها أشياء يحتاجها المرء للنّجاة في الصحراء.

وضع الدليل جانباً على أرضيّة الخيمة.

قالت جيسيكا: "أين يمكن أن نذهب؟"

قال پاول: "حدّثني أبي عن قوّة الصّحراء، وبدون هذه القوّة لا يستطيع الهاركونن حكم هذا الكوكب. لم يحكموه في السّابق... ولن يحكموه أبداً. حتى لو استعانوا بعشرة آلاف فيلق من الساردوكار".

"پاول، معقول إنك تظن ..."

قال: "ها هي كل الأدلة بين أيدينا، في هذه الخيمة. بل والخيمة نفسها، والحقيبة ومحتوياتها، وبذلات التقطير، ونعلم أيضاً أن النقابة تطلب سعراً مبالغاً فيه مقابل أقمار الطّقس الصّناعية. ونعلم أن..."

قالت: "وما دخل أقمار الطّقس بالأمر؟ لا يمكن أن يكونوا..." ثم قطعت كلامها.

بدأ پاول بإدراكه العقلي الفائق يقرأ ردود أفعالها، ويحسب أدق التفاصيل في تعابيرها.

قال: "الآن فهمتِ الأمر، الأقمار الصناعية تراقب التضاريس. وهناك أشياء في المناطق الصحراوية البعيدة لا يراد لها أن تشاهَد أو تُفحص فحصاً متكرراً".

"تعني أن نقابة الفضاء تتحكم في هذا الكوكب؟"

قال: "لا! بل الفريمن! إنهم يدفعون للنّقابة مقابل السّرية... يدفعون مستخدمين عملة متوفرة مجاناً لمن يملك قوّة التّعامل مع الصّحراء... السبايس، وهذا ليس مجرد تخمين، بل حسبة واضحة لا شكّ فيها، كلامي مضمون".

قالت جيسيكا: "پاول، لست مِنتاتا بعد. لا يمكن أن تجزم من ال-..."

قال: "لن أصبح منتاتا أبداً. أنا شيء مختلف، مسخ".

"پاول! لماذا تقول ..."

"اتركيني في حالي!"

أشاح بوجهه عنها، شاخصاً ببصره نحو الليل. كل ذرّة في كيانه تتوق لراحة هذا البكاء، لكنه محروم منها للأبد.

لم يسبق لجيسيكا أن سمعت نبرة الوجع هذه في صوت ابنها، أرادت أن تمد يدها له، أن تحضنه، أن تواسيه، أن تساعده... لكنها شعرت أنها لن تنجح في مسعاها. إنها مشكلة عليه أن يحلها بنفسه.

لمحت اللسان المضيء لدليل العّدة الفريمنية. التقطته وتفحصت الصفحة: "دليل الصحراء الودودة، مكان يعجّ بالحياة. ها هي آيات وبراهين الحياة، كن مؤمنا بها ولن تحرقك اللات أبداً".

عادت بذاكرتها إلى دراستها للأسرار الدّينية العظمى.

التقط پاول البوصلة، ثم أعادها للحقيبة وقال: "تأملي هذه الآلات الفريمنية المخصصة لاستخدامات محددة، كلها تدل على حِرفية وتعقيد لا مثيل لهما، ألا تقرّي بأن الحضارة التي أنتجت مثل هذه الأشياء تتمتّع بعمق لم يكن في الحسبان؟"

عادت جيسيكا للكتاب، قلقةً من نبرة القسوة في صوته، دقّقت في صورة لإحدى الكوكبات النّجمية الظاهرة في سماء آرّاكس. كوكبة المؤدّب: الفأر، ولاحظت أن الذّيل يشير للشمال.

عبر ظلام الخيمة، راقب پاول حركات أمّه التي بدت معتمةً في الضّوء الخافت للسان الدليل.

صدمه منطقه المجرد من العواطف.

قال: "أمي".

"نعم؟" سمعت التغير في صوته فسرت برودة في أحشائها. لم يسبق لها أن سمعت نبرة الانضباط القاسي هذه.

قال: "مات أبي".

فتشت في عواطفها، رابطة الحقائق ببعضها البعض، على طريقة بني-جيزيرِت في تقييم المعلومات، وجاءتها النتيجة: لوعة الفقد، أومأت، عاجزةً عن الكلام.

قال پاول: "كلّفني أبي أن أعطيك رسالةً منه إن أصابه مكروه، كان يخشى أن تعتقدي أنه كان يشك فيكِ".

فكّرت: .

قال پاول: "أراد أن تعرفي أنه لم يشك فيك أبداً"، وشرح لها عملية الخداع، ثم أضاف: "أراد أن تعرفي أنّ ثقته فيك تامّة، ولطالما أحبك واعتبرك غالية، وقال إنّه قد يشك في نفسه قبل أن يشك فيك. وأنّه لم يندم سوى على شيء واحد... أنه لم يجعلك دوقة زوجةً له بشكل رسمي".

مسحت الدموع المنسابة على خديها وفكرت: لكنها عرفت الدّافع الحقيقي وراء هذه الخاطرة، وأنها مجرّد محاولة نفسية للانغماس في الغضب هرباً من الحزن. ... . وبحركة عنيفة أطفأت لسان الدّليل الصغير المضيء. واهتزّ جسدها بشهقات البكاء.

سمع پاول نحيب أمه وشعر بالفراغ الذي بداخله. . . شكّ أن وراء عجزه عن البكاء عيبٌ فظيع في تركيبته.

دارت في ذهن جيسيكا، اقتباسات من الإنجيل الكاثوليكي البرتقالي: "للكسب وقت وللخسارة وقت، لحفظ الشيء وقت ولطرحه وقت، للحب وقت وللبغض وقت، للحرب وقت وللسلم وقت".

تابع عقل پاول دقّته الباردة، وامتدت أمامه كل الاحتمالات المتاحة لهم على هذا الكوكب المعادي. وركز إدراكه الاستبصاري متبنياً منهجية حسابية لقياس الاحتمالات الأكثر ترجيحا، لكنّه أضاف للمنهجية عنصراً مختلفاً، شيئاً غامضاً - كما لو أن عقله انغمس في طبقة أزلية وتذوق عينة من رياح المستقبل.

وبلا مقدمات، كما لو عثر على مفتاح ضروري، صعد عقل پاول درجة أخرى في ارتقاءه الإدراكي، أحس بنفسه متعلقاً بهذه المرحلة الجديدة، متشبثاً بجزء غير ثابت وينظر فيما حوله. وكأنه داخل كرة تتفرع منها طرقًا في جميع الاتجاهات، لكن لم يكن هذا سوى تشبيه تقريبي لما يحس به، تذكر أنه قد رأى في الماضي منديلاً يتراقص في مهبّ الرّيح، وشعر الآن بالمستقبل وكأنه شيء يتراقص فوق سطحٍ ما، متموج وعابر كالمنديل الذي تحركه الرياح.

رأى أناساً.

شعر بسخونة وبرودة احتمالات لا حصر لها. عرف أسماء وأماكن، ومرّ بمشاعر لا عدد لها، وراجع بيانات موجودة في زوايا مجهولة لا حصر لها، كان هناك وقت للجس وللاختبار وللتذوق، لكن لا وقت للتشكيل والتغيير.

طيف من الاحتمالات، من أقصى الماضي لأقصى المستقبل - من أكثر الأشياء المحتمل تحققها لأبعدها عن احتمالية التحقق.

ورأى موته بأساليب يصعب حصر عددها. ورأى كواكب جديدة، وثقافات جديدة.

أناس.

أناس.

رآهم في أسراب يصعب حصرها، لكن عقله صنّفهم وميّز بينهم.

حتى رجال النّقابة.

النّقابة - قد تصلح كطريق أمامنا، سينظرون لاختلافي على أنه شيء مقبول ومألوف وذو قيمة، ناهيك عن توافر مصدر دائم للسپايس، تلك المادة التي لا غنى لي عنها.

روّعته فكرة حياته كرجل نقابة، أن يتحول عقله إلى أداة يتلمس بها طريقاً بين احتمالات المستقبل

ليرشد سفن الفضاء. على كل حال هي درب من الدّروب الممتدة أمامه، وها قد تكشّفت له حقيقة غرابته عندما تفحّص احتمالية انضمامه لنقابة الفضاء، هذه بصيرة من نوعٍ مختلفٍ عن ملاحي النّقابة. فأنا أرى نوعاً مختلفاً من التّضاريس: المسارات المحتملة.

أزعجته الفكرة وفي الوقت ذاته زادته ثقة – وأمامه امتدت التّضاريس بمنخفضاتها وبطياتها التي تخفي الكثير، مرّ ذلك الإحساس بسرعةٍ خاطفةٍ، وأدرك أن التّجربة لم تستغرق من الزّمن سوى دقّة قلب.

إلا أنّها كانت لحظةً كفيلةً بقلب وعيه الذّاتي، وبتسليط الضّوء عليه بطريقةٍ رهيبةٍ. حدّق فيما حوله.

كان اللّيل لا يزال يغشي خيمة التّقطير ونطاق الصّخور الذي اختبأت فيها، وبكاء أمه ما زال مسموعاً.

ومازال يثقله عبء عجزه عن البكاء، ذاك الفراغ الأجوف في مكانٍ منفصلٍ عن عقله، أما عقله فاستمر في خطواته الواثقة، يعالج المعلومات، ويقيمها، ويحسبها، ويزوده بالإجابات في طريقة تشبه أسلوب المِنتات.

ورأى أنّه الآن يملك ثروةً معلوماتيةً لم تتوافر إلا لعددٍ ضئيلٍ من العقول. إلا أنّها معلومات عجزتٍ عن التّخفيف عن عبء ذاك الفراغ الأجوف بداخله، لا بد أن يتهشّم شيء ما. كما لو أنّ قنبلةً موقوتةً بدأت عدّها التنازلي داخله. ماضيةً في عملها دون اعتبارٍ لرغبته، كانت تسجل ظلالاً طفيفةً من الاختلافات فيما يدور حوله، تغيير بسيط في نسبة الرّطوبة، هبوطٌ ضئيلٌ في درجة الحرارة، حركة حشرةٍ على سطح الخيمة، الاقتراب الهادئ لنور الفجر عبر قطعةٍ سماويةٍ مضاءةٍ بالنجوم رآها عبر الجزء الشّفاف من الخيمة.

هذا الفراغ الأجوف داخله لا يطاق، ولم تفيده معرفته للطّريقة التي بدأ فيها عدّ القنبلة التدريجي. باستطاعته أن ينظر لماضيه ويرى البداية: التّدريب الذي مر به، صقل مواهبه، الضغوط الدقيقة للفروع المعرفية المعقدة، بل واطلاعه الأول للإنجيل البرتقالي في لحظة مفصلية من حياته. ثم بعد كل هذا، كمية السيايس الهائلة التي استنشقها، والآن بإمكانه أن ينظر للأمام – نحو أشد الاتجاهات رهبة - ليرى النهاية التي يشير لها كل هذا.

! !

ثم قال: "لا! لا، لا، لا!" ووجد نفسه يضرب أرضية الخيمة بقبضتيه. ذاك الجزء العقلي - المستمرّ في تصلبه - سجّل ما يحدث كمعلومات عاطفية مثيرة للاهتمام، وبدأ يحللها.

"پاول!" اقتربت والدته تمسك بيديه، ووجهها في الظلام بقعة رمادية تحدق فيه. "پاول، ماذا حدث؟"

قال: "أنتِ!"

قالت: "أنا هنا يا پاول، لا بأس عليك".

طالبها: "ماذا فعلتِ بي؟"

وفي لحظة تجلّي، أدركت جذور المعاني المضمّنة في السؤال، فقالت: "لقد أنجبتُك"، بغريزتها وبقدراتها المعرفية الدّقيقة أعطته الإجابة المثلى التي ستفلح في تهدئته، شعر بيديها الممسكة به، وركّز انتباهه على شكل وجهها المعتم. وبذهنه المتدفق بقدراته الجديدة لاحظ الجينات التي شكلت تقاسيم وجهها، أضافها للمعلومات الأخرى، وخرج بنتيجة حسابية نهائية.

قال: "دعيني".

سمعت في صوته النبرة الحديدية، فأطاعت: "ألا تريد إخباري بالمشكلة يا پاول؟"

قال: "هل كنت تعلمين نتيجة ما تفعليه عندما كنت تدربينني؟"

فكرت: .قالت: "كنت أتمنى ما يتمناه كل والد، أن تصبح... متفوقاً مختلفاً".

"مختلف؟"

سمعت المرارة في صوته فقالت: "پاول، أنا..."

قال: "لم ترغبي في ابن! بل أردتِ كويزاتس هاديراك! أردتِ بني-جيزيرِت مذكر!"

جفلت من مرارته وقالت: "لكن يا پاول..."

"هل استشرتِ أبي قبل الإقدام على هذا؟"

ردّت في رقة متأثرة ببكائها السابق: "مهما يكن الشيء الذي أصبحتَه يا پاول، فإن هذه الصفات الوراثية جاءت من أبيك كما جاءت مني".

قال: "لكن ليس التدريب، والأشياء التي... أيقظت... النائم".

"النائم؟"

"إنه هنا"، ووضع يداً على رأسه ثم على صدره، "داخلي. مستمر في الكلام. يتكلم، ويتكلم، ويتكلم، و ..."

"پاول!" سمِعت الهيستيريا في صوته.

قال: "أصغي إليّ، أردتِ أن أشرح أحلامي للسّيدة الموقرة، أما الآن فاسمعي أنتِ مكانها، فقد رأيتُ لتوي حلم يقظة، أتعرفين لماذا؟"

قالت: "عليك أن تهدئ نفسك، لو هناك..."

قال: "السپايس، إنه يتغلغل في كل شيء هنا، الهواء والتربة والطعام، السپايس المضاد للشّيخوخة. إنّه كعقار كاهنات كشف الأكاذيب، إنّه سم!"

تصلب جسدها.

انخفض صوته وهو يردد: "سمٌ - يعمل بهدوءٍ، في مكرٍ... ولا يمكن عكس تأثيره. لا يقضي عليكَ إلا لو توقّفت عن تعاطيه، لا يمكن أن نرحل عن آرّاكس إلّا إذا أخذنا معنا قطعة من آرّاكس".

سمعت الحضور الرّهيب في صوته فقطع الشّك باليقين.

قال پاول: "أنتِ والسپايس، السپايس يغير الشخص إذا تناول هذه الكمية الكبيرة منه، لكن بفضلك أنتِ يمكنني إخراج هذا التغيير لمنطقة الوعي، ليس بإمكاني أن أتركه في لا الوعي حيث يمكن حجب ما يسببه من اضطراب، إنني أراه".

"پاول، إنك..."

كرّر: "أراه!"

سمعت في صوته غضباً جنونياً، ولم تعرف كيف تتصرف.

استأنف حديثه، وسمعت ضبطه لنفسه بقبضة حديدية: "نحن محاصران هنا".

كانت تتّفق معه. .وتقبّلت الحقيقة التي كشفتها كلماته، لن ينجح شيءٌ في تحريرهما من آرِّاكس. لا ضغوطات من بني-جيزيرِت، ولا خدعة ولا حيلة. السّيانيد مادة تسبب الإدمان. وجسدها كان يعرف هذه الحقيقة من قبل أن ينتبه لها عقلها.

فكّرت: . .

: - .

قال پاول: "يجب أن أخبرك بحلم اليقظة الذي رأيته"، وبدا الغضب في صوته. "ولكي تثقي فيما أقول فسأخبرك أولا إنني أعلم أنك ستنجبين إبنة، أختي، هنا على آرِّاكس."

أسندت جيسيكا يديها على أرضية الخيمة وضغطت بظهرها على الجدار القماشي لتخفف رجفة خوف انتابتها. كانت متأكدة من أن حملها لم يظهر بعد. تدريبها كبني-جيزيرِت هو ما مكنها من قراءة الإشارات الأولية في جسدها، لتكشف لها وجود الجنين الذي لم يزد عمره على بضعة أسابيع.

همست جيسيكا محاولة التشبث بشعار بني-جيزيرِت: "لنخدم فقط، هدفنا هو أن نخدم فقط".

قال پاول: "سنجد مأوى بين الفريمن، حيث أعدت لنا بعثاتكم الإرسالية مخبأً للطوارئ".

فكّرت: . لكن غرابة پاول أرعبتها فما عادت قادرة على تهدئة نفسها.

راقب صورتها في العتمة، وكشف له وعيه الإدراكي الجديد خوفها، بل وكل ردّ فعل يبدو عليها، وكأنه يراها في ضوء ساطع، بدأ يتسلل إليه شعور بالشفقة تجاهها.

قال: "أعجز أن أصف لك ما يحدث هنا، بل بالكاد أستطيع أن أصفه لنفسي، على الرغم من أنني رأيته، هذه القدرة على رؤية المستقبل، يبدو إنه لا يمكنني التحكم بها. تحدث تلقائياً. المستقبل القريب - سنة من الآن مثلاً - باستطاعتي أن أرى شيئاً منه، وكأنّه طريق عريض كالطريق الرّئيسي على كالادان. أمّا بعض الأماكن الأخرى فلا أراها، أماكن تحيط بها الظلال، كما لو أنها طرقٌ مختفية خلف تل"، ومن جديد تذكّر سطح المنديل الطائر، "وهناك أيضاً تفرعات في الطرق".

وسكت إذ امتلأ عقله بذكرى تلك الرّؤية، لا رؤيا منامية غيبية ولا خبرة حياتية تستطيع إعداده لاستقبال الإدراك الشامل الذي نتج عن تمزقٍ حُجُب وانكشاف الزّمن المتجرّد، وباستعادته ما مرّ به رأى غايته الرّهيبة، حياته المضغوطة تتّسع للخارج كفقاعةٍ تزداد حجماً، بينما يتراجع الزّمن أمامها.

بحثت جيسيكا عن مفتاح التّحكم بالإضاءة، وأدارته. طرد الضّوء الأخضر المُعتم بعض الظّلام، مخففاً من خوفها. نظرت لوجه پاول ولعينيه، ولتلك النّظرة الموجّهة لداخله. وتذكّرت أين رأت في السّابق مثل هذه النظرة. في الصّور التي تسجل الكوارث، على وجوه الأطفال الذين تعرضوا للمجاعات أو للإصابات الخطيرة، كانت العينان حفرتين، والفم خطٌ مستقيم، والوجنتان مسحوبتين للداخل.

.بالفعل لم يعد طفلاً

وتسلّل إلى ذهنها ما تعنيه كلماته، طارداً كل الأفكار الأخرى. باستطاعة پاول استشراف المستقبل، ويرى سبيلاً سيمكنهما من الهرب.

قالت: "إذن هناك طريقة للهروب من الهاركونِن".

قال ساخراً: الهاركونِن! انسي أولئك البشر المنحرفين"، وحملق في أمه متأملاً خطوط وجهها في الضوء، كانت خطوط الملامح تفضح حقيقتها.

قالت: "لا يجب أن تسمي الناس بشراً حقيقيين دون أن..."

قال: "لا تخدعي نفسك فتظني بأنك قادرة على رسم الحدّ الفاصل بين الاثنين. فنحن نحمل تاريخنا معنا. وأماه، هناك شيء تجهلينه، ويجب أن تعرفينه... نحن من آل هاركونِن".

انغلق ذهنها على نفسه كما لو أراد تجنّب كل المؤثرات الحسّية. لكن صوت پاول استمر في تقدمه العنيد للأمام، ساحباً إياها معه.

"عندما تتوفر لك مرآة تأملي وجهك، أو تأملي وجهي أنا الآن. الآثار واضحة لو لم تتعامي عنها. انظري ليدي، وتركيبة عظامي. وإن لم يقنعك أي من هذا فثقي بالأمر لأني قلته، لقد سرت في المستقبل، ونظرتُ للسّجلات، ورأيت الأماكن، وعندي كل المعلومات، نحن هاركونِن".

قالت: "إذن بالتأكيد فرع منشق من العائلة. نعم هذا ما حدث، أليس كذلك؟ قريب هاركوني..."

"بل أنت ابنة البارون"، قال الجملة وراقبها تغطي فمها بيدها. "في شبابه، جرّب البارون عينات متعددة من أنواع المتع. وسمح في إحدى المرات لواحدةٍ أن تغريه، لكن هدفها كان جزءاً من الخطة الجينية للبني-جيزيرِت، كانت واحدة منكن".

صدمتها الطريقة التي قال بها "منكن" وكأنّها صفعة، لكنّها حفزت عقلها على التفكير، فلم تستطع إنكار حقيقة كلماته. أطراف مبعثرة المعاني في ماضيها بدأت تتواصل وتترابط. الابنة التي أرادها بني-جيزيرِت لم تهدف لإنهاء النّزاع القديم بين آل آتريديز وآل هاركونِن... بل لتثبيت عنصر جينيٍّ وراثيٍّ معيّن في سلالتهما.

حاولت التوصل لإجابة.

قال پاول كما لو أنّه قرأ عقلها: "كانوا يظنون أنّهم يسعون لإيجادي. لكني لست ما كانوا يتوقعونه، وقد جئت قبل وقتي المحدد، وهذا أمر يجهلونه حتى الآن".

ضغطت جيسيكا بيديها على فمها.

! !

شعرت بأنّها مكشوفة وعارية أمامه، وأدركت في تلك اللحظة أنّه يراها بعينين لا يمكن أن يخفى عليهما سوى القليل. وهذا هو منبع خوفها.

قال: "خطر لكِ الآن أني الكويزاتس هاديراك! انسي هذا الأمر، أنا شيء غير متوقع!"

فكّرت: . .

قال: "لن يعلموا بأمري إلا بعد فوات الأوان".

أرادت أن تصرف انتباهه عن الموضوع فخفضت يديها وقالت: "سنجد لنا مأوى بين الفريمن؟"

قال: "عند الفريمن مقولة ينسبونها لـ شَاي-هولود، الشّيخ الخالد. يقولون: أعد نفسك كي تقدّر ما تلقاه حق قدره".

وفكّر: .

. .

قالت جيسيكا: "إن لم تكن الكويزاتس هاديراك فما..."

قال: "لا يمكن أن تستوعبي، لن تصدقي سوى ما ستراه عيناك".

وفكر: .وتجلت له خصوبة الأرض التي سقط فيها، وبهذا غمره الإدراك بالغاية الرهيبة، متسللاً عبر المكان الأجوف داخله، مهدداً بأن يخنقه الحزن.

رأى تفرّعين في الطريق الممتد أمامه، في أحدهما سيواجه بارون مسن شرير وسيقول له: "مرحباً يا جدّي"، أصابته الفكرة بالاشمئزاز، من هذه الطريق وما يقبع على امتدادها.

أمّا الطريق الأخرى فتملك قطع عريضة مختفية في ظلال رمادية، وإن بدت فيه قمم عنف صاعدة، رأى فيه ديانة حربية، ناراً تنتشر عبر الكون، وراية آل آتريديز الخضراء والسوداء تلوح خفاقة فوق فيالق متعصبة، قد أسكرها خمر السپايس. كان بين الجموع جيرني هاليك وبعض رجال أبيه - قلة قليلة من رجال أبيه - يرتدون علامة الصّقر المأخوذة من الضّريح الذي يضم جمجمة أبيه.

تمتم: "لا يمكن أن أمشي في هذا الطريق، فهو ما تريده ساحرات طائفتك العجائز".

قالت والدته: "أنا عاجزة عن فهمك يا پاول".

ظل صامتاً، يفكر كبذرة، متبنياً وعي جنسه الذي شعر به لأول مرة تحت مسمى: الغاية الرهيبة، اكتشف إنه لم يعد قادراً على كره بني-جيزيرِت ولا الإمبراطور ولا حتى الهاركونِن بعد الآن، فجميعهم يندفعون مع تيار حاجة جنسهم لتجديد ميراث مبعثر، أن يلتقوا ويختلطوا ويغرسوا سلالاتهم في بِركة جينات جديدة، ولا يعرف هذا العرق سوى طريقة واحدة لتحقيق كل هذا، طريقة قديمة، طريقة تدوس على كل شيء في طريقها: الجهاد.

.

لكنه رأى مجدداً بعين عقله ضريح جمجمة أبيه، والعنف الدائر، والرّاية ذات اللونين الأخضر والأسود.

تنحنحت جيسيكا وقد أقلقها صمته: "إذن.. هل سيوفر لنا الفريمن ملجأ؟"

رفع رأسه محدقاً في ملامح وجهها النبيلة في ضوء الوهج الأخضر: "أجل، هذه إحدى الطرق"، وأومأ "أجل، سيطلقون عليّ اسم، المؤدّب. المرشد في الطريق، أجل... هكذا سيكون لقبي بينهم".

وأغمض عينيه: .وأحس بالدّموع تنساب على وجنتيه.

الكتاب الثاني

المؤدّب

23

"عندما سمع أبي - الإمبراطور الپاديشي - بخبر وفاة الدّوق ليتو وبطريقة موته اشتعل غضبه بدرجةٍ لم نشهدها من قبل.

ألقى باللّائمة على أمي وعلى الاتفاق الذي أُجبر عليه، والذي يحتّم عليه أن يورث عرشه لواحدة من بني-جيزيرِت.

وألقى باللائمة أيضاً على نقابة الفضاء وعلى البارون الشّرير. لام كلّ من وقع بصره عليه، حتى أنا لم أسلم من هذا اللّوم، حيث قال إنني ساحرة مثل الأخريات، وعندما حاولت تهدئته وإخباره أن ما حدث قد تم بموجب قانون طبيعي قديم هو قانون حفظ الذّات، والذي يطيعه كل الحكّام القدماء، تهكّم وسألني إن كنت أظنّه ضعيف العقل، في تلك اللّحظة أدركت أن ما أثار فيه هذا الغضب لم يكن اهتمامه بمصير الدّوق ليتو، بل بما ينطوي عليه هذا الموت من نتيجة تمسّ الطّبقة الحاكمة بأكملها، وإذ أعود بذاكرتي لتلك اللّحظة يخيّل لي أنّ أبي كان يتمتع بشيء من القدرة الاستبصارية أيضاً، فمن المؤكد أن أسلافه كانوا يشاركون أسلاف المؤدّب في النّسب".

من كتاب (في بيت أبي)، تأليف الأميرة إيرولان

همس پاول: "والآن سيقاتل الهاركوني أخاه الهاركوني".

كان قد استيقظ من نومه قبل حلول اللّيل بقليل، واعتدل جالساً في خيمة التّقطير المظلمة المحكمة الغلق، وإذ تكلّم سمع حركاتٍ خافتةٍ من أمّه النائمة في الجهة الأخرى من الخيمة.

ألقى پاول نظرةً على الرادار، مدققاً في تفاصيل قرصه في ضوء الأنابيب الفوسفورية.

قالت والدته: "سيحل اللّيل بعد قليل، فلم لا ترفع ستائر الخيمة؟"

حينها فقط انتبه پاول أن إيقاع تنفسها كان تغير منذ فترة، أي أنها كانت ترقد صامتةً في الظّلام إلى أن تتأكّد من استيقاظه.

قال: "لن يجدي رفع الستائر، فقد هبّتْ عاصفةٌ وغطّت الرّمال الخيمة، سأحفر لنا طريقاً للخروج بعد قليل".

"لا أثر لدَنكِن بعد؟"

"لا".

بحركةٍ لا شعوريةٍ حكّ پاول الخاتم الدّوقي المطوّق لإبهامه، هزّته موجة غضبٍ مفاجئةٍ ضدّ هذا الكوكب، الكوكب الذي كان سبباً في قتل والده.

قالت جيسيكا: "سمعتُ بداية هبوب العاصفة".

ساعدته كلماتها البسيطة على استعادة بعض هدوئه، ركّز عقلُه على العاصفة ورؤيته لبدايتها عبر الجزء الشّفاف من الخيمة. قطراتٌ رمليةٌ باردةٌ تعبر الحوض المنخفض ثم تتحول لغدران وخيوط، كخنادق محفورة في مشهد السّماء، لحظتها كان ينظر لقمّة صخرية، ورأى التّغيير الذي طرأ عليها بتأثير الهبّة، محولةً الوتد إلى شريحة بلون جبن التشيدَر، أمّا الرّمال المتدفقة للحوض الذي قبعت فيها خيمتهم فصبغت السّماء بلون الكاري، ثم حجبت النّور بالكامل إذ بدأت الرّمال تغطي الخيمة.

صدر صريرٌ من قوائم الخيمة من ثقل الرّمال، ثم ساد صمتٌ لم يقطعه سوى الصّفير الخافت من

المنفاخ الهوائي لأنبوب التّنفس الصحراوي وهو يضخ الهواء من السطح لداخل الخيمة.

قالت جيسيكا: "حاول مع جهاز الاستقبال".

قال: "لا فائدة".

بحث عن أنبوب الماء المرتبط ببذلة التّقطير، وشفط جرعةً دافئةً، وخطر له أنه في هذه اللّحظة قد بدأ فعلياً حياة آرّاكسية، وصار يعيش على ماءٍ مستعاد من تنفّسه وجسده، كان الماء مقطرا وبلا طعمٍ، لكنّه أراح بلعومه.

سمعت جيسيكا پاول وهو يشرب، وأحسّت ببذلة تقطيرها الملتصقة بجسدها، إلا أنها رفضت الاعتراف بعطشها، ففي الاعتراف استسلامٌ تامٌ للضّرورات الحياتية الرّهيبة على آرّاكس – اعتراف بحاجتها لتجنّب فقدان ولو جزءٍ صغيرٍ من الرّطوبة، والتّشبث بالقطرات القليلة المتجمّعة في جيوب الخيمة، وأن تضنّ على الهواء بضياعِ نفَس واحد.

ما أهون أن تنسحب الآن عائدةً للنّوم.

لكنّ نومها حمل لها الأحلام، وارتجفت لذكرى ذاك الحلم حيث مدت يديها تحت رمل يتساقط ليدفن اسماً مكتوباً: الدّوق ليتو آتريديز. كان الرمل يغشى الاسم ويمحوه وهي تحاول إصلاحه، لكن الرّمال كانت تملؤ الحرف الأول كلما همّت بكتابة الأخير.

ولم يتوقف الرّمل عن التّدفق.

تحوّل حلمها لعويلٍ يعلو صوته، ويعلو، عويل سخيف. وأدرك جزءٌ من ذهنها أنه صوتها عندما كانت طفلةً صغيرةً، لم تتعد مرحلة الرضاعة إلا بقليل. وامرأة - تعجز الذاكرة عن استعادة ملامحها - تهمّ بالرّحيل.

. - .

قال پاول: "السپايس هو نقطة ضعفهم".

قالت: "لكن الكوكب بأكمله سپايس، كيف ستوجه لهم ضربة؟"

سمعته يتحرك من مكانه، وصوت حقيبتهما تتحرك على أرضيّة الخيمة.

قال: "على كالادان، كنا نستخدم القوة البحرية والجوية، أمّا هنا فالسرّ في القوّة الصّحراوية، الفريمن هم المفتاح".

كان يجلس قريباً من قفل الخيمة، وسمعت في صوته نبرة مرارةٍ تجاهها.

... .

. -

أشعل پاول المصباح فأغرق ضوئه الأخضر قبّة الخيمة. جثا پاول بجانب قفل الخيمة، وبدا مستعداً للخروج في الصّحراء المفتوحة، فقد ضبط بذلته جيداً: غطاء الجبين المحكم، ومرشحّ الفم وسدّادات الأنف في مكانها، لم يبد من وراء لثامه الضّيق سوى عينيه الداكنتين، نظر نحوها مرة ثم استدار.

قال: "أحكمي بذلتك استعداداً للخروج"، وكان صوته مكتوماً من خلف المرشح.

سحبت جيسيكا المرشح فوق فمها، وبدأت ضبط قلنسوتها فيما فتح پاول قفل الخيمة.

وما أن انفتح القفل حتى اندفعت الرّمال في فحيح خشنٍ إلى داخل الخيمة، فحاول پاول إيقاف التّدفق

بآلة الدمج الاستاتيكي. تكوّنت فتحة في الحائط الرمليّ المحيط بالخيمة بفضل الآلة في يد پاول، انزلق عبر الفتحة وتابعت أذناها تقدّمه نحو السّطح.

تساءلت:

فكّرت في آلة الدّمج وفي المعدّات الأخرى الغريبة في الحقيبة. الآن تحولت تلك الأدوات إلى إشاراتٍ على وجود مخاطر غامضة، شعرت بنسيمٍ ساخنٍ مسّ وجنتيها المكشوفتين فوق المرشح.

جاء صوت پاول منخفضاً وحذراً: "ناوليني الحقيبة".

أطاعت تعليماته ودفعت الحقيبة على أرضيّة الخيمة فسمعت الماء يقرقر في القرب. رفعت بصرها فبرزت لها هيئة پاول تحيطه نجوم الخلفية.

قال "هاتِها"، ومد يديه ساحباً الحقيبة إلى السطح.

ومع حركة پاول لم تعد ترى سوى دائرة النّجوم، كسنون أسلحةٍ لامعةٍ موجهةٍ نحوها. عَبَرَت السّماء شهبٌ فبدت لها كأنّها تحذير، كأنّها خطوط جلد النّمر، كأنها شواهد قبورٍ مضيئةٍ خفقت دماؤها، وأصابتها رجفةٌ من برودة نصل السّيف المرفوع على رأسيهما.

قال پاول: "أسرعي، أريد أن أفكّك الخيمة"،

اندفعت رمالٌ من السّطح لتسقط على يدها اليسرى، سألت نفسها:

قال پاول: "تريدين مساعدة؟"

"لا".

ازدرت ريقها في حلقٍ جافٍ، وانزلقت عبر الفتحة، شاعرةً تحت يديها بالرّمال التي ضغطتها الشّحنة الاستاتيكية. أمسك پاول بذراعها وسحبها، وقفت جواره على رقعةٍ ناعمةٍ من الصحراء المضاءة بالنّجوم، وحدّقت فيما حولها، كاد الرّمل يملأ حوضهما حتى الحافة، ولم تظهر سوى حافة رفيعة من الصّخور المحيطة، دققت بحواسّها المدرّبة في الظّلمة البعيدة.

أصوات حيواناتٍ صغيرةٍ، طيور، وحفيف رملٍ يتحرّك وأصوات خافتةٍ لحيوانات، صوت پاول وهو يفكك خيمتهما ويسحبها من الحفرة.

أخفق ضوء النّجوم الخافت في إنارة الموقع، محولاً الظلال إلى مخابئ يتربّص فيها الخطر، نظرت لبقع السّواد المظلم حولها، وفكّرت:

.

.

لحظاتٍ ثمّ وقف پاول جوارها، وقال: "أخبرني دَنكِن في حالة القبض عليه سيحاول الصّمود قدرٍ الإمكان، لذا علينا أن نرحل الآن"، وضع الحقيبة على ظهره وخطا نحو حافّة الحوض وتسلّقها مطلا على الصّحراء الممتدة.

تبعته جيسيكا تلقائياً، غير غافلة أنها تدور الآن في فلك ابنها، فكرت: .

: .

أحسّت بالرمال تتعلق بقدميها وهي تتسلق لتصعد جوار پاول.

نظر شمالاً في اتجاه سلسلة صخرية، فاحصاً جُرفاً برز من بعيد.

بدت الصّخور البعيدة كسفينةٍ حربيةٍ بحريةٍ قديمةٍ تحيط بها النّجوم، ترفع بدنها الطّويل موجةٌ غير

مرئية، وارتفعت فوقها صخورٌ كأنّها حركات تشكيل فوق الحروف، مداخنها مقوسة للخلف، وفي مؤخرتها ارتفعت صخرة على شكل الرّمز الرياضي پاي.

نبض فوق الصّخور وهجٍ برتقالي، وسقط خطٌّ بنفسجيٌّ لامعٌ نحو الوهج. ثم خطٌّ بنفسجيٌّ آخر! تبعه وهجٌ برتقاليٌّ آخر صاعداً للأعلى!

شدّتهما الأضواء وأبهرتهما، كأنّها معركةٌ بحريةٌ قديمةٌ من التي كانت تستخدم القذائف المتفجرة.

همس پاول: "أعمدةٌ ناريّة".

ارتفعتْ فوق الصّخور البعيدة حلقةٌ من العيون الحمراء، وهبطتْ من السّماء خطوطٌ بنفسجيةٌ مهاجمةٌ.

قالت جيسيكا: "دفقاتٌ ناريةٌ ومدافع ليزرية".

على اليسار ارتفع قمر آرّاكس الأول فوق خطّ الأفق، محمراً من أثر الغبار، والتقطت عيونهما عاصفةً تتحرّك ببطءٍ في ذلك الاتجاه، تتراقص كشريطٍ فوق الصّحراء.

قال پاول: "لابدّ أنها طائرات ثوبتر هاركونية تبحث عنا، وطريقتهم في تمشيط الصّحراء بأسلحتهم هكذا، كأنّهم يسعون للتيقن من أنّهم سحقوا كل شيء، نفس الطريقة التي قد يتّبعها المرء لسحق عشّ من الحشرات".

قالت جيسيكا: "أو عشٍّ من الآتريديز".

قال پاول: "علينا أن نبحث عن مكانٍ نختبئ فيه، سنتجه جنوباً ونلتزم بالسّير في المناطق الصّخرية، فلو عثروا علينا ونحن في مكان مفتوح..." واستدار، ضابطاً وضع الحقيبة على كتفيه، "إنهم يقتلون كل ما يتحرك".

خطا خطوةً على الحافّة، وسمع هسيس الّطائرة المنقضة، ورأى الأشكال المعتمة للأورنيثوبترات المحلّقة فوقهما.

24

أخبرني أبي مرةً أن احترام الحقيقة يكاد يكون هو الأساس الذي تقوم عليه كل الاعتبارات الأخلاقية، وقال: " لا يمكن لشيءٍ أن يظهر من العدم"، وهذا تفكيرٌ عميقٌ للغاية إن أدركتَ أن الحقيقة أمرٌ غير مستقرٍّ.

من كتاب (حوارات مع المؤدّب)، تأليف الأميرة إيرولان

قال ظافر حواط: "لطالما تباهيت بقدرتي على رؤية الأمور على حقيقتها، إنها لعنة كل مِنتاتٍ أن يعجز عن منع نفسه من تحليل كل البيانات".

بدا الوجه المسنّ المتغضنِ وقوراً في العتمة السّابقة لبزوغ الفجر، شفتاه التي بقّعها مشروب السافو كانت مشدودةً في شكل خطٍ مستقيمٍ تنتشر منه خطوط التّجاعيد.

جلس على الرّمال رجلٌ - مكتسٍ رداء - جلسة القرفصاء، ولم يبد عليه التّأثر بالكلمات.

ربضِ الاثنان تحت جزءٍ صخريٍ معلقٍ، مطلٍّ علي منطقة حوضٍ ضحلٍ واسعٍ، وفوق الجروف المتكسرة على امتداد الحوضِ نشرَ الفجرِ ضوءه بالتدريج، مخضباً كل شيءٍ بلونٍ زهري. كان الجو بارداً تحت الصّخرةِ، برودةً جافةً تنفذ في الجسد، هي أثرٌ متبقٍ من برودة اللّيل. قبل الفجر بقليلٍ مرّت بهم ريّح دافئةٌ، أمّا الآن فهو مكانٌ باردٌ، وسمع حواط صوت اصطكاك الأسنان من خلفه بين العدد الضّئيل من الجنود الذين نجوا معه.

مع أوّل أضواء الفجر الكاذب أتاهم الرّجل الجالس القرفصاء، عابراً منطقة الحوض برشاقةٍ، مموَّهاً مع الكثبان بحيث لا تكاد حركاته تظهر للنّاظر.

وضع الفريمني إصبعه على الرّمل الفاصل بينهما ورسم شكلاً. بدا الشّكل كسلطانية يسقط منها سهم، وقال: "هناك دوريات هاركونية كثيرة"، ورفع إصبعه مشيراً لأعلى، لمنطقة الجروف الصخرية التي هبط منها حواط ورجاله.

أومأ حواط. . .

لكنه ما زال يجهل ما يريده هذا الفريمني، وهذا الأمر أزعجه، فمن المفترض أن التدريب المِنتاتي يمنح صاحبه القدرة على فهم دوافع الآخرين. كانت أسوأ ليلةٍ في حياة حواط. كان في تسيمبو - قرية حدودية، تعتبر نقطة خفارة للعاصمة السّابقة، قرطاج - عندما بدأت ترده أخبار الهجمة.

.

لكن تسارعت التّقارير واحداً بعد الآخر، هبط فيلقان في قرطاج وخمسة فيالق - أي 50 فرقة عسكرية تهاجم قاعدة الدّوق الرّئيسية في آرّاكين، وفيلقٌ آخر في آرسونت، ومجموعتان حربيّتان عند منطقة الصّخرة المنفلقة.

ثم أصبحت التّقارير تفصيلية أكثر. جنود ساردوكار إمبراطوريون، وربما يصل عددهم لفيلقين، ثم اتضح أن الغزاة يعرفون حجم القوّة التي يجب إرسالها لكل منطقة، دقّة هائلةٌ، معلومات مخابراتية ممتازة.

صدمته الغاضبة كادت أن تهدد سلاسة وظائفه المِنتاتية، فحجم الهجمة التي تعرضوا لها، كان بمثابة لكمة أصابت ذهنه.

والآن، وهو مختبئٌ تحت صخرةٍ من صخور الصّحراء، أومأ رأسه وجمع حوله ثوبه الممزّق كما لو كان يبعد عن نفسه الظّلال الباردة.

حجم الهجمة!

منذ فترةٍ وهو يتوقّع أن يستأجر العدو من النّقابة سفن اللايتر الصّغيرة ليستخدمها في غزوات تخترق دفاعاتهم. وهي مناورةٌ مألوفةٌ في هذا النّوع من الحرب بين أسر النبلاء، فسفن اللايتر تهبط وتقلع على آرّاكس بصفةٍ دوريةٍ في عمليّات نقل السپايس لصالح آل آتريديز. وقد أخذ حواط احتياطاته ضدّ حدوث هجماتٍ فجائيةٍ تستخدم سفن لايتر مزيفة تتظاهر بنقل السپايس، أمّا في حالة حدوث هجومٍ شاملٍ فلم يتوقعوا أن يزيد حجمه عن عشرة فرق عسكرية.

لكن الآن، وحسب آخر تقريرٍ إحصائيّ، فقد رست على آرّاكس أكثر من 2000 سفينة، ليست من نوع اللايتر فحسب، بل فرقاطات أيضاً، وسفن استطلاع ومراقبة، وساحقات، وحاملات جنود، وحاملات حاويات. أكثر من 100 فرقة، أي 10 فيالق! هجمة بهذا الحجم قد تصل تكلفتها مجموع أرباح سپايس آرّاكس لمدة 50 سنة قادمة.

ناهيك عن.

مسألة الخائن.

!
في هويّة الخائن... إنّها اللّيدي جيسيكا. كل الحقائق تنطبق عليها. لم يكن لديّ أدنى شكٍّ

قال الفريمني: "رجلك المسمى جيرني هاليك وبعض قوّاته في مأمن مع أصدقائنا المهربين".

"جيد"، سيتمكن جيرني من الرّحيل عن هذا الكوكب الجهنمي، لم نفنى كلنا إذن.

ألقى حواط نظرةً حيث ربض رجاله. كان قد بدأ اللّيلة ومعه 300 من خيرة الجنود، ومن هؤلاء لم يتبق الآن سوى 20، نصفهم جرحى. بعضهم خلد للنوم، وبعضهم واقف، والبعض يسند ظهره للصّخور، أو متمدِّد على الرّمل تحت الصّخرة. آخر ثوبترٍ متوفرة لهم - والتي كانوا يستخدمونها لنقل الجرحى - لفظت أنفاسها الأخيرة قبل الفجر مباشرة، قطّعوها بمسدّسات الليزر وأخفوا الأجزاء، ثم هبطوا لمكان الاختباء هذا، عند حافّة الحوض.

كانت لديه فكرةٌ عامةٌ عن موقعهم، حوالي 200 كيلومتر جنوب شرق آرّاكين. وحسب معرفته، فإنّ الطّريق الرّئيسي المستخدم للتّنقل بين مجتمعات السيآتشات القريبة من الجدار الجبلي يقع في مكانٍ باتجاه الجنوب من موقعهم هذا.

طرح الفريمني بقلنسوته للوراء وبغطاء رأس بذلة التّقطير، كاشفاً عن شعرٍ ولحيةٍ بلونٍ أصفر كصفرة الرّمل، شعره ممشطاً للخلف في خطوطٍ مستقيمةٍ، والجبهة عاليةٌ وضيِّقة. والعينان تامتا الزّرقة يصعب قراءتهما. اللّحية والشارب كانا مبقّعين على جانب من الفم، والشّعر متلبدٌ في هذا الموضع من أثر أنبوب التّجميع الخارج من سدادات أنفه. نزع الرّجل سدّادتيه وأعاد ضبطهما، وحكّ ندبة بجانب أنفه.

قال الفريمني: "إن عبرتم منطقة الغور هذه اللّيلة فلا تستخدموا الدّروع. هناك شقٌّ في الجدار"، ودار على عقبيه مشيراً للجنوب: "... هناك، وهي منطقةٌ رملية ممتدةٌ حتى منطقة العِرق. الدّروع ستجذب إليكم..."، ثم تردّد لحظةً وأكمل: "... دودة. قلما يأتون إلى هنا، لكن دروع الطاقة تستدعيهم لا محالة".

تنهّد حواط، فهو لم يشعر بمثل هذا الإرهاق من قبل، كان إعياءً عضليًّا تعجز حبوب الطّاقة عن معالجته.

اللّعنة على الساردوكار!

لام نفسه بمرارةٍ، وفكّر في مؤشّرات خيانة الإمبراطور بإرسال جنوده، حساباته المِنتاتية للمعلومات

تشير إلى استحالة الحصول على أدلة يمكن عرضها أمام مجلس اللاندسراد لإثبات تلك الخيانة، وهو المجلس الوحيد الذي يمكن أن تتحقّق فيه العدالة.

قال الفريمني: "تريد الذّهاب للمهرّبين؟"

"هل هذا ممكن؟"

"الطريق طويلة".

كان آيداهو قد أخبره: .

قال حواط: "لم تخبرني بعد إن كان بإمكان قومك مساعدة جرحانا!".

"إنّهم جرحى".

!

قال حواط بحدّة: "نعلم أنّهم جرحى، لم يكن هذا هو ما..."

قال الفريمني ناصحاً: "اهدأ يا صديقي، ما رأي جرحاكم؟ هل بينهم من يدرك حاجة قبيلتك للماء؟"

قال حواط: "لم نتكلم بشأن الماء، نحن..."

قال الفريمني: "أتفَهّم ترددك، فهم أصدقاؤك، رجال قبيلتك، هل معكم ماء؟"

"ليس بالقدر الكافي".

أشار الفريمني لرداء حواط وجلده المكشوف تحته: "هوجمتم وأنتم في 'السيآتش' الخاص بكم، غير مرتدين لبذلات التقطير، عليكم أن تتخذوا قرارا بخصوص الماء يا صديقي".

"هل يمكن أن ندفع مقابل مساعدتكم لنا؟"

هزّ الفريمني كتفيه: "لكنكم لا تملكون ماء"، ونظر للمجموعة خلف حواط: "مستعدٌ أن تنفق كم من جرحاكم؟"

صمت حواط محدقاً في الرجل. كشفت له مهارته كمِنتات أنّ حوارهما لم يكن على نفس الموجة، أصوات الكلمات لم تفلح في التّواصل بالطّريقة المعتادة.

قال: "أنا ظافر حواط، وبإمكاني أن أتحدث بالنّيابة عن دوقي، وأتعهد لك بمقابل لمساعدتك لنا، ما أطلبه هو مساعدة محدودة، أن ننجو إلى أن ننجح في قتل خائنة تظنّ أن الثّأر لن يطالها".

"هل تريد أن ننضم لك في تنفيذ ثأر؟"

"الثّأر سأتكفل به بنفسي، ما أريده هو التحرر من مسؤوليتي تجاه الجرحى لأنفذ عملية الثّأر".

عبس الفريمني: "ولماذا تظن أنك مسؤول عن جرحاك؟ هم مسؤولية أنفسهم، نحن نواجه مسألة الماء يا ظافر حواط، هل تريد مني أن أتخذ القرار بدلا عنك؟" ووضع الرجل يده على سلاح مخفٍ تحت ردائه.

توتّر حواط:

قال الفريمني بنبرة آمرة: "مم تخاف؟"

!

تكلّم بحذر قائلاً: "هناك ثمنٌ مرصودٌ مقابل رأسي".

أبعد الفريمني يده عن سلاحه: "آآه. وتظن أننا مصابون بالفساد الأخلاقي البيزنطي المادي، إنك لا تعرفنا حق المعرفة، كل ما يملكه آل هاركونِن من الماء لا يكفي لشراء أصغر طفل بيننا".

فكرّ حواط: 2000 .لم يفق بعد من انذهاله من تلك التّكلفة.

قال حواط: "كلانا يقاتل الهاركونِن، أليس من الأفضل أن نتشارك المشاكل ونتبادل أساليب التعامل مع القتال؟"

قال الفريمني: "نحن نتشارك الآن، رأيتك تقاتل الهاركونِن. إنك مقاتل جيد، مرّت بي مواقف كنت سأقدّر وجود ذراعك بجانبي".

قال حواط: "أخبرني أين يمكن لذراعي أن تعينك".

قال الفريمني: "من يدري؟ قوات الهاركونن في كل مكان. لكنك لم تتخذ القرار المائي بعد، ولا عرضته على جرحاك".

فكّر حواط: . .قال: "أيمكن أن تريني طريقتكم... الطّريقة الآرّاكسية؟"

قال الفريمني بنبرة فيها بعض التّهكم: "هذا تفكيرٌ أجنبيٌّ غريبٌ"، وأشار للشّمال الغربي فيما وراء قمّة الجرف: "راقبناكم تعبرون المنطقة الرّملية بالأمس"، وخفض ذراعه "جعلت قواتك تسير على الجزء الزلق للكثيب، تصرفٌ خاطئٌ وليس معكم بذلات تقطير ولا ماء، لن تنجوا طويلا".

قال حواط: "أساليب آرّاكس صعبة".

"هذه حقيقة، لكننا قتلنا هاركونيين".

قال حواط: "ماذا تفعلون بجرحاكم؟"

قال الفريمني: "ألا يعلم المرء إن كان يمكن علاجه أم لا؟ جرحاكم يعلمون شحّ الماء"، وأمال رأسه ناظراً لحواط بطرف عينه: "واضحٌ أنّ هذا وقتُ اتّخاذ قرارٍ مائيٍّ، كلٌ من الجرحى وغير الجرحى عليهم أن يراعوا مستقبل القبيلة".

فكّر حواط: . . .ثم أجبر نفسه على طرح السؤال الذي كان يتجنبه. "عندك أخبار عن دوقي وابنه؟"

حدّقت عينان يصعب قراءتهما في حواط: "أخبار؟"

قال حواط بحدة: "مصيرهما".

قال الفريمني: "مصير كل البشر واحد. أمّا دوقك فيقال أنه لاقى حتفه. أما لسان الغيب، ابنه، فالأمر في يد لييّت، ولييّت لم يقل".

فكر حواط: .ورمى بنظرةٍ خلفه نحو رجاله. كانوا مستيقظين كلهم الآن، ويصغون، حدّقوا في الرّمال الممتدة، وبدت على وجوههم علامات الإدراك: لا عودة لكالادان، وها هو آرّاكس ضاع منهم.

عاد حواط بانتباهه للفريمني: "هل سمعت أخباراً عن دَنكِن آيداهو؟"

قال الفريمني: "كان في البيت الكبير عندما سقطت الدّروع. هذا هو ما سمعته... لا أكثر".

. .

. -

حاول حواط أن يبلع ريقه في حلقه الجاف: "متى سيصلكم خبر الفتى؟"

قال الفريمني: "لا نعلم سوى القليل مما يدور في آرّاكين، من يدري؟"

"عندكم طرق؟"

"ربّما"، وحكّ النّدبة المجاورة لأنفه، "أخبرني يا ظافر حواط، هل تعرف تلك الأسلحة الكبيرة التي استخدمها الهاركونِن؟"

فكّر حواط بمرارةٍ:

قال: "تقصد المدافع التي استخدموها لحبس جنودنا داخل الكهوف. عندي... معرفة نظرية بهذا النوع من الأسلحة المتفجرة".

قال الفريمني: "كل من يتقهقر مستتراً بكهفٍ ليس به سوى فتحةٍ واحدةٍ، يستحق أن يموت".

"لِمَ تسأل عن الأسلحة؟"

"مشيئة لييّت".

تساءل حواط:

قال: "هل جئت هنا للحصول على معلومات عن الأسلحة الكبيرة؟"

" لييّت شاء رؤية أحد هذه الأسلحة بنفسه".

قال حواط متهكماً: "ما عليك سوى أن تحصل على واحد".

قال الفريمني: "أجل، حصلنا على واحد. أخفيناه في مكان ليفحصه ستيلغار من أجل لييّت، وحيث يمكن للييّت أن يراه بنفسه إن شاء. لكني أشكّ أن يرغب في هذا، فليس سلاحاً جيداً، تصميمه لا يصلح لطبيعة آرّاكس".

قال حواط: "أنتم... حصلتم على واحد؟"

قال الفريمني: "كانت معركةٌ جيّدة. فقدنا رجلين فقط، وسفكنا ماءً ما يزيد عن 100 من الطّرف الآخر".

فكّر حواط:

.

!

قال الفريمني: "ولم نكن سنفقد الاثنين لولا الذين يحاربون بجانب الهاركونِن، بينهم مقاتلون أشدّاء".

اقترب منهما أحد رجال حواط وهو يعرج، ونظر للفريمني الجالس القرفصاء: "أتقصد الساردوكار؟"

قال حواط: "يقصد الساردوكار".

قال الفريمني: "ساردوكار!"، وظهر في صوته طرب. "آها، هذه هي حقيقتهم إذن! ليلة ممتازة. ساردوكار. أي فيلق بالضبط؟ هل عندك علم؟"

قال حواط: "لا ندري".

قال الفريمني متدبراً: "ساردوكار، ومع ذلك كانوا يرتدون ملابس الهاركونِن، أليس هذا غريباً؟"

قال حواط: "لا يرغب الإمبراطور في انكشاف حقيقة أنه يقاتل إحدى أسر النبلاء".

"لكنك تعلم أنهم ساردوكار".

فقال حواط بمرارة: "ومن أنا؟"

قال الرّد بنبرة تقريرية: "أنت ظافر حواط. على كلٍ، كنا سنكتشف الحقيقية ولو بعد حين، أرسلنا ثلاثة أسرى منهم ليستجوبهم رجال لييّت".

تكلم مساعد حواط ببطء، والشّك يقطر من كل كلمة: "أنتم... أسرتم بعض الساردوكار؟"

قال الفريمني: "ثلاثة فقط، لقد قاتلوا بشراسة".

فكر حواط: . جالت الفكرة المريرة في ذهنه.
. ! !

قال الفريمني: "ربّما تردّدك هو بسبب قلقك على لسان الغيب. إن كان فعلاً لسان الغيب فيستحيل أن يصيبه سوء. فلا تشغل فكرك بأمر لم يُحدد بعد".

قال حواط: "إنني أخدم... لسان الغيب، تهمني سلامته، وقد بايعته بروحي".

"حلفت بعقد بيعة لمائه؟"

رمى حواط بنظرة إلى مساعده الذي كان لا يزال يحملق في الفريمني، ثم عاد بانتباهه له: "لمائه، أجل".

"وترغب في العودة لآرّاكين، لموضع مائه؟"

"ل-... أجل، لموضع مائه".

"ولم لم تقل من البداية أن الموضوع هو موضوع ماء؟"، ونهض محكماً سدادتي أنفه.

أشار حواط برأسه لمساعده ليعود للآخرين، أطاعه الرّجل بهزة كتفٍ متعبةٍ. وسمع حواط حواراً هامساً بين الرّجال.

قال الفريمني: "إذا كان في نهاية الدّرب مياه، فهناك دائماً درب يؤدي لها".

صدرت شتيمةٌ من أحد الرّجال خلف حواط، صاح المساعد بحواط قائلاً: "ظافر! تُوفي آركي".

وضع الفريمني قبضةً بقرب أذنه وقال: "إنها رابطة الماء! هذه علامة من القدر!"، وحدّق في حواط. "عندنا مكان في موضع قريب معد لاستقبال الماء، هل أدعو رجالي؟"

عاد مساعد حواط لجواره وقال: "ظافر، بعض الرّجال تركوا زوجاتهم في آرّاكين. وهم... أنت تدري كيف تكون الأمور في أوقات كهذه".

في نبرة ملحة، قال الفريمني وقبضته ما بارحت أذنه: "أهي رابطة ماء يا ظافر حواط؟"

دار عقل حواط وكأنه في سباق، وبدأ يستشعر في هذه اللّحظة مغزى كلمات الفريمني، لكنه خشي ردّ فعل الرّجال المرهقين المتجمعين تحت الصخرة المعلقة.

قال حواط: "إنها رابطة الماء".

قال الفريمني: "إذن فلتندمج قبيلتانا"، وخفض قبضته.

وكما لو أنّها إشارة متفق عليها، انزلق أربعة رجال هابطين من الصّخور التي تعلوهم، أسرعوا ودثروا الميت في رداء فضفاض وحملوه، وركضوا به على امتداد جدار الجرف جهة اليمين، وثار

الغبار من تحت أقدامهم الراكضة. جرى الأمر بسرعةٍ بالغةٍ قبل أن يستوعبه رجال حواط المرهقين، وعندما وعوا ما حدث، كانت مجموعة الرّجال - ومعهم الجثّة المحمولة - قد اختفت خلف ثنايا الجرف.

ارتفع صوت أحد رجال حواط قائلاً: "إلى أين يأخذون آركي؟ لقد كان..."

قال حواط: "أخذوه كي... يدفنوه".

صاح الرجل: "الفريمن لا يدفنون موتاهم. لا تحاول خداعنا يا ظافر، نعلم جيداً ماذا يفعلون، كان آركي واحداً من..."

قال الفريمني: "الفردوس بلا شك هو مصير الرجل الذي يموت في خدمة لسان الغيب، فإن كان من تخدمون هو لسان الغيب كما تقولون فلن ترفعوا أصواتكم بالعويل، ستعيش ذكرى من مات في سبيل هذا طالما استمرت الذاكرة البشرية".

لكن رجال حواط بدؤوا يتحركون، تعلوا وجوههم نظرات غاضبة، شهر أحدهم مسدس ليزري.

صاح حواط: "قفوا في أماكنكم!"، وحاول كبح الإرهاق القابض على عضلاته. "هؤلاء الناس يحترمون موتانا. تتباين الأعراف، ويبقى المغزى واحد".

زمجر الرجل الممسك بالمسدس قائلاً: "سيذيبون آركي للحصول على ماء جسده!"

قال الفريمني: "هل المشكلة هي أن رجالك يرغبون في حضور مراسم الطقس؟"

فكّر حواط: .وأرعبته سذاجة الفريمني.

قال حواط: "سيهتمون به كرفيق دربٍ يوقرونه".

قال الفريمني: "سنعامل زميلك بنفس التّوقير الذي نعامل به موتانا، فالرابطة الآن هي رابطة ماء، ونعرف الطقوس الشّعائرية، لحم المرء ملكه أما ماؤه فملك لقبيلته".

سارع حواط بالكلام إذ رأى الرّجل الممسك بالمسدس يخطو خطوة أخرى: "هل ستساعدون جرحانا الآن؟"

قال الفريمني: "لا جدال في الالتزام بالرابطة، سنساعدكم كما تساعد القبيلة أبناءها بالضبط، وأول شيء هو توفير بذلات لترتدوها ثم الاهتمام بباقي الضّروريات".

ظهر التّردد على الرجل الممسك بالمسدّس الليزري.

قال مساعد حواط: "هل نشتري العون ب-... ماء آركي؟"

قال حواط: "ليس شراءً، بل قد انضممنا لهؤلاء القوم".

تمتم أحد رجاله: "تتباين الأعراف".

بدأ الارتياح يغمر حواط.

"وهل سيساعدوننا في الوصول لآرّاكين؟"

قال الفريمني: "سنقتل هاركونِن"، وابتسم مضيفاً: "وساردوكار"، ثم تراجع خطوةً وجمع يديه جوار أذنيه ومال برأسه للخلف مصغياً، بعد لحظاتٍ خفض يديه وقال: "مركبةٌ طائرةٌ تقترب، استتروا تحت الصّخرة ولا تتحركوا".

وبإشارةٍ من حواط أطاع الرّجال الأمر.

قبض الفريمني على ذراع حواط ودفعه للوراء لينضمّ للآخرين، وقال: "نقاتل في وقت القتال"، ودسّ يداً تحت ردائه مخرجاً قفصاً صغيراً، والتقط منه مخلوق.

رأى حواط أنه خفاشٌ صغيرٌ، أدار الخفاش رأسه فرأى حواط عينين بزرقتهما الطاغية، ربّت الفريمني على الخفاش، مطمئناً إياه، مدندناً له، ثم انحنى مقترباً من رأس الحيوان وسمح لقطرة لعاب بأن تسقط من لسانه إلى فم الحيوان. فرش الخفاش جناحيه، لكنه لم يغادر راحة الفريمني، أخرج الرجل أنبوباً صغيراً وقرّبه من رأس الخفاش وهمس فيه بكلام، ثم رفع المخلوق عالياً وقذف به للأمام.

حلق الخفاش فوق الجرف ثم غاب عن الأنظار.

طوى الفريمني القفص ودسّه تحت ردائه، ثم أمال رأسه وأصغى. "إنّهم يمشطون منطقة المرتفعات، ترى عمن يبحثون هناك؟"

قال حواط: "معروف بأننا تراجعنا في هذا الاتجاه".

قال الفريمني: "لا ينبغي للمرء أن يفترض أنه الفريسة الوحيدة، انظر للجانب الآخر للحوض، وسترى شيئاً".

مرّ بعض الوقت. تململ بعض رجال حواط، وتهامسوا.

قال الفريمني في صوت كالهسيس: "ابقوا صامتين كما الحيوانات المذعورة".

انتبه حواط لحركةٍ عند الجرف المقابل لهم، حركاتٌ سريعةٌ مبهمةٌ، خطوطٌ ضبابيةٌ صفراء على خلفية صفراء.

قال الفريمني: "صديقي الصّغير أوصل الرّسالة. إنّه مبعوث ممتاز، باللّيل وبالنهار، سيحزنني فقده".

تلاشت الحركة في الجهة المقابلة للحوض، وعلى امتداد مساحة ال- 4 أو 5 كيلومترات الرّملية لم يبق شيء ظاهرٌ سوى ضغط حرارة النّهار المتزايدة، أعمدة هواء غبارية متصاعدة للأعلى.

همس الفريمني: "والآن، الصّمت التّام".

خرجت من أحد شقوق الجرف المقابل مجموعةٌ متهاديةٌ في مشيها، قادمة من الجهة الأخرى للحوض. بدا لحواط أنهم من الفريمن، لكنه استغرب من حركتهم التي تنم عن عدم الكفاءة، رأى بأنهم ستّة رجالٍ يمشون بتثاقل.

من اتجاه اليمين سمع خفقات أجنحة أورنيثوبتر، اقتربت المركبة الطّائرة من جدار الجرف فوقهم. كانت ثوبتر آتريدية تلطخها ألوان شارات الهاركونِن العسكرية، انقضت الثوبتر على الرّجال العابرين لمنطقة الحوض. توقّف الرّجال على قمة كثيب، ثم لوّحوا.

دارت الثوبتر دورةً واحدةً فوقهم ثم هبطت أمامهم، مثيرةً سحباً من الغبار، خرج منها خمسة رجال فرأى حواط الوميض النافض للغبار دلالة ارتدائهم لدروع طاقة، ورأى في حركاتهم الكفاءة الساردوكارية.

قال الفريمني جوار حواط: "يستخدمون دروعهم السّخيفة!"، ونظر في اتجاه الجدار الجنوبي للحوض.

همس حواط: "إنهم من الساردوكار".

"جيد".

اقترب الساردوكار في تشكيلة نصف دائرية من مجموعة الفريمن المنتظرة، برقت الشّمس على النّصال المشهرة في وضع استعداد، أما الفريمن فوقفوا في مجموعة متقاربين، لا يبدو عليهم القلق.

وفجأةً انبثق فريمن آخرون من الرّمال المحيطة بالمجموعتين، اتجهوا للأورنيثوبتر، ثم دخلوها، والتحمت المجموعتان في قتال عند قمة الكثيب فارتفعت من المكان سحابة غبار أخفت تفاصيل المواجهة العنيفة.

لم يمض وقت طويل إلا وهدأ الغبار، فبرزت مجموعة الفريمين فقط.

قال الفريمني المجاور لحواط: "لم يتركوا في الثوبتر سوى ثلاثة من جنودهم، من حسن الحظ، لا أظننا أتلفنا المركبة أثناء الاستيلاء عليها".

همس رجل خلف حواط: "كانوا من الساردوكار!"

قال الفريمني: "لاحظت البراعة التي قاتلوا بها؟"

أخذ حواط نفساً عميقاً. شم رائحة الغبار المحترق من حوله، وأحس بالحرارة، والجفاف. وفي صوت جاف يحاكي الجفاف المحيط به قال: "أجل، قاتلوا ببراعة".

انطلقت الثوبتر المسلوبة بخفقة أجنحة متمايلة، مرتفعةً للأعلى قاصدةً الجنوب في صعود تدريجي وأجنحة مثنية.

.

ومن الكثيب البعيد لوّح أحد الفريمن بقطعة قماش خضراء مرةً... ثم أخرى.

صاح الفريمني المجاور حواط: "المزيد قادمون، استعدوا. كنت أرجو الرحيل دون مضايقات أخرى".

فكّر حواط: !

ومن الغرب رأى طائرتي ثوبتر تنقضان من ارتفاع كبير على منطقة رمليةٍ خلت فجأة من الفريمن، لم تبق سوى ثمان لطخات زرقاء، هي جثث الساردوكار في زيهم الهاركوني.

وفوق حواط، حلّقت طائرة ثوبتر أخرى فوق جدار الجرف، سحب نفساً عميقاً... حاملةُ جنودٍ ضخمة. طارت بأجنحتها المفروشة في ثقل وبطء، نظرا لحمولتها الكبيرة، كطائرٍ عملاقٍ يعود لعشه.

وعن بعد لمع شعاع مدفع ليزر أرجواني قادمٌ من إحدى طائرتي الثوبتر المنقضتين على المكان، ومشّط الشعاع البقعة الرّملية باعثاً منها سحابة غبارية.

قال الفريمني في نبرةٍ خشنةٍ: "جبناء!"

حلّقت حاملة الجنود فوق بقعة الجثث المكسوة بالزي الأزرق، وتحركت أجنحتها مستعدة لإجراءات التوقف السريع.

جذب انتباه حواط لمعان الشّمس على شيء معدني في جهة الجنوب. ثوبتر قادمة من هناك في انقضاض عمودي مباشر، وأجنحتها مطوية على جانبيها، ونفاثاتها كلهب ذهبي على خلفية السّماء الرّمادية المائلة للفضة. سقطت الثوبتر كالسّهم على حاملة الجنود، والّتي كانت قد أطفأت دروع طاقتها خوفاً من طلقات اللّيزر المحيطة بها. وانقضت الثوبتر على حاملة الجنود مرتطمة بها.

اهتزّ الحوض بهدير الاشتعال. وارتجفت الصّخور متساقطةً من جدران الجروف المحيطة. وحيث

كانت حاملة الجنود والطائرتان المرافقتان لها انبثقت نافورة رمال من اللونين الأحمر والبرتقالي متصاعدة لعنان السماء – اشتعل كل شيء في تلك البقعة.

فكّر حواط: . . !

قال الفريمني جوار حواط: "مقايضة مقبولة، كان في الحاملةِ 300 جندي على الأقل، والآن علينا جمع مائهم ثم تدبير الاستيلاء على طائرةٍ أخرى"، وخطا خطوةً خارج مكمنهم تحت ظلّ الصّخرة.

من فوق الجرف هبط عليهم طوفان من أصحاب السترات الزّرقاء، يرتدون عاكساتٍ للجاذبية. فوراً أدرك حواط أنهم ساردوكار، بوجوههم القاسية وسُعارهم القتالي، كانوا بلا دروع، وكل فرد منهم يحمل سكيناً في يدٍ، ومسدساً صاعقاً في الأخرى.

أصيب الفريمني بسكّين في الحنجرة، فسقط للأرض ووجهه يتلوى ألماً، أما حواط فلم يسعه الوقت سوى لسحب سكّينه قبل أن تصيبه طلقة مسدِّس صاعقٍ فأغرقته في ظلام الغيبوبة.

25

كان المؤدّب قادراً بالفعل على رؤية المستقبل، لكن عليك أن تتفهّم حدود تلك القدرة. خذ الرّؤية البصرية كمثال، فمع أنك تتمتع بعينين إلا أنك لا تستطيع رؤية الأشياء دون ضوء، وإن كنت واقفاً في قاع وادي فلن تستطيع رؤية ما يقع خارجه. وهكذا، لا يملك المؤدّب رؤية ما وراء التّضاريس الغيبيّة. بل ويحدثنا أن المستقبل يمكن أن يتغير بالكامل من قرار تنبؤ بسيطٍ - كاختيار كلمةٍ بدلاً من أخرى على سبيل المثال. ويحدثنا أيضاً أن 'للزّمن مجال واسع للرّؤية، لكن عندما تعبر من خلاله فإن الزّمن يتحول لبابٍ ضيق'. وكان دائماً يقاوم إغراء اختيار مسارٍ واضحٍ وآمنٍ، محذراً من أن 'هذا الطّريق يؤدّي في النّهاية لحالة من الرّكود'.

من كتاب (إنتفاضة آرّاكس)، تأليف الأميرة إيرولان

شقّت طائرات الأورنيثوبتر ظلام اللّيل فوقهم فأمسك پاول بذراع أمه وقال بلهجةٍ قاطعةٍ: "لا تتحركي!"

ثم رأى - في نور القمر - الطائرة التي تتقدّم المجموعة، والطّريقة التي تقوّست فيها أجنحتها لتكبح حركتها متهيّئة للهبوط، والحركة السّريعة المتهوّرة لليدين على أجهزة التّحكم، فقال هامساً: "إنه آيداهو".

حطّت الطّائرة ومرافقاتها في منطقة الحوض، كسربٍ من الطّيور القافلِ إلى عشّه، وحتّى قبل أن يستقرّ الغبار خرج آيداهو من طائرته يركض نحوهما، تبعه شخصان يرتديان أثواباً فريمنية، تعرّف پاول على أحدهما: كان الطويل ذو اللّحية الصّفراء هو كاينز.

صاح كاينز قائلاً: "من هنا!"، وانحرف لليسار.

خلف كاينز ألقى بعض الفريمن بأغطيةٍ قماشيةٍ فوق طائرات الأورنيثوبتر، فتحولت المركبات إلى صفٍ من الكثبان الرّملية الصّغيرة.

توقّف آيداهو أمام پاول، وأدى التّحية العسكرية: "مولاي، لدى الفريمن مكان يصلح للاختباء المؤقت قريباً من هنا، حيث يمكننا أن..."

"وماذا عمّا يحدث هناك؟"

وأشار پاول للمعركة الجارية فوق الجرف القريب. الدّفقات النّارية، والأشعّة الأرجوانية الصّادرة عن مدافع اللّيزر التي تمشّط الصّحراء.

مرّت ابتسامةٌ نادرةٌ على وجه آيداهو المستدير: "سيدي، لقد تركت لهم مفاجأةً صغيرةً يا مولا..."

غمر الصّحراء ضوءٌ أبيض باهرٌ كأنّه الشّمس، طابعاً ظلالهم على أرضيّة الحافّة الصّخرية، وفي حركةٍ خاطفةٍ قبض آيداهو على ذراع پاول في يدٍ وكتّف جيسيكا في اليد الأخرى دافعاً الاثنين فوق حافّة الحوض. تمدّدوا على الرّمال والانفجار يزأر كالرّعد فوقهم.

تسبّبت الموجة الارتجاجية في تساقط قطعٍ من صخور حافّة الجرف الصّخري حيثُ قفزوا مبتعدين عنه.

اعتدل آيداهو واقفاً، نافضاً الرّمل عن جسده.

قالت جيسيكا: "أسلحتنا الذّرية! كنت أظن أن..."

قال پاول: "تركت درع طاقةٍ هناك".

قال آيداهو: "درعٌ كبيرةٌ، مضبوطٌة على طاقتها القصوى، لابد أن شعاع ليزر لمسها فـ..."، وهزّ كتفيه.

قالت جيسيكا: "اندماج دون-ذري، سلاح خطير حقاً".

"ليس سلاحاً يا سيدتي، بل وسيلة دفاع، سيتردد الحثالة ألف مرةٍ قبل استخدام أسلحة اللّيزر بعدها".

اقترب منهم الفريمن الهابطون من الأورنيثوبترات، وقال أحدهم في صوتٍ منخفضٍ: "علينا أن نتوارى يا أصدقاء".

نهض پاول بينما ساعد آيداهو جيسيكا على النّهوض.

قال آيداهو: "هذا الانفجار سيلفت الأنظار، يا مولاي".

فكّر پاول: .

كان لتوجيه الكلمة له شخصياً وقعاً غريباً. ففي الماضي كان والده يُلقب بـ مولاي، تحركت بداخله قدراته الاستبصارية، ورأى نفسه مصاباً بجرثومة الوعي الحيواني المسيطر على الجنس البشري الذي يدفعهم نحو الفوضى. هزّته الرؤيا، فسمح لآيداهو أن يقوده على امتداد حافة الحوض وإلى نتوءٍ صخري. هناك وجد الفريمن يحفرون، مزيلين الرّمل بآلات الدّمج الاستاتيكي.

قال آيداهو: "اسمح لي أن أحمل حقيبتك يا مولاي؟"

قال پاول: "ليست ثقيلةً يا دَنكِن".

قال آيداهو: "إنّك لا ترتدي درع طاقةٍ يحمي جسدك. هل ترغب في ارتداء درعي؟"، ورمى بنظرةٍ سريعةٍ نحو الجرف البعيد، "لا أتوقع أن يستخدموا أسلحة اللّيزر".

"احتفظ بدرعك يا دَنكِن، ذراعك اليمنى خير درعٍ لي".

رأت جيسيكا تأثير الثّناء، وكيف اقترب آيداهو بجسده من پاول: .

نزع الفريمن صخرةً تستخدم كسدادة لممرٍ مؤدٍ إلى شبكة أقبيةٍ صحراويةٍ طبيعيةٍ، غطى فتحة المدخل ستار تمويه.

قال أحد الفريمن: "من هنا"، وقادهم للأسفل عبر سلالم صخرية مظلمة.

من خلفهم حجب الغطاء نور القمر، وظهر أمامهم وهّج أخضر خافتٌ، كاشفاً السّلالم والجدران الصّخرية، انحرفوا يساراً حيث أحاط بهم الفريمن ملتفين بعباءاتهم يزاحمون حركتهم في الهبوط على السّلالم. عند النّهاية المنحرفة للممر وجدوا ممراً آخر ينحدر مائلاً للأسفل، وفي نهايته كهفٌ بجدرانٍ خشنةٍ.

وقف أمامهم كاينز وقلنسوة جبته ملقاةٌ للخلف، ولمعت عند عنقه بذلة تقطيره في الضّوء الأخضر، كان شعره طويلاً، ولحيته شعثاء، والعينان الزّرقاوان منعدمتا البياض كانتا داكنتين ويعلوهما حاجبان غليظان.

في لحظة التلاقي سأل كاينز نفسه:

.

ثم أمعن النّظر في پاول، فرأى الفتي الذي تبدو عليه سيماء الرّجولة، يخفي حزنه، ويقمع كلّ ما

يدور في نفسه، ولا يُظهر سوى ما يتناسب مع المنصب الذي عليه الآن أن يتولاه، منصب الدّوقية. وأدرك كاينز في تلك اللّحظة أن الدّوقية ما زال لها وجود بسبب هذا الشّاب فقط لا غير، وهو أمرٌ لا يمكن الاستخفاف به.

ألقت جيسيكا بنظرةٍ سريعةٍ على الحجرة لتسجلها ذهنياً، على طريقة بني-جيزيرِت. كانت الحجرة عبارة عن معمل، مكانٌ معدٌ للاستخدام المدني، تحيط به زوايا ومربعات على الطرازِ القديم.

قال پاول: "هذه إحدى محطات البحوث البيئية الإمبراطورية التي أراد أبي استخدامها كقواعد استطلاعية".

فكّر كاينز: !

ومن جديد سأل كاينز نفسه:

.

حذا پاول حذو والدته وحملق في أرجاء الحجرة، ملاحظاً طاولة العمل في جانب، والجدران الصّخرية الخالية من الملامح. وعلى الطاولة رُصّت أدوات: عداداتٍ تتوهج، وشبكاتٍ من الأسلاك تخرج منها أعناقٌ زجاجيةٌ، ورائحة أوزون تنتشر في المكان.

اندس بعض الفريمن وراء أحد أركان الحجرة فحجبهم الحائط عن الرّؤية، وارتفعت من هناك أصوات جديدة، آلات تسعل وأحزمةٌ تدور ومحرِّكات تصهل.

نظر پاول لطرف الحجرة فرأى عند الجدار أقفاصاً متكدسةً تحوي حيواناتٍ صغيرة الحجم.

قال كاينز: "أحسنت في التّعرف على وظيفة هذا المكان، فيم كنت ستستخدم مكانا كهذا يا پاول آتريديز؟"

قال پاول: "لتحويل هذا الكوكب لبيئةٍ ملائمةٍ لحياة البشر".

فكر كاينز: .

مات أزيز الآلات فجأة، وشقّت الصَّمت صرخةٌ حيوانيةٌ رفيعةٌ صادرةٌ من الأقفاص ما لبثت أن خرستْ كما لو أصابها الإحراج.

عاد پاول بانتباهه للأقفاص فرأى أنها تحوي خفافيش ذات أجنحة بنية اللّون، من الحائط المجاور لها امتد أنبوب تغذية أوتوماتيكي ماراً عبر الأقفاص.

ظهر أحد الفريمن من الرّكن المخفي للحجرة ووجّه كلامه لكاينز: " لييّت، مولّد مجال الطاقة لا يعمل. لا أستطيع إخفاء وجودنا عن المستشعرات الرّادارية".

قال كاينز: "هل بإمكانك إصلاحه؟"

"ليس بالسّرعة الكافية. فالأجزاء المطلوبة..."، ثم هزّ كتفيه.

قال كاينز: "لا بأس. سنسيّر أمورنا دون آلات إذن، احضر مضخَّة يدويةً لضخّ الهواء من السّطح".

"في الحال"، وأسرع الرّجل مبتعداً.

التفت كاينز لپاول: "كانت إجابتك جيدة".

لاحظت جيسيكا الدمدمة الهادئة في صوت الرجل. كان صوتاً ملكياً، معتاداً على إصدار الأوامر، ولم يفتها استخدامهم لاسم: لييّت. إذن لييّت كانت هويته الفريمنية، الوجه الآخر لخبير البيئة الوديع.

قالت: "نحن ممتنون لمساعدتك لنا يا دكتور كاينز".

قال كاينز: "إممم، سنرى"، وأومأ لأحد رجاله: "أحضر قهوة السپايس لمكتبي يا شمير".

قال الرجل: "في التو يا لييّت".

أشار كاينز إلى فتحةً مقوسةً في الجدار الجانبي للحجرة وقال: "لو تكرمتم".

أومأت جيسيكا برأسها إيماءةً وقورةً، ولمحت پاول يعطي لآيداهو إشارة أمرٍ بالبقاء في مكانه للحراسة.

كان الممرّ بعمق خطوتين ويؤدّي عبر بابٍ ثقيلٍ إلى حجرة مكتبٍ مربّعة منارةٍ بمصابيح إضاءةٍ ذهبيةٍ. لمست جيسيكا الباب وهي تلج المكتبَ فاندهشت من أنه مصنوع من صلب البلاستيل.

تقدّم پاول داخل الحجرة وألقى بحقيبته على الأرض، سمع البابَ وراءه يُترس، فأخذ يدرس المكان. كانت الحجرة بعرض ثمانية أمتار، جدرانها من الصّخر الطبيعي، بلون الكاري، وعلى يمينهم خزّانات بها أدراج. احتلّت منتصف الحجرة منضدة مكتبٍ منخفضةٍ يعلوها زجاج معشّق تتخلله فقاعات صفراء. أحاط بالمنضدة أربعة مقاعد عاكسةٍ للجاذبيّة على شكل حلقة.

دار كاينز حول پاول وسحب مقعداً لجيسيكا، جلست وهي تلاحظ طريقة تفحص ابنها للحجرة.

ظلّ پاول واقفاً لبرهةٍ، انحراف ضئيل في تيارات الهواء دلّه على وجود مخرجٍ سريٍ على يمينهم خلف الخزّانات.

قال كاينز: "هلّا جلست يا پاول آتريديز؟"

فكّر پاول: لكنه قبِل الجلوس على المقعد وظل صامتاً بينما جلس كاينز.

قال كاينز: "أنت تؤمن بإمكانية تحول آرّاكس إلى جنة، لكن - وكما ترى - لا ترسل الإمبراطورية إلى هنا سوى بلطجيتها المدّربين، والسّاعين للحصول على السپايس".

رفع پاول إبهامه الذي يحيط به خاتم الدّوقية: "هل ترى هذا الخاتم؟"

"أجل".

"أتفهم دلالته؟" فالتفت جيسيكا نحو ابنها.

قال كاينز: "جثّة أبيك الميّت ممددةٌ بين أطلال آرّاكين، فنظريا أصبحت أنت الدّوق".

قال پاول: "أنا أحد جنود الإمبراطور، فنظرياً أنا من البلطجية".

اسود وجه كاينز: "حتى مع وقوف ساردوكار الإمبراطور فوق جثّة والدك؟"

قال پاول: "الساردوكار مسألة والمصدر القانوني لسلطتي مسألةٌ أخرى".

قال كاينز: "لآرّاكس طريقته الخاصّة في تحديد من سيرتدي ثوب السّلطة هنا".

التفتت جيسيكا ناظرةً إليه:

.

قال پاول: "إن وجود الساردوكار على آرّاكس لهو مؤشرٌ على مقدار خوف إمبراطورنا المحبوب من والدي. والآن سأعطي الإمبراطور الپاديشي سببا حقيقيا للخو..."

قال كاينز: "يا فتى، هناك أمور لا يمكن أن..."

قال پاول: "خاطبني بكلمة سيدي أو مولاي".

فكّرت جيسيكا: .

حدّق كاينز في پاول ولمحت جيسيكا في وجه الخبير بريق الإعجاب، وشيئاً من الدّعابة.

قال كاينز: "مولاي".

قال پاول: "إنّ وجودي مصدر إحراج للإمبراطور، بل أنا مصدر إحراج لكل السّاعين لاقتسام غنائم آرّاكس، وطالما أنا على قيد الحياة سأظل مصدر إحراج، غصّة بحلوقهم تخنقهم حتى الموت!"

قال كاينز: "مجرّد كلمات!"

تأمّله پاول، ثم لم يلبث أن قال: "عندكم هنا أسطورة عن لسان الغيب، الصّوت القادم من العالم الخارجي، الشّخص الذي سيقود الفريمن للفردوس. رجالك ق-..."

قال كاينز: "مجرد خرافات!"

وافقه پاول قائلاً: "ربّما. وربّما العكس. فللخرافات أحياناً جذورٌ غريبةٌ وفروعٌ أغرب".

قال كاينز: "إنّك تفكّر في خطّة. هذا واضح... يا مولاي".

"هل بإمكان الفريمن التّابعين لك أن يمدونني بدليلٍ أكيدٍ على أنّ الساردوكار هنا وأنّهم متخفّون في ملابس الهاركونِن؟"

"أغلب الظّن".

قال پاول: "سيولي الإمبراطور أحد أفراد الهاركونِن كحاكم هنا، بل وربّما يكون الشخص هو رابان الوحش ذاته، فلندعه يقدم على هذا، وعندما يورّط نفسه في الأمر بحيث يستحيل التبرؤ منه سنواجه الإمبراطور باحتمالية تقديم عريضة اتهام تفصيلية أمام اللاندسراد، دعه يَمثل عندئذ أمام..."

قالت جيسيكا: "پاول!"

قال كاينز: "حتى لو فرضنا أن مجلس اللاندسراد الأعلى سيقبل قضيتك، سنواجه نتيجة نهائية واحدة لهذا: حرب شاملة بين الإمبراطور وأسر النبلاء".

قالت جيسيكا: "الفوضى العارمة".

قال پاول: "لكنني سأقدم قضيتي للإمبراطور، وأعرض عليه بديلاً للفوضى".

قالت جيسيكا في نبرة جافة: "ابتزاز؟"

قال پاول: "هي إحدى أدوات الحكم كما قلتِ بنفسك"، وسمعت جيسيكا المرارة في صوته. "ليس للإمبراطور أولاد من الذكور، فلم ينجب سوى البنات".

قالت جيسيكا: "أتطمح للعرش؟"

قال پاول: "لن يخاطر الإمبراطور بتفتيت الإمبراطورية في حرب شاملة، كواكب يتم تدميرها وفوضى تعمّ كل مكان... لن يخاطر بهذا".

قال كاينز: "ما تقترحه مقامرةً يائسةً وخطيرة".

قال پاول: "ما أقصى ما تخشاه أسر نبلاء اللاندسراد؟ ما يحدث الآن على آرّاكس هو أشد ما يخافون

منه، أن يتصيّدهم الساردوكار واحداً تلو الآخر. هذا هو سبب وجود مجلس اللاندسراد أساساً. إنه الغراء الذي يربطهم في اتفاقية الميثاق العظيم، فهم غير قادرين على الوقوف ضد القوات الإمبراطورية إلا في حالة اتحادهم كلهم".

"لكنهم..."

قال پاول: "هذا ما يخشونه، وسيتحول آرّاكس إلى الصيحة التي تحشدهم تحت رايةٍ واحدة، إذ سيرى كل واحد منهم نفسه وقد أصابه ما أصاب أبي، معزولاً عن باقي القطيع ثم قتيلاً".

خاطب كاينز جيسيكا: "هل ستفلح هذه الخطة؟"

قالت جيسيكا: "لستُ مِنتاتا".

"لكنك من بني-جيزيرِت".

تأمّلته بنظرةٍ ثاقبةٍ وقالت: "خطته تحوي نقاطاً جيّدة وأخرى سيّئة، حال أيّ خطةٍ في مرحلةٍ أوليةٍ كهذه. فنجاح الخطط يعتمد على طريقة التنفيذ بنفس درجة اعتمادها على الفكرة".

قال پاول مقتبساً: "القانون عِلْمٌ مطلق، هذا مكتوب فوق باب الإمبراطور، أقترح أن نريه القانون بحق".

قال كاينز: "لست متأكداً من ثقتي في الشّخص الذي وضع هذه الخطة، فآرّاكس له خطته الخاصة التي يس-..."

قال پاول: "من موقعي على العرش يمكنني بإشارة من يدي أن أحول آرّاكس إلى جنّة، هذه العملة التي أعرضها مقابل دعمك لي".

تصلب كاينز وقال: "ولائي ليس للبيع يا مولاي".

أطال پاول النّظر إليه عبر المنضدة، مواجهاً النّظرة الباردة من العينين الزرقاوين، متأملاً الوجه الملتحي، وسيماء القيادة، ارتسمت ابتسامة جافة على شفتي پاول وقال: "أصبتَ بكلامك. أعتذر لك".

واجه كاينز نظرة پاول بنظرةٍ مماثلةٍ ثم لم يلبث أن قال: "لم يعترف هاركوني قط بالخطأ، ربمّا تختلفون عنهم بالفعل يا آل آتريديز".

قال پاول: "قد يكون هذا لخلل في تعليمهم. أنت تقول بأنّك لست للبيع، لكن أظن أنني أملك العملة التي ستقبل بها. مقابل ولائك لي أعرض عليك ولائي لكم... بشكل مطلق".

فكّرت جيسيكا:

.

رأت أن كلمات پاول قد هزّت كاينز.

قال كاينز: "هذا كلام فارغ، فما أنت سوى صبي و ..."

قال پاول: "أنا الدّوق، أنا آتريديز... لم يسبق لفرد من آتريديز أن أخل برابطة كهذه".

ابتلع كاينز ريقه.

قال پاول: "عندما أقول إن ولائي مطلق فأعني هذا بلا تحفظ، سأضحى بحياتي دفاعاً عنكم لو لزم الأمر".

قال كاينز: "مولاي!"، وخرجت منه الكلمة رغماً عنه، ورأت جيسيكا أنه لم يكن في هذه اللحظة يخاطب فتىً في الخامسة عشر بل يخاطب رجلاً، شخصاً يفوقه في الرّتبة، كاينز نطقها بكل ما تعنيه الكلمة.

فكّرت:

.

.

قال كاينز: "أنا أكيدٌ من صدقك فيما تقول، إلا أن الهاركون-..."

انفتح البابِ خلف پاول بقوة، استدار بسرعة فرأى العنف محتدماً. صياح، حديد يتصادم، وجوه ملتوية كالشمع.

وثب پاول نحو الباب وبجواره والدته، ورأى آيداهو يسدّ الممرّ وعينيه الدّاميتين باديتين من خلال تموّجات الدّرع، ووراءه أيدي كمخالبٍ حديديةٍ تحاول اختراق درع الطّاقة عبثاً. انطلقت صاعقةٌ برتقاليةٌ صدّها الدّرع. أما خِنجرا آيداهو فكانا وسط كل هذا، يقصّان ويقطعان، والدّم الأحمر يقطر منهما.

انضمّ لهما كاينز وساعدهما على دفع الباب لإغلاقه.

لمح پاول آيداهو مرةً أخيرةً يقف وسط حشدٍ من السّترات الهاركونية، ترنّحاته مضطّربة، وشعره الأسود كشعر الماعز قد أزهرت فيه حمرة الموت. ثمّ انغلق الباب، ووضع كاينز المزلاج في مكانه.

قال كاينز: "يبدو إنني أخذت قراري".

قال پاول: "استطاعوا استشعار آلاتكم قبل إطفائها"، وسحب والدته بعيداً عن الباب ورأى ما بعينيها من يأس.

قال كاينز: "كان يجب أن أنتبه لحدوث شيء غير طبيعي عندما تأخرت القهوة".

قال پاول: "عندك باب خروج سري للطوارئ، ألن نستخدمه؟"

أخذ كاينز نفساً عميقاً وقال: "يمكن لهذا الباب أن يصمد لعشرين دقيقة أمام أي شيء، إلا لو استخدموا الليزر".

قال پاول: "لن يستخدموا مسدّسات ليزر خوفاً من أن يكون لدينا هنا دروع طاقة".

همست جيسيكا: "كانوا ساردوكار في زي هاركونِن".

ووصلهم صوت ضربات على الباب، وخبطات إيقاعية.

أشار كاينز للخزانات عند الحائط الأيمن وقال: "من هنا"، واقترب من أول خزانة وفتح درجاً وحرّك مقبضاً بداخله. انفتح جدار الخزانات بأكلمه كاشفاً عن نفقٍ مظلمٍ فاغراً فاهه. وقال كاينز: "هذا الباب أيضاً من صلب البلاستيل".

قالت جيسيكا: "أنتم مستعدون بشكل جيد".

قال كاينز: "عشنا تحت حكم الهاركونن لـثمانين عام"، ودفعهما نحو الظلام وأغلق الباب.

في الظّلمة المفاجئة رأت جيسيكا سهماً مضيئاً مرسوماً على الأرض.

جاء صوت كاينز من ورائهما: "سنفترق هنا. هذا الحائط أقوى، وسيصمد لساعة على الأقل. اتبعا الأسهم المشابهة لهذا المرسوم على الأرض. ستنطفئ فور عبوركما لها، وتقودكما عبر متاهة تنتهي بمخرج آخر حيث أخفي ثوبتر سرّية. ستهبّ عاصفة الليلة. أملكما الوحيد هو الوصول لهذه

العاصفة وركوبها، شعبي يناورون هكذا أثناء سرقتهم لطائرات أورنيثوبتر. إن ركبتم قمة العاصفة ستنجون".

قال پاول: "وماذا عنك؟"

"سأحاول الهرب عبر طريق آخر، ولو أمسكوا بي... لا بأس، فما زلتُ الخبير الكوكبي التابع للإمبراطور. يمكنني التظاهر بأنني كنت أسيراً لديكم".

فكّر پاول: .

استدار مواجهاً الباب.

سمعت جيسيكا حركته فقالت: " دَنكِن مات يا پاول، رأيت جرحه بنفسك، ليس بيدك مساعدته".

قال پاول: "سآخذ الثمن كاملاً يوماً ما".

قال كاينز: "لن يتحقق هذا إن لم تسرع الآن"، وشعر پاول بيد الرجل على كتفه.

قال پاول: "أين سنلتقي يا كاينز؟"

"سأرسل الفريمن للبحث عنكما، فمسار العاصفة معروف. تعجّل الآن، ولتشملك الأم العظمى بالسّرعة والحظ".... سمعاه يبتعد، مندفعاً في الظلام.

بحثت جيسيكا عن يد پاول وسحبته إليها برقة وقالت: "يجب ألا نتوه عن بعضنا".

"أجل".

تبعها ماشياً فوق السّهم الأول ورآه ينطفئ فور لمسهما له، ثم أضاء سهمٌ آخر أمامهما. عبرا فوقه فانطفأ، وأضاء آخر. أخذا يركضان.

فكّرت جيسيكا: .

وجهتهما الأسهم عبر منحنياتٍ، وفتحاتٍ جانبيةٍ لا تكاد تُرى في الضوء الخافت. انحدر بهما الطّريق لبعض الوقت ثم استمرّ في الصّعود، إلى أن انتهى بهما لدرجات ثم استدارا عند أحد المنحنيات فوجدا جداراً مضيئاً يسدّ الطّريق وبمنتصفه مقبضٌ داكنٌ. ضغط پاول على المقبض.

انفتح الباب للخارج، توّهج الضّوء كاشفاً عن كهفٍ صخريٍ تقبع في وسطه أورنيثوبتر، وخلفها بدا حائط رمادي مستوٍ وعليه علامة تشيرٍ إلى أنه باب.

قالت جيسيكا: "أين ذهب كاينز؟"

قال پاول: "لقد فعل ما يجب على كل قائد جيد في حرب العصابات، فصلنا لمجموعتين ورتب الأمور بحيث لا يمكنه أن يفضح موقعنا إن وقع في الأسر، إذ سيكون بالفعل جاهلاً بمكاننا"

سحبها پاول لداخل الحجرة ولاحظ خطواتهما تثيران الغبار المتراكم على الأرضية.

قال: "لم يأت أحد هنا منذ فترةٍ طويلةٍ".

قالت: "كان واثقاً من استطاعة الفريمن العثور علينا".

"أشاركه هذه الثّقة".

ترك پاول يدها وخطا نحو باب الأورنيثوبتر الأيسر وفتحه وقام بتأمين مكان لحقيبته في المقعد الخلفي.

قال: "هذه الطائرة محجوبة عن المستشعرات الرادارية، ولوحة التّحكم بها أزرارٌ للتّحكم عن بعد في الباب والإضاءة، تعلّموا الكثير من الحياة لثمانين عامٍ تحت حكم الهاركونِن".

اتّكأت جيسيكا على باب الطّائرة الآخر، ملتقطةً أنفاسها.

قالت: "لا بدّ أن للهاركونن قوّة جوّية تحوم فوق هذه المنطقة، فليسوا أغبياء". راجعت حاسّة الاتجاهات عندها وأشارت لليمين: "تقع العاصفة التي رأيناها في هذا الاتجاه".

أومأ پاول وصارع شكًّا داهمه فجأةً ليمنعه من الحركة. كان يعرف مصدر هذا النّفور، لكن لم تعِنْ هذه المعرفة بشيء. في لحظة ما من لحظات هذه الليلة كان قد عبر نقطة مفترق طرقٍ، قرارٌ نقله إلى عمق المجهول، كان يعلم المنطقة الزمنية المحيطة به لكن الحاضر وزمنه ظلّا مكاناً يكتنفه الغموض، وكأنّه رأى نفسه يختفي عن النّظر أسفل وادٍ. ومن بين المسارات اللا معدودةِ الخارجة من هذا الوادي قد يخرج پاول آتريديز ناجياً بحياته، لكن الكثير منها لا يؤدي لتلك النتيجة.

قالت جيسيكا: "كلما طال انتظارنا زادت نسبة استعدادهم لنا".

قال: "ادخلي واربطي حزامك".

انضم لها في الأورنيثوبتر، يصارع خاطرة دخوله أرضاً مجهولة، لم يسبق له أن رآها في رؤيا استبصاريةٍ سابقةٍ. وصدمه اعتماده على ذاكرته الاستبصارية مما أدّى إلى ضعفه في التّعامل مع هذا الظّرف الطّارئ.

لدى بني-جيزيرِت حكمة تقول: إذا اعتمدت على عينيك فقط ستضعف حواسّك الأخرى، طبقها الآن على نفسه وأقسم ألّا يسقط في هذا الشَرك مرّة أخرى، إن نجى بعد نهاية هذا اليوم.

أحكم پاول ربط حزام الأمان وتأكّد من وضع والدته، ثم فحص المركبة الطّائرة. كانت الأجنحة منفرجة لأقصى امتداد لها، وطيّاتها المعدنية الرّقيقة مفرودةً. مسّ قضيب الانكماش فرأى الأجنحة تنكمش استعداداً للإقلاع بالنفاثات تماماً كما علّمه جيرني هاليك. تحرّك مفتاح التّشغيل بسلاسة، ودبّت الحياة في مؤشرات أجهزة لوحة التّحكم، وبدأت الدّافعات النّفاثة في العمل، حيثُ صدر من التوربينات هسيسٌ خافتٌ.

قال: "أمستعدة؟"

"أجل".

لمس زرَّ الأضواء فغمرهما الظّلام، وعلى ضوء الشّاشات تحرّك ظلّ يده ليضغط على مفتاح التّحكم في الباب عن بعد، صدر صليلٌ معدنيٌ، وانزلقت رمالٌ للدّاخل قبل أن يحلّ الصّمت، مسّ وجنتيه نسيمٌ محملٌ بالغبار، أغلق باب الطائرة فشعر بالضّغط المفاجئ.

ظهرت في مكان الباب مجموعة نجوم يعكّرها الغبار ويحيط بها الظلام، في ضوء النّجوم برزت من بعيدٍ حافّةٌ صخريّةٌ وتموجاتٌ رمليةٌ غيرِ واضحة المعالم.

ضغط پاول مفتاح التّشغيل على لوحة التّحكم، فخفقت الأجنحة للخلف وللأسفل دافعةً الثّوبتر خارج عشّها. انبثقت الطاقة من النّفاثات إذ أخذت الأجنحة وضع الصّعود العلوي.

وضعت جيسيكا يديها برفق على أزرار مساعد الطّيار الاحتياطية، شاعرةً بالثّقة التي تسود حركات ابنها. شعرت بالخوف والحماسة.

ضخّ پاول المزيد من الطّاقة في النّفاثات، مالت الثوبتر فغاصا في مقعديهما إذ ارتفع أمامهما جداراً من الظّلمة مخفياً بعض النّجوم. مدّ الأجنحة قليلاً معطياً الطّائرة المزيد من الطّاقة، بعد خفقات

جناحية أخرى ارتفعا محلقان فوق الصّخور، زوايا ونتوءات يغشاها ضوء النجوم بلون فضي، فوق خط الأفق على يمينهما برز القمر الثّاني تغشاه سحابة غبارٍ أحمر فأنار شريط العاصفة.

طارت يدا پاول فوق أجهزة التّحكم، وطقطقت الأجنحة متراجعة كأجنحة الخنافس القصيرة، ضغطت قوّة القصور الذّاتي جسديهما عندما انحدرت المركبة بزاويةٍ حادةٍ.

قالت جيسيكا: "دفقات نارية وراءنا!"

"رأيتها" ورمى ذراع الحركة للأمام.

وثبّت الثوبتر كالحيوان المذعور وانطلقت للجنوب الغربي نحو العاصفة والانحناء الصحراوي العظيم، على المدى القصير رأى پاول الظّلال المبعثرة لخط الصّخور، حيث تغوص شبكة الأقبية التّحتية تحت الكثبان الرّملية. وفيما وراء هذا امتدت ظلالٌ مدببةٌ يضيئها القمر، كثبانٌ يندمج أحدها بالآخر، وفوق خط! الأفق تسلّق جسد العاصفة المهول، كجدار يحجب النّجوم.

شيء هزّ هيكل الثوبتر.

شهقت جيسيكا: "طلقاتٌ مدفعيةٌ! إنهم يستخدمون قاذفات".

رأت ابتسامةٌ شرسةٌ على وجه پاول: "يبدو أنهم يتجنبون استخدام أسلحتهم اللّيزرية".

"لكننا لا نملك دروع طاقة!"

"وهل لديهم علم؟"

ارتجّت الثوبتر مجدداً.

التفت پاول لينظر خلفه: "واحدٌ فقط سريعٌ بينهم".

عاد بانتباهه لمسارهما، ناظراً لجدار العاصفة الذي بدأ يكبر أمامهما، لاح وكأنه ذو صلابة ملموسة.

همس پاول: "قاذفات مدفعية، وصواريخ، وكل الأسلحة القديمة الأخرى! علينا تسليح الفريمن بها".

قالت جيسيكا: "ها هي العاصفة، أليس من الأفضل أن تستدير؟"

"ماذا عن المركبة التي تلاحقنا؟"

"بدأ قائدها يرتفع مبتعدا."

"الآن!" قام پاول بتقصير الأجنحة وانحدر لليسار بزاويةٍ حادةٍ قاصداً الحائط العاصف الذي يخدع الناظر إليه فيظنه بطيئاً، شعر بوجنتيه تتمددان من أثر الجاذبية القصوى.

بدا أنّهما يتحركان كطائرة شراعية داخل سحابةٍ بطيئةٍ من الغبار ازدادت كثافتها بالتّدريج إلى أن أخفت الصّحراء والقمر عن النّظر، وتحولت الطائرة إلى همسة ظلام تضيئها الأضواء الخضراء المنبعثة من أجهزة لوحة التّحكم.

ازدحمت في ذهن جيسيكا التحذيرات المتعلقة بهذا النّوع من العواصف. إنّها عواصف قادرة على قطع المعدن وكأنه قطعة زبد، وأن تفصل اللحم عن العظم ثم تأكل العظام ذاتها، أحسّت بصدمات الرّياح المحمّلة بالغبار، وإمالتها للمركبة التي يتصارع پاول للتّحكم بها.

رأته يطفئ المحرّكات وشعرت بوثبة المركبة، ارتجف المعدن حولهما وصدر عنه صوت هسيس.

صاحت جيسيكا: "رمال!"

في ضوء لوحة التَحكم رأته يحرك رأسه نفياً: "لا توجد رمالَ كثيرةَ في هذا الارتفاع".

لكنها كانت تشعر بغوصهم في قلب الدّوامة.

أطلق پاول الأجنحة على أقصى امتداد تحليقي لها، وسمع صريرها تحت الضّغط، لازمت عيناه أدوات التحكم، محلقاً على هدى غريزته الفطرية، ومصارعاً للمحافظة على الارتفاع المناسب.

خفت الصّوت الناتج عن حركتهم، انحرفت الثوبتر مائلةً لليسار، ركّز پاول على الكرة المضيئة على شاشة بيان منحنى الاتجاه، وبصعوبة نجح أخيراً في إعادة المركبة لوضعية متوازنة.

راود جيسيكا شعورٌ غريبٌ بأنهم جامدون في مكانهم لا يتحرّكون وأن ما يتحرّك بالفعل كلُّ ما يوجد في الخارج، صفارٌ ضبابيٌ مبهم يتدفّق وراء النّوافذ، هسيسٌ شديدٌ ذكّرها بما يحيط بهما من قوىً متحرّكة.

فكّرت: *700 800 /* . وأزعجها توترها النّاتج عن إفراز الأدرينالين، رددت لنفسها كلمات بني-جيزيرِت: .

وبالتّدريج أفلحت سنوات تدريبها الطّويلة، وعادت لها الطمأنينة.

همس پاول: "قبضنا على النّمر من ذيله. لا يمكن أن ننخفض، ولا أن نهبط أرضاً. ولا أظنّ أن بإمكاني رفعنا خارج هذه العاصفة، سنضطر لركوبها لنهايتها".

تسّرب منها ما كانت تشعر به من طمأنينةٍ وأحسّت بأسنانها تصطكّ، فأغلقتها بإحكام. ثم سمعت صوت پاول - منخفضاً وثابتاً - وهو يتلو الاستعاذة:

"الخوف قاتل العقل، الخوف هو الموت الأصغر المفضي للفناء النهائي، سأواجه خوفي، سأسمح له بالمرور من حولي ومن خلالي، وحينما ينتهي مروره سأستدير وأنظر إلى مساره، وحيثما مر لن يبقى شيء، أنا فقط من سيبقى".

26

قل لي ماذا تكرَه؟

أقل لكَ من أنت!

من كتاب (دليل المؤدّب)، تأليف الأميرة إيرولان

"لقد ماتا يا بارون"، قالها إياكين نيفود، قائد الحرس. "المرأة والصبي ماتا بلا أدنى شك".

قعد البارون ڤلاديمير هاركونن في السّرير المعلّق بجناحه الخاص. وكبيضةٍ بطبقات قشورٍ متداخلةٍ بعضها داخل بعض، امتدّت الفرقاطة الفضائية الرّابضة على أرض آرّاكس خلف هذا الجَناح ومن حوله. وهنا في هذا الجناح اختفى معدن السّفينة وراء ستائر وبطانياتٍ قماشيّةٍ وتحفٍ فنّية نادرةٍ.

قال قائد الحرس: "الأمر مؤكد، ماتوا".

حرّك البارون جسده الضّخم في السّرير المعلّق بعاكسات الجاذبية، وصب انتباهه على تمثال أبنوسي في كوةٍ في الجهة المقابلة للغرفة - صبيٌ يقفز. طارت آخر آثار النّوم، فضبط عاكسات الجاذبية المدسوسة بين طيّات عنقه المترهّلة، وفي الضّوء الخافت نظر للمدخل حيث وقف القائد نيفود، يمنعه من الدّخول حاجز الطاقة الاحترازي.

كرّر الرّجل: "بالتّأكيد ماتا يا بارون".

لاحظ البارون البلادة في عيني نيفود من أثر تعاطي مخدّر السيموتا. واضّح أن الرّجل كان غارقاً في نشوة المخدّر عندما تلقى هذا التّقرير وأنه أسرع وتناول التّرياق المضاد قبل أن يهرع إلى هنا بلحظات.

قال نيفود: "وصلني تقريرٌ مفصلٌ".

فكّر البارون: . . . .

قال البارون في صوته العميق: "هل رأيت جثّتيهما؟"

ظهر التّردد على نيفود.

"إذن؟"

"سيّدي، لقد شوهدا يدخلان عاصفةً رمليةً. رياح تفوق سرعتها الـ 800 كم، لا ينجو شيء من عاصفة كهذه يا سيدي. لا شيء!

بل وهلكت إحدى طائراتنا أثناء المطاردة".

حدّق البارون في نيفود، ملاحظا الرّعشة العصبية في عضلات فكّ الرّجل، والطّريقة التي تحرّكت بها الذّقن عندما ابتلع نيفود لعابه.

قال البارون: "هل رأيت الجثث؟"

"سيّدي..."

قال البارون في صوت هادر: "لماذا إذن جئتني تتبختر في درعك المعدني؟ لتخبرني أن الشّيء مؤكّد في حين أنه غير ذلك؟ هل تظن أنني سأثني عليك لغبائك، أو سأمنحك ترقيةً أخرى؟"

شحب وجه نيفود فتحوّل للون العظام.

! .

.

قال البارون: "إذن قادنا آيداهو لمكانهما؟"

"أجل يا سيّدي!"

.

قال: "إذن كانوا فعلاً يحاولون الفرار إلى الفريمن؟"

"أجل يا سيّدي".

"هل هناك معلومات أخرى في هذا الـ... تقرير؟"

"الخبير الكوكبي التّابع للإمبراطور يا سيّدي متورّط في الأمر. انضم آيداهو لكاينز هذا في ظروفٍ غامضةٍ، بل يمكن أن أصفها بأنها مثيرة للشبهات".

"ثم؟"

"لقد فرا سوياً لمكانٍ في الصّحراء من الواضح أن الصّبي وأمه كانا يختفيان فيه، في شراسة المطاردة تعرّضت مجموعاتٌ من جنودنا لانفجارٍ ناتِج عن تلاقي شعاع ليزر بدرع طاقة".

"كم فقدنا من الرّجال؟"

"إنني... لست متأكداً بعد يا سيّدي".

. .

قال البارون: "والخادم الإمبراطوري، المدعو كاينز، كان يلعب على الحبلين إذن؟"

"أراهن بسمعتي على هذا يا سيّدي".

!

قال البارون: "اقتلوه".

"لكن يا سيّدي! كاينز هو الخبير الكوكبي الإمبراطوري، موظف عند جلال-..."

"إذن فليبدو وكأنه قُتِل في حادث!"

"سيّدي، شارك قواتنا ساردوكار أثناء السّيطرة على عشّ الفريمن هذا، هم من يحتجز كاينز في هذه اللحظة".

"إذن انتزعه منهم، قل إنني أريد استجوابه".

"وإن اعترضوا؟"

"لن يعترضوا إن أحسنت التعامل مع المسألة".

بلع نيفود ريقه وقال: "حاضر سيّدي".

قال البارون: "يجب أن يموت هذا الرجل، لقد حاول مساعدة أعدائي".

نقل نيفود ثقل جسده من قدم لقدم.

"ماذا؟"

"سيّدي، الساردوكار يحتجز شخص آخر قد يهمك أمره، قبضوا أيضاً على خبير الاغتيال لدى الدّوق".

"حواط؟ ظافر حواط؟"

"رأيت الأسير بنفسي يا سيّدي، إنه حواط بالفعل".

"غير معقول!"

"يقولون إن مسدساً صاعقاً أفقده الوعي يا سيّدي، في الصّحراء حيث لم يكن باستطاعته استخدام درعه، لم يمسه سوء. إن استطعنا أن نضع أيدينا عليه سنتسلى بتعذيبه".

زمجر البارون: "إنك تتكلم عن مِنتات، لا يفرط المرء في مِنتات، هل تكلم بعد؟ ما تعليقه على هزيمته؟ هل يعرف تفاصيل ال-... لا، بالطبع لا".

"كلماته قليلة، سيّدي، لكن واضح أنه يشكّ في خيانة الليدي جيسيكا".

"أها!" وغاص البارون في سريره مفكرا، ثم سأل: "متأكد؟ هل يصب غضبه على الليدي جيسيكا؟"

"قالها في حضوري يا سيّدي".

"إذن دعه يظن أنها نجت".

"لكن يا سيّدي".

"اصمت، أريد أن يعامل حواط برفق. ويجب ألا يعرف تفاصيل عن الراحل الدكتور يُوي، الخائن الحقيقي. وانشروا أن الدكتور يُوي مات وهو يدافع عن دوقه، وهي الحقيقة إن نظرنا لها من زاوية مختلفة، وفي مقابل هذا سنغذي شكوكه الموجهة ضد الليدي جيسيكا".

"سيّدي، إني لا أفه-..."

"يا نيفود، الطريقة المثلى للتحكم بمِنتات وتوجيهه تكون عن طريق ما يصله من معلومات، معلومات خاطئة ستؤدي لنتائج خاطئة".

"أجل يا سيّدي، لكن..."

"هل حواط جائع؟ عطشان؟"

"سيّدي، مازال حواط في يد الساردوكار!"

"آه، صحيح. لكن الساردوكار سيكونون متلهفين - مثلي - للحصول على معلومات من حواط. لاحظتُ شيئاً فيما يخص حلفاءنا يا نيفود. لا يملكون براعة... سياسية. وأظن أن هذا الأمر عن عمد، يريدهم الإمبراطور هكذا. أجل، هذا ما أعتقده، عليك أن تذكّر قائد الساردوكار بشهرتي في استخلاص المعلومات من الأشخاص المعاندين".

بدا عدم السّرور على نيفود: "أجل يا سيّدي".

"ستبلغ قائد الساردوكار برغبتي في استجواب كل من حواط وكاينز في الوقت ذاته، لأضع أحدهما في مواجهة الآخر، أظنه سيفهم هذا".

"أجل يا سيّدي".

"وما أن نضع أيدينا عليهما..."، وأومأ برأسه.

"سيّدي، سيرغب الساردوكار في حضور مراقب من عندهم أثناء... الاستجواب".

"سندبر ظرف طارئ يمكن خلاله إبعاد المراقبين غير المرغوب فيهم يا نيفود".

"فهمت سيّدي، وعندها سيصاب كاينز في ... حادث".

"الحادث سيأخذ كاينز وحواط يا نيفود، لكن كاينز فقط هو من سيكون حادثه حقيقي، فحواط هو من أريد. أجل... آه، أجل".

رفّت عينا نيفود وبلع ريقه، بدا على وشك إلقاء سؤالٍ، لكنه ظلّ صامتاً.

قال البارون: "أعطوا حواط طعاماً وشراباً، واعطفوا عليه، وأرفقوا به. وفي الماء دسّوا له سمًّا طويل المفعول الذي صنعه الراحل پايتر دي ڤرايز، واحرص على أن يوضع التّرياق بانتظام في طعام حواط بدايةً من هذه اللّحظة، حتى أصدر أوامري بالتّوقف."

هزّ نيفود رأسه: "التّرياق، أجل. لكن..."

"لا تكن غبياً يا نيفود. كاد الدّوق أن يقتلني بكبسولة السّم المدسوسة في ضرسه، ذاك الغاز حرمني من خدمات مِنتاتي الثمّين، پايتر. وأنا في حاجةٍ لبديل."

"حواط؟"

"حواط".

"لكن..."

"ستقول إنّ ولاء حواط لآل آتريديز. وهذا صحيح، لكن الآتريديز قضوا نحبهم، سنتودد إليه، يجب إقناعه بأن دمار الدّوق لم يكن نتيجة خطأ ارتكبه، بل فعلةٍ قامت بها ساحرة بني-جيزيرِت تلك. وأنّ سيّده كان ضعيفاً، سمح للعواطف بأن تعمي عقله، فالمِنتات يجلون الشخص القادر على موازنة الأمور دون تدخل العاطفة، سنجتذب إلينا ظافر حواط العظيم".

"سنجتذبه إلينا يا سيّدي".

"لسوء حظّ حواط، كان يعمل عند سيّد مصادره المالية ضعيفة، سيِّد عاجزٌ عن الصّعود لذُرى العمليات الذّهنية التي يستحقها كلّ مِنتات. سيرى حواط الحقيقة في هذا الكلام، إذ كان الدّوق عاجزاً عن دفع مصاريف جواسيس أكفاء قادرين على تزويد مِنتاته بالمعلومات الاستخباراتية المطلوبة"، ثم حدّق البارون في نيفود وقال: "لن نخدع أنفسنا يا نيفود، فالحقيقة سلاح قوي، نعلم كيف اجتحنا آل آتريديز وهزمناهم، وحواط أيضاً يعلم، نجحنا بسبب الثّروة".

"بالثروة، نعم سيّدي".

قال البارون: "سنستميل حواط، سنخفيه عن أعين الساردوكار، ومن باب الاحتياط... لن نمنع عنه التّرياق المضاد للسّم. يستحيل تخليص الجسد من السّم طويل المفعول، ويجب ألا يرتاب حواط في الأمر إطلاقاً يا نيفود، حتى تبّاع السّموم لا يكشف وجود ترياق، فليفحص حواط طعامه كما يشاء، ولن يجد أثراً لسم".

اتسعت عينا نيفود عندما استوعب الأمر.

قال البارون: "أحياناً، غياب الشّيء قد يكون بنفس خطورة وجوده؛ غياب الهواء مثلاً، أو غياب الماء، أو غياب ما ندمن عليه"، وأومأ البارون وأكمل: "تفهمني يا نيفود؟"

ابتلع نيفود ريقه وقال: "أجل سيّدي".

"إذن أسرع وأتم الأمر، ابحث عن قائد الساردوكار وابدأ في تنفيذ الخطّة".

"في الحال سيّدي". انحنى واستدار وأسرع مبتعداً.

فكّر البارون: ! . .
! ! - -
. .

مدّ البارون يده تحت ستارةٍ مجاورةٍ لسريره وضغط زراً لاستدعاء ابن أخيه الأكبر، رابان. وأسند ظهره للسّرير مبتسماً.

!

بالطبع كان قائد الحرس الغبي على حق، فمن المؤكد استحالة نجاة أي شيء في مسار العواصف الرملية على آرّاكس، لا أورنيثوبتر ولا ركابها، ماتت المرأة والفتى. كل تلك الرشاوي للأشخاص المناسبين، كل النّفقات الهائلة لإحضار قوّة عسكريةٍ ضخمةٍ للهجوم على هذا الكوكب، كل التّقارير المعلوماتية الماكرة التي تمّت صياغتها بحيث تستميل أُذن الإمبراطور على وجه الخصوص، كل التّخطيط الدّقيق قد أثمر في النّهاية.

... !

رأى البارون المسار الممتد أمامه. يوماً ما سيصبح أحد آل هاركونِن إمبراطوراً. ليس هو، ولا ابناً من صلبه، لكن هاركونِن على أيّة حال، وليس رابان الذي استدعاه بالطبع، بل شقيق رابان الصّغير، الفتى فايد راوثا. يتمتع الفتى بحدّة تثير إعجاب البارون و ... بشراسةٍ.

. - -
.

"سيّدي البارون".

كان الرّجل الواقف خارج باب الطّاقة التابع لغرفة نوم البارون قصير البنية، سمين الوجه والجسد، وتبدو عليه صفات ذكور آل هاركونِن الوراثية، اقتراب العينين من بعضهما وبروز الكتفين. احتفظت سمنته ببعض الصّلابة، لكن كان واضحاً للنّاظر أنه سيأتي اليوم الذي سيحتاج فيه للاستعانة بمضادات الجاذبية المحمولة لدعم وزنه الزائد.

فكّر البارون: .
. .
!

قال البارون: "عزيزي رابان"، وأطفأ طاقة الباب، وعن قصد ترك درع الطّاقة المحيط بجسده مضبوطاً على أقصى درجاته، وهو يعرف أن لمعانه سيكون واضحاً في ضوء كرة الإنارة المجاورة لسريره.

قال رابان: "استدعيتني؟" ودخل الغرفة ملاحظاً تموّج الهواء النّاتج عن درع الطّاقة الجسدي، بحث عن مقعدٍ مضادٍ للجاذبية فلم يجد.

قال البارون: "اقترب لأراك بوضوحٍ أكثر".

تقدّم رابان خطوةً أخرى وتوقّع أن العجوز اللّعين أزال كل المقاعد عن قصد، ليجبر الزّوار على الوقوف.

قال البارون: "آل آتريديز ماتوا، عن آخرهم، لهذا استدعيتك إلى آرّاكس، لقد عاد الكوكب لك".

طرفت عينا رابان: "اعتقدتك ستضع پايتر دي ڤرايز في منصب ال-..."

"مات پايتر أيضاً".

" پايتر؟"

" پايتر".

أعاد البارون تشغيل باب الطّاقة، وضبطه ليحجب اختراق الموجات.

قال رابان: "أخيراً مللتَ منه؟" بدا صوته خافتاً وخالياً من الحياة بسبب غياب الموجات من الغرفة.

قال البارون: "ما سأقوله لن أكرّره عليك ثانيةً، إنك تلمّح بأنني قضيت على پايتر، كما يقضي المرء على شيءٍ تافه"، وفرقع بأصابعه السّمينة: "هكذا مثلاً؟ لستُ غبياً لهذه الدّرجة يا ابن أخي، وإذا لمّحت ثانيةً بكلامٍ أو بأفعالٍ غبيةٍ عني هكذا فلن يكن ردّ فعلي رحيماً أبداً".

ضاقت عينا رابان وبدا فيهما الخوف، كان على علم بطريقة البارون العجوز في معاقبة أفراد الأسرة، نادرٌ جداً أن يكون العقاب بالموت، إلا إذا أدّى الموت إلى ربحٍ هائلٍ أو كان العقاب ناتجاً عن ثورة غضب، لكن حتى العقاب الأسري المعتاد قد يكون مؤلماً.

قال رابان: "سامحني يا سيّدي البارون". وخفض عينيه، ليس فقط لإظهار خضوعه بل لإخفاء غضبه.

قال البارون: "لم أنخدع بحركتك هذه يا رابان".

أبقى رابان عينيه منخفضتين، وازدرد ريقه.

قال البارون: "كنت أقصد توضيح مسألةٍ محددةٍ. لا تقضي على إنسان دون تفكير، كالطّريقة التي يقوم بها سكان إقطاعٍ كاملٍ بإنهاء حياة رجلٍ تنفيذاً للقانون، يجب أن يأتي القتل بسبب هدفٍ هامٍ لا يمكن تجنّبه، واعرفْ هدفكَ هذا جيداً".

ظهر الغضب في كلمات رابان: "لكنك قضيت على الخائن يُوي! رأيت جثّته تُحمل عندما وصلت ليلة أمس." ثم حدّق رابان في عمّه، وقد أرهبه صوت كلماته.

لكن البارون إبتسم: "إنني حذرٌ عند التّعامل مع الأسلحة الخطيرة. دكتور يُوي كان خائناً، وقدم لي الدّوق"، ثم أفعم صوت البارون بالقوة وأكمل: "الفضل لي في تغيير برمجة طبيب من مدرسة السووك! من أخص دوائرها الداخلية! تسمعني يا ولد؟ لكن هذا النّوع من الأسلحة متهور ولا يجب إهماله، لم يكن القضاء عليه لمجرد نزوة عابرة".

"هل يعلم الإمبراطور أنك نجحت في استمالة طبيبٍ برمجتهُ مدرسة السووك؟"

فكّر البارون: .

قال البارون: "لا يعلم الإمبراطور بهذا بعد، لا شك أن جنوده الساردوكار سيبلغونه. لكن قبلها سأكون قد قدمت له تقريري الخاص عبر قنوات الاتصال في شركة كوآم، سأشرح له أنني - بالمصادفة المحظوظة - عثرت على طبيبٍ يدّعي خضوعه للبرمجة العقلية، أي أنه كان طبيباً مزيفاً. فهمت؟ وحيث أن الجميع متأكدون من استحالة كسر برمجة طبيبٍ متخرجٍ من مدرسة السووك سيقبلون بما أقول".

غمغم رابان: "آآه، فهمت".

ففكر البارون: . .وتبعت تلك الخاطرة أخرى:

غضب البارون من نفسه وشعر بأنها خانته.

قال رابان: "ينبغي أن يظل هذا الأمر سراً، فهمت".

تنهّد البارون وقال: "هذه المرّة أعطيك تعليمات مختلفة بشأن حكم آرِّاكس يا ابن أخي، عندما حكمتَ هذا المكان سابقاً كنت أكبح جماحك بشدّة. أما هذه المرة فأطلب منك شيئاً واحداً فقط".

"سيّدي؟"

"الدخل".

"الدخل؟"

"هل تعلم - يا رابان - بالتكاليف التي أنفقناها لجلب قوة عسكرية بهذا الحجم إلى آرِّاكس؟ عن رسوم نقابة الفضاء مقابل نقل الجيوش؟"

"باهظة؟"

"باهظة!"

أشار البارون بذراع سمينة لرابان: "لو عصرتَ آرِّاكس من كل فلس إنتاج لمدة ستين سنة قادمة لن تغطي المبالغ ما أنفقناه!"

فغر رابان فمه ثم عاد وأغلقه.

قال البارون متهكماً: "باهظة! إن احتكار النّقابة لوسائل النّقل الفضائي كادٍ يفلسنا تماماً لو لم أخطّط لهذه النّفقات منذ فترةٍ طويلةٍ. لعلمك يا رابان لقد حملنا التّكلفة كاملةً، بل ودفعنا تكاليف نقل الساردوكار أيضاً".

وتساءل البارون - ولم تكن هذه هي المرة الأولى التي تخطر له هذه الخاطرة - إن كان من الممكن أن يأتي يوم في المستقبل لن يضطّر المرء فيه التّعامل مع النّقابة. لهم طريقة تعاملٍ ماكرةٍ، يمتصّون من دم الضّحية أكبر قدرٍ يمكن مصّه دون أن يؤدي لثورتها ضدّهم، إلى أن يتمكنوا منك تماماً وتقع في قبضتهم، حينها يجبرونك على الدّفع والدّفع ثم الدّفع.

ودائماً ما كانت مطالبهم الباهظة ترتبط بالمشاريع العسكرية، والتي يبرّرها وكلاء النّقابة بأسلوبٍ سلس: إنها أسعار سببها خطورة المجازفات، ومقابل كل عميلٍ سرّي تنجح في زرعه كجاسوسٍ في هيكلٍ بنك النّقابة يقومون هم بزرع اثنين في منظومتك أنت.

!

قال رابان: "إذن سيكون التركيز على الدّخل".

خفض البارون ذراعه وجمع يده في قبضة: "عليك أن تعتصرهم".

"ومسموح لي أن أفعل ما أريد طالما أقوم بالاعتصار؟"

"كل ما تريد".

قال رابان: "المدافع التي أحضرتها معك، هل يمكن أن..."

قال البارون: "سآخذها معي".

"لكنك ق-..."

"لن تحتاج مثل هذه الألعاب، كانت ابتكاراً مخصوصاً لغرض محدد وما عادت لها قيمة الآن، ونحن بحاجة لمعدنها، إنها أسلحةٌ عاجزةٌ عن اختراق دروع الطّاقة يا رابان، ولم يكن استخدامها سوى لأنها مفاجأة غير متوقعة، إذ توقعنا انسحاب رجال الدّوق محتمين بكهوف الجروف الصخرية على هذا الكوكب اللعين، وكان على مدافعنا احتجازهم فيها لا أكثر".

"الفريمن لا يستخدمون دروعاً".

"بإمكانك الاحتفاظ ببعض أسلحة الليزر إن أردت".

"نعم سيّدي، وسأكون حرّ اليد في التعامل؟"

"طالما أنك تعتصر".

كانت ابتسامة رابان تنم عن سعادة بالغة: "أفهمك تمام الفهم يا سيّدي".

زمجر البارون: "أنت لا تفهم أي شيء تمام الفهم... دعنا نكن واضحين في هذا من البداية، أنت لا تفهم سوى كيفية تنفيذ طلباتي، هل خطر لك يا ابن أخي أن هذا الكوكب يحوي خمسة ملايين شخص على الأقل؟"

"وهل نسى سيّدي أنني كنت السريدار الحاكم هنا سابقاً؟ ثم - وليعذرني سيّدي على هذا - تقديرك قد يكون أقل من العدد الصحيح، فمن الصعب إحصاء السكان ما داموا مبعثرين هكذا بين مناطق القيعان والأغوار، ثم إن وضعت الفريمن أيضاً في الاعتبار فـ..."

"الفريمن لا يستحقون أن نضعهم في الاعتبار!"

"اعذرني يا سيّدي، لكن الساردوكار لهم رأي آخر".

تردد البارون وحدق في ابن أخيه: "ما الذي تعرفه عن هذا؟"

"عندما وصلتُ ليلة أمس كان سيّدي قد خلد للنوم، سمحت لنفسي بالتواصل مع بعض ضباطي الذين كانوا يعملون عندي في السابق، يعملون الآن كمرشدين للساردوكار، وأبلغوني أن فرقة من الفريمن كمنت لبعض جنود الساردوكار في مكان في الجنوب الشرقي من موقعنا هذا، وأفنتهم عن بكرة أبيهم".

"قضوا على جنود ساردوكار؟"

"أجل يا سيّدي".

"مستحيل!"

هزّ رابان كتفيه.

قال البارون في نبرةٍ ساخرةٍ: "فريمن يهزمون ساردوكار".

قال رابان: "أخبرك بما وصلني، يقال أن فرقة الفريمن هذه أسرت رجل الدّوق المهاب... ظافر حواط".

"آآه" هزّ البارون رأسه وابتسم.

قال رابان: "لديّ ثقةٌ في التّقرير، فلا تتصور كم كنا نعاني من الفريمن".

"ربما، لكن من رآهم ضباطك لم يكونوا من الفريمن، بالتأكيد هم جنود من آل آتريديز دربهم حواط

وتنكروا في هيئة الفريمن، هذه هي الإجابة المنطقية الوحيدة".

ومن جديد هزّ رابان كتفيه. "ما أعرفه أن الساردوكار يظنوهم فريمن. وقد شرع الساردوكار في تنفيذ خطة ممنهجة للقضاء التام على كل الفريمن".

"جميل!"

"لكن..."

"سينشغل الساردوكار بهذا بينما سنحصل نحن على حواط قريباً. أنا متأكد من هذا! حدسي لا يخدعني! هذا يومٌ مجيد! فالساردوكار انطلقوا يصطادون شرائم صحراويّة عديمة النّفع بينما حصلنا نحن على الجائزة الحقيقية!"

"سيّدي..."، وتردد رابان يعلو وجهه العبوس: "لطالما شعرتُ أننا نستهين بقوة الفريمن.. سواء فيما يخص عددهم أو..."

"تجاهلهم يا ولد! إنهم غوغاء. ما يثير اهتمامي هي البلدات والمدن والقرى العامرة بالسكان، بها عدد كبير من البشر أليس كذلك؟"

"عدد كبير يا سيّدي".

"يثيرون قلقي يا رابان".

"قلقك؟"

"90% لا خوف منهم بالطبع، لكن دائما ما تكون هناك قلة، أسر صغار النّبلاء وأشباههم، أصحاب طموحات، وقد يحاولون الإقدام على عمل خطير، إن صادف وسافر أحدهم تاركاً آرّاكس ومعه قصّة مزعجةٌ توضّح ما حدث هنا، سأكون مستاءً للغاية. أتعرف مدى الاستياء الذي سأشعر به ساعتها؟"

ازدرد رابان ريقه.

قال البارون: "عليك أن تتخذ إجراءات فورية بالتّحفظ على رهينة من كل بيت من بيوت أسر صغار النّبلاء المحليين. بالنّسبة لكل شخص يعيش على كوكب آخر بعيد عن آرّاكس، ما حدث كان مجرّد معركة معتادة من المعارك التي تدور بين أسرتين من كبار النّبلاء، وأن الساردوكار لا علاقة لهم بالأمر إطلاقاً. هل تفهمني؟ وأن الذّوق عُرض عليه أن يعيش في منفى كما يحدث في هذه الحالات، إلا أنه توفي في حادثةٍ مؤسفةٍ قبل الموافقة، لكنه كان على وشك الموافقة، هذه هي القصة الرسمية. وأي إشاعة تقول أن الساردوكار كانوا هنا يجب أن تقابل بالسَخرية والتهكم".

قال رابان: "كما يشاء الإمبراطور".

"كما يشاء الإمبراطور".

"وماذا عن المهرّبين؟"

"لا أحد يصدّق المهرّبين يا رابان. قد يتساهل النّاس معهم لكنهم لا يصدّقونهم، وفي كل الأحوال عليك أن توزع بعض الرّشاوي، وتتخذ إجراءات أخرى أظنّك قادرٌ على تنفيذها".

"حاضر سيّدي".

"إذن يا رابان، ما أريده منك في آرّاكس هو شيئان: الدّخل المادي وقبضةٌ لا ترحم. لا رحمة هنا، أفهم هؤلاء البلهاء على حقيقتهم، عبيد يحقدون على سادتهم وينتظرون فرصة مواتية للتّمرد. لا تُرهم منك ذرّة شفقةٍ أو رحمة".

قال رابان: "أيملك المرء إبادة سكان كوكبٍ بأكمله؟"

"إبادة؟"، وبدت الدّهشة على البارون في التفاتته السّريعة: "من تكلم عن الإبادة؟"

"اعتقدتك تنوي إحضار شعبٍ جديد لي-..."

"قلت اعتصارٍ يا ابن أخي، لا إبادة. لا تهدر السّكان، بل اسحقهم بحيث يصلوا لحالة خضوع تام. كن وحشاً مفترساً يا بني"، وارتسمت في ابتسامته غمّازات طفولية التّعبير. "الوحش المفترس لا يتوقّف أبداً، لا تظهر لهم الرّحمة، لا تتوقف أبداً. فالرحمة وَهمٌ يمكن أن يُهزم عندما تئنُّ المعدة من الجوع ويصرخ الحلق من العطش. عليك أن تظل دائماً جائعاً وعطشاناً"، وربّت البارون على نتوءات جسده الظاهرة من تحت عاكسات الجاذبية وقال: "مثلي".

"فهمت يا سيّدي"، وأدار رابان بصره يمنةً ويسرى.

"هل اتضح كل شيء الآن يا ابن أخي؟"

"باستثناء أمرٍ واحدٍ يا عمي، كاينز الخبير الكوكبي".

"آه، نعم، كاينز".

"إنه رجل الإمبراطور يا سيّدي، وبإمكانه المجيء والذهاب كما يشاء. وهو مقرّب من الفريمن، وتزوج واحدة منهم".

"بحلول مساء الغد سيكون كاينز قد مات".

"خطة خطيرة يا عمي، قتل موظف إمبراطوري".

قال البارون: "وكيف تظنني وصلت لمكانتي بهذه السّرعة؟" ثم في صوت هادئ، مشحون بمعانٍ غامضة: "ثم لا خوف من رحيل كاينز عن آرّاكس، أ نسيتَ إدمانه على السپايس؟"

"آه فعلا!"

قال البارون: "المدمنون لا يخاطروا بالابتعاد عن مصدر إدمانهم، وكاينز يدرك حقيقة إدمانه".

قال رابان: "نسيتُ هذا".

تبادلا النّظرات في صمت، ثم لم يلبث البارون أن قال: "وبالمناسبة، ستضع مسألة مخزوني ضمن أولوياتك، عندي كميّة كبيرة مخزّنة للاستخدام الشّخصي، لكن تلك الغارة الانتحارية التي قام بها رجال الدّوق قضت على أغلب ما كنا نحتفظ به للبيع".

أومأ رابان: "حاضر سيّدي".

تهلّل وجه البارون: "جيد، في صباح الغد ستجمع من تبقى هنا من منظمات حكومية وستقول لهم: كلفني إمبراطورنا الپاديشي المعظّم بتملك هذا الكوكب وإنهاء كل النزاعات".

"فهمت سيّدي".

"هذه المرّة أنا متأكد من أنّك فهمت، سنناقش الأمر بتفصيلٍ أكبر في الغد، أمّا الآن فاتركني لأكمل نومي".

أطفأ البارون باب الطاقة، وراقب ابن أخيه ينصرف.

فكّر البارون: . . .

. .

27

"قد أدرك الصّمت، منذ كان في الخامسة عشر من العمر".

من كتاب (المؤدّب: تاريخ للأطفال)، تأليف الأميرة إيرولان

أثناء صراع پاول مع أجهزة التّحكم بالثوبتر، تكشّف له تدريجياً أنه يمايز بين قوى العاصفة المتداخلة، وأن إدراكه - الذي يفوق مستوى القدرات المِنتاتية - كان يقوم بعملياتٍ حسابيةٍ تأخذ في الحسبان أدقّ التّفاصيل، فأحس بالهبّات الغبارية، والموجات الهوائيّة المتلاطمة، والاضطرابات الجويّة المختلطة، والدّوامات العَرَضية التي تقترب من وقتٍ لآخر.

ثارت داخل قمّرة الطّائرة عاصفةٌ من الأضواء الخضراء المنبعثة من مؤشّرات أجهزة التّحكم. وبدا التّدفق الغباري الخارجي صفاراً داكناً عديم الملامح، إلا أن وعيه الدّاخلي اخترق الحاجب.

.منذ فترةٍ ليست بالقصيرة كان يشعر بخفوت قوّة العاصفة رغم استمرار الرجّات. ركب موجة اضطرابٍ جويٍّ آخر، بدأت الدّوامة كهبّة فجائيّة ارتجفت لها الطائرة بأكملها. تصدى پاول لخوفه وانحدر بالثّوبتر يساراً.

لاحظت جيسيكا مناورة تغيير الاتجاه عندما نظرت لكرة جهاز تحديد الموضع.

صرخت: "پاول!"

أدارتهم العاصفة، جرفتهم ومالت بهم، ثم رفعت الثوبتر كما يرفع ينبوع الماء الحار رقاقةً صغيرةً، حتى لفظتهم عالياً وللخارج، كانوا كذرةٍ مجنحةٍ تطير في هواءٍ غباريٍّ يدور حول نفسه وينيره القمر الثاني.

نظر پاول للأسفل فرأى عمود الرّيح السّاخن الذي لفظهم، رسمت حوافه خيوط الغبار المحيطة به. ورأى العاصفة المحتضرة تنساب بعيدا في الصحراء وكأنها مجرى نهر جاف، بقعةٍ رماديةٍ تحتهم تتحرّك في ضوء القمر تصغر شيئاً فشيئاً فيما امتطت طائرتهما التيّار الصاعد.

همست جيسيكا: "خرجنا منها!"

بانسحاب متناغم أدار پاول مركبتهما بعيداً عن الغبار فيما كان يقلّب عينيه متأمّلا سماء الليل.

قال: "أفلتنا منهم".

شعرت جيسيكا بعنف دقّات قلبها، أجبرت نفسها على الهدوء ونظرت للعاصفة المتضائلة، أخبرها حسّها الزماني أنهما كانا يمتطيان عناصر القوى الطبيعية لما يقارب الأربع ساعات، لكن جزءاً من عقلها كان ينظر للوقت الذي مضى وكأنه حياة بأكملها، شعرت بأنّها ولدت من جديد.

. . .

قال پاول: "يقلقني صوت حركة أجنحتنا، لا بدّ وأنّ بهما خلل".

من خلال قبضته على أجهزة التّحكم شعر پاول بأنّ حركة الطّيران ثقيلة وعسرة، نعم خرجا من العاصفة لكنّهما لم يدخلا بعد مجال الرؤيا الاستبصارية الكاملة له، المهم أنّهما هربا، وثم شعر پاول بقشعريرة اقتراب رؤيا غيبية جديدة.

ارتجف.

كان الإحساس جاذباً ومرعباً، ممّا جعله يغوص في أسباب هذا الارتجاف الإدراكي. شعر بأن جزءاً من السّبب هو تشبّع الطّعام على آرّاكس بالسپايس، لكنّه شعر أيضاً أنّ السّبب الآخر قد يعود إلى استعاذة الخوف، كما لو كان للكلمات قوّتها الخاصّة.

.

السّبب والمسبَّب: لقد نجى رغم قوى شرّيرة خبيثة، وشعر أنه على حافّة الدّخول في حالة إدراكٍ ذاتي ما كان لها أن توجد لولا سحر كلمات الاستعاذة.

طنّت في ذاكرته كلمات من الإنجيل الكاثوليكي البرتقالي: "أيّ حواسٍ نفتقد بحيث نعجز عن أن نرى أو نسمع عالماً آخر يحيط بنا؟"

قالت جيسيكا: "تحيطنا صخورٌ في كلّ اتجاه".

ركّز پاول على سير الثوبتر، وهزّ رأسه لينفض عنه ما كان يشغله. نظر إلى حيث أشارت أمه، فرأى أمامه وعلى يمينه تكوينات صخرية سوداء بارزة بين الرّمال، أحس بتيار هواءٍ حول كاحليه، وبغبار يدور داخل القمّرة. كان ببدن الطائرة ثقبٌ، أثرٌ آخر من آثار العاصفة.

قالت جيسيكا: "من الأفضل أن نهبط على الرّمال، فالأجنحة قد لا تحتمل ضغط المكابح".

أومأ برأسه نحو موقعٍ تبرز فيه - فوق الكثبان - سلاسل صخريّة نحتتها الرّياح الرّملية. "سأهبط بالقرب من تلك الصّخور، تأكدي من ربطك لحزام الأمان".

أطاعته وذهنها مشغول: .

. . .

قال پاول: "اركضي متجهةً لتلك الصّخور في اللّحظة التي نتوقف فيها، وسأتولى أنا أمر الحقيبة".

"أركض ل-..." ثم صمتت وأومأت: "الدّيدان".

قال مصححا: "صديقتنا الدّيدان، إذ ستلتهم هذه الثوبتر، لن يبقى دليل يشير لمكان هبوطنا".

تبادر لها: .

هبطا بانحدارٍ أسفل فأسفل.

تحوّلت حركتهما لاندفاعٍ سريعٍ، مرّت بهم الكثبان كظلالٍ ضبابيةٍ، وبرزت الصّخور وكأنّها جزرٌ. وبخفّة مسّت الثوبتر رأسَ كثيبٍ، ثم وثبت عابرةً فوق وادٍ رملي، ثم مست كثيباً آخر.

فكّرت جيسيكا: .وغمرها الإعجاب بكفاءته.

قال پاول منبهاً: "تمسكي جيدا!"

سحب مكابح الأجنحة برفقٍ في البداية، ثم بقوةٍ أكبر فأكبر. شعر بالأجنحة تغرف الهواء، وتنكمش تدريجياً، صفرت الرّياح مارّةً عبر ثنايا الأجنحة وطيّات أشرعتها.

وفجأةً، ودون إنذارٍ مسبق سوى ترنّحات لا تكاد تلحظ، التوى الجناح الأيسر - الذي أضعفته العاصفة - وارتطم بإحدى جانبي الثوبتر، ثم تزحلقت الطائرة على امتداد قمّة الكثيب، ومالت لليسار، وتدحرجت هابطة باطراد دافنة مقدمتها في الكثيب التالي بين تلال الرّمال المنسابة كالشّلال، حتى استقرا على جانب الجناح المكسور، أمّا الجناح الأيمن فقد أشار نحو النّجوم.

نزع پاول حزام أمانه، ودفع نفسه صاعداً لأعلى، مجتازاً والدته، ودفع الباب ليفتحه. انهالت الرمال إلى داخل القمّرة، جالبةً معها رائحةً جافةً كرائحة اشتعال حجر القدح. التقط الحقيبة من المقعد

الخلفي وتأكّد من تحرّر والدته من حزامها. صعدت جيسيكا على جانب المقعد الأيمن ثم خرجت واستقرت على سطح الثوبتر الخارجي. تبعها پاول، ساحباً الحقيبة.

قال: "اركضي!" أشار لجانب الكثيب وما وراءه، حيث بدت صخرةً عاليةً كبرج نحتته هبات الرّياح الرّملية.

وثبت جيسيكا من الثوبتر وركضت، صاعدةً الكثيب، وسمعت پاول يلهث خلفها، بلغا حافة تلٍّ رمليٍّ منحني للأعلى.

قال پاول: "سيري على خط التّل، فهذا أسرع".

تقدما بصعوبةٍ خائضين في الرّمل، قاصدين الصّخور، والرّمال تتعلق بأقدامهما.

بلغهما صوتٌ جديدٌ، همسٌ مكتومٌ، هسيسٌ، وانزلاقٌ خشن.

قال پاول: "دودة".

أخذ الصّوت يرتفع.

شهق پاول: "أسرَع!"

برزت أمامهما بقعة حصباء - كشاطئ متاخم للرّمل - لا تكاد تبعد عنهما أكثر من عشرة أمتار، عندها سمعا خلفهما أصوات الطّحن والتّكسير المعدنية.

نقل پاول الحقيبة إلى ذراعه اليمنى، محكماً قبضته على شريطها، كانت ترتطم بجانبه أثناء الجري، وبيده الأخرى أمسك ذراع والدته، واندفعا بقوةٍ لتسلّق الصّخرة البارزة، صعدا نحو سطحٍ مفروشٍ بالحصى كأنّه امتدادٌ لمجرى ملتوٍ أحسنتِ الرّياح في نحتهِ. تردّدت الأنفاس في حلقيهما جافّةً ولاهثةً.

لهثت جيسيكا: "لا أستطيع الجري أكثر".

توقّف پاول ودفع أمه بداخل ممرٍّ صخري ضيِّق وحشرها فيه، ثم استدار ونظر للأسفل نحو رمال الصّحراء، تحرّك جبلٌ موازياً لجزيرتهم الصّخرية، وبدت عليه تجاعيدٌ يضيئها القمر، ثم رمى بنظره نحو التماوجات الرّملية، شيءٌ ما يحفر تحت الأرض ويرتفع في شكلٍ هلالي، يكاد يكون على مدّ نظر پاول، على بعد كيلو متر تقريباً، حيث تشكّلت كثبانٌ ناتجةٌ عن مسار الحَفر ورسمت نصف دائرةٍ قصيرةٍ تقاطعت مع البقعة الصّحراوية التي تركا فيها الأورنيثوبتر المعطوبة.

وفي المكان الذي مرّت به الدّودة لم يعد للطائرة أيُّ أثرٍ.

انزاحت هضبةٌ صغيرةٌ نحو الصّحراء، وعادت أدراجها في ذات المسار.

قال پاول هامساً: "حجمها يفوق سفن نقابة الفضاء، قيل لي أن الدّيدان في قلب الصحراء ضخمة الحجم، لكن لم أدرك أنها بهذه الـ... ضخامة!"

قالت جيسيكا بصوتٍ مبهور: "ولا أنا".

ومن جديد ابتعد الشّيء عن الصّخور، وأسرع في مسارٍ منحنٍ متجهاً نحو الأفق، أصغيا إلى أصوات حركته إلى أن خفتت وبقي صوت حركة الرّمال النّاعمة فقط.

أخذ پاول نفساً عميقاً، ورفع بصره للجّرف الصّخري الذي أضاءته أشّعة القمر الفضّية، واقتبس جملةً من كتاب العِبر: "سافر ليلاً واسترح في الظّل نهاراً"، نظر لوالدته: "ما تزال أمامنا بضعة ساعات من اللّيل، هل بإمكانك المواصلة؟"

"أمهلني لحظة".

اعتلى پاول اللّوح الصّخري، ووضع الحقيبة على ظهره وضبط موضع شرائطها، وقف ساكناً للحظةٍ والبوصلة بين يديه.

قال: "قولي عندما تكوني مستعدة".

دفعت نفسها بعيداً عن الصخرة، وأحسّت بقوتها تعود لها، "في أي اتجاه؟"

أشار بيده: "إلى حيث يقودنا هذا الجرف الصّخري".

قالت: "إلى عمق الصحراء!"

همس پاول: "إلى صحراء الفريمن".

ثم صمت، إذ هزّته ذكرى دقيقة التّفاصيل لمشهد استبصاري رآه في ذهنه وهو على كالادان، كان قد رأى هذه الصحراء، لكن من خلال عدسةٍ مختلفةٍ بعض الشّيء، كصورة بصرية اختفت بين ثنايا وعيه، تشرّبتها الذّاكرة، ثم لمّا تم استرجاعها ومقارنتها بالمشهد الحقيقي لم تطابقه تمام المطابقة، بدت الرؤيا وقد انحرفت، لتزوره من زاوية مختلفة، بينما ظل هو ثابتاً.

... . .

قالت جيسيكا وقد أخطأت في تفسير تردده: "هل ترى طريقاً معيناً علينا أن نسلكه؟"

قال: "كلا، لكننا سنمضي على كل حال".

حرّك الحقيبة ليجد مكاناً مثالياً لكتفيه، ثم تقدم سائراً في قناة حفرتها الرّمال في الصّخور. انتهت القناة بأرضٍ صخريةٍ منبسطةٍ يضيئها نور القمر وبها أرففٌ بارزةٌ تصعد في اتجاه الجنوب، قصد پاول الرّفّ الأول وتسلّقه، تبعته جيسيكا.

وبسرعة تركّز مسارهما على اللّحظة الحالية وما تحويه من تفاصيل: البقع الرّملية التي تفصل بين المناطق الصّخرية حيث تتباطأ حركتهما، والألواح الصّخرية التي نحتتها الرّياح والخدوش التي تلحقها بأيديهما، والعوائق التي تجبرهما على الاختيار: إمّا العبور فوقها أو الاستدارة حولها. فرضت التّضاريس عليهما إيقاعها الخاص. لم يتكلّما إلا للضّرورة، وحتى ساعتها كان صوتهما أجشّ ومبحوحٌ من الإرهاق.

"خذي حذرك هنا، فهذا الرّف زلق بسبب الرّمال".

"حاذري ألّا ترتطم رأسك بهذا النتوء المعلّق".

"ابقِ تحت هذا الجرف، فالقمر في ظهرنا وسيفضح حركتنا لمن في المنطقة".

توقّف پاول عند تجويفٍ صخريٍ، وأسند الحقيبة على رفٍّ ضيقٍ.

مالت جيسيكا بجواره، ممتنةً للحظة الرّاحة هذه، سمعت پاول يسحب الماء من أنبوب بذلة تقطيره، فرشفت أيضاً من الماء المسترجع من جسدها. كان مذاقه آسناً، فتذكرت مياه كالادان - نافورة عاليةً تفيض كقبةٍ سماويةٍ، كلُّ شيءٍ غنيٍ بالرّطوبة بحيث لا تنتبه لمائها بل لشكلها أو للصّور المنعكسة عليها أو لصوتها عندما تقف قريباً منها. . . .

خطر لها أن تعريف الرّحمة هي القدرة على التّوقف، ولو للحظة، لا رحمة حيث لا يُسمح بالتوقف.

دفع پاول جسده بعيداً عن الرّف الصّخري واستدار متسلقاً سطحاً مائلاً، تنهدت جيسيكا وتبعته.

انزلقا هابطين على رفٍ صخريٍّ واسعٍ يؤدي إلى صخرةٍ عموديةٍ، ومن جديد استمرّا في التّقدم بإيقاع الحركات المضطرب عبر هذه الأرض المهشّمة.

شعرت جيسيكا أنّ اللّيل كانت تسوده درجاتٍ متباينةٍ من الأشياء الصّغيرة تحت أقدامهما وبين أيديهما، جلاميد، أو حصباء، أو قشور صخريّة، أو حبّات رملٍ كرويّة، أو الرّمال نفسها، أو الغبار الخشن، أو مسحوق البودرة الدّقيق.

كان المسحوق يتسبّب في سدّ مرشحّات الأنف مما يستوجب نفخه، وكانت الحصباء والرّمل الكروي كالبازلاء تنزلق على السّطوح الصّلبة، مما قد يجعلك تتعثر إن لم تكن منتبهاً لها. والقشور الصّخرية كانت تجرح الجلد.

أما مساحات الرّمل الموجودة في كل مكان فتعيق حركة أقدامهما.

توقف پاول، دون مقدمات، على مسطّحٍ صخريٍ، وأسند والدته إذ اصطدمت به.

كان يشير يساراً، فنظرت على امتداد ذراعه فرأت أنّهما يقفان على قمّة جرف وتحتهما بمسافة 200 متر تقريباً امتدّت الصّحراء كمحيطٍ ساكنٍ، قبعت موجات الرّمال يبلّلها القمر بضوئه الفضّي، زوايا ظلال تهبط منحنية، وفي الجوّ الرّمادي المغبّر ارتفع عن بعدٍ جرفٌ آخر.

قالت: "صحراء مفتوحة".

قال پاول: "مكانٌ واسعٌ علينا اجتيازه"، وكان صوته مكتوماً بسبب كمامّة المرشح على وجهه.

جالت جيسيكا بنظرها يمنةً ويسرةً، فلم ترى أسفلها سوى الرّمال.

صوّب پاول بصره للأمام عبر الكثبان الممتدّة، مراقباً حركة الظّلال النّاتجة عن حركة القمر. قال: "المسافة حوالي 3 أو 4 كيلومترات".

قالت: "ديدان".

"لا شكّ".

انصبّ اهتمامها على ما تحسّ به من إرهاق، على ألم العضلات الذي كان يغشى حواسها. "هلّا ارتحنا وأكلنا؟"

خلع پاول الحقيبة، وجلس أرضاً ومال عليها. اتّكأت جيسيكا بيدها على كتفه وغاصت جالسة على الصخرة المجاورة له.

سمعته يعبث بمحتويات الحقيبة.

قال: "خذي"، لامست يده الجافّة يدها وهو يدسّ في راحتها كبسولتي طاقة. ابتلعتهما برشفةٍ ماءٍ من أنبوب بذلة تقطيرها.

قال پاول: "اشربي كلّ ما معك من ماء. فالحكمة تقول: أفضل مكان لحفظ ماءك هو جسدك، هكذا تصبح أقوى، ثق ببذلة التقطير".

أطاعته، وشربت ما بجيوبها التّجميعية، شاعرةً بطاقتها تعود لها، لاحظت السّكينة التي تسود لحظة تعبهما هذه، وتذكّرت أنها سمعت الشّاعر المحارب جيرني هاليك يقول: "لقمةٌ ناشفةٌ تؤكل في هدوءٍ أفضل من بيتٍ مليءٍ بلحوم الذّبائح والنّزاعات".

كرّرت الكلمات لپاول.

قال: "هكذا كان جيرني".

انتبهت لنبرة صوته، وطريقته في التحدث عن الشّخص وكأنه قد مات.
. فقوات الآتريديز إما موتى أو أسرى أو تائهون مثلهما في هذا الفراغ معدوم الماء.

قال پاول: "دائماً جيرني يستشهد بالاقتباس المناسب، أكاد أسمعه الآن يقول: وسأجعل الأنهار يابسةً وأبيع الأرض إلى أيدي الأشرار وأخرّب الأرض وما فيها بيد الغرباء".

أغمضت جيسيكا عينيها، وأوشكت البكاء تأثراً بنبرة الرّثاء في صوت ابنها.

لم يلبث پاول أن قال: "كيف ت... تشعرين؟"

أدركت أنّه يقصد حملها، فقالت: "شهورٌ طويلةٌ قبل ولادة أختك، ما زلت... قادرةً جسدياً."

ثم - ولأن طريقة بني جيزيرِت هي التّركيز!
على التّحليل النّفسي الدّاخلي بحثاً عن تفسيرٍ لتصرفٍ غريبٍ كهذا - بحثت فوجدت مصدر هذا الرّد الرّسمي: . .

أرخى پاول قلنسوته فوق عينيه، وأصغى لصوت الحشرات في اللّيل. كانت رئتاه مشحونتين بصمته، شعر بحكّة في أنفه فنزع المرشح، فتنبه لرائحة القرفة القوية.

قال: "يوجد مزيج سپايس في موضعٍ قريبٍ".

داعبت ريحٌ زغبيةٌ وجنتي پاول، وحرّكت ثنايا ثوبه، إلا أنها لم تكن بوادر تهدّد بهبوب عاصفة، بدأ يتعلم تمييز الفرق بين الرّياح.

قال: "سيبزغ الفجر بعد قليل".

أومأت جيسيكا موافقة.

قال پاول: "هناك طريقةٌ للمرور بأمانٍ عبر المناطق الرّملية المفتوحة، فالفريمن يفعلونها".

"والديدان؟"

قال پاول: "إذا زرعنا دقّاق من عدّتنا الفريمنية، قبل أن نرحل عن هذه الصخور، فستنشغل الدّودة به لبعض الوقت".

رمقت المساحة الصّحراوية المضاءة بنور القمر والممتدّة بينهما وبين الجرف التالي: "أ وقتٌ كافي لعبور مسافة 4 كيلو مترات؟"

"ربما، وإن عبرنا المنطقة دون صوتٍ سوى أصوات الطبيعة، النّوع الذي لا يجذب الدّيدان..."

تأمّل پاول الصّحراء الواسعة، مفتشاً في ذاكرته الاستبصارية عن الدقاقات وخطاطيف الصّانع، محاولاً سبر غور التلميحات الواردة في دليل عدّة الأدوات الفريمنية - داخل حقيبتهما، استغرب الرّهبة التي تثيرها فكرة الديدان. فهو يعلم - كما لو كانت تلك المعلومة تقبع على الحافة البعيدة لإدراكه - أنّ الدّيدان يجب أن يُنظر لها باحترام لا بخوف. خصوصاً لو... لو...

نفض الخاطرة من رأسه.

قالت جيسيكا: "ينبغي أن تكون أصواتاً لا إيقاع لها".

"ماذا؟ آه، بالطبع. إن كسرنا إيقاع خطواتنا، فالرّمال نفسها تنزلق في بعض الأوقات، ولا يُعقل أن الدّيدان تأتي للتّفتيش عن مصدر كل صوتٍ يبلغها، لكن علينا الرّاحة قبل أن نجربها".

نظر لحائط الصّخور البعيد، ورأى دلائل مرور الوقت في حركة الظلال العمودية الناتجة عن ضوء القمر "، سيحل الفجر في أقل من ساعة".

"وأين سنقضي النّهار؟"

استدار پاول يساراً وأشار بيده: "في تلك المنطقة ينحرف الجرف عائداً شمالاً، بإمكانك أن تري - من الطريقة التي نحتته فيها الرّياح - أن ذلك الوجه هو الوجه المواجه لاتجاه الرياح، وبالتالي ستوجد صدوعٌ هناك، صدوعٌ عميقةٌ".

قالت: "أليس من الأفضل أن نبدأ إذن؟"

نهض وأعانها لتنهض، "هل ارتحتِ بما يكفي للهبوط؟ أريد أن نصل لأقرب مكان ممكن من الأرضية الصّحراوية قبل أن ننصب الخيمة".

"ارتحت بما يكفي"، وأومأت له برأسها ليتقدمها.

تردد للحظةٍ ثم رفع الحقيبة ووضعها على كتفيه واستدار على امتداد الجرف.

فكّرت جيسيكا: . . .

انتهيا عند سلسلة من الصّخور المسطّحة المائلة، ووراءها شاهدا شقاً صدعياً وفي طرفه رفٌّ يؤدي لدهليز اختفى في ظلال القمر.

قاد پاول الطّريق متحركاً بسرعةٍ حذرةٍ خوفاً أن يختفي ضوء القمر قريباً. هبطا نحو عالم من الظّلال المتغلغل في العمق، تحيط بهما أشكالٌ صخرية باهتةٌ تتسلق نحو النّجوم. ضاق الشّق الصّدعي إلى عرضٍ لا يتجاوز العشرة أمتار عند حافّة منحدرٍ رمليٍ رماديٍ باهت اللّون، يميل للأسفل ويختفي في الظلام.

همست جيسيكا: "هل نستطيع الهبوط؟"

"أظن ذلك".

واختبر السّطح بلمسةٍ من قدمه.

قال: "يمكن أن ننزلق هابطين، سأتقدم أنا، انتظري حتى تسمعي صوت توقفي".

"احترس".

خطا فوق المنحدر، وانزلق هابطاً سطحه الناعم إلى أن وصل لأرضيةٍ رمليةٍ مضغوطةٍ تكاد تكون مستوية تماماً، كان المكان عميقاً بين الجدران الصّخرية.

ثم سمع خلفه صوت رمالٍ تنهال منحدرةً.

حاول أن يرفع بصره في الظلام ليرى أعلى المنحدر، لكن كاد الرّمل المنساب أن يسقطه أرضاً، استمر تدفق الرّمل ثم ساد الصمت.

قال: "أمي؟"

لم يسمع إجابةً.

"أمي؟"

ألقى الحقيبة، وصعد المنحدر، مندفعاً، حافراً، ملقياً الرمال كالمجنون. شهق: "أمي! أمي، أين

أنت؟"

انهمر فوقه شلالٌ رمليٌّ آخر، دافناً جسده حتى الفخذين، فأخذ يتلوى حتى خلص نفسه منه.

. . .

وكما علّمته والدته أسلوب بني-جيزيرت، قام پاول بتهدئة الطّرق الوحشي لضربات قلبه، وأفرغ ذهنه كصفحةٍ بيضاء ليسمح لذكرى اللّحظات القليلة السّابقة أن تكتب نفسها عليها، قام ذهنه ببطء داخلي في استرجاع كل حركةٍ جزئيةٍ وانحناءةٍ حدثت أثناء الانزلاق، بينما في الحقيقة لم تستغرق تلك العملية سوى جزءٍ من الثّانية.

تحرّك پاول على امتداد الوجه المقعر للمنحدر، فاحصاً بحذرٍ، إلى أن عثر على جدار الصّدع، صخورٌ ناتئةٌ منحنيةٌ. بدأ يحفر، ناقلاً الرّمل برفقٍ كي لا يتسبّب في انزلاقٍ رمليٍّ آخر، عثرت يداه على قطعة قماش، فتتبّعها إلى أن وجد ذراعاً. تتبّع الذّراع برفق، كاشفاً عن وجهها.

همس: "هل تسمعيني؟"

لم يتلقّ رداً. حفر بشكل أسرع، محرراً كتفيها. كان جسدها مرتخياً بين يديه، لكنه استطاع تمييز دقّات قلبٍ بطيئةٍ.

أزاح الرّمل عن خاصرتها، ووضع ذراعيها على كتفيه ثم سحبها متجها لأسفل المنحدر. كانت حركته بطيئة في البداية ثم تحرك بشكل أسرع، شاعراً بالرّمال وقد بدأت تنهالُ فوقه. شدّها، لاهثاً من المجهود، مكافحاً للحفاظ على توازنه، وصل لقاع الصّدع ذي الرّمال المضغوطة، ثم نقلها لكتفه وانطلق يركض مترنحاً إذ تهاوى المنحدر بأكمله بصوت مرتفع تردّد صداه وتعالى داخل الجدران الصخرية.

توقف عند بلوغه نهاية الصّدع المطلة على كثبان الصّحراء الرّملية تحته على مسافة 30 متر. سجاها برفق على الرّمال، وتلفظ بالكلمة التي ستخرجها من حالة الإغماء التخشّبي.

بدأت تفيق ببطء، ساحبةً أنفاساً عميقةً متتابعة. همست: "كنت متأكدةً من أنّك ستعثر علي".

رفع بصره للصّدع وقال: "ربما كان من الأرحم أن أتركك".

"پاول!"

قال: "لقد فقدت الحقيبة، إنها مدفونة تحت 100 طن من الرّمال على الأقل".

"كل شيء؟"

"الماء الاحتياطي، خيمة التقطير، كل الضروريات"، لمس جيبه وقال: "لا تزال البوصلة معي"، بحث في الوشاح المربوط كحزام حول وسطه: "والسّكين والنّظارة المكبّرة، سنلقي نظرةً جيدةً على المكان الذي سنموت فيه".

في تلك اللّحظة أطلّتْ الشّمس فوق الأفق وهي تلامسُ نهاية الصّدع بضوئها، ومضت ألوانها تنتشرُ فوق رمال الصّحراء الرّحيبة، ومن مكانٍ بين الصخور ارتفعت زقزقاتُ جوقة من الطيور.

لكن جيسيكا لم تنتبه سوى لليأس البادي في وجه پاول، حمل صوتها نبرة توبيخٍ: "هل هذه نتيجة تعليمنا لك؟"

قال: "ألا تفهمين؟ كل ما نحتاجه للنّجاة في هذا المكان مدفونٌ الآن تحت هذه الرّمال".

قالت في نبرةٍ هادئةٍ ومتعقلة، "لكنّك عثرت عليّ".

جلس پاول القرفصاء مستنداً على كعبيه، ثم لم يلبث أن رفع بصره للصّدع وللمنحدر الجديد، فاحصاً إياه، ملاحظاً تفكّك الرّمال.

"إن استطعنا تثبيت مساحةٍ صغيرةٍ من هذا المنحدر، ثم حجز حركة الطّرف العلوي لحفرةٍ نحفرها في الرّمال فربما يمكننا إنزال شبه عمود إلى موقع الحقيبة. قد يفيدنا الماء في هذه المهمة لكنّنا لا نملك من الماء ما يكفي ل-..."، قطع كلامه ثم قال: "رغوة".

سكنت حركة جيسيكا كي لا تعيق عملية التّفكير الفائق.

مدّ پاول بصره للصّحراء المفتوحة أمامه، باحثاً بأنفه وعينيه، محدداً الاتجاه، ثم مركزاً انتباهه على بقعةٍ رملٍ داكنةٍ أسفلهما.

قال: "السپايس، فهو شديد القلوية، ومعي بوصلة... بطاريتها حمضية".

نهضت جيسيكا واستندت للصّخور.

لم يعرها پاول انتباها، بل قفز ناهضاً وانطلق عبر الدّرب المنحدرة من طرف الصّدع إلى الأرضية الصّحراوية.

راقبت طريقة سيره، كاسراً إيقاع خطواته... وقفة... خطوة... خطوة... انزلاقة... وقفة.

لم تحمل خطواته رتابة إيقاع قد تتسبب في تنبيه إحدى الدّيدان المتجولة إلى حركة شيء غير صحراوي.

وصل پاول لبقعة السپايس، وغرف منها كميةً حملها في طيّة من ثوبه، ثم عاد للصّدع، سكب السپايس على الرّمال أمام جيسيكا، ثم جلس القرفصاء وبدأ يفكّ البوصلة، مستخدماً طرف سكينه. نزع وجه البوصلة، ثم حلّ وشاحه وفرش مكونات البوصلة عليه، ثم التقط البطارية. نزع دائرة المؤشّر، مما ترك في الآلة قسماً فارغاً يشبه الطّبق.

قالت جيسيكا: "ستحتاج إلى ماء".

أمسك پاول طرف أنبوب الماء المجاور لعنقه ومصّ منه ملء فمه ثم بصق الماء في الوعاء الطّبقي.

فكرت جيسيكا: . .

باستخدام سكينه شقّ پاول البطارية وسكب بلوراتها في الماء. أنتجت بعض الرّغوة، ثم هدأت.

لمحت عينا جيسيكا حركةً فوقهما. رفعت بصرها فرأت سطراً من الصقور القابعة على حافة الصدع، تحدّق في الماء المتوافر أسفل منهم.

فكّرت: ! !

أعاد پاول تركيب غطاء البوصلة، تاركاً زر إعادة الضّبط دون تركيب، مما كوّن ثقباً صغيراً يؤدي للسائل، أمسك الجهاز في يدٍ وقبضة سپايس في الأخرى ثم عاد صاعداً جانب الصّدع، مدققاً في شكل المنحدر الرّملي، نفخت الرّياح ثوبه برفق لغياب الوشاح الذي يربطه من وسطه. خاض رمال المنحدر، صاعداً جزءاً منه، نافضاً عن قدميه الرّمال والأغبرة.

توقّف، وذرّ حفنةً من السپايس داخل البوصلة، ورجّ الجهاز بما يحتويه. انبثقت رغوة خضراء من الثّقب. وجّه پاول الرّغوة إلى المنحدر، ناشراً عليه سداً منخفضاً، ثم بدأ يركل الرّمل الذي تحت السّد، ومستخدماً المزيد من الرّغوة لتثبيت وجه الحفرة.

تقدّمت جيسيكا لموقعٍ قريبٍ منه وصاحت: "هل أساعدك؟"

قال: "اصعدي واحفري، أمامنا عمق بنحو ثلاثة أمتار، ولا أدري إن كانت الرّغوة كافية"، ثمّ توقفت الرّغوة عن التّدفق من الجهاز.

قال پاول: "بسرعة، فلا يمكن التنبؤ بمدة حجز الرّغوة للرّمال".

هرعت جيسيكا تتسلّق لجوار پاول فيما قام بذرّ حفنةٍ أخرى من السپايس داخل الثّقب، ثم أخذ يهزّ وعاء البوصلة، وعادت الرّغوة تنبثق من جديد، وفيما كان پاول يوجه الحاجز الرّغوي، كانت جيسيكا تحفر بيديها، دافعةً الرّمال إلى أسفل المنحدر.

قالت لاهثةً: "إلى أيّ عمق؟"

قال: "حوالي 3 أمتار، ثمّ إنني لا أستطيع تحديد الموقع إلا بالتّقريب، وقد نضطر لتوسعة الحفرة".

انتقل خطوةً للجانب، والرّمال المفككة تنساب منزلقةً"، اجعلي حفرك مائلاً للخلف، لا تحفري في خطٍّ مستقيم".

أطاعته جيسيكا.

وببطء ازداد عمق الحفرة، بالغاً مستوىً موازٍ لأرضيّة الحوض، ومع ذلك لم يظهر للحقيبة أثر.

سأل پاول نفسه:
نظر للبوصلة. لم يبق بها سوى مقدار أوقيتين من المركّب الحمضي.

اعتدلت جيسيكا واقفة داخل الحفرة، ومسحت وجنتيها بيدٍ ملوثةٍ بالرّغوة، التقت عيناها بعيني پاول.

قال: "الطرف العلوي، برفق".

وأضاف للوعاء حفنة أخرى من السپايس، ووجه الرّغوة المتدفّقة صوب يدي جيسيكا فيما استمرت هي في توسيع مساحة عمودية في الميل العلوي للحفرة، لامست يداها شيء صلب، تحسست أصابعها شريطاً طويلاً له إبزيم بلاستيكي.

همس پاول: "لا تحركي رمال أخرى، نفدت الرّغوة".

قبضت جيسيكا على الشريط، ورفعت بصرها إليه.

رمى پاول البوصلة الفارغة، وقال: "أعطيني يدك الأخرى. والآن أصغي جيداً. سأشدّك للجانب، نحو المنحدر. لا تتركي الشّريط من يدك، لن ينسكب علينا الكثير من الرّمال من القمة، فقد استقر هذا الجانب من المنحدر. سأركز على رأسك بحيث لا تغطيها الرمال، وعندما تمتلئ هذه الحفرة سأحفر وأخرجك ونسحب الحقيبة".

قالت: "فهمت".

"مستعدة؟"

"مستعدة"، وأحكمت قبضتها على الشريط.

بجذبةٍ قويةٍ أخرج پاول نصف جسدها من الحفرة، ممسكاً برأسها لأعلى بينما انهار حاجز الرّغوة وانهال الرّمل للأسفل، عندما استقر الانهيار وتوقف كانت جيسيكا مدفونة حتى وسطها، بينما اختفت ذراعها اليسرى وكتفها تحت الرّمال، أما ذقنها فمحمية بطيّة من طيّات ثوب پاول، فضَغَطَ ثقلُ الرّمال على كتفها مسبباً لها ألم.

قالت: "مازال شريط الحقيبة في قبضتي".

دسّ پاول يده في الرّمل المجاور لها، ووجد الشّريط، قال: "سنسحب معاً بقوة متوازنة حتى لا ينقطع الشريط".

بينما كانا يجذبان الحقيبة للأعلى انسابت الرّمال للأسفل، وعندما تحرّر الشّريط وظهر على السّطح توقّف پاول، ثم حرّر والدته من الرّمال، وتعاونا على سحب الحقيبة لأسفل المنحدر، وأخرجاها.

بعدها بدقائق كانا واقفين عند قاع الصّدع، يمسكان بالحقيبة بينهما.

نظر پاول لوالدته. كانت الرّغوة تبقع وجهها وثوبها، والرّمال ملتصقة بها في المواضع التي جفّت عليها الرّغوة. بدت وكأنها كانت هدفاً ألقيت عليه كرات رملٍ خضراء.

قال: "شكلك ملخبط".

قالت: "ومن قال أنك أفضل حالاً مني".

وأخذا يضحكان، ثم عادا لهدوئهما.

قال پاول: "ما كان يجب لهذا أن يحدث، كان إهمالاً مني".

هزّت كتفيها، فشعرت بكتل الرّمل المضغوط تتساقط من ثوبها.

قال: "سأنصب الخيمة، من الأفضل أن تخلعي هذا الثّوب وتنفضيه".

ثم استدار، آخذاً معه الحقيبة.

أومأت جيسيكا بالإيجاب، وقد حلّ بها التّعب فجأةً فلم تستطع الرّد.

قال پاول: "في هذه الصّخور مواضع دقُّ أوتاد، شخص ما نصب خيمته هنا في السّابق!".

فكّرت وهي تنفض ثوبها: فالمكان هنا مناسب، بين جدرانٍ صخريةٍ عميقةٍ، وفي مواجهة جرفٍ آخر على بعد أربعة كيلو مترات.

فوق مستوى الصحراء بعيداً عن الدّيدان، لكن قريب منها بما يكفي للوصول السّريع لها عند الشّروع في الانتقال.

استدارت فرأت أنّ پاول انتهى من نصب الخيمة، وأنّ قبتها - نصف الكروية ذات الأضلاع - منسجمةً مع لون جدران الصّدع الصّخرية. مرّ بها پاول، رافعاً نظارته المكبرة، عدّل ضغطها الدّاخلي بلفةٍ سريعةٍ، وركّز العدسات الزّيتية على الجرف المرتفع في الجهة المقابلة من المسطّح الرّملي الممتد، وقد علته صفرة ذهبية في ضوء النّهار.

راقبته جيسيكا يفحص تلك التّضاريس التي يوحي منظرها بمشهد من نهاية العالم، كانت عيناه تدققان في المجاري الرّملية والأخاديد.

قال: "توجد أشياء نابتةٌ هناك".

بحثت جيسيكا عن النّظارة الاحتياطية في الحقيبة المجاورة للخيمة، وصعدت مقتربةً من پاول.

قال: "هناك"، ماسكاً النّظارة في يد ومشيراً بالأخرى.

نظرت لحيث أشار.

قالت: "ساغوارو. نبتات هزيلة".

قال پاول: "ربما يعيش شيء بالقرب منها".

قالت محذرة: "قد تكون بقايا محطة اختباراتٍ نباتية".

قال: "هذه الصّحراء الجنوبية، أبعد من المواقع المعتادة للمحطات"، خفض نظارته وحكّ طرف مرشح أنفه، شاعراً بجفاف شفتيه وتشققهما، وبالعطش المغبر في فمه، "تبدو على ذلك المكان ملامح الأماكن الفريمنية".

قالت: "هل نحن على ثقة من أن الفريمن سيعاملوننا بود؟"

"كاينز وعدنا بالعون".

فكرت: .

.

أغمضت عينيها واسترجعت في ذهنها - على خلفية هذه الأرض الخراب الميتة - مشهداً من كالادان. رحلة استجمام، هي والدّوق ليتو، قبل مولد پاول، كانا يطيران فوق الأدغال الجنوبية، يحلّقان فوق الأعشاب البريّة الطويلة وأوراقها المنبثقة، وحقول الرّز في الدلتا، وفي الأسفل شاهدا وسطٍ الخضرة صفوفاً تبدو من بعيد كالنمل، جماعات من الرّجال تنقل حمولاتها على أعمدة كتفية مرفوعة بعاكسات الجاذبية. وفي المناطق البحرية انتشرت بتلاتٌ زهريّة بيضاء هي أشرعة مراكب البوم، كلّ هذا ضاع.

فتحت جيسيكا عينيها على سكون الصّحراء، شاعرةً بحرارة النّهار المتزايدة. أعمدةٌ حراريّة - تتراقص كشياطين لا تهدأ - تصيب الهواء برعشةٍ في المنطقة الرّملية المفتوحة، بدا الوجه الصّخري المقابل لهما وكأنه منظرٌ تراه عبر زجاج رديء.

انسابت رمالٌ سريعةٌ مكوِّنة ستارةً عند الطّرف المفتوح للصّدع. رمالٌ تهسهس، فكّكتها نسائم الصّباح وخفقات الصّقور التي شرعت في الانطلاق تاركة قمّة الجرف. عندما توقّف سقوط الرّمال كانت لا تزال تسمع صوت هسيسها، ارتفع الصّوت، كان صوتا يستحيل على المرء نسيانه بعد سماعه للمرّة الأولى.

همس پاول: "دودة".

جاء الصّوت من على يمينهم، بجلالٍ غير عابئ بشيء، صوت يفرض نفسه على كلّ شيء. تلٌّ ملتوٍ يحفر السّطح الرّملي ويخترق الكثبان المنتشرة في مجال بصرهما. ارتفعت مقدّمة التلّ، فتناثر منه الغبار كما لو كان موجة ماءٍ مقوسةٍ. ثم مضى، متجهاً نحو اليسار. تضاءل الصّوت، ثم مات.

همس پاول: "رأيت فرقاطات فضائية أصغر من هذا".

أومأت إيجاباً، مستمرةً في التّحديق في الصّحراء. في المواقع التي مرّت بها الدّودة تركت وراءها فجوةً عجيبةً امتدّت أمامهما إلى ما لا نهاية، تومئ تحت حد الأفق السّماوي.

قالت جيسيكا: "بعد أن نستريح، سنواصل دروسك التّعليمية".

كبح غضبه المفاجئ وقال: "أمي، ألا تظنين أنه من الأفضل حالياَ التّخلي عن..."

قالت: "أصابك الهلع والارتباك اليوم، قد تفهم طبيعة ذهنك وتستوعب تفاصيل البيندو العصبية ربما أفضل مني، لكن لا يزال أمامك الكثير لتتعلمه عن تفاصيل البرانا العضلية لجسدك. فالجسد يقوم بأشياء من تلقاء نفسه يا پاول، وبإمكاني أن أخبرك بهذه الأمور، عليك أن تتعلم التّحكم بكل عضلة، وكل ذرةٍ في جسدك، عليك أن تراجع اليد، سنبدأ بعضلات الأصابع، وأربطة الراحة، وحساسية

الأنامل"، واستدارت "تعال، إلى داخل الخيمة".

ثنى أصابع يده اليسرى، وراقب والدته تزحف نحو الخيمة عبر صمام القفل العاصر، وهو يعرف أنه لن يستطيع إثناءها عمّا عزمت عليه، وأنّ لا مفر من أن يوافق.

.

مراجعة لليد! نظر ليده، بدت قاصرة الكفاءة إن قورنت بمخلوقٍ كهذه الدّودة.

28

جئنا من كالادان... كوكبٌ يعتبر جنَّة في ملاءمته لجنسنا البشري، على كالادان لم تكن لنا حاجةٌ لبناء جنّة ملموسةٍ أو متخيِّلة، إذ كان بإمكاننا رؤيتها واقعاً حولنا في كل مكان. والثمّن الذي دفعناه مقابل هذا هو الثّمن الذي يدفعه البشر دائماً كنتيجةٍ لتحقيق حياةٍ فردوسيةٍ في الحياة الدّنيا... أصابتنا النّعومة... فقدت نصالنا مضاءها".

من كتاب (المؤدّب: حوارات)، تأليف الأميرة إيرولان

قال الرجل: "أنت إذن جيرني هاليك العظيم".

وقف هاليك في الكهف المستدير يحدّق في المهرّب الجالس خلف مكتبٍ معدني. ارتدى الرجل ثوباً فريمنياً، وأخذت عيناه لمحة لون أزرق خفيف يشي بأن طعامه يشمل مأكولات مجلوبة من خارج الكوكب، كان تصميم حجرة المكتب يحاكي مراكز القيادة على فرقاطات الفضاء، تعلّقت أجهزة الاتصال وشاشات العرض على جدر مقوّس بزاوية 30 درجة، تجاورها لوحات تصويب الأسلحة وإطلاقها عن بعدٍ، وارتبطت بالتّشكيلة طاولة المكتب نفسها لتصنع مسقطاً حائطياً لعرض البروجيكتور، مكملةً انحناء الجدار.

قال المهرب: "أنا إستبان تُويك، ابن إزمار تُويك".

قال هاليك: "إذن أنت الرجل الذي يجب أن أوجه له شكري على ما تلقيناه من مساعدة".

قال المهرب: "أها، عرفان بالجميل. اجلس".

من موقع قريب من الشّاشات برز من الجدار مقعدٌ من المقاعد المطويّة التي تستخدم على متن السّفن الفضائيةّ، فغاص هاليك فيه متنهداً، مثقلاً بالإنهاك. رأى انعكاس صورته على سطح داكنٍ مجاورٍ للمهرّب، هاله ما رآه على وجهه الدّميم من ملامح التّعب. تحرّكت ندبة الإنكثاين الممتدّة بطول فكّه إثر تغيّر تعابير وجهه.

أشاح هاليك عن انعكاسه، وحدّق في تُويك. اتضحت له الآن ملامح الشّبه العائلي، حاجبا الأب الكثيفان المنسدلان، واستواء عظام الوجنتين والأنف.

قال هاليك: "أخبرني رجالك أن والدك قُتل... قتله الهاركونِن".

قال تُويك: "الهاركونِن، أو على يد خائنٍ من قومك".

تغلّب الغضب على تعب هاليك. شدّ قامته وقال: "هل تستطيع إخباري باسم الخائن؟"

"لسنا متأكدين".

"كان ظافر حواط يشكّ في اللّيدي جيسيكا".

"آآه، ساحرة بني-جيزيرِتية. ربمّا، لكن حواط الآن أسير الهاركونِن".

"علمت بهذا"، وأخذ نفساً عميقاً"، يبدو أن ما زال أمامنا المزيد من القتل".

قال تُويك: "لن نقوم بما يجذب إلينا الأنظار".

تحفّز هاليك: "لكن..."

قال تُويك: "ونرحب بك وبمن أنقذناهم للبقاء معنا تحت حمايتنا. تقول إنّك ممتن للجميل، جيد. اعمل

معنا مقابل تسديد دينك لنا، فنحن بحاجة لرجال مهرة، لكننا سندمركم دون تردد إن قمتم بأدنى حركةٍ عدائيةٍ ضد الهاركونِن".

"لكنهم قتلوا أباك يا رجل!"

"ربما، وإن كان هذا صحيحاً فسأقول لك ما كان أبي يقوله رداً على من يتصرفون دون تفكير: الحجر ثقيل والرّمل ثقيل، لكن غضب الأحمق أثقل منهما".

قال هاليك متهكماً: "إذن لا تنوي فعل شيء؟"

"لم تسمعني أقول هذا، كل ما أقوله إنني سأحافظ على عقدي المبرم مع النقابة، فالنقابة تلزمنا بأن نلعب اللعبة بحذر، وهناك طرق أخرى لتدمير الخصم".

"آه".

"فعلا آه، إن كنت ترغب في تتبع الساحرة واقتناصها، فتفضل. لكن قد تكون متأخراً... ثم نشك أنها الخائن".

"كانت أخطاء حواط قليلة".

"سمح لنفسه بالسّقوط في أيدي الهاركونِن".

"تظن إنه هو الخائن؟"

هزّ تُويك كتفيه: "هذا نقاش نظري لا فائدة منه، فالساحرة ماتت كما نظن، أو على الأقل هذا ما يعتقده الهاركونِن".

"واضحٌ أنك تعرف أخبار الهاركونِن".

"من التّلميحات والإشارات، والإشاعات والظّنون".

قال هاليك: "نحن 74 رجلاً، إن كنت تفكر جدياً في ضمّنا إلى رجالك فهذا يعني أنك متيقن من موت دوقنا".

"لقد شوهدت جثّته".

"والولد أيضا؟ السّيد پاول الصغير؟" حاول هاليك أن يبتلع ريقه، فشعر بغصّة في حلقه.

"حسب آخر الأخبار التي وصلتنا، فُقد - ووالدته - وسط عاصفةٍ صحراويةٍ، لا أظنّهم سيعثرون حتى على عظامهما".

"إذن ماتت الساحرة... كلهم ماتوا".

أومأ تُويك: "ويقال إن رابان الوحش سيعود ليجلس على كرسي الحكم هنا على كوكب كثيب".

"الكونت رابان من لانكِڤيل؟"

"أجل".

أخذ هاليك لحظات قبل أن يستطيع تهدئة الغضب العارم الذي كاد يسيطر عليه، ثم قال في صوتٍ لاهثٍ: "عندي حسابٌ شخصيٌ أصفيه مع رابان هذا فهو من أزهق عائلتي..." حكّ النّدبة الممتدّة على فكّه وأكمل: "وأعطاني هذه".

قال تُويك: "لا ينبغي أن يخاطر المرء بكلِ شيء لمجرّد تصفية حساب قبل أوانه"، وقطّب جبينه وهو

ينظر لحركة عضلات فكِ هاليك، والانسحاب المفاجئ في عيني الرّجل.

أخذ هاليك نفساً عميقاً وقال: "أعرف... أعرف".

"بإمكانك أنت ورجالك أن تعملوا معنا مقابل تهريبكم بعيداً عن آرّاكس، فهناك أماكن كثيرة يمكن أن..."

"إني أحلّ رجالي من أي رابطة كانت تربطهم بي، لهم الحقّ في الاختيار بأنفسهم، سأبقى طالما رابان هنا".

"لستُ متأكداً من رغبتنا في بقائك إن كان تفكيرك هكذا".

حدجه هاليك: "أتشكّك في التزامي بكلمتي؟"

"لا..."

"لقد أنقذتني من الهاركونن، ولائي للدّوق ليتو كان لسببٍ مماثلٍ، سأبقى على آرّاكس، إما معك... أو مع الفريمن".

قال تُويك: "سواء تفوّه الإنسان بفكرةٍ خطرت له أم لم يفعل، فإنه يظلّ لها وجودٌ حقيقي، وتأثيرٌ قوي، وقد لا يعجبك الخط الرّفيع الذي يفصل بين الحياة والموت عند التّعامل مع الفريمن".

أغمض هاليك عينيه لبرهة، يتملّكه الإرهاق، وتمتم: "أين الرّب الذي سار بنا في أرض قِفار وحُفَر؟"

قال تُويك: "تحرّك بحذر وسيأتي اليوم الذي تأخذ فيه بثأرك، إن العجلة من الشيطان. هدئ حزنك، فعندنا ما يلهي القلب عن الأسى، ثلاثة أشياء تريح القلب من ألمه: الماء، والخضرة، وجمال المرأة".

فتح هاليك عينيه: "أُفضِّل أن أرى دم رابان هاركونِن يسيل عند قدمي"، حدق في تُويك: "أتظن أن هذا اليوم سيأتي؟"

"لا سلطة لي على مساعدتك في مواجهة الغد يا جيرني هاليك، لكن بإمكاني مساعدتك على مواجهة الحاضر".

"إذن سأقبل هذه المساعدة وسأبقى إلى أن يأتي اليوم الذي تخبرني فيه أن أثأر لأبيك ولكل الآخرين الذين..."

قال تُويك: "أصغ لي أيها المقاتل"، ومال للأمام على مكتبه، وكتفاه في نفس مستوى أذنيه، وعيناه يملأهما التصميم. وتحول وجهه فصار كالحجر الذي لفحته الرياح"، ماء أبي سأسترد ثمنه بنفسي... بنصلي".

بادله هاليك نظرة مماثلة، في هذه اللّحظة ذكّره المهرب بالدّوق ليتو، قائدٌ شجاعٌ واثقٌ من مكانته ومن هدفه، لقد كان مثل الدّوق... قبل أن يأتي إلى آرّاكس.

قال هاليك: "أترغب أن أضم نصلي مع نصالك؟"

تراجع تُويك للخلف، وظهر عليه الاسترخاء، وتفحّص هاليك في صمت.

ألح هاليك: "تراني مقاتل؟"

قال تُويك: "أنت الضابط الوحيد من رجال الدّوق، كان عدوك هائل العدد، لكنك استطعت التعامل معه،

هزمته بالطريقة التي نهزم نحن بها آرِّاكس".

"ماذا؟"

قال تُويك: "إننا نعيش هنا في شقاء يا جيرني هاليك، آرِّاكس عدونا".

"إذن علينا التعامل مع الأعداء واحداً ثم الآخر؟"

"صحيح".

"أهي إذن طريقة بقاء الفريمن؟"

"ربما".

"قلت إنني قد لا أحتمل الحياة مع الفريمن، إنهم يعيشون في الصحراء، في عمق البرية، هل هذا هو السّبب؟"

"ومن يدري أين يعيش الفريمن؟ بالنّسبة لنا تعتبر منطقة الهضبة الوسطى أرض لا تصلح للحياة، لكني أريد أن نتحدث أكثر عن ال-..."

قال هاليك: "قيل لي يندر أن تسمح نقابة الفضاء لسفن اللايتر الحاملة للسپايس بالمرور فوق الصحراء، لكن هناك شائعات بمشاهدة بقعاً من الخضرة هنا وهناك، إن كنت تعرف أين تبحث بالضبط".

قال تُويك متهكما: "شائعات! أتختار الآن بيني وبين الفريمن؟ نتمتع بقدر من الأمان. لدينا سيآتش خاص بنا محفور في الصخور، وأحواضنا الخاصة المخفية، ونعيش حياة المتحضرين، أما الفريمن فمجرد مجموعات شعثاء متناثرة نستخدمهم كجامعي سپايس".

"لكن بإمكانهم قتل الهاركونِن".

"وهل تريد أن تعلم النتيجة؟ في هذه اللحظة يطاردونهم كالحيوانات، تلاحقهم أسلحة الليزر، لأنهم لا يستخدمون الدروع، تتم إبادتهم. والسبب؟ لأنهم قتلوا هاركونِن.".

قال هاليك: "وهل قتلوا الهاركونِن فعلاً؟"

"ماذا تقصد؟"

"ألم تسمع باحتمال وجود ساردوكار مع الهاركونن؟"

"إشاعات أخرى".

"لكنها عمليات إبادة، وليس هذا من طبع الهاركونن، مذابح الإبادة إسراف وهدر".

قال تُويك: "أنا أصدّق ما أراه بعيني، اتخذ قرارك أيها المقاتل، أنا أو الفريمن. إن صرت معي أتعهّد لك بالملجأ، وفرصة لسفك الدّم الذي نتعطش له كلانا، كن على يقين من هذا، أما الفريمن فكل ما سيقدموه لك هو أن تصبح حياتك كالفريسة المطارَدة".

تردد هاليك، مدركاً الحكمة والتعاطف في كلمات تُويك، لكنه استشفّ منها كذلك قلقاً لا يعرف مصدره.

قال تُويك: "ضع ثقتك في قدراتك، قرارات من التي حافظت على رجالك أحياء خلال المعركة؟ قراراتك أنت".

قال هاليك: "إذن فهو أمر أكيد... أن الدّوق وابنه ماتا؟"

"آل هاركونن مقتنعون بهذا، وفي هذه الأمور أميل لوضع ثقتي في الهاركونِن"، وارتسمت ابتسامة شرسةٌ على فم تُويك وأكمل: "لكنها الثّقة الوحيدة التي أمنحهم إياها".

كرّر هاليك: "إذن الأمر أكيد"، ومدّ يده اليمنى كاشفاً راحته للأعلى وإبهامه مطوياً عليها، حسب الحركة المتعارف عليها، وقال: "لك سيفي".

"قبلته".

"أتريد أن أقنع رجالي بالانضمام أيضاً؟"

"وهل ستتركهم يتخذون قرارهم بأنفسهم؟"

"لقد تبعوني طوال هذه المدّة، لكن أغلبهم من مواليد كالادان، وليس آرِّاكس كما توقعوه، هنا فقدوا كل شيء ولم تبق لهم سوى أرواحهم، أفضل أن يقرّروا بأنفسهم".

قال تُويك: "ليس هذا وقت التردّد، فقد تبعوك طوال الأحداث السابقة".

"أنت في حاجة إليهم؟ أهو كذلك؟"

"نحن دائماً في حاجة لمقاتلين محنّكين... ونحتاجهم في هذه الأوقات أكثر من أي وقتٍ آخر".

"لقد قبلت سيفي، هل تريد مني أن أقنعهم؟"

"أظنهم سيتبعونك يا جيرني هاليك".

"نأمل هذا".

"فعلاً".

"هل مسموح لي إذن أن أتخذ قراري الخاص في هذا الشأن؟"

"لك حريّة القرار".

دفع هاليك نفسه لينهض من المقعد، فأحسّ بإنهاكه وكيف استنزفت تلك الحركة البسيطة ما تبقى من قواه، قال: "في الوقت الحالي سأصب اهتمامي في توفير أماكن سكناهم وراحتهم".

قال تُويك: "تحدث مع المسؤول عن الإعاشة من بين رجالي، اسمه دريسق. أخبره أن أوامري تنصّ على إكرامكم غاية الإكرام.

سأنضم إليكم بعد قليل، يجب أولاً أن أتابع عملية توريد بعض حمولات السپايس".

قال هاليك: "لينعم الجميع بالحظ السعيد ".

قال تُويك: "الجميع، فأوقات الاضطرابات فرص نادرة تنتعش فيها أعمالنا".

أومأ هاليك، ثم سمع حفيفاً خافتاً وشعر بحركة الهواء عندما انفتحت جواره كوّة، فاستدار وأحنى رأسه، عابراً خلالها إلى خارج حجرة المكتب.

وجد نفسه في قاعة التّجمع التي كان معاونو تُويك قد اقتادوه ورجاله عبرها في السابق، كانت طويلةً وضيقةً نُحتت في الصّخر الطبيعي. سطحها الناعم يدل على أن عملية النّحت تمت باستخدام مشارط شعاعية ليزرية، أما السّقف فكان مرتفعاً، عالياً بما يكفي لأن يمتد مكملاً الانحناء الصخري الطبيعي، ويسمح بدخول تيارات الهواء. وعلى امتداد الجدران صُفت رفوف للأسلحة وخزانات.

لاحظ هاليك - بشيء من الفخر - أن من كان لا يزال قادراً على الوقوف من رجاله كان واقفاً بالفعل،

لم يسمحوا لأنفسهم بالاسترخاء عند التَعب والهزيمة. وتنقل بينهم المسعفون من المهربين يطببون الجرحى، اصطفت على اليسار محفاتٌ تحمل جرحاهم، ومع كل رجلٍ جريحٍ رفيقٍ من الآتريديز.

فكّر هاليك: ، !. مبدأ ثابت في نفوسهم كقلب صخرة.

تقدّم منه أحد الضباط حاملاً آلة القانون الموسيقية تساعية الأوتار الخاصة بهاليك، كانت خارج صندوقها، قدم الرّجل تحيةً عسكريةً سريعةً وقال: "سيدي، المسعفون يقولون لا أمل في إنقاذ متّاي، إذ لا يوجد عندهم بنوك عظام وأعضاء. لا يملكون سوى الأدوات الطبية المتاحة على خطوط المعارك الأمامية فقط. لن ينجو متّاي، حسب ما يقولون... ولديه طلب منك".

"ما هو؟"

دفع الضابط القانون نحوه: "يريد متّاي سماع أغنية تيسر عليه الاحتضار يا سيدي، يقول إنك ستعرف الأغنية التي يقصدها، إذ تكرر طلبها منك في السابق".

ازدرد الضابط ريقه وأكمل: "إنها أغنية "امرأتي" يا سيدي، لو أمكن أن..."

"أعرفها"، تناول هاليك آلة القانون، والتقط الأعواد من موضعها على لوح الأصابع، ضرب نغمة رقيقة على الآلة فوجدها مضبوطة.

حرقته عيناه إلا أنه طرح الألم بعيداً وتقدم، عازفاً النغمة، ومجبراً نفسه على الظهور بمظهر باسم غير متكلّف.

انحنى عدد من رجاله والمسعفين المهربين فوق إحدى المحفات، شرع أحد الرجال في الغناء إذ اقترب هاليك، ملتقطاً النغمة المكملة بسهولة توحي بأنّها مألوفة له تمام الألفة.

"امرأتي تطلّ من نافذتها..

خطوطٌ منحنيةٌ على زجاجٍ مربع

ذراعان يرتفعان، يلتويان، ينطويان

ونحو الغروب الأحمر الذّهبي

تعالا إليَّ...

يا ذراعي فتاتي الدّافئين تعالا إليّ

من أجلي..

هذا دفء ذراعيها من أجلي".

توقّف المغنّي عن الغناء، ومدّ يده المضمّدة وأغلق جفني الرّجل الرّاقد على المحفّة.

ضرب هاليك وتراً رقيقاً أخيراً على الآلة الموسيقية. .

29

"يصعب على الناس استيعاب ظروف الحياة الأسرية التي يعيشها أطفال حضانة البيت الملكي، لكن سأحاول أن أعطيك خلاصتها في كبسولة. في نظري، لم يتمتع والدي سوى بصديقٍ حقيقي واحدٍ، الكونت هازمير فينرنغ، المخصي جينياً، والذي يعتبر من أخطر المقاتلين على مستوى الإمبراطورية. قام الكونت يوماً - وهو شخصٌ أنيقٌ وقبيحٌ وضئيل الحجم - بإحضار محظيةٍ من الإماء لأبي، فأرسلتني أمي للتّجسس على ما سيدور. كلّنا كنّا نتجسس على والدي، كوسيلةٍ من وسائل حفظ الذّات. لم يكن - بالطّبع - مسموحاً للمحظيات (حسب الاتفاقية المبرمة بين بني-جيزيرِت والنّقابة) أن تنجب لوالدي خليفة، لكن هذا لم يقطع وتيرة المكائد المتكرّرة والمزعجة في تشابهها. أصبحنا - أنا ووالدتي وأخواتي - ماهرات في اتقاء أدوات الموت الماكرة، وقد يكون قولي هذا شنيعاً لكنني أشكّ أن والدي لم يكن بريئاً من بعض تلك المحاولات، فالأسرة الملكية ليست كباقي الأسر. ها هي المحظية الجديدة، بشعرها الأحمر المماثل للون شعر أبي، رشيقةٌ وجميلةٌ، عضلاتها كعضلات الرّاقصات، وواضح أن تدريبها شمل القدرة على الإغراء العصبي، نظر لها والدي لفترة طويلة وهي تقف عاريةً تعرض نفسها عليه، ثم قال أخيراً: 'إنها أجمل من اللازم، سنحتفظ بها لإهدائها لشخص آخر'. لا تتخيل الرّعب الذي انتشر بين صغار حضانة البيت الملكي نتيجة هذه السّيطرة التي أبداها والدي، فبالنسبة لنا يعتبر الدّهاء وضبط النّفس أخطر التّهديدات التي تواجهنا".

من كتاب (في بيت أبي)، تأليف الأميرة إيرولان

في ساعات النّهار الأخيرة وقف پاول خارج خيمة التّقطير، وفوقهم غطّت الظلال الكثيفة الصدع الذي نصبا فيه معسكرهما. حدّق - عبر الرّمال الممتدة - في الجرف الصّخري البعيد، متسائلاً إن كان عليه أن يوقظ والدته الرّاقدة داخل الخيمة.

أمام مأواهما هذا امتدت ثنايا الكثبان، واحداً تلو الآخر، وفي الجانب البعيد عن الشّمس الغاربة ألقت الكثبان ظلالاً ضبابية شديدة السّواد بحيث أشبهت قطعاً من اللّيل، شاسعة تلك الأراضي المستوية أمامه.

بحثت عيناه عن أثرٍ لأيّ شيءٍ طويلٍ في هذا المنظر، لكن لم يبرز شيء إطلاقاً ليكسر امتداد الهواء الذي تراقصه الحرارة، ولا على امتداد ذلك الأفق. لا زهرة ولا شيء ينحنِي في رقة تدل على مرور نسيم. كثبانٌ فقط، وذاك الجرف البعيد القابع تحت سماءٍ ذات لونٍ أزرق فضّي مصقولٍ.

داخل الخيمة أفاقت جيسيكا من نومها وانقلبت على ظهرها ونظرت جانباً - عبر جزء الخيمة الشّفاف - صوب پاول. كان يقف وظهره لها، وشيء في وقفته ذكرها بوالده، أحسّت بنبع الأسى داخلها يفيض من جديد، فأشاحت بوجهها. ضبطت بذلة تقطيرها، وأنعشت نفسها بماء من جيب الخيمة التجميعي، وانسلّت خارجة لتقف وتتمطى نافضةً النّوم عن عضلاتها.

تكلم پاول دون أن يستدير: "أجد نفسي مستمتعاً بالهدوء هنا".

فكّرت: وتذكّرت مقولة حكيمة من مقولات بني-جيزيرِت!

قال پاول: "يمكن أن ننعم بحياة طيبة هنا".

حاولت أن ترى الصّحراء بعينيه، وأن تحيط بكلّ الظروف القاسية التي يقبل هذا الكوكب وجودها ويعتبرها أموراً طبيعية سائدة. وتساءلت عن مسارات المستقبل المحتملة التي لمحها پاول.

.

خطت متقدمةً پاول، ورفعت نظارتها المكبرة وعدّلت العدسات الزّيتية وتفحصت الجرف الصّخري المقابل لمكانهما. أجل، يوجد ساجوارو بمجاري القنوات الجافة، ونباتات شوكية أخرى، ومساحات مفروشة بعشبٍ قصير، يبدو خضاره مصفراً في الظّلال.

قال پاول: "سأنقض معسكرنا".

أومأت جيسيكا وسارت لفتحة الصّدع كي تتمكّن من إلقاء نظرةً شاملةً على الصحراء، وأدارت نظارتها ناحية اليسار. في ذلك الاتجاه وقع غورٌ ملحيٌ يبرق بلونٍ أبيض تندمج حوافه مع صفرة داكنة. حقل من البياض في هذا المكان الذي يعتبر فيه اللّون الأبيضُ علامة على الموت. لكن وجود الغور كان يقول شيئاً مغايراً: ماء. ففي وقتٍ مضى كان الماء يتدفق عبر هذا الحقل الأبيض اللّامع. خفضت نظارتها وسوّت بُرنسها، وأصغت للحظة إلى أصوات حركة پاول.

انغمست الشّمس منخفضةً أكثر فطالت الظّلال على امتداد الغور الملحي. وعند أفق الغروب انتشرت خطوط من الألوان الجامحة. تجمّعت الألوان في ظلمةٍ مشكلة إصبع قدم يمسّ الرّمال ليختبرها. ثم انتشرت ظلالٌ بلون الفحم، وحلت غلالة الليل الثقيلة على الصحراء فأخفتَها.

نجوم! رفعت بصرها تحدّق فيها، وأحسّت بتحركات پاول المقتربة منها. ارتفع ليل الصّحراء وكأنّه يريد الصّعود للنّجوم، وتراجع ثقل النّهار. هبّ نسيمٌ على وجهها لبرهةٍ من الزّمن.

قال پاول: "سيظهر القمر الأول بعد قليل. الحقيبة جاهزة، وقد زرعت الدقاق في مكانه".

فكّرت: . .

نشرت رياح اللّيل دفقاتٍ رملية خدشت وجهها، حاملةً معها رائحة القرفة، عمّ الليلَ وابل من الروائح.

قال پاول: "شمّي هذا".

قالت: "أستطيع شمّه حتى عبر المرشح الأنفي. ثرواتٌ ضخمةٌ، لكن هل بإمكانها أن تشتري لنا ماء؟" أشارت لما وراء منطقة الحوض وقالت: "لا توجد أضواء صناعية".

قال: "لابد أن الفريمن مختبئين في سيآتش خلف تلك الصخور".

أطلت عتبةٌ فضيةٌ فوق خطّ الأفق على يمينهما، القمر الأول. أخذ يرتفع ويظهر للعيان، وبدا شكل اليد المرسوم على وجهه واضحاً. تأمّلت جيسيكا الرّمال التي كشفتها الأضواء البيضاء الفضّية.

قال پاول: "غرست الدقاق في أعمق موضع بالصدع، وعندما أشعل فتيلته فسيتيح لنا فترة تقترب من ال- 30 دقيقة".

"30 دقيقة؟"

"قبل أن يبدأ في استدعاء دودة".

"أوه. أنا مستعدة".

انسل من جانبها، وسمعت صوت سيره وهو يصعد عائداً لصدعهما.

فكّرت: . .هزّت رأسها.

.

عاد پاول، والتقط الحقيبة، ثم قاد الطريق قاصداً أوّل كثيبٍ مفروشٍ أمامهما. توقف هناك وأصاخ السمع فيما تقدمت والدته لموقعه، سمع صوت تقدّمها الهادئ، وصوت حبّات الرّمل المتزحلقة، كشفرةٍ سرِّية تطلقها الصّحراء كوسيلة تأمين.

قال پاول وهو يسترجع ذكرى رجال يسيرون في الصّحراء - كانت الذّكريات استبصارية مستقبلية وأخرى قد مرّت به فعلا:

"علينا أن نسير دون إيقاع، راقبيني، فهذه طريقة سير الفريمن في الصحراء".

اتجه لجانب الكثيب المواجه للرّيح، متتبعاً انحناءاته، وتحرّك ساحباً قدميه.

راقبت جيسيكا تقدمه لعشرة خطوات، ثم تبعته محاكيةً له، استوعبت الحكمة في المشي بهذه الطريقة: يجب أن تحاكي حركتهما أصوات حركة الرّمال الطّبيعية، وحركة الرّياح. لكن عضلاتها اعترضت على نمط السّير غير الطبيعي. سحبة... سحبة... خطوة... خطوة... انتظار... سحبة... خطوة.

امتد الزّمن من حولهما، لم تقترب الواجهة الصخرية أمامهما. أمّا التي خلفهما فمازالت شاهقة الارتفاع.

"طم! طم! طم! طم!"

كان صوت دقّ كالطبول، صادراً من الجرف خلفهما.

قال پاول في هسيس: "الدقاق".

استمرّت خبطاته الدقاقة، فخلقت صعوبة في تجنب تأثر خطواتهما بإيقاعها.

"طم... طم... طم... طم..."

تحرّكا وكأنهما في وعاء يخترقه ذلك الدق الأجوف. هبوطاً وصعوداً عبر كثبانٍ تنساب رمالها: خطوة... سحبة... انتظار... خطوة...

عبر حبات رمل كالبازلاء تترقرق تحت أقدامهما. سحبة... انتظار.. خطوة.

وطوال كل هذا كانت آذانهما تترقّب باحثةً عن هسيسٍ محددٍ.

عندما بدأ هذا الصوت كان خافتاً غطاه صوت سيرهما الزاحف. لكنه أخذ يعلو، ويعلو... قادماً من جهة الغرب.

واستمر الدقاق في دقه... طم... طم... طم... طم.

وخلفهما انتشر الهسيس المتقدم عبر اللّيل. أدارا رأسيهما وهما مستمران في السير، فشاهدا الدّودة الماضية في طريقها وكأنها تلٌّ متحرك.

قال پاول: "استمري في السير، لا تنظري خلفك".

من الصّخرة المظلمة التي تركاها انفجر صوت احتكاكٍ ضاري، كصوت سياطٍ منهمرةٍ.

كرّر پاول: "استمري في الحركة".

لحظتها انتبه إلى بلوغهما نقطة يبدو للنّاظر الواقف عندها أن كلا الواجهتين الصّخريتين - التي أمامهما والتي خلفهما - أصبحتا على نفس البعد، وخلفهما استمر صوت السياط الهائج الممزق

للصّخور.

تتابع سيرهما حتى أُنهكت عضلاتهما من حركتهما الآلية التي بدا وكأنها تمتد إلى ما لا نهاية، لكن پاول رأى ارتفاعاً ملحوظاً في الجرف الصخري الذي كان يناديهما.

كانت جيسيكا تتحرك في فقاعة تركيز تعزلها عمّا حولها، مدركةً أن القوّة التي تستند عليها لمتابعة المشي هي إرادتها المحضة. آلمها جفاف حلقها، لكن منعتها الأصوات خلفها من التّوقف ورشف جرعة ماءٍ من جيوب بذلتها التجميعية.

طم... طم...

من الجرف البعيد خلفهما تجدّد صوت الهياج، منفجراً، مغرقاً صوت الدقاق.

ثم حل صمت!

همس پاول: "أسرع".

أومأت، رغم معرفتها أنه لم ير الإيماءة، لكن الحركة أشارت لعضلاتها ببذل المزيد من الجهد، تباً لهذه الطريقة الشاذة في المشي.

لاح برّ الأمان الصّخري أمامهما صاعداً نحو النجوم، ورأى پاول مسطحاً رملياً يمتد حول السّفح. خطا فوقه، وتعثّر في إرهاق، ثم وازن نفسه بحركة قدم مندفعة.

طوقهم دويٌّ اهتزّ له الرّمل، تعثّر پاول وتمايل.

بووم! بووم!

قالت جيسيكا: "رملٌ طبلي!"

استعاد پاول توازنه، ورمى بنظرة حول المنطقة الرّملية المحيطة بهما، ونحو الجرف الصّخري الذي بات يبعد عنهما بأقل من 200 متر.

سمع هسيساً خلفهما، كالرّياح... كحركة الماء في تيارٍ قويٍ، مع عدم وجود ماء.

صرخت جيسيكا: "اركض! اركض يا پاول!"

وانطلقا.

دوّت دقّات الطّبول تحت أقدامهما، ثم عبرا هذه المنطقة ودخلا منطقة حصوية. كان الرّكض مريحاً لعضلاتٍ أرهقتها حركاتٌ غير مألوفة، منعدمة الرّتابة. أمّا هذه فكانت حركةٌ يفهمها جسدهما. إيقاعٌ رتيبٌ، لكن الرّمال والحصى أعاقت أقدامهما، وكان هسيس الدّودة يقترب كصوت عاصفة.

تعثّرت جسيكا منهارةً على ركبتيها، سيطر على تفكيرها الإرهاق والصّوت والرّعب.

سحبها پاول وأوقفها. استأنفا الركض، يداً بيد.

برزت أمامهما ساريةً رفيعةً ظاهرةً من الرّمل. عبراها، ثم شاهدا أخرى، لم يستوعب عقل جيسيكا وجود الساريتين إلا بعد أن تجاوزتهما. ثم بدت أخرى، برزت من شقٍ في صخرةٍ، خدشت سطحها الرّياح.

وأخرى.

!

شعرت بالصّخر تحتها، واستيعاب قدميها للتغير إلى سطح جامدٍ. هذا التّغير في متانة السّطح حثها على المواصلة، لمحا في الجرف ظلّ شقٍ عميقٍ. انطلقا نحوه، وحشرا جسديهما داخل الفتحة الضّيقة.

خلفهما توقّف صوت حركة الدّودة.

استدارت جيسيكا ومن ثم پاول، وأطلّا برأسيهما على الصّحراء خارج الشّق.

في الموقع الذي كانت الكثبان الرّملية تبدأ عنده، أي على بعد حوالي 50 متر، عند سفح حافّة صخريّة، برز من الصّحراء شكلٌ مقوسٌ، بلونٍ فضي داكنٍ، ناثراً أنهاراً من الرّمال والغبار، ارتفع الشّكل وانكشف عن فم عملاقٍ يبحث عما يلتهمه، فتحة سوداء مستديرة تبرق حوافها في ضوء القمر. تلوّى الفم ناحيةً الشّق الضّيق حيث كمن پاول وجيسيكا، طغت رائحة القرفة على أنفيهما، وانعكس ضوء القمر على الأسنان الكريستالية.

تمايل الفم الهائل يمنةً ويسرةً.

كتم پاول أنفاسه.

ربضت جيسيكا محدّقة.

استنفذت قدراً كبيراً من التّركيز - الذي دربته عليها بني جيزيرِت - كي تهدئ من خوفها الغريزي، كابحةً خوفاً مغروساً في الذّاكرة الجمعية للجنس البشري، خوفاً كاد يطغى على ذهنها.

شعر پاول بنشوةٍ أدرك من خلالها أنه عبر قبل لحظاتٍ حاجزاً زمنياً، وولج إلى منطقةٍ مجهولةٍ. واستوعب بأن ما سيأتي بعدها يختفي في ظلمةٍ حيث لا يظهر شيء لعينه الدّاخلية، وكأن إحدى خطواته السّابقة غمرته في قاع بئرٍ أو أسفل موجةٍ بحريةٍ، حيث أصبح المستقبل خافياً عن النظر، وتغيرت تضاريس المستقبل بشكل هائل.

لم يرعبه هذا الظلام الزّمني بل أجبر حواسه الأخرى على الدّخول في حالة تسارع فائق، وجد نفسه يسجل كل تفاصيل هذا الشّيء الذي صعد من الرّمال باحثاً عنه. كان قطر الفم 80 متر تقريباً، وتبرق حول حوافه أسنان كريستالية لها شكل منحني كسكاكين الكريسْنايف، ونفخ الفم رائحة تشبه القرفة، مع آثار خفيفة لمركبات ألدهايد كيميائية، وأحماض.

حجبت الدّودة ضوء القمر وهي تحتك بالصّخور فوقهما، وانسدل إلى ملجأهما الضّيق وابلٌ من الصّخور الصّغيرة والرمال. زجّ پاول بأمه للخلف أكثر.

قرفة! غمرته الرّائحة كطوفان.

سأل نفسه: وتذكر أن لييّت-كاينز قد لمّح - دون قصد – إلى وجود علاقة بين الديدان والسپايس.

بووووم!

جاء الصوت كقصف رعدٍ بلا مطر، قادما من مكان بعيد في جهة اليمين.

ومجدداً. بووووم!

انسحبت الدّودة غائصة في الرّمال، وسكنت حركتها هكذا للحظات، وأسنانها الكريستالية تتمايل فتنعكس عليها ومضات القمر.

طم! طم! طم! طم!

فكر پاول: !

ومن جديد انطلق الصّوت صادراً عن جهة اليمين.

سرت رجفةٌ عبر جسد الدّودة، ابتعدت منسحبةً أكثر إلى داخل الرّمال. ولم يبق ظاهراً منها سوى انحناءةٍ علويةٍ كنصف ناقوس، كدائرة فوهة نفق على سطح الكثبان الرّملية.

خشخش الرّمل، وغطس المخلوق أكثر، متراجعاً، مستديراً. أصبح تلاً رملياً ناتئاً، وانعطف ماراً من فرجةٍ بين كثيبين.

خطا پاول خارجاً من الشّق، ورأى الموجة الرّملية تتراجع عبر الأرض الموحشة متجهةً لاستدعاء الدّقاق الجديد. تبعته جيسيكا، مصغية للصّوت: طم... طم... طم... طم... طم...

ثم توقف الصّوت.

بحث پاول عن أنبوب بذلة تقطيره ورشف من الماء المستعاد.

راقبته جيسيكا لكن ذهنها كان خالياً من أثر الإرهاق والرّعب. همست: "هل رحلت بالتأكيد؟"

قال پاول: "أحدهم استدعاها، فريمن".

عاد لها تركيزها: "كانت ضخمةً جداً!"

"ليس بضخامة الدّودة التي التهمت ثوبترنا".

"أنت متأكد أنهم الفريمن؟"

"استخدموا جهازاً دقاقاً".

"ولم يساعدونا؟"

"ربما لم يكونوا يساعدوننا، ربما كانوا يستدعون دودة".

"لماذا؟"

قبعت إجابةٌ على طرف وعيه، لكنّها رفضت أن تفصح عن نفسها. رأى في ذهنه صورةً لشيءٍ متعلّق بما في حقيبتهما من عصيٍ معقوفةٍ تنفرد كتليسكوب: خطافا الصّانع.

قالت جيسيكا: "ولم يستدعون دودة؟"

لامس عقلَه شيءٌ من الخوف، وأجبر نفسه على الإشاحة بوجهه بعيداً عن والدته، ورفع بصره للجرف. أشار: "من الأفضل أن نجد طريقاً يؤدي للأعلى قبل بزوغ النّهار، تلك السواري التي مررنا بها، يوجد المزيد منها".

تتبّعت امتداد إشارة يده، فرأت السواري - عوارض خدشتها الرّياح. تبينت ظلّ حافةٍ ضيقةٍ ملتوية فوق صدع يعلوهما بمسافة.

قال پاول: "إنها تشير لطريقٍ يمكن منه تسلق الجرف".

وضع الحقيبة على كتفيه وتقدم من أسفل الحافة وبدأ يتسلق، انتظرت جيسيكا للحظةٍ لتستريح، وتستعيد قوتها، ثم تبعته.

صعدا متتبّعين السواري الإرشادية، إلى أن ضاقت الحافّة وتحولت لإفريز ضيِّق مطلٍ على فتحة صدعٍ مظلمٍ.

أطلّ پاول لينظر داخل المكان المظلم، كان يشعر بوضع قدمه المتزعزع على الحافة الضّئيلة، وأجبر نفسه على حركةٍ بطيئةٍ حذرةٍ. لم يرَ داخل الصّدع سوى الظّلام، وامتدّ الصّدع للأعلى، مفتوحاً نحو النّجوم فوقه. أصغت أذناه بحرصٍ فلم يسمع سوى الأصوات المتوقّعة كانسكابٍ ضئيلٍ لنفحاتٍ من الرّمال، طنين حشرات، والخطواتِ السّريعة لحيوانٍ صغير. جرّب بقدمه المنطقةَ المظلمةَ في الصّدع، فعثر على صخرةٍ تحت سطح رملي خشن. خطا ببطءٍ مستديراً عند الرّكن، وأشار لأمه لتتبعه، أمسك بحافّة فضفاضةٍ من ردائها لمساعدتها في الصّعود.

رفعا بصريهما نحو النّجوم التي كانت تحيطها من الجانبين حافتان صخريتان، بدت هيئة والدته وهي بجواره ضبابيةً ورماديةً.

همس: "لو كان بإمكاننا المخاطرة بإشعال ضوء".

قالت: "نملك حواساً أخرى غير العينين".

تقدّم پاول داساً قدمه أمامه، ونقل وزنه عليها، ثم فتّش بقدمه الأخرى، فعثر على شيء يعيقها. رفع قدمه، فوجد درجة سلم، فصعدها. مدّ يده خلفه فشعر بذراع والدته، فشدّ ثوبها ليشير لها باتباعه.

درجة سلمٍ أخرى.

همس: "أظنّها تصعد حتى القمّة".

فكرت جيسيكا: . .

تتبّعت حركة پاول المتقدمة في الظّلام، متحسّسة الدّرجات. ضاقت الجدران الصّخرية حتى كاد كتفاها يحتكّان بها، انتهت بهما الدّرجات إلى ممرٍ ضيقٍ مائلٍ طوله 20 متر تقريباً، وقاعه مستوٍ، ويؤدّي إلى حوضٍ منخفضٍ يضيئه القمر.

خطا پاول إلى حافّة الحوض وهمس: "مكانٌ جميل".

من موقعها خلفه لم تملك جيسيكا سوى أن تحملق موافقة على رأيه.

رغم التّعب، ورغم الحكّة التي تسببها أنابيب فلترة الإخراج، وسدّادات الأنف، والاحتجاز داخل بذلة التقطير، ناهيك عن الخوف والرغبة الملحة في الخلود للرّاحة، إلا إن جمال هذا الحوض ملأ حواسها، مجبراً إياها على التّوقف والتأمل.

همس پاول: "مكانٌ ساحرٌ كبلاد العجائب".

أومأت جيسيكا.

انتشرت أمامهما نباتاتٌ صحراويّة، شجيرات، وصبّار، ومجموعاتٌ صغيرةٌ من الأوراق الخضراء، تنتفض في ضوء القمر. كانت الجدران المحيطة بالمكان مظلمة على يسارها ومضاءة بضوء القمر على يمينها.

قال پاول: "بالتأكيد هذا مكان تابع للفريمن".

وافقته: "هذه نباتات تحتاج لبشر لتنمو هكذا".

نزعت الغطاء عن أنبوب الجيوب التجميعية لبذلة تقطيرها ورشفت منه، انساب عبر حلقها ماء دافئ لاذع، لاحظت كيف أنعشها الماء.

انتبه پاول لحركةٍ على يمينه، عند قاع الحوض. عبر شجيراتٍ رماديةٍ وأعشابٍ تنمو من سطحٍ رمليٍ أملس يغمره ضوء القمر سكنت البقعة مخلوقات ضئيلة متحركة تقفز وتحجل وتثب.

همس: "فئران!"

وثبة. قفزة. تدخل الظلال وتخرج منها. هبط على الفئران شيء ما، دون أن يصدر صوتاً. صرخةً ثم خفقان أجنحة... ثم ارتفع من الحوض شبحٌ طائرٌ رمادي وفي مخالبه شيء أسود صغير.

فكّرت جيسيكا: .

استمر پاول في التّحديق في الحوض. سحب نفساً وشمّ رائحةً رقيقةً لنبتةٍ مريميةٍ تصعد عبر اللّيل. أما الطّائر الجارح فاعتبره طبيعة الصّحراء. زيارة الطّائر فرضت سكوناً مطبقاً، حتى كاد يسمع ضوء القمر الأزرق المنساب كاللّبن، يتدفق بين نبتات الساغوارو الحارسة ونبتات الفرشاة ذات الأشواك. كان للضّوء هنا أزيزٌ منخفض، يملك تناغماً يفوق كل موسيقى أخرى في الكون.

قال: "من المستحسن أن نجد موقعاً مناسباً لتثبيت الخيمة، وفي الغد سنحاول العثور على الفريمن الذين..."

"معظم المتطفلين هنا يندمون عندما يعثرون على الفريمن!" قطع كلماته صوت ذكوري عميق، مهشماً اللحظة، جاء الصّوت من مكان أعلاهم، ناحية اليمين.

هم پاول بالتّراجع لداخل الممرّ الضيق، فقال الصوت: "أرجو ألا تركضا يا متطفلين، فلن يؤدي الرّكض سوى لإهدار ماء جسديكما".

فكّرت جيسيكا: !

تغلبت عضلاتها على الإرهاق، وتأهب جسدها دون فضح ذلك ظاهرياً. حددت مكان الصّوت، مفكرة: ! .وأدركت أنّ صاحب هذا الصوت لم يسمح أن تصدر منه سوى أصوات بسيطة، أصوات الصّحراء الطبيعية.

من حافّة الحوض على يسارهما جاء صوتٌ آخر. "بسرعة يا ستيل، خذ ماءهما ودعنا نمضي في طريقنا، فأمامنا وقت قصير قبل بزوغ الفجر".

لم يكن استعداد پاول للتعامل مع الطوارئ كاستعداد والدته، فانزعج لرّد فعله المتشنج ولمحاولته التّراجع للخلف. تضايق من السّماح للهلع المؤقت بأن يغشى قدراته، والآن أجبر نفسه على اتباع توجيهاتها: استرخاء، ثم تظاهر بالاسترخاء، ثم حالة الشّد الفجائي للعضلات المستعدة للانطلاق في أي اتجاه. وعلى الرّغم من ذلك ما زال يشعر بنصل الخوف داخله، وكان يدرك مصدره، ما يحدث الآن يحدث في زمنٍ مخفي، لم يره في مستقبل اطلع عليه. وهاهما يقعان في يد فريمن همهم الوحيد الحصول على الماء المتوافر في جسد شخصين لا يملكان درعاً ليحميهما.

30

"وهكذا نرى أن هذا التكييف الذي تعرضت له ديانة الفريمن هو مصدر ما نعرفه الآن باسم (أعمدة الكون)، والذي ينشره كهنة تفويض الكرازة بيننا جميعاً، حاملين آياته وبراهينه ونبوءاته. إنهم يحملون إلينا الدّمج الآرّاكسي الصّوفي والذي يتميز جماله العميق بالموسيقى المحركة للمشاعر، والمؤسسة على الأعراف القديمة، لكن بعد طبعها بخصائص اليقظة الجديدة. من منا لم يسمع ولم تتحرك مشاعره بعمق متأثرة بكلمات ترنيمة الشيخ:

أجُر قدمَيّ في صحراء،

يرفرف سرابها كحركة الجيوش.

ساعياً بنهم للمجد، بشرِّه للخطر،

أتجول في آفاق الكُلاب.

أشاهد الزّمن يُسوي الجبال،

في بحثه الجائع عني.

ورأيت العصافير تتقدم بسرعة،

بجرأة تفوق جرأة الذئب المندفع للهجوم،

انتشروا في شجرة شبابي.

وسمعتُ السّرب بين أغصاني،

ووقعتُ بين مناقيرهم ومخالبهم!"

من كتاب (يقظة آرّاكس)، تأليف الأميرة إيرولان

زحف الرّجل فوق قمّة كثيب، كأنه حبّة غبارٍ مارةٍ في وهج شمس الظّهيرة. ارتدى بقايا ممزّقة لعباءة جُبّة، وكشفت الفتحات عن جلدٍ عاري معرّض للحرارة. كانت القلنسوة قد انتُزعت من العباءة، لكن صنع الرّجل عمامة مستخدماً قطعة قماش ممزقة. بدت من تحتها خصلات شعر بلون الرّمال، في لون لحيته القصيرة وحاجبيه الكثّين. وتحتَ العينين تامتي الزّرقة امتدت - إلى وجنتيه - بقايا بقع سوداء. وارتسمت على الشّارب واللّحية آثار متلبدة تشير للموضع الذي كان يمرّ عليه أنبوب بذلة التقطير واصلاً بين الأنف والجيوب التجميعية.

توقف الرّجل عندما بلوغ منتصف قمّة الكثيب، وامتدت ذراعاه لتستند على الجانب المنحدر له، تجلّط الدّم على ظهره وذراعيه وساقيه، والتصقت بجروحه كتلٌ من الرّمل الأصفر الدّاكن. وببطءٍ دفع نفسه ليقف على قدميه، ووقف في مكانه يترنح متمايلاً.

قال: "أنا لييّت-كاينز"، موجهاً كلامه للأفق الفارغ، وكان صوته الأجش نسخةً هزليةً من القوّة التي كان عليها في السابق. همس: "أنا الخبير الكوكبي لجلالة الإمبراطور، الخبير البيئي لكوكب آرّاكس، أنا المؤتمن على هذه الأرض".

تعثر وسقط على السطح القاسي لوجه الكثيب المواجه للريح، حفرت يداه بضعف في الرّمال.

أدرك أنه في حالة شبه هذيان، وأن الواجب عليه أن يدفن نفسه في الرّمل وأن يصل للطبقة الباردة نسبيا ويغطي نفسه بها. لكنه يشم الرّائحة العطنة شبه السّكرية لإحدى الجيوب الجوفية للسپايس الأوّلي، تفوح من مكانٍ ما تحت هذه الرمال. وكان مدركاً لمخاطر هذا - ربما أكثر من أي فريمني آخر، فما دام قادراً على شم كتلة السپايس الأولي فهذا يعني إن الغازات العميقة تحت الرّمال توشك أن تؤدي للضغط الانفجاري، وعليه أن يبتعد عن هذه البقعة.

خدشت يداه سطح الكثيب بحركةٍ ضعيفةٍ. انتشرت خاطرة في ذهنه – واضحة المعالم: ا

...

غريب أن العقل – عندما يطول تركيزه على مسارٍ واحد - يصعب عليه الانحراف عن هذا المسار. لقد تركه جنود آل هاركونن هنا بلا ماء ولا بذلة تقطير، ظانين أن دودة ستلتهمه - إن لم تقتله الصحراء أولاً، أمتعتهم فكرة إلقائه هنا حياً بحيث يموت بالتّدريج على يد كوكبه لا المبالي به.

"من أهم وظائف علم البيئة فهم العواقب المترتبة على الأفعال".

صدمه الصّوت لأنه ميّز صاحبه، وكان يعلم أن صاحبه ميّت. كان صوت والده، والذي كان الخبير الكوكبي هنا قبله، مات والده منذ زمن طويل، إثر انهيار صخري في منطقة حوض الجص.

قال والده: "أوقعت نفسك في مأزقٍ صعبٍ هنا يا بني، كان عليك أن تدرك عواقب محاولتك تقديم المساعدة لابن ذلك الدّوق".

بدا الصّوت قادماً من جهة اليمين. تحرك كاينز كاشطاً الرّمال بوجهه وأداره في ذلك الاتجاه، فلم يجد سوى كثيبٍ رمليٍ متقوسٍ وممتدٍ، وأعمدة الحرارة تتموج راقصة فوقه كشياطين في وهج الشمس المستعر.

قال والده: "كلّما زادت الحيوات داخل المنظومة البيئية كلما زادت المواقع المناسبة لوجود الحياة"، في هذه المرّة جاء الصّوت من جهة اليسار، ومن خلفه.

قال والده: "تُطوّر الحياة من قدرة البيئة على تحمل كائنات إضافية، فوجود الحياة يجعل المواد الغذائية متوافرة بدرجة أكبر. وتخزّن المزيد من الطاقة داخل المنظومة، عبر التفاعل الكيميائي الهائل المتبادل بين كل كائنٍ عضويٍ وآخر".

10

بدأت تحوم فوقه مجموعةٌ من صقور الصّحراء، مخلوقاتٌ آكلةٌ للجيف - كما هو حال أغلب الكائنات البرية في هذه الأرض. لمح كاينز ظلاً يعبر فوق يده، فأجبر رأسه على النظر للأعلى، كانت الطّيور كبقعٍ ضبابيةٍ على خلفية سماء زرقاء فضية، نقاط سخام بعيدة تحلق فوقه.

قال والده: "نحن نهتم بالعموميات، لا يستطيع المرء رسم خطوط فاصلة عندما يتعامل مع معضلات مجالها الكوكب بأكمله، فعلم البيئة الكوكبي يعتمد على التفصيل على المقاس".

أرخى وجنته على الرّمل السّاخن، فشمّ رائحة الصّخر الملتهب تحت غازات السپايس الأوليّ، وفي ركن منطقي في ذهنه تكوّنت فكرة:

قال والده: "البشر من أهم أدوات الخبير الكوكبي، يجب أن تزرع المعرفة البيئية بين الناس، ولهذا السبب أنشأت هذا النوع الجديد من التدوين البيئي".

.

شعر ببرودةٍ، لكن الرّكن المنطقي أخبره:

.

مرّر أصابعه بوهن بين الرّمال. !

قال والده: "وجود الرطوبة في الهواء يساعد على منع عمليات البخر السريع من أجساد الكائنات الحية".

.

تخيّل هواءً به رطوبة، أعشاباً تغطي هذا الكثيب، وتحته مسطح مائي مفتوح، قناة طويلة متدفقة بماء مفتوح للسماء، لا يُرى إلا في رسومات الكتب، مسطحات مائية... ماء للرّي... تذكّر أن ريّ هكتاراً واحداً من الأرض خلال موسمٍ زراعي واحدٍ يستلزم 5000 متر مكعب من الماء.

قال والده: "هدفنا الأول على آرّاكس تكوين أقاليم عشبية، سنبدأ بهذه الأعشاب التي تعرضت لطفرات تمكّنها من العيش في البيئة الفقيرة مائياً. وعندما ننجح في حجز الرّطوبة داخل أراضي عشبية سننتقل إلى تكوين غابات نجدية، ثم بضعة مسطحات مائية - صغيرة في بداية الأمر، واقعة في مسار الرياح السائدة، مع مرسبات الرّطوبة ومصائد الرياح موزعة على امتداد هذه المسارات لاستعادة ما تسرقه الرّياح، يجب أن نكوّن رياحاً شرقية حقيقية، رياح رطبة. لكن لن نستغني عن مصائد الرياح".

.

قال والده: "وستموت، إن لم تبتعد عن موقع الفقاعة التي تتكون تحتك في الأعماق. نعم هي هناك، وهذا أمر تعرفه، بإمكانك أن تشم غازات السپايس الأوليّ، وتعلم أن ديدان الصانع الصغيرة بدأت تطلق مائها ليتلاقى بالكتلة المتجمعة".

فكرة وجود هذا الماء تحته كانت مثيرة للغضب المجنون. تخيله، ماء محبوس في طبقة من الصخر المسامي بسبب كائنات الصانع الصغير، جلدية الملمس، والتي تعتبر نصف نبتة ونصف حيوان، وتخيل ذاك الفتق الرفيع يصب فيضاً مائياً بارداً نقياً شفافاً سائلاً وراوياً للعطش إلى داخل...

! أخذ نفساً، فشم الرائحة السّكرية العطنة، بدت الرّائحة أشد مما كانت عليه في السابق.

دفع كاينز نفسه ليستند على ركبتيه، وسمع صرخة طائر، وخفقان أجنحة سريع. .

. .

قال والده: "إن التنقّل بين التّضاريس ضرورة للحياة الحيوانية، تتبع الشّعوب البدوية الضّرورة نفسها، تتكيف مسارات التنقل مع الاحتياجات المادية للماء والطعام والمعادن، الآن علينا أن نتحكم في حركة التنقل هذه، وأن نجعلها تتطابق مع أهدافنا".

غمغم كاينز: "اخرس أيها العجوز".

قال والده: "وعلى آرّاكس علينا أن نقوم بشيء لم يسبق لأحد أن حاول القيام به على مستوى كوكب بأكمله، يجب أن نستخدم الإنسان كقوة بيئية بنّاءة، أن نُدخل الكائنات الحية المتكيفة لتقوم بتشكيل البيئة: نبتة هنا، حيوان هناك، وإنسان هنا... وأن نقوم بتحويل الدّورة المائية... أن نبني نوعاً جديداً من التضاريس البيئية".

صاح كاينز: "اخرس!"

قال والده: "كانت مسارات التنقل أول مفتاح نبهنا للعلاقة بين الدّيدان والسپايس".

داهمه أملٌ مفاجئ: !

شعر بالإحباط يستنزف ما تبقى لديه من قوة، الماء قريب للغاية، لكن على عمق 100 متر تحته... وستأتي دودة لا محالة، لكن لا طريقة لإبقائها فوق سطح الرمال واستخدامها.

رمى كاينز نفسه على الر!مال، فسقط في الحفرة الضّحلة التي رسمها جسده في الرّمال، حرقت الرّمال خدّه الأيسر، لكن الإحساس كان كأنه يأتي من مكان بعيد.

قال أبوه: "شكلت البيئة الآرّاكسية نفسها في منظومة من الأنماط التّطورية لأنواع الكائنات الحية المحلية، ومن الغريب قلة أولئك الذين رفعوا بصرهم عن السپايس للحظات كافية ليفكروا في التوازن شبه المثالي بين نسب النيتروجين والأكسجين وثاني أكسيد الكربون، في ظل غياب غطاء نباتي كافي، إن المجال الحيوي للكوكب واضح لمن يرى ويستوعب. أي نعم هي عملية قاسية، لكنها عملية موجودة بالفعل. هل هناك ثغرات؟ إذن هناك ما يملأ هذه الثغرات، تعجّ العلوم بجوانب لا تبدو واضحة إلى أن يتم تفسيرها، أيقنتُ بوجود ديدان الصّانع الصّغيرة مدفونة تحت الرّمال العميقة، حتى قبل أن أراها بفترةٍ طويلةٍ".

همس كاينز: "أرجوك توقف عن إعطائي المحاضرات يا أبي."

حطّ صقرٌ على الرّمال قريباً من يده الممتدة. رآه كاينز يطوي جناحيه، ويميل رأسه ليحدّق فيه. استجمع قوته وزمجر نحوه، فحجل الطائر مبتعداً خطوتين، إلا أنه لم يتوقف عن التّحديق فيه.

قال والده: "ما البشر وأعمالهم سوى مرضٌ يصيب كواكبهم، وتميل الطبيعة للتعامل مع الأمراض إما بالقضاء عليها أو احتوائها، تضمها داخل المنظومة بطريقتها الخاصة".

نكس الطائر رأسه وفرد جناحيه، عاد وطواهما، ثم نقل تركيزه لليد الممتدة.

لم تعد لدى كاينز قوة تكفي للزمجرة.

قال والده: "هنا على آرّاكس، سيتوقف النّظام التاريخي القائم على النّهب والابتزاز المتبادلين، لا يمكن أن تستمر للأبد في سرقة ما تحتاجه دون أن تأخذ في الاعتبار من سيأتون بعدك، إن الخصائص الملموسة لأي كوكب مكتوبة في سجله الاقتصادي والسياسي. ومعنا السجل أمامنا، ومسارنا واضح".

. ... .

وثب الصّقر خطوةً قرّبته من يد كاينز الممتدة، وأدار رأسه في اتجاه، ثم في الاتجاه الآخر مدققاً في اللحم العاري.

قال والده: "يعتبر آرّاكس من كواكب المحصول الواحد، محصول واحد فقط. يدعم طبقةً حاكمةً تعيش كما عاشت الطبقات الحاكمة في كل الأزمان، وتحتهم جموع من أشباه البشر وأشباه العبيد تعيش على البقايا، ما يثير اهتمامنا هو هذه الجموع وهذه البقايا.

فإن قيمتها تفوق - بكثير جداً - ما كنا نعتقده في السابق".

همس كاينز: "سأتجاهلك يا أبي، ارحل".

. .

.

قال والده: "ستَعلم جموع آرِّاكس أننا نسعى لجعل الأرض تفيض بالماء، بالطبع أغلبهم لن يفهم الطريقة التي ننوي بها تحقيق هذا إلا فهما شبه صوفي، بل وبسبب عجزهم عن فهم معضلة العلاقة الكتلية سيعتقدون أننا سنجلب الماء من كوكب آخر من الكواكب التي تزخر به. دعهم يظنون ما يشاؤون، ما داموا يضعون ثقتهم فينا".

أخذ الطائر خطوة أخرى مقترباً من يد كاينز الممتدة، حلّ صقران آخران ووقفا خلفه.

قال والده: "على الجموع أن تعتبر الدّين والقانون شيء واحد، ويجب أن يعتبر العصيان خطيئة، وأن يستلزم عقوبات دينية. ولهذا النّظام فائدة مزدوجة: طاعةٌ أشدّ وشجاعةٌ أكبر. سترى أننا لن نعتمد على شجاعة الأفراد، بل على شجاعة شعبٍ كاملٍ".

استجمع قوّته وحرّك يده بمقدار إصبع ناحية أقرب صقر.
حجل الطائر للخلف، منضماً لرفاقه، ووقفوا متأهبين للطيران.

قال والده: "سيفوز جدولنا الزّمني بنفس مكانة الظواهر الطبيعية، فحياة الكوكب نسيج واسع قريب التشابك. في البداية سنتلاعب بالقوى الطبيعية لنتحكم في التغيرات النباتية والحيوانية، وما أن تقوى شوكة التغييرات ستتحول إلى قوى مستقلة في حد ذاتها، وسيلزمنا أن نتعامل معها أيضاً. ولا تنسى أن علينا التحكم في 3 بالمائة من السطح الحيوي، نعم 3% فقط ستمكننا من قلب المنظومة بأكملها فتصبح مكتفية ذاتياً".

أراد أن يدير رأسه في الاتجاه . :
الذي يصدر منه صوت والده، وأن يُخجل العجوز بنظراته، لكن عضلاته رفضت الاستجابة لطلبه.

رأى كاينز الصقر يتحرك، تقدّم من يده، خطوةً حذرةً بعد خطوةٍ، بينما وقف رفاقه ينتظرون في مظهر لا مبالٍ. توقّف الصّقر على بعد وثبةٍ واحدةٍ من يده.

تجلّت في ذهن كاينز فكرةٌ عميقةٌ. وفجأة، استوعب الاحتمالات التي ممكن أن تتحقق لآرِّاكس بطرق لم يتوقعها والده أبداً. وازدحمت في ذهنه كل الاحتمالات الممكنة على امتداد هذا المسار.

قال والده: "أسوأ كارثة يمكن أن تحيق بقومك هي أن يقعوا في يد بطلٍ".

هل قرأ أفكاري؟ وليكن، لقد أرسلتُ الرّسائل لقرى السيآتش التّابعة لي. لا يمكن لشيء أن يوقفها الآن. إذا كان ابن الدّوق حياً سيعثرون عليه ويحمونه كما أمرتهم. قد يتخلصون من المرأة، والدته، لكنهم سينقذون الفتى.

أخذ الصّقر وثبةً جعلته يكاد يكون ملامساً لليد، أمال رأسه ليفحص البشرة السّاكنة. لكنه اعتدل فجأةً، ومد رأسه للأعلى، وبصرخة واحدة قفز في الهواء وحلق بعيداً، ورفاقه خلفه.

! !

ثم سمع هزيم الرّمال.

يعرف الفريمن هذا الصّوت ويميزونه من بين ضوضاء الدّيدان وباقي أصوات حياة الصحراء، في مكان ما تحته كدست كتلة السيايس الأوليّ كميّة مياهٍ كافيةٍ وموادٍ عضويةٍ من ديدان الصانع الصّغيرة، ووصلت للمرحلة الحرجة من النّمو المطرد. وتكونت في عمق الرّمال فقاعةٌ هائلة الحجم من ثاني أكسيد الكربون، سترتفع في شكل انفجارٍ ضخمٍ، في مركزه دوّامة غبارية، وستستبدل ما تكوّن في أعماق الرّمال بأي شيء يوجد على السّطح.

حامت الصّقور فوقه صارخةً في إحباط. يعرفون ما سيحدث، كل مخلوق صحراوي يعرف الظاهرة.

. .

شعر بالفقاعة ترفعه، وأحسّ بها تنفجر، وبالدّوامة الغبارية تحتويه، ساحبةً إياه للأسفل، إلى الظلام البارد. للحظة من الزمن كان الإحساس بالبرودة والرطوبة مريحاً. ثم - وفيما كان كوكبه يقتله - خطر لكاينز أن والده وكل العلماء الآخرين كانوا مخطئين.

فأكثر مبادئ الكون إصراراً وانتشاراً كانت التّجربة والخطأ.

حتى الصقور تقدّر هذه الحقائق.

31

"النّبوءات والاستبصار، كيف يمكن اختبار صحّتها في ظلّ الأسئلة الحائرة؟ على سبيل المثال: في حالة الموجة (وهي الكلمة التي كان المؤدّب يصف بها رؤاه)، هل هي نبوءة، وإلى أي حدٍ يلعب صاحب الرّؤية دوراً في تشكيل المستقبل بحيث يتطابق في النّهاية مع ما تقوله النّبوءة؟ وماذا عن التّناسق المتأصّل في الفعل التّنبؤي ذاته؟ هل فعلاً يمكن لصاحب الرّؤية القدرة على الاطلاع على المستقبل، أم أنّه ينتبه لوجود منطقةٍ ضعيفةٍ - كأنّها صدعٌ أو شق - بإمكانه أن يحطمها بكلماتٍ أو قراراتٍ، كما يفعل قاطع الألماس عندما يشذّب جوهرته باستخدام ضربةٍ من سكّينه؟"

من كتاب (تأمّلات خاصة عن المؤدّب)، تأليف الأميرة إيرولان

قال صوت الرّجل الآتي من ظلام اللّيل: "خذ ماءهما"، فصارع پاول خوفه، ورمى بنظرةٍ نحو والدته، لقطت عيناه المدرّبتان تأهّبها للقتال وعضلاتها المستعدّة للانطلاق.

قال الصّوت القادم من مكانٍ أعلاهما: "مؤسفٌ إذا اضطررنا القضاء عليكما تماماً".

فكّرت جيسيكا: ...

.

"سيجنورو هربوصا سوكارس هن مانجي لا شاجافاز دوي مي كامافاز نا بسلاس ليلي بال هروباص!"

كان المتكلم هو الرّجل على يمينهما، منادياً من الجهة الأخرى للحوض، بالنسبة لپاول كانت الكلمات رطانة غير مفهومة، لكن تدريبها البني-جيزيرتي مكّن جيسيكا من التّعرف على اللّغة. تشاكوبسا، إحدى لغات الصّيد القديمة، وكان الرّجل - الموجود أعلاهما بمكان ما - يقول إنّه من المحتمل أنّهما الغريبان اللذان كانوا يبحثون عنهما.

ساد صمتٌ مفاجئٌ بعد كلمات الرّجل، وفوقهما تدحرج الوجه المستدير للقمر الثاني، وكأنّه عجلةٌ، بلونه العاجي المائل للزّرقة، وبدا باهراً، متأملاً ما حوله.

صدرت من ناحية الصّخور أصواتٌ متدافعةٌ، ثم تبعتها حركاتٌ داكنةٌ تَرْمحُ تحت نور القمر، تحثُّ خطاها نحوهما، ومن بين الظّلال تدفّقت شخوصٌ كثيرةٌ.

شعر پاول بغصّةٍ مفاجئةٍ: !

تقدّم نحو جيسيكا رجلٌ طويلٌ يرتدي بُرنساً مزركشاً، كانت كمّامة فمه متدلّية للجنب لتسمح له بالكلام بوضوح، وكشفت - في النّور الجانبي للقمر - عن لحيةٍ كثيفةٍ، لكن حجبت القلنسوة الوجه والعينين.

قال: "ما هذا، إنسٌ أم جانٌ؟"

وعندما سمعت جيسيكا في صوته نبرة مزاحٍ صادقةٍ سمحت لنفسها بشيء من الأمل. كان صوت قائدٍ، الصّوت الذي أفزعهما في البداية باقتحامه اللّيل عليهما.

قال الرّجل: "إنسٌ بلا شك".

توجّست جيسيكا - وإن لم ترَ - وجود السّكين المخبّأة في طيّةٍ من طيّات ثوب الرّجل، وغمرتها لحظة ندمٍ لاذعٍ لعدم امتلاكهما دروعاً شخصيّة.

قال الرّجل: "هل تنطقان؟"

تبنت جيسيكا في أسلوبها وصوتها غطرسة مَلكية. فالموقف يحتاج إجابة سريعة، لكنّها لم تسمع من الرّجل قدراً كافياً يضمن قيامها بالتسجيل الذّهني لبيئته الثّقافية ونقاط ضعفه. قالت بنبرة قوية: "ومن هذا الذي يتسلّل علينا كالمجرمين في جنح اللّيل؟"

مال الرّأس المغطى بقلنسوة البُرنس في توتر عصبي، ثم تحرك في استرخاء بطيء كشف لها الكثير، رجلٌ يجيد التّحكم بغضبه.

تحرّك پاول مبتعداً عن والدته قليلاً، ليجعلهما هدفين منفصلين، وليسمح لكل منهما بمساحةٍ حرّةٍ للحركة. استدار الرأس المغطى نحو پاول، كاشفاً جزءاً من الوجه في ضوء القمر. رأت جيسيكا أنفاً حاداً وعيناً لامعة، داكنة، شديدة القتامة بلا بياضٍ فيها، وشارباً كثاً بنيّ اللّون ومفتولاً لأعلى.

قال الرجل: "شبلٌ نجيبٌ، إن كنتما هاربين من الهاركونن، فربما نرحّب بكما بيننا، فما قولك يا صبي؟"

برقت الاحتمالات في ذهن پاول: هم بحاجة لقرارٍ فوريٍ.

قال بنبرة قوية: "ولماذا تقبل إيواء الهاربين؟"

قال الرّجل طويل القامة: "طفلٌ يفكر ويتكلّم كما الرّجال. طيب، إجابةً على سؤالك يا أيها الـولي Wali الصّغير، فلست ممن يدفعون الفيء Fai - أي جزية الماء - لآل هاركونِن، ولهذا السبب يمكن أن أرحّب بالهاربين".

فكّر پاول: .

قال الرّجل طويل القامة: "أنا ستيلغار، من الفريمن. هل يسرّع هذا من قرارك يا صبي؟"

فكّر پاول: .وتذكّر الاجتماع الذي حضره هذا الرجل مطالباً بجثّة صديقٍ قتله الهاركونن.

قال پاول: "أعرفك يا ستيلغار. لقد كنتُ حاضراً مع أبي الاجتماع الذي جئت تطالب فيه بماء جسد صديقك، وقد أخذت معك أحد أتباع أبي، دَنكِن آيداهو، في عملية تبادل للأصدقاء".

قال ستيلغار: "وقد تخلى عنا آيداهو عائداً لدوقه".

سمعت جيسيكا في صوته شيئاً من الاحتقار، فهيئت نفسها استعداداً للهجوم.

قال الصّوت القادم من الصّخور أعلاهما: "إننا نضيع وقتنا هنا يا ستيل".

صاح ستيلغار: "إنه ابن الدّوق، لا شكّ أنه الشّخص الذي أخبرنا ليبّت بالبحث عنه".

"لكن يا ستيل... إنه طفل".

قال ستيلغار: "كان الدّوق رجلاً، وهذا الصّبي عرف استخدام الدقاق، وأظهر شجاعة في عبوره طريق شاي-هولود".

وسمعت جيسيكا في كلماته استبعادها من أفكاره، هل أصدر حكمه ضدّها؟

قال الصّوت أعلاهما محتجاً: "لا وقت لدينا لإجراء الاختبار".

قال ستيلغار: "لكنه قد يكون لسان الغيب".

فكّرت جيسيكا: !

قال الصّوت القادم من فوقهما: "لكن المرأة..."

أعادت جيسيكا تهيئة نفسها، كان الصوت يقطر موتاً.

قال ستيلغار: "أجل، المرأة، وماءها".

ردّ الصّوت القادم من الصّخور: "تذكّر القانون، العاجزون عن التعايش مع حياة الصحراء..."

قال ستيلغار: "اصمت.. فالزّمن يتغير".

أردفَ الصّوت القادم من الصّخور: "هل أمر لييّت بهذا؟"

قال ستيلغار: "لقد سمعتَ صوت السييلاغو يا جامِس، لم تضغط عليّ هكذا؟"

وفكّرت جيسيكا: ! فتحت مؤشرات لغة هذه الكلمة أمامها سبلاً واسعةً من الفهم. هذه لغة العلم Ilm والفقه Fiqh. سييلاغو تعني الخفّاش، حيوانٌ ثدييٌ صغيرٌ طائرٌ. أما صوت السييلاغو فيعني أنّهم تلقوا رسالة -عبر جهاز ترجوم طيري- تأمرهم بالبحث عنها وعن پاول.

ردّ الصّوت القادم من فوقهما: "لا أقصد سوى تذكيرك بواجباتك، يا صديقي ستيلغار".

قال ستيلغار: "واجبي قوة القبيلة، هذا هو واجبي الوحيد، ولا أحتاج لأن يذكرني به أحد. هذا الصّغير -الذي يتصرف كالكبار- يثير اهتمامي. إنه ممتلئ لحماً، وعاش معتاداً شرب الماء الوفير، وعاش بعيداً عن والدتنا الشمس، وليست عيناه كعيون العباد Ibad، إلا أنه لا يتكلّم ولا يتصرّف كالضّعاف السّاكنين في الأغوار. ووالده أيضاً لم يكن يتصرف مثلهم، فما تفسير هذا؟"

همهمَ الصّوت القادم من فوق الصّخور: "لا يمكن أن نبقى هنا نتجادل طوال الليل، لو مرت دورية..."

قال ستيلغار: "اصمت يا جامِس، لن أكررها".

التزم الرّجل الآخر الصّمت، لكن جيسيكا سمعته يتحرّك، يتجاوز الممرّات الضيّقة بقفزاته، وهبط لقاع الحوض على يسارهما.

قال ستيلغار: "أشار صوت السييلاغو إلى أن إنقاذكما ربمّا يجر علينا نفعا قيِّما. أرى بوادر طيّبة في هذا الولد الذي يشبه الرجال، فهو صغير السّن ويمكن أن يتعلم، لكن ماذا عنك يا امرأة؟" وحدق في جيسيكا.

فكرت جيسيكا: .

. .

قالت جيسيكا: "أنا أم هذا الصّبي، فجزءٌ من قوته التي أثارت إعجابك نتاج تدريبي له".

قال ستيلغار: "للنّساء قوة بلا حدود، وهذا أمر مؤكد في حالة السّيدات الموقرات، هل أنت سيدة موقرة؟"

تجاهلت جيسيكا دلالات السؤال مؤقتاً، وأجابت بصدق: "لست كذلك".

"هل أنت مدرَبة على أساليب الحياة الصّحراوية؟"

"لا، لكن الكثيرون يعتبرون تدريبي ذو قيمةٍ كبيرةٍ".

قال ستيلغار: "نحن من يحكم على قيمة الشيء".

قالت: "لكلّ إنسان الحقّ في إصدار أحكامه الخاصّة".

قال ستيلغار: "جيّد أنك متفهمة للسّبب. ليس بإمكاننا التّلكؤ هنا لامتحان معدنك يا امرأة، تتفهمين

هذا؟ لا نريد أن يؤرقنا وزر روحك، سآخذ الفتى الذي يتصرف كالرجال، ابنك، وسيكون تحت حمايتي، وسيكون له مأوى في قبيلتي. أما بالنسبة لك يا امرأة، فـ... تتفهمين أن تصرفنا هذا لن يكون نابعاً عن عداء شخصي؟ بل هي قاعدة متبعة، 'استصلاح' Istislah، أي للصالح العام، أليس هذا كافياً؟"

تقدم پاول نصف خطوة للأمام: "عم تتكلم؟"

رمى ستيلغار پاول بنظرةٍ سريعةٍ، لكنه أبقى انتباهه منصباً على جيسيكا: "إن لم يتدرب المرء منذ طفولته تدريباً واسعاً على أساليب الحياة هنا قد يتسبب في القضاء على القبيلة بأكملها. هذا هو القانون، ولا يمكننا أن نحمل عديمي الفائد..."

بدأت حركة جيسيكا في صورة إغماءة مزيّفة وسقوط للأرض. هذا ما يتوقعونه من شخصٍ أجنبيٍ ضعيفٍ، وعادةً ما تتسبب الأفعال الواضحة في ردّ فعلٍ بطيءٍ. إذ يضيع العقل لحظات لتفسير الشيءِ المعروف عندما ينكشف أن هذا الشيء في الحقيقة غير معروف.

عندما رأت كتفه الأيمن ينخفض ليلتقط سلاحاً بين طيّات ثوبه ليصوبه إلى موقعها الجديد، تحرّكت واستدارت. ثم حركة من ذراعها سريعة كالسّوط، ثم دوران سريع لثوبين متداخلين، وانتهت بظهرها للصّخور والرّجل عديم الحيلة أمامها.

مع أولى حركات أمه تراجع پاول خطوتين. وفيما نفذت هجومها، قفز مختفياً بين الظلال. اعترض طريقه رجلٌ ملتح، مندفعاً بقوةٍ حاملاً سلاحاً في يد، وبلكمة يدٍ منبسطةٍ ضرب پاول الرّجل تحت عظمة القصّ، ثم خطا جانباً وضرب منطقة أسفل عنقه بجانب يده، مستولياً على سلاحه أثناء سقوطه أرضاً.

ولج پاول في الظّلال، مندفعاً في صعوده بين الصّخور، والسلاح مدسوساً داخل وشاح خصره. ميّز السلاح من شكله غير المألوف، سلاح قاذف، باح له هذا بأشياء كثيرة فيما يتعلق بعادات هذا المكان، دليل آخر على أن دروع الطّاقة لا تُستخدم هنا.

. .
.

صدرت من الحوض سلسلة من الطقطقات الزنبركية كجوقة موسيقية، أزّت مقذوفات من حوله مرتطمةً بالصخور. وحرّكت إحداها ثوبه بقوة. انحشر في ركنٍ صخريٍ فوجد نفسه داخل شقٍ رأسي ضيقٍ. شرع في صعود تدريجي للأعلى، مسنداً ظهره لأحد الجانبين، وقدماه للجانب الآخر. صعد ببطءٍ، وصمت.

بلغه صدى زمجرة ستيلغار: "تراجعوا يا قمل الدّيدان! ستدقّ عنقي إن اقتربتم!"

جاء صوت أحدهم صادراً من الحوض: "هرب الصّبي يا ستيل. ماذا سنفـ..."

"بالطبع هرب، يا رأس الرّمل. آي! رفقاً بي يا امرأة!"

قالت جيسيكا: "قل لهم يتوقفوا عن مطاردة ابني".

"لقد توقفوا يا امرأة، فلت منهم تماماً كما خططتِ. يا للآلهة! لماذا لم تقولي إنكِ امرأة عجائبية ومقاتلة؟"

قالت جيسيكا: "مُرْ رجالك بالتراجع، قل لهم أن يهبطوا لمنتصف الحوض ويكونوا على مرمى بصرٍ مني، ولا تراوغوا فأنا على علم بأعدادكم".

وفكّرت: .

صعد پاول بوصة بعد بوصة، فوجد حافة ضيقة يمكن له أن يرتاح عليها وينظر للحوض أسفله.

جاءه صوت ستيلغار: "وإن رفضت؟ كيف سيمكنك ساعت-... آخ! اتركيني يا امرأة! لم تعد لدينا نيّة بإيذائك. يا للآلهة العظمى! إن كنتِ قادرةً على فعل هذا بأقوى رجلٍ فينا فقيمتك تفوق وزن ماء جسدك بعشرات المرات".

فكّرت جيسيكا: . قالت: "أتسعى للسؤال عن لسان الغيب؟"

قال: "ربما تكونان المذكورين في الأساطير، لكن لن أقتنع إلا بعد التّحقق. كل ما أعرفه الآن أنكما جئتما إلى هنا مع ذاك الذّوق الغبي... آيي! يا امرأة! لا يهمني إن قتلتِني! كان رجلاً شريفاً وشجاعاً لكن من الغباء أن يضع نفسه في طريق القبضة الهاركونية!"

ساد الصّمت.

وبعد برهةٍ قالت جيسيكا: "لم يكن أمامه خيار، لكن لن نتجادل في هذا الأمر، أما الآن فقل لقنَّاصك المختبئ وراء تلك الشجيرة أن يتوقف عن تصويب سلاحه ناحيتي، وإلا سأخلّص الكون منك ثم سأقضي عليه".

زأر ستيلغار قائلاً: "أنت يا من تقف هناك! نفذ ما قالته!"

"لكن يا ستيل..."

"نفّذ ما قالته، يا وجه الدّودة، يا قطعة براز السّحلية الزاحف، يا ذا الرّأس المملوء بالرّمال! افعل كما قالت وإلا سأعينها على تقطيعك إرباً! ألا ترى قيمة هذه المرأة؟"

اعتدل الرّجل الواقف عند الشّجيرة ونهض من مخبئه خافضاً سلاحه.

قال ستيلغار: "لقد أطاعك".

قالت جيسيكا: "والآن، اشرح لقومك بوضوح ما الذي تريده مني، فلا أرغب أن يتهور أحد صغار السّن بخطأٍ طائشٍ".

قال ستيلغار: "عندما نتسلل لداخل القرى والبلدات نضطر لإخفاء أصلنا، وإلى الاندماج بسكان الغور والوادي، ولا نحمل أسلحة، حيث أن الكريسْنايف شيء مقدس، لكن أنت يا امرأة فتتمتعين بالقدرة العجائبية في القتال. سمعنا بها، وشك الكثيرون في حقيقة وجودها، لكن لا يستطيع المرء أن يشكك فيما يراه بعينيه، لقد تغلبتِ على فردٍ مسلحٍ من الفريمن. هذا سلاح لا يكشفه تفتيش جسدي".

انتشرت حركاتٌ مضطربةٌ من الواقفين في الحوض عندما استوعبوا كلمات ستيلغار.

"وإذا وافقتُ على تعليمكم هذه الطريقة... العجائبية؟"

"ستكونين - وابنك - تحت حمايتي".

"وكيف لنا أن نتأكد من صدق تعهّدك؟"

فقد صوت ستيلغار شيئاً من نبرات التعقل، وبدا فيه شيء من المرارة الحادة: "في مناطقنا هذه يا امرأة لا نحمل أوراق عقود، لا نعطي وعوداً مسائية ثم ننقضها عند الفجر، عندما يقول أحدنا شيئاً فهو عقد يتعهد به، وبصفتي قائدٌ لقومي فإني قد ربطتهم بالوفاء بكلمتي التي أعطيتها، علمينا هذه الطريقة العجائبية وسيكون لك ملجأ بيننا طالما رغبتِ في ذلك، وسيندمج ماؤك بمائنا".

قالت جيسيكا: "وهل تتحدث باسم كل الفريمن؟"

"قد يتحقق هذا فيما بعد، لكن فقط أخي ليبّت هو من يتحدث الآن باسم كل الفريمن، أما هنا فكل ما أتعهد لك به هو السّرية. لن يكشف قومي أمركما لسيآتش آخر، لقد عاد الهاركونِن لكوكب كثيب بقواتهم، ومات دوقك. ويقال أنكما قضيتما في عاصفةٍ هائلة، ولا يسعى الصياد لمطاردة فريسةٍ ميّتة".

فكّرت جيسيكا: . .

قالت: "أتوقع وجود مكافأة مقابل الإرشاد عنا".

التزم ستيلغار الصّمت، وكادت أن ترى الأفكار تتقلّب في رأسه، لشعورها بحركات عضلاته تحت يديها.

ثم قال: "سأكرّرها لك: أعطيتك عهد القبيلة المؤكد، فقومي يدركون الآن قيمتك عندنا. وماذا يمكن للهاركونِن أن يمنحوننا؟ حريتنا؟ هاه... لا، إنك 'التقوى Taqwa- ذاك الشّيء الذي سيمكّننا من شراء ما هو أكبر قيمة من كل السپايس في خزائن الهاركونِن".

قالت جيسيكا: "إذن سأعلمكم طريقتي القتالية"، وشعرت بوزن كلماتها وأثرها الشعائري في لا وعيها.

"والآن، هلا أطلقتِ سراحي؟"

قالت جيسيكا: "فليكن"، وأطلقته من يديها القابضتين عليه، وخطت للجانب فصارت مكشوفةً لكل من يقف عند حافة الحوض. وفكّرت: .

.

في صمتِ الإنتظار أطلّ پاول قليلاً ليرى مكان وقوف والدته، سمع تنفساً ثقيلاً قد سكن فجأة صادراً من أعلى الشّق العمودي الصّخري. وأحس بوجود ظلٍ باهتٍ هناك، وقد أحاطت النّجوم بحوافه.

جاء صوت ستيلغار من الحوض: "أنتِ هناك! توقفي عن مطاردة الصبي، فسينزل بعد قليل".

جاء من الظلام فوق پاول صوت فتى صغير أو فتاة: "لكن يا ستيل لا يمكن أن يكون قد ابتعد عن..."

"قلت لك اتركيه يا تشاني! يا بنت السحلية!"

سمعها پاول تهمس لاعنةً، ثم صوتاً خافتاً يقول: "يسميني أنا بنت السحلية!" وانسحب الظل بعيداً عن نظره.

أعاد پاول انتباهه للحوض، ملاحظاً حركة ستيلغار - كظلٍ داكنٍ - بجوار والدته.

صاح ستيلغار: "تعالوا كلّكم" ثم التفت لجيسيكا: "والآن سأسألك أنا كيف لنا أن نستوثق من وفائك بجزء الصّفقة الخاص بك؟

فأنت من قضيتِ عمرك بين الأوراق والعقود فارغة المعنى، وما إلى ذلك من..."

قالت جيسيكا: "نحن بني-جيزيرِت لا نخرق عهودنا، تماماً كما هو الأمر عندكم".

ساد صمتٌ طويل، ثم صدر هسيس من عدة أصوات تقول: "ساحرة بني-جيزيرِتية!"

التقط پاول من وشاحه السّلاح الذي استولى عليه، وصوبه ناحية جسد ستيلغار، لكن الرجل ورفاقه ظلوا ساكنين، محدقين في جيسيكا.

قال أحدهم: "إنّها الأسطورة".

قال ستيلغار: "قيل إن الشادوت مايبس قدمت تقريراً شفهياً يؤكد ذلك، لكن مثل هذه الأمور الهامة يجب أن تُختَبر. إن كنت أنت الأيقونة الجيزيرِتية المذكورة في الأساطير والتي سيقودنا ابنها إلى الفردوس..." ثم هزّ كتفيه.

تنهّدت جيسيكا: .

... .

قالت: "إن العرّافة التي تنبأت لكم بهذا قرنته بضوابط الكرامات karama والإعجاز ijaz، أي أن صاحب النبوءة سيؤدي معجزات وستكون غير قابلة للمحاكاة. هذا الأمر أعرفه، هل ترغب في رؤية آية تدلّل على الصحة؟"

اتسعت فتحتا أنفه في ضوء القمر، وهمس: "ليس في وسعنا أن نتأخر هنا لنقيم الشعائر".

تذكّرت جيسيكا خريطة كان كاينز قد أراها إياها أثناء تدبير طرق هرب طارئة، وكأنه حدث منذ زمن طويل! كان على الخريطة موضع يسمى سيآتش طَبر، وبجانبه ملحوظة تقول: ستيلغار.

قالت: "إذن ربما نؤديها عندما نصل لسيآتش طَبر".

اهتزّ الرّجل للمفاجأة، وفكّرت جيسيكا: !

- .

.

تحرك ستيلغار في توتر: "يجب أن نرحل الآن".

أومأت موافقةً، ليدركوا أنهم رحلوا بإذن منها.

رفع بصره للجرف بحيث كاد يكون ناظراً مباشرةً للحافّة الصّخرية التي يربض عليها پاول: "أنت يا فتى، يمكنك أن تهبط الآن"، عاد بانتباهه لجيسيكا، وتكلّم بنبرة اعتذارية: "أصدر ابنك ضوضاء أثناء تسلقه، عليه أن يتعلم كي لا يعرضنا جميعا للخطر، لكنه ما زال صغيراً".

قالت جيسيكا: "لا شكّ أن كلّا منا لديه الكثير ليعلمه للآخر، وإلى أن يحين ذلك الوقت فمن الأفضل أن تعالج رفيقك هناك. فابني المثير للضوضاء تعامل معه بعنف عندما جرده من سلاحه".

استدار ستيلغار بسرعة أطارت قلنسوته: "أين؟"

أشارت: "وراء تلك الشجيرات".

مس ستيلغار اثنين من رجاله وقال: "اهتما به"، ونظر لرفاقه متعرفاً على وجوههم، وقال: "جامِس مفقود"، ثم التفت لجيسيكا: "حتى ابنك يعرف طريقة القتال العجائبية".

قالت جيسيكا: "وستلاحظ أيضا أن ابني لم يتحرك من مكانه بالأعلى على الرغم من أنك أمرته بهذا".

عاد الرجلان يسندان بينهما شخصاً ثالثاً، يتعثر ويلهث. ألقى عليهم ستيلغار نظرةً سريعَة ثم عاد بانتباهه لجيسيكا: "إذن الابن لن ينفذ سوى أوامرك أنت؟ جميل. يفهم الانضباط".

قالت جيسيكا: "پاول، بإمكانك أن تنزل الآن".

نهض پاول، فبرز في ضوء القمر فوق الشّق الصّخري الذي كان يختفي فيه. دسّ السّلاح الفريمني في حزام وشاحه من جديد،

وفيما كان يستدير واجهه شخصٌ من بين الصّخور. في ضوء القمر والانعكاس القادم من الحجارة الرمادية رأى پاول شخصاً صغيراً مرتدياً ثوباً فريمينياً، ووجهه المظلم يحدّق فيه من تحت القلنسوة،

ومن بين طيّة من طيّات ثوبه صوّب فوهة سلاح قاذف ناحيته.

"أنا تشاني، ابنة لييّت"، كان الصّوت مرحاً، يكاد يكون ضاحكاً. قالت: "ما كنتُ سأسمح لك بإيذاء رفاقي".

ازدرد پاول لعابه، استدار الشّخص الواقف أمامه ليسمح لضوء القمر أن يكشفه، فرأى وجهاً فاتناً، وعينين غائرتين، انصدم پاول وجمد لتعرّفه على الوجه المألوف – لقد رأى تلك الملامح في رؤاه الاستبصارية الأولى عدداً هائلاً من المرات. وتذكر التبجّح الغاضب الذي كان قد وصف به هذا الوجه 'الخارج من عالم الأحلام'، عندما قال للسّيدة الموقرة غاياس هيلين موهيم: سألتقي بها.

وها هو الوجه أمامه، لكن في موقف لقاء لم يره في أحلامه.

قالت: "ضوضاؤك مثل شاي-هولود نفسه في حالة غضب، واتخذت أصعب السّبل الصّاعدة إلى هنا. اتبعني، لأريك طريقاً أسهل للهبوط".

اندفع خارجاً من الشّق، وتبع خفقات ثوبها عبر تضاريس متدحرجة. كانت تتحرك كالغزال، راقصةً في خفّة على الصّخور، شعر پاول بالدم الساخن في وجهه، فكان ممتناً لعتمة الظلام.

! لقد كانت كلمسة من القدر. شعر بأنه متعلق بموجة... تحمله بالتزامن مع حركة رفعت معنوياته كلها.

لحظات وكانا يقفان وسط الفريمن على أرضيّة قاع الحوض.

التفتت جيسيكا لپاول وعلى وجهها ابتسامة ملتوية، ووجهت كلامها لستيلغار: "هذا تبادل جيد للدّروس، أرجو أنك وقومك غير غاضبين لما صدر منا من عنف، إذ كان تصرفنا... ضروري. كنتم على وشك... ارتكاب غلطة".

قال ستيلغار: "إنقاذ المرء من الغلط منحة من الفردوس"، مسّ شفته بيده اليسرى والتقط السّلاح من خصر پاول، ورماه لأحد رفاقه"، سيكون لك مسدس مولى خاص بك يا فتى، لكن عندما تستحق شرف حمله".

شرع پاول في الإجابة ثم تردد، متذكراً تعاليم أمه: "للبدايات حساسية بالغة".

قالت جيسيكا: "لدى ابني ما يحتاجه من أسلحة"، وحملقت في ستيلغار، فأجبرته على تذكر كيفية حصول پاول على المسدس.

رمى ستيلغار بنظرةٍ نحو الرجل الذي صرعه پاول، جامِس، وقف الرجل في جانب من الحوض، ورأسه منسدل لأسفل، وتنفسه ثقيل. قال ستيلغار: "إنك لامرأة صعبة المراس"، ثم مدّ يده اليسرى لأحد رفاقه وفرقع أصابعه قائلاً: "كوشتي بكاء تي".

فكّرت جيسيكا: .

وضع الرّجل في يد ستيلغار مربعين من الشاش، مررهما ستيلغار بين أصابعه، وثبّت واحداً حول رقبة جيسيكا تحت قلنسوتها، ووضع الآخر حول رقبة پاول بنفس الطريقة.

قال: "والآن صرتما ترتديان منديل البَكّاء Bakka. إن افترقنا فسيعرف الآخرون أنكما تابعان لسيآتش ستيلغار، أما الأسلحة فسنتحدث عنها في وقت آخر".

سار بين أفراد جماعته، فاحصاً إياهم، ومعطياً عدة پاول الفريمنية لأحد رجاله كي يحملها.

فكّرت جيسيكا: . ... .شعرت كيف توحد رمزية المنديل بين أفراد

جماعته. وتساءلت:

اقترب ستيلغار من الفتاة الشابة التي أحرجت پاول، وقال: "تشاني، خذي هذا الصّبي المُتراجل تحت جناحك، وجنبيه الوقوع في المشاكل".

لمست تشاني ذراع پاول: "تعال أيها الصّبي المُتراجل".

أخفى پاول الغضب من نبرته وقال: "اسمي پاول، ومن الأفضل لك أن..."

قال ستيلغار: "سنعطيك نحن اسماً يا رُجَيل.. في وقت المحنة Mihna، أثناء اختبار العقل Aql".

ترجمت جيسيكا لنفسها: .

غلبتها رغبة في إثبات مكانة پاول، فصاحت: "لقد تم اختبار ابني بالغوم جبار!"

في الهدوء الذي تبع تصريحها، عرفت أنها أصابتهم في مقتل.

قال ستيلغار: "هناك الكثير مما لا نعرفه عن بعضنا البعض، لكننا تلكأنا هنا أكثر من اللازم، يجب ألا تطلع علينا شمس النهار ونحن في العراء"، وخطا نحو الرّجل الذي صرعه پاول، وقال: "جامِس، بإمكانك السير؟"

أجابته زمجرة: "لقد فاجئني فقط، كانت حادثةً عارضة، بإمكاني السير".

قال ستيلغار: "لم تكن حادثةً عارضة. وأنا أحمّلك - مع تشاني - مسؤولية سلامة الفتى يا جامِس، فالاثنان تحت حمايتي".

حدّقت جيسيكا في الرّجل، جامِس. كان صاحب الصّوت الذي جادل ستيلغار من بين الصّخور. صوته هو الذي كان يقطر موتاً، ولاحظت كيف اضطر ستيلغار أن يعيد عليه أوامره.

ألقى ستيلغار نظرةً فاحصةً على المجموعة، وأشار لرجلين بالخروج. "لاروس وفاروخ، مهمتكما إخفاء آثار أقدامنا، احرصا ألا نترك وراءنا أثراً، وتذكرا إنّ معنا اثنان لم يتم تدريبهما"، ثم استدار وأشار بيده لامتداد الحوض: "سيروا في جماعات من صفوفٍ ومراقبون على الجانبين، تحركوا. ينبغي أن نكون عند كهف القمم قبل الفجر".

سارت جيسيكا بجانب ستيلغار، وبدأت تعد الرّؤوس. يوجد 40 فريمني، وبوجودها وپاول صار العدد 42. ... .

أخذ پاول مكانه في الصّف خلف تشاني، تغلب على حرجه من كشف الفتاة لمكانه، فذهنه الآن تسوده الذكرى التي استعادتها صيحة أمه: لقد تم اختبار ابني بالغوم جبار! وخزته يده لذكرى الألم.

قالت تشاني في هسيس: "انتبه لمكان خطواتك، لا تحتك بشجيرة كي لا تترك خيطاً يدل على مرورنا هنا".

ابتلع پاول ريقه وأومأ مستجيباً.

أصغت جيسيكا لأصوات المجموعة، فسمعت خطوات أقدامها وأقدام پاول، وتعجبت للطريقة التي يتحرك بها الفريمن. كانوا 40 شخصاً يعبرون الحوض فلا تصدر عنهم سوى أصوات المكان الطبيعية، كقوارب فلوكة شبحية، وأثوابهم تتطاير في الظلال. هدفهم سيآتش طبر، السيآتش التابع لستيلغار.

أدارت الكلمة في ذهنها، سيآتش. كانت كلمةً بلغة التشاكوبسا، لم تتغير في لغة الصّيد القديمة حتى مع مرور قرون لا حصر لها.

سيآتش: أي مكان للتَجمع في أوقات الخطر. استقرت في ذهنها الدّلالات العميقة للكلمة وللغة، بعد التّوتر الناتج عن بداية اللقاء.

قال ستيلغار: "إننا نتحرك بمعدل جيد، بمباركة شاي-هولود لنا سنصل لكهف القمم قبل الفجر".

أومأت جيسيكا، موفرةً طاقتها، والإرهاق الفظيع الذي كانت تبعده عنها بقوة الإرادة يراودها، و - اعترفت لنفسها - بنشوة الابتهاج، فقد ركز ذهنها على قيمة هذه الفرقة، وأدرك ما انكشف هنا عن طبيعة مجتمع الفريمن.

- - .

!

32

للفريمن صفةٌ لا ينازعهم فيها أحد والتي أسماها القدماء spannungsbogen، أي ضبط النّفس بحيث يمرّ وقتٌ طويلٌ بين اشتهاء الشّيء وبين مدّ اليد إليه لتناوله".

من كتاب (حكمة المؤدّب)، تأليف الأميرة إيرولان

مع بزوغ الفجر قاربوا كهف القمم، سائرين عبر فرجةٍ بالغة الضّيق في جدار الحوض، حتى أنهم اضطروا للسّير بالعرض للمرور خلالها، في ضوء الفجر الخافت رأت جيسيكا كيف أرسل ستيلغار بعض الرّجال للحراسة، وللحظاتٍ راقبتهم يتسلّقون صاعدين لأعلى الجرف.

رفع پاول رأسه أثناء سيره، فرأى في هذا الشّق شريحةً مقطعيةً لهذا الكوكب، مرسومةً كلوحةٍ فنيةٍ تنتهي حيث ينفرج الشّق فاغراً فاهه نحو السّماء الزّرقاء الدّاكنة.

شدّته تشاني من ثوبه تحثّه، وقالت: "بسرعة، لقد بدأ الضّوء بالانتشار".

همس پاول: "الرّجال الذين تسلّقوا، إلى أين هم ذاهبون؟"

قالت: "إنّها وردية الحراسة الأولى، هيا أسرع!"

فكّر پاول: ! . .

استوقفته الفكرة، وأدرك أنه كان يفكر بعقلية حرب العصابات. تذكّر خشية أبيه من أن تصبح أسرة آتريديز مضطرةً لأساليب حروب العصابات.

همست تشاني: "أسرَع".

أسرع پاول في خطواته، مصغياً لحفيف الأثواب خلفه، وأخذ يفكر في كلمات فقرة الصراط Sirat في الإنجيل الكاثوليكي البرتقالي الذي أهداه له يُوي. قلب الفقرة في ذهنه:

.

انعطفوا عند ركنٍ فاتسع الممر، وقف ستيلغار مشيراً لهم بالدّخول عبر فتحةٍ منخفضةٍ.

همس: "بسرعة! لو لحقت بنا دورية لتحولنا إلى أرانب محبوسةٍ في قفصٍ".

انحنى پاول ليدخل الفتحة، وتبع تشاني إلى كهفٍ ينيره ضوءٌ رمادي باهت صادر من مكانٍ في المقدمة.

قالت: "بإمكانك أن تعتدل واقفاً".

اعتدل، وفحص المكان، منطقةٌ عميقةٌ ومتّسعة ولها سقفٌ مقبّب، منحنٍ بارتفاع أعلى من متناول يده. انسلّ أفراد المجموعة منتشرين في الظّلال، رأى پاول والدته تظهر في جانبٍ من الكهف تراقب مرافقيهما. ورغم ارتدائها لملابس مطابقةٍ لملابسهم إلا أنها تبدو مختلفة عنهم، فالطريقة التي كانت تتحرك بها تبرز شخصيّة تتحلى بقوةٍ وتألق.

قالت تشاني: "اعثر على مكان لترتاح فيه ولا تعرقل مرور الآخرين أيها الصبي المتراجل، هاك بعض الطعام"، ودسّت في يده قطعتين ملفوفتين بورقةٍ، فاحت منهما رائحة سپايس قوية.

ظهر ستيلغار من وراء جيسيكا وأصدر أمراً لمجموعةٍ على اليسار: "ضعوا غطاء الباب في مكانه، وتأكدوا من عدم تسرب الرّطوبة"، واستدار لفريمني آخر وقال: "يا ليميل، أحضر كرات الإنارة"،

ثم أمسك ذراع جيسيكا: "أريد أن أريكِ شيئاً أيتها المرأة العجائبية".

وقادها عبر منعطفٍ صخريٍ نحو مصدر الضوء.

وجدت جيسيكا نفسها تنظر عبر حافةٍ متسعةٍ لفتحةٍ أخرى في الكهف، فتحةٍ في مكانٍ مرتفعٍ وسط حائط الجرف وتطل على حوضٍ آخر يقترب اتساعه من 10 أو 12 كيلو متر. أحاطت بالحوض جدرانٌ صخريَّةٌ عاليةٌ، انتشرت فيها مجموعاتٌ متفرقةٌ من النّباتات النّامية. وفيما جالت بنظرها حول الحوض تحت ضوء الفجرِ الباهت، باغتها قرص الشمس وهو يرتفع فوق الجرف البعيد، فأضاء تضاريس صخريَّة ورمليةً بلون البسكويت، تفاجأت من طبيعة الشمس على آرِّاكس، فهي تقفز واثبةً فوق خط الأفق.

فكّرت:

ثم ملأها الحنين لرؤية قوس المطر، في هذا المكان الذي لن يرى أمطاراً أبداً.

قبض ستيلغار على ذراعها وأشار لمكان عبر الحوض: "انظري هناك! هؤلاء هم دروس Druses بحق".

نظرت لحيث أشار، فرأت حركة أُناس على قاع الحوض ينتشرون مبتعدين عن ضوء النّهار، يندسّون تحت ظلال جدار الجرف المقابل، وعلى الرّغم من بعد المسافة فإن تحركاتهم كانت واضحة في الهواء النقي، أخرجت نظارتها المكبرة من تحت ثوبها وركّزت العدسات الزّيتية على الناس البعيدين، كانت مناديلهم ترفرف وكأنّها سربٌ من الفراشات متعددة الألوان.

قال ستيلغار: "ذاك هو موطننا، سنصل هناك هذه اللّيلة". وحدّق عبر الحوض، فاتلاً شاربه: "سهر قومي يعملون لوقت متأخر، وهذا يعني غياب الدّوريات، سأعطيهم إشارة فيما بعد وسيتهيّؤون لاستقبالنا".

قالت جيسيكا: "يُظهِر قومك انضباطاً جيداً"، وخفضت نظارتها المكبرة فرأت عينا ستيلغار على النظارة.

نقل نظره من النظارة إلى وجهها: "تتركز طاعتهم في الحفاظ على بقاء القبيلة، وهي الطريقة التي اخترناها فيما بيننا فيما يخص الزعامة. فالقائد هو الأقوى، هو من يوفر لهم الماء والأمان".

قابلت بتحديقٍ مماثلٍ، ملاحظةً العينين الخاليتين من البياض، ومحجري العينين المبقعين بالسّواد، واللّحية والشّارب اللّذين يحفهما الغبار، وخطّ الأنبوب المنحني من فتحتي أنفه إلى بذلة تقطيره.

قالت: "هل زعزعتُ سلطتك القيادية يا ستيلغار عندما تمكنت منك في القتال؟"

قال: "لم تتحديني رسمياً للمبارزة".

قالت: "يجب أن يحتفظ القائد باحترام جنوده له".

قال ستيلغار: "لن يغلبني أحد من قمل الرّمال هؤلاء، تغلبك عليّ يعني تغلبك علينا كلنا، والآن يأملون أن يتعلموا منك الطريقة العجائبية، ولدى بعضهم فضول إن كنتِ ستطلبين مبارزتي".

تدبرت الدّلالات المضمنة في الكلام وقالت: "عن طريق التغلب عليك في قتالٍ رسمي؟"

أومأ إيجاباً، "لكن أنصحك بعدم الإقدام على هذا، إذ لن ينقادوا لك، لستِ من أهل الرّمال، وقد شهدوا هذا خلال رحلتنا الليلية".

قالت: "قوم عمليون".

"صحيح فعلاً"، ونظر للحوض: "إننا أدرى باحتياجاتنا، لكن مع اقترابنا لبيوتنا لن تجدي بينهم من يفكر بعمق في هذه اللحظة. أمضينا وقتاً طويلاً بالخارج، منشغلين بتوصيل حصة السپايس الخاصة بنا إلى التّجار الأحرار لينقلوها لرجال النّقابة الملاعين، فلتكن وجوههم مسودّة إلى الأبد".

كانت جيسيكا تستدير مبتعدةً عنه، لكن كلماته أعادتها له: "النّقابة؟ وما دخل النّقابة بالسپايس التابع لكم؟"

قال ستيلغار: "إنّها أوامر ليڤيّت. طبعاً نتفهم دوافعه خلف هذا القرار، لكنها مسألة مُرّة الطّعم، فنحن نقدم للنّقابة كميات هائلة من السپايس، كرشوةٍ لتظل سماءنا خالية من الأقمار الصناعية وأشباهها، حتى لا يتجسّس أحدٌ على ما نفعله على سطح آرّاكس".

اختارت كلماتها بحرص، متذكرةً أن پاول قد ذكر شكوكه حول سبب خلو سماء آرّاكس من الأقمار الصناعية، "وما الذي تفعلونه بسطح آرّاكس ويجب إبقاؤه بعيداً عن الأنظار؟"

"نقوم بتغييره، في تأني ودراسة... كي نجعله صالحاً للحياة البشرية، لن يرى جيلنا ذلك التغير، ولا أبناؤنا، ولا أبناء أبنائنا، ولا أحفاد أبنائهم... لكنه سيحدث في النّهاية". حملق في الحوض الممتد أمامه: "مسطحات مائية مفتوحة، ونباتات خضراء طويلة، وناس يسيرون بحرية دون بذلات تقطير".

. -

قالت: "الرّشاوي مسألة خطيرة، إذ تتطلب أن ترفعها بشكل منتظم".

قال: "نعم هي ترتفع، لكن الطريقة البطيئة هي الطريقة الآمنة".

التفتت جيسيكا ورمقت الحوض، محاولة أن تراه كما كان يراه ستيلغار في مخيلته، إلا أنها لم ترَ سوى بقعة الصّخور الدّاكنة البعيدة ذات اللون الخردلي، ولمحةً ضبابيةً مفاجئةً في السّماء فوق الجروف الصّخرية.

قال ستيلغار: "أها".

ظنتها في البداية طائرة دورية، ثم أدركت أنه سراب، جزءٍ من التضاريس يحلق فوق رمال الصّحراء وتظهر به نباتاتٌ خضراء بعيدة، وفي وسطها دودةٌ طويلةٌ تنساب فوق السّطح، وعلى ظهرها يبدو شيء يشبه أثواباً فريمنية خفّاقة، ثم تلاشى السّراب.

قال ستيلغار: "الطريقة الأمثل للسّفر هي الرّكوب، لكن لا يمكن أن نسمح لصانع بدخول هذا الحوض. لذا علينا متابعة السّير على الأقدام هذه الليلة".

فكّرت: ! - .

قلّب ذهنها ما يعنيه بكلامه، بتصريحه أنهم لن يسمحوا لدودةٍ بدخول هذا الحوض، وأدركت ما رأته في السّراب... فريمن يمتطون ظهر دودةٍ عملاقةٍ. صدمتها الحقيقة، لكنها تحكمت في تعابير وجهها كي لا تكشف صدمتها.

قال ستيلغار: "علينا أن ننضم للباقين، وإلا سيظن قومي أنني أتراخى بصحبتك، فبعضهم يشعر بالغيرة لأن يدي تذوقت مفاتنك عندما تصارعنا ليلة أمس في حوض تيونو".

قالت جيسيكا بحدة: "لا أسمح لك بالكلام بهذه الطريقة!"

قال ستيلغار: "المعذرة، لم أقصد الإساءة"، وكانٍ صوته عادياً. "لا تؤخذ النساء عندنا ضد رغباتهن، وفي حالتك... " وهزّ كتفيه "لا حاجة أصلاً لوجود هذه الحماية التي تمنحها الأعراف".

قالت: "يجب ألا تنسى أنني كنت امرأة دوق"، لكن صوتها كان أكثر هدوءاً من السابق.

قال: "كما تحبين، حان وقت غلق هذه الفتحة، لنسمح للناس بأن يرخوا إحكام بذلات التّقطير ويرتاحوا، فأتباعي يحتاجون للرّاحة هذا النّهار، إذ لن تسمح لهم أسرهم بالراحة غداً".

ساد الصّمت بينهما.

جالت جيسيكا بنظرها فيما حولها، لقد فهمت ما كان يلمح إليه ستيلغار، ذلك العرض المبطن بأن يمنحها أكثر من مجرد الحماية.

هل هو في حاجة لزوجة؟ يمكنها أن تقبل هذه المكانة وترتبط به. فهي طريقة لإنهاء النزاع حول قيادة القبيلة، فتصبح الأنثى مشاركة للذكر بشكل طبيعي.

لكن ماذا عن پاول؟

فمن يدري طبيعة قواعد الأبوة السّائدة هنا؟ ثم ماذا عن الابنة التي تحملها طوال الأسابيع الماضية؟ ماذا عن ابنة دوق ميت؟ أرغمت نفسها على مواجهة دلالة هذه الطفلة التي تنمو داخلها، وأن تعترف بما دفعها للسّماح بوقوع هذا الحمل. كانت تعلم الدّافع. لقد استجابت لذاك الدّافع العميق الذي تشترك فيه كل المخلوقات المعرضة للموت، دافع السعي للخلود عن طريق الذّرية، لقد غلبها دافع الخصوبة الكامن في كل الكائنات الحية.

نظرت نحو ستيلغار فرأته يتأملها، منتظراً أن تولد ابنة هنا لامرأة متزوجة من رجل كهذا، ترى ما مصير هذه الابنة؟ هل سيحاول إعاقة الحاجات التي تتبعها واحدة من بني-جيزيرِت؟

تنحنح ستيلغار، وكشف بهذه الحركة أنه مدرك لبعض الأسئلة التي تدور بخلدها"، ما يهم القائد هو تلك الأشياء التي تجعله قائداً، أي احتياجات قومه. لو علّمتيني قدراتك فربما سيأتي اليوم الذي سيضطر فيه أحدنا لتحدي الآخر، وأنا أفضل أن نجد بديلاً لهذا".

قالت: "وهل هناك بدائل؟"

قال: "منصب السيّادينا، فسيدتنا الموقرة كبيرة في السّن".

!

لم يعطها الفرصة لاستجوابه وقال: "لستُ أعرض نفسي كزوج، لا لعيبٍ في شخصك مثلاً، فأنت جميلةٌ ومغريةٌ، لكن لو أصبحت واحدةً من زوجاتي فقد يؤدي هذا إلى اعتقاد بعض أتباعي الشباب أنني مهتم أكثر من اللازم بمتع الجسد وغير مهتم بالقدر الكافي باحتياجات القبيلة، حتى في هذه اللحظة هم يصغون إلينا ويراقبونا".

فكّرت: .

قال: "بين أتباعي شباب بلغوا سن التّهور، ينبغي توجيههم برفق خلال هذه الفترة، يجب ألا أسمح بوجود أسباب قوية تدفعهم لمنازلتي في تحدي، لأني سأضطر ساعتها لتشويه بعضهم أو قتله، وليس هذا المنهج المناسب للقيادة طالما يمكن تجنبه بشرف. فالقائد هو العامل الفارق بين الشّعب والرعاع، فهو الذي يحرص على بقاء قدر كافٍ من الشّخصيات المتفردة، إذ عندما يقل عدد الشّخصيات المتفردة يتدهور حال الشّعب ليتحولوا إلى رعاع".

كلماته تدلّ على عمق الوعي لديه، كما أنه لم يكن يوجه كلامه لها فقط بل لمن يتنصتون سراً أيضاً، كل هذا أجبرها على إعادة النّظر في تقييمها له.

فكّرت: .

قال ستيلغار: "إن القانون الذي يحدد لنا طريقة اختيار القائد هو قانون عادل، لكن هذا لا يعني إن العدالة هي ما يحتاجه الناس في كل الحالات. ما نحتاجه حالياً هو وقت يسمح لنا بالنمو والازدهار، أن نبسط نفوذنا على المزيد من الأراضي".

تساءلت في نفسها متعجبة: قالت: "ستيلغار، لقد بخستُك قدرك".

قال: "هذا ما توقعته".

قالت: "واضح أن كلانا قد بخس الآخر قدره".

قال: "أريد لهذا أن ينتهي، أريد أن تكون بينا صداقة... وثقة. أحب أن يكون بيننا ذاك الاحترام المتبادل الذي ينمو في الصدر دون أن يحتاج لعناق الممارسة الجنسية".

قالت: "فهمت".

"هل تثقين بي؟"

"أسمع في صوتك نبرة الصّدق".

قال: "في ثقافتنا، حتى إذا لم تشغل السيّادينا منصب قيادة القبيلة، إلا أنها تتمتع بمكانة شرف خاصة، فهي تعلّمنا. وتحافظ على إبقاء قوة الرّب هنا"، وأشار لقلبه.

فكّرت: . وقالت: "أنت ذكرتَ سيدتكم الموقرة، وقد سمعتُ كلمات تذكر الأساطير والنبوءات".

قال: "يقال إن واحدةً من بني-جيزيرِت وذرّيتها سيكونان مفتاح مستقبلنا".

"وهل تعتقد أنني المقصودة!"

راقبت وجهه مفكرةً: . .

قال: "لا نعلم".

أومأت: .

أدارت جيسيكا رأسها، وحدّقت في الحوض بالأسفل، وفي الظّلال الذّهبية الأرجوانية، وفي تذبذب الهواء المحمل بذرات الغبار عند حافة كهفهم. داهمها شعور بالحاجة للحذر، كانت تعرف لغة التّلاعب التي تستخدمها البعثات الإرسالية، وكانت تعرف طريقة تكييف النبوءات والمخاوف والآمال لخدمة احتياجاتها الطارئة، إلا أنها شعرت بوجود تغييرات كبيرة هنا، كما لو أن شخصاً قد تدخّل في السّابق بين هؤلاء الفريمن واستغل ما دمغتهم به البعثات الإرسالية.

تنحنح ستيلغار.

أحست باستعجاله، وكانت تعلم أن النّهار بدأ يتقدم وأن الرّجال ينتظرون غلق هذه الفتحة، هذا وقت يستلزم منها الجرأة والإقدام، وأدركت ما كانت بحاجة إليه: شيئ من دار الحكمة، مذهب ترجمة يمكن أن يرشدها ل-...

همست: "أدب".

شعرت بدحرجة ذهنية تتحرك في داخلها، وعرفت أهمية الحركة بسبب تسارع نبضها، ولم تمنحها تدريبات بني-جيزيرِت مثل هذا الشّعور من قبل. لا شكّ أنه الأدب... أي الذّكرى التي تقحم نفسها

عليك إقحاماً. استسلمت لها، سامحة للكلمات بأن تتدفق منها.

قالت: "ابن قرطايبا... إلى آخر بقعة ينتهي عندها الغبار"، وأخرجت ذراعها من ثوبها، فرأت عيني ستيلغار تتسعان، وسمعت حفيف الأثواب في الخلفية. تابعت بصوت منغوم: "إني أرى... فريمن يحمل كتاب الأمثال... يقرأ على اللات، الشمس التي تحداها وأخضعها. يقرأ للقديسين، قضاة الحساب السماوي. وهذا نص ما يقرأه...

] أعدائي صاروا كنصالٍ خضراء مأكولة

حاولَت الوقوف في طريق العاصفة

انظر ما فعله إلاهنا.

أرسل الوباء على من حاكوا ضدنا المكائد

صاروا كطيور هائمةٍ لما رأت الصياد

ومكائدهم صارت لقيمات مسمومة

ترفض تناولها كل الأفواه ["

سرت رعدةٌ في جسدها، ثم خفضت ذراعها.

أجابتها - من بين ظلال الكهف الداخلي - همسات أصوات: "انقلبت أعمالهم وحبطت".

فقالت: "تعلو قلوبكم نار الرّب"، وفكرت: .

جاءت الإجابة: "نار الرّب تنير".

أومأت وقالت: "أعداؤكم سيسقطون".

فأجابوها: "بِلا كيفَ". *

وفي السّكون المفاجئ، انحنى لها ستيلغار وقال: "سيّادينا. إن شاء شاي-هولود، فلربما ستنجحين في 'العبور الداخلي' وتصبحين سيّدة موقرة".

فكّرت: . . .
وشعرت بمرارة ساخرة لما قامت به.

. .
.
... -
.

وقف پاول جوار تشاني في ظلال المنطقة الداخلية للكهف. ما زال في فمه طعم الوجبة التي أعطتها له، لحم طير وحبوب ممزوجة بعسل السپايس وملفوفة في ورقة. عندما تذوقها أدرك إنه لم يسبق له أبداً تناول هذا القدر المركز من جوهر السپايس، وغمرته لحظة خوفٍ، فهو يعرف تأثير هذا الجوهر المركز، أن يدخل حالة التغير السپايسي التي دفعت ذهنه، في السابق، إلى مستوى الوعي الاستبصاري.

همست تشاني: "بِلا كيفَ BI-LA KAIFA."

نظر نحوها فرأى في وجهها ووجه الفريمين الانبهار والرّهبة الذي استقبلوا بها كلمات والدته. أما الرّجل جامِس، فوقف بعيداً عن التجمع الطقسي، متحاشياً الاندماج، عاقداً ذراعيه على صدره.

همست تشاني: "دوي ياخا بن مانجي.. دوي بونرا بن مانجي. عندي عينان... عندي قدمان"، وحدقت في پاول في عجب.

أخذ پاول نفساً عميقاً، محاولاً تهدئة العاصفة التي تعتمل داخله. فكلمات والدته ارتبطت بما يفعله السپايس المركز داخله، وشعر بصوتها يرتفع وينخفض فيه كظلال نار مشتعلة. ورغم هذا سمع التّهكم السّاخر في نبرتها، فقد كان يعرفها تمام المعرفة، إلا أن ما أثارته وجبة الطعام في داخله لن يوقفه شيء.

!

شعر به. بوعي الجنس البشري الذي لا يملك الإفلات منه. الوضوح العقلي الفائق، وتدفق البيانات، ودقة باردة من الإدراك.

جلس مسنداً ظهره للصّخور، مستسلماً للشعور، انساب الوعي عبر طبقةٍ خارج حدود الزّمن، حيث تتاح له رؤية الزّمن، والإحساس بالمسارات الممكنة، ورياح المستقبل... ورياح الماضي. عين على الماضي، وعين على الحاضر، وعين على المستقبل، مجتمعة كلها في رؤية ثلاثية أتاحت له رؤية الزّمن يتحول لمكان.

أحسّ بخطورة إنهاك النّفس في هذه العملية، فاضطر للتمّسك بوعيه بالحاضر، شاعراً بالانحراف الضّبابي للتجربة، باللحظة المتدفقة، وبالتّجسد المستمر لما هو حاضر عندما يتحول إلى ماضي سرمدي.

ومن خلال تشبّثه بالحاضر أحسّ للمرة الأولى بأن الثّبات الهائل لحركة الزّمن في كل مكان هو عامل عرضة للتّعقيد نتيجة للتّيارات المتغيرة، والأمواج، والاندفاعات المفاجئة، والاندفاعات المضادة، كأمواج ترتطم بجرف صخري. وهذا الإحساس منحه فهماً جديداً لطبيعة قدرته الاستبصارية، فرأى مصدر تلك المناطق المستقبلية العمياء، وكيف قد يشوبها الخطأ، فسرى في قلبه خوف فوري.

إذن الاستبصار عبارة عن إنارةٍ تنطوي أيضاً على نفس الحدود والقيود التي يتصف بها الشيء الذي تنيره. فهي - في الوقت ذاته - مصدر للدّقة ولقدر من الخطأ، يتداخل فيها شيء يشبه مبدأ الشك عند هايزنبرج: فكمية الطاقة التي كشفت له ما يراه تقوم أيضاً بتغيير الشيء الذي يراه.

وما رآه كان مفترق طرقٍ زمني في هذا الكهف، احتمالاتٌ متداخلةٌ متركّزة في هذا المكان، حيث يمكن لأشد الأفعال ضآلةً - طرفةِ عين، أو كلمة طائشة لا يلقي لها المرء بالاً، أو حبة رملٍ ليست في مكانها - أن تحرّك رافعةً عملاقةً على امتداد الكون المعروف كله، رأى عنفاً تخضع نتيجته لمتغيرات كثيرة لدرجة أن أبسط حركة تصدر عنه ستصنع تغييرات هائلة في نمط الأحداث.

هذه الرؤيا جعلته يرغب في أن يجمد بلا حركة، لكن هذا أيضاً سيعتبر فعلاً، وستكون له تبعاته.

وانتشرت مسارات التبعيات التي لا حصر لها متفرعة من هذا الكهف، وعلى امتداد مسارات التبعات هذه رأى في أغلبها جثته، والدّم يتدفق من جرحٍ غائرٍ.

33

"كان عمر أبي، الإمبراطور الپاديشي، 72 سنة - وإن كان يبدو في الخامسة والثلاثين - عندما أحاط بمسألة موت الذّوق ليتو وأعاد آرّاكس لآل هاركونن. نادراً ما كان يظهر للناس مرتدياً زياً غير زي الساردوكار الرّسمي وخوذة المارشال السّوداء التي يعلوها الأسد الذهبي الإمبراطوري. كان هذا الزّي تذكيراً صريحاً بمصدر قوّته. إلا أنه لم يتبنى تلك التصريحات الصارخة في كل ما يقوم به. فعندما يريد، كان يشع لباقة وإخلاصاً صادقاً، ومع ذلك، بدأت أتساءل - مؤخراً - إن كانت تصرفاته الظّاهرية دالّة فعلاً على ما بداخله. أعتقد إنه كان يناضل محاولاً الهرب من سجن خفي. نعم كان إمبراطوراً، أباً رئيساً لأسرةٍ تمتدّ جذورها لحقبٍ تاريخيةٍ سحيقةٍ، لكننا حرمناه من ابن شرعي، أليست تلك أفظع هزيمة تُلحق بحاكم؟ انصاعت والدتي لأوامر كاهناتها المبجلات، بينما خالفتها الليدي جيسيكا. أيتهما الأقوى؟ لقد أجاب التاريخ على هذا السؤال".

من كتاب (في بيت أبي)، تأليف الأميرة إيرولان

استيقظت جيسيكا في الكهف المظلم فأحسّت حولها بحركة الفريمن، وشمّت الرّائحة اللاذعة المنبعثة من بذلات التّقطير. أخبرها إحساسها الزّمني الدّاخلي بأن اللّيل سيحل قريباً، لكن الكهف كان مظلماً ومعزولاً عن الصحراء بالأغطية البلاستيكية التي تحبسُ رطوبة أجسادهم داخل هذا المكان.

أدركت أنها سمحت لنفسها بالاستسلام لذلك النوم باسترخاء تام إثر الإرهاق المسيطر عليها، واستسلامها هذا دليل تقديرها الواعي لمستوى الأمان الشّخصي الذّي تتمتع به ضمن فرقة ستيلغار. اعتدلت في جلستها فوق أرجوحة صُنعت من ثوبها، وأنزلت قدميها للأرضية الصخرية وأدخلتهما في حذائها الصحراوي.

.

.

مازال في فمها طعم وجبتهم الصباحية، لقيمات لحم الطيور والحبوب الملفوفة في ورقة ومعها عسل السپايس. وانتبهت إلى أن التعامل مع الوقت هنا مقلوب رأساً على عقب: فاللّيل وقت العمل والنّهار وقت الرّاحة.

. .

فكّت ثوبها من أوتاد سرير الأرجوحة المغروزة في تجويف بالصخور، وتحسست القماش في الظلام إلى أن وجدت فتحة الرأس، وارتدته.

- .

أضيئت كرات إنارة في مكان بعيد في الكهف، رأت عند الضوء أشخاصاً يتحركون، وپاول بينهم، مرتدياً ثيابه، وقلنسوته ملقاة للخلف كاشفة عن ملامح آل آتريديز النّسرية. تذكرت تصرفه الغريب قبل خلودهما للنوم. .كشخص عاد من الموت ولم يستوعب عودته بعد بشكلٍ كامل، عيناه نصف مغمضتين، خاليتين من التّعبير، كشخصٍ منغلقٍ على ذاته. تذكرت تحذيره لها من الطعام المشبع بالسپايس: .

.

ظهر ستيلغار من بين الظلال، قاصداً المجموعة الواقفة تحت كرات الإنارة. لاحظت الطّريقة التي كان يمرر بها أصابعه في لحيته، والنظرة الحذرة التي بدت عليه، كالقطط المتربّصة بفرائسها.

غمر جيسيكا خوفٌ مفاجئ، وتنبهت حواسها للتّوتر الظاهر على المجتمعين حول پاول: الحركات

المتشنجة، وضعية الوقوف الطقسية.

زمجر ستيلغار: "إنهما تحت حمايتي!" تعرفت جيسيكا على الرّجل الذي كان ستيلغار يحتد عليه، جامِس! وعندها رأت الغضب المشتعل في جامِس - وتشنج كتفيه. إنه جامِس، الرّجل الذي غلبه پاول!

قال جامِس: "أنت تعلم الأعراف يا ستيلغار".

قال ستيلغار: "ومن يعلمها أفضل مني؟"، وسمعت نبرة التهدئة في صوته، محاولته لتلطيف الموقف.

زمجر جامِس: "أختار النزال".

أسرعت جيسيكا عبر الكهف، وقبضت على ذراع ستيلغار. سألت: "ما الأمر؟"

قال ستيلغار: "عُرف الأمتال Amtal. يطالب جامِس بحقه في امتحان صدق انطباق النبوءة عليكِ."

قال جامِس: "عليها أن تعيّن بطلاً ليقاتل باسمها، إذا انتصر بطلها فسيتضح أن الأمر حقيقي، لكن النّبوءة تقول"، ونظر للحشد المجتمع: "إنها لن تحتاج بطلاً من الفريمن، مما يعني إنها ستجلب معها بطلها المحارب".

فكرت جيسيكا: !

تركت ذراع ستيلغار وتقدمت وقالت: "أنا أقاتل عن نفسي، والمعنى واضح ويمكن أن يفسره أي ش-..."

قال جامِس بحدة: "نحن أدرى بمعنى عاداتنا منك! ولن أسمح لك بأن تفسريها من عندك طالما لم أرَ منك أدلة أوضح على انطباق النّبوءة عليك. فربما أخبرك ستيلغار بالأمس بما يجب أن تقوليه. قد يكون قد استمالك بتدليله ولقنك ما يجب أن ترددِيه على مسامعنا، كمحاكاة الطيور للأصوات، لرغبتك في التّسلل والدّخول بيننا".

فكّرت جيسيكا: .
وعجبت مجدداً من الطريقة التي تمّ بها تحريف ما فعلته البعثات الإرسالية على هذا الكوكب.

نظر ستيلغار لجيسيكا وتكلّم بصوتٍ منخفض، لكنه قصد أن يصل صوته أيضاً لأطراف الحشد: "يا سيّادينا، جامِس من النوع الذي يحمل الضغائن. فابنك تغلب عليه وصرعه أرضاً ول-..."

صاح جامِس في صوت هادر: "كانت ضربة حظ ليس إلا! وقتها تدخلت قوى سحرية ضدي في حوض تونو، وسأثبت هذا الآن!"

أكمل ستيلغار: "وأنا نفسي قد تغلبت عليه في السابق. ويقصد بنزال التّحدي هذا أن يرد لي الضربة. العنف الذي في جامِس يمنعه أن يصبح قائداً جيداً... به الكثير من الغفلة Ghafla، يطبّق الأعراف بلسانه أما قلبه فعليه الصَرفة Sarfa، أي الحياد عن طريق الحق. كلا، لن يصلح أبداً لأن يكون قائداً جيداً. ما أبقيت عليه طوال هذه الفترة إلا لأنه مفيد في القتال، لكن عندما يتملكه هذا الغضب العارم يصبح خطراً على مجتمعه".

هدر جامِس قائلاً: "ستيلغاااارر!"

وأدركت جيسيكا ما يفعله ستيلغار، كان يحاول إثارة غضب جامِس، كي ينزل هو في القتال بدلاً من پاول.

واجه ستيلغار جامِس، ومن جديد سمعت جيسيكا في صوته نبرة تهدئة: "جامِس، ما زال صبياً. إن ..."

قال جامِس: "لكنك وصفته بالرّجل. أمه تقول إنه مرّ باختبار الغوم جبار. إضافةً إلى أنه ممتلئ لحماً ومتخم بالماء. من حملوا حقيبتهم يقولون إن بها قِرب ماء. أكثر من قربة! أما نحن فنرشف جيوبنا التجميعية مع أول علامة من لمعان الندى الخفيف".

نظر ستيلغار لجيسيكا: "هل هذا صحيح؟ هل بحقيبتكما ماء؟"

"أجل".

"مقدار يملأ عدة قرب ماء؟"

"قربتان".

"وما الغرض من ثروة كهذه؟"

فكرت: هزّت رأسها، شاعرة بالبرودة التي حلت على صوته. قالت: "في المكان الذي ولدتُ فيه كان الماء يسقط من السماء ويسيل على الأرض في أنهار واسعة. كانت هناك محيطات مائية شديدة الاتساع لدرجة أن الإنسان لا يستطيع رؤية شاطئها الآخر. لم يتم تدريبي على الالتزام بضوابط توفير الماء السائدة عندكم، لم يسبق لي أن اضطررت للنظر للماء بهذه الطريقة".

ارتفعت ممن حولها شهقة: "ماء يسقط من السماء... ويسيل فوق الأرض!"

"وهل تعلمين أن بيننا مِن فقدوا بعض الماء من جيوبهم التجميعية بطريق الخطأ وسيتعرضون لخطر جم قبل أن نصل لِطبر هذه الليلة؟"

هزت جيسيكا رأسها: "وكيف كان لي أن أعرف؟ إن كانوا في احتياج فأعطهم ماء من حقيبتنا".

"هل كان هذا هو المراد من هذه الثروة؟"

قالت: "المراد إنقاذ الحياة".

"إذن فنحن نقبل منحتك المباركة يا سيّادينا".

زمجر جامِس: "لن تشترينا بالماء، ولن تنجح في استعدائي ضدّك يا ستيلغار، أعلم أنك تحاولين استدراجي لأطلب منازلتك رسمياً قبل أن أثبت صحة كلامي".

التفت ستيلغار مواجهاً جامِس: "أمصمم أنت على هذا النزال ضد طفلٍ يا جامِس؟" كان صوته منخفضاً ويقطر كراهية.

"عليها أن تعيّن بطلاً يقاتل باسمها".

"حتى مع تمتعها بحمايتي؟"

قال جامِس: "أطالب بتنفيذ عُرف الأمتال، هذا حقي".

أومأ ستيلغار: "طيب، إن لم يقطع الصبي جسدك إرباً، فستواجه سكيني أنا بعدها، وهذه المرة لن أكبح نصلي كما كنت أفعل في السابق".

قالت جيسيكا: "لا يمكن أن تسمح بهذا، فپاول مجرد..."

قال ستيلغار: "لا تتدخلي أيتها السيّادينا، أعلم جيداً أن بإمكانك التغلب عليّ، وبالتالي التغلب على أي فرد فينا، لكن لن تستطيعي التغلب علينا جميعاً إن اتحدنا، يجب أن يأخذ الأمر مجراه، ويجب الالتزام

بعُرف الأمتال".

صمتت جيسيكا، محدقةً فيه في الضوء الأخضر الصادر من كرات الإنارة، لاحظت التشدّد الشّيطاني الذي حلّ على تعابير وجهه.

نقلت انتباهها لجامِس فرأت الغلّ المكتوم البادي في حاجبيه.

قالت: "إن آذيتَ ابني فأنا من يواجهك بعدها، إني أتحداك للنزال الآن، سأنزع لحمك عن عظ..."

تقدم پاول لامساً كمها وقال: "أمي، ربما إن شرحتُ لجامِس أ ..."

قال جامِس متهكماً: "شرح!"

صمت پاول، وحدّق في الرّجل. لم يشعر بالخوف منه، فحركات جامِس خرقاء، وقد سقط بسهولةٍ خلال لقائهما اللّيلي في الصّحراء. لكن پاول كان ما يزال يشعر بنقطة 'مفترقِ الطرق' تغلي في هذا الكهف، وما يزال يتذكّر رؤاه الاستبصارية التي يرى نفسه فيها ميتاً ومطعوناً بسكين. في تلك الرؤيا كانت طرق الهرب المحتملة ضئيلة للغاية.

قال ستيلغار: "سيّادينا، عليك أن تتراجعي الآن إذ..."

قال جامِس: "توقف عن مناداتها بكلمة سيّادينا! لم يتم إثبات ذلك بعد. نعم تعرف كلمات الصلاة، لكن ما أهمية هذا أصلاً؟ فكل طفلٍ فينا يعرف الكلمات ذاتها".

فكرت جيسيكا: .ثم ترددت:

قالت جيسيكا: "إذن سيكون حسابك معي أن ــا"، وجعلت نبرة صوتها ملتوية، وبها شيء من طنين ينتهي بمد.

حدّق فيها جامِس، والخوف على وجهه.

قالت في نفس النبرة: "سأعلمك معنى العذاب، تذكر هذا وأنت تقاتل. ستتألم لدرجة يصبح معها الغوم جبار ذكرى سعيدة بالمقارنة، سيتلوى جسدك بالكام..."

شهق جامِس: "إنها تحاول إلقاء تعويذة عليّ!"، ووضع قبضته اليمنى المضمومة جوار أذنه: "أطالب بإلزامها بالصمت!"

قال ستيلغار: "فليكن"، ورمق جيسيكا بنظرة تحذيرية: "إذا تكلمتِ ثانية يا سيّادينا فسنعلم أنك تستخدمين سحرك، وساعتها تكونين الخاسرة." وأشار لها برأسه لتتراجع للخلف.

شعرت جيسيكا بأيدٍ تسحبها وتعينها على التراجع، لم تكن أيدي قاسية. رأتهم يفصلون پاول بعيداً عن الحشد، وتشاني ذات الوجه الصغير الفاتن تهمس بشيء في أذنه وتشير برأسها ناحية جامِس.

تكونت حلقةٌ فارغةٌ وسط المجموعة، وتم إحضار المزيد من كرات الإنارة وضبطوها كلها على مستوى الإنارة الأصفر.

خطا جامِس داخلاً الحلقة، وقف في بذلة تقطيرٍ رماديةٍ ملساء تمّ ترقيعها في عدة مواضع وبدت عليها آثار قُطب خياطة وانثناء. أحنى رأسه مقتَرباً بفمه من كتفيه وشرب من أنبوب تجميعي، ثم اعتدل، نازعا البذلة عن جسده، وسلمها بحرص للمحتشدين، ووقف منتظراً، مرتدياً مئزراً حول وسطه وقطعة قماش ملفوفة بإحكام حول قدميه، وحاملاً كريسْنايف في يده اليمنى.

رأت جيسيكا الفتاة تشاني تساعد پاول، ثم تدفع بمقبض كريسْنايف في يده. راقبته يحرك السّكين ليتعرف على وزنها ونقطة اتزانها. وهنا خطر لجيسيكا أن پاول مدرَّب في فروع الپرانا والبيندو، في الأعصاب والأنسجة العضلية، وأنه تعلم القتال في مدرسةٍ صارمةٍ، وعلى يد مدرسين من نوع دَنكِن آيداهو وجيرني هاليك، أساطير يتحاكى بها الناس خلال حياتهما. كما أن الفتى على دراية بأساليب بني-جيزيرِت الماكرة. بدا جسده مرناً، وواثقاً من نفسه.

. . . ...رفعت رأسها

فوجدت ستيلغار يراقبها.

قال: "لا يمكنك إيقاف المبارزة، التزمي الصمت".

وضعت يدها على فمها وفكرت: ... .

... .

وقف پاول وحيداً عند حافة الحلقة، مرتدياً سروال القتال القصيرة التي كانت تحت بذلة تقطيره. في يمينه سكين كريسْنايف، وقدماه حافيتان على الأرض الصّخرية المغطاة بالرّمل الخشن. من نصائح آيداهو له: "عندما تكون في شكّ من طبيعة السطح الذي تقف عليه، فخيارك الأمثل الأقدام الحافية"، أما كلمات تشاني وتعليماتها فكانت حاضرة في ذهنه: " ينحرف جامِس بسكينه يميناً بعد كل حركة تجنُّب دفاعية. إنها عادة عنده شهدناها كلنا. وسيهاجم عينيك كي تغمضهما تلقائياً فيستغلها لجرحك بسرعة، وبإمكانه أن يقاتل بكلتا يديه، فاحترس من تبديله السّكين ليده الأخرى".

لكن الشّعور الأقوى الذي سيطر على جسد پاول الآن هو أثر التمرين وآلية ردّ الفعل الغريزية التي تم حفرها فيه يوماً بعد يوم وساعة بعد ساعة على ساحة التدريب.

تذكر كلمات جيرني هاليك: "المقاتل الماهر يجمع في تفكيره بين رأس السّلاح ونصله وواقي اليد، فرأس السّلاح يمكن أن يجرح أيضا، ويمكن للنّصل أن يطعن، وحتى واقي اليد يمكن أن يستخدم في صدّ نصل خصمك".

نظر پاول للكريسْنايف، لم يكن به جزء مستعرض يقي اليد، مجرّد حلقة رفيعة مستديرة ناتئة الحواف، لحماية اليد. ناهيك عن جهله بمقدار الضّغط الذي قد يتسبب في كسر هذا النّصل، بل ويجهل إن كان بالإمكان كسر هذه السّكين.

بمقابل پاول بدأ جامِس يمشي مشياً جانبياً على يمينه، على امتداد حافة الحلقة.

انحنى پاول رابضاً، وأدرك إنه لم يكن مرتدياً درع طاقة، وأنه تدرب على القتال محاط بمجالٍ درعي شفاف، وأنه تم تدريبه على أن يكون دفاعه سريع جداً، بينما يكون هجومه بطيئاً ومحسوباً لينجح في اختراق درع الخصم. وعلى الرّغم من تحذيرات مدربيه المستمرة له بألا يعتمد على إعاقة الدّرع التلقائية لسرعة الهجوم، إلا أنه كان يعلم أن افتراض وجود الدّرع كان أمراً محفوراً داخله.

صاح جامِس في تحدٍ طقوسي: "فلتنكسر سكينك وتتهشم!"

.

ثم ذكّر نفسه إن جامِس أيضاً لم يكن يرتدي درعاً، لكنه لم يتدرب على استخدامه، وبالتالي لم يكن يكبحه ويعيقه كما يعيق المقاتلين المعتادين على الدروع.

حدق پاول في جامِس عبر الحلقة، كان جسده كحبل مفتول وملفوف على هيكل عظمي جاف. لمعت سكينه الكريسْنايف بلون أصفر منساب كاللبن تحت ضوء كرات الإنارة.

سرى الخوف في پاول، شعر بأنه وحيدٌ وعارٍ، واقفٌ في ضوءٍ أصفر باهت داخل حلقة البشر هذه.

صحيح أن استبصاره منحه معرفة مستمدة من عدد لا نهائي من الخبرات، وقدّم له تلميحات عن أقوى تيارات المستقبل، وسلسلة القرارات التي تقود إليها... إلا أن ما يحصل الآن هو الواقع- الحاضر. هذا هو الموت المحتمل أن يقع نتيجة عدد لا نهائي متناهي الصّغر من الأحداث المؤسفة، يمكن لأي أمر عابرٍ هنا أن يغير كفّة المستقبل. سعال شخص من بين المحتشدين المراقبين، سيؤدي لتشتيت الانتباه. تغيرٌ طفيفٌ في شدّة إنارة إحدى كرات الإنارة، سيؤدي لخلق ظلٍ خادعٍ.

!

دار بحذرٍ في مواجهة جامِس، مردداً بصمت استعاذة بني-جيزيرِت من الخوف. "الخوف قاتل للعقل..." كان أثرها كماءٍ باردٍ نجح في تهدئته، أحس بالعضلات تحل عقدها المتشنجة، وتصبح متزنة ومستعدة.

زمجر جامِس: "سأغمد سكّيني في دمك"، وانقض في منتصف الكلمة الأخيرة.

رأت جيسيكا الحركة، فكتمت صرخة كادت تفلت منها.

لكن في البقعة التي وجه إليها الرجل ضربته لم يجد سوى هواء، بينما صار پاول واقفاً خلف جامِس، وظهره عاري ليوجه له پاول ضربة سهلة.

صرخت جيسيكا في ذهنها: ! !

كانت حركة پاول مضبوطةً وسلسةً بشكلٍ جميلٍ، لكن بُطؤها سمح لجامِس بهامش زمني التوى خلاله مبتعداً ومتراجعاً، ثم مستديراً لجهة اليمين.

تراجع پاول رابضاً، وقال: "عليك أولاً أن تعثر على دمي".

رأت جيسيكا في حركة ابنها توقيت الشّخص المعتاد على القتال بالدّروع، وأدركت أنه سلاح ذو حدين، فمراوغاته الفتيّة جاءت كنتاج لمستوياتٍ عاليةٍ من التمّرين لم يسبق لهؤلاء القوم أن شاهدوها. لكن الهجوم أيضاً كان نتاجَ تمرين تم تكييفه تبعاً لضرورات اختراق حاجز درع الطاقة. فالدّروع تصدّ الضّربات السّريعة، وتسمح فقط بمرور الضّربة الماكرة البطيئة. ولكي يخترق المقاتل درعاً عليه السّيطرة على حركاته وإتقان الخداع.

!

وهجم جامِس ثانية، وعيناه تبرقان بلون الحبر، وجسده كمسارٍ ضبابي أصفر سريعٍ في ضوء كرات الإنارة.

وللمرّة الثانية انسل پاول مبتعداً، ورد الحركة بهجوم أبطأ من اللازم. تكرر الأمر ثانية. وأخرى.

وفي كل مرة كانت ضربة پاول المضادة تأتي متأخرة بمقدار لحظة.

ثم لاحظت جيسيكا شيئاً كانت تأمل ألا ينتبه له جامِس. ردّ فعل پاول الدّفاعي كان سريع كالبرق، لكنه كان يتجه في كل مرةٍ في نفس الزاوية المفترض أن يتجه إليها إن كان پاول يرتدي درعاً يساعده في صدّ جزءٍ من ضربة جامِس.

قال ستيلغار: "هل يتلاعب ابنك بذلك الأحمق المسكين؟"، ثم لوح لها بالصّمت قبل أن تتمكن من الإجابة وقال: "المعذرة، يجب أن تلتزمي الصّمت".

والآن دار الشّخصان حول بعضهما البعض فوق الأرضية الصّخرية، جامِس يمدّ سكّينه ويميلها للأعلى، بينما پاول رابضٌ وسكّينه منخفضة.

انقض جامِس مجدداً، وهذه المرة انحنى يميناً، ناحية البقعة الذي كان پاول يتفادى متجهاً نحوها.

لكن بدلاً من أن يتظاهر پاول بالتراجع والابتعاد قابل برأس نصله يد الرّجل الممسكة بالسّكين. ثم انزاح مختفياً، منحنياً يساراً وممتناً لتحذير تشاني له.

تراجع جامِس إلى مركز الحلقة، وأخذ يحكّ هذه اليد. تساقطت قطرات دم من الجرح للحظةٍ قصيرةٍ ثم توقفت. كانت عيناه متسعتين، ثقبان بلونٍ أزرق داكنٍ يدققان في پاول وقد طرأ عليهما حذر جديد في ضوء كرات الإنارة الخافت.

غمغم ستيلغار: "أها... أوجعته هذه".

ربض پاول في وضع استعداد وصاح - كما تم تدريبه على أن يفعل بعد أن يسيل الدّم من خصمه لأول مرة: "هل تستسلم؟"

صاح جامِس: "هاه!"

تصاعدت غمغمة غاضبة من بين المحتشدين.

صاح ستيلغار: "توقفوا! الصبي لا يعرف أعرافنا"، ثم وجه كلامه لپاول: "لا يُسمح بالاستسلام في نزال التحدي، إنه اختبار حتى الموت".

رأت جيسيكا پاول يزدرد لعابه.

تحرّك پاول في شكلٍ دائري، استجابةً لتحركات جامِس. عادت تزعجه تلك المعرفة الاستبصارية بالمتغيرات الزّمنية الّتي تغلي في هذا الكهف الآن. أخبره فهمه الإدراكي الجديد أن في هذا النزال يوجد عدد كبير من القرارات السّريعة المضغوطة بحيث يصعب أن يرى أمامه مجرى واحداً واضحاً. متغيرات متراكمة فوق بعضها البعض، هذا هو سبب رؤيته لهذا الكهف كمفترق طرق ضبابي. إنه صخرة هائلة الحجم تربض في مسار مياه الفيضان، وتخلق دوامات في التيار المحيط بها.

غمغم ستيلغار: "انته من الأمر يا فتى، لا تتلاعب به".

انسل پاول لمنتصف الحلقة، معتمداً على تفوّقه في مجال السّرعة، تراجع جامِس في هذه اللّحظة بعد إدراكه أن خصمه لم يكن مجرّد أجنبي ناعم يبارزه في حلبة التّحدي، ولا فريسة سهلة يمكن أن يقتنصها فريمين بالكريسْنايف.

رأت جيسيكا لمحة يأسٍ في وجه الرّجل: . . . .

ووجدت نفسها تشعر بالشّفقة على جامِس، لكن إدراكها بالخطر المحيق بابنها خفف من هذه العاطفة نحو جامِس.

فكّرت: ... .لحظتها تساءلت إن كان پاول قد لمح هذا المستقبل، وإن كان يعيش الآن أحداثاً يعرفها مسبقاً. لكنها لاحظت الطّريقة التي يتحرك بها ابنها، وحبات العرق على وجهه وكتفيه، والحذر والاحتراس البادي في حركة عضلاته. ورغم استيعابها الناقص لموهبة پاول، إلا أنها توجست لأول مرة عامل عدم اليقين المتأصل في هذه الموهبة.

وبدأ پاول يحوم في دائرة دون أن يبادر بهجوم، فقد لاحظ الخوف البادي على خصمه. وتدفقت في وعيه ذكرى صوت دَنكِن آيداهو: " . . . . . ".

صدرت غمغمة من الحشد المجتمع في الكهف.

فكّرت جيسيكا: .

لكنها شعرت أيضاً بالإثارة الخفية التي تملكت الحشد واستمتاعهم بالعرض. وكان بإمكانها رؤية الضغط المتزايد داخل جامِس، هذا الضغط لا يمكن احتواءه لمدة طويلة، ولذلك كانت لحظة انفجار جامِس واضحة لها، كما هي واضحة لجامِس... ولپاول.

وثب جامِس عالياً، ملوحاً بشكل خادع وهاوياً بيمناه، لكن اليد كانت فارغة. فقد انتقلت الكريسِنايف ليده اليسرى.

شهقت جيسيكا.

لكن تشاني كانت قد حذرت پاول: " ونظراً لمستوى التدريب العالي الذي تلقاه، استوعب الخدعة تلقائياً.

لطالما ردّد جيرني هاليك على مسامعه: " .

".

ناهيك عن التقاط پاول لغلطة جامِس: إذ أخطأ في حركة قدميه فتأخر للحظة ليستعيد توازنه من وثبته، تلك الوثبة التي كان يقصد بها تشتيت پاول وإخفاء حركة نقل السّكين.

بالنسبة لپاول كانت جلسة تدريبية تماماً مثل غيرها، إلا أنها محاطة بالضوء الأصفر الخافت الصادر من كرات الإنارة، وعيون الحشد الدّاكنة كالحبر. لا يُحسب للدّروع حساب في حالة استغلالك حركة الجسد ذاتها ضد الجسد. نقل پاول سكينه في حركة خاطفة، وانزلق جانباً ودفع بالسّلاح للأعلى حيث سيهبط صدر جامِس، ثم ابتعد ليتفرج على انهيار الرجل.

هوى جامِس وكأنه خرقة، والتقى وجهه بالأرض. شهق شهقةً وأدار وجهه ناحية پاول، ثم رقد ساكناً على الأرضية الصّخرية. حملقت عيناه الميتتان في الفراغ وكأنهما خرزتان من زجاج داكن اللون.

كان آيداهو قد أخبر پاول في إحدى الجلسات: " .

".

اندفع الحشد للأمام، زاحمين الحلقة، ودافعين پاول جانباً. أخفوا جامِس بحركات سريعة متداخلة، ولم تمض لحظات إلا وكانت مجموعة منهم تمضي مسرعة قاصدة عمق الكهف تحمل حملاً ملفوفاً في ثوب.

لم يبق للجثّة أثر على الأرض الصّخرية.

اخترقت جيسيكا الحشد قاصدة ابنها، شعرت أنها تسبح في بحر من الظهور والأثواب ذات الرائحة الشديدة، كان الحشد صامتاً بشكلٍ غريبٍ. .

. .

دفعت نفسها بقوة بين آخر أفراد الحشد إلى فراغ صغير يحوي رجلين ملتحيين يساعدان پاول على ارتداء بذلته، حدقت جيسيكا في ابنها. لمعت عينا پاول، وكان يسحب أنفاساً عميقة، تاركاً الشخصين يخدمانه دون أن يساعدهما.

تمتم أحد الرّجال: "قاتل جامِس، ولم يتلق حتّى جرحاً واحداً".

وقفت تشاني جانباً وعيناها متعلقتان بپاول، رأت جيسيكا الإثارة والإعجاب البادي على الوجه الفاتن.

فكّرت جيسيكا: .

بثت مستويات عالية من الازدراء في نبرتها وأسلوبها وقالت: "والآن، ما شعورك بعد أن أصبحت قاتلا؟"

جفل پاول كما لو تلقى ضربة، التقت عيناه بنظرة أمه الباردة، فاسودّ وجهه باندفاع الدّم فيه. واتجه بصره لا شعورياً للبقعة التي رقد فيها جامِس على أرضيّة الكهف.

تقدّم ستيلغار إلى جوار جيسيكا، عائداً من عمق الكهف حيث اختفت جثة جامِس، ووجه كلامه لپاول بنبرة تشوبها المرارة: "عندما يحين وقت مواجهتك لي، ساعيا للحصول على بُردة burda زعامتي، لن تتلاعب بي بنفس الطريقة التي تلاعبت بها بجامِس".

شعرت جيسيكا بأثر كلماتها وكلمات ستيلغار على پاول، وما فعلته في نفس الصبي. إن الغلطة التي ارتكبها هؤلاء القوم أصبحت الآن تخدم غرضاً مفيداً. تفحصت الوجوه المحيطة بهم، كما كان پاول يفعل أيضاً، فرأت ما كان يراه. إعجاب، أجل... ورهبة... وفي بعض الوجوه رأت بغضاً. ثم نظرت لستيلغار فرأت في وجهه التسليم بحتمية القدر، وأدركت كيف بدت له هذه المبارزة.

نظر پاول لأمه وقال: "أنتِ تعرفين الحقيقة".

سمعت في صوته عودة التّعقل، والندم. وأدارت بصرها بين المحتشدين وقالت: "لم يسبق لپاول أن قتل رجلاً بسكين هكذا".

التفت نحوها ستيلغار وعلامات عدم التّصديق بادية عليه.

قال پاول: "لم أكن أتلاعب به".

تقدم أمام أمه وسوّى ثوبه، ورمق الموضع الدّاكن من أرضية الكهف حيث دم جامِس. "لم أكن أرغب في قتله".

رأت جيسيكا التّصديق يحل ببطء على ستيلغار، وإحساسه بالارتياح عندما عبثت يده المعرّقة بلحيته، سمعت همهمات الفهم تسري عبر المجموعة.

قال ستيلغار: "ولهذا عرضت عليه الاستسلام. الآن فهمت، عاداتنا مختلفة عما اعتدته، لكنك سترى ما بها من حكمة. كنت أخشى أننا أدخلنا وسطنا عقرباً"، تردد قليلاً ثم أكمل: "ولن أصفك بالصبي بعد الآن".

صاح صوت من بين المجموعة: "يحتاج اسما يا ستيل".

أومأ ستيلغار موافقاً وهو يشد لحيته مفكراً: "إني أرى فيك قوةً، كالقوة في قاعدة العمود"، توقف مرة أخرى، ثم استأنف: "ستكون معروفاً بيننا باسم أصول، قاعدة العمود. هذا هو اسمك السّري، اسمك ضمن المجموعة. بإمكاننا – نحن أهل سيآتش طبر - أن نستخدمه، أما غيرنا فلا يحق لهم هذا... يا أصول".

انتشرت الهمهمات بين أفراد المجموعة: "إنه اختيار جيد... قوي... يجلب لنا الحظ الحسن"، وأحست جيسيكا بتقبلهم له، مدركة أنها مشمولة في هذا القبول مع بطلها، وأنها أصبحت بالفعل سيّادينا.

قال ستيلغار: "والآن، بأي اسم ندعوك في العلن، بصفتك قد أصبحت رجلاً؟"

ألقى پاول بنظرة نحو أمه ثم عاد ببصره لستيلغار، استدعت ذاكرته الإستبصارية بعض الأجزاء والقطع التابعة لهذه اللحظة، لكنه شعر بالاختلافات كما لو كانت مادية وملموسة، كقوة ضاغطة تدفعه دفعاً عبر باب الحاضر الضيق.

قال پاول: "ما اسم الفأر الصغير عندكم، الفأر الذي يقفز؟"، إذ تذكر حركة الوثب التي رآها في حوض تونو. وقام بتمثيل الحركة بيده.

صدرت قهقهة من بين المحتشدين.

قال ستيلغار: "نسميه مؤدّب Muad'Dib".

شهقت جيسيكا، لقد كان الاسم الذي أخبرها به پاول، عندما قال إن الفريمن سيقبلونهما بينهم ويطلقون عليه هذا الاسم.

أحست بخوف مفاجئ من ابنها، وعليه.

ازدرد پاول لعابه، شعر أنه لعب دوراً مسرحياً سبق له أن لعبه في ذهنه عدداً لا نهائيا من المرّات، مع بعض الفروقات.

رأى نفسه فوق قمّة شاهقةٍ يصيبه الدّوار من ارتفاعها، يربض فوقها بعد أن مرّ بتجارب كثيرة ونال مخزوناً معرفياً عميقاً، لكن كل ما حوله مجرد هاوية مجهولة.

ومن جديد تذكر رؤيا فيالق من المتطرفين يتبعون راية آتريديز الخضراء والسوداء، تنهب وتحرق بطول الكون وعرضه باسم نبيهم، مؤدّب. قال لنفسه: .

قال ستيلغار: "أترغب في اسم مؤدّب؟"

همس پاول: "أنا آتريديز"، ثم بصوت أعلى: "ليس من الصواب أن أتخلى تماماً عن الاسم الذي أعطاه لي أبي، هل يمكن أن أكون معروفا بينكم باسم پاول-مؤدّب Paul-Muad'Dib؟"

قال ستيلغار: "فلتكن پاول-مؤدّب".

وفكر پاول: . .لكنه ظل يشعر بالهاوية تحيطه به من كل اتجاه.

ومن جديد انتشرت الهمهمات بين المجموعة إذ أخذ كل رجل يحدث زميله: "حكمة وقوة... عزّ الطلب... إنّها النبّوءة بلا شك.. لسان الغيب.. لسان الغيب..."

قال ستيلغار: "دعني أخبرك شيئاً خاصاً باسمك الجديد، أسعدنا اختيارك. فالمؤدّب حكيم وعارف بأساليب الحياة الصحراوية. المؤدّب يكوّن ماءه بنفسه، المؤدّب يتجنب الشمس ويسافر في الليل البارد، المؤدّب خصب ويتكاثر في الأرض، نطلق على المؤدّب لقب 'معلم الصبيان'. إنها قاعدة قوية، ولك أن تبني حياتك على هداها. پاول-مؤدّب، يا من اسمك بيننا أصول، مرحباً بك بيننا".

مس ستيلغار جبهة پاول براحة يده، ثم سحبها وعانق پاول وتمتم: "أصول".

وعندما تركه ستيلغار تقدم عضو آخر من المجموعة وعانق پاول، مردداً اسمه الخاص الجديد. وانتقل پاول من عناق لعناق بين أفراد المجموعة، مصغيا للأصوات والنبرات المتنوعة: "أصول... أصول... أصول." كان يستطيع تمييز بعضهم بالاسم بالفعل، وبينهم تشاني، والتي ضغطت بوجنتها على وجنته عندما كانت تعانقه وتنطق اسمه.

بعدها وقف پاول مرة أخرى أمام ستيلغار الذي قال له: "الآن أنت من الإخوان البدويين Ichwan Bedwine، أخ لنا"، ثم تغير وجهه وتكلم بنبرة آمرة: "والآن يا پاول-مؤدّب، أحكم غلق بذلة تقطيرك"، ثم نظر لتشاني: "تشاني! وضع سدادات أنف پاول-مؤدّب من أسوأ ما رأيته في حياتي! أظن أني وجهت إليكِ أمراً بالاعتناء به!"

قالت: "كانت تعوزني الأدوات يا ستيل، توجد سدادات جامِس بالطبع، لكن..."

"يكفي هذا الكلام!"

قالت: "إذن سأشاركه واحدة من عندي، يمكنني أن أكتفي مؤقتاً بواحدة حتى..."

قال ستيلغار: "لا. أنا متأكد من وجود سدادات احتياطية بيننا، أين هي؟ أنحن فرقة متحدة أم مجموعة من الهمج؟"

امتدت الأيدي من الحشد تقدم أشياء ليفية صلبة، اختار ستيلغار أربعة منها وناولها لشاني: "ضعي هذه لأصول وللسيّادينا".

ارتفع صوت من آخر المجموعة: "وماذا عن الماء يا ستيل؟ ماذا عن قِرَب الماء في حقيبتهم؟"

قال ستيلغار: "أعرف حاجتك يا فاروق"، ورمق جيسيكا، فأومأت.

قال ستيلغار: "افتح واحدة من أجل المحتاجين، يا حافظ الماء... فليقترب أحد حفظة الماء. ها أنت ذا يا شيموم. احرص على ضبط الوزن اللازم، خذ القدر الضروري فقط ولا تزد. هذا الماء نصيب مملوك للسيّادينا، وسيعاد دفعه لها في السيآتش، حسب الأسعار الميدانية، مخصوما منها أجرة الحمولة".

قالت جيسيكا: "وكم نسبة الدفع حسب الأسعار الميدانية؟"

قال ستيلغار: "10 مقابل 1".

"لكن..."

قال ستيلغار: "إنها قاعدة حكيمة، كما سترين بنفسك فيما بعد".

دل حفيف أثواب في مؤخرة الحشد على حركة الرّجال لإحضار الماء.

رفع ستيلغار يده فساد الصّمت: "أما فيما يخص جامِس، فإني آمر بتأدية الطّقس بتمامه. لقد كان جامِس رفيقنا وأخ من الإخوان البدويين. لن نرحل دون تقديم الاحترام الواجب للشّخص الذي أقام الدّليل على صّحة حظنا السّعيد بما أقدم عليه من نزال التحدي. إني آمر بتأدية الطّقس، عند غروب الشّمس، عندما سيغطيه الظلام".

عند سماع پاول هذه الكلمات عاد وغاص مرةً أخرى في الهاوية، الزّمن المخفي عنه. لم يرَ 'ذكريات مستقبلية' في ذهنه... إلا...

إلا... أنه مازال يشعر براية آل آتريديز خفاقة، بلونيها الأخضر والأسود... بمكان ما في المستقبل الآتي... ولا زال يرى سيوف الجهاد الدّموية وفيالق المتطرفين.

قال لنفسه: . .

34

"خلق الرّب آرِّاكس بهدف تدريب المؤمنين"

من كتاب (حكمة المؤدّب)، تأليف الأميرة إيرولان

في هدوء الكهف سمعت جيسيكا حركة كشط للرّمال على الصّخور، ناتجةً عن حركة النّاس، وسمعت شقشقة الطّيور، والتي قال ستيلغار إنها إشارات رجال الحراسة المتفق عليها.

تمّت إزالة الأغطية البلاستيكية الكبيرة عن فتحة الكهف، فلمحت مسيرة الظلال الليلية عبر العتبة الصّخرية الأمامية، وما وراءها من حوض ممتد. أحست بضوء النّهار يغادرهم، إحساسها جاء من الحرارة الجافة بالإضافة لحركة الظلال. كانت تدرك أن الوقت سيكسِب حواسها المدرَّبة القدرة ذاتها التي يتمتع بها هؤلاء الفريمن: وهو الإحساس بأدنى تغير يطرأ على رطوبة الهواء. لم تغفل عن سرعة استجابتهم لفتح فم الكهف، إذ سارع الكل بإحكام غلق بذلات التقطير. ومن مكان عميق داخل الكهف بدأ شخص يغني:

"إيما ترافا أوكولو!

إي كورينجا أوكولو!"

ترجمت جيسيكا الكلام في ذهنها: هذا رماد! وهذه جذور! إذن بدأت طقوس جنازة جامِس.

مدّت بصرها لتنظر للغروب الآرِّاكسي، وللألوان المنحدرة التي تزين السماء. شرع اللّيل في إسدال ظلاله على الصخور والكثبان البعيدة، ومع ذلك لم تهدأ الحرارة.

الحرارة قادت ذهنها للتفكير في الماء، وفيما يبدو واضحاً بين هؤلاء الناس - تدربوا على ألا يشعروا بالعطش إلا في أوقاتٍ محددةٍ فقط.

العطش.

تذكّرت كالادان وأمواجه في نور القمر، تلقي على الصّخور ببياضها الذي يشبه الأثواب، والرياح المشبَّعة بالبلل، أما الآن فالنسيم الذي يتخلل ثوبها يسفع مناطق الجلد المكشوفة عند وجنتيها وجبهتها، وأزعجتها سدادات الأنف الجديدة وأثارت الحكة جلدها، كما ضايقها الأنبوب الممتد على وجهها المرتبط ببذلتها ليستعيد الرّطوبة من تنفسها، أما البذلة نفسها فكانت كغرفة ساونا.

كان ستيلغار قد قال لها: "ستصبح بذلتك مريحةً أكثر عندما تعتادي انخفاض المحتوي المائي في جسدك".

هو محقٌّ بالطبع، لكن المعلومة لم تفلح في تغيير الوضع الحالي، وأثقلت ذهنها فكرة هوسهم الكامل بمسألة الماء. .وهو أمر أكثر دقة وعمقاً.

سمعت خطوات تقترب، فالتفتت فرأت پاول قادماً من عمق الكهف، وتمشي خلفه تشاني ذات الوجه الفاتن.

فكّرت جيسيكا: . .

. .

ثم تعجّبت من نفسها: وأدركتْ فداحة تكييفها الذّهني.

. .

"أمي"، وقف پاول أمامها، وتشاني جواره. "أمي، أتعلمين ما يفعلونه هناك؟"

بادلته جيسيكا النظرات وقالت: "أعتقد".

"تشاني أرتني، لأنه من المفترض أن أشهد على ما يجري وأن... أعطيهم موافقتي على الماء الموزون".

نظرت جيسيكا لتشاني.

قالت تشاني: "إنهم يستعيدون ماء جامِس". وكان صوتها الرّفيع أخنف لمروره عبر سدادات الأنف. "فهذه الأعراف، اللحم من حق الشّخص، لكن ماءه من حق القبيلة... إلا في حالة النزال."

قال پاول: "يقولون إن الماء ملكي أنا".

تساءلت جيسيكا في نفسها لسبب تيقظها وحذرها المفاجئ.

قالت تشاني: "ماء النزال من حق المنتصر، هذا لأن المرء يضطر للقتال في الهواء دون ارتداء بذلة تقطير، وهكذا يستعيد المنتصر الماء الذي فقده أثناء القتال".

تمتم پاول: "لا أريد ماءه"، شعر وكأنه جزء من صورٍ كثيرةٍ تتحرك متزامنة ومتقطعة مسببة الإرباك لعينه الداخلية، لم يكن على يقين مما سيفعله، لكنّه متيقن من أمرٍ واحدٍ على الأقل: أنه لا يرغب في أخذ الماء الذي تم تقطيره من جسد جامِس.

قالت تشاني: "لكنه... ماء".

عجبت جيسيكا للطريقة التي قالت بها كلمة 'ماء'، معاني كثيرة مضمنة في كلمة واحدة بسيطة، وخطرت لجيسيكا مقولة من مقولات بني-جيزيرِت الحكيمة: نجاتك هي قدرتك على السّباحة في مياه غريبة عليك. - - ...

.

قالت جيسيكا: "ستقبل الماء"، استخدمت النبرة ذاتها التي تبنتها مع ليتو في إحدى المرات، عندما أخبرت دوقها الفقيد أن يقبل قدراً كبيراً من المال عُرض عليه مقابل تأييده لمشروع مثير للشبهات... حيث كان المال سيحفظ لآل آتريديز سلطتهم.

وعلى آرِّاكس الماء هو المال، هذه حقيقة تفهمها جيداً.

التزم پاول الصمت، وأدرك أنه سينفذ ما أمرته به، لا بسبب صيغة الأمر ذاتها، بل لأن نبرة صوتها جعلته يعيد تقييم الموضوع.

فعدم قبول الماء يعد خرقاً للأعراف الفريمنية، وتذكر نص فقرة من إنجيل يُوي الكاثوليكي البرتقالي، وقالها بصوت مسموع: "من الماء تبدأ كل حياة".

رمقته جيسيكا متسائلة: .

قالت تشاني: "هكذا يقول النص، جيوديشار مانتيني: مكتوب في الشاهنامه Shah-Nama أن الماء كان أول المخلوقات".

لسبب تجهله، أصابت جيسيكا رجفة مفاجئة، وأزعجها جهلها بمصدر الرّجفة أكثر من الرّجفة نفسها. أشاحت بوجهها لتخفي حيرتها، فأدركت اللحظات الأخيرة للغروب. انسكبت على السماء ألوان متداخلة بشكل عنيف فيما غاصت الشّمس تحت خط الأفق.

"حان الوقت!" جلجل صوت ستيلغار في الكهف. "تم قتل سلاح جامِس. جامِس قد استدعاه الإله،

شاي-هولود، ناظم أطوار القمرين اللذين يتضاءلان يومياً، حتى يظهران في النهاية متقوسين كأغصان ذابلة"، انخفض صوت ستيلغار وأكمل: "وهكذا كان الأمر بالنسبة لجامِس".

حلّ الصّمت كرداءٍ يلف الكهف.

رأت جيسيكا حركة ستيلغار كجسدٍ شبحي في أعماق الكهف المظلمة، ثم عادت بنظرها نحو الحوض، شاعرةً بالبرودة.

قال ستيلغار: "يمكن لأصدقاء جامِس أن يتقدموا".

تحرّك رجالٌ خلف جيسيكا وألقوا ستارةً على الفتحة. وفي عمق الكهف البعيد أضيئت كرة إنارةٍ واحدةٍ فوق الرؤوس، وفي وهجها الأصفر رأت احتشاداً، وسمعت حفيف الأثواب. أخذت تشاني خطوة للخلف، وكأنّ الضّوء قد جذبها، وانحنت جيسيكا مقتربةً من أذن پاول، وكلمته مستخدمةً شفرتهم العائلية: "قلّدهم وافعل ما سيفعلون، إنما هو طقسٌ بسيطٌ يراد به تهدئة روح جامِس".

فكّر پاول: . وأحس في وعيه الإدراكي بحركةٍ عنيفةٍ، كما لو أنه يحاول الإمساك بشيءٍ متحركٍ ليهدئ حركته.

انسابت تشاني لجوار جيسيكا، وأمسكت يدها: "تعالِ يا سيّادينا، علينا أن نجلس في مكان منفصل".

راقب پاول ابتعادهما بين الظلال، وانتابه شعور بالهجران.

اقترب منه الرّجال الذين أسدلوا السّتار. "تعال يا أصول".

تركهم يقودونه للأمام، ويدفعونه بين أشخاصٍ يتحلقون في دائرة حول ستيلغار حيث وقف تحت كرة الإنارة وبجواره كومة على الأرض الصخريّة، يغطيها ثوبٌ تبرز من تحته أجزاء منحنية وأخرى مضلعة.

ربضت المجموعة على الأرض مستجيبة لإشارة من ستيلغار، فصدر عن أثوابهم صوت حفيف. استقر پاول بينهم، مراقباً ستيلغار، وملاحظاً كيف ألقى المصباح العلوي ظلالاً على عينيه فبدتا غائرتين مظلمتين، بينما ازداد بريق قطعة القماش الخضراء المحيطة بعنقه. نقل پاول انتباهه للكومة المغطاة بالثوب قرب قدمي ستيلغار، ورأى مقبض آلة قانون موسيقية.

تنغم ستيلغار: "ترحل الرّوح عن ماء الجسد عندما يطلع القمر الأول، هذا هو المنصوص عليه، عندما نرى القمر الأول يشرق هذه الليلة من سيستدعي؟"

أجابت المجموعة: "جامِس".

استدار ستيلغار دورة كاملة على عقبه، ماراً بنظرته على حلقة الوجوه، ثم قال: "لقد كنتُ صديقا لجامِس، عندما تقوض فوقنا سفح الصقر في منطقة الصخرة المثقوبة، كان جامِس من سحبني لمكان آمن".

وانحنى على الكومة ورفع الثّوب: "بصفتي صديقا لجامِس سآخذ هذا الثوب... نصيب من حق القائد"، وألقى بالثوب على كتفه ونهض.

عندها رأى پاول محتويات الكومة: بذلة تقطير بلون رمادي باهتٍ، قربة ماء منبعجة، منديلٌ في وسطه كتابٌ صغير، مقبض كريسْنايف بلا نصل، غمدٌ فارغ، حقيبةٌ مطوية، بوصلة، ترجوم طيري، دقاق، مجموعة من الخطاطيف المعدنية بحجم قبضة اليد، تشكيلة مما بدا أنها حجارة صغيرة مطوية داخل قطعة قماش، حزمة من الريش... وآلة القانون بجانب الحقيبة المطوية.

فكّر پاول: .ذكرته الآلة الموسيقية بجيرني هاليك وبكل ما ضاع منه. كان

پاول يعرف - عن طريق 'ذكرياته المستقبلية' - أن بعض المسارات المحتملة قد تنتج لقاء بهاليك، لكن فرص تحقق هذا اللقاء كانت ضئيلة وتغلفها الظلال. كانت تصيبه بالحيرة، أدهشه عامل عدم اليقين في استبصاره. ... ...

ابتلع پاول ريقه وهزّ رأسه.

ومن جديد انحنى ستيلغار على الكومة. "من أجل امرأة جامِس والحرس". وأخذ الحجارة الصغيرة والكتاب ودسّها في طيات ثوبه.

قالت المجموعة في نبرة إنشادية: "حقّ القائد".

قال ستيلغار: "شارة أدوات تقديم القهوة المملوكة لجامِس"، والتقط قرصاً مسطحاً معدنياً أخضر. "كي يتم تقديمها لأصول بالطقوس المناسبة عندما نعود للسيآتش".

قالت المجموعة في نبرة إنشادية: "حقّ القائد".

وأخيراً التقط مقبض الكريسِنايف ووقف ممسكاً به: "لأجل السهل الجنائزي".

أجابت المجموعة: "لأجل السهل الجنائزي".

في موقعها المقابل لپاول في الدائرة، أومأت جيسيكا إذ تعرفت على المصدر القديم لهذا الطقس. ونظرت في ... اتجاه پاول متسائلةً:

قال ستيلغار: "نحن أصدقاء جامِس، لا نقوم بالعويل على ميتنا وكأننا قطيع من حيوانات الغارثارج".

من على يسار پاول نهض رجل أشيب اللحية وقال: "لقد كنتُ صديقاً لجامِس"، اقترب من الكومة والتقط منها جهاز الترجوم الطيري: "أثناء الحصار في منطقة ذي الطائرين، عندما انخفض مستوى ماءنا دون الحد الأدنى، قام جامِس بالمشاركة بمائه".

عاد الرّجل لمكانه في الدّائرة.

تساءل پاول حائراً:
رأى وجوها تلتفت ناحيته ثم تشيح بعيداً عنه. !

نهض رجل آخر كان يجلس في الجهة المقابلة لپاول، وراح للحقيبة وأخذ البوصلة: "كنت صديقاً لجامِس. عندما تمكنت منا الدّورية عند منطقة عطفة الجرف وجُرحت، قام جامِس باستدراجهم لمطاردته، كي يتمكن الآخرون من إنقاذ الجرحى"، وعاد لموقعه في الدائرة.

ومرةً أخرى التفتت الوجوه لپاول، رأى في نظراتهم التّرقب، فخفض عينيه. وَكَزَه مِرفقٌ وسمع هسيس صوت: "هل ستجلب علينا البلاء؟"

نهض شخص آخر من الدائرة، وعندما اقترب الشّخص ذو القلنسوة من الضّوء عرف پاول أنها والدته. أخذت منديلاً من الكومة وقالت: "كنت صديقة لجامِس، عندما رأت روح الأرواح داخله الحاجة لإظهار الحقيقة انسحبت هذه الروح ولم تزهق روح ابني"، وعادت لمكانها.

تذكر پاول نبرة التوبيخ في صوت أمه عندما واجهته بعد النزال:

ومن جديد رأى الوجوه تلتف صوبه، وشعر بما في المجموعة من غضب وخوف، برقت في ذهنه فقرة من ميكروفيلم عن طقوس الموت الدينية، كانت أمه عرضتها عليه في السابق، فعرف ما ينبغي عليه فعله.

نهض پاول ببطء.

صدرت من الدّائرة تنهيدة ارتياح.

فيما تقدم لمركز الدائرة شعر پاول بتضاؤل ذاته. كما لو أنه فقد جزءاً من نفسه وأخذ يبحث عنه هنا. انحنى على كومة المتعلقات والتقط آلة القانون الموسيقية، أصدر أحد الأوتار رنيناً ناعماً عندما مس شيئاً في الكومة.

همس پاول: "لقد كنت صديقاً لجامِس".

أحس بالدموع تحرق عينيه، وأرغم صوته أن يرتفع: "علمني جامِس... أنك عندما تقتل شخصاً... فإنك تدفع الثمن. أتمنى لو أني عرفت جامِس معرفةً أفضل".

ملأ بصره الضباب وهو يتحسس طريقه عائداً لمكانه في الدائرة، وغاص جالساً على الأرضية الصّخرية.

همس صوت: "إنه يذرف دموعاً!"

بدأت الجملة تتردد عبر الدائرة: "أصول يهب الرّطوبة للميت!"

شعر بأصابع تلمس وجنته المبللة، وسمع الهمسات المذهولة.

عندما سمعت جيسيكا الأصوات شعرت بعمق ما يحسون به، وأدركت أن هذا المجتمع يعارض ذرف الدّموع معارضة شديدة.

ركزت على الكلمات: " .يعدّون الدّموع هدية تقدم لعالم الأرواح. ولا شك أنها شيء مقدس.

كل ما مرّت به في السابق لا يقارن بالأثر الذي تركه هذا الموقف الذي نجح أخيراً في إقناعها بقيمة الماء القصوى على هذا الكوكب. لا بائعو الماء، ولا بشرة السكان المحليين الجافة، ولا بذلات التقطير، ولا ضوابط الالتزام بتوفير الماء. ها هنا مادة تفوق في قيمتها كل المواد الأخرى، إنها الحياة ذاتها، وبالتالي محاطة برموز وطقوس.

الماء.

همس شخص: "لمستُ وجنته، وشعرت بملمس الهبة".

في البداية شعر پاول بالخوف من الأصابع التي تلمس وجهه، أحكم أصابعه على المقبض البارد للآلة الموسيقية، شاعراً بالأوتار تقرص راحة يده، ثم رأى الوجوه التي تظهر من خلف الأيدي... ورأى العيون واسعة ومتعجبة.

بعدها انسحبت الأيدي متراجعةً، واستُأنفت مراسم الجنازة. لكن الآن أُحيط پاول بدائرة فارغة... انسحاب طفيف قام به أفراد المجموعة توقيراً له ليمنحوه مساحة من العزلة.

اختُتم الطقس بترنيم منخفض:

"البدر يستدعيك

شاي-هولود سيراك

حمراء هي سماء الغسق الليلية

موتتك ميتة دموية

ندعو للقمر المستدير

وسيكثر فينا الخير

ما نسعى إليه سنجده

في أرض التربة الجامدة".

بقي قرب قدمي ستيلغار جرابٌ منتفخ، انخفض رابضاُ ووضع راحتيه عليه. اقترب شخص من ورائه، وانحنى بجواره، فتعرّف پاول على وجه تشاني تحت ظل القلنسوة.

قالت تشاني: "كان جامِس يحمل 33 لترا و7 دراهم و33 جزء من الدّرهم من ماء القبيلة، أباركها الآن في حضور سيّادينا. إيكيري آكايري... ها هو الماء، فيليسين فولاسي پاول-مؤدّب! كيفي آكافي... لا أكثر... ناكالاس! ناكيلاس! أن يوزن ويحسب... أوكايرن! بدقات قلب... جان جان جان... صديقنا... جامِس".

ثم - في صمت مفاجئ وعميق - التفتت تشاني وحدقت في پاول، ثم لم تلبث أن قالت: "بينما أنا الشّعلة كن أنت الجمرات، بينما أنا الندى كن أنت الماء".

قالت المجموعة في نبرة منغومة: "بلا كيفَ".

قالت تشاني: "تذهب ملكية هذا القسم لپاول-مؤدّب، فليحرسه من أجل القبيلة، ويقيه من الهدر. فليكن كريماً به في وقت الحاجة، وليتركه خلفه عندما يحين وقته، من أجل خير القبيلة".

قالت المجموعة منشدة: "بلا كيفَ".

فكّر پاول: .نهض ببطء واتجه ليقف جوار تشاني، تنحى ستيلغار ليفسح له مكانا، وأخذ آلة القانون من يده برفق.

قالت تشاني: "اركع".

ركع پاول.

أرشدت يديه إلى جراب الماء، ووضعتهما على السّطح المرن، وقالت: "هذا الماء تضعه القبيلة أمانة في يدك، جامِس قد رحل عنه. خذه في سلام"، ثم نهضت، جاذبة پاول معها.

أعاد له ستيلغار الآلة الموسيقية ومد راحة يده فإذا بها كومة صغيرة من الحلقات المعدنية، نظر پاول لها فلاحظ اختلاف أحجامها وطريقة انعكاس ضوء كرة الإنارة عليها.

التقطت تشاني أكبر حلقة ورفعتها على إصبعها وقالت: "30 لتراً"، ثم التقطت الباقين، واحدة بعد الأخرى، وأرت كل منها لپاول وهي تحسبهم: "لتران... لتر... سبع عملات مائية قيمة كل منها درهم واحد... عملة مائية واحدة بقيمة 33 جزء من الدرهم. المجموع 33 لتر و7 دراهم و33 جزء من الدرهم"، رفعتهم على إصبعها كي يراهم پاول.

قال ستيلغار: "أتقبلها؟"

ازدرد پاول ريقه وأومأ: "أجل".

قالت تشاني: "فيما بعد سأريك كيف تربطهم في منديل كي لا تصدر عنها خشخشة تفضح مكانك عندما تريد أن تكون محاطاً بالصمت". مدت يدها بها.

قال پاول: "هل من الممكن أن... تحتفظي بها من أجلي؟"

نظرت تشاني لستيلغار نظرة مرتبكة.

ابتسم وقال: "پاول-مؤدّب (الذي اسمه بيننا أصول) لا زال لا يعرف أعرافنا يا تشاني، احتفظي بعملاته المائية دون ارتباط إلى أن يحين الوقت الذي ستريه الطريقة المناسبة لحملها".

أومأت ونزعت شريطاً قماشياً من تحت ثوبها وربطت فيه الحلقات بعقدة متداخلة ومعقدة، ترددت قليلاً ثم دستهم في الوشاح الذي تحت ثوبها.

فكر پاول: .

شعر بالمرح الذي انتشر فيمن حوله، وبما فيها من مزاح، ثم استدعى عقله ذكرى استبصارية: تقديم العملات المائية لامرأة يعني... طقس من طقوس التقدم لخطبتها.

قال ستيلغار: "يا حفظة المياه".

نهضت المجموعة وسط حفيف الأثواب. تقدم رجلان من بينهم ورفعا جراب الماء. أنزل ستيلغار كرة الإنارة، وتقدم حاملاً إياها، متجهاً صوب عمق الكهف.

دُفع پاول وسط الزّحام خلف تشاني، ملاحظاً الوهج الضّوئي - ذي اللّون الذي يشبه الزّبد - الساقط على الجدران الصخرية، والطريقة التي كانت تتراقص بها الظلال... وشعر بالرّوح المعنوية للمجموعة ترتفع بينما يسودها جو من الترقب.

كبحت جيسيكا لحظة هلعٍ عندما امتدت أيدٍ متحمسة تسحبها لذيل المجموعة وتحفّها حاشية من الأجسام المتدافعة بالمناكب.

كانت قد تعرفت على نتفٍ متفرقة من الطقوس، وفهمت ما في الكلمات من لغة التشاكوبسا والبهوتاني جِب. وكانت تعرف العنف الأهوج الذي قد ينفجر أحيانا وسط تلك اللحظات التي تبدو بسيطة في الظاهر.

فكّرت: ... .ما شهدته كان كطقوس أطفال فقدت كل تحفظاتها في أيدي الكبار.

توقف ستيلغار أمام حائطٍ صخري أصفر. ضغط على جزء ناتئ فانفتح الحائط بصمت، كاشفاً على امتداده شقاً منحوتاً بشكل غير منتظم. قادهم عبر شبكة كثيرة الثقوب وجّهت نحو پاول دفعة من الهواء البارد عندما مرّ خلالها. استدار پاول نحو تشاني بنظرة متسائلة، وجذبها من ذراعها وقال: "كان هذا الهواء رطباً".

همست: "هششش".

لكن رجلاً خلفهم قال: "الرطوبة وافرة هذه الليلة بمصيدة الرياح، إنها وسيلة جامِس لإخبارنا بأنه يشعر بالرضا".

مرّت جيسيكا عبر الباب السّري وسمعته يغلق خلفها. رأت كيف يتباطأ الفريمن أثناء عبورهم من الشّبكة ذات الثقوب الشّبيهة بخلايا النحل، وأحست برطوبة الهواء عندما وصلت لها.

فكّرت: !

.

مروا عبر باب صخري آخر تغطيه شبكة أخرى، وانغلق الباب خلفهم. حمل تيار الهواء - الذي شعروا به على ظهورهم - إحساساً رطباً، تعرف عليه كل من پاول وجيسيكا.

في مقدمة المجموعة هبطت كرة الإنارة - التي يمسك بها ستيلغار بينٍ يديه - تحت مستوى الرؤوسٍ أمام پاول. وبعدها بقليل أحس بدرجاتٍ تحت قدميه، تهبط مائلةً يساراً. انعكس الضوء للأعلى متخللاً الرؤوس المغطاة بالقلنسوات وحركة الناس التي تدور نازلة على درجات سلالم حلزونية.

شعرت جيسيكا بتوتر متحمس يزداد تدريجياً فيمن حولها، وبضغط الصّمت الذي أثار أعصابها بما فيه من تعجل. انتهت الدّرجات، فمرّت المجموعة عبر باب آخر منخفض. ذاب أثر ضوء كرة الإنارة وسط مكان عظيم الاتساع له سقف مقوس ومرتفع.

أحس پاول بيد تشاني على ذراعه، وسمع - في الهواء البارد - صوتاً خافتاً لقطرات تتساقط، وحلّ سكون تام على الفريمن في هذا الحضور الكاتدرائي للماء.

.

كانت الخاطرة مطمئنة ومزعجة في الوقت ذاته. ففي موقعٍ ما أمامه - على امتداد هذا المسار - تشق الحشود المتطرفة طريقها المخضب بالدماء عبر أرجاءٍ الكون، تهتف باسمه. ستصبح راية آل آتريديز الخضراء والسوداء رمزاً للرّعب. ستندفع فيالق متوحشة تصرخ صرختها الحربية: "مؤدّب!"

فكّر: . .

لكنه كان يشعر في داخله بوعي العِرق البشري يحثه نحو غايته الرهيبة. وكانٍ متأكداً أن آلة الحرب هذه لن يغير مسارها شيء صغير. آلة ماضية في طريقها تزداد ثقلاً واندفاعاً. حتى لو مات في هذه اللّحظة ستتابع سيرها عبر والدته وأخته التي لم تولد بعد.

ولن تتوقف إلا إذا ماتت المجموعة المحتشدة هنا الآن، بما فيهم هو ووالدته.

حدق پاول فيما حوله، فرأى الحشد ينتشر على شكل صف، اندفع معهم للأمام فوق حاجز منخفض منحوت من صخر المكان.

وفيما وراء الحاجز - في ضوء كرة ستيلغار المضيئة - رأى پاول مسطحاً مائياً ساكنًا. يمتد بعيداً غائباً بين الظلال... عميقاً ومظلماً.. أما جداره الآخر فيقع على بعد 100 متر تقريبا، يكاد لا يميز معالمه.

أحست جيسيكا بأن الجفاف الذي كان يشدّ بشرة وجنتيها وجبهتها بدأ يسترخي في وجود الرطوبة. كانت تشعر بأنها بِركة عميقة، وقاومت رغبتها في غمس يديها فيها.

سمعت على يسارها طرطشة ماء، ورأت ستيلغار في نهاية صفٍ الفريمن بجانبهٍ وپاول، بينما يفرغ حفظة المياه حملهم في البركة عبر أنبوب عدّاد. كان للعدّاد فتحةٌ رماديةٌ مستديرةٌ فوق حافة البركة. راقبت مؤشره المضيء في الظلام يتحرك أثناء تدفق الماء عبره. ثم رأت المؤشر يتوقف عند 33 لتر، 7 دراهم، و33 جزء من الدرهم.

فكّرت جيسيكا: .ولاحظت غياب البلل في جدران أنبوب العدّاد. يمر الماء عبر جدران هذا الأنبوب دون توتر سطحي لاصق. واستشفت فيما رأته هنا طبيعة تكنولوجيا الفريمن: إنهم يتقنون عملهم لحد الكمال.

مرّت جيسيكا بين الحشد وفوق الحاجز إلى أن وقفت جوار ستيلغار. أفسحوا لها الطريق باحترام عفوي. لاحظت عينا پاول المنشغلتان داخلياً، لكن لغز هذه البركة المتسعة كان مسيطراً على ذهنها

بالكامل.

نظر لها ستيلغار وقال: "بيننا من كانوا في أشد الحاجة للماء، لكنهم كانوا يأتون هنا دون أن يمسوا هذا الماء".

قالت: "أصدقك.".

نظر للبركة وقال: "عندنا هنا أكثر من 38 مليون ديكالتر، معزولة بجدران كي لا تصل لها ديدان الصانع الصغيرة. مياهنا مخفية، ومحفوظة".

قالت: "كنزٌ نفيس".

رفع ستيلغار الكرة لينظر في عينيها: "إنه أكثر من مجرد كنز، نملك آلاف من مثل هذه المخابئ. قلة قليلة بيننا من يعرف أماكنها كلها"، وأمال رأسه لأحد الجانبين، فألقت الكرة وهجاً داكناً أصفر اللون على الوجه واللحية. "أتسمعين؟"

أصاخوا السمع.

صوت قطرات الماء المكثف من مصيدة الرياح ملأ المكان بحضوره. رأت جيسيكا أن المجموعة كلها كانت غارقة في نشوة الإصغاء. فقط پاول بقي منعزلاً عما يحدث حوله.

بدا الصوت لپاول وكأنه لحظات تدق في عدٍّ تنازلي. كان يشعر بالزّمن يتدفق خلاله، لحظات تذهب ولا يمكن استعادتها أبداً. شعر بالحاجة لاتخاذ قرار، لكنه كان عاجزاً عن الحركة.

همس ستيلغار: "لقد تم حساب الأمر بدقة بالغة. إننا نعلم - لأقرب مليون ديكالتر - القدر الذي نحتاجه. وعندما نبلغ الكمية المطلوبة سنغير وجه آرّاكس".

أجابه من المجموعة همس خافت: "بلا كيفَ".

قال ستيلغار، وقد أخذ صوته يزداد قوة: "سنحبس حركة الكثبان تحت الحشائش المزروعة. سنجعل المياه تستقر في التربة باستخدام الأشجار والشجيرات النامية".

قال الحشد في صوتٍ منغوم: "بلا كيفَ".

قال ستيلغار: "كل عامٍ ينحسر الجليد القطبي".

فأنشدوا قائلين: "بلا كيفَ".

"سنجعل آرّاكس موطنا صالحا للسكنى، مستخدمين عدسات حرارية مذيبة للقطبين. وستملأ البحيرات الأقاليم ذات الحرارة المعتدلة، وسنترك عمق الصحراء من أجل الصانع والسپايس".

"بلا كيفَ".

"ولن يفتقر إنسان للماء مرة أخرى. سيتوافر له الماء سواء في بئر أو بركة أو بحيرة أو قناة، ستجري المياه في القنوات لتروي نباتاتنا، وستكون متاحة لكل من يرغب فيها. ملكه وفي متناول يده".

"بلا كيفَ".

سمعت في الكلمات نغمة الطّقوس الدينية، وشعرت بردّ فعلها المنبهر.

وانتقلت أفكارها نحو لييّت-كاينز، الخبير البيئي الكوكبي التابع للإمبراطور، الرّجل الذي اندمج في

ثقافة المحليين، وتعجبت لأمره. هذا حلم قادرٌ على التّمكن من قلوب البشر، وأدركت الدّور الذي لعبه الخبير البيئي في إذكائه. حلم من النّوع الذي يموت الرّجال من أجله طواعية، إنه عنصر آخر من العناصر الضرورية التي شعرت أن ابنها بحاجة إليه، قوم لديهم هدف. فقوم لهم هذه الصفة، من اليسير صبغهم بصبغة الحماسة والهوس. يمكن استخدامهم كسيفٍ لاستعادة منصب پاول المغصوب.

قال ستيلغار: "والآن سنغادر، ثم ننتظر طلوع القمر الأول، وعندما يبدأ جامِس رحلته في سلام سنعود لمساكننا".

تبعته المجموعة تتهامس كارهةً مغادرة المكان. رجعوا وعبروا حاجز الماء ثم صعدوا درجات السّلم.

في مكانه، خلف تشاني شعر پاول بأن لحظة هامة قد فلتت منه، وقراراً ضرورياً قد ضاعت فرصة اتخاذه، وأنه أصبح الآن حبيس تيار أسطورته، كان يعلم أنه رأى هذا المكان من قبل، وعاش أحداثه في أحد أحلامه الاستبصارية على كالادان البعيد، لكنه يمر الآن بتفاصيله في هذا المكان حيث لم يسبق له أن رآه. أدهشته من جديد محدودية قدراته، وكأنه يركب موجة من موجات الزمن، أحياناً يكون في أخفضٍ نقطة فيها وأحياناً على قمتها، وحوله في كل اتجاه كانت الموجات الأخرى ترتفع وتنخفض، كاشفةً - ثم مخفيةً - ما تحمله على سطحها.

وخلال كل هذا يلوح أمامه الجهاد الشّرس، بعنفه ومذابحه، كقمة جبلٍ بارزة فوق الأمواج.

سارت المجموعة في صفّ عبر الباب الأخير، وخرجت منه للكهف الرئيسي. ثم أُغلق الباب بإحكام. أطفئت الأنوار ونزعت الأغطية من على فتحات الكهف، فانكشف ما غطى الصّحراء من ليلٍ ونجوم.

تحركت جيسيكا لعتبة الكهف الجافة ورفعت بصرها للنجوم، بدت واضحةً وقريبةً. أحسّت بحركة المجموعة من حولها، وسمعت صوت آلة قانون يتم ضبطها في مكان ما خلفها، ثم صوت پاول يدندن نغمة. كانت في نغمته كآبة سوداوية أقلقتها.

جاءها صوت تشاني قادماً من عمق الكهف المظلم: "أخبرني عن الماء على موطنك، يا پاول-مؤدّب".

فقال پاول: "في وقت آخر يا تشاني، أعدك بهذا".

.

قالت تشاني: "إنها آلة قانون جيدة".

قال پاول: "جيدة للغاية، أتظنين أن جامِس سيعترض إن استخدمتها؟"

فكرت جيسيكا: .أزعجتها دلالات هذا الأمر.

جاء صوت أحد الرّجال قائلاً: "كان جامِس يحب الموسيقى كثيراً".

قالت تشاني راجية: "إذن غنِ لي إحدى أغنياتكم".

فكرت جيسيكا: . ...

.

قال پاول: "هذه أغنية من أغاني صديق لي، أتوقع أنه ميت الآن... جيرني. كان يسميها: ترنيمة المساء".

حل السّكون على المجموعة وأصغوا بينما ارتفع صوت پاول بنبرة فتية صادحة، يصاحبها رنين آلة القانون:

"إنه وقت تتألق فيه الجمرات

شمسٌ ذهبيةٌ تذوبُ مع أول غسق..

حواسٌّ هائجة، ورائحة مسك بائس

تلك الذكريات رفيقات السّفر".

أحست جيسيكا بالكلمات الموسيقية في صدرها، موسيقى وثنية مشحونة بأصوات جعلتها واعية بذاتها... شاعرة بجسدها واحتياجاته. استمعت في سكون متوتر.

"رثاء ليل مبخر بلؤلؤ

من أجلنا!

أي متع تجري إذن

لامعة في عينيك

أي غرام يبرق بالزهور

يجذب قلوبنا

أي غرام يبرق بالزهور

يملأ رغباتنا".

أصغت جيسيكا للسّكون الذي ساد في الجو بعد آخر نوتة موسيقية. سألت نفسها:
! اجتاحها خوف مفاجئ. كانت تشعر بالحياة تتدفق من حولها، عاجزة عن أن تكبح جماحها.
أما پاول فكان يجلس في الظلام صامتاً، وفكرةٌ واحدةٌ تسيطر على إدراكه:

35

"يشكل مفهوم التّقدم آليةً دفاعيةً تحمينا من أهوال المستقبل"

من كتاب (أقوال المؤدّب المجمعة)، تأليف الأميرة إيرولان

في يوم ميلاده السّابع عشر قتل فايد راوثا هاركونِن ضحيته رقم 100 من العبيد المصارعين في المباريات الأسرية. وبهذه المناسبة كان الكونت فينرنغ والليدي حرمه حاضرين، مندوبين من البلاط الإمبراطوري، كزوار مشاهدين قادمين لزيارةِ كوكب غيدي برايم، موطن آل هاركونِن. ووُجهت إليهم الدّعوة للجلوس - خلال فترة ما بعد الظهر هذه - مع أفراد الأسرة المقربين في المقصورة الذّهبية، أعلى الحلبة مثلثة الشّكل.

وإكراماً لمناسبة ذكرى ميلاد الـ نا-بارون (ولي العهد)، وسعياً لتذكير باقي أفراد أسرة هاركونِن - وأفراد الشعب - أن فايد راوثا هو من وقع عليه الاختيار لولاية العهد في المستقبل، كان اليوم عطلةً على غيدي برايم. إذ أصدر البارون مرسوماً بأن تكون فترة ما بين ظهر اليوم إلى ظهر الغد راحةٌ من العمل، وبُذلت جهودٌ كبيرةٌ لخلق وهم السّعادة في أرجاء مدينة هاركو، في مقرّ حكم الأسرة، حيث خفقت الرّايات من البنايات، ورُشت الجدران بطلاء جديد على امتداد شارع البلاط.

لكن في المناطق خلف الشارع الرئيسي لاحظ الكونت فينرنغ وزوجته أكوام القمامة، وانعكاس الجدران الخشنة بنية اللون على برك الوحل الدّاكنة المتناثرة في الطرقات، وحركة الناس وهم يبتعدون راكضين محاولين الاختفاء عن الأعين.

أما داخل قلعة البارون ذات الجدران الزرقاء بدا كل شيء على أكمل وجه، لكن الكونت وزوجته شاهدا ثمن هذه الترتيبات، إذ انتشر الحرس في كل مكان، يحملون أسلحةً تملك ذاك البريق الخاص الذي يكشف - للعين المدربة - أنها أسلحة يتم استخدامها بصورة منتظمة. وحتى في القلعة ذاتها انتشرت نقاط تفتيش خلال المرور الروتيني من مكان لمكان. وكانت علامات التّدريب العسكري بادية على الخدم، خصوصاً في الطريقة التي يسيرون بها، وفي وضع أكتافهم، وفي الأسلوب الذي كانت عيونهم تراقب فيه كل شيء وكل شخص بلا كللٍ أو ملل.

همهم الكونت لزوجته بلغتهما السرية، قائلاً: "وبدأ الضغط، وفهم البارون الثمن الحقيقي للخلاص من الدّوق ليتو".

قالت: "يوماً ما، سأحكي لك أسطورة العنقاء".

كانا في قاعة استقبال القلعة، في انتظار التوجه للمباريات الأسرية. لم تكن القاعة واسعة، يقارب طولها 40 متراً، وعرضها نصف ذلك، وعلى جانبيها اصطفت أعمدة زينةٍ مزيفةٍ تم تصميمها بطرفٍ علوي حادٍ ومستدق، أما السّقف فكان مقوساً بعض الشيء، مما أعطى إيحاء بأن المكان أوسع مما هو عليه في الحقيقة.

قال الكونت: "آآه... ها قد وصل البارون".

من نهاية القاعة، تحرك البارون بطريقته الغريبة في الانزلاق المتهادي، نتيجةً لمحاولته توجيه وزنه المحمول بمضادات الجاذبية. وتمايل لُغُدُه للأعلى وللأسفل، وتأرجحت مضادات الجاذبية وانزاحت هنا وهناك تحت ردائه البرتقالي. لمعت الخواتم في يديه، وبرقت جواهر الأوپال في ردائه.

سار فايد راوثا قرب كوع البارون، كان شعره الداكن مصففاً على شكل حلقاتٍ مجعدةٍ متقاربةٍ بدت مرحة بشكلٍ يتنافر مع ما تحتها من عينين واجمتين. ارتدى سترةً ضيقةً وسروالاً مريحاً ينتهي

باتساع يشبه شكل الجرس. أما قدماه الصغيرتان فكانتا مغطاتين بخفين لهما نعل ناعم.

لاحظت الليدي فينرنغ وقفة الشاب المتزنة وحركات عضلاته الواثقة تحت السترة.

.

توقف البارون أمامهما وأمسك ذراع فايد راوثا في قبضة توحي بالتملك، وقال: "ابن أخي، النا-بارون، فايد راوثا هاركونِن"، ثم أدار وجهه الطفولي السّمين ناحية فايد راوثا: "هذان هما الكونت والليدي فينرنغ كنت قد حدثتك عنهما".

أومأ فايد راوثا رأسه حسب ما تقتضيه التحية المطلوبة، وحدّق في الليدي فينرنغ. كانت ذهبية الشّعر ورشيقة، وضمّ قوامها تام الجمال ثوب بيج بسيط يلتصق بجسدها دون زخارف تزينه. بادلته النّظرات عينان خضراوان داكنتان. كانت تتمتع بذلك الهدوء الرزين الذي تشتهر به بني-جيزيرِت، والذي أشعر الشاب بشيء من الانزعاج.

قال الكونت: "امممممم"، ودقق في فايد راوثا،"هذا ال-.. همم.. الشاب بذاته... امم... يا عزيزي؟"، ونظر الكونت للبارون. "باروني العزيز، تقول أنك ذكرتنا لهذا الشّاب بذاته؟ وماذا قلت؟"

قال البارون: "أخبرت ابن أخي بالتقدير الكبير الذي يحمله الإمبراطور لك يا كونت فينرنغ".

وفكر: ! ... .

قال الكونت: "بالطبع!"، وابتسم لزوجته.

وجد فايد راوثا تصرفات الرجل وأفعاله تقارب الإهانة، تصرفات تتوقف عند الحد الفاصل ولا تتعداه إلى المستوى الصريح. ركّز الشّاب انتباهه على الكونت، فوجده رجلاً ضئيل الجسم، يبدو عليه الضّعف. كان الوجه ماكراً كحيوان ابن عرس، وبه عينان داكنتان بالغتا الاتساع. شاب في صدغيه بعض الشعر الأبيض، وتصعب متابعة حركاته، فكان مثلاً يحرك يده أو رأسه في اتجاه ثم يتكلم موجهاً كلامه للجهة الأخرى.

قال الكونت، مخاطباً كتف البارون: "امم هممم، قلما يقابل المرء دقة كهذه. إنني... أهنئك هممم على تمام الصفات التي يتمتع بها ولي عهدك، بالمقارنة بابن الأخ الآخر الأكبر سناً، إن جاز لي قول هذا".

قال البارون: "شكراً على لطفك"، وانحنى... لكن فايد راوثا لاحظ في عيني عمه عدم قبوله لهذه المجاملة.

قال الكونت: "عندما تتهكم فإن هممم هذا يعطي إيحاءاً بأنك تفكر تفكيراً عميقاً".

فكر فايد راوثا: .

.

شعر فايد راوثا وهو يصغي لكلام الرّجل وكأن رأسه تغرق في عصيدة... امم هاا هممم! ونقل فايد راوثا انتباهه إلى الليدي فينرنغ.

قالت: "سرقنا من وقت هذا الشّاب، فهمت أنه سينزل في الحلبة اليوم".

فكّر فايد راوثا: *houris hareem* ! قال: "سأقتل خصمي من أجلك اليوم يا سيدتي، سأعلن الأمر في الحلبة ليكون على شرفك، إن أذنتِ لي".

حدقت فيه بهدوء وصفاء، لكن صوتها كان كضربة سوط: "لا أعطيك إذني".

قال البارون: "فايد!" !

لكن الكونت لم يزد على أن ابتسم وقال: "هممممم".

قال البارون: "عليك أن تبدأ في الاستعداد للنزول للحلبة يا فايد، يجب أن تكون مرتاحاً وألا تعرض نفسك لمخاطرات حمقاء".

انحنى فايد راوثا ووجهه أسود من الاستياء: "كل شيء سيجري كما تحب يا عمي"، وأومأ للكونت فينرنغ قائلاً: "سيدي"، ولليدي: "سيدتي"، ثم استدار وسار بخطواتٍ سريعةٍ خارجاً من القاعة، دون أن يلقى بالاً لمجموعة أفراد أسر صغار النبلاء الواقفة قرب الباب المزدوج.

تنهد البارون: "ما زال صغيراً".

قال الكونت: "اممم فعلاً همم".

وفكرت الليدي فينرنغ:

قال البارون: "أمامنا أكثر من ساعة قبل أن يحين وقت التّوجه للحلبة، ربّما يمكننا تبادل حديثنا القصير الآن يا كونت فينرنغ". أمال رأسه الضخمة لليمين وأكمل: "هناك قدر كبير من التطورات علينا مناقشتها".

وفكّر البارون:

.

خاطب الكونت زوجته: "امم، هههمم، تسمحين لنا... آممههم... يا عزيزتي؟"

قالت: "إن كل يوم، بل وأحياناً كل ساعة، تأتي بأمر جديد مختلف، اممم"، وابتسمت للبارون ابتسامة عذبة قبل أن تبتعد. وهسهست أطراف تنورتها الطويلة وهي تسير بظهر مستقيم وخطوات ملكية قاصدة الباب المزدوج في آخر القاعة.

لاحظ البارون كيف توقفت المحادثات بين أسر صغار النبلاء عند الباب عندما اقتربت السيدة، وكيف تابعتها العيون. - ! !

قال البارون: "يوجد مخروط صمت بين اثنين من تلك الأعمدة على يسارنا، بإمكاننا تبادل الحديث هناك دون أن نخشى الاستماع لنا".

وتقدم بمشيته المتأرجحة والجا مجال العزل الصوتي، فخفتت أصوات القلعة.

تحرك الكونت مع البارون، واستدارا ليواجها الجدار، كي لا يتمكن أحد من قراءة شفاههما.

قال الكونت: "لسنا راضين عن الطريقة التي أمرت بها الساردوكار بمغادرة آرِّاكس".

تعجّب البارون: !

قال البارون: "لم يكن من الممكن أن يبقى الساردوكار لوقت أطول دون أن نخاطر باكتشاف البعض الطريقة التي ساعدني بها الإمبراطور".

"لكن ابن أخيك رابان لا يضغط بقوة كافية لحل مسألة الفريمن".

قال البارون: "وما الذي يرغب فيه الإمبراطور؟ لم يبق على آرِّاكس سوى حفنة من الفريمن، فالصّحراء الجنوبية لا تصلح لحياة البشر، والصّحراء الشمالية تمشطها دورياتنا بصورة منتظمة".

"ومن قال إن الصّحراء الجنوبية لا تصلح لحياة البشر؟"

"خبيركم الكوكبي هو من قال هذا بنفسه يا عزيزي الكونت".

"لكن دكتور كاينز مات الآن".

"آه، أجل... أمر مؤسف".

قال الكونت: "وردتنا معلومة من رحلة طيران حلّقت فوق المناطق الجنوبية، توجد أدلة على حياة نباتية".

"إذن وافقت النقابة أخيراً على المراقبة من الفضاء؟"

"تعلم جيداً أن هذا لم يحدث يا بارون، لا يمكن للإمبراطور مراقبة آرّاكس بشكل قانوني".

قال البارون: "وأنا لا أملك ما يكفي من الثروة لأراقبه، فمن الذي قام برحلة الطيران؟"

"أحد ال-... مهربين".

قال البارون: "كذبوا عليكم يا كونت، فالمهربون - كما هو الحال أيضاً مع رجال رابان - يعجزون عن الطيران فوق المناطق الجنوبية. عواصف، وشوشرة استاتيكية من الرّمال، وكل هذه الأشياء كما تعلم. وتسقط علامات الإرشاد الملاحي حتى بسرعة أكبر من تركيبها".

قال الكونت: "فلندع مناقشة أنواع الاستاتيكية المختلفة لوقت آخر".

فكر البارون: . قال بنبرة ملحة: "هل عثرتم إذن على غلطة في حساباتي المالية؟"

قال الكونت: "عندما تتوهم وجود غلطات فلا يمكن ساعتها الدّفاع عن النفس".

. أخذ نفسين عميقين لتهدئة نفسه. كان بإمكانه شمّ رائحة عرقه، وبدأ مشد مضادات الجاذبية تحت ردائه يزعجه فجأة ويسبب له الحكّة.

قال البارون: "لا يمكن أن يكون الإمبراطور مستاءً بسبب موت المحظية والصّبي، لقد هربا قاصدين الصحراء، وظهرت لهما عاصفة".

قال الكونت: "أجل، جرت الكثير من الحوادث الملائمة لأهدافك".

قال البارون: "لا تعجبني نبرتك يا كونت".

قال الكونت: "الغضب شيء لكن العنف شيء آخر. دعني أحذرك، إن أصابتني حادثة مؤسفة هنا فإن أسر كبار النبلاء كلها ستعلم ما فعلتَه على آرّاكس، فلطالما نظروا بريبة لأساليبك في العمل".

قال البارون: "العمل الوحيد الذي قمتُ به مؤخراً ويحضرني حالياً هو نقل عدة فيالق ساردوكار لآرّاكس".

"أتظن أنه بإمكانك تهديد الإمبراطور بكشف هذه المعلومات؟"

"حاشا! لا يمكن أن يخطر هذا على بالي إطلاقا!"

ابتسم الكونت: "ساعتها ستجد قادة ضمن الساردوكار مستعدين لتقديم اعتراف بأنهم تصرفوا من تلقاء أنفسهم دون تلقي أوامر، وأن دافعهم كان الدّخول في معركة ضد حثالة الفريمن".

قال البارون: "قد يشكك الكثيرون في صحة اعتراف كهذا"، لكن التهديد أذهله. وتساءل:

قال الكونت: "يرغب الإمبراطور في التدقيق على دفاترك المالية".

"متاحة متى شاء".

"إذن... ليست لديك اعتراضات؟"

"إطلاقاً. إن حصتي الإدارية في شركة كوآم شفافة أمام أدق الفحوصات".

. : " ... "...

.

.

غمغم الكونت: "لا شك إذن أن دفاتر حساباتك صحيحة وتحتمل أدق فحص".

قال البارون: "لِمَ يهتم الإمبراطور هكذا بالقضاء التام على الفريمن؟"

هزّ الكونت كتفيه: "تريد تغيير الموضوع، أليس كذلك؟ لا بأس. الساردوكار هم من يرغبون في الأمر لا الإمبراطور. كانوا في حاجة لتدريب عملي على القتل، ويكرهون أن يتركوا مهمة دون إتمامها".

تساءل البارون:

قال البارون: "إدارة الأعمال تحتاج أحياناً إلى قدر من القتل، لكن ينبغي أن يكون هناك حد أقصى لا نتعداه، إذ يجب أن ينجو البعض للعمل في تنقيب السپايس".

صدرت من الكونت ضحكةٌ قصيرةٌ كالنباح: "أتظن بإمكانك تسخير قدرات الفريمن؟"

قال البارون: "لم يكن عددهم كافياً لهذا في السابق، لكن إبادتهم نشرت الخوف في باقي السّكان. لقد تدهور الوضع لدرجة تجعلني أفكر في حل آخر للمعضلة الآرّاكسية يا فينرنغ العزيز. وعليّ أن أعترف أن الفضل في إلهامي بالفكرة يعود للإمبراطور."

"آآآه؟"

"لدي يا كونت سالوسا سيكوندس - الكوكب السجن التابع للإمبراطور – فهو مصدر إلهامي".

حدجهُ الكونت بعينين لامعتين: "وهل توجد صلة بين آرّاكس وسالوسا سيكوندس؟"

شعر البارون بالانتباه الحذر في عيني فينرنغ: "لا توجد صلة حتى الآن".

"حتى الآن؟"

"عليك الاعتراف بكونها طريقة ناجحة في تكوين قوة عاملة لا بأس بعددها على آرّاكس، استخدام الكوكب كسجن".

"وهل تتوقع زيادة في عدد السجناء؟"

قال البارون معترفاً: "حدثت بعض الاضطرابات، إذ كنت مضطراً لاعتصار الشّعب بشدة يا فينرنغ. وكما تعلم دفعتُ ثمناً باهظاً للنّقابة الملعونة مقابل نقل قواتنا العسكرية المشتركة إلى آرّاكس، للأموال مصادرها الضرورية".

"أقترح ألا تستخدم آرّاكس كسجن دون إذن من الإمبراطور يا بارون".

تعجب البارون من البرودة الفجائية التي حلت على صوت فينرنغ، وقال: "بالطبع!"

قال الكونت: "وهناك موضوع آخر، علمنا أن مِنتات الدّوق ليتو، ظافر حواط، لم يمت، بل موظف عندك الآن".

قال البارون: "لم أستطع إجبار نفسي على هدره".

"لقد كذبتَ على قائد الساردوكار التابع لنا عندما أخبرته أن حواط مات".

"مجرد كذبة بيضاء يا عزيزي الكونت، لم تكن معدتي تتحمل جدالاً طويلاً مع الرجل".

"هل كان حواط الخائن الحقيقي؟"

مسح البارون العرق عن عنقه: "بالطبع لا! الخائن هو الطبيب المزيف. عليك أن تتفهم الأمر يا فينرنغ، فقد كنت بلا مِنتات. وأنت تعرف هذا، لم يسبق لي أبداً أن أعمل بلا مِنتات. كان وضعاً مربكاً للغاية".

"وكيف استطعت تغيير ولاء حواط لصالحك؟"

ابتسم البارون ابتسامة متكلفة: "مات دوقه، لا خوف من حواط يا عزيزي الكونت. زرعنا سماً خفياً في جسد المِنتات. ندس له الترياق في وجبات طعامه، وإذا توقف الترياق سينشط السم، وعندها سيموت في غضون أيام".

قال الكونت: "امنع عنه الترياق".

"لكنه مفيد لي!"

"ويعرف الكثير من الأمور التي لا يجب السماح لشخص أن يعرفها ويظل حياً".

"لكنك قلت إن الإمبراطور لا يخشى انفضاح الأمر".

"لا تلعب معي هذه الألاعيب يا بارون!"

قال البارون: "عندما أرى هذا الأمر رسمياً وتحته الختم الإمبراطوري فسأطيعه. لكني لن أستجيب لنزواتك العابرة".

"أتظنها نزوة عابرة؟"

"وماذا تكون غير هذا؟ على الإمبراطور التزامات نحوي أنا أيضاً يا فينرنغ. لقد خلصته من الذّوق المثير للمتاعب".

"بمساعدة بعض الساردوكار".

"ومن أين للإمبراطور بأسرة نبيلة مستعدة لتقديم زيها الرسمي كأداة تنكر لإخفاء دوره في المسألة؟"

"لقد سأل نفسه السؤال ذاته يا بارون، لكنه وضع نبرة التوكيد في موضع آخر بالجملة".

لاحظ البارون في فينرنغ تصلب عضلات الفك، والتحكم الدّقيق بالنفس: "أها، أتمنى ألا يعتقد الإمبراطور أن بإمكانه توجيه ضربة ضدي في سرية تامة".

"إنه يرجو ألا يضطر لذلك".

"لا يمكن أن يظن الإمبراطور أنني أشكل خطراً ضده!"

سمح البارون لنبرة غضب وحزن بالتسلّل إلى صوته، مفكراً: !

.

جاء صوت الكونت جافاً ومنخفضاً: "يصدق الإمبراطور ما تنبؤه به حواسه".

"أيجرؤ الإمبراطور على اتهامي بالخيانة أمام مجلس اللاندسراد وهو منعقد بكامل هيئته؟" وحبس البارون أنفاسه وهو يتمنى أن يحدث هذا فعلاً.

"لا يحتاج الإمبراطور الجرأة".

التفت البارون بمضادات جاذبيته كي يخفي تعبير وجهه. ! ! ! . .

قال الكونت: "يأمل الإمبراطور بصدق ألا يضطر لاتهامك بالخيانة".

واجه البارون صعوبة في إبعاد نبرة التّهكم من صوته وأن يظهر نبرة الألم فقط، لكنه نجح في النّهاية وقال: "لطالما كنتُ من أشد الأتباع ولاء، هذه الكلمات تجرحني بقدر يفوق قدرتي على التعبير".

قال الكونت: "امممم."

ظل البارون معطياً ظهره للكونت وهو يومئ برأسه، ثم لم يلبث أن قال: "حان وقت التوجه للحلبة".

قال الكونت: "فعلاً".

خرجا من مجال المخروط الصوتي وسارا جنبا لجنب مقتربين من مجموعة أفراد أسر صغار النبلاء في طرف القاعة. في مكان ما بالقلعة بدأ جرس يدق دقات بطيئة، تنبيه بأن التجمع في الحلبة سيكون بعد 20 دقيقة.

قال الكونت مشيراً برأسه نحو المجموعة التي يتقدمان منها: "صغار النبلاء ينتظرون منك أن تقودهم".

فكر البارون: ... .رفع بصره لقطعتي الزينة الجديدتين على جانبي باب قاعته، رأس الثّور المعلقة واللّوحة الزّيتية التي تصور دوق آتريديز الكبير، والد الدّوق ليتو الراحل، بثت تلك القطع مشاعر تشاؤمية غريبة لدى البارون، وتساءل أي أفكار كانت تبثها هذه القطع للدّوق ليتو عندما كانت معلقة في قاعات كالادان ثم آرِّاكس، صورة الأب الواثق من نفسه ورأس الثور الذي قتله.

قال الكونت وقد بدأ موكب التابعين يسير وراءهما: "تملك البشرية عِلمٌ... أمم ... واحد فقط".

خرج الحشد من القاعة إلى غرفة الانتظار، والتي كانت عبارة عن مكان ضيق له نوافذ مرتفعة وتشكل بلاط أرضيته من وحدات بيضاء وأرجوانية.

قال البارون: "وما هو هذا العلم؟"

قال الكونت: "إنه اممم.. علم... المعاناة".

في خنوع الحملان ضحك أفراد صغار النبلاء خلفهما بنبرة الإعجاب المناسبة، لكن الصوت حمل نغمة نشاز إذ اصطدم بصوت المحركات المفاجئ عندما فتح الخدم الأبواب الرئيسية على مصراعيها كاشفين صف المركبات في الخارج، تخفق فوقها رايات مثلثة.

رفع البارون صوته ليطغى على الضجة المفاجئة: "أتمنى ألا تشعر بعدم رضا عندما تشاهد أداء ابن أخي اليوم يا كونت فينرنغ".

قال الكونت: "آآه، لا يملؤني سوى شعور... هممم... بالترقب. أجل. فعندما تأتي وشاية شفهية،

على المرء الأخذ في الاعتبار منصب من تصدر عنه."

أخفى البارون دهشته المفاجئة بتعمده التعثر على أولى الدرجات الهابطة من باب الخروج.

لكن الكونت قهقه كي تبدو الجملة وكأنها مزحة، وربّت على ذراع البارون.

وطوال الطريق إلى الحلبة استند البارون جالساً على حشايا سيارته المدرعة يختلس نظرات للكونت الجالس جواره، ويتساءل عن دوافع ساعي بريد الإمبراطور وراء هذه المزحة وإلقائها بالذات أمام صغار النبلاء. فمن النادر أن يقوم فينرنغ بأمر غير ضروري، أو أن يستخدم كلمتين عندما تكفي كلمة واحدة، أو أن يلزم نفسه بمعنى واحد فقط لعبارة يقولها.

كانا قد جلسا في المقصورة الذهبية المطلة على الحلبة المثلثة، والأبواق تصرخ بنفيرها، والمدرجات فوقهم وحولهم مزدحمة بالناس وصخبهم، وبالرايات التي يلوحون بها... وعندها جاءت الإجابة للبارون.

مال الكونت ليقترب من أذن البارون: "عزيزي البارون، تعلم بالطبع أن الإمبراطور لم يصرح رسمياً بعد بموافقته على من قمتَ باختياره كخليفة لك، أليس كذلك؟"

صدمة البارون أدخلته في صندوق الصمت الخاص به. حدق في فينرنغ، ولم يكد ينتبه لزوجته الليدي التي دخلت وانضمت للمجموعة في المقصورة الذهبية.

قال الكونت: "هذا هو السّبب الحقيقي الذي جئتُ من أجله اليوم. فالإمبراطور يريد مني أن أقدم تقريراً عما إن كنتَ قد اخترت خليفة مناسب أم لا، لا يوجد أفضل من حلبات المصارعة في كشف المعدن الحقيقي للشخص تحت القناع، صحيح؟"

قال البارون كازًّا على أسنانه: "وعدني الإمبراطور بأن لي الحق في اختيار من أريد!"

قال فينرنغ: "سنرى"، وأشاح بوجهه ليرحب بزوجته، ابتسمت الليدي للبارون ثم ركزت انتباهها على الأرضية الرّملية أسفلهم حيث ظهر فايد راوثا مرتدياً زياً ضيقاً، وفي يمينه القفاز الأسود والسّكين الطويل، وفي يساره القفاز الأبيض والسكين القصير.

قالت الليدي فينرنغ: "الأبيض إشارة للسّم والأسود للنقاء. عادة عجيبة، أليس كذلك يا حبيبي؟"

قال الكونت: "اممم".

ارتفعت هتافات الترحيب من المدرجات الأسرية، فتوقف فايد راوثا ليستقبلها، رافعاً بصره ومدققاً في الوجوه. أبناء عمومته وباقي أقربائه، وأنصاف أشقائه، والأقارب أبناء المحظيات والأجانب ممن يقعون خارج دائرته الأسرية. كانوا أفواها وردية اللون كالأبواق تثرثر وسط خفقات أثواب مزركشة الألوان ورايات.

خطر لفايد راوثا حينئذ أن صفوف الوجوه المحتشدة هذه ستنظر بنفس الحماسة سواء لدمه المسفوك أو لدم العبد المصارع. لا شكّ طبعاً في النتيجة النهائية لهذا النزال، فما يعرض هنا هو أخطار ظاهرية لا حقيقية. إلا...

رفع فايد راوثا سكينتيه للشّمس، وقدّم التحية لأركان الحلبة الثّلاثة حسب العرف القديم. أغمد السّكين القصير في يده ذات القفاز الأبيض (الأبيض علامة للسم). ثم النّصل الطّويل في يده ذات القفاز الأسود، ذاك النّصل النّقي الذي فقد نقاءه، إنه سلاحه السّري الذي سيحول هذا اليوم لانتصار شخصي له: سمٌ على النّصل الأسود.

لحظة واحدة لضبط درعه، وشعر بالدّرع يشدّ جلد جبهته مؤكداً الحماية الكاملة لجسده.

تحمل تلك اللّحظات إثارتها المميزة، ولذا أطالها فايد راوثا على طريقة رجل الاستعراض الواثق من نفسه، وأومأ برأسه لمعاونيه ولمشتتي انتباه الخصم، فاحصاً أدواتهم بعين مدققة. الأغلال في موضعها، وأشواكها حادة وتبرق، والشصوص والخطاطيف بشرائطها الزرقاء.

أشار فايد راوثا للموسيقيين كي يبدؤوا.

بدأ اللحن العسكري البطيء، جهورياً بأبهته قديمة الطراز، وتقدم فايد راوثا ووراءه فرقته، يقودهم عبر الحلبة لتقديم فروض الاحترام أسفل مقصورة عمه. والتقط مفتاح الشرف عندما أُلقي به.

توقفت الموسيقى.

خلال الصّمت المفاجئ تراجع خطوتين للخلف ورفع المفتاح وصاح: "أهدي هذه الحقيقة ل-.." ثم توقف، متوقعا أن يفكر عمه:

!

صاح فايد راوثا: "... لعمي الذي يرعاني بكرمه... البارون ڤلاديمير هاركونِن!"

أبهجته تنهيدة عمه.

استأنفت الموسيقى بإيقاع سريع، وقام فايد راوثا بتوجيه رجاله ليركضوا عبر الحلبة إلى باب الطاقة الاحترازي، والذي كان يسمح فقط بمرور من يحملون شريط الهوية. افتخر فايد راوثا لعدم اضطراره في السابق لاستخدام الباب الاحترازي، ونادراً ما احتاج للاستعانة بمشتتي الانتباه. لكن أراحه وجودهم اليوم، فالخطط الخاصة تحمل معها أحياناً مخاطر خاصة.

وحلّ الصّمت على الحلبة من جديد.

استدار فايد راوثا مواجها الباب الأحمر الكبير المقابل له والذي سيخرج عبره المصارع.

المصارع الخاص.

.لن يتم تخدير العبد، كان هذا هو
مصدر الخطر. بدلاً من التخدير تم زرع كلمة في لا وعي الرّجل بحيث تشل عضلاته في اللحظة الحاسمة. قلب فايد راوثا الكلمة الهامة في ذهنه، محركاً بها شفتيه دون صوت: "حثالة!" سيبدو للجمهور وكأن عبداً غير مخدر تم دسّه في الحلبة لقتل ولي عهد البارون. وستشير كل الأدلة المزروعة بعناية بالاتهام للمسؤول عن العبيد.

صدر من محركات الباب الأحمر طنينٌ منخفضٌ عندما تم تشغيلها.

ركز فايد راوثا كل وعيه على الباب. فاللحظة الأولى هي اللحظة الحاسمة. فمظهر المصارع وهو يدخل يكشف بالكثير للعين الخبيرة، عادة ما يتلقى المصارعين جرعات كبيرة من عقار ال- إلاكة، كي يخرجوا متعطشون للقتل. لكن عليك أن تراقب الطريقة التي يوازنون بها سكينهم، والاتجاه الذي يجنحون له خلال الدفاع، وإذا ما كانوا منتبهين للجماهير الجالسة في المدرجات أم لا. حتى الطريقة التي يميل بها العبد رأسه يمكن أن تعطيك مفتاحا هاما يفيدك في الحركات الخادعة والمضادة.

انفتح الباب الأحمر بقوة.

وخرج منه رجلٌ طويلٌ ضخم العضلات، برأسٍ حليقةٍ وعينين داكنتين غائرتين. كان جلده بلون الجزر كما هو متوقع كنتيجة لتناول مخدر ال- إلاكة، لكن فايد كان يعرف أن اللون مجرد طلاء، ارتدى العبد زياً أخضر اللون ملتصقاً بالجسد وحزاماً أحمر لدرع نصفي.

أشارت العلامة على الحزام بسهم نحو اليسار، ليدلِ علي أن جانب العبد الأيسر هو الجانب المحمي بالدّرع. أمسك سكّينه بطريقة إمسَاك السّيوف، مائلاً قليلاً للخارج في وقفة المقاتلين المحترفين. دخل الحلبة ببطء، موجهاً نصفه المحمي بالدّرع ناحية فايد راوثا والمجموعة الواقفة خلف الباب الاحترازي.

قال أحد رجال فايد راوثا المسؤولين عن الشّصوص: "لا يعجبني مظهره، متأكد من أنه مخدر يا سيدي؟"

قال فايد راوثا: "لونه يدل على ذلك".

قال مساعد آخر: "لكنه يقف وقفة المقاتلين".

تقدم فايد راوثا خطوتين فوق الرّمل، ودقّق في العبد.

قال أحد المشتتين: "ما الذي فعله بذراعه؟"

انتقل انتباه فايد راوثا لخدش دامي على الساعد الأيسر للرجل، ثم تتبع الذراع هابطاً ببصره لليد التي كانت تشير لتصميم مرسوم بالدّم على الورك الأيسر للثوب الأخضر، خط يصور صقراً.

صقر!

نظر فايد راوثا للعينين الغائرتين الدّاكنتين، فرآهما تحدقان فيه بانتباه غير مألوف.

سرت فيه رعدة، وتساءل إن كان حواط يدبر خطة أخرى ستتم في هذه الحلبة، خدعة داخل خدعة داخل خدعة. وفي النهاية سيقع اللّوم على مسؤول العبيد فقط!

تكلّم كبير معاوني فايد راوثا في أذنه: "لا يعجبني مظهر هذا المقاتل يا سيدي، دعني أختبره أولا بأن أضع شوكة شص أو اثنين في ذراعه التي يستخدم بها السكين".

قال فايد راوثا: "سأغرز فيه شصوصي بنفسي"، وتناول من المعاون زوجاً من الأسياخ الطويلة المعقوفة، ووزن ثقلهما في يده، مختبراً نقطة توازنهما. هذه الشصوص أيضاً كان من المفترض أن تحمل مخدر، لكن ليس هذه المرة، وربما سيعاقَب كبير المعاونين بالموت نتيجة لهذا، لكن الأمر كله جزء من الخطة.

كان حواط قد قال له: "ستخرج بطلاً في النهاية وقد قتلت مصارعك رجلاً لرجل ورغم الخيانة. سيتم إعدام مسؤول العبيد وسيحل محله الرجل التابع لك".

تقدم فايد راوثا خمس خطواتٍ أخرى داخل الحلبة، مطيلاً اللحظة، ودارساً العبد. كان يعلم أن الخبراء الجالسين بين الجماهير بدؤوا ينتبهون لما يجري، فبرغم لون بشرة المصارع الدال على تخديره إلا إنه كان يقف بثبات. سيتهامس هواة اللعبة فيما بينهم قائلين: "انظروا لوقفته، من المفترض أن يثور، أن يهاجم أو يتراجع. أما هذا فانظر للطريقة التي يوفر بها قوته، ويقف منتظراً، ليس من المعتاد أن ينتظر".

أحس فايد راوثا بشعلة الإثارة داخله.

صاح العبد: "هاي يا هاركونِن، مستعد للموت؟"

حلّ على الحلبة سكون ثقيل.

الآن رأى فايد راوثا عيني المصارع بشكل واضح، وشاهد فيهما شراسة اليأس البارد. لاحظ الطريقة

التي يقف بها الرجل، الأطراف مسترخية ومستعدة، والعضلات مهيئة للنصر. شبكة تناقل الأخبار بين العبيد قد أوصلت رسالة حواط لهذا الرجل: ‘ ’. إذن هذا الجزء من الخطة تم كما خططا له.

ارتسمت على فم فايد راوثا ابتسامة خفيفة. رفع الشصين عالياً، ورأى نجاح خطته في الطريقة التي يقف بها المصارع.

قال العبد متحدياً: "هاي! هاي!"، وتقدم خطوتين للأمام.

محال أن يغفل الجمهور عن حقيقة ما يحدث الآن.

من المفترض أن يكون الهلع الناتج عن المخدر قد عطل هذا العبد وأعاقه. كل حركة صادرة منه كان يجب أن تنضح بمعرفته - في قريرة نفسه - بألا أمل أمامه في النجاة، وأنه لن يستطيع الفوز. من المفترض أن يكون مشبعاً بحكايات السّموم التي يختارها النا-بارون ويضعها على النّصل في اليد ذات القفاز الأبيض. وإنه لا يسمح لخصمه أبداً بالموت العاجل، بل يستمتع بعرض السّموم النادرة، ويقف وسط الحلبة يشرح الأعراض الجانبية الظاهرة على الضحية التي تتلوى في ألم. صحيح إن الخوف ظاهر على هذا العبد – لكن لا هلع.

رفع فايد راوثا الشصين عالياً، وأومأ في شبه تحية، فوثب المصارع منقضاً.

كانت حركاته الهجومية الخادعة والدّفاعية المضادة أفضل من أي شيء شهده فايد راوثا. وأوشكت إحدى الضربات الجانبية المضبوط توقيتها أن تنجح في قطع أوتار ساق النا-بارون اليسرى.

رقص فايد راوثا مبتعداً، تاركاً سيخ أحد الشصوص مغروساً في الساعد اليمنى للعبد. اندفنت الخطاطيف بالكامل في اللحم، في موضع يعجز الرجل عن سحبها دون تمزيق الأوتار.

ارتفعت من مقاعد الجماهير شهقة موحدة، فملأ الصوت فايد راوثا بالنشوة.

كان يعلم ما يشعر به عمه الآن، وهو جالس جوار الكونت والليدي فينرنغ، المشاهدين القادمين من البلاط الإمبراطوري. لا يمكن السماح بأي تدخل خلال هذا النزال، لا مفر من الالتزام بالقواعد الرّسمية أمام الشهود. ولن يكون أمام البارون سوى تفسير واحد لما يحدث بالحلبة، بأنه تهديد موجّه لشخصه.

تراجع العبد، ممسكاً بسكينه بين أسنانه، ومثبتاً الشّص في ذراعه بربطه بشريط الرّاية المتدلي منه. صاح: "لا أشعر بإبرتك هذه!"، وتقدم للأمام مرة أخرى، وسكّينه مشهرةً، وجانبه الأيسر مدفوعاً للأمام، وجسده مائلاً للخلف ليمنحه أقصى مساحة حماية يمكن للدّرع النصفي أن يوفرها.

هذا الفعل أيضاً لم تغب دلالته عن الجالسين في مقاعد المتفرجين. صدرت صيحات حادة من المقصورات الأسرية، ونادى معاونو فايد راوثا عليه سائلين إن كان في حاجة للعون. إلا إنه لوح لهم بالعودة لما وراء الباب الاحترازي.

. . .

تراجع فايد راوثا ببطء أمام تقدم المصارع الذي كان يتحرك بطريقة جانبية تشبه حركة السلطعون. احتكت قدماه برمل الحلبة، وسمع لهاث العبد، وشمّ عرقه، وما بالجو من رائحة خفيفة للدماء.

تراجع النا-بارون في ثبات، مستديراً لليمين، وشصّه الثاني في وضع استعداد. تراقص العبد في حركاته الجانبية، وبدا للحظة أن فايد راوثا قد تعثرت قدمه، وسمع الصّرخة من مقاعد الجماهير.

ومرة أخرى انقض العبد واثباً.

فكر فايد راوثا وهو يقفز جانباً: أنقذته سرعة الشّباب، لكنه نجح في غرس الشص الثاني في العضلة الكتفية المثلثة بالذراع الأيمن للعبد!

أمطره الجمهور بهتافات هائجة.

وسمع في الأصوات إثارةً شرسةً، تماماً كما تنبأ حواط. لم يسبق أن هتفوا بهذه الطريقة لمقاتل من الأسرة الحاكمة. وخطر له - بقليل من التّجهم - شيء قاله له حواط: "من السّهل أن يصاب المرء بالرّعب من عدو انبهر به".

تراجع فايد راوثا لمنتصف الحلبة كي يتمكن الجميع من رؤيته بوضوح. سحب سكينه الطويل، وربض منتظراً العبد المتقدم نحوه. توقف الرّجل ليربط الشّص الثاني لذراعه بإحكام، ثم أسرع يطارد خصمه.

فليشهد أفراد الأسرة ما أفعله. فأنا عدوهم... ولتكن هذه صورتي دائماً، واستلّ نصله القصير.

قال المصارع: "لا أخشاك أيها الخنزير الهاركوني. وسائل تعذيبك لن تؤلم رجلاً ميتاً، سأقتل نفسي بنصلي قبل أن أسمح أن يمسني إصبع من أصابع معاونيك، وستكون أنت ميتاً جواري!"

ابتسم فايد راوثا ومدّ النّصل الطويل، الذي يحمل السّم، وقال: "جرب هذا"، ثم راوغ مستخدماً النصل القصير في يده الأخرى.

بدّل العبد سكينه ليده الأخرى، واقتحم حركات ولي العهد الدّفاعية والهجومية حتى قبض على النّصل القصير، النّصل الذي في يد القفاز الأبيض والذي يقتضي العرف أن يكون هو النّصل المسموم.

شهق المصارع قائلاً: "ستموت يا هاركونِن".

تعاركا على الرمل، والتقى درع فايد راوثا بنصف الدّرع الذي يرتديه العبد فأصدرا وهجاً أزرق. وامتلأ الهواء حولهما بأوزون نابع من حقل الطاقة.

كزّ العبد على أسنانه: "مت بسُمّك!"

وأخذ يدفع يد القفاز الأبيض للداخل، مديراً النصل الذي كان يظن أنه يحمل السّم.

فكّر فايد راوثا: هوى بالنصل الطويل وشعر باصطدامه غير المؤثر، أعاقته خطاطيف الشّص المربوطة بذراع العبد.

مرّ فايد راوثا بلحظة يأس. فلم يكن يتوقع أن تعمل الشصوص لصالح العبد. إنها كدرع ثاني يحمي الرجل. ناهيك عن القوة التي يتمتع بها هذا الرجل! تحرّك النّصل القصير بلا هوادة، واستوعب فايد راوثا أن النّصل غير المسموم أيضاً يمكن أن يقتل.

شهق فايد راوثا: "حثالة!"

أطاعت عضلات المصارع الكلمة السّرية واسترخت للحظة. كان هذا كافياً لفايد راوثا. إذ ابتعد بجسده لمسافة تكفي لاستخدام النّصل الطويل، ثم رسم بطرفه المسموم خطاً أحمر على صدر العبد. كان للسّم ألم فوري، فتراجع الرجل فاضاً الاشتباك، وترنح للخلف.

.

.

.

وقف فايد راوثا في صمت، مراقباً حركات العبد المتباطئة. تحرّك الرجل بوعي متردد. كان على

وجهه تعبيرٌ واضَح للجميع، وكأنه مكتوبٌ بخطٍ واضح. كان المكتوب هو الموت. نعم أدرك العبد ما حدث، وكيف حدث. كان السّم في النصل الخطأ.

قال الرجل في أنين: "أنت!"

تراجع فايد راوثا للخلف ليتيح للموت مساحته التي يستحقها. لم يبدأ بعد مفعول العقار المصيب بالشّلل، لكن بطء حركات الرّجل دلت على انتشاره. ترنّح العبد للأمام وكأنه مسحوب بخيط، يجّر خطوة بعد الأخرى. كل خطوة كانت تشكل له عالم بأكمله. كان ما يزال قابضاً على سكينه، لكن طرفها كان يتذبذب.

شهق: "يوماً ما... أحدنا... سيقضي عليك".

التوى فمه في أنّة حزينةٍ، فجلس، مرتخياً في ضعف، ثم تصلّب جسده وتدحرج بعيداً عن فايد راوثا، واستقرّ ووجهه نحو الأرض.

تقدم فايد راوثا في الحلبة الصامتة، ووضع إصبع قدمه تحت المصارع وقلبه على ظهره ليتيح للجمهور مجال رؤيةٍ واضحةٍ للوجه عندما تبدأ تشنّجات العضلات، انقلب جسد المصارع وبرزت من صدر ه سكين.

رغم الحنق الذي غمر فايد راوثا إلا أنه أعجب بجهد هذا العبد، إذ تغلب على الشّلل وفعل هذا في نفسه، ورافق الإعجاب شيء من الخوف.

.

وفيما هو غارق في الخاطرة انتبه فايد راوثا للصّخب الذي انفجر من مقاعد الجماهير من حوله. كانوا يهتفون في هياج، دون أدنى ضبط للنّفس. التفت فايد راوثا، رافعاً بصره إليهم.

كان الجميع يهتف، إلا البارون، جلس وذقنه مستندةً على يده وبدا عليه التفكير العميق، ناهيك عن الكونت وزوجته الليدي، كانا يحدّقان فيه من الأعلى، ووجهاهما قناعان مبتسمان.

استدار الكونت فينرنغ لزوجته وقال: "آآه امم... شاب داهية متمكن من أدواته يا عزيزتي، أليس كذلك؟"

قالت: "استجاباته العصبية سريعة للغاية".

نظر لها البارون ثم للكونت ثم عاد بتركيزه للحلبة، مفكراً:

!

وبدأ الغضب العارم يحلّ محلّ خوفه. .

...

بالنسبة لفايد راوثا بدت المحادثة التي تدور في مقصورة البارون كحركات بعيدة، أغرقتها الهتافات وأصوات دق الأقدام التي تصله الآن من كل اتجاه.

"الرأس! الرأس! الرأس! الرأس!"

علت وجه البارون تكشيرة، ورأى فايد راوثا يلتفت نحوه. تحكّم في غضبه، ولوح بيده نحو الشاب الواقف في الحلبة جوار جثة العبد الممددة. . .

رأى فايد راوثا علامة الموافقة ودار في خاطره: . !

رأى معاونيه يقتربون حاملين منشاراً فأشار لهم بالابتعاد، وكرّر الحركة لمّا رأى ترددهم.

!

انحنى وعقد يدي المصارع حول مقبض السّكين البارز من جسده، ثم نزع السّكين ووضعها في اليدين المرتخيتين.

تم الأمر كله في لحظةٍ خاطفةٍ، ثم اعتدل، وأشار لمعاونيه: "ادفنوا هذا العبد وجسده سليم، وسكينه بين يديه. لقد استحق الرجل هذا التكريم".

في المقصورة الذهبية مال الكونت فينرنغ مقترباً من البارون وقال: "لفتة كريمة منه - ثقة حقيقية بالنفس. يتمتع ابن أخيك بأسلوب مميز، ناهيك عن الشّجاعة".

تمتم البارون: "إنه يهين الجمهور برفضه قبول الرأس".

قالت الليدي فينرنغ: "على الإطلاق". والتفتت لتنظر للمقاعد المحيطة بهم.

لاحظ البارون شكل عنقها. يا لها من عضلات منسابة بشكل جميل، وكأنها عضلات صبي.

قالت: "إنهم معجبون بما فعله ابن أخيك".

وأخيراً أدرك الجمهور مغزى لفتة فايد راوثا، إذ شاهدوا المعاونين يحملون المصارع الميت وجثته كاملة لم تمس، راقبهم البارون وأدرك أنها نجحت في تفسير ردّ فعل الجمهور. هاج الناس في بهجةٍ مجنونةٍ، يخبطون على بعضهم البعض، ويصرخون ويدقون الأرض بأقدامهم.

قال البارون في ضجر: "سأضطر لأن أصدر أمراً بعقد مهرجان ووليمة. فلا يمكن أن يعود الناس لبيوتهم وهم في هذه الحالة، دون تفريغ طاقاتهم. يجب أن يشهدوا مشاركتي لهم بهجتهم"، وأعطى إشارة بيده لحارسه، فقام أحد الخدم الواقفين فوقهم بإنزال راية الهاركونِن البرتقالية فوق المقصورة... مرة ثم ثانية ثم ثالثة، علامة على إقامة مهرجان.

عبر فايد راوثا الحلبة ووقف تحت المقصورة الذّهبية، وسلاحيه في غمديهما، وذراعيه على جانبيه. رفع صوته ليعلو على هياج الجمهور، وقال: "مهرجان يا عمي؟"

بدأت الضوضاء تقل إذ رأى الناس المحادثة، فلبثوا منتظرين.

صاح البارون: "تكريماً لك يا فايد!" ومرة أخرى أمر بإنزال الراية إشارةً لهذا.

وفي الجهة الأخرى من الحلبة انخفضت الحواجز الاحترازية، وبدأ فتية يثبون هابطين للحلبة، راكضين نحو فايد راوثا.

قال الكونت: "هل أمرت بإنزال الحواجز يا بارون؟"

قال البارون: "لن يتعرض الفتى لأذى منهم، فهو بطل".

وصلت الدّفعة الأولى من الراكضين إلى فايد راوثا، ورفعوه على أكتافهم، وبدؤوا يسيرون به في موكب في أرجاء الحلبة.

قال البارون: "يمكنه أن يسير الليلة عبر أفقر أحياء مدينة هاركو دون سلاح ودون درع، وسيمنحونه آخر ما يملكونه من طعام وشراب مقابل تشريفهم بجلوسه معهم".

دفع البارون نفسه ناهضاً من على مقعده فحملت مضادات الجاذبية وزنه: "أرجو أن تعذروني، فهناك أمور تستوجب اهتمامي الفوري بها. سيرافقكم الحرس للقلعة".

نهض الكونت وانحنى: "بالطبع يا بارون، إننا نتطلع لحضور المهرجان. لم يسبق أن... امم... رأيت مهرجاناً هاركونيّا من قبل".

قال البارون: "آه، المهرجان"، ثم استدار، وأحاطه الحرس وهو يخرج من المقصورة عبر بابه الخاص.

انحنى أحد قادة الحرس للكونت فينرنغ: "أوامرك سيدي؟"

قال الكونت: "سننتظر... اممم... حتى يهدأ ال-... هممم... زحام".

"أمرك سيدي"، وانحنى الرجل عائداً ثلاث خطوات للخلف.

التفت الكونت فينرنغ لزوجته وتكلم بلغة الهمهمة المشفّرة الخاصة بهما: "فهمتِ ما رأيناه بالطبع؟"

قالت بنفس اللغة: "كان الفتى يعرف أن المصارع غير مخدر، نعم مرّ بلحظة خوف، لكن لم تبد عليه الدّهشة".

قال: "كان الأمر مرتباً.. العرض بأكمله مرتب".

"بلا شك".

"تفوح من الموضوع رائحة حواط".

قالت: "صحيح".

"كنتُ قد طالبتُ البارون قبل قليل بأن يتخلص من حواط".

"تلك غلطة يا عزيزي".

"أرى هذا الآن".

"ربما يحظى آل هاركونِن ببارون جديد قريباً".

"إن كانت هذه هي خطة حواط".

قالت: "فعلاً، يجب التحقق من هذا".

"ستسهل عملية السيطرة على الصغير".

قالت: "سيطرتنا نحن عليه.. بعد الليلة".

"لا تتوقعين أن تواجهك صعوبات في إغوائه، أيتها الأم الحنونة؟"

"لا يا حبيبي، فقد رأيت بنفسك الطريقة التي ينظر بها لي".

"أجل. والآن أفهم لماذا ينبغي علينا أن نحتفظ بهذه السلالة".

"صحيح، ومن الواضح أنه يجب علينا السّيطرة عليه، سأزرع في أعمق ثنايا عقله عبارات البِرانا-بيندو اللازمة للتحكم به".

قال: "وسنرحل بأسرع وقت ممكن... بعد أن تتأكدي من إتمام الأمر".

أصابتها رعدة: "بالتأكيد، فلا أريد أن أحمل بالطفل في مكان شنيع كهذا".

قال: "آه من الأمور التي نضطر للقيام بها من أجل البشرية!"

قالت: "دورك أيسر من دوري بكثير".

قال: "توجد بعض مشاعر النّفور العتيقة التي عليّ التغلب عليها، إنها بدائية للغاية كما تعلمين".

قالت وهي تربّت على خده: "يا لعزيزي المسكين، تعلم جيداً أن هذه هي الطريقة الوحيدة التي يمكننا بها التأكد من حماية الصّفات الوراثية لهذه السلالة".

قال بنبرة جافة: "إني متفهم تماماً لما نقوم به".

قالت: "لن نفشل".

قال مذكراً إياها: "الشّعور بالذنب يبدأ كشعور بالفشل".

قالت: "لن يكون هناك شعور بالذنب، عقدة تنويمية داخل عقل فايد راوثا، والتأكد من أن طفله في رحمي، ثم نرحل".

قال: "وعمه هذا، هل رأيتِ مثله في درجة التشوه والانحراف؟"

قالت: "إنه شرسٌ للغاية، لكن قد يكبر ابن الأخ ويصبح أسوأ منه".

"بسبب هذا العم، ترى كيف سيكون طبع هذا الفتى لو تربى تربية أخرى... لو سار على هدى أعراف آل آتريديز على سبيل المثال".

قالت: "للأسف".

"آه لو أنقذنا الفتى الآتريدي وهذا الفتى، ما سمعته عن الصبي پاول مثيراً للإعجاب... خليط جيد من الجينات والتدريبات"، هزّ رأسه وأكمل: "لكن لا يجب أن نهدر أسفنا على سوء الحظ الذي يحيق بالأرستقراطية".

قالت: "هناك مقولة عند بني جيزيرِت ت-..."

قال محتجاً: "عندكن مقولات لكل شيء!"

قالت: "ستعجبك هذه المقولة: لا تسلم بموت شخصٍ حتى ترى جثته، وحتى عندها قد تكون مخطئاً".

36

"يخبرنا المؤدّب في كتاب (وقت للتأمل) أن اصطداماته الأولى بضرورات الحياة على آرِّاكس كانت البداية الحقيقية لتعلمه، فمعها تعلم طريقة غرز السواري في الرّمال ليرى تغيرات الطقس، وتعلم لغة الرّياح التي تنخس بشرته كالإبر، وتعلم أزيز الأنف لما تدخلها رمال مسببة حكة، وكيف يجمع رطوبة جسده النفيسة حوله ليحميها ويحفظها، وعندما بدأت عيناه تتلونان بزرقة عيون العباد Ibad تعلم أساليب التشاكوبسا".

مقدمة ستيلغار لكتاب (المؤدّب: الرجل)، تأليف الأميرة إيرولان

كان ضوء القمر الأول آخذاً في التّضاؤل عندما خرجت فرقة ستيلغار من الحوض الصّحراوي - خلال عودتها للسيآتش - ومعها المشردان المنضمان لها. أسرعت المجموعة الملتحفة بالأثواب، إذ كانت رائحة الوطن تملأ فتحات أنوفهم، وخلفهم كان خطّ الفجر الرّمادي أشدّ ما يكون إضاءةً عند بقعةٍ معينةٍ في تقويمهم المعتمد على دائرة الأفق. كان طلوع الشّمس من هذه البقعة علامة على انتصاف فصل الخريف، وأنهم في الشّهر المسمى كاپروك.

تغطّت قاعدة الجرف بأوراق نباتات ميتة قلّبتها الرّياح حيث جمعها أطفال السيآتش. ولم يكن من الممكن تمييز صوت مرور الفرقة عن أصوات اللّيل الطبيعية باستثناء الأخطاء التي يقع فيها پاول ووالدته من وقت لآخر.

مسح پاول من على جبهته بقع الغبار التي ألصقها العرق ببشرته، فشعر بشخصٍ يجذبه من ذراعه وسمع هسيس صوت تشاني وهي تقول: "افعل ما أخبرتك به، شدّ طرف قلنسوتك لأسفل بحيث تغطي جبهتك! ولا تكشف إلا عن العينين. إنك تهدر الرطوبة".

جاءهما أمر هامس من وراءهما يطالبهما بالصّمت: "الصّحراء تسمعك!"

شقشق طائر من الصّخور أعلاهما. توقفت الفرقة، وأحسّ پاول بتوترهم المفاجئ.

صدر من عند الصخور صوت دقٍ خافتٍ، لا يفوق في درجته صوت قفز فأر على الرّمال. ومرةً أخرى شقشق الطائر.

سرت موجة اضطراب بين صفوف الفرقة. ومن جديد جاءهم نقر الدّق الفأري، واصلاً لهم عبر الرّمال. ثم شقشق الطائر مرةً أخرى.

استأنفت الفرقة تسلقها عبر شقٍّ في الصّخور، وخيّم على الفريمن جو من السّكون وكتم الأنفاس، مما ملأ پاول بالحذر. ولاحظ نظراتهم المسترقة نحو تشاني، والطريقة التي بدت فيها غارقةً في أفكارها ومنعزلةً داخل ذاتها.

خطت أقدامهم الصّخور الآن، ولفَّهم حفيف الأثواب الخافت، وأحسّ پاول بتحررهم من ضوابط حفظ الرّطوبة، لكن ظل السّكون بادياً على تشاني والآخرين. تبع شخصاً يبدو أمامه كظل، وصعد درجات، ثم استدار عند ركن، ثم المزيد من الدّرجات، ثم نفق، ثم بابين عازلين للرّطوبة، ثم دخلوا ممراً ضيقاً مضاءاً بكرات إنارة صبغت جدرانه الصخرية وسقفه بلون أصفر.

في كل مكان حوله رأى پاول الفريمن يلقون بقلنسواتهم للوراء وينزعون سدادات الأنف ويتنفسون بعمق. أطلق أحدهم تنهيدة ارتياح. بحث پاول عن تشاني فوجد أنها قد تركته، كان مطوقاً بحشد من الأجساد المكسوة بالأثواب، اصطدم منكب أحدهم به وقال: "اعذرني يا أصول، يا له من زحام! هكذا هو الحال كل مرة".

وعلى يساره التفت ناحيته الوجه النّحيل الملتحي للشّخص المسمّى فاروق. وفي ضوء كرات الإنارة الأصفر بدا محجرُ العينين مبقعين بالسّواد، والعينين ذاتا الزّرقة الدّاكنة أكثر سواداً.

قال فاروق: "انزع قلنسوتك يا أصول، فأنت في منزلك"، وأعان پاول، فاتحاً رباط قلنسوة الرأس، ومزيحاً الآخرين بكوعيه ليسمح لپاول بمساحة حركة.

نزع پاول سدادات أنفه، وأزاح كمامة الفم جانباً، فهاجمته روائح المكان. أجساد لم تستحم، وعبق رائحة تقطير الفضلات الجسدية المعاد تدويرها داخل البذلات. كل مكان كان مفعماً بالرّوائح البشرية الكريهة واللاذعة، وفوق هذا كله ثارت رائحة السپايس ومشتقاته.

قال پاول: "ماذا ننتظر يا فاروق؟"

"أظن أننا في انتظار السّيدة الموقرة، سمعتَ الرّسالة بنفسك، مسكينة تشاني!"

تساءل پاول: أدار بصره فيما حوله متسائلاً عن مكانها، وعن مكان والدته وسط كل هذا الزحام.

سحب فاروق نفساً عميقاً وقال: "روائح الوطن".

أدرك پاول أن الرّجل كان مستمتعاً بعفن هذا الجو، إذ غابت السّخرية من نبرة صوته. سمع سعال والدته، وبلغه صوتها عبر المجموعة المحتشدة: "روائح سيآتشك قوية للغاية يا ستيلغار، وأرى أنكم تصنعون أشياء كثيرة من السپايس... ورق... وبلاستيك... وأليست هذه متفجرات كيميائية؟"

سمع صوت رجل آخر: "عرفتْ كلّ هذا عن طريق الشّم؟"

وأدرك پاول أنّها كانت تقصده هو بكلامها، وأنّها كانت تريد منه أن يتقبل - وبسرعة - هذه الرّوائح التي تهاجم منخريه.

اجتذبت انتباهه حركة في مقدمة المجموعة، وكأنّ الفريمن أخذوا نفساً جماعياً مطولاً، وسمع پاول أصواتاً هامسةً قادمة من طرف الصّف البعيد: "إذن صحيح... مات ليّت".

فكّر پاول: .ثم تذكر: .وأخيراً سقطت أحجارُ اللّغز في مكانها. ليّت كان الاسم الفريمني للخبير الكوكبي.

نظر پاول لفاروق وسأله: "هل المقصود هو ليّت المعروف باسم كاينز؟"

قال فاروق: "لا يوجد سوى ليّت واحد".

استدار پاول وحدّق في ظهر أحد الفريمن الواقفين أمامه: - .

قال شخص في هسيس: "كانت خيانة هاركونية، جعلوها تبدو كحادثة... ضاع في الصحراء... تحطمت ثوبتره".

شعر پاول بموجة غضب. الرّجل الذي صار صديقاً له، والذي ساعد في إنقاذهما من صيادي الهاركونِن، والذي أرسل أعوانه الفريمن ليبحثوا عن الشّخصين التّائهين في الصحراء... صار ضحيةً جديدةً من ضحايا آل هاركونِن.

قال فاروق: "هل بدأ أصول يتعطش للانتقام؟"

قبل أن يرد پاول صدر نداء خافت فاندفعت الفرقة للأمام، إلى داخل حجرة أكبر، حاملة پاول معها خلال اندفاعها. وجد نفسه في مكان متسع وأمامه ستيلغار وامرأة لا يعرفها، ترتدي ثوباً قماشياً فضفاضاً يلتف حول جسدها، بألوانٍ زاهيةٍ برتقالية وخضراء. كان ذراعاها عاريين حتى الكتفين،

ورأى أنها لم تكن ترتدي بذلة تقطير. كانت بشرتها زيتونية، وشعرها الأسود مشدوداً للخلف كاشفاً جبهتها الكبيرة، مما أبرز عظام وجنتيها الحادة وأنفها المعقوف كمنقار النسر وعينيها الداكنتين.

التفتت إليه فرأى پاول حلقات ذهبية تتدلى من أذنيها، معقود بها عدة عملات مائية.

قالت: "هذا من غلب جامِسيّ؟"

قال ستيلغار: "اصمتي يا هارا. لقد جنى جامِس على نفسه، هو من طالب بتنفيذ تحدي البرهان".

قالت: "لكنه مجرد طفل!"، وهزّت رأسها بقوة من جانب لآخر فصلصلت العملات المائية"، وصار أطفالي بلا أب على يد طفلٍ آخر؟ لابد وكان حادثاً عارضاً!"

قال ستيلغار: "أصول، ما عمرك؟"

قال پاول: "15 سنة معيارية".

أدار ستيلغار عينيه في المجموعة: "أيجرؤ أحدكم على النزول ضدي في مبارزة؟"

ساد الصّمت.

نظر ستيلغار للمرأة: "ولا أجرؤ على تحديه إلى أن أتعلم طريقته العجائبية في القتال".

حدّقت فيه وقالت: "لكن..."

قال ستيلغار: "هل رأيتِ المرأة الغريبة التي ذهبت مع تشاني لمقابلة السّيدة الموقرة؟ إنها سيّادينا من بلاد الأجانب، وأم هذا الفتى، الأم وابنها يتقنان طرق القتال العجائبية".

همست المرأة: "لسان الغيب!" وبدت في عينيها رهبة انبهار عندما أدارتهما نحو پاول.

فكّر پاول: .

قال ستيلغار: "ربما! لكن لم يتم التّحقق من الأمر في اختبار بعد"، عاد بانتباهه لپاول: "أصول، يقول العرف عندنا أنك صرت الآن مسؤولاً عن امرأة جامِس هذه وعن ولديه. الـ يالي الخاص به، أي مسكنه، أصبح ملكك. أدوات تقديم القهوة التابعة له صارت تابعة لك... وهذه المرأة أيضاً التي كانت امرأته".

راقب پاول المرأة متسائلاً: ثم انتبه إلى تحديق الفريمن فيه، منتظرين.

همس أحدهم: "أمامنا أعمال يجب إتمامها، قل على أي وضع ستقبل بها".

قال ستيلغار: "أتقبل هارا بصفتها زوجة أم خادمة؟"

رفعت هارا ذراعيها ودارت حول نفسها ببطء: "ما زلت شابة يا أصول، يقال إني أبدو بنفس السّن الصغيرة التي كنت عليها عندما كنت مع جيف... قبل أن يغلبه جامِس في نزال".

فكّر پاول: .

قال پاول: "إن قبلت بها كخادمة، هل من الممكن أن أغير رأيي فيما بعد؟"

قال ستيلغار: "أمامك عام لتغيير قرارك، بعد هذا تصبح امرأة حرة تختار ما تريده، أو بإمكانك أن تحررها في أي وقت لتختار أمرها بنفسها، لكنها في كل الأحوال أصبحت مسؤوليتك لمدة عام، وستظل دائماً مسؤولاً عن أبناء جامِس مسؤولية جزئية".

قال پاول: "أقبل بها كخادمة".

دقت هارا الأرض بقدمها وهزّت كتفيها في غضب: "لكنني شابة!"

نظر ستيلغار لپاول وقال: "إن الحذر صفة من المفيد أن يمتاز بها من سيصبح قائداً".

كرّرت هارا: "لكنني شابة!"

قال ستيلغار بنبرة آمرة: "اصمتي، إن كان مكتوب لأمر أن يحدث فسيحدث. أرِي أصول مسكنه، وتأكدي من توفير ملابس نظيفة ومكان ليرتاح فيه".

قالت: "أووه!"

اكتفى پاول بما سجله ذهنه لها مما منحه تقديراً مبدئياً عنها. كان يشعر بفراغ صبر المجموعة وتعطلهم بهذا الموقف. تساءل إن كان من المناسب الاستفسار عن مكان والدته وتشاني، لكنه رأى من وقفة ستيلغار العصبية أن من الخطأ الاستفسار الآن.

واجه هارا، وضّخ في صوته نبرة تثير الخوف والرّهبة: "أرشدِيني لموقع مسكني يا هـارا! سنن-اقش موضوع شب-ابك في وقت آخــر".

تراجعت خطوتين للوراء ورمقت ستيلغار بنظرة خوف، وقالت بصوت مبحوح: "إنه يتمتع بقدرة الصّوت العجائبية".

قال پاول: "ستيلغار، أحمل لوالد تشاني جميلاً ضخماً يجب الالتزام به. إذا كان هناك ما بمقدوري أن..."

قال ستيلغار: "سيقرّر هذا المجلس. بإمكانك أن تتحدث ساعتها"، وأومأ برأسه علامة الانصراف، واستدار، فتبعته باقي المجموعة.

أمسك پاول ذراع هارا، ملاحظاً برودة بشرتها، وشاعراً بارتجافها. قال: "لن أؤذيك يا هارا، أوصليني لمسكننا"، ورقق صوته ليخفف من توترها.

قالت: "ألن تطردني عندما ينقضي العام؟ أعرف أنني لم أعد صغيرة كما كنتُ في السابق".

قال: "طالما أنا على قيد الحياة سيظل لك مكان في بيتي"، ترك ذراعها وأكمل: "والآن هيا، أين يقع مسكننا؟"

استدارت وقادت الطّريق إلى نهاية الممر، ثم استدارت يمينا حيث تتقاطع الأنفاق، وحيث أضاءت النفق كرات إنارة صفراء معلقة على مسافات متساوية. كانت الأرضية الحجرية ناعمة، لا أثر فيها للرّمل.

سار پاول جوارها، فاحصاً جانب وجهها ذي الملامح النسرية: "لا تشعرين بكراهية تجاهي يا هارا؟"

"ولم أكرهك؟"

أومأت تحية لمجموعة من الأطفال الذين كانوا يحدقون فيهما من فوق حافة مرتفعة لممر جانبي. لمح پاول خلف الأطفال أشخاصاً بالغين تسترهم جزئيا ستائر شفافة.

"لأنني... غلبت جامِس".

"ستيلغار قال إن طقوس الجنازة تم أداؤها، وأنك صديق لجامِس"، رمته بنظرة جانبية وأكملت:

"وقال ستيلغار إنك وهبت الميت من رطوبتك، هل هذا صحيح؟"

"أجل".

"هذا يفوق ما فعلته أنا... يفوق ما بإمكاني أن أفعله".

"ألا تحزنين عليه؟"

"عندما يأتي وقت الحزن سأنتحب رثاء له".

مرّا بفتحةٍ مقوسة، نظر پاول عبرها فوجد رجالاً ونساءاً يعملون على ماكينات تقف في حجرة واسعة مضاءة. بدا في حركتهم إيقاع يوحي بالاستعجال.

قال پاول: "ماذا يفعلون هناك؟"

نظرت خلفها - إذ كانا قد تخطيا الفتحة المقوسة - وقالت: "يسرعون لإتمام الحصة المطلوبة من ورشة البلاستيك قبل الفرار. نحتاج الكثير من مكثفات الندى لأجل النباتات المزروعة".

"الفرار؟"

"إلى أن يتوقف السفاحون عن ملاحقتنا أو يُجبَرون على الرحيل عن أرضنا".

تدارك پاول نفسه كي لا يتعثّر، وشعر بلحظةً زمنيةً متوقفة، متذكراً جزئيةً من صورة ذهنية استبصارية... لكنها لم تكن في موقعها الصّحيح، بل كمشاهد متحركة في مونتاج. لم تكن أجزاء ذاكرته الاستبصارية هذه كما كان يتذكرها.

قال: "الساردوكار يلاحقوننا".

قالت: "لن يجدوا سوى سيآتش فارغ أو سيآتشين، وبين الرّمال سيجدون نصيبهم من الموت".

قال: "سيعثرون على هذا المكان؟"

"أغلب الظّن".

أشار برأسه للمدخل المقوّس الذي كان الآن خلفهما بمسافة كبيرة: "وعلى الرغم من ذلك لا زلنا نشغل وقتنا ب-... تصنيع مكثفات الندى؟"

"يجب أن يستمر غرس النباتات".

قال: "وما هي مكثفات الندى؟"

كانت النظرة التي رمقته بها مليئة بالدّهشة: "ألا يعلمونكم شيء في... في المكان الذي جئت منه؟"

"لم يعلموني شيئاً عن مكثفات للندى".

قالت: "حي!"

وحملت هذه الكلمة الواحدة معانٍ تكفي لحوار كامل.

"إذن... ما هي؟"

قالت: "كل شجيرة وكل عشبة تراها في هذا العِرق Erg بالخارج، كيف تظن أنها تنجو عندما نتركها؟ كل واحدة منها تم زرعها برفق في حفرتها الصغيرة، ثم نملأ الحفر بكرات كروموپلاستيك ملساء. يحولها الضوء إلى اللون الأبيض. يمكنك أن تراها تبرق فجراً إن نظرت لها من مكان مرتفع، فالأبيض يعكس الضوء. لكن عندما يغيب أبونا الشمس فإن الكروموپلاستيك يعود في الظلام لحالة

الشفافية، وتنخفض حرارته بسرعة شديدة، فيقوم سطحه بتكثيف الرطوبة من الهواء. تسقط هذه الرطوبة كقطرات تبقي نباتاتنا حية".

تمتم: "مكثّفات ندى"، وأذهله الجمال البسيط في الطريقة.

قالت - وكأن ذهنها لم يتوقف عن التفكير في سؤاله الآخر: "سأنتحب على جامِس عندما يكون الوقت مناسباً. كان جامِس رجلاً صالحاً، لكن سريع الغضب. كان يعتني بنا ويكفي احتياجاتنا، وكان ممتازاً في معاملته للأطفال. لم يفرق في المعاملة بين ابن جيف، بكري، وابنه الذي من صلبه، كانا متساويين في عينيه".

والتفتت نحو پاول بنظرة متسائلة: "هل سيكون الحال معك هكذا يا أصول؟"

"لن نواجه المشكلة ذاتها".

"لكن ماذا لو..."

"هارا!"

تراجعت عندما سمعت الحدّة في نبرة صوته.

مرّا بحجرة أخرى بدت واضحةً وراء مدخل مقوس بسبب الإضاءة القوية: "ماذا يُصنع هناك؟"

قالت: "إنهم يصلحون ماكينات الحياكة، لكن يجب تفكيكها قبل حلول الليل".

وأشارت لنفق يتفرّع على يسارهما: "في هذا المكان وما وراءه توجد أماكن للمعالجة الغذائية ولصيانة بذلات التقطير".

نظرت لپاول: "تبدو بذلتك جديدة، لكن إن كانت بحاجة لتصليح فإنني ماهرة في التعامل مع البذلات، في الموسم أعمل في المصنع".

مرّا بمجموعات من النّاس وعدد أكبر من الفتحات المتفرعة من جانبي النفق، مرّ بهما صفّ من الرّجال والنساء حاملين حقائب تصدر عنها قرقرة واضحة، وتفوح منها رائحة سپايس قوية.

قالت هارا: "لن يتمكنوا من مياهنا، ولا من سپايسنا. لا شك في ذلك".

نظر پاول للفتحات في جدار النّفق، فشاهد السّجاد على الأفاريز المرتفعة، ولمح غرفاً معلقٌ على جدرانها أقمشة زاهية الألوان، ورأى وسائد مكومة. كلما اقتربا من مجموعة حلّ الصّمت على الناس عند الفتحات، وتبعوا پاول بأبصارهم في تحديقٍ صريح لا يخفي فضوله.

قالت هارا: "يستغرب الناس انتصارك على جامِس، أغلب الظّن أنك ستضطر لإثبات قدراتك مرةً أخرى عندما نستقر في سيآتش جديد".

قال: "لا أحب القتل".

قالت: "هكذا أخبرني ستيلغار"، لكن صوتها كشف عن عدم اقتناعها.

من مكان أمامهما بدأت تتعالى صيحات تهتف بحدة. وصلا لفتحة أخرى جانبية تفوق في اتساعها كل الفتحات الأخرى التي رآها پاول، تباطأت خطواته وحدّق في الحجرة فوجدها مزدحمةً بالأطفال الجالسين القرفصاء على أرضية مغطاة بسجاد أحمر داكن.

وعلى الجدار المقابل، أمام سبورة، كانت تقف امرأة ترتدي ثوباً أصفر ملتفاً حول جسدها، وفي يدها قلم ضوئي. كان لوح السبّورة مليئاً بالأشكال، دوائر، وأوتاد، ومنحنيات، وخطوط ثعبانية، ومربعات،

وأقواس تقسمها خطوط متوازية. أشارت المرأة للأشكال واحداً بعد الآخر، تحرك القلم بسرعة فيصيح الأطفال في إيقاع واحد، مع حركة يدها.

أصغى لهم پاول، وخفتت الأصوات بالتدريج وهو يتقدم لعمق السيآتش مع هارا. كان الأطفال يصيحون قائلين: "شجرة، شجرة، عشب، كثيب، رياح، جبل، تل، نار، برق، صخرة، صخور، غبار، رمال، حرارة، مأوى، حرارة، ممتلئ، شتاء، بارد، فارغ، نحت، صيف، كهف، نهار، توتر، قمر، ليل، كاپروك، مد رملي، منحدر، غرس، رابط..."

قال: "تعقدون دروساً في وقت كهذا؟"

بدت الجدّية على وجهها والأسى في صوتها: "هذا ما دربنا عليه لييّت، لا يمكن أن نتوقف ولو للحظة. لييّت - مع أنه مات - يجب ألا يُنسى، هذا هو منهج التشاكوبسا".

انحرفت للنفق الأيسر وصعدت على حافة وأزاحت ستائر برتقالية شفافة ثم وقفت جانباً: "اليالي التابع لك جاهز لاستقبالك يا أصول".

تردد پاول ثم انضم لها على الحافة. أحسّ برغبة مفاجئة في ألا يختلي بهذه المرأة، خطر له أنه محاط بأساليب حياتية لن يتمكن من فهمها سوى عن طريق تخمين طبيعة منظومة كاملة من الأفكار والقيم. شعر بأن عالم الفريمن هذا كان يحاول اصطياده وإيقاعه في شبكة عاداته، وكان يدرك ما يكمن في الشبكة، النضال الشرس، الحرب الدينية التي كان يصر على تجنبها بأي ثمن.

قالت هارا: "هذا مسكنك، لماذا تتردد؟"

أومأ پاول وانضم لها فوق الحافة، رفع الستائر المواجهة لها، شاعراً بملمس القماش وأنسجته المعدنية. تبعها إلى ممر قصير في المدخل ثم إلى حجرة أكبر، مربعة، ضلعها يقترب من الـ 6 أمتار، وعلى الأرض سجاد أزرق سميك، أما الجدران الصخرية فتخفيها أقمشة زرقاء وخضراء. وفوق رأسه كرات إنارة مضبوطة على اللون الأصفر بارزة من بين أقمشة صفراء معلقة من السقف. هذه الأشياء جعلت الجو العام يشبه الخيام العتيقة.

وقفت هارا أمامه ويدها اليسرى في وسطها، وعيناها تفحصان وجهه: "الولدان عند إحدى الصديقات، سيقدمان أنفسهما لك فيما بعد".

أخفى پاول توتره بانشغاله بفحص الغرفة، على اليمين تعلقت ستائر رقيقة رأى أنها تخفي - بشكل جزئي - حجرة أوسع، تستند على جدرانها أكوام من الوسائد، أحس بنسيم خفيف يصدر عن أنبوب تهوية، ولاحظ أن الفتحة مخفية - بشكل ماهر - بين عدة ستائر متداخلة معلقة فوقه مباشرة.

قالت هارا: "أتريد أن أساعدك في خلع بذلتك؟"

"لا... شكراً".

"هل أجلب لك طعاماً؟"

"أجل".

قالت مشيرةً بيدها: "هناك غرفة لاستعادة الرّطوبة بالحجرة الأخرى، كي تستريح فيها وتجلس براحتك دون بذلة تقطير".

قال پاول: "قلتِ إننا سنترك هذا السيآتش، ألا يجب أن نحزم حقائبنا وأشياء من هذا القبيل؟"

قالت: "سيتم في وقته، لم يخترق السفاحون منطقتنا هذه بعد"، كانت مترددة، وتحدّق فيه.

قال: "ما الأمر؟"

قالت: "عيناك ليستا كعيون العباد. شكلها غريب، لكنها جذابة بقدر لا بأس به".

قال: "أحضري الطعام، أشعر بالجوع".

ابتسمت له، ابتسامة نسوية خبيرة أثارت ارتباكه. قالت: "أنا خادمتك"، ودارت حول نفسها في حركة رشيقة، وانحنت مارة عبر ستارة حائط ثقيلة كشفت ممراً آخر خلفها قبل أن تعود الستارة لموقعها.

شعر پاول بالغضب من نفسه، وأزاح الستارة الرّقيقة التي على يمينه ودخل الحجرة الكبيرة. وقف في مكانه في حيرة. وتساءل عن مكان تشاني الآن، تشاني التي فقدت والدها قبل قليل.

.

جاءته من الأروقة الخارجية صرخة منتحبة، وقد كتمت الستائر البينية حدتها. تكرّرت مرة أخرى، صادرة من موقع أبعد قليلاً. ثم مرة أخرى. وأدرك پاول أن شخصاً ما كان ينبه النّاس للوقت، وانتبه إنه لم ير بالمكان ساعات.

وصلت لأنفه رائحةٌ خفيفةٌ ناتجة عن احتراق شجيرة زيتية، ضمن روائح السيآتش الكريهة التي لا يمكن الهرب منها، وأدرك پاول أنه نجح في تعويد نفسه على كبت هجوم هذه الروائح على حواسه.

وتساءل من جديد حول وضع والدته، وحول الطّريقة التي سيقوم مونتاج المستقبل المتحرك بدمجها في مشاهده، ودمج الابنة التي تحملها. تراقص أمامه إدراكه الزّمني المتغير، فنفض رأسه بقوة، مركزاً انتباهه على الأدلة المشيرة للاتساع والعمق الذي تتمتع به هذه الثقافة الفريمنية التي ابتلعته، مع ما فيها من غرائب غير ظاهرة لأول وهلة.

لقد رأى في هذه الكهوف وهذه الغرفة شيئاً يشير لاختلافات كبيرة بين هذا المكان وبين كل شيء قابله في حياته السابقة. إذ لا يوجد أثر لاستخدام تبّاع سموم، لا هنا ولا في أي مكان في الكهف. ومع ذلك فبإمكانه أن يشم - ضمن عطن السيآتش - روائح تدل على وجود سموم، سموم قوية وشائعة.

سمع حفيف الستائر فظنّها هارا قد عادت بالطعام، والتفت لينظر لها. بدلاً من ذلك رأى صبيين يظهران من وراء الستائر المعلقة. كان عمرهما يقترب من التاسعة والعاشرة، وعيونهما تحدّق فيه بشرهٍ وتمحيص، ارتدى كلاهما حول وسطه كريسْنايف صغير يشبه الخناجر في تصميمها، ويداهما على المقبض. وهنا تذكر پاول الحكايات التي تروى عن الفريمن... أن أطفالهم يقاتلون بنفس شراسة الكبار.

37

"العيون تتحرك، والشفاه تتحرك

وتتدفق الأفكار من كلماته

تلتهم عيناه الأشياء!

إنه جزيرة بذاته."

وصف من كتاب (دليل المؤدّب)، تأليف الأميرة إيرولان

ألقت أنابيب الإضاءة الفوسفورية المعلقة في سقف الكهف ضوءاً باهتاً على تجويفه الداخلي المزدحم، فأعطت المشاهد لمحةً عن حجمه الهائل، حتى إن اتساعه - حسب ما رأته جيسيكا - يفوق اتساع قاعة التجمع في مدرسة بني-جيزيرِت التي تعلمت فيها. حسب تقديرها، من عند الحافة الصّخرية الذي تقف عليها مع ستيلغار، فاق عدد المحتشدين هنا الخمسة آلاف شخص.

ولا يزال يأتي المزيد.

تشبّع الهواء بأصوات الناس الهامسة.

قال ستيلغار: "أرسلنا لابنك نستدعيه من راحته يا سيّادينا، أتريدين أن يشاركك في قرارك؟"

"وهل بإمكانه أن يغير قراري؟"

"نعم، صحيح إن الهواء الذي تتكلمين به يأتي من رئتيك أنت فقط، لكن..."

قالت: "قراري ثابت".

لكن انتابتها الشّكوك، وتساءلت إن كان يمكن أن تتعذر بپاول كتبرير لانسحابها من هذا الطريق الخطير، وعليها التفكير أيضاً في مصلحة الابنة التي لم تولد بعد، فما يعرض جسد الأم للخطر سيشكل - بالتبعية - خطراً أيضاً على جسد الابنة.

جاء رجال يحملون سجاداً ملفوفاً، يتعالى لهاثهم لثقلها، ثار الغبار عندما ألقوا بحملهم على الحافة.

أمسك ستيلغار ذراعها وقادها نحو تجويفٍ غائرٍ في خلفية الحافة يعمل على تكبير الصوت، أشار لمقعدٍ صخري منحوت في التجويف: "ستجلس السيدة الموقرة هنا، لكن بإمكانك أن تستريحي هنا إلى وقت حضورها".

قالت جيسيكا: "أُفضل الوقوف"، راقبت الرّجال يفكون السّجاد ويغطون الحافة بها، نظرت للحشد فوجدت أن عدد الموجودين الآن بلغ 10 آلاف تقريباً، وما زال المزيد يحضرون.

توقعت انتشار حمرة الغروب في الخارج، أما هنا في الكهف فكان الضوء كالشفق الأبدي، مساحة رمادية متسعة مزدحمة بأناس جاؤوا ليتفرجوا عليها تخاطر بحياتها.

على يمينها انفتحت فرجة وسط الحشد فرأت پاول يقترب، وعلى جانبيه صبيين صغيرين، كان يشع من الطفلين جو من الخيلاء والاعتداد بالنفس، ووضع كلاهما يده على مقبض سكينه، ينظر بتجهم للجدار البشري المحيط بهما من كل جانب.

قال ستيلغار: "إنهما ابنا جامِس، وأصبحا الآن أبناءً لأصول، مجتهدان في مهمة حمايته"، وابتسم لجيسيكا.

أدركت أنه يبذل جهده ليخفف من توترها، وشعرت بالامتنان له، لكن لم يكن بإمكانها صرف ذهنها عن التفكير في الخطر الذي يتهددها.

.

تسلق پاول الحافة، تاركاً الصبيين بالأسفل، ثم وقف أمام والدته ورمق ستيلغار، ثم عاد ببصره لجيسيكا. "ما الذي يحدث؟ ظننتهم استدعوني لحضور المجلس".

رفع ستيلغار يده مطالباً بالصمت، وأشار ليساره حيث انفرج طريق آخر وسط الحشد، مرت تشاني عبر هذا الطريق الذي انفتح، وعلى وجهها الفاتن تعابير الأسى، كانت قد نزعت بذلة تقطيرها وارتدت ثوباً أنيقاً أزرقَ ملفوفاً على جسدها، كاشفاً ذراعيها النحيلين، وعلى ذراعها الأيسر، قريباً من كتفها، التف منديلٌ أخضر.

فكّر پاول: .

كان هذا أحد الأعراف التي بيّنها له ابنا جامِس بطريقةٍ غير مباشرة، إذ بقبولهما له كأب سيرعاهما، ليس عليهما ارتداء الأخضر.

كانا قد سألاه: "هل أنت لسان الغيب؟"، فشعر پاول في كلماتهما ببوادر الجهاد، وتحاشى الإجابة بأن طرح عليهما سؤالاً. فعرف أن كالِف - أكبر الاثنين - كان في العاشرة من عمره، وأنه ابن جيف في الأصل، بينما أورلوپ - الأصغر - كان في الثامنة، وأنه ابن جامِس.

كان يوماً غريباً إذ وقف هذان يحرسانه كما طلب منهما، لإبعاد الفضوليين، مما أتاح له سعة من الوقت ليتدبر أفكاره وذكرياته الاستبصارية، وليخطط لطريقة يمنع بها تحقق الجهاد.

أما في هذه اللّحظة - وهو يقف جوار والدته على حافة الكهف، يطل على الحشد، تساءل إن كان بمقدور أي خطة - مهما كانت - أن تمنع طوفان الفيالق المتطرفة.

اقتربت تشاني من الحافة، تتبعها أربع نساء يحملن امرأة أخرى على محفّة.

تجاهلت جيسيكا تشاني، وصبت انتباهها على المرأة المحمولة على المحفة. عجوز شعثاء، واهنة، مليئة بالتجاعيد، ترتدي ثوباً أسود، قلنسوته ملقاة للخلف كاشفةً الشّعر الأشيب المربوط في عقدة صارمة عند العنق النحيل.

وبرفق أنزلت حاملات المحفة حملهن على الحافة، ووقفن في الأسفل، ثم أعانت تشاني المرأة العجوز على النهوض.

فكرت جيسيكا: .

استندت العجوز على تشاني وعرجت نحو جيسيكا، فبدت كمجموعة من العصي كُسِيَت بالثوب الأسود، ثم وقفت في مواجهة جيسيكا وأطالت النظر إليها، ثم تكلمت في صوت هامس مبحوح. " أنت هي إذن"، وأومأت الرأس العجوز إيماءة تأرجحت بها فوق العنق النحيل، "كانت الشادوت مايبس محقة في عطفها عليك".

ردت جيسيكا بسرعة في نبرة احتقار: "لا أحتاج عطفاً من أحد".

قالت العجوز بصوتها المبحوح: "سنرى إن كان هذا صحيحاً"، ثم استدارت بسرعة مثيرة للدهشة وواجهت الحشد: "أخبرهم يا ستيلغار".

قال: "أيجب أن أفعل؟"

قالت العجوز بصوت خشن: "إننا قوم المصر Misr، منذ أن فرّ أسلافنا السُنَي Sunni من نيل العروبة Nilotic al-Ourouba ونحن نألف الهرب والموت، الشباب يمضون قدماً ويستمرون كيلا ينقرض قومنا".

أخذ ستيلغار نفساً عميقاً وتقدم للأمام خطوتين.

شعرت جيسيكا بالسّكون يحلّ على الكهف المزدحم، حوالي عشرون ألف شخص يقفون الآن في صمت، بلا حركة تُذكر، شعرت فجأة بالضآلة، وملأها ذلك بالحذر.

قال ستيلغار: "الليلة علينا أن نترك هذا السيآتش الذي آوانا لزمن طويل، ونمضي جنوباً في الصّحراء"، كان صوته جهورياً، يحلّق فوق الوجوه المرفوعة ناحيته، متضاعفاً بسبب التجويف المكبر للصوت عند خلفية الحافة.

ظل الحشد صامتاً.

قال ستيلغار: "أخبرتني السّيدة الموقرة أنها لن تتحمل مشقة هجرة Hajra أخرى، لقد سبق وعشنا لفترات دون سيدة موقرة، لكن في هذه المحنة، لا خير في سعى القوم باحثين عن موطن جديد".

تحرك الحشد حركة مضطربة، وتموجت خلاله الهمسات وتيارات القلق.

قال ستيلغار: "ولنتجنب هذا وافقت السيّادينا الجديدة، جيسيكا المقاتِلة العجائبية، على الخضوع للطقوس، ستحاول أن 'تعبر داخلياً' كي لا نفقد القوة التي تمنحها لنا سيدتنا الموقرة".

فكّرت جيسيكا: .رأت پاول يحدّق فيها وعيناه تمتلئان بالأسئلة، لكنه التزم الصّمت لما يدور حوله من أمور غريبة.

ومن جديد شعرت بالشّكوك تملأ عقلها.

قادت تشاني السّيدة الموقرة العجوز لمقعد صخري منحوتٍ في عمق التّجويف الصوتي، وعادت لتقف جوار ستيلغار.

قال ستيلغار: "ولكيلا نخسر كل شيء إن فشلت جيسيكا العجائبية، سيتم تكريس تشاني بنت لييّت في رتبة كاهنات السيّادينا الآن"، وتنحى للجانب.

سمعوا صوت المرأة العجوز صادراً من التجويف الصوتي الغائر كهمسة مكبرة، خشنة ونافذة: "عادت تشاني من هجرتها، رأت تشاني المياه".

ارتفعت من الحشد إجابة هامسة: "رأت المياه".

قالت العجوز بصوتها المبحوح: "ها أنا أكرّس ابنة لييّت كواحدة من السيّادينا".

أجاب الحشد: "قد قبلناها".

لم يصغ پاول للمراسيم، إذ انصب انتباهه على ما قيل بشأن والدته.

التفت لينظر نحو من يطلقون عليها لقب السّيدة الموقرة، مدققاً في الملامح الجافة العجوز، ولون عينيها الأزرق بلا قرار، قد تبدو وكأن النسيم العابر بإمكانه أن يطيح بها، ومع ذلك كان يشعّ منها شيء يوحي بأنها ستقف حتى في مسار عاصفة كوريولِس دون أن تؤثر فيها، كانت لها نفس هالة القوة التي يتذكر رؤيتها في السيدة الموقرة غاياس هيلين موهيم، التي اختبرته بعذاب الألم بطريقة

الغوم جبار.

قالت العجوز: "أنا، السيدة الموقرة رامَلّو Rammalo والتي ينطقُ صوتها بأصوات غفيرة، أقول لكم هذا: دخول تشاني في رتبة السيّادينا مقبول".

أجاب الحشد: "مقبول".

أومأت العجوز وهمست: "إني أهبها السّماء الفضيّة، والصّحراء الذّهبية وصخورها البراقة، الحقول الخضراء التي ستأتي. كل هذا أعطيه للسيّادينا تشاني، وكي لا تنس إنها خادمة لنا جميعاً سيتم تكليفها بأداء المهام الوضيعة خلال طقس البذر هذا، فلتتم مشيئة شاي-هولود"، ورفعت ذراعها البني النحيف ثم خفضته.

رمت جيسيكا بنظرة سريعة نحو وجه پاول المحمل بالأسئلة، إذ شعرت بمراسم الطقس تحيطها، مقتربة منها بتيار يسحبها لما وراء نقطة التراجع، ثم أعدت نفسها لمواجهة المحنة.

قالت تشاني وقد بدا في صوتها الفتيّ شيء من رعشة التردد: "فليتقدم حفظة المياه".

شعرت جيسيكا بأنها الآن في عين الخطر، وأحسّت بوجوده فيما رأته في الحشد من ترقب، وصمت.

تقدمت فرقة من الرجال عبر طريقٍ ثعباني ملتوٍ انفتح وسط الحشد، كان كل زوج يحمل قربةً جلديةً صغيرة، ربما لا تزيد في حجمها عن ضعف حجم الرأس البشرية، صدر من القربِ صوت خضخضة واضح.

أنزل الزوج الأمامي حملهما على الحافة قرب قدمي تشاني، وتراجعا.

نظرت جيسيكا للقربة ثم للرجال، كانت قلنسواتهم ملقاة للخلف، كاشفة الشعر الطويل المعقود عند أسفل العنق، حدقت فيها تجاويف عيونهم المظلمة دون وجل.

انبعث من القربة عبير قرفة قوي، وصلت رائحته لجيسيكا.

قالت تشاني: "هل يوجد ماء؟"

أومأ حافظ المياه الواقف على اليسار، كان رجلاً ذا ندبة أرجوانية على أرنبة أنفه، قال: "يوجد ماء يا سيّادينا، لكن لا نستطيع الشرب منه".

قالت تشاني: "هل يوجد بذر؟"

أومأ الرّجل: "يوجد بذر".

ركعت تشاني على ركبتيها ووضعت يديها على القربة: "مباركٌ هو الماء وبذره".

بدا الطقس مألوفاً، نظرت جيسيكا خلفها نحو السّيدة الموقرة راملّو، كانت عينا العجوز مغلقتين وهي تجلس منحنية للأمام وكأنها نائمة.

قالت تشاني: "سيّادينا جيسيكا".

التفتت جيسيكا فرأت الفتاة تحدّق فيها.

قالت تشاني: "هل تذوقتِ الماء المبارك؟"

وقبل أن تتمكن جيسيكا من الرّد قالت تشاني: "لا يمكن أن تكوني قد ذقتِ الماء المبارك، فأنت أجنبية ولم تنالي هذا الشرف".

سرت خلال الحشد تنهيدة، وحفيف أثواب أثار الشعر في مؤخرة عنق جيسيكا.

قالت تشاني: "كان النتاج وفيراً، والصانع تم تدميره"، وبدأت تحل رباط أنبوب مثبت بأعلى القربة.

في هذه اللحظة شعرت جيسيكا بنواقيس الخطر تُدَقُّ من حولها، رمقت پاول فوجدته منهمكاً في متابعة الطّقس الغامض، ولا يرفع عينيه عن تشاني. تساءلت:
وضعت يدها على بطنها، تفكرُ في الطفلة بداخلها، وسألت نفسها:

رفعت تشاني فم القربة إلى جيسيكا وقالت: "ها هو ماء الحياة، الماء الذي هو أعظم من الماء. الكان Kan، الماء الذي يحرر الروح، إن قُدّر لك أن تصبحي سيدة موقرة فسيفتح هذا الماء الكون أمامك، لندع شاي-هولود يقضي الآن في الأمر".

شعرت جيسيكا بأنها ممزقة ما بين واجبها نحو طفلتها التي لم تولد بعد وبين واجبها نحو پاول، لأجل پاول عليها أن تلتقط هذا الأنبوب وأن تشرب من محتويات القربة، وبينما هي تقترب بفمها من الأنبوب، أخبرتها حواسها بما فيه من هلاك، كان للمادة الموجودة بالقربة رائحة مُرّة تقترب من رائحة الكثير من السموم التي تعرفها، لكنها - في الوقت ذاته - تختلف عنهم.

قالت تشاني: "عليك أن تشربيها الآن".

. لم يخطر بذهنها أي شيء مما تعلمته كبني-جيزيرِت قد يساعدها على تخطي هذه اللّحظة.

مالت على الأنبوب، شمّت رائحة القرفة الفواحة منه، فتذكرت حالة السُّكر التي كانٍ عليها دَنكِن آيداهو. التقطت أنبوب المص بفمها، وسحبت رشفة صغيرة جداً. كانت بطعم السپايس، ولها على اللسان أثر حرّيف لاذع.

ضغطت تشاني على القربة الجلدية، فضخت جرعة كبيرة إلى فم جيسيكا، والتي ابتلعتها رغماً عنها، جاهدة للحفاظ على هدوئها ووقارها.

قالت تشاني: "إن القبول بالدخول في حالة الموت الصغير لهو مصير أسوأ من الموت نفسه"، وراقبت جيسيكا، منتظرة.

ردّت عليها جيسيكا التحديق بتحديق، والأنبوب في فمها. شعرت بطعم محتويات القربة في فتحتي أنفها، وفي سقف حنكها، وفي وجنتيها وعينيها، وكان الطعم الآن له حلاوة لاذعة. .

ومرة أخرى ضغطت تشاني السائل ليتدفّق في فم جيسيكا. .

دقّقت جيسيكا في وجه تشاني، وملامحه الفاتنة، ورأت فيه آثاراً من ملامح لييّت-كاينز لم يقم مرور الزمن بتثبيتها بعد. .

إلا أنه لا يشبه أي عقار سبق لها أن اختبرته، مع أن تدريب بني-جيزيرِت يشمل تذوق الكثير من العقاقير.

كانت ملامح تشاني بالغة الوضوح، كما لو أنها مضيئة. .

استقر الصّمت العاصف حول جيسيكا، كل ذرّة في جسدها تقبلت عمق ما يطرأ به. أحست وكأنها هباءة واعية بذاتها، أصغر من أي جسيم ذري، لكنها قادرة على الحركة وعلى الإحساس بما حولها. وفي لحظة تجلي مفاجئة، وكأن الحُجب قد أزيحت بقوة، أدركت أنها أصبحت واعية بشيء ممتد من ذاتها له خواص نفسحركية، لقد كانت هي الهباءة، مع أنها - في الوقت ذاته - ليست الهباءة.

ظل الكهف موجوداً حولها، والناس. شعرت بهم، بپاول وتشاني وستيلغار والسّيدة الموقرة راملّو.
!

في المدرسة كانت تتردد شائعات أن البعض لم ينجحن في البقاء أحياء عند مرورهن باختبار الترقي لرتبة السّيدات الموقرات، وأن العقار قضى عليهن.

ركّزت جيسيكا انتباهها على السّيدة الموقرة راملّو، واعية أن كل هذا يحدث في لحظةٍ زمنيةٍ مجمدةٍ، زمن توقف من أجلها هي فقط.

حدّقت في الوجوه المجمّدة حولها، فرأت ذرّة غبارٍ فوق رأس تشاني، جامدة في مكانها، منتظرة.

جاءتها الإجابة كانفجار في وعيها، توقف زمنها الشّخصي لإنقاذ حياتها.

ركّزت على امتداد ذاتها النفسحركي، باحثةً داخلها، فقابلها على الفور لب خليوي، حفرة من السّواد تراجعت هي خائفةً منها.

.

إدراك هذا الأمر أعاد لها شيئاً من الثّقة، وتقدمت من جديد مركزة على الامتداد النفسحركي، وتحولت لهباءة ذاتية مفتشةً داخلها عن الأخطار، عثرت على الخطر في العقار الذي ابتلعته.

كانت المادة التي بداخلها عبارة عن جسيمات ذريّة متراقصة، حركتها سريعة للغاية لدرجة أن الزّمن المتجمد لم يستطع إيقافها، بدأت تميز هياكل بنائية مألوفة، وروابط ذرّية... ذرّة كربون هنا، شريط حلزوني مضطرب الحركة، جزيء جلوكوز، رأت أمامها سلسلةً كاملةً من الجزيئات، فتعرفت على أحد البروتينات، بروتين مركب من الميثيل.

! كانت تنهيدة ذهنية، معدومة الصّوت، صدرت عنها لما فهمت طبيعة السّم. انتقلت إليه باستخدام مجسّها النفسحركي، وغيرت موضع ذرة أكسجين، وسمحت لذرة كربون أخرى بتكوين رابطة، وأعادت وصل رابطة أكسجينية، ثم هيدروجين.

انتشر التغيير، بشكل أسرع وأسرع، فما أجرته من تحفيز فتح مزيداً من مساحات السّطح المتأثر، وأرخى جمود الزمن قبضته عليها وبدأت تشعر بالحركة، لامس الأنبوب الخارج من فم القربة فمها، برفق، والتقط منها قطرة رطبة.

فكرت جيسيكا:

.

قام شخص بمساعدتها على الجلوس. ورأتهم يجلبون السّيدة الموقرة العجوز، راملّو، لتجلس بجانبها على الحافة المغطاة بالسّجاد.

لمست رقبتها يدٌ جافة.

وجدت هباءة نفسحركية أخرى داخل وعيها! حاولت جيسيكا أن تلفظها، لكن الهباءة استمرت في الاقتراب... والاقتراب. ثم تلامسا! وُلِدت حالة تجانس مطلقة، وكأنها أصبحت شخصين في وقت واحد. لا كتوارِدٍ للخواطر، بل وعيٌ مشترك.

!

لكن جيسيكا رأت أن السّيدة الموقرة لم تعتبر نفسها عجوزاً. تفتقت أمام عين العقل المشترك صورة فتاة صغيرة متراقصة مرحة. وفي داخل الوعي المشترك قالت الفتاة: " ".

لم يسع جيسيكا سوى تقبل الكلمات بلا رد.

قالت الصورة الداخلية: "ستحصلين على كل شيء قريباً يا جيسيكا".

.

قالت الصورة الداخلية: "أنتِ عاقلة وتعرفين أن هذا غير صحيح. والآن أسرعي، لا تقاوميني، ليس

أمامنا وقت كاف، علينا أ..." ثم توقفت لفترة طويلة قبل أن تكمل: "كان عليك إخبارنا أنك حامل!"

عثرت جيسيكا على صوتها داخل الوعي المشترك، وقالت: "لماذا؟"

"إن التغيير سيؤثر على كلتيكما! يا للأم المقدسة! ما هذا الذي فعلناه؟"

شعرت جيسيكا بتغيرٍ قوي في الوعي المشترك، ورأت - بالعين الداخلية - هباءةً أخرى. كانت الهباءة الأخرى تثب هنا وهناك، وتدور في دوائر، ويشع منها رعب هائل.

قالت صورة السّيدة الموقرة العجوز: "عليك أن تكوني قوية، كوني ممتنةً أنك تحملين أنثى، لو كان الجنين ذكراً لتسبب هذا في قتله.

والآن... بحرص وبرفق المسي حضور ابنتك، كوّني حضور ابنتك، امتصي الرّعب... هدئيها... استخدمي شجاعتك وقوتك... برفق".

طارت الهباءة الأخرى المضطربة واقتربت منها، وأرغمت جيسيكا نفسها على لمسها، أوشك الهلع أن يطغى عليها.

حاربته بالطريقة الوحيدة التي تعرفها: "لن أخاف، الخوف قاتل للعقل..."

جلبت الاستعاذة شيئاً من الطمأنينة، رقدت الهباءة الأخرى جوارها بهدوء.

نزلت لمستوى ردّ الفعل العاطفي الأساسي، وبثت لها الحبّ والطمأنينة والحضن الدافئ، وانحسر الهلع!

ومن جديد برز وعي السّيدة الموقرة العجوز، لكن الآن أصبح الوعي المشترك ثلاثي الأجزاء، اثنين نشطين وثالث يرقد في صمت ليستوعب ما يحدث.

قالت السّيدة الموقرة داخل الوعي المشترك: "يجبرني ضيق الوقت على الإسراع، لدي الكثير لأمنحك إياه، ولا أدري إن كان يمكن لابنتك تقبل كل هذا دون أن يصيبها الجنون، لكن يجب للأمر أن يتم... احتياجات القبيلة تفوق كل شيء".

"ماذا..."

"التزمي الصمت واستقبلي ما سيأتيكِ".

بدأت الخبرات تتكشف أمام جيسيكا، كأنها محاضرة مرئية على شاشة عارض "لا الوعي" في مدرسة بني-جيزيرِت، لكن بصورة أسرع... أسرع من لمح العين، ومع ذلك... كانت واضحة.

استوعبت كل تجربة أثناء حدوثها، كان هناك عاشق... مكتمل الذكورة، ملتح، وله عيون الفريمن. رأت جيسيكا قوته ورقته، كل صفاته في لحظة خاطفة، عبر ذاكرة السّيدة الموقرة.

لا وقت حتى لتفكر في تأثير ما يجري في طفلتها، لا وقت سوى للاستقبال والتسجيل، انهمرت الخبرات على جيسيكا - ولادة، حياة، موت - أمور مهمة وأخرى غير مهمة، تدفق لزمن شخصي أحادي الرؤية.

استوعبت جيسيكا ما يحدث، استوعبته متأخراً. إن العجوز تحتضر، وخلال موتها تصب خبراتها في وعي جيسيكا كما يصب الماء في الكوب، تراجعت الهباءة الأخرى ذائبة في وعيها ما قبل الولادي تحت عين جيسيكا، وتركت السّيدة الموقرة العجوز حياتها في ذاكرة جيسيكا - أثناء احتضار الولادة - ومعها تنهيدة أخرى تحمل معها كلمات مسرعة بشكل ضبابي.

قالت: "لقد انتظرتك طويلا، ها هي حياتي" وها هي حياتها كلها، في كبسولة، حتى لحظة الموت كانت موجودة.

.

واستوعبت أنها قد أصبحت - بشكل عام - ما يجب أن تكون عليه السّيدات الموقرات من بني-جيزيرت. السّم الذي في العقار غيّر كيانها. صحيح أن الطريقة المتبعة في مدارس بني-جيزيرت مختلفة، ورغم عدم معرفتها بتفاصيل الطريقة الغامضة إلا أنها كانت تعلم أن المحصّلة النهائية للطريقتين كانت واحدة.

أحست جيسيكا بأن هباءة الابنة ما تزال ملامسة لوعيها الدّاخلي، لمستها لكن لم تتلق رداً.

خيم على جيسيكا إحساس رهيب بالوحدة لمّا أدركت ما حدث لها. رأت حياتها تتواتر متباطئة بينما تسارعت الحياة من حولها، فاتضح التفاعل الراقص بينهما.

تلاشى بعض الشيء إحساسها بأنها هباءة واعية، وخفّت حدته مع تراخى جسدها عندما زال تهديد السّم، لكنها ما تزال تشعر بتلك الهباءة الأخرى، فلمستها شاعرة بشيء من الذّنب لما سمحت بأن يحدث لها.

.

وصدرت من الهباءة الأخرى دفقة صغيرة من الحب والطمأنة، وكأنها انعكاس لما صبته هي فيها.

قبل أن تستجيب، شعرت جيسيكا بحضور 'أدب' الذّكرى التي تقتحم ذهنك دون استئذان، هناك شيء يجب القيام به، حاولت الإمساك به، إلا إن العقار سيطر على حواسها، خدرها وأعاقها.

.لكنها شعرت أن تدخلها بهذه الطريقة خطأ.

.ثم أدركت ما عليها القيام به.

فتحت عينيها وأشارت لقربة الماء التي تمسكها تشاني أمامها.

قالت جيسيكا: "لقد تمت مباركته. اخلطوا الماء، دعوا التغيير يصل للجميع، كي يشترك الناس في البركة ويتقاسمونها".

. .

.

ومع ذلك كانت الذاكرة الملحة مستمرة في وخزها، أدركت أن هناك شيئاً إضافياً عليها أن تقوم به، لكن تأثير العقار جعل التركيز صعباً. ... .

قالت جيسيكا: "لقد قابلتُ السّيدة الموقرة راملّو. رحلتْ، لكنها ما تزال موجودة، فلنكرم ذكراها خلال الطقس".

ثم أدركت أنها جاءتها من ذاكرة أخرى، من الحياة التي أعطيت لها وأصبحت الآن جزءاً منها. إلا أن شيئاً ما بشأن هذه المنحة بدا غير مكتمل.

قالت الذاكرة الأخرى بداخلها: "دعيهم يمارسوا احتفالهم الجسدي، فمتعهم الحياتية قليلة. أجل، فأنا وأنت بحاجة لهذا الوقت القصير لنتعرف على بعض، قبل أن أتراجع وأنسل من ذاكرتك، بدأت أشعر بنفسي ترتبط بأجزاءٍ منك. آآه، عقلك زاخر بأمور عجيبة. أمور لم يسبق لي تخيلها".

وفتحت الذكريات الذهنية الجماعية نفسها لجيسيكا، سامحة لها بالنظر لرواق متسع يؤدي لسيدات موقرات أخريات، في سلسلة بدت وكأنها تمتد إلى ما لا نهاية.

جفلت جيسيكا، خشية أن تضيع ذاتها وسط محيط من الاتحاد. لكن الرواق ظل موجوداً، كاشفاً لجيسيكا أن الثقافة الفريمنية أقدم كثيراً مما كانت تظن.

رأت ماضي الفريمن على كوكب پوريترن. قوم أصابتهم النعومة بسبب طبيعة كوكبهم الميسرة، فأصبحوا طريدة سهلة للغزاة الإمبراطوريين الذين حصدوهم وزرعوهم كمستعمرات بشرية على بيلا تيغيوس وسالوسا سيكوندس.

ويا للنّحيب الذي شعرت به جيسيكا أثناء رحيلهم تلك الأوطان!

في الطرف البعيد للرواق صرخ صوت مجسد، قائلا: "حرمونا الحج Hajj!"

على امتداد هذا الرّواق رأت جيسيكا أكواخ العبيد على بيلا تيغيوس، وعمليات الفرز والاختيار وتقتيل السلالات الضعيفة، والتي وزعت الناس على روسّاك وهارمونتحپ. تكشفت أمامها مشاهد شراسة ووحشية، كبتلات زهرة شنيعة. ورأت خيط الماضي تحمله سيّادينا بعد سيّادينا، في البداية عن طريق النقل الشفهي، في شكل معانٍ مخفية في أناشيدهم الصحراوية، ثم بصورة أوضح - على يد سيداتهم الموقرات - عندما اكتشفوا العقار السّام على كوكب روساك، والآن عندما طوروه على آرّاكس، عند اكتشاف ماء الحياة.

ومن مكان بعيد قرب نهاية الرّواق صرخ صوت آخر: "لن ننس أبدًا! لن نغفر أبدًا!"

لكن انتباه جيسيكا انصب على ما انكشف لها بشأن ماء الحياة، إذ رأت مصدره: زفير سائل يخرج من دودة الرّمال - الصانع - عند احتضاره، وعندما رأت عملية قتله في ذاكرتها الجديدة كتمت شهقة كادت تصدر منها.

يغرقون المخلوق!

"أمي، أنتِ بخير؟"

اقتحم صوت پاول وعيها، واجتهدت جيسيكا لتخلص نفسها من الوعي الداخلي وترفع رأسها لتحدق فيه، مدركة واجبها نحوه، وامتعاضها من وجوده.

.

تعلقت الفكرة بذهنها واحتوتها بالكامل. : " ! !" : "
"

كرر پاول: "أنتِ بخير؟"

"أجل".

أشار للقربة الموجودة بين يدي تشاني: "هل يصلح هذا لأن أشرب منه؟ يريدونني أن أشرب منه".

سمعت المعنى الخفي لكلماته، وأدركت أنه تبين وجود السّم في المادة الأصلية قبل تغييرها. وأنه خائف عليها، واتضحت لجيسيكا في تلك اللحظة محدودية قدرات پاول الاستبصارية، وكشف لها سؤاله الكثير من المعلومات.

قالت: "بإمكانك أن تشرب، لقد تم تغييره".

ونظرت لما وراءه فرأت ستيلغار يحدق فيها، وعيناه الداكنتين تتفحصانها.

قال: "والآن عرفنا أنك لست مزيفة".

استشفت من هذا أيضاً معان خفية، لكن تغلب على حواسها التشويش الذهني الناتج عن العقار. كان دافئاً ومريحاً! ما أكرم هؤلاء الفريمن الذين ضموها لهذه الرفقة!

رأى پاول العقار يسيطر على والدته. بحث في ذاكرته، في الماضي الثابت، وفي المسارات المستقبلية المتدفقة، وكأنه يطالع لحظات زمنية متوقفة، مزعجة لعدسة عينه الداخلية، ويصعب فهم الأجزاء التي انتزعها من سياق التيار المتدفق.

هذا العقار. يمكنه جمع معلومات عنه، وأن يفهم ما فعله بوالدته، لكن افتقدت المعلومات لإيقاعها الطبيعي، لنظام ناتج عن التأمل المتبادل.

وأدرك عندها سهولة رؤية الماضي حين يحتل الحاضر، أما الاختبار الحقيقي للقدرة الاستبصارية هو أن تلمح الماضي في المستقبل.

فإن الأشياء حينئذ تصرّ على الظهور على غير ما هي عليه.

قالت تشاني: "اشرب منه"، ولوّحت بفم قربة الماء تحت أنفه.

شدّ پاول قامته ونظر لتشاني. كان يشعر بأجواء الاحتفاء. ويعلم ما سيحدث إن شرب مخدّر السپايس هذا، بما يحويه من جوهر مركّز من المادة التي أثارت فيه التغير الإدراكي. سيعود لحالة الرّؤية الزّمنية النقية، رؤية الزمان كمكان. سترغمه المادة أن يجثم فوق القمة العالية المصيبة بالدوار، وستتحداه أن يفهم.

من خلف تشاني قال ستيلغار: "اشرب يا فتى، إنك تعطل تأدية الطقس".

وهنا أصغى پاول للحشد، سامعاً الإثارة في أصواتهم. كانوا يقولون: "لسان الغيب. مؤدّب!" نظر لوالدته، فبدت نائمة نوماً هادئاً، تنفسها منتظم وعميق. زارته جملة من المستقبل الذي كان أيضاً ماضيه المصيب بالوحدة: "إنها تنام في ماء الحياة".

جذبته تشاني من كمه.

وضع پاول فم القربة على فمه، سامعاً صياح الناس. تدفّق السائل عبر حلقه إذ ضغطت تشاني على القربة، وشعر بدوار من البخار المتصاعد، أبعدت تشاني الأنبوب وناولت القربة للأيدي التي امتدت من أرضية الكهف. راقب ذراعها، مركزاً على شريط الرثاء الأخضر المربوط فيها.

نهضت تشاني ولاحظت نظرته، فقالت: "بإمكاني أن أحزن عليه حتى أثناء السعادة التي تجلبها المياه. هذا من الأمور التي علمنا إياها". وضعت يدها في يده وجذبته عبر الحافة. "نحن متشابهان في شيء يا أصول، كلانا فقد أبا بسبب الهاركونِن".

تبعها پاول، شعر أن رأسه قد انفصلت عن جسده ثم أعيدت بروابط غريبة، شعر أن رجليه بعيدتان وأشبه بالمطاط.

دخلا ممراً جانبياً ضيقاً، جدرانه مضاءة بضوء خافت صادر عن كرات إنارة موزعة على مسافات بعيدة عن بعضها البعض. شعر پاول بالمخدر يبدأ في تأثيره الفريد عليه، فاتحاً الزّمن كالزهرة، أحسّ بالحاجة للاستناد على تشاني وهما يعرجان داخلين نفقا مظلما آخر. أثاره خليط النعومة والعضلات المفتولة التي أحس بوجودها تحت ثوبها. امتزج الإحساس بتأثير العقار، طاوياً المستقبل والماضي على الحاضر، تاركاً له هامشاً ضئيلاً من التركيز ثلاثي الأعين.

همس: "إني أعرفك يا تشاني، لقد جلسنا على حافة فوق الرمال بينما كنت أهدئ مخاوفك، تعانقنا في ظلمة السيآتش. لقد..." وفقد تركيزه، فحاول أن يهزّ رأسه، فتعثر.

أسندته تشاني، وقادته خلال ستائر سميكة إلى الدفء الأصفر لحجرة خاصة، مناضد منخفضة، ووسائد، وحشايا للنوم تعلوها ملاءة برتقالية.

انتبه پاول إلى أنهما قد توقفا، وأن تشاني تقف في مواجهته، وأن عينيها كشفتا نظرة رعب.

همست: "يجب أن تخبرني".

قال: "أنت سِهايا، ربيع الصحراء".

قالت: "عندما تتشارك القبيلة في ماء الحياة نصبح معاً، كلنا نفس الشّخص، نتقاسم، بإمكاني أن أشعر بالآخرين معي، لكنني خائفة من مشاركتك".

"لماذا؟"

حاول أن يركز عليها، لكن الماضي والمستقبل كانا يندمجان في الحاضر، مما شوش صورتها. رآها في مئات الطرق والأماكن والمواقف.

قالت: "فيك شيء يثير الخوف، أخذتك بعيداً عن الآخرين لأنني شعرت بما أرادوه، فأنت... تفرض كيانك على الناس. تجعلنا... نرى أشياء!"

أرغم نفسه على الكلام بوضوح: "وماذا ترين؟"

نظرت ليديها: "أرى طفلاً... بين ذراعي. طفلنا، أنا وأنت"، غطت فمها بيد، "ما تفسير معرفتي لكل صفة من صفات جسدك؟"

. .

في لحظة تجلي رأى أن تشاني كانت ترتجف.

قال: "ما الذي تريدين قوله؟"

همست: "أصول"، وكانت ما تزال ترتجف.

قال: "لا يمكنك أن تتقهقري للمستقبل".

غمره تعاطف عميق تجاهها. جذبها وضمها إليه، وربت على رأسها: "تشاني، تشاني... لا تخافي".

صاحت: "أصول، ساعدني".

أحس بالعقار يكمل تأثيره في داخله، ممزقاً الحجب ليتيح له رؤية الاضطراب الرمادي البعيد في مستقبله.

قالت تشاني: "طال صمتك".

أرغم نفسه على الثبات وسط الوعي الإدراكي، مشاهداً الزمن يمتد في بُعده العجيب، متزنٌ لكن في حركة عصف دائم، ضيق لكن منتشراً كشبكة تجمع عوالم وقوى لا حصر لها، حبل رفيع يجب أن يسير عليه، متأرجح تحت قدميه الثابتتين.

في جانب واحد رأى الإمبراطورية، وأحد آل هاركونِن يسمى فايد راوثا ينقض عليه كنصل قاتل، والساردوكار المندفعين من كوكبهم في غضب لينشروا المذابح على آرِّاكس، ونقابة الفضاء تحيك المكائد وتدبر الخطط، وبني-جيزيرِت بخططهن الخاصة بالتناسل الانتقائي. تجمعوا في كتلة عاصفة في الأفق، لا يمنعها سوى الفريمن ومؤدّبهم. أولئك الفريمن - العملاق النائم - متأهبون لشن حروبهم المقدسة الشرسة عبر أرجاء الكون.

وكان پاول في وسطهم، عند المحور الذي يدور عليه الهيكل كله، يسير على حبل السلام الرفيع وقدر من السعادة، وتشاني بجانبه. كان يراه ممتداً أمامه، فترة هدوء نسبي، في سيآتش خفي، لحظة سلام

بين فترات العنف.

قال: "ليس للسلام مكان آخر"،

همست تشاني: "أصول، أنت تبكي. أصول، يا قوتي... هل تمنح ماء للموتى؟ لموتى من؟"

قال: "لناس لم يموتوا بعد".

قالت: "إذن دعهم يعيشون فترة حياتهم".

أحس - عبر ضباب المخدر - بصحة كلامها، فضمها إلى جسده بعنف وحشي وقال: "سِهايا!"

وضعت راحة يدها على وجنته: "لم أعد خائفة يا أصول، انظر لي، أرى ما تراه عندما تضمني هكذا".

قال: "وما الذي ترينه؟"

"أرانا نتبادل الحبّ في وقت هدوء يتخلل أوقات العواصف، هذا هو ما كُتب لنا".

غمره تأثير المخدر مرة أخرى. .وشعر من جديد بالإشراق الإدراكي الفائق، وصورته الزمنية البارزة، ورأى مستقبله يصبح ذكريات، الإهانات الرقيقة المصاحبة للحب الجسدي، مشاركة الذات واتحادها، الرقة والعنف.

تمتم: "أنت القوية فينا يا تشاني، ابقي معي".

قالت: "للأبد"، وقبّلت وجنته.

الكتاب الثالث

النُّبوءة

38

"لم يرتبط أبي بعلاقة شخصية عميقة، لا مع امرأة أو رجل أو طفل. وأقرب إنسان يمكن أن يوصف بالصّديق – إلى حد ما - للإمبراطور الپاديشي هو الكونت هازمير فينرنغ، رفيقه من أيام الطفولة. ظهر دليل صداقة الكونت فينرنغ لأبي متجسداً في فعلين، أولهما فعل إيجابي: تخفيفه لشكوك مجلس اللاندسراد بعد حادثة آرِّاكس. قالت أمي إن هذا كلّفه رشاوي سپايس تفوق قيمتها المليار سولاريس، بالإضافة لهدايا أخرى: إماء، وألقاب ملكية، ومناصب شرفية. ثاني الأدلة الكبرى على صدق صداقة الكونت كان في امتناعه عن فعل سلبي، إذ امتنع عن قتل رجل على الرغم من قدرته على ذلك، ورغم أوامر أبي بقتله، سأسرد عليكم تفاصيل هذا الموقف بعد قليل".

من كتاب (الكونت فينرنغ: حياته) تأليف الأميرة إيرولان

في الرّواق القادم من حجراته الخاصة، مشى البارون ڤلاديمير هاركونن في ثورة من الغضب العارم، متسللاً بخفة من خلال بقع ضوء شمس الأصيل المتدفقة من النوافذ العالية، كان جسده يتأرجح بعنف في مضادات الجاذبية التي يرتديها، انطلق هادراً، ماراً بالمطبخ الشخصي، ثم بالمكتبة، ثم بحجرة الاستقبال الصغيرة، إلى أن دخل حجرة الخدم، والتي كان استرخاء المساء قد حلّ على أفرادها.

قبع إياكين نيفود، قائد الحرس، جالساً القرفصاء على ديوان Divan في الجهة المقابلة من الحجرة، وبدت على وجهه حالة الغياب العقلي الناتجة عن مخدر السيموتا، يحيط به عويل موسيقى السيموتا الغريبة، كما جلس خادمه قريباً منه منتظراً أوامره.

قال البارون بصوت هادر: "نيفود!"

تدافع الرّجال مذعورين.

نهض نيفود، ووجهه هادئاً بسبب المخدر، تكسوه مسحة من الشّحوب فضحت ما يشعر به من خوف، أما موسيقى السيموتا فقد توقفت.

قال نيفود: "سيدي البارون"، وكان المخدر الشيء الوحيد الذي يمنع الارتجاف من الظهور في صوته.

أجال البارون النظر في الوجوه التي تقف أمامه، وقد لمح الرّعب الذي يسكن في نظراتهم، أعاد انتباهه إلى نيفود، وتكلم بنبرة ناعمة.

"منذ متى وأنت قائد حرسي يا نيفود؟"

ازدرد نيفود ريقه: "منذ حادثة آرِّاكس يا سيدي. عامين تقريباً".

"وهل كنتَ خلال تلك الفترة تعمل حساب كل ما قد يتهددني من أخطار؟"

"هذا شغلي الشاغل يا سيدي".

صاح البارون: "فأين فايد راوثا إذن؟"

انكمش نيفود وقال: "سيدي؟"

ومن جديد عاد الصوت ناعماً: "ألا تعتبر فايد راوثا خطراً على شخصي؟"

رطّب نيفود شفتيه بلسانه، وتلاشى بعض خمول السيموتا من عينيه: "فايد راوثا موجود الآن في

حجرات العبيد يا مولاي".

"بالطبع مع النساء مجدداً!" اهتز البارون محاولاً كتمان غضبه.

"مولاي، ربما يكون ي-..."

"صمتاً!"

تقدم البارون في حجرة المدخل، ولاحظ تراجع الرّجال، مفسحين لا شعورياً مساحة حول نيفود، ليفصلوا أنفسهم عن الشخص محط الغضب.

قال البارون: "ألم أوجه لك أمراً بأن تراقب تحركات النا-بارون طوال الوقت؟" واقترب ليتقدم خطوةً أخرى. "ألم أقل لك أن تكون على علم بكل كلمة يقولها النا-بارون، ولمن؟" ثم خطوة أخرى، "ألم أقل إن عليك إبلاغي كلما دخل حجرات الإماء؟"

ابتلع نيفود ريقه، وتندى العرق على جبهته.

قال البارون بصوت فاتر، يكاد يخلو من نبرات: "ألم آمرك بكل هذا؟"

أومأ نيفود إيجاباً.

"وألم أقل لك أن تفحص كل الغلمان العبيد الذين يتم إحضارهم لي، وأن عليك القيام بهذا بنفسك... شخصياً؟"

ومن جديد أومأ نيفود.

قال البارون: "وهل فاتتك اللطخة على فخذ الغلام الذي أُرسل لي هذه الليلة؟ هل من الممكن أنك ق-..."

"عمي!"

التفتت البارون بسرعة وحدق في فايد راوثا الواقف عند الباب، حضور ابن أخيه هنا في هذه اللحظة، ونظرة التعجل التي لم ينجح الشاب في إخفائها، كشفاً له الكثير. لفايد راوثا منظومة جواسيسه الخاصة المنصبة على مراقبة البارون.

قال البارون: "توجد في حجرتي جثّة أريدكم أن تزيلوها"، وأبقى يده على السلاح القاذف تحت ردائه، ممتناً لكون درعه من أفضل أنواع دروع الطاقة.

رمق فايد راوثا الحارسين عند الحائط الأيمن، وأومأ لهما. خرج الاثنان منطلقان عبر الردهة نحو حجرات البارون.

!

قال البارون: "أتوقع أن الأمن مستتب عندما غادرت حجرات العبيد يا فايد".

قال فايد راوثا: " كنت ألعب لعبة خوفو مع القهرمان".

وفكّر: !

! .

قال البارون: "تلعب شطرنج هرمي؟ لطيف! هل ربحت؟"

"أنا... آه، أجل يا عمي"، وحاول فايد راوثا إخفاء قلقه.

فرقع البارون أصابعه وقال: "نيفود، أترغب في استعادة رضاي عليك؟"

ارتعش نيفود: "مولاي، ما الخطأ الذي ارتكبته؟"

قال البارون: "لم يعد هذا مهما الآن، ففايد هزم القهرمان في لعبة خوفو. ألم تسمع؟"

"أجل... مولاي".

قال البارون: "أريدك أن تأخذ معك ثلاثة رجال وأن تذهب للقهرمان المسؤول عن العبيد. اخنق القهرمان، وأحضر جثته لي عندما تنتهي لأتأكد من تمام أوامري، لا يمكن أن نسمح بوجود موظفين عندنا على هذه الدرجة من عدم الكفاءة في الشطرنج".

شحب وجه فايد راوثا وتقدم خطوة للأمام: "لكن يا عمي، أنا..."

أشاح البارون بيده: "فيما بعد يا فايد... فيما بعد".

عاد الحارسان - اللذان تم إرسالهما لحجرات البارون - يترنحان حاملين جثّة الغلام بينهما عبر باب الحجرة، وحملهما مرتخ بينهما وذراعاه تُجرّ على الأرض، راقبهما البارون إلى أن تواريا عن الأنظار.

اقترب نيفود من البارون: "أترغب أن أقتل القهرمان الآن يا سيدي؟"

قال البارون: "الآن، وعندما تنتهي أضف لقائمتك الاثنين اللذين مرا للتو، لا تعجبني طريقة حملهما لتلك الجثة، على المرء أن يؤدي هذه الأمور بإتقان، وأريد أن أرى جثتيهما أيضاً".

قال نيفود: "سيدي، هل السبب شيء قمت أنا ب-..."

قال فايد راوثا: "نفذ أوامر سيدك".

فكّر البارون: ! . وابتسم لنفسه.

أشار نيفود لرجاله، وقادهم عبر الباب.

قال البارون: "هلا رافقتني لحجرتي يا فايد؟"

قال فايد راوثا: "أنا طوع أمرك"، وانحنى.

قال البارون: "من بعدك"، وأشار ناحية الباب.

لم يظهر أثر الخوف الذي يشعر به فايد راوثا سوى في تردده الطفيف.

وفي سيره خلف ابن أخيه، فكّر البارون:

حاول فايد راوثا ألا يسرع في السير. أحس بجلد ظهره ينكمش كما لو أن جسده نفسه يتساءل متى ستأتي الضربة، أخذت عضلاته تنقبض وتنبسط في حركة متعاقبة.

قال البارون: "سمعت آخر الأخبار من آرِّاكس؟"

"لا يا عمي".

أجبر فايد راوثا نفسه ألا ينظر خلفه، خرج من جناح الخدم داخلاً الردهة.

قال البارون: "ظهر بين الفريمن متنبِّئ جديد أو زعيم ديني، يطلقون عليه اسم 'مؤدّب'. شيء

مضحك في الحقيقة، فالكلمة تعني: الفأر، أمرت رابان أن يسمح لهم بممارسة ديانتهم هذه، إذ ستبقيهم منشغلين".

قال فايد راوثا: "أمرٌ عجيب جداً يا عمي".

ودخل الرّواق المؤدي لحجرات عمه:

قال البارون: "فعلاً عجيب، أليس كذلك؟"

ولجا حجرات البارون مارين عبر صالون الاستقبال، ثم غرفة النّوم. ظهرت آثار صراع خفيف، مصباح إنارة ليس في موضعه، وسادة سريرٍ على الأرض، بكرة مهدئة مبعثرة الشريط معلّقة على عارضة السرير.

قال البارون: "كانت خطة ذكية"، وواجه ابن أخيه، مبقياً درعه الشخصي مضبوطاً على الدرجة القصوى. "إلا إنها ليست بالذكاء الكافي. أخبرني يا فايد، لماذا لا توجّه لي الضربة بنفسك؟ أتيحت أمامك فرص كثيرة".

ودون طلب الأذن عثر فايد راوثا على مقعد مضاد للجاذبية، وجلس عليه.

قال: "لأنك علمتني أن أبقى يديّ نظيفتين".

قال البارون: "آه، صحيح. عندما تقف أمام الإمبراطور عليك أن تكون قادراً على التّحدث - بصدق - قائلاً إنك لم تفعلها. فستصغي لكلماتك تلك السّاحرة الملازمة للإمبراطور وستعرف إن كانت حقيقة أم كذب. أجل، حذرتُك من هذا".

قال فايد راوثا: "لِمَ لم تشتر واحدة من بني-جيزيرِت يا عمي؟ فلو كانت بجوارك كاهنة كاشفة للأكاذيب في-..."

قال البارون في حدة: "أنت تعرف ذوقي تمام المعرفة!"

تفرس فايد راوثا في عمه وقال: "ومع ذلك، فإن واحدة منهن يمك-..."

قال البارون متهكماً: "لا أثق فيهن! وتوقف عن محاولة تغيير الموضوع!"

قال فايد راوثا بهدوء: "كما تريد يا عمي".

قال البارون: "أتذكر موقفاً حدث في حلبة القتال منذ أعوام. بدا يومها أن عبداً قد تم تجهيزه بنيّة قتلك، هل هذا ما حدث؟"

"حدث هذا منذ فترة طويلة يا عمي. فعلى ال-..."

قال البارون: "أرجوك لا تحاول التّهرب من السؤال"، وفضح التوتر في نبرته مقدار الغضب الذي يخفيه.

نظر فايد راوثا لعمه وفكّر:

"كانت مسرحية مزيفة يا عمي، قمت أنا بتدبيرها ليصبح قهرمانك محل شك عندك".

قال البارون: "دهاء وشجاعة أيضاً، كاد ذاك المصارع العبد أن يقضي عليك، أليس كذلك؟"

"أجل".

"لو كنت تتمتع بدهاء ومكر يماثلان هذه الشّجاعة لأصبحت رجلاً لا يشق له غبار"، هزّ البارون رأسه من جانب لآخر. وكالعادة - منذ ذلك اليوم الرّهيب على آرّاكس - وجد نفسه نادماً على خسارته

لپايتر، المِنتات. فقد كان رجلا داهية يتمتع بمهارة شيطانية، ولو أن هذه الصفة لم تفلح في إنقاذه. ومن جديد هزّ البارون رأسه. أحياناً يصعب فهم القدَر الغامض.

جال فايد راوثا ببصره في أرجاء غرفة النوم، فاحصا آثار العراك، متسائلاً

.

قال البارون: "كيف تغلبتُ عليه؟ فايد! دعني أحتفظ لنفسي ببعض الأسلحة التي تحميني في شيخوختي، من الأفضل أن نستغل هذا الوقت لعقد صفقة".

حدّق فيه فايد راوثا. ! . .

.

"أي صفقة يا عمي؟"

وشعر فايد راوثا بالفخر بنبرة صوته الهادئة المتعقلة، دون أن تفضح شيئاً من الابتهاج الذي يغمره.

البارون أيضاً لاحظ تحكمه، فأومأ. "أنت خامةٌ جيدةٌ يا فايد، وأنا لا أهدر الخامات الجيدة، لكنك مصرٌّ في رفضك لقيمتي الحقيقية عندك. أنت عنيد، لا تفهم أهمية حفاظك على حياتي بصفتي مصدر نفع هائل لك، هذا..."، وأشار لآثار العراك البادية على غرفة النوم، "... كان طيشاً أحمق، وأنا لا أكافئ الحماقة".

فكر فايد راوثا: !

قال البارون: "تظنني عجوزاً أحمق، يجب أن أثنيك عن التفكير بهذه الطريقة".

"ذكرت صفقة".

قال البارون: "يا لنفاد صبر الشباب! طيب، هذه خلاصة الموضوع: ستتوقف عن محاولاتك الطائشة لقتلي، وفي المقابل سأقوم أنا - عندما تصبح جاهزا، - بالتنازل وترك الحكم لك. سأتنحى لمنصب استشاري، تاركاً لك مقعد السلطة".

"تتنحى يا عمي؟"

قال البارون: "لا زلت تظنني أحمقاً، وهذه الصفقة أكدت ظنونك؟ أتظنني أتوسل إليك! حذار يا فايد! فهذا الأحمق العجوز اكتشف الإبرة المدرعة التي زرعتها في فخذ هذا الغلام. في المكان الذي سأضع يدي عليه، أليس كذلك؟ مجرد ضغطة بسيطة و ... تُك! إبرة مسمومة تجرح راحة يد الأحمق العجوز! هاه يا فايد..."

هزّ البارون رأسه: . .

... . .

ظلّ فايد راوثا صامتاً، مصارعاً أفكاره.

. . .

قال فايد راوثا: "تتحدث عن صفقة، وما الذي سنتعهد بالالتزام به؟"

قال البارون: "تقصد كيف لنا أن نثق في بعضنا البعض؟ بالنسبة لك يا فايد، سأعين ظافر حواط لمراقبتك. فأنا أثق بقدرات حواط المِنتاتية. هل تفهمني؟ أما بالنسبة لي فعليك أن تثق بكلمتي التي أعطيتها لك. خصوصاً أني لن أعيش للأبد يا فايد، صحيح؟ ومن الأفضل أن تؤمن بأني أعرف أموراً يجب عليك أن تتعلمها".

قال فايد راوثا: "ألتزم أنا، وما الذي تلتزم به نحوي في المقابل؟"

قال البارون: "أسمح لك بالبقاء حياً".

رمقه فايد راوثا. *!*

.

.

قال البارون: "ما قولك؟"

"وماذا بوسعي أن أقول؟ موافق طبعاً".

وفكر فايد راوثا: *!*

قال البارون: "لم تقل شيئاً بخصوص تعييني لحواط مراقبا لك".

بدا غضب فايد راوثا في اتساع فتحتي منخاره، كان اسم حواط علامة خطر عند عائلة هاركونِن لسنوات عديدة، والآن أصبح له معنى جديد، لكنه ما يزال خطراً.

قال فايد راوثا: "حواط لعبة خطرة".

"لعبة! لا تكن أحمقاً. أعرف جيداً صفات حواط وكيفية التّحكم بها. يملك حواط مشاعر عميقة يا فايد، الرجل منعدم المشاعر هو من يجب على المرء أن يخشاه حقاً. أما المشاعر العميقة... فيمكن أن تقوم بالتلاعب بها لتوافق احتياجاتك".

"عمي، لا أفهمك".

"أجل، هذا واضح".

لم يبد الامتعاض الذي سرى في فايد راوثا سوى في طرفة جفن عابرة.

قال البارون: "ولا تفهم حواط أيضاً".

فكر فايد راوثا: *!*

قال البارون: "على من يلقي حواط باللوم فيما يخص أوضاعه الحالية؟ أنا؟ بالتأكيد، لكنه كان أداة آتريدية واستطاع التفوق عليّ لسنوات إلى أن تدخلت يد الإمبراطور في الموضوع. هكذا يرى الأمر؛ إن كرهه لي صار كرهاً عفوياً معتاداً الآن، ويعتقد أن بإمكانه الانتصار عليّ في الوقت الذي يناسبه. وبسبب اعتقاده هذا فهو - في الحقيقة - مهزوم. لأني أوجّه انتباهه للاتجاه الذي أريده... ضد الإمبراطور".

ارتسمت خطوطٌ متقاربةٌ على جبهة فايد راوثا وشدّ فمه في خط رفيع يدل على توتر ناتج عن فهم جديد: "ضد الإمبراطور؟"

فكّر البارون: . : *!*

. *!*

.

.

قال فايد راوثا: "وما صلة حواط بهذا الأمر؟"

"يظن أنه يستخدمنا لتنفيذ انتقامه ضد الإمبراطور".

"وعندما يتحقق هذا؟"

"هو لا يفكر فيما أبعد من مرحلة الانتقام، حواط من نوع الرجال الذين يجب أن يعملوا في خدمة آخرين، ولا يعرف هذه الصفة في نفسه أساساً"

وافقه فايد راوثا: "لقد تعلمتُ الكثير من حواط"، وشعر بصدق الكلمات عندما نطق بها، "لكن كلما تعلمت منه أحسست بضرورة التخلص منه... وفي أقرب وقت".

"لا تعجبك فكرة مراقبته لك؟"

"حواط يراقب الجميع".

"وربما نجح في وضعك على العرش. حواط ماكر، خطير، وداهية. لكنني لن أمنع عنه التّرياق المضاد للسّم الآن. حتى السّيف خطير يا فايد، لكننا نملك غمد هذا السيف، السّم الموجود فيه. عندما نمنع عنه الترياق سيضعه الموت في غمده".

قال فايد راوثا: "هي كالحلبة إذن، حركات خادعة مغلفة في حركات خادعة، ينتبه المرء للجانب الذي يميل له المصارع، وللاتجاه الذي ينظر إليه، وللطريقة التي يمسك بها سكينه".

وأومأ لنفسه لمّا رأى رضا عمه من كلماته، لكنه كان يفكر: ! ! !

قال البارون: "والآن صرت تفهم احتياجك لي، لا زلتُ ذا نفع لك يا فايد".

فكر فايد راوثا: .

قال: "أجل يا عمي".

قال البارون: "والآن سنتوجه - كلانا - لحجرات العبيد، وسأتفرج عليك وأنت تقتل بيديك كل النساء في جناح المتعة".

"عمي!"

"سيكون لديك نساء غيرهن فيما بعد يا فايد، لكنني أخبرتك بألا تقدم على الخطأ في حقي دون تقدير العواقب".

اسود وجه فايد راوثا: "عمي، إنك..."

قال البارون: "سترضى بعقابك وتتعلم منه".

رأى فايد راوثا نظرة الشّماتة في عيني عمه: .

.

قال البارون: "لن ترفض".

لكنه كان يعرف بوجود عواقب أخرى، قد تكون أكثر مكراً، أسلحة أكثر وحشية تهدف لكسره.

قال البارون: "أعرفك يا فايد، لن ترفض".

فكر فايد راوثا: . . ...

39

"في أعماق اللّا الوعي الإنساني تكمن حاجة ملحة نحو كونٍ منطقي يفهمه العقل، إلا أن الكون الحقيقي يقع في منطقة خارجة عنً المنطق".

من كتاب (أقوال المؤدّب)، تأليف الأميرة إيرولان

قال ظافر حواط لنفسه:

.

دمدم البارون: "بإمكانك أن تتكلم معي براحتك يا حواط"، ومال للخلف في مقعده المضاد للجاذبية، يحدّق في حواط بعينين محاطتين بطيات جلده السمينة.

نظر المِنتات العجوز للمنضدة الفاصلة بينه وبين البارون ڤلاديمير هاركونِن، متمعِّنا في وفرة حبيبات خشبها. نعم، حتى هذه التفاصيل يجب حسابها عند تقييم البارون، بالإضافة للجدران الحمراء لحجرة الاجتماعات الخاصة هذه، ورائحة الأعشاب الحلوة الخفيفة المنتشرة في الهواء والتي تخفي تحتها عطراً أثقل.

قال البارون: "لم تدفعني لإرسال هذا التحذير لرابان كمجرد نزوة عابرة".

احتفظ وجه حواط بجموده، دون أن يكشف عن البغض الذي يشعر به، وقال: "أنا أشك في أمور كثيرة يا سيدي".

"أجل. طيب، أريد أن أعرف ما دخل آرِّاكس بشكوكك المتعلقة بسالوسا سيكوندس، ولا تكتفي بإخباري بأن الإمبراطور في حالة هياج بسبب علاقةٍ ما بين آرِّاكس وبين كوكبه الغامض. نعم سارعتُ بإرسال التحذير لرابان، فقط لأن حامل الرسائل كان مضطراً للرحيل على متن سفينة الهايلاينر تلك، ولأنك قلت إن الأمر عاجل. طيب، جميل. لكنني أريد تفسيراً الآن".

فكّر حواط: . .

!

.

قال البارون: "لن تخرج من هنا قبل أن أحصل على تفسير تام وكامل".

قال حواط: "أنت تستهين بسالوسا سيكوندس".

قال البارون: "مستعمرة عقابية، أسوأ أنواع الغوغاء في المجرة يتم إرسالهم لسالوسا سيكوندس. ما الجديد؟"

قال حواط: "ظروف هذا الكوكب أقسى من أي مكان آخر. سمعتَ مثلاً إن معدل الوفيات ضمن السّجناء الجدد يزيد عن الـ 60%. وسمعت أن الإمبراطور يمارس هناك كل أساليب الاضطهاد. تسمع كل هذا ولا تتساءل؟"

زمجر البارون: "لا يسمح الإمبراطور للنبلاء بالتفتيش في سجنه، لكنه في الوقت ذاته لم ير ما يحدث داخل زنزاناتي".

"وكل فضول بشأن سالوسا سيكوندس..."، ووضع حواط إصبعاً عظمياً نحيلاً على شفتيه: "يتم ردعه".

"بسيطة، فهو غير فخور ببعض الأمور التي يضطر لفعلها هناك!"

سمح حواط لشبح ابتسامة خفيفة أن يرتسم على شفتيه الداكنتين. برقت عيناه في ضوء أنبوب الإضاءة، وحدق في البارون: "ولم تتساءل أبداً من أين يأتي الإمبراطور بساردوكاره؟"

زمّ البارون شفتيه السّمينتين. تحولت ملامحه لوجه طفلٍ مستاء، وحمّل صوته نبرة مشاكسة: "إممم... إنه يجنّد بالطبع... أقصد توجد حصة التّجنيد الإجباري التي يفرضها، ويأخذ متطوعين من ال-..."

قال حواط بنبرة قاطعة: "كلام فارغ! تلك القصص التي تسمعها عن أفعال الساردوكار ليست إشاعات، صحيح؟ إنها روايات شهود من العدد المحدود الذي ينجو بعد دخوله معارك قتالية ضد الساردوكار، أليس كذلك؟"

قال البارون: "الساردوكار محاربون ممتازون، لا جدال في هذا. لكن أظن أن فيالقي الخاصة ..."

قال حواط متهكما: "رجالك حفنة من المتنزهين بالمقارنة بهم! أتظنّني جاهل بأسباب انقلاب الإمبراطور على آل آتريديز؟"

قال البارون محذراً: "هذا ليس موضوعاً مفتوحاً لتخميناتك".

سأل حواط نفسه:

قال حواط: "كل المواضيع مفتوحة أمامي إن كانت ستجعلني أنجح في أداء وظيفتي، أنا مِنتات. لا يحجب المرء المعلومات ولا المسارات الحسابية عن المِنتات".

حدّق فيه البارون لفترة طويلة ثم قال: "قل ما عليك قوله يا مِنتات".

"انقلب الإمبراطور البِاديشي على آل آتريديز لأن جنرالات الدّوق، جيرني هاليك ودَنكِن آيداهو، درّبوا قوة عسكرية مقاتلة - صغيرة العدد - لمستوى يكاد يوازي مستوى الساردوكار. بل بعضهم كانوا أفضل حتى من الساردوكار، وكان وضع الدّوق يتيح له زيادة حجم هذه القوة، بحيث تصبح مماثلة لقوة الإمبراطور".

فكر البارون ملياً في هذا الكشف، ثم قال: "وما صلة آرِّاكس بهذا؟"

"لأنه يحوي مستودعاً من المجنّدين المهيئين لقبول أقسى البرامج التدريبية العسكرية".

هزّ البارون رأسه: "بالتأكيد لا تقصد الفريمن".

"بل أقصد الفريمن".

"هاه! لماذا نحذر رابان إذن؟ فمؤكد لم يبق من الفريمن سوى حفنة بعد ما قام به الساردوكار من مذابح وبعد اضطهاد رابان".

واصل حواط تحديقه الصّامت.

كرّر البارون: "مجرّد حفنة! ففي السّنة الماضية وحدها قتل رابان ستة آلافٍ منهم!"

لكن حواط استمر في التّحديق.

قال البارون: "والسّنة التي سبقتها بلغ عدد القتلى تسعة آلاف، وقبل أن يرحل الساردوكار قتلوا ما لا يقل عن عشرين ألف قتيل".

قال حواط: "ما حجم خسائر رابان من الجنود خلال السنتين الماضيتين؟"

فرك البارون لغده وقال: "لا أنكر أنه يقوم بتجنيد أعدادٍ كبيرة. وكلاؤه يقدمون وعوداً مكلفة و ..."

قال حواط: "يمكن أن نقول ثلاثين ألفاً مثلاً؟"

قال البارون: "يبدو هذا مبالغاً بعض الشيء".

قال حواط: "على العكس، فبإمكاني - مثلك تماماً - أن أقرأ بين سطور تقارير رابان. ولا شك أنك فهمتَ تقاريري التي تردني من عملائنا".

قال البارون: "آرّاكس كوكبٌ شنيع، وحدها العواصف يمك..."

قال حواط: "كلانا يعلم الرّقم الذي تضيفه العواصف".

قال البارون بحدة وقد اسود وجهه من الدّم المحتقن: "وماذا لو كان قد فقد ثلاثين ألفاً فعلاً؟"

قال حواط: "حسب كلامك قُتِل 15 ألفاً على مدى عامين، بينما خسر ضعف هذا العدد. تقول إن الساردوكار قضوا على عشرين ألف آخرين، أو أكثر قليلاً. وقد رأيتُ بيانات عملية النقل الخاصة بعودتهم من آرّاكس. إن كانوا قد قتلوا عشرين ألفاً فقد خسروا خمسة أضعاف هذا، لم لا تواجه هذه الحقائق يا بارون وتستوعب معناها؟"

تكلم البارون في إيقاعٍ باردٍ محكوم: "هذه وظيفتك يا مِنتات، ما معناها؟"

قال حواط: "أخبرتك بالعدد الذي أحصاه دَنكِن آيداهو في السيآتش الذي زاره. كل الأمور متّسقة مع بعضها. لو لم يكن عندهم غير 250 من مجتمعات السيآتشات هذه فإن عدد السّكان يبلغ خمسة ملايين تقريباً، وتقديراتي تقول إنهم يملكون على الأقل ضعف هذا العدد من السيآتشات السّكانية، فالشعب ينتشر على كوكب مثل هذا".

"عشرة ملايين؟"، واهتزّ لغد البارون من الذّهول.

"على الأقل".

زمّ البارون شفتيه السّمينتين. حملقَت العينان - الضّيقتان كالخرز - في حواط.

قال حواط: "نحن لم نؤثر في معدل ازديادهم السّكاني. بل كل ما فعلناه هو أن اقتطعنا بعض عيناتهم البشرية الأقل نجاحاً، وتركنا الأقوياء ليزدادوا قوة... تماماً كما يحدث على سالوسا سيكوندس".

صاح البارون: "سالوسا سيكوندس! ما علاقة هذا بالسّجن التابع للإمبراطور؟"

قال حواط: "أولئك الذين ينجون من ظروف سالوسا سيكوندس يصبحون أقوى من غالبية الناس، ثم عندما تضيف التدريب العسكري لهذا الجَلَد ف..."

"كلام فارغ! إذا سلّمنا بمنطقك هذا، حتى أنا يمكن أن أنجح في تجنيد الفريمن بعد الطريقة التي اضطهدهم بها ابن أخي".

قال حواط في نبرة هادئة: "ألا تضطهد أنت جنودك؟"

"اسمع... إني... لكن..."

قال حواط: "الاضطهاد أمر نسبي، فحال مقاتلوك أفضل حالاً ممن حولهم، صحيح؟ ويعلمون أن هناك بدائل حياتية أسوأ بكثير من عملهم جنوداً عند البارون، أليس كذلك؟"

حلّ الصّمت على البارون وسرحت عيناه. !

قال بعد برهة: "وكيف تضمن ولاء مجنّدين من هذا النوع؟"

قال حواط: "آخذهم في مجموعات صغيرة، لا تزيد قوتها عن حجم فصيلة واحدة. وسأخرجهم من وضعهم الحياتي القاسي، وأعزلهم مع كادرٍ تدريبي مكون من أشخاصٍ يفهمون خلفياتهم، والمستحسن أن يكونوا قد خرجوا أصلاً من نفس الظروف. ثم سأملأهم بمعتقدٍ غامضٍ يقول أن كوكبهم كان في الحقيقة ساحة تدريب سرِّية هدفها إنتاج أشخاص خارقين من نوعيتهم هذه. وأثناء ذلك سأريهم ما يمكن أن يكسبه أمثالهم من الخارقين: حياة رخاء، نساء جميلات، قصور فخمة... كل ما يشتهونه".

بدأ البارون يومئ برأسه: "أي كما يعيش الساردوكار في بيوتهم".

"ومع الوقت سيبدأ المجندون في الإيمان بضرورة وجود مكان مثل سالوسا سيكوندس، لأنه أنتجهم... هم النّخبة، إن أقل جنود الساردوكار مكانة يعيش حياة لا تقل ترفاً عما يعيشه أي فرد من أسر النبلاء".

همس البارون: "يا لها من فكرة!"

قال حواط: "بدأتَ تشاركني ظنوني".

قال البارون: "ومتى بدأ هذا الأمر؟"

"آه فعلاً، أين كانت بدايات آل كورّينو؟ هل قطن سالوسا سيكوندس أناس قبل أن يرسل الإمبراطور أولى دفعات مساجينه إلى هناك؟ الدوق ليتو نفسه - مع أنه قريب للإمبراطور من جهة والدته - لم يكن يعلم بصورة مؤكدة. فمثل هذه الاستفسارات لا يشجعون الخوض فيها".

غرقت عينا البارون في التفكير: "أجل، سرّ مخفي بعناية فائقة، يستخدمون كل الوسائل المتاحة ل-..."

قال حواط: "ثم ما الذي يحتاج إخفاءه أصلاً؟ أن الإمبراطور الپاديشي عنده كوكب سجن؟ كل النّاس تعلم هذا. إنه ي-..."

انفجر البارون قائلاً: "الكونت فينرنغ!"

قطع حواط كلامه وفحص البارون بتقطيبة حائرة: "ماذا عن الكونت فينرنغ؟"

قال البارون: "في عيد ميلاد ابن أخي، قبل أعوام. ذاك المتبجح الإمبراطوري، الكونت فينرنغ، حضر كزائر رسمي، وكي ي-... إحم... ينهي بعض الأعمال بيني وبين الإمبراطور".

"ثم؟"

"أنا... خلال إحدى محادثاتنا، أظن إنني قلت شيئاً بشأن تحويل آرّاكس سجناً. فينرنغ ق-..."

قال حواط: "ماذا قلت بالضبط؟"

"بالضبط؟ انقضى على الأمر وقت طويل و ..."

"سيدي البارون، إن كنت ترغب في الاستفادة القصوى من قدراتي فعليك أن تعطيني معلومات كافية، ألم يتم تسجيل هذه المحادثة؟"

اسود وجه البارون من الغضب: "أنت مثل پايتر! لا تعجبني هذه ال-..."

قال حواط: "لم يعد پايتر معك يا سيدي. وبالمناسبة، ما الذي حدث لپايتر؟"

قال البارون: "كان يسقط الكلفة، وزادت طلباته".

قال حواط: "أكدت لي أنك لا تهدر رجلاً مفيداً، فهل ستهدر قدراتي بتهديداتك ومراوغاتك؟ كنا نناقش ما قلته لكونت فينرنغ".

سيطر البارون على تعابير وجهه.

قال البارون: "لحظة"، وعاد بذاكرته للقاء الذي تم في قاعته الكبرى. أعانه على التذكر أن يتصور شكل مخروط الصّمت الذي وقفا فيه. أكمل: "هذا هو ما قلته بالتقريب: يعرف الإمبراطور أن بعض عمليات القتل جزء أساسي لتسيير الأعمال. وكنت أشير لخسائرنا في القوة العاملة. ثم قلت شيئاً عن التفكير في حل آخر للمشكلة الآرّاكسية، وقلت إن السجن الإمبراطوري يلهمني أن أحاكيه".

قال حواط بسرعة: "اللعنة! وماذا قال فينرنغ؟"

"عندها بدأ يستجوبني بشأنك".

عاد حواط بظهره للوراء وأغلق عينيه مفكراً، ثم قال: "هذا إذن ما جعلهم يبدؤون في التّدقيق في حال آرّاكس. طيب، ما حدث قد حدث"، وفتح عينيه. "لا شك أنهم نشروا جواسيسهم الآن في كل مكان على آرّاكس، عامان!"

"لا يمكن أن يكون اقتراحي البريء ..."

"لا يوجد شيء بريء في عيون الأباطرة! ماذا كانت تعليماتك لرابان؟"

"باختصار، قلت له أن يعلّم آرّاكس أن يخشانا".

هزّ حواط رأسه: "عندك الآن خياران يا بارون، بإمكانك أن تقتل كل السّكان المحليين، أن تبيدهم بالكامل، أو..."

"وأهدر قوة عاملة بأكملها؟"

"وهل تفضل أن يأتي الإمبراطور إلى هنا - ومعه من يمكنه استمالته من أسر النبلاء – ويجري عملية كشط لكوكب غيدي برايم بالكامل، وكأنه يقطينة مجوفة؟"

رمق البارون مِنتاته: "لن يجرؤ!"

"متأكد؟"

ارتعشت شفتا البارون: "وما البديل الذي تقترحه؟"

"تتخلى عن ابن أخيك العزيز... رابان".

"أتخلى ع..."، وقطع البارون كلامه، وحدّق في حواط.

"لا ترسل له المزيد من القوات، ولا إعانةً من أي نوع. ولا ترد على رسائله سوى بأن تقول أنك سمعت عن الطريقة الرّديئة التي أدار بها الأمور على آرّاكس، وإنك تنوي اتخاذ إجراءات تصحيحية في أقرب وقت ممكن، وسأرتب لأن تقع بعض رسائلك في يد جواسيس الإمبراطور".

"لكن ماذا عن السپايس، الأرباح، ال-..."

"طالبه بأرباحك البارونية، لكن انتبه للطريقة التي تصوغ بها طلباتك، ألزم رابان بأن يبعث لك بمقادير ثابتة، يمكننا أن..."

قلب البارون راحتي يديه للأعلى وقال: "لكن كيف أتيقن من أن ابن أخي الماكر لن..."

"سيظل لنا جواسيس على آرّاكس، قل لرابان إما أن ينجح في تحقيق أنصبة السپايس التي تحددها

له أو سيتم استبداله".

قال البارون: "أعرف طبع ابن أخي، سيجعله هذا يزيد في اضطهاد السكان".

قال حواط بحدة: "بالطبع! ليس من مصلحتك أن يتوقف هذا الآن! المراد هو أن تكون يداك نظيفتين، دع رابان يصنع لك سالوسا سيكوندس خاص بك. بل ولا حاجة لأن ترسل له سجناء، فعنده ما يحتاجه من سكان، ما دام رابان يضغط على شعبه بهدف تلبية حصص السپايس التي تطلبها فلن يشك الإمبراطور في وجود دوافع أخرى. يكفي هذا الدافع لتبرير تعذيب سكان الكوكب. أما أنت يا بارون فعليك ألا تكشف - لا بالأقوال ولا بالأفعال - وجود أسباب أخرى".

لم يستطع البارون إخفاء نبرة الإعجاب الخبيثة من صوته: "آه يا حواط، إنك لداهية. السؤال الآن، كيف ننتقل لآرِّاكس ونستعمل ما أعده رابان لنا؟"

"هذا من أبسط ما يكون يا بارون، إن جعلت الحصة السنوية أعلى قليلاً من حصة السنة السابقة فستصل الأمور في النهاية إلى أزمة. سينخفض الإنتاج، بإمكانك ساعتها تنحية رابان وتتولى الحكم بنفسك... كي تصلح الفوضى".

قال البارون: "منطقي، لكني أشعر بالسأم من كل هذا. أنا أعد شخصاً آخر ليتولى آرِّاكس بدلاً مني".

تأمل حواط الوجه السّمين، ثم أومأ برأسه. "فايد راوثا، هذا إذن هو سبب الاضطهاد الحالي. أنت أيضاً داهية يا بارون. ربما يمكننا دمج هاتين الخطتين، أجل. يمكن لفايد راوثا أن يذهب لآرِّاكس بصفته منقذهم، يمكنه أن يكسب قلوب الشّعب، أجل".

ابتسم البارون، ومن وراء ابتسامته كان يسأل نفسه:

أدرك حواط أنه يراد منه الانصراف، فنهض وترك الحجرة ذات الجدران الحمراء. لم يستطع تناسي العوامل المجهولة المقلقة التي تتسلل لكل حسبة عقلية متعلقة بآرِّاكس، هذا الزعيم الديني الجديد الذي لمّح له جيرني هاليك من موقع اختبائه بين المهرّبين... هذا المؤدّب.

وفكّر في تقارير هاليك عن تكتيكات الفريمن في المعارك، كانت تفوح منها رائحة هاليك نفسه، وآيداهو، بل وحواط أيضاً.

لكنه كان سؤالاً بلا طائل. لم يسأل نفسه بعد عن احتمالية نجاة پاول، فهو يعرف أن البارون مقتنع تماماً أن كل آل آتريديز قد ماتوا. واعترف البارون أن الساحرة بني-جيزيرِتية كانت سلاحه، وهذا يعني فناء الجميع ... حتى ابن المرأة نفسه.

40

"يكمن في كلّ الأشياء نمط، وهو جزء من كوننا، هذا النّمط فيه تناسق وأناقة وجمال رشيق - تلك الصّفات التي ستجدها دائماً فيما يصوره الفنّان الحقيقي. يمكن أن تراه في دورة الفصول، في انزلاق الرّمال على سلسلةٍ صخرية، في تجمعات أغصان الشجيرة الزّيتية أو في نمط توزيع أوراقها، ونحن نحاول محاكاة هذه الأنماط في حياتنا ومجتمعاتنا، ساعين لتحقيق الإيقاعات والرّقصات والأشكال التي تريحنا. لكن في عثورنا على الكمال النهائي خطر جسيم، فالنّمط تام الكمال يتصف أيضاً بالثّبات، وفي ظل هذا الكمال ستتحرك كل الأشياء نحو الموت".

من كتاب (أقوال المؤدّب المجمعة)، تأليف الأميرة إيرولان

تذكّر پاول-مؤدّب وجبة مفعمة بجوهر السپايس. تعلق بهذه الذكرى لأنها نقطة ثابتة يمكنه من خلالها إخبار نفسه أن ما يشعر به الآن هو حلمٌ بالتأكيد.

لكنه لم يستطع الفرار من خوفه من أنه سبق نفسه. فقد موقعه الزّمني، بحيث امتزج الماضي والمستقبل والحاضر دون تمييز، كان إنهاكاً بصرياً، ويعرف أن السّبب هو اضطراره المستمر ليصبح المستقبل الاستبصاري نوعاً من الذّكريات، والتي هي بطبيعتها من صفات الماضي.

إلا أن تشاني كانت في مكانٍ بعيدٍ في الجنوب، في الإقليم البارد بشمسه الحارّة، حيث تم تهريبها سراً لأحد حصون السيآتشات الجديدة، آمنة مع ابنهما ليتو الثاني.

أم أن هذا شيء سيحدث في المستقبل؟

طمأن نفسه: لا، لأن أخته عاليه - الملقبة بالغريبة - ذهبت إلى هناك مع والدته وتشاني، رحلة للجنوب تقدر مسافتها بعشرين دقّاق قطعوها في هودج السّيدة الموقرة الذي يتم تثبيته على ظهر دودة صانع برية.

ثم أشاح بذهنه عن فكرة امتطاء الديدان الضخمة، سائلاً نفسه:

تذكّر:

أم أن هذا شيء سيحدث فيما بعد؟

وبينما هو لا يزال في حالة الأحلام هذه تذكر أن هارا، زوجة جامِس، دخلت عليه مرة لتخبره أن مشاجرة نشبت في رواق السيآتش. كان هذا في السيآتش المؤقت، قبل أن يتم إرسال النساء والأطفال لعمق الجنوب، وقفت هارا يومها عند باب الحجرة الداخلية، وخصلات شعرها الأسود مربوطة للخلف بسلسلة من حلقات العملات المائية. كانت قد أزاحت ستائر الحجرة جانباً وأخبرته أن تشاني قتلت شخصاً.

تذكّر پاول أنه أسرع ساعتها مندفعاً للخارج فوجد تشاني واقفةً تحت كرات إنارة الرّواق الصّفراء، مكسوّة بثوبٍ أزرق برّاق ملفوفاً حول جسدها، وقلنسوتها ملقاة للخلف، وملامحها الفاتنة متوهجة من أثر الجهد المبذول. كانت تعيد سكينها الكريسنايف لغمده، بينما أسرع جمع من الناس عبر

الرّواق مبتعدين، حاملين شيئاً.

وتذكر پاول أفكاره حينها: .

التفتت تشاني نحوه فتحركت حلقاتها المائية - والتي يتم ارتداؤها علناً داخل السيآتش في حبل محيط برقبتها – فأصدرت رنيناً.

قال: "تشاني، ما هذا؟"

"تخلصت من شخص جاء ليتحداك في نزال يا أصول".

"قتلتيه؟"

"أجل، لكن ربما كان من الأفضل أن أتركه لهارا".

وتذكر پاول إعجاب الوجوه التي تحيط به بهذه الكلمات، حتى هارا نفسها ضحكت.

"لكنه جاء ليتحداني أنا!"

"لقد دربتني بنفسك على أساليب القتال العجائبية يا أصول".

"بالطبع! لكن يجب ألا ت-..."

"ولدتُ في الصحراء يا أصول، أعرف جيداً كيف أستخدم الكريسْنايف".

كتم غضبه وحاول أن يكلمها بالمنطق: "حتى لو كان هذا صحيحاً يا تشاني فلا ي-..."

"لم أعد طفلة من الأطفال الذين يصطادون العقارب في السيآتش على ضوء كرات الإنارة اليدوية يا أصول. ما أفعله ليس ألعاباً عابثة"

حدّق پاول فيها، مشدوها بالشّراسة الغريبة التي تختفي خلف أسلوب كلامها العفوي.

قالت تشاني: "لم يكن جديراً باهتمامك يا أصول. ما كنت لأزعجك من تأملاتك بسبب شخص مثله"، ثم اقتربت، ناظرة له من طرف عينيها، وقد خفضت صوتها كي لا يسمعها غيره: "و - يا حبيبي - عندما يعلمون أن من يتحداك قد يواجهني أنا ويصيبه موت مخزٍ على يد امرأة المؤدّب سيتقلص عدد من يتحدونك".

. . .

في مكان ما، خارج عالم الأحلام، صدرت حركةٌ خفيفة، وصيحة طائر ليلي، طمأن پاول نفسه:

. .

وعلى الرّغم من ذلك كان يشعر بشيء من الهجر، وتساءل إن كان من الممكن أن روحه -ruh spirit قد انسلّت بعض الشيء إلى العالم الذي يعتقد الفريمن أنه عالم وجوده الحقيقي... عالَم المِثال alam al-mithal، عالم الصّور الذهنية، ذلك العالم الميتافيزيقي الذي تُزال فيه كل الحدود المادية، أثارت خوفه فكرة وجود عالم كهذا، لأن إزالة كل الحدود تعني إزالة كل نقاط الارتكاز المرجعية.

ففي عالم تضاريسه أسطورية ليس بإمكانه ضبط بوصلته ليقول: هذا أنا لأنني هنا.

أخبرته والدته مرة: "يختلف القوم في نظرتهم لك".

. فهذا أمر قد حصل بالفعل، هذه الكلمات الصادرة من والدته، الليدي جيسيكا التي أصبحت الآن سيدة الفريمن الموقرة، هذه الكلمات مرّت عبر الواقع فعلاً.

كان پاول يعلم أن جيسيكا تخشى من العلاقة الدّينية بينه وبين الفريمن. لم يعجبها أن سكان السيآتش والوادي يتكلمون عن المؤدّب وكأنه إله، فذهبت تستقصي الأمر بين القبائل، باعثةً جواسيسها السيّادينا، ليجمعن ما يجدنه من إجابات، وتقوم هي بالتدبر فيها.

استشهدت له بحكمة بني-جيزيرِتية: "عندما يجتمع الدين والسياسة في نفس العربة يعتقد الرّكاب ألا شيء يمكن لهأن يقف في طريقهم، تصبح حركتهم متهورة، أسرع وأسرع وأسرع. يزيحون عن أذهانهم فكرة العقبات وينسون أن حافة الجرف النهائية لا تظهر للرجل المنطلق بسرعة هوجاء إلا بعد فوات الأوان".

تذكر پاول أنه جلس في حجرات أمه، في الغرفة الداخلية المغطاة بستائر قاتمة تغطي سطحها تصاميم منسوجة مستوحاة من ميثولوجيا الفريمن. جلس يستمع لكلامها للنهاية، ملاحظا الطريقة التي كانت تراقب بها الأشياء باستمرار، حتى عندما تكون عيناها منخفضتين.

وجهها البيضاوي بدت على جانبي فمه خطوط لم تكن موجودة من قبل، لكن بقي شعرها برونزياً لامعاً، أما العينان الخضراوان المتسعتان فقد اختفتا تحت غلالة مصبوغة بزرقة السپايس.

قال: "ديانة الفريمن بسيطة وعملية".

قالت محذرة: "لا بساطة في الأديان".

لكن پاول – وبسبب رؤيته لمستقبل ضبابي لا يزال مخيماً عليه - وجد الغضب يسيطر عليه. لم يستطع أن يقول سوى: "إن الدين يوحد قواتنا، إنه قوتنا الخفية الغامضة".

قالت في اتهام: "أنت تجمع حول نفسك هذه الهالة عن عمد... ولا تتوقف عن ترسيخ هذه العقائد".

قال: "هكذا علمتني أنت نفسك".

لكنها في ذلك اليوم كانت ممتلئة بالاعتراضات والجدال. كان ذلك يوم الاحتفال بختان ليتو الصغير، وتفهم پاول بعض أسباب انزعاجها. إنها لم تتقبل أبداً علاقته بتشاني، علاقة 'زواج الصغار' كما كانت تسميها. لكن تشاني أنجبت ابناً آتريديا، ووجدت جيسيكا نفسها عاجزة عن رفض الطفل كما ترفض الأم.

استجابت جيسيكا أخيراً تحت وطأة نظراته وقالت: "تظنني أما غير طبيعية".

"بالطبع لا".

"أرى الطريقة التي تراقبني بها وأنا مع أختك، أنت لا تفهم وضع أختك".

قال: "أعرف سبب اختلاف عاليه، كانت جنينا وجزءاً منك عندما قمتِ بتغيير ماء الحياة، إنها..."

"أنت جاهل!"

وجد پاول نفسه عاجزاً عن التعبير عما وصله من معرفة من خارج المسار الزمني، فلم يزد على أن قال: "لا أظنك غير طبيعية".

رأت قلقه فقالت: "هناك أمر آخر يا بني".

"أجل؟"

"إني أحب امرأتك تشاني، وأقبَلها".

هذا موقف حقيقي. ليس جزءا من الرؤى القاصرة والتي يمكن أن تتغير عندما تولد في الزمن.

هذه المعلومة الواثقة أعانته على تثبيت موضع قدمه في هذا العالم، وعبرت أجزاء من الواقع المادي حاجز الحلم لتصل إلى إدراكه.

علم أنه في مخيم صحراوي مؤقت، كانت تشاني قد ثبتت خيمة التقطير على رمل دقيق، لنعومته. معنى هذا أن تشاني قريبة. تشاني، روحه، سِهايته، الحلوة كربيع الصحراء، قد حضرت من مزارع النخيل في عمق الجنوب.

والآن تذكر إنها غنت له أنشودة صحراوية عندما حل وقت النوم:

"يا روحي

لا تتذوقي الفردوس الليلة

وأقسم لكِ بـ شاي-هولود

أنك ستذهبين إلى هناك

طائعة لحبي".

وأنشدته أيضاً أغنية السير التي يتشاركها الأحبة على الرمال، والتي لها إيقاع يشبه مقاومة الكثبان الرملية لحركة الأقدام:

"أخبرني عن عينيك

سأخبرك عن قلبك

أخبرني عن قدميك

وسأخبرك عن يديك

أخبرني عن نومك

وسأخبرك عن سيرك

أخبرني عن رغباتك

وسأخبرك عن احتياجاتك".

سمع شخصاً يعزف آلة موسيقية في خيمة أخرى، فخطر له جيرني هاليك. الآلة المألوفة ذكرته بجيرني الذي كان قد لمح وجهه ضمن عصبة من المهربين دون أن يراه هو. جيرني الذي لا يمكن أن يسمح له برؤيته أو معرفة أمره كي لا يؤدي هذا - دون قصد - إلى وصول الهاركونِن لابن الدّوق الذي قتلوه.

لكن أسلوب عازف الليل، والحركة المميزة للأصابع على أوتار آلة القانون، استدعت صاحبها لذاكرة پاول. كان تشات الواثب، قائد الفدائيين، كبير مغاوير الموت الذين يحرسون المؤدّب.

تذكر پاول: . . .

أحسّ الآن بمسدس المولا على حزامه، وبالكريسْنايف، وبالصّمت المحيط به. كان ذاك الصّمت المميز السابق للصباح، عندما تكون طيور الليل قد رحلت ولم تستيقظ كائنات النّهار بعد فينتبه لها عدوها، الشّمس.

قال له ستيلغار: "يجب أن تركب الرّمال في ضوء النهار كي يراك شاي-هولود ويعلم بأنك لست

خائفاً. ولهذا نقلب ساعات يومنا رأساً على عقب وننام هذه الليلة".

نهض پاول ببطء، شاعراً ببذلة التقطير مرتخية على جسده، وحولها خيمة التقطير المظلمة. تحرّك برفق، إلا أن تشاني سمعته.

تحدث ظلها في ظلمة الخيمة: "لم يكتمل طلوع النهار بعد يا حبيبي".

قال: "سِهايا"، بصوت نصف ضاحك.

قالت: "تدعوني ربيعك الصّحراوي، لكني اليوم المهماز الذي ينخسك، أنا السيّادينا التي ستحرص على مراعاة الطقوس".

بدأ يحكم غلق بذلة تقطيره، وقال: "أخبرتني مرة بكلمات من كتاب العِبَر. قلتِ لي: المرأة حقلك، فاذهب لحقلك واحرثه".

أجابته موافقة على كلامه: "إني أم ابنك البكر".

وفي الظلمة الرّمادية رأى حركاتها تطابق حركاته، تحكم إغلاق بذلة تقطيرها استعداداً للخروج للصحراء. قالت: "يجب أن تنال كفايتك من الراحة".

أدرك أن حبها له يدفعها لهذا الكلام، فوبخها برفق: "لا يليق بالسيّادينا المسؤولة عن المراقبة أن تنصح المرشح الممتحَن ولا أن تحذره".

اقتربت منه ومست وجنته براحة يدها: "اليوم أنا المراقِبة والمرأة في الوقت ذاته".

قال: "كان عليك ترك هذه المهمة لشخص آخر".

قالت: "لا أطيق الانتظار، أفضّل أن أكون بجانبك".

قبّل راحة يدها قبل أن يحكم وضع كمامة بذلة التقطير، ثم استدار وشقّ قفل الخيمة. دخل عليهما هواء معه البرودة التي لم تجف تمام الجفاف والتي ستنتج عن قطرات الندى عند الفجر. وصاحبت الهواء رائحة كتلة السپايس الأوّلي، الكتلة التي لاحظوا وجودها ناحية الشمال الشرقي، والتي أعلمتهم بوجود دودة صانع بمكان قريب.

زحف پاول عبر فتحة القفل العاصر ووقف على الرّمال ثم تمطى لينفض النوم عن عضلاته. ارتسم على الأفق الشّرقي وهج لؤلؤي أخضر باهت، وفي الظلمة من حوله بدت خيام فرقته ككثبان صغيرة مزيفة. لمح حركة على اليسار - حرسه، وعرف أنهم رأوه. كانوا يدركون الخطر الذي سيواجهه اليوم. الخطر الذي واجهه كل فريمني من قبل، وفي هذه اللحظات الأخيرة منحوه بعض العزلة ليهيئ نفسه.

.

فكّر في القوة التي يملكها للتّصدي للمذابح، في الشيوخ الذين أرسلوا له أبناءهم ليدربهم على طريقة القتال العجائبية، وفي الشيوخ الذين أصبحوا الآن يصغون لرأيه في المجالس الاستشارية ويتبعون خططه، وفي الرّجال الذين يعودون ليقدموا له أقصى إطراء يمكن أن يقوله الفريمني: "خطتك نجحت يا مؤدّب".

ومع ذلك كله، فإن أقل محارب فريمني في المكانة والحجم باستطاعته القيام بشيء لم يفعله هو أبداً، وعلم پاول أن مكانته كقائد تتأثر بمعرفتهم الدائمة باختلافه هذا عنهم.

فهو لم يمتطي الصانع بعد.

بالطبع سبق له أن ركب مع الآخرين في رحلات تدريبية وغارات، لكنه لم يقم برحلته الخاصة، وإلى أن يحقق هذا سيظل عالمه محدوداً بقدرات الآخرين. لا يمكن لفريمني حقيقي أن يسمح لنفسه بذلك، وإلى أن يحققه بنفسه فإن المناطق الجنوبية الشاسعة - التي تبعد عن منطقة العِرق رحلة قدرها عشرين دقاق تقريباً - كانت بعيدة المنال، إلا إذا طلب تركيب محفة وقطعها وكأنه سيدة موقرة أو أحد المرضى والجرحى.

عادت له ذكرى صراعه مع وعيه الداخلي أثناء الليل، ورأى في الأمرين تناظراً عجيباً، فإن أخضع دودة الصانع وتحكم بها فإن حُكمه سيقوى، وإن سيطر على عينه الداخلية فسيجلب له هذا أيضاً قدراً من القوة، لكن فيما وراء الإثنين تقع منطقة ضبابية، الجزع العظيم والذي يبدو أن الكون كله متورط فيه.

هذه الاختلافات التي يدرك بها الكون، كانت مصدر أرق له، أن تتماثل نسبة الدقة مع نسبة عدم الدقة. كان يراها وهي في موضعها، لكن عندما تولد - عندما تتعرض لضغط الواقع - تصبح للحاضر دورة حياة خاصة وتنمو باختلافاتها الدقيقة. ظلت الغاية الرهيبة كما هي، ووعي الجنس البشري كما هو، وفوق كل شيء خيّم الجهاد، دموياً وشرساً.

انضمت له تشاني خارج الخيمة، ضامة مرفقيها إلى صدرها، ناظرة له من طرف عين كما تفعل عندما تريد جسّ حالته المزاجية.

قالت: "أخبرني من جديد عن مياه موطنك يا أصول".

أدرك أنها تريد إلهاءه، وأن تهدئ ذهنه من التوتر قبل الاختبار المميت. كانت السّماء تزداد إضاءة ولاحظ شروع بعض فدائييه في نقض خيامهم.

قال: "أفضل أن تخبريني أنت عن السيآتش وعن ابننا، هل صار ابننا يلف أمي حول اصبعه؟"

قالت: "بل وعاليه أيضاً، ويكبر بسرعة، سيصبح رجلاً ضخماً".

قال: "ما هو الحال في الجنوب؟"

قالت: "عندما تركب الصانع سترى بنفسك".

"لكني أرغب في رؤيته أولاً من خلال عينيكِ".

قالت: "موحش جداً".

لمس وشاح النيجوني (الذي ترتديه الأمهات فقط) المحيط بجبهتها والذي برزت منه قطعة من تحت غطاء رأس بذلة التقطير. "لماذا لا تتحدثين عن السيآتش؟"

"بل تحدثت عنه، نشعر بالوحدة في السيآتش دون رجالنا. إنه مكان عمل، نعمل جاهدات في الورش وحجرات الإنبات، هناك أسلحة يجب أن تُصنع، سواري يجب أن تُغرز كي نتنبأ بالطقس، سپايس يجب جمعه لأجل الرّشاوي. هناك كثباناً يجب زرعها لتنمو وتثبت في مكانها، هناك أقمشة وبُسُط يجب صنعها، وبطاريات وقود يجب شحنها. وهناك أطفالاً يجب تدريبهم كي لا تفقد القبيلة قوتها أبداً".

قال: "ألا يوجد بالسيآتش أشياء لطيفة؟"

"الأطفال لطفاء، ونقيم الشعائر. وعندنا ما يكفينا من الطعام، وأحياناً تأتي إحدانا للشمال لترافق زوجها، يجب للحياة أن تستمر".

"وأختي، عاليه... هل تقبلها الناس؟"

التفتت تشاني إليه في ضوء الفجر المتزايد: "فلنناقش هذا في وقت لاحق يا حبيبي".

"لنناقشه الآن".

قالت: "عليك أن توفر طاقتك للاختبار".

رأى أنه لمس موضوعاً حساساً، وسمع في صوتها الانسحاب، قال: "يجلب المجهول مخاوفه الخاصة".

أومأت بعد فترة وقالت: "لا يزال هناك... سوء فهم، بسبب غرابة عاليه. النساء خائفات لأن طفلة لا تكبر كثيراً عن الأطفال الرضع تتكلم، تتكلم عن أشياء لا يمكن أن يعلمها سوى البالغين، إنهن لا يفهمن ال-... التغيير الذي حدث في الرّحم، والذي جعل عاليه... مختلفة".

قال: "هل حدثت مشكلة".

نظرت تشاني لهالة الشّمس المتزايدة: "اجتمعت بعض النسوة ليقدمن طلب للسّيدة الموقرة. طلبوا منها أن تخرج الشيطان الذي في ابنتها، واستشهدن بكلمات النصوص المقدسة: لا تدع ساحرة تحيا بيننا".

"وبم أجابتهم أمي؟"

"تلت على النسوة القانون، وأرسلتهن من عندها في خزي. قالت: 'إن كانت عاليه تثير المشاكل فهذا خطأ السلطة التي لم تستشرف المشاكل ولم تمنع حدوثها'. وحاولت أن تشرح التغيير الذي أصاب عاليه وهي في الرحم، لكن الحرج الذي أصاب النسوة غمرهن بالغضب، ورحلن متذمرات".

هبّت عليه حبات رمال كريستالية فمسّت الأجزاء المكشوفة من وجهه، جالبة معها رائحة كتلة السپايس الأوّلي. "إنه السيّال El Sayal، مطر الرمال الذي يجلب معه الصباح".

مدّ بصره في تضاريس الصّحراء الرمادية، تلك التضاريس التي ما عادت تستحق شفقة، الرّمال الغارقة في ذاتها، في ركنٍ مظلم نحو الجنوب شقّ الظلام برق جاف، علامة على عاصفة تراكمت شحناتها الاستاتيكية، وبعدً هذا بفترة تردد هدير الرّعد.

فقالت تشاني: "إنه الصوت الذي يجمّل الأرض".

خرج المزيد من رجاله من خيامهم، واقترب الحرس من حواف المنطقة. تحرك كل ما حوله بسلاسة تبعاً للروتين القديم الذي لا يحتاج إصدار أوامر.

كان أبوه قد أخبره مرة، منذ زمن بعيد: "اقتصد في الأوامر قدر الإمكان، فما أن تصدر أمراً بشأن موضوع ما ستضطر دائماً فيما بعد لإصدار الأوامر بشأنه".

يعرف الفريمن هذه القاعدة فطرياً.

بدأ حافظ المياه التابع للمجموعة أنشودته الصباحية، مضيفاً إليها نداء طقس تحويل شخص لراكب رمال للمرة الأولى.

قال الرجل بصوت منغوم تردد حزيناً عبر الكثبان: "ما الدنيا سوى جيفة، من يقدر على إبعاد ملَك الموت؟ ما قدّره شاي-هولود سيكون لا محالة".

أصغى پاول، فهي الكلمات ذاتها التي تفتتح أنشودة الموت عند فدائيوه، الكلمات التي يتلوها مغاوير الموت عندما يدفعون بأنفسهم في قلب المعركة.

كان يعلم إن هذا أحد المسارات المتاحة اليوم، حقيقة ضمن خطوط مستقبلية تشع متفرعة من هذا الموقع في الزمكان. أرّقته الرؤيا الناقصة، فكلما قاوم غايته الرّهيبة واجتهد ضد وقوع الجهاد ازداد الاضطراب المنسوج في قدرته الاستبصارية، مستقبله كله بدأ يشبه النّهر المندفع نحو هاوية، مفترق الطرق العنيف الذي يبدو ما وراءه ضبابياً وغائماً.

قالت تشاني: "ستيلغار يقترب، عليّ أن أتنحى الآن يا حبيبي، ينبغي الآن أن أكون سيّادينا وأن أراقب الطقس لكي يتم توثيقه في سجلات تاريخنا". رفعت بصرها إليه، وللحظة قصيرة كادت تفقد وقارها المتحفظ، ثم استعادت سيطرتها على نفسها، قالت: "عندما ينتهي كل هذا سأعد لك فطورك بيدي"، ثم ابتعدت.

اقترب ستيلغار عابراً الرّمل الناعم، مثيراً بركاً غباريَّة صغيرة. تعلّقت عيناه الغائرتان الداكنتان بپاول، بنظرته الثاقبة. برزت أجزاء من لحيته السوداء فوق قناع بذلة التقطير، وخطوط الوجنة الحادة، فكادت - لسكونها - تكون صخوراً طبيعية نحتتها الرّياح.

حمل الرّجل راية پاول على سارية، الرّاية الخضراء والسّوداء، يخرج من ساريتها أنبوب ماء، والتي اكتسبت شهرة أسطورية في البلاد. وفي شيء من الفخر فكّر پاول:

. . . .

غرس ستيلغار السّارية في الرّمال قرب پاول. ظلت العينان تامتا الزّرقة ثابتتين مصممتين. وخطر لپاول أن عينيه هو بدأت تصطبغ بهذا اللون بفعل السپايس.

قال ستيلغار في جلال طقوسي: "لقد منعونا من الحج".

ردّ پاول كما علمته تشاني: "من يستطيع منع الفريمني حقه في السير أو الركوب حيث شاء؟"

قال ستيلغار: "أنا نائب Naib، لن يأسروني حياً أبداً، أنا أحد أثافي الموت الثلاثة التي ستدمر أعداءنا".

خيم الصّمت عليهما.

ألقى پاول نظرة على باقي الفريمن المنتشرين على الرّمال خلف ستيلغار، ورأى الطريقة التي وقفوا فيها بلا حراك خلال لحظة الصلاة الشخصية هذه، وخطر له أن الفريمن قوم تقوم حياتهم على القتل، شعب كامل عاش محملاً بالغضب والأسى طوال حياتهم، ولم يفكروا أبداً فيما قد يحل محل هذين الشيئين، إلا الحلم الذي زرعه لييّت-كاينز فيهم قبل موته.

قال ستيلغار: "أين الرّب الذي سار بنا في أرض قِفار وحُفَر؟"

قال الفريمن مرتلين: "دائما معنا".

شدّ ستيلغار كتفيه وخطا مقترباً من پاول وقال بصوت منخفض: "والآن تذكر ما قلته لك. تبنى البساطة، ولا تحاول الاستعراض، نحن نركب الصانع في سن الثانية عشر. أنت أكبر بستة أعوام، ولم تنشأ معتاداً أساليب حياتنا، لستَ مضطراً لإثارة إعجاب الناس بشجاعتك، فنحن نعلم أنك شجاع. كل ما عليك فعله هو استدعاء الصانع وامتطائه".

قال پاول: "سأتذكر".

"نعم، فلن أقبل بأن تجلب العار لتعليمي".

وأخرج ستيلغار من ثوبه عصا بلاستيكية طولها حوالي المتر. كان طرفها مدبباً، وفي الطرف الآخر ضاغط محاط بزنبرك: "أعددت هذا الدقاق بنفسي، إنه جيد، خذه".

تناولها پاول وأحس بنعومة البلاستيك الدافئة.

قال ستيلغار: "شيشاكلي يحمل معه الخطافان، سيناولهما لك عندما تطأ الكثيب هناك"، وأشار لليمين: "استدع صانعا كبيراً يا أصول، أرشدنا للطريق".

سمع پاول نبرة ستيلغار، نصفها أداء طقسي ونصفها قلق صديق.

وكأن الشّمس وثبت فوق خط الأفق في تلك اللحظة، اتخذت السماء لوناً أزرقَ فضياً، مشيراً إلى يوم شديد الحرارة والجفاف، حتى بمعايير آرّاكس المعتادة.

قال ستيلغار: "إنّه وقت النّهار الحارق"، وصارت نبرته الآن طقوسية خالصة، "امض يا أصول، واركب الصانع، سافر في الرّمال كقائدٍ للرّجال".

أدّى پاول التّحية لرايته، ملاحظاً ارتخاء العلم الأخضر والأسود مع موت رياح الفجر، استدار ناظراً للكثيب الذي أشار له ستيلغار، منحدر بصفرة متسخة. كان أغلب أفراد الفرقة قد بدؤوا يتحركون في الاتجاه المضاد، متسلقين الكثيب الآخر الذي آوى معسكرهم.

بقي في طريق پاول شخص واحد يرتدي ثوباً: شيشاكلي، قائد فرقة من فرق الفدائيين. لم يظهر منه - بين رأس البذلة والقناع - سوى عينين لهما أجفان منحدرة.

اقترب منه پاول فقدم له شيشاكلي عمودين رفيعين يشبهان السّوط. كان طولهما حوالي المتر ونصف، بغطاء براق من صلب البلاستيل في أحد الطرفين وخشن في الطرف الآخر ليسهل القبض عليه بإحكام.

تناولهما پاول بيده اليسرى كما يتطلب الطقس.

قال شيشاكلي في صوت مبحوح: "إنهما خطافاي الشّخصيان، لم يفشلا أبداً".

أومأ پاول، ملتزماً بالصّمت الضروري، وتحرك تاركاً الرجل، صاعداً الكثيب المنحدر. عند القمّة نظر للخلف فرأى المجموعة متفرقة كسرب حشرات، وأثوابهم تخفق. وقف وحيداً على القمة الرّملية وليس أمامه سوى الأفق - أفق المنبسط عديم الحركة، اختار ستيلغار كثيباً جيداً، يفوق في ارتفاعه ما حوله من كثبان فيسمح بمجال رؤية أوسع.

انحنى پاول وغرز الدّقاق بعمق في وجه الكثيب المواجه للرّياح، حيث تكون الرّمال مضغوطةً وتنشر طرقاته بأقصى درجة، ثم تردد، مستعيداً الدّروس، مراجعاً ما يواجهه من ضرورات الحياة والموت.

عندما ينزل المزلاج ستبدأ دقات الاستدعاء، وعبر الرّمال ستسمعه دودة عملاقة، صانع، وستأتي لموضع الدّق. وكان پاول يعلم أن باستخدام القضبان الخطافية التي تشبه السوط بإمكانه أن يعلو ظهر الصانع المقوس. عندما يفتح الخطاف قطعة أمامية من حلقات جسد الدودة سيدخل الرّمل الخشن للأجزاء الحساسة الداخلية، ولن يتراجع المخلوق غائصاً تحت الصحراء. بل سيلتف بجسده العملاق ليبعد الجزء المفتوح عن سطح الصحراء قدر الإمكان.

.

نظر إلى الخطافين في يده اليسرى. ما عليه سوى إدخال هذين الخطافين تحت طيّة من طيّات جسد الصانع الهائل فيجعل المخلوق يلف ويميل، مرشداً إياه حيثما شاء. رآهم يفعلونها من قبل. وساعدوه على صعود جانب دودة ليركب لمسافة قصيرة أثناء التدريب.

يمكن امتطاء الدّودة المأسورة إلى أن تقبع منهكة وساكنة على سطح الصحراء، ثم يجب ساعتها استدعاء دودة جديدة.

كان پاول يعلم أن فور اجتيازه لهذا الاختبار سيصبح مؤهلاً للقيام برحلة العشرين دقاقٍ إلى المناطق الجنوبية، كي يستريح ويستعيد قواه. إلى الجنوب حيث تم إخفاء النساء والأسر - بعيداً عن المذابح المنظمة - بين مزارع النخيل والسيآتشات المكتظة بالسكان.

رفع رأسه ونظر للجنوب، مذكراً نفسه أن الصّانع الذي يتم استدعاؤه من برية العِرق كان كماً مجهولاً في هذه الحسبة، كما أن المستدعي كانت قدرته على اجتياز هذا الاختبار مجهولة أيضاً.

شرحها له ستيلغار: "عليك أن تقيس الصانع المقترب بدقة، فتقف قريباً بما يكفي لأن تمتطيه لكن ليس أقرب من اللازم بحيث يجتاحك".

وبقرار مفاجئ أنزل پاول مزلاج الدّقاق. وبدأ الضاغط يدور حول نفسه وترددت دقات الاستدعاء عبر الرّمال، إيقاع رتيب: "طم... طم... طم..."

اعتدل واقفاً، ماسحاً الأفق ببصره، متذكراً كلمات ستيلغار: "تدبر مسار الاقتراب. وتذكر، نادراً ما يقترب الصانع من الدّقاق في الخفاء. ومع ذلك، عليك أن تصغي لقدومه، وستسمعه قبل أن تراه".

وملأت ذهنه تحذيرات تشاني، عندما كانت تهمس له ليلاً في غمرة خوفها عليه: "عندما تقف في مسار الصانع عليك أن تظل ساكناً تماماً. عليك أن تفكر وكأنك رقعة رمال، اختف تحت رداءك وتحول في ذاتك لكثيب صغير".

مسح الأفق ببطء، مصغياً، مراقباً العلامات التي تعلمها.

جاءت من الجنوب الشرقي، هسهسة بعيدة، همسة رمال. ولم يلبث أن رأى الحدود الخارجية لمسار المخلوق وفي خلفيته ضوء الفجر، وأدرك إنه لم يسبق أن رأى صانعاً بهذه الضخامة، ولم يسمع عن واحد بهذا الحجم. فاق طوله نصف الفرسخ، وارتفعت الموجة الرّملية على قمته كاقتراب جبل.

. أسرع معترضاً طريق الدّودة ليقف وقفته، منغمساً بالكامل في الحاجات الملحة لهذه اللّحظة.

41

"تحكّم في سكّ العملة وفي المحاكم، ودع الباقي للغوغاء. هذا هو ما نصحكم به الإمبراطور الپاديشي، ويقول لكم: 'إن أردت الأرباح فعليك بالحكم'. هذه الكلمات فيها شيء من الصدق، لكني أسأل نفسي: من هم الغوغاء ومن هم المحكومين؟"

رسالة المؤدّب السرية لـ اللاندسراد، من كتاب (يقظة آرِّاكس)، تأليف الأميرة إيرولان

خطرت الفكرة تلقائياً في ذهن جيسيكا:

جلست جيسيكا في حجرة استراحتها، تقتنص لحظة هدوءٍ بين دروس اللّيلة. كانت حجرةً لطيفة، لكنها ليست كبيرة كحجرتها السّابقة في سيآتش طبر قبل هروبهم من حملات الإبادة. على كل حال يمتلك هذا المكان سجاد سميك على الأرض، ووسائد ناعمة، ومنضدة قهوة منخفضة في متناول اليد، وستائر متعددة الألوان معلقة على الجدران، وفوق رأسها كرات إنارة ذات ضوء أصفر هادئ. وتتخلل الحجرة تلك الرائحة القوية التي تميز سيآتشات الفريمن والتي بدأت ترتبط في عقلها بالإحساس بالأمان.

إلا إنها لن تتغلب أبداً على شعورها بأنها في مكان غريب عليها، والسبب هو شظف العيش الذي يحاول السجاد والستائر أن يخفيه.

بلغها صوت خافت لرن أجراسٍ ودق طبول وتصفيق، عرفت جيسيكا أنه احتفالٌ بمولود جديد، غالبا مولود سوبياي، فوقت ولادتها قد حان. سترى جيسيكا المولود بعد قليل، ملاكاً أزرق العينين يأتونٍ به لتباركه السّيدة الموقرة، كانت تعلم أيضاً أن ابنتها عاليه ستحضر الاحتفال وستقدم لها تقريراً عنه.

لم يحن بعد وقت صلاة الرّحيل الليلية، فمن المستبعد أن يبدؤوا احتفال ولادة في موعد قريب من وقت إقامة طقس مخصص لرثاء غارات الاسترقاق التي وقعت على كواكب بوريترِن وبيلا تيغيوس وروسّاك وهارمونحب.

تنهدت جيسيكا، أدركت أنها تحاول تجنّب التّفكير في ابنها وفي الأخطار التي يواجهها الآن - الشراك المحفورة في الأرض المفخخة بشصوص مسمومة، وغارات الهاركونِن (مع أنها بدأت تقل بعد أن زاد قنص الفريمن للطائرات والغزاة، باستخدام الأسلحة الجديدة التي دربهم عليها پاول)، والمخاطر الطبيعية في الصحراء: ديدان الصانع والعطش والأخاديد الغبارية.

خطر لها أن تطلب قهوة، ومع هذه الخاطرة فكرت في تلك المفارقة التي تكاد تلازمها دائماً عند النظر لأسلوب حياة الفريمن: أن مستوى حياتهم في كهوف السيآتشات جيد بالمقارنة بمن يسكن الوادي من عمال كادحين، ومع ذلك فإن ما يلاقونه من صعوبات في سفر الصحراء الواسعة يفوق كل ما يعانيه عبيد الهاركونِن.

انسلت يدٌ سمراء بين السّتائر المجاورة لها، ووضعت كوباً على المنضدة ثم انسحبت، تصاعدت من الكوب رائحة قهوة السپايس العطرة.

تناولت القهوة ورشفت منها مبتسمة:

.شربت الكوب

بأكمله، مستمتعةً بالطاقة والانتعاش الناتجين عن محتوياته الساخنة اللذيذة.

وهل في هذا الكون مجتمع يتمتع بهذا الاحترام الطبيعي لخصوصيتها وراحتها بحيث يقتحم المانح خلوتها بالقدر الذي يسمح له فقط بوضع الهدية دون أن يزعجها بشخصه؟ إن الاحترام والحب هما من أرسل الهدية، ومعهما قدر ضئيل من الخوف أيضاً.

عنصر آخر من عناصر الحادثة دفع بنفسه إلى وعيها: لقد فكرت في القهوة فظهرت، بالطبع هي تعلم أنها ليست نتيجة لتوارد الخواطر بل هو الطاو - ألفة مجتمع السيآتش، نتيجة لسم السيانيس الخفيف في طعامهم الذي يتشاركون فيه. هذا العدد البشري الهائل لا أمل له أبداً في الوصول إلى التنوير الذي منحه جوهر السيانيس لها، إذ لم يتم تدريبهم وتهيئتهم لهذا الأمر. فعقولهم تنكر ما يعجزون عن فهمه أو احتوائه. إلا أنهم أحيانا يشعرون ويتصرفون وكأنهم كائن واحد، ولا تطرأ في أذهانهم إطلاقاً فكرة المصادفة.

.

الانتظار.

إنها الوحشة، فلا يطيق المرء الانتظار سوى لفترة محدودة، ثم تتغلب عليه وحشة الانتظار، وحياتهم مليئة بأنواع كثيرة من الانتظار.

Mudir Nahya .

"أيتها السيدة الموقرة؟" كان الصوت القادم من وراء ستائر بابها صوت هارا، المرأة الأخرى في بيت پاول.

"نعم يا هارا".

انزاحت الستائر وانسلت هارا بينها بسلاسة، كانت ترتدي خفاً مناسباً للسيآتش، وثوباً أحمر أصفر يكشف ذراعيها حتى الكتفين تقريباً. كان شعرها الأسود مفروقاً في المنتصف ومشدوداً للخلف وكأنه جناحاً حشرة، أملساً وزيتياً. وارتسم عبوس شديد على ملامح الوجه البارزة.

ومن خلف هارا جاءت عاليه، طفلة عمرها عامين تقريباً.

وكعادتها كلما وقع بصر جيسيكا على عاليه لم تملك نفسها من التركيز على الشبه الكبير بپاول في مثل هذا العمر، نفس الوقار متسع العينين الفاحصتين، والشعر الأسود وصلابة الفم. مع فوارق دقيقة أيضاً، وهذه الفوارق هي ما كان يقلق أغلب الناس. كانت الطفلة - والتي بالكاد تعدت عمر الرّضاعة - تتصرف بهدوء ووعي يفوق سنوات عمرها، كان الكبار يندهشون عندما تضحك على الدّعابات اللفظية الخفية بين الجنسين. أو عندما يجدون أنفسهم يصغون لصوتها شبه المتلعثم - والذي لا يزال مبهماً قليلاً بسبب عدم نضج أعضائها الصوتية الطرية - ويكتشفون في كلماتها ملاحظات ماكرة يستحيل أن تصدر إلا عن خبرات لم تمرّ بها طفلة لا يتجاوز عمرها السنتين.

غاصت هارا في إحدى الوسائد بتنهيدة ساخطة، وعبست في وجه الطفلة.

أشارت جيسيكا لابنتها: "عاليه".

اتجهت الطفلة لوسادة بجوار أمها وجلست عليها وقبضت على يد أمها. أعاد هذا الاتصال الجسدي ذلك الوعي المشترك الذي اشتركتا فيه منذ ما قبل ولادة عاليه، لم يكن تشارك أفكار، على الرغم من أن هذا يحدث أحياناً بصورة مفاجئة إن تلامستا أثناء قيام جيسيكا بتغيير سم السيانيس لأحد الطقوس. بل كان شيئاً أكبر من هذا، وعي فوري بشعلة حياة أخرى، شيء حاد ومؤثر، تشارك وجداني عصبي جعلهما من الناحية العاطفية شخصا واحدا.

قالت جيسيكا بالطريقة الرّسمية اللائقة بأحد أفراد بيت ابنها: "صباح الخير Subakh ul kuhar يا هارا. بحال طيب هذه الليلة؟"

فقالت بنفس التحية الرسمية: "صباح النور Subakh un nar. أنا بخير"، وخلت كلماتها من النبرة الطبيعية. ثم تنهدت من جديد.

أحست جيسيكا أن عاليه مستمتعة بما يحدث.

قالت عاليه بصوتها الذي به شبه لثغة: "غنيمة ghanima أخي غاضبة مني".

لاحظت جيسيكا المصطلح الذي استخدمته عاليه لوصف هارا - غنيمة. في الاختلافات الطفيفة في لغة الفريمن تعني الكلمة 'شيئا حصل الشخص عليه في معركة'، مع معنى مضاف يشير إلى أن الشيء لم يعد يستخدم لغرضه الأصلي، بل صار مجرد زينة، كنصل رمح يستخدم كثقالة ستارة.

عبست هارا صوب الطفلة: "لا تحاولي إهانتي أيتها الطفلة، فأنا أعرف وضعي جيداً".

قالت جيسيكا: "ماذا فعلتِ هذه المرة يا عاليه؟"

أجابت هارا: "لم تكتف اليوم برفضها اللعب مع باقي الأطفال، بل تطفلت أيضاً على..."

قالت عاليه: "اختبأتُ خلف الستائر وشاهدت طفل سوبياي وهو يولد. إنه صبي، ظل يبكي ويبكي. لديه رئتان قويتان! عندما أطال البكاء ق-..."

قالت هارا: "ظهرت من مخبئها ولمسته، فتوقف عن البكاء. معلوم للجميع أن على الطفل الفريمني أن ينهي كل بكائه عند الولادة إن كان في سيآتش، لأنه لن يُسمح له بالبكاء مرة أخرى أبداً كيلا يفضح مكاننا خلال سفر الهجر".

قالت عاليه: "بكى كفاية، أردت أن أشعر بشرارة حياته. وعندما شعر بي لم يعد يرغب في البكاء".

قالت هارا: "تسبب هذا في زيادة كلام الناس".

قالت جيسيكا: "هل طفل سوبياي بصحة جيدة؟" لاحظت أن شيئاً عميقاً كان يقلق هارا، وتساءلت عن سببه.

قالت هارا: "صحته جيدة على أفضل ما تحبه كل أم. يعرفون أن عاليه لم تؤذيه، بل ولم يهتموا كثيراً بلمسها له، إذ هدأ في الحال وأصبح سعيداً. لكن ..." وهزت هارا كتفيها.

قالت جيسيكا: "تقصدين غرابة ابنتي، أليس كذلك؟ الطريقة التي تتكلم بها عن أمور تفوق سنها، وعن أشياء لا يمكن لطفلة في سنها أن تعلمها... أشياء من الماضي".

قالت هارا بحدة: "كيف لها أن تعرف شكل طفل كان يعيش على بيلا تيغيوس؟"

قالت عاليه: "لكنه فعلا يشبهه! ابن سوبياي يبدو تماماً كابن ميتا Mitha المولود قبل هجرة الرحيل".

قالت جيسيكا: "عاليه! لقد حذرتك".

"لكن يا أمي، رأيته وكان حقيقي ..."

هزّت جيسيكا رأسها ورأت علامات الانزعاج على وجه هارا.

قالت هارا: "وكأن ما تقوله لا يكفي، بل التمرينات أيضاً، تلك الطريقة التي تجلس بها وتحدق في

الصخور، محركة عضلة واحدة قرب أنفها، أو عضلة على ظهر إصبع، أو..."

قالت جيسيكا: "إنها تمرينات بني-جيزيرِت. تعرفين هذا يا هارا، أتحرمين ابنتي من موروثها؟"

قالت هارا: "يا سيدتنا الموقرة، تعرفين أن هذه الأمور لا تزعجني، لكن المشكلة في النّاس والطريقة التي يتمتمون بها... أستشعر فيها خطراً. يقولون إن ابنتك شيطان، وأن باقي الأطفال يرفضون اللعب معها، وإنها..."

قالت جيسيكا: "إنها لا تشترك مع باقي الأطفال إلا في صفات قليلة للغاية، ليست شيطانة. إنها ..."

"بالطبع ليست شيطانة!"

دُهشت جيسيكا نفسها لما بنبرة هارا من عنف، ورمت عاليه بنظرةٍ سريعة. بدت الطفلة سارحة في أفكارها، يشع منها إحساس ب... الانتظار. أعادت جيسيكا انتباهها لهارا.

قالت جيسيكا: "أنا أحترم كونك فردا من بيت ابني." وتحركت عاليه تحت يدها. "بإمكانك أن تتحدثي معي بصراحة عما يثير قلقك."

قالت هارا: "قريباً لن أصبح فرداً من أفراد بيت ابنك، انتظرت هذه المدة من أجل ولدي الاثنين، للتدريب الخاص الذي يتلقونه بصفتهم أبناء أصول، إنه أقل ما يمكنني أن أمنحه لهما فمن المعروف إنني لا أشارك ابنك فراشه".

ومن جديد اضطربت حركة عاليه تحت يدها، وبدت نصف نائمة، ودافئة.

قالت جيسيكا: "كنتِ ستصبحين رفيقة جيدة لابني"، وأضافت لنفسها - لأن هذه الأفكار كانت تلازمها دائماً - رفيقة، لا زوجة.

وعندها اتجهت أفكار جيسيكا مباشرة للب الموضوع، لغصة الألم التي تصيبها من جراء الكلام المنتشر بين الناس في السيآتش، أن رفقة ابنها لتشاني قد أصبحت أمراً دائماً - وكأنها زواج.

.

لكنها ذكرت نفسها أن الحب قد يضطر للتنحي أمام الضرورات الملكية، فالزيجات الملكية لها دوافع أخرى غير الحب.

قالت هارا: "أتظنين أنني لا أعرف ما تخططينه لابنك؟"

قالت جيسيكا: "ماذا تقصدين؟"

قالت هارا: "تخططين لتوحيد القبائل تحت قيادته؟"

"وهل هذا أمر سيء؟"

"أرى خطراً يتهدده... وعاليه جزء من هذا الخطر".

احتضنت عاليه أمها، واتسعت عيناها وهي تراقب هارا.

قالت هارا: "راقبتكما - الطريقة التي تتلامسان بها، وأعتبر عاليه واحدة من أطفالي لأنها أخت من أعتبره أخي، راعيتها وحميتها منذ أن كانت رضيعة، منذ أيام الغارة عندما هربنا إلى هنا، وقد رأيت الكثير من أحوالها".

أومأت جيسيكا وشعرت بالقلق ينمو في عاليه.

قالت هارا: "تعرفين ما أقصده، فهمها ما نقوله منذ أيامها الأولى. متى كان بيننا طفل يستوعب

عادات الحفاظ على الماء في مثل هذه السن الصغيرة؟ متى كان بيننا طفل أولى كلماته لمرضعته هي: أحبك يا هارا؟"

حدقت هارا في عاليه: "ولماذا تظنين إنني أتقبل إهاناتها؟ لإني أعلم إنه ليس وراءها بغض".

رفعت عاليه بصرها لأمها.

قالت هارا: "أجل أيتها السيدة الموقرة، إني أتمتع بقدرات عقلية جيدة. بل وكان بإمكاني أن أصبح واحدة من السيّادينا. وأنا أستوعب ما أراه".

هزّت جيسيكا كتفيها: "هارا... لا أدري ماذا أقول"، وهو حقاً ما كانت تشعر به.

اعتدلت عاليه صالبة كتفيها، أحست جيسيكا أن الانتظار قد انتهى، وحل محله شعور هو مزيج من الحسم والحزن.

قالت عاليه: "ارتكبنا غلطة، والآن نحتاج هارا".

قالت هارا: "كانت البداية هي طقس البذر، عندما قمتِ بتغيير ماء الحياة أيتها السيدة الموقرة، عندما كانت عاليه لا تزال جنيناً داخلك".

سألت جيسيكا نفسها:

قالت عاليه: "ومن غيرها ينشر الخبر بين الناس ليتفهموا وضعي؟"

قالت جيسيكا: "وماذا تريدين منها أن تفعل؟"

قالت عاليه: "هي تعرف ما عليها فعله".

قالت هارا: "سأخبرهم الحقيقة"، وبدا وجهها فجأة مسناً وحزيناً، تتخلّل بشرته الزّيتونية تجاعيد عابسة: "سأخبرهم إن عاليه تتظاهر بأنها فتاة صغيرة، وإنها لم تكن أبداً فتاة صغيرة".

هزّت عاليه رأسها، وجرت الدموع على وجنتيها.، شعرت جيسيكا بموجة الحزن قادمة من ابنتها وكأنها إحساسها هي.

همست عاليه: "أعرف إنني مسخ"، كلمات مختصرة تليق فقط بالكبار، بدت مريرة من فم طفل.

قالت هارا بحدة: "لستِ مسخاً! من جرؤ على وصفك بالمسخ؟"

ومن جديد تعجبت جيسيكا من نبرة الحماية الشرسة في صوت هارا. وعندها أدركت جيسيكا أن حكم عاليه كان سليماً، إنهما تحتاجان هارا فعلاً. فالقبيلة ستفهم هارا، ستفهم كلماتها ومشاعرها، لأنه من الواضح أنها تحب عاليه وكأنها ابنتها.

كررت هارا: "من قالها؟"

"لا أحد".

استخدمت عاليه طرفاً من عباءة aba جيسيكا لتمسح الدموع عن وجهها. وسوّت الثّوب حيث تبلل وتكرمش.

قالت هارا بنبرة آمرة: "إذن لا تقوليها أنت".

"حاضر يا هارا".

قالت هارا: "والآن، أخبريني بما حصل لأخبر الآخرين، أخبريني بما حدث لك".

ازدردت عاليه لعابها ورفعت بصرها لأمها.

أومأت لها جيسيكا.

قالت عاليه: "استيقظت يوماً فجأة، كأنني أصحو من النوم إلا إنني لا أتذكر خلودي للنوم، كنت في مكان دافئ ومظلم. وكنت خائفة".

أثناء إصغاء جيسيكا لصوت ابنتها نصف المتلعثم، تذكرت ذلك اليوم في الكهف الكبير.

قالت عاليه: "عندما خفت حاولت الهرب، لكن لم يكن هناك مكان للهرب إليه. ثم رأيت شرارة، لكن ليس كرؤية بصرية، بل كانت الشرارة هنا معي وأحسست بمشاعرها، تهدئني وتطمئنني وتخبرني - بهذه الطريقة - أن كل شيء سيكون بخير، كانت أمي".

فركت هارا عينيها وابتسمت لعاليه لتشجعها. إلا أن عيني المرأة الفريمنية كان بهما شيء من الانتقاد، احتدام كما لو أن عيناها تحاولان أيضا سماع كلمات عاليه.

قالت عاليه: "وعندما شعرت بالأمان والطمأنينة ظهرت شرارة أخرى معنا، وحدث كل شيء في نفس الوقت. كانت الشرارة الأخرى هي السّيدة الموقرة القديمة. كانت ت... تتبادل الحيوات مع أمي... وكل شيء... وكنت أنا معهما، أرى كل شيء... كل شيء. ثم انتهى الأمر، وأصبحت جزءاً منهما، معهما ومع كل الأخريات ومع نفسي، واستغرقتُ وقتاً طويلاً لأعثر على نفسي مجددا، إذ كانوا كثيرات".

قالت جيسيكا: "كان عملاً قاسياً، لا خير في إيقاظ وعي كائن بهذه الطريقة، العجيب في الأمر هو تقبلك كل ما حدث لك".

قالت عاليه: "لم تكن لدي خيارات أخرى! فلم أكن أعلم كيف أخفي وعيي أو أرفضه، أو أغلقه... كل شيء حدث بسرعة... كل شيء".

تمتمت هارا: "لم نكن نعلم، عندما أعطينا أمك الماء لتغيره لم نكن نعلم أنك موجودة داخلها".

قالت عاليه: "لا تحزني يا هارا. لا ينبغي أن آسف على نفسي، فالنتيجة سعيدة: وها أنا سيدة موقرة، ولدى القبيلة الآن اثنتين من السي-..." قطعت حديثها وأمالت رأسها لتصغي.

أسندت هارا ظهرها على وسادة الجلوس، وحدقت في عاليه، ثم نقلت انتباهها لجيسيكا.

قالت جيسيكا: "ألم ترتابي في الأمر؟"

قالت عاليه: "هششش".

تخلل الستائر التي تفصلهم عن أروقة السيآتش صوت إنشاد إيقاعي بعيد، علا بالتدريج فأمكنهم تمييز كلماته: "يا يا يوم! يا يا يوم! مو زين والله! يا يا يوم! مو زين والله! Ya! Ya! Yawm! Mu zein, wallah!"

مرّ المنشدون بالمدخل الأمامي فهدرت أصواتهم لتصل للحجرات الداخلية، ثم تضاءل الصوت.

عندما خفت الصوت، بدأت جيسيكا تتلو بصوت حزين: "كان الوقت رمضان Ramadhan وأبريل على بيلا تيغيوس".

قالت هارا: "جلست أسرتي في فنائها المطل على بركة المياه، والهواء حولهم مشبع بالرطوبة المتصاعدة من رشاش نافورة، كانت في متناول أيديهم شجرة برتقال، مستدير بلونه الداكن. وكانت

بقربهم سلة مشمش mish mish، وبقلاوة baklawa، وفناجين لبن liban، والكثير من المأكولات الطيبة، كان السلام يعم حدائقنا وقطعاننا... سلام في كل البلاد".

قالت عاليه: "كانت الحياة كلها سعادة إلى أن جاء الغزاة".

قالت جيسيكا: "تحولت دماؤنا إلى صقيع عندما سمعنا صراخ الأصدقاء"، وشعرت بالذكريات تندفع خلالها، نابعة من كل تلك الحيوات الماضية الأخرى التي تشترك فيها.

قالت هارا: "صرخت النساء: لا، لا، لا".

قالت جيسيكا: "اندفع الغزاة عبر فناء المشتمَل mushtamal، قادمين نحونا وسكاكينهم حمراء تقطر منها حياة رجالنا".

خيّم الصّمت على ثلاثتهم، كما كان الحال الآن في كل حجرات السيآتش ... صمت التذكر وإذكاء الحزن.

ثم نطقت هارا الخاتمة الطقوسية، صابغة الكلمات بقسوة لم تسمعها جيسيكا تقال بها من قبل.

قالت هارا: "لن نغفر أبداً، ولن ننس أبداً".

وخلال الهدوء التأملي الذي تلا كلماتها سمعا همسات ناس، وحفيف عدة أثواب، أحست جيسيكا بشخص يقف وراء الستائر التي تحمي حجرتها.

"سيدتنا الموقرة؟"

كان صوت امرأة، عرفته جيسيكا: صوت ثارثار Tharthar، إحدى زوجات ستيلغار.

"ما الأمر يا ثارثار؟"

"مشكلة أيتها السيدة الموقرة".

انقبض قلب جيسيكا بخوف فجائي على پاول. شهقت: "پاول..."

أزاحت ثارثار الستائر وولجت الحجرة، لمحت جيسيكا حشداً من الناس في الحجرة الخارجية قبل أن تعود الستائر مكانها. رفعت بصرها لثارثار، كانت امرأة سمراء ضئيلة ترتدي ثوباً أسود عليه أشكال حمراء، وتعلقت عيناها تامة الزرقة بجيسيكا، وفتحتا أنفها الدقيق متسعتان بحيث كشفتا خدوش سدادات الأنبوب.

قالت جيسيكا: "ما الأمر؟"

قالت ثارثار: "وصلنا خبر من الرّمال. أصول سيقابل الصانع في الاختبار، اليوم. يقول الشباب من المستحيل أن يفشل، وإنه مع حلول الليل سيكون قد أصبح راكب رمال، يجتمع الشباب للخروج في غارة، سيغزون شمالاً ويقابلون أصول هناك. ويقولون إنهم سيرفعون صرخة الحرب حينئذ، ويقولون إنهم سيجبرونه على تحدي ستيلغار وأن يتقلد زعامة القبائل".

فكرت جيسيكا:

. . .

. .

راوحت ثارثار بين قدميها، وتنحنحت.

فكرت جيسيكا:

. .

قالت ثارثار: "يقول الشباب إن لم يواجه أصول ستيلغار في نزال فهو بالتأكيد خائف"، وخفضت بصرها.

تمتمت جيسيكا: "هكذا إذن".

تنحنحت ثارثار مرة أخرى وقالت: "حتى أخي شواب يقول هذا، لن يتركوا الخيار لأصول".

فكّرت جيسيكا:

حرّرت عاليه يدها من يد أمها وقالت: "سأذهب مع ثارثار وأستمع للشباب، ربما أجد مخرجاً".

قابلت جيسيكا نظرة ثارثار لكن وجهت كلامها لعاليه: "اذهبي إذن، وقدمي لي تقريراً في أسرع وقت ممكن".

قالت ثارثار: "لا نرغب في هذا أيتها السّيدة الموقرة".

وافقتها جيسيكا: "لا نرغب فيه فعلاً، فالقبيلة تحتاج كامل قوتها"، ثم رمقت هارا: "هل ستذهبين معهما؟"

أجابت هارا على الجزء غير المنطوق من السؤال: "لن تسمح ثارثار بأن تصاب عاليه بأذى، فهي تعلم أننا سنصبح عما قريب زوجات مشتركات، أنا وهي، وسنتشارك نفس الرجل، لقد تكلمت أنا وثارثار"، ورفعت هارا بصرها لثارثار ثم عادت به لجيسيكا: "بيننا تفاهم".

مدّت ثارثار يدها لعاليه وقالت: "علينا أن نسرع، فالشباب على وشك الخروج".

مرا من بين الستائر، ويد الطفلة في يد المرأة الضئيلة، لكن بدا أن الطفلة هي من تقود الطريق.

قالت هارا: "لو قتل پاول-مؤدّب ستيلغار فلن يخدم هذا مصلحة القبيلة، في الماضي كانت هذه طريقة الخلافة، لكن الأوضاع تغيرت الآن".

قالت جيسيكا: "أوضاعك أنت أيضاً قد تغيرت".

قالت هارا: "ليس لدي شك في نتيجة نزال كهذا، فأصول سيفوز لا محالة".

قالت جيسيكا: "وهذا ما كنت أقصده".

قالت هارا: "وفي ظنّك أن مشاعري الشّخصية تؤثر في حكمي"، هزّت رأسها فصدر رنين من حلقات عملاتها المائية المحيطة برقبتها: "أنت مخطئة في ظنك، بل وربما تظنين أيضاً أنني أشعر بالأسف لأن أصول لم يختارني، وإنني أشعر بالغيرة من تشاني".

قالت جيسيكا: "المرء يختار المتاح له".

قالت هارا: "أشفق على تشاني".

جفلت جيسيكا: "ماذا تعنين؟"

قالت هارا: "أعرف رأيك في تشاني، تظنين أنها لا تصلح زوجة لابنك".

عادت جيسيكا بظهرها للوراء واسترخت على وسادتها، ثم هزّت كتفيها وقالت: "ربما".

قالت هارا: "وربما تكونين محقة. وإن كنتِ، فقد يفاجئك وجود حليف له نفس الرأي... تشاني نفسها، فهي تريد ما فيه مصلحته".

ازدردت جيسيكا ريقها عبر غصة مفاجئة، وقالت: "تشاني عزيزة على نفسي، لا يمكن أن ت..."

قالت هارا: "سجادك متسخ"، وجالت ببصرها في أرجاء الأرضية، متحاشية عيني جيسيكا: "الكثيرون يدوسون هذا المكان طوال الوقت، عليك أن تأمري بتنظيفه".

42

"في المنهج الأصولي لا يمكن تجنب تفاعلات السياسة، وهذا الصراع السلطوي يتخلل كل جانب من جوانب تدريب وتعليم وتربية المجتمعات الأصولية. وبسبب هذا الضغط، يواجه قادة هذه المجتمعات ذاك السؤال الداخلي: هل يخضعون بشكل مطلق لنزعة الانتهازية كثمن للإبقاء على حكمهم، أم يخاطرون بالتضحية بأنفسهم من أجل المعايير الأخلاقية الأصولية؟"

من كتاب (المؤدّب: المسائل الدينية)، تأليف الأميرة إيرولان

انتظر پاول على الحافة الخارجية لمسار دودة الصّانع العملاقة المقتربة.

. . .

كانت الدّودة تبعد بضع دقائق، ناشرةً جوّ الصباح بهسيس الاحتكاك الناتج عن حركة مرورها، وانتشرت أسنانها الهائلة - داخل دائرة فمها الشبيهة بالكهوف - وكأنها زهرة ضخمة، وعبّقت الهواء رائحة السپايس المنبعثة منها.

شعر پاول بسلاسة بذلة التقطير على جسده، ولم يلق بالاً لسدّادات أنفه ولا لقناع التنفس، فقد طغت على كل شيء دروس ستيلغار التي استمرت لساعاتٍ مجهدةٍ على الرمال.

كان ستيلغار قد قال له: "في حالة الرّمال الحصوية، ما المسافة التي يجب أن تقف عندها خارج نصف قطر الصانع؟"

فأجابه الإجابة الصحيحة: "نصف متر مقابل كل متر من أمتار قطر الصانع".

"لماذا؟"

"كي أتجنب الدّوامة الناتجة عن مروره، وفي الوقت ذاته حتى تسنح لي مسافة للركض والصعود".

فقال ستيلغار: "لقد امتطيتَ الدّيدان الصّغيرة التي نربيها للبذر ولماء الحياة، لكن ما ستستدعيه أثناء اختبارك سيكون صانعاً برياً، من شيوخ الصحراء. لذا يجب أن تمنح هذا المخلوق الاحترام الذي يستحقه".

كانت ضرباتِ الدّقاق العميقة قد امتزجت الآن مع هسيس الدّودة المقتربة. تنفّس پاول بعمق، فشمّ مرارةً معدنيةً في الرّمال، كانت واضحةً حتى عبر مرشحات تنفسه. لاح الصّانع البّري - شيخ الصحراء المسن - ضخماً، يكاد يصل إليه. ونثرت قطع جسده الأمامية موجة رملية ستصل برذاذها حتى ركبتيه.

. . . . .

رفعت الموجة قدميه، تناثر عليه الغبار السطحي، ثبّت قدميه في مكانه وأصبح عالمه كله مركزاً على مرور هذا الجدار المقوس المحاط بسحابة رملية، هذا الجرف المقسم لمقاطع، وخطوط الحلقات ظاهرة عليه بوضوح.

رفع پاول خطافيه وصوّب بصره على امتدادهما ثم مال للأمام، أحس بهما ينغرزان ويسحبانه. وثب للأعلى، زارعاً قدميه في هذا الجدار وأمال جسده للخلف معتمداً على الخطافين المغروزين، كانت هذه هي لحظة الاختبار الحقيقية، فإذا كان قد غرز الخطافين بشكل صحيح عند الحافة الأمامية لأحد المقاطع الحلقية، فاتحاً المقطع، لن تتدحرج الدّودة للأسفل وتسحقه.

تباطأت الدّودة، انسابت عابرة فوق الدقاق، فأخرسته. ثم بدأت تتدحرج ببطء، للأعلى، حتى تبقى

الشصوص الخطافية المزعجة في أعلى موقع ممكن، بعيداً عن الرمال التي تهدد الطيات الداخلية الناعمة لهذا المقطع الحلقي.

وجد پاول نفسه يمتطي ظهر الدّودة. شعر بالنّشوة، وكأنه إمبراطور يتأمل كوكبه، كبح رغبة فجائية في أن يقفز فرحاً، وأن يحرك الدّودة ليتفاخر بسيادته على هذا المخلوق.

هنا فهم سبب تحذير ستيلغار من أفعال الشباب المتهورين الذين يرقصون ويعبثون بهذه الوحوش، فيقفون على أيديهم فوق ظهورها، وينزعون كلا الخطافين ثم يعيدان غرزهما قبل أن تتمكن الدودة من إسقاطهم.

نزع پاول خطافاً - تاركاً الآخر في مكانه - وغرزه في موقع تحت موضعه السابق، على جانب الدّودة. وعندما أصبح الخطاف الثاني ثابتاً وتم اختباره، نزع الأول وغرزه في موقع آخر، واستمر يعمل بهذه الطريقة هابطاً على الجانب. تدحرج الصانع، واستدار متجهاً نحو رقعة الرّمل الدّقيق حيث وقف الآخرون منتظرين.

رآهم پاول يصعدون، مستخدمين خطاطيفهم للتّسلق، متجنبين حواف الحلقات الحساسة، إلى أن وصلوا للقمة، انتظموا خلفه في ثلاثة صفوف، ممتطين الدّودة، محافظين على توازنهم بواسطة خطاطيفهم.

تقدم ستيلغار مخترقاً الصفوف، وفحص طريقة وضع خطافي پاول، ثم رفع بصره لوجه پاول المبتسم.

قال ستيلغار، رافعاً صوته فوق هسيس تحركهم: "فعلتها، صحيح؟ أهذا ما تظنه؟ إنك فعلتها؟" ثم شدّ قامته: "كان أداؤك غير متقن إطلاقاً. عندنا صبيان في الثانية عشرة ينفذون العملية بطريقة أفضل، هناك رمل طبلي على يسار بقعة انتظارك. ما كنت ستتمكن من التراجع لهذا الاتجاه لو دارت الدّودة متجهة إليه".

انزلقت الابتسامة من على وجه پاول: "رأيتُ الرّمل الطبلي".

"إذن لماذا لم تشر لأحدنا بأن يتخذ موقعاً ثانوياً يلي موقعك؟ مسموح بهذا حتى خلال الاختبار".

ازدرد پاول ريقه وأدار وجهه لاتجاه الريح.

قال ستيلغار: "أزعجك كلامي، لكنه واجبي. فإني أفكر في قيمتك الكبيرة للجنود، لو كنت قد تعثرت في هذا الرمل الطبلي لانقض عليك الصانع".

رغم غضبه أدرك پاول صحّة كلام ستيلغار. وأخذ دقيقةً كاملةً - وجهد بالغ نابع من التدريب الذي تلقاه من والدته - ليستعيد هدوءه. قال: "أعتذر، لن يتكرر هذا".

قال ستيلغار: "في المواقف الصعبة، عليك دائماً أن تخصص شخصاً احتياطياً، ليقتنص الصانع إن أخفقت، تذكر إننا نعمل كوحدة واحدة، فبهذه الطريقة نكون واثقين من النتيجة، إننا نعمل كوحدة واحدة، صحيح؟"

وخبط كتف پاول.

وافقه پاول: "كوحدة واحدة".

قال ستيلغار: "والآن"، وأصبحت نبرة صوته صارمة: "أرني أنك قادر على التعامل مع الصانع، على أي جانب نقف الآن؟"

نظر پاول إلى السطح الحلقي القشري الذي يقفون عليه، ملاحظاً طبيعة وحجم الحراشيف، والطريقة

التي يزداد فيها حجمها في اتجاه اليمين ويصغر عند اليسار. كان يعلم أن كل دودة معتادة على التّحرك بحيث يكون أحد جانبيها لأعلى أغلب الوقت، ومع تقدمها في العمر فإن الجانب العلوي المعتاد يصبح شيئاً شبه دائم، فيزداد حجم القشور السّفلية وتصبح أثقل وسطحها مصقول، يمكن التعرف على القشور العلوية - في الديدان الكبيرة - بمجرد النظر لحجمها.

انتقل پاول لليسار، مغيراً وضع خطافيه، أشار لرجال الجانبين بأن يفتحوا قطاعات على امتداد الجانبين وأن يحافظوا على سير الدودة في اتجاه مستقيم أثناء تدحرجها، وعندما نجح في الالتفاف أشار لرجلين من رجال التوجيه بأن يخرجا من الصف ويتجها لمواقع متقدمة.

صاح الصيحة التقليدية: "آخ هاي يوه! Ach, haiiiii-yoh" ففتح رجل التوجيه المسؤول عن الجانب الأيسر مقطعاً حلقياً في هذا الموقع.

وفي حركة دائرية مهيبة دار الصانع ليحمي مقطعه المفتوح. أتم استدارة كاملة، وعندما أصبح مواجهاً للجنوب صاح پاول: "جيراط!"

نزع رجل التوجيه خطافه فسار الصانع في مسار مستقيم.

قال ستيلغار: "جيد جداً يا پاول-مؤدّب، مع المزيد من الممارسة يمكن أن تصبح راكب رمال فعلاً".

عبس پاول:

ثم علت الضحكات من خلفه، وبدأت الفرقة تهلل، قاذفة باسمه لعلو السّماء: "مؤدّب! مؤدّب! مؤدّب! مؤدّب!"

وفي الطرف الخلفي لسطح الدّودة سمع پاول طرقات الناخسين وهم يقرعون بمهاميزهم مقاطع الذيل، فبدأت الدّودة تسرع، خفقت أثوابهم في الريح وتزايد صوت الكشط الناتج عن حركة مرورهم.

نظر پاول للمجموعة خلفه فعثر على وجه تشاني بينهم، نظر لها وهو يتحدث لستيلغار: "إذن صرتُ راكب رمال يا ستيل؟"

"ها اليوم! Hal yawm. أنت اليوم راكب رمال".

"إذن يمكنني أن أختار وجهتنا؟"

"هذا هو المتعارف عليه".

"وُلِدتُ اليوم فريمني في عِرق حبانيا، لم تكن لي حياة قبل هذا اليوم، كنت حتى هذا اليوم كالطفل".

قال ستيلغار: "لم تكن طفلاً بالضبط"، وأحكم أحد جوانب قلنسوته حيث حركته قوة الرياح.

"لكن كانت توجد سدادة تغلق عالمي. وقد تم نزع هذه السدادة".

"لا توجد سدادة".

"سأذهب للجنوب يا ستيلغار، مسافة عشرون دقاق، سأرى تلك الأرض التي نبنيها، تلك الأرض التي لم أرها سوى من خلال عيون الآخرين".

. . .

نظر له ستيلغار بنظرة فاحصة ثابتة. أبقى پاول انتباهه على تشاني، ملاحظاً تغير تعابير وجهها والإثارة التي أشعلتها كلماته في المجموعة.

قال ستيلغار: "الرجال متشوقون للغزو معك في أحواض الهاركونِن، ومنطقة الأحواض لا تبعد سوى

مسافة دقاق واحد".

قال پاول: "شاركني الفدائيون في الغزوات، وسيغزون معي مرة أخرى حتى آخر نفس هاركوني من هواء آرّاكس".

أمعن ستيلغار النظر فيه أثناء الرحلة، وأدرك پاول أن الرجل كان يرى هذه اللّحظة من خلال ذكرى صعوده هو لزعامة سيآتش طبر ورئاسته مجلس القادة حالياً بعد موت لييّت-كاينز.

فكّر پاول: .

قال ستيلغار: "أتريد أن نجمع القادة في مجلس؟"

لمعت عيون شباب الفرقة. شاهدوا ما يحدث وهم يتمايلون أثناء الركوب، ورأى پاول نظرة الاضطراب على وجه تشاني، والطريقة التي كانت تنظر فيها لستيلغار - عمّها - ثم لپاول-مؤدّب - خليلها.

قال پاول: "ليس بإمكانك تخمين ما أريده".

. .

قال ستيلغار: "أنت اليوم مدير Mudir ركوب الرّمال"، ورنت في صوته نبرة رسمية باردة: "كيف ستستخدم هذه السلطة؟"

فكر پاول: ... .

قال پاول: "سنذهب جنوباً".

"حتى لو قلتُ إننا سنعود للشمال عندما ينتهي هذا اليوم؟"

كرّر پاول: "سنذهب جنوباً".

أحاطت بستيلغار هالة وقار في مواجهة المحتوم، وأحكم ثوبه حول جسده، وقال: "إذن سنعقد مجلساً، سأبعث بالرسائل".

.

استدار پاول جنوباً، شاعراً بالرياح على وجنتيه المكشوفتين، متدبراً الضروريات التي تدفع قراراته.

.

لا يمكنه السماح لأية اعتبارات بأن تغيّر مساره. يجب أن يظل على الخط المركزي للعاصفة الزمنية التي يراها في المستقبل. ستحين لحظة تمكنه من تفكيك العاصفة، لكن لن يحدث هذا إلا لو كان في الموقع الذي يمكنه منه قطع العقدة المركزية.

...

قال ستيلغار: "سنعسكر لنتناول وجبة المساء ونؤدي الصلاة عند كهف الطير تحت سلسلة صخور حبانياً"، وثبّت توازنه بواسطة خطاف ليميل مع حركة الصانع، وأشار للأمام إلى حاجز صخري منخفض بارز من الصحراء.

تأمل پاول الجرف الصّخري، وما به من خطوطٍ صخريةٍ عظيمةٍ متموجةٍ تقطعه وكأنها أمواج، لا أثر لخضرة ولا نباتات مزدهرة تكسر حدّة هذا الأفق الصارم. وامتد خلفه الطريق المؤدي للصحراء الجنوبية، طريق يستغرق عشر أيام بلياليهم على الأقل، حتى مع أقصى سرعة يمكنهم نخس ديدان الصانع بها.

مسافة عشرون دقاق.

كان الطريق يبعدهم كثيرا عن دوريات الهاركونِن، وكان يعلم ماذا يوجد هناك، فأحلامه كشفت ذلك له. فيوم ما، أثناء سفرهم، سيحدث تغير طفيف في اللّون عند الأفق البعيد، طفيف لدرجة أنه سيظنه خيالاً أنتجته آماله... ثم سيظهر السيآتش الجديد.

قال ستيلغار: "هل يلائم قراري المؤدّب؟"، ولم تبد في نبرته سوى مسحة خفيفة من التهكم، إلا أن آذان الفريمن من حولهما - والمعتادة على الانتباه لكل نغمة في صيحات الطيور أو في أنبوب رسائل السييلاغو - التقطت التهكم، فراقبوا پاول ليروا ما سيفعل.

قال پاول: "سمعني ستيلغار أقسم له يمين الولاء عندما أنشأنا فرقة الفدائيين، ومغاوير الموت التابعون لي يعرفون أنني أتكلم بشرف، أيشك ستيلغار في هذا؟"

شاب صوت پاول ألم حقيقي، فسمعه ستيلغار وخفض بصره.

قال ستيلغار: "يستحيل أن أشك في أصول - رفيقي في السيآتش. لكنك پاول-مؤدّب، الذّوق الآتريدي، وأنت أيضاً لسان الغيب، الصوت القادم من العالم الخارجي، وهذان لا أفهمهما من الأساس".

التفت پاول ليرى قمم حبانيا تصعد بالتدريج فوق الصحراء. كان الصانع من تحتهما لا يزال قوياً وراغباً في الاستمرار، بإمكانه أن يحملهما ضعف المسافة التي يقطعها أي صانع آخر خَبِره الفريمن. كان متأكداً من هذا. لا يوجد شيء يماثل شيخ الصحراء هذا، إلا فيما يُحكى للأطفال من حواديت، أدرك پاول أنه مادة خصبة لأسطورة جديدة.

قبضت يد على كتفه، نظر لها پاول وتبع الذراع ببصره إلى أن وصل لوجه صاحبها. قابلته عينا ستيلغار الداكنتان ما بين قناع المرشح وقلنسوة بذلة التقطير.

قال ستيلغار: "الرجل الذي كان يتزعم سيآتش طبر من قبلي، كان صديقاً لي. تشاركنا المخاطر، كان يدين لي بحياته عدة مرات... وكنت مديناً له بحياتي أيضاً".

قال پاول: "أنا صديقك يا ستيلغار".

قال ستيلغار: "لا أحد يشكك في هذا"، ثم سحب يده وهز كتفيه وقال: "إنه العرف ليس إلا".

رأى پاول أن ستيلغار كان منغمساً بالكامل في الأعراف الفريمنية بحيث يستحيل أن تخطر له احتمالية وجود طريقة أخرى. فالقائد هنا يتسلم مقاليد السلطة من يدي سلفه الميت، أو عن طريق مقاتلته لأقوى أفراد قبيلته لو كان القائد قد مات في الصحراء، صعد ستيلغار لمنصب النائب بهذه الطريقة.

قال پاول: "علينا أن نترك هذا الصانع في منطقة رمال عميقة".

وافقه ستيلغار: "أجل، بإمكاننا أن نسير للكهف من هنا".

قال پاول: "لقد امتطيناه لمسافة طويلة لدرجة أنه سيدفن نفسه ويظل زعلاناً ليوم أو أكثر".

قال ستيلغار: "أنت مدير ركوب الرّمال، أخبرنا متى ت-..." وقطع حديثه محدقاً في السماء الشرقية.

استدار پاول.

طبقة زرقة السپايس على عينيه جعلت السماء داكنة، كفلتر لازوردي سميك ظهر عليه - في تباين حاد - وميض إيقاعي بعيد.

أورنيثوبتر!

قال ستيلغار: "طائرة ثوبتر صغيرة".

قال پاول: "قد تكون للاستطلاع، أتظنهم رأونا؟"

قال ستيلغار: "على هذه المسافة لا نبدو سوى دودة تسير على السطح"، وأشار بيد: "اهبطوا، انتشروا على الرمال".

بدأت المجموعة الهبوط من على جانبي الدودة، وقفزوا أرضاً مندمجين مع الرّمال، مختفين تحت أرديتهم، انتبه پاول للموقع الذي هبطت تشاني فيه، وبعد فترة لم يبق سواه وستيلغار.

قال پاول: "أول من يركب هو آخر من ينزل".

أومأ له ستيلغار ونزل من على الجانب مستخدماً خطافيه، ثم وثب إلى الرّمال. انتظر پاول حتى ابتعد الصانع بمسافة آمنة عن منطقة انتشارهم، ثم نزع خطافيه، هذه هي المرحلة التي تتطلب براعة خاصة، عندما تترك دودة غير منهكة.

فبعد أن تحررت من مهاميزها وخطاطيفها بدأت الدّودة الضخمة تغوص في الرّمال. ركض پاول بخفة على امتداد سطحها المتسع ثم قام بحساب اللحظة المناسبة، وقفز. هبط راكضاً، واندفع إلى الجانب المنزلق لأحد الكثبان، كما علموه، وأخفى نفسه تحت الرّمل المنسدل على ردائه.

والآن، الانتظار...

التفت پاول بحرص وحرّك طية من طيّات ردائه ليكشف شقاً من السماء وتوقع أن الآخرين خلفه، على امتداد مسارهم، يفعلون نفس الشيء. سمع خفقات أجنحة الثوبتر قبل أن يراها. وصله هسيس النفاثات، وحلقت الطائرة فوق بقعته الصحراوية، ثم استدارت في قوس واسع متجهة إلى السلسلة الصخرية. لاحظ پاول غياب الرّموز التي تحدد هويتها.

طارت مختفية عن الأنظار لما وراء قمم حبانيا.

سُمع في الصحراء صياح طائر، ثم تلاه آخر.

نفض پاول الرمل عن نفسه وتسلق قمة الكثيب، وقف آخرون في خط يمتد بعيداً عن السلسلة الصخرية، تعرف بينهم على تشاني وستيلغار.

أشار ستيلغار نحو السلسلة الصخرية.

تجمعوا وبدؤوا سيرهم على الرّمل، منزلقين على السّطح بخفة في إيقاع مكسور لا يجتذب صانع، أسرع ستيلغار ليقترب من پاول عند قمة أحد الكثبان التي ضغطتها الرياح.

قال ستيلغار: "كانت طائرة مهربين".

قال پاول: "على ما يبدو. لكن هذا الموقع في الصحراء عميق بالنسبة للمهربين".

قال ستيلغار: "هم أيضا تواجههم مشاكل بسبب الّدوريات".

قال پاول: "إن وصلوا لهذا العمق، فلربما تمادوا أكثر".

"صحيح".

"من غير المستحسن أن يروا ما يوجد في المناطق الجنوبية العميقة، فالمهربون يبيعون المعلومات أيضاً".

قال ستيلغار: "كانوا يبحثون عن السپايس، ألا تظن ذلك؟"

قال پاول: "ستكون هناك طائرة حاملة وزاحفة تنتظران هذه الطائرة في مكان ما، يوجد معنا سپايس. دعنا نضع بقعة سپايس كطُعم ونقتنص بعض المهربين، يجب أن يتعلموا أن هذه أرضنا، ورجالنا يحتاجون للتدرب على استخدام الأسلحة الجديدة".

قال ستيلغار: "هذا كلام أصول، أصول يفكر كالفريمن".

.

ونُذر العاصفة تتجمع.

42

"في المنهج الأصولي لا يمكن تجنب تفاعلات السياسة، وهذا الصراع السلطوي يتخلل كل جانب من جوانب تدريب وتعليم وتربية المجتمعات الأصولية. وبسبب هذا الضغط، يواجه قادة هذه المجتمعات ذاك السؤال الداخلي: هل يخضعون بشكل مطلق لنزعة الانتهازية كثمن للإبقاء على حكمهم، أم يخاطرون بالتضحية بأنفسهم من أجل المعايير الأخلاقية الأصولية؟"

من كتاب (المؤدّب: المسائل الدينية)، تأليف الأميرة إيرولان

انتظر پاول على الحافة الخارجية لمسار دودة الصّانع العملاقة المقتربة.

. . .

كانت الدّودة تبعد بضع دقائق، ناشرةً جوّ الصباح بهسيس الاحتكاك الناتج عن حركة مرورها، وانتشرت أسنانها الهائلة - داخل دائرة فمها الشبيهة بالكهوف - وكأنها زهرة ضخمة، وعبّقت الهواء رائحة السپايس المنبعثة منها.

شعر پاول بسلاسة بذلة التقطير على جسده، ولم يلق بالاً لسدّادات أنفه ولا لقناع التنفس، فقد طغت على كل شيء دروس ستيلغار التي استمرت لساعاتٍ مجهدةٍ على الرمال.

كان ستيلغار قد قال له: "في حالة الرّمال الحصوية، ما المسافة التي يجب أن تقف عندها خارج نصف قطر الصانع؟"

فأجابه الإجابة الصحيحة: "نصف متر مقابل كل متر من أمتار قطر الصانع".

"لماذا؟"

"كي أتجنب الدّوامة الناتجة عن مروره، وفي الوقت ذاته حتى تسنح لي مسافة للركض والصعود".

فقال ستيلغار: "لقد امتطيتَ الدّيدان الصّغيرة التي نربيها للبذر ولماء الحياة، لكن ما ستستدعيه أثناء اختبارك سيكون صانعاً برياً، من شيوخ الصحراء. لذا يجب أن تمنح هذا المخلوق الاحترام الذي يستحقه".

كانت ضرباتِ الدّقاق العميقة قد امتزجت الآن مع هسيس الدّودة المقتربة. تنفّس پاول بعمق، فشمّ مرارةً معدنيةً في الرّمال، كانت واضحةً حتى عبر مرشحات تنفسه. لاح الصّانع البّري - شيخ الصحراء المسن - ضخماً، يكاد يصل إليه. ونثرت قطع جسده الأمامية موجة رملية ستصل برذاذها حتى ركبتيه.

. . . . .

رفعت الموجة قدميه، تناثر عليه الغبار السطحي، ثبّت قدميه في مكانه وأصبح عالمه كله مركزاً على مرور هذا الجدار المقوس المحاط بسحابة رملية، هذا الجرف المقسم لمقاطع، وخطوط الحلقات ظاهرة عليه بوضوح.

رفع پاول خطافيه وصوّب بصره على امتدادهما ثم مال للأمام، أحس بهما ينغرزان ويسحبانه. وثب للأعلى، زارعاً قدميه في هذا الجدار وأمال جسده للخلف معتمداً على الخطافين المغروزين، كانت هذه هي لحظة الاختبار الحقيقية، فإذا كان قد غرز الخطافين بشكل صحيح عند الحافة الأمامية لأحد المقاطع الحلقية، فاتحاً المقطع، لن تتدحرج الدّودة للأسفل وتسحقه.

تباطأت الدّودة، انسابت عابرة فوق الدقاق، فأخرسته. ثم بدأت تتدحرج ببطء، للأعلى، حتى تبقى

الشصوص الخطافية المزعجة في أعلى موقع ممكن، بعيداً عن الرمال التي تهدد الطيات الداخلية الناعمة لهذا المقطع الحلقي.

وجد پاول نفسه يمتطي ظهر الدّودة. شعر بالنّشوة، وكأنه إمبراطور يتأمل كوكبه، كبح رغبة فجائية في أن يقفز فرحاً، وأن يحرك الدّودة ليتفاخر بسيادته على هذا المخلوق.

هنا فهم سبب تحذير ستيلغار من أفعال الشباب المتهورين الذين يرقصون ويعبثون بهذه الوحوش، فيقفون على أيديهم فوق ظهورها، وينزعون كلا الخطافين ثم يعيدان غرزهما قبل أن تتمكن الدودة من إسقاطهم.

نزع پاول خطافاً - تاركاً الآخر في مكانه - وغرزه في موقع تحت موضعه السابق، على جانب الدّودة. وعندما أصبح الخطاف الثاني ثابتاً وتم اختباره، نزع الأول وغرزه في موقع آخر، واستمر يعمل بهذه الطريقة هابطاً على الجانب. تدحرج الصانع، واستدار متجهاً نحو رقعة الرّمل الدّقيق حيث وقف الآخرون منتظرين.

رآهم پاول يصعدون، مستخدمين خطاطيفهم للتّسلق، متجنبين حواف الحلقات الحساسة، إلى أن وصلوا للقمة، انتظموا خلفه في ثلاثة صفوف، ممتطين الدّودة، محافظين على توازنهم بواسطة خطاطيفهم.

تقدم ستيلغار مخترقاً الصفوف، وفحص طريقة وضع خطافي پاول، ثم رفع بصره لوجه پاول المبتسم.

قال ستيلغار، رافعاً صوته فوق هسيس تحركهم: "فعلتها، صحيح؟ أهذا ما تظنه؟ إنك فعلتها؟" ثم شدّ قامته: "كان أداؤك غير متقن إطلاقاً. عندنا صبيان في الثانية عشرة ينفذون العملية بطريقة أفضل، هناك رمل طبلي على يسار بقعة انتظارك. ما كنت ستتمكن من التراجع لهذا الاتجاه لو دارت الدّودة متجهة إليه".

انزلقت الابتسامة من على وجه پاول: "رأيتُ الرّمل الطبلي".

"إذن لماذا لم تشر لأحدنا بأن يتخذ موقعاً ثانوياً يلي موقعك؟ مسموح بهذا حتى خلال الاختبار".

ازدرد پاول ريقه وأدار وجهه لاتجاه الريح.

قال ستيلغار: "أزعجك كلامي، لكنه واجبي. فإني أفكر في قيمتك الكبيرة للجنود، لو كنت قد تعثرت في هذا الرمل الطبلي لانقض عليك الصانع".

رغم غضبه أدرك پاول صحّة كلام ستيلغار. وأخذ دقيقةً كاملةً - وجهد بالغ نابع من التدريب الذي تلقاه من والدته - ليستعيد هدوءه. قال: "أعتذر، لن يتكرر هذا".

قال ستيلغار: "في المواقف الصعبة، عليك دائماً أن تخصص شخصاً احتياطياً، ليقتنص الصانع إن أخفقت، تذكر إننا نعمل كوحدة واحدة، فبهذه الطريقة نكون واثقين من النتيجة، إننا نعمل كوحدة واحدة، صحيح؟"

وخبط كتف پاول.

وافقه پاول: "كوحدة واحدة".

قال ستيلغار: "والآن"، وأصبحت نبرة صوته صارمة: "أرني أنك قادر على التعامل مع الصانع، على أي جانب نقف الآن؟"

نظر پاول إلى السطح الحلقي القشري الذي يقفون عليه، ملاحظاً طبيعة وحجم الحراشيف، والطريقة

التي يزداد فيها حجمها في اتجاه اليمين ويصغر عند اليسار. كان يعلم أن كل دودة معتادة على التّحرك بحيث يكون أحد جانبيها لأعلى أغلب الوقت، ومع تقدمها في العمر فإن الجانب العلوي المعتاد يصبح شيئاً شبه دائم، فيزداد حجم القشور السّفلية وتصبح أثقل وسطحها مصقول، يمكن التعرف على القشور العلوية - في الديدان الكبيرة - بمجرد النظر لحجمها.

انتقل پاول لليسار، مغيراً وضع خطافيه، أشار لرجال الجانبين بأن يفتحوا قطاعات على امتداد الجانبين وأن يحافظوا على سير الدودة في اتجاه مستقيم أثناء تدحرجها، وعندما نجح في الالتفاف أشار لرجلين من رجال التوجيه بأن يخرجا من الصف ويتجها لمواقع متقدمة.

صاح الصيحة التقليدية: "آخ هاي يوه! Ach, haiiiii-yoh" ففتح رجل التوجيه المسؤول عن الجانب الأيسر مقطعاً حلقياً في هذا الموقع.

وفي حركة دائرية مهيبة دار الصانع ليحمي مقطعه المفتوح. أتم استدارة كاملة، وعندما أصبح مواجهاً للجنوب صاح پاول: "جيراط!"

نزع رجل التوجيه خطافه فسار الصانع في مسار مستقيم.

قال ستيلغار: "جيد جداً يا پاول-مؤدّب، مع المزيد من الممارسة يمكن أن تصبح راكب رمال فعلاً".

عبس پاول:

ثم علت الضحكات من خلفه، وبدأت الفرقة تهلل، قاذفة باسمه لعلو السّماء: "مؤدّب! مؤدّب! مؤدّب! مؤدّب!"

وفي الطرف الخلفي لسطح الدّودة سمع پاول طرقات الناخسين وهم يقرعون بمهاميزهم مقاطع الذيل، فبدأت الدّودة تسرع، خفقت أثوابهم في الريح وتزايد صوت الكشط الناتج عن حركة مرورهم.

نظر پاول للمجموعة خلفه فعثر على وجه تشاني بينهم، نظر لها وهو يتحدث لستيلغار: "إذن صرتُ راكب رمال يا ستيل؟"

"ها اليوم! Hal yawm. أنت اليوم راكب رمال".

"إذن يمكنني أن أختار وجهتنا؟"

"هذا هو المتعارف عليه".

"وُلِدتُ اليوم فريمني في عِرق حبانيا، لم تكن لي حياة قبل هذا اليوم، كنت حتى هذا اليوم كالطفل".

قال ستيلغار: "لم تكن طفلاً بالضبط"، وأحكم أحد جوانب قلنسوته حيث حركته قوة الرياح.

"لكن كانت توجد سدادة تغلق عالمي. وقد تم نزع هذه السدادة".

"لا توجد سدادة".

"سأذهب للجنوب يا ستيلغار، مسافة عشرون دقاق، سأرى تلك الأرض التي نبنيها، تلك الأرض التي لم أرها سوى من خلال عيون الآخرين".

. . .

نظر له ستيلغار بنظرة فاحصة ثابتة. أبقى پاول انتباهه على تشاني، ملاحظاً تغير تعابير وجهها والإثارة التي أشعلتها كلماته في المجموعة.

قال ستيلغار: "الرجال متشوقون للغزو معك في أحواض الهاركونِن، ومنطقة الأحواض لا تبعد سوى

مسافة دقاق واحد".

قال پاول: "شاركني الفدائيون في الغزوات، وسيغزون معي مرة أخرى حتى آخر نفس هاركوني من هواء آرّاكس".

أمعن ستيلغار النظر فيه أثناء الرحلة، وأدرك پاول أن الرجل كان يرى هذه اللّحظة من خلال ذكرى صعوده هو لزعامة سيآتش طبر ورئاسته مجلس القادة حالياً بعد موت لييّت-كاينز.

فكّر پاول: .

قال ستيلغار: "أتريد أن نجمع القادة في مجلس؟"

لمعت عيون شباب الفرقة. شاهدوا ما يحدث وهم يتمايلون أثناء الركوب، ورأى پاول نظرة الاضطراب على وجه تشاني، والطريقة التي كانت تنظر فيها لستيلغار - عمّها - ثم لپاول-مؤدّب - خليلها.

قال پاول: "ليس بإمكانك تخمين ما أريده".

. .

قال ستيلغار: "أنت اليوم مدير Mudir ركوب الرّمال"، ورنت في صوته نبرة رسمية باردة: "كيف ستستخدم هذه السلطة؟"

فكر پاول: ... .

قال پاول: "سنذهب جنوباً".

"حتى لو قلتُ إننا سنعود للشمال عندما ينتهي هذا اليوم؟"

كرّر پاول: "سنذهب جنوباً".

أحاطت بستيلغار هالة وقار في مواجهة المحتوم، وأحكم ثوبه حول جسده، وقال: "إذن سنعقد مجلساً، سأبعث بالرسائل".

.

استدار پاول جنوباً، شاعراً بالرياح على وجنتيه المكشوفتين، متدبراً الضروريات التي تدفع قراراته.

.

لا يمكنه السماح لأية اعتبارات بأن تغيّر مساره. يجب أن يظل على الخط المركزي للعاصفة الزمنية التي يراها في المستقبل. ستحين لحظة تمكنه من تفكيك العاصفة، لكن لن يحدث هذا إلا لو كان في الموقع الذي يمكنه منه قطع العقدة المركزية.

...

قال ستيلغار: "سنعسكر لنتناول وجبة المساء ونؤدي الصلاة عند كهف الطير تحت سلسلة صخور حبانياً"، وثبّت توازنه بواسطة خطاف ليميل مع حركة الصانع، وأشار للأمام إلى حاجز صخري منخفض بارز من الصحراء.

تأمل پاول الجرف الصّخري، وما به من خطوطٍ صخريةٍ عظيمةٍ متموجةٍ تقطعه وكأنها أمواج، لا أثر لخضرة ولا نباتات مزدهرة تكسر حدّة هذا الأفق الصارم. وامتد خلفه الطريق المؤدي للصحراء الجنوبية، طريق يستغرق عشر أيام بلياليهم على الأقل، حتى مع أقصى سرعة يمكنهم نخس ديدان الصانع بها.

مسافة عشرون دقاق.

كان الطريق يبعدهم كثيرا عن دوريات الهاركونِن، وكان يعلم ماذا يوجد هناك، فأحلامه كشفت ذلك له. فيوم ما، أثناء سفرهم، سيحدث تغير طفيف في اللّون عند الأفق البعيد، طفيف لدرجة أنه سيظنه خيالاً أنتجته آماله... ثم سيظهر السيآتش الجديد.

قال ستيلغار: "هل يلائم قراري المؤدّب؟"، ولم تبد في نبرته سوى مسحة خفيفة من التهكم، إلا أن آذان الفريمن من حولهما - والمعتادة على الانتباه لكل نغمة في صيحات الطيور أو في أنبوب رسائل السييلاغو - التقطت التهكم، فراقبوا پاول ليروا ما سيفعل.

قال پاول: "سمعني ستيلغار أقسم له يمين الولاء عندما أنشأنا فرقة الفدائيين، ومغاوير الموت التابعون لي يعرفون أنني أتكلم بشرف، أيشك ستيلغار في هذا؟"

شاب صوت پاول ألم حقيقي، فسمعه ستيلغار وخفض بصره.

قال ستيلغار: "يستحيل أن أشك في أصول - رفيقي في السيآتش. لكنك پاول-مؤدّب، الذّوق الآتريدي، وأنت أيضاً لسان الغيب، الصوت القادم من العالم الخارجي، وهذان لا أفهمهما من الأساس".

التفت پاول ليرى قمم حبانيا تصعد بالتدريج فوق الصحراء. كان الصانع من تحتهما لا يزال قوياً وراغباً في الاستمرار، بإمكانه أن يحملهما ضعف المسافة التي يقطعها أي صانع آخر خَبِره الفريمن. كان متأكداً من هذا. لا يوجد شيء يماثل شيخ الصحراء هذا، إلا فيما يُحكى للأطفال من حواديت، أدرك پاول أنه مادة خصبة لأسطورة جديدة.

قبضت يد على كتفه، نظر لها پاول وتبع الذراع ببصره إلى أن وصل لوجه صاحبها. قابلته عينا ستيلغار الداكنتان ما بين قناع المرشح وقلنسوة بذلة التقطير.

قال ستيلغار: "الرجل الذي كان يتزعم سيآتش طبر من قبلي، كان صديقاً لي. تشاركنا المخاطر، كان يدين لي بحياته عدة مرات... وكنت مديناً له بحياتي أيضاً".

قال پاول: "أنا صديقك يا ستيلغار".

قال ستيلغار: "لا أحد يشكك في هذا"، ثم سحب يده وهز كتفيه وقال: "إنه العرف ليس إلا".

رأى پاول أن ستيلغار كان منغمساً بالكامل في الأعراف الفريمنية بحيث يستحيل أن تخطر له احتمالية وجود طريقة أخرى. فالقائد هنا يتسلم مقاليد السلطة من يدي سلفه الميت، أو عن طريق مقاتلته لأقوى أفراد قبيلته لو كان القائد قد مات في الصحراء، صعد ستيلغار لمنصب النائب بهذه الطريقة.

قال پاول: "علينا أن نترك هذا الصانع في منطقة رمال عميقة".

وافقه ستيلغار: "أجل، بإمكاننا أن نسير للكهف من هنا".

قال پاول: "لقد امتطيناه لمسافة طويلة لدرجة أنه سيدفن نفسه ويظل زعلاناً ليوم أو أكثر".

قال ستيلغار: "أنت مدير ركوب الرّمال، أخبرنا متى ت-..." وقطع حديثه محدقاً في السماء الشرقية.

استدار پاول.

طبقة زرقة السپايس على عينيه جعلت السماء داكنة، كفلتر لازوردي سميك ظهر عليه - في تباين حاد - وميض إيقاعي بعيد.

أورنيثوبتر!

قال ستيلغار: "طائرة ثوبتر صغيرة".

قال پاول: "قد تكون للاستطلاع، أتظنهم رأونا؟"

قال ستيلغار: "على هذه المسافة لا نبدو سوى دودة تسير على السطح"، وأشار بيد: "اهبطوا، انتشروا على الرمال".

بدأت المجموعة الهبوط من على جانبي الدودة، وقفزوا أرضاً مندمجين مع الرّمال، مختفين تحت أرديتهم، انتبه پاول للموقع الذي هبطت تشاني فيه، وبعد فترة لم يبق سواه وستيلغار.

قال پاول: "أول من يركب هو آخر من ينزل".

أومأ له ستيلغار ونزل من على الجانب مستخدماً خطافيه، ثم وثب إلى الرّمال. انتظر پاول حتى ابتعد الصانع بمسافة آمنة عن منطقة انتشارهم، ثم نزع خطافيه، هذه هي المرحلة التي تتطلب براعة خاصة، عندما تترك دودة غير منهكة.

فبعد أن تحررت من مهاميزها وخطاطيفها بدأت الدّودة الضخمة تغوص في الرّمال. ركض پاول بخفة على امتداد سطحها المتسع ثم قام بحساب اللحظة المناسبة، وقفز. هبط راكضاً، واندفع إلى الجانب المنزلق لأحد الكثبان، كما علموه، وأخفى نفسه تحت الرّمل المنسدل على ردائه.

والآن، الانتظار...

التفت پاول بحرص وحرّك طية من طيّات ردائه ليكشف شقاً من السماء وتوقع أن الآخرين خلفه، على امتداد مسارهم، يفعلون نفس الشيء. سمع خفقات أجنحة الثوبتر قبل أن يراها. وصله هسيس النفاثات، وحلقت الطائرة فوق بقعته الصحراوية، ثم استدارت في قوس واسع متجهة إلى السلسلة الصخرية. لاحظ پاول غياب الرّموز التي تحدد هويتها.

طارت مختفية عن الأنظار لما وراء قمم حبانيا.

سُمع في الصحراء صياح طائر، ثم تلاه آخر.

نفض پاول الرمل عن نفسه وتسلق قمة الكثيب، وقف آخرون في خط يمتد بعيداً عن السلسلة الصخرية، تعرف بينهم على تشاني وستيلغار.

أشار ستيلغار نحو السلسلة الصخرية.

تجمعوا وبدؤوا سيرهم على الرّمل، منزلقين على السّطح بخفة في إيقاع مكسور لا يجتذب صانع، أسرع ستيلغار ليقترب من پاول عند قمة أحد الكثبان التي ضغطتها الرياح.

قال ستيلغار: "كانت طائرة مهربين".

قال پاول: "على ما يبدو. لكن هذا الموقع في الصحراء عميق بالنسبة للمهربين".

قال ستيلغار: "هم أيضا تواجههم مشاكل بسبب الّدوريات".

قال پاول: "إن وصلوا لهذا العمق، فلربما تمادوا أكثر".

"صحيح".

"من غير المستحسن أن يروا ما يوجد في المناطق الجنوبية العميقة، فالمهربون يبيعون المعلومات أيضاً".

قال ستيلغار: "كانوا يبحثون عن السپايس، ألا تظن ذلك؟"

قال پاول: "ستكون هناك طائرة حاملة وزاحفة تنتظران هذه الطائرة في مكان ما، يوجد معنا سپايس. دعنا نضع بقعة سپايس كطُعم ونقتنص بعض المهربين، يجب أن يتعلموا أن هذه أرضنا، ورجالنا يحتاجون للتدرب على استخدام الأسلحة الجديدة".

قال ستيلغار: "هذا كلام أصول، أصول يفكر كالفريمن".

.

ونُذر العاصفة تتجمع.

44

"يحدثُ كثيراً أن يشتاط الرّجل الحانق، مُنكِراً ما تخبره به ذاته الدّاخلية"

من كتاب (أقوال المؤدّب المجمعة)، تأليف الأميرة إيرولان

كانت تشع من الحشد الواقف في ساحة التجمع بالكهف مشاعر القطيع الحيواني التي أحست بها جيسيكا في اليوم الذي قتل فيه پاول جامِس، بدت في الأصوات نبرة لغط عصبي، وبين الأثواب المحتشدة تجمّعت عُقَدٌ من الشِلل الصّغيرة.

دسّت جيسيكا أسطوانة الرّسالة تحت ثوبها أثناء خروجها من حجرة پاول الخاصة إلى الحافة الصخرية، شعرت بالراحة بعد سفرها الطويل من الجنوب، لكنها لا تزال مستاءة من أن پاول لا يسمح لهم بعد باستخدام طائرات الأورنيثوبتر.

ما قاله لها كان: "لم نصل لمستوى السّيطرة الجوية الكاملة بعد، ويجب ألا نصبح معتمدين على الوقود من خارج الكوكب، يجب توفير الوقود والطائرات ليوم الجهد الكبير".

وقف پاول قرب الحافة مع مجموعة من الشباب، الضّوء الخافت المنبعث من كرات الإنارة أضفى على المشهد مسحة سيريالية. كان كلوحةٍ فنية، أضيفت إليها روائح الجحور والهمسات وأصوات جرّ الأقدام.

تأمّلت ابنها، متسائلةً لِم لمْ يسارع بالكشف عن مفاجأته حتى الآن... جيرني هاليك. أزعجها التّفكير في جيرني، لما فيه من استعادة ذكريات الماضي المريح، أيام الحب والجمال التي قضتها مع والد پاول.

انتظر ستيلغار برفقة مجموعته الصّغيرة الخاصة عند الطّرف الآخر من الحافة، وبدا عليه وقار الاستسلام للقدر المحتوم، خصوصاً في وقفته الصامتة.

.

أسرعت قاطعةً الحافة، مارّة بستيلغار دون النّظر إليه، وهبطت للحشد. أفسحوا لها الطريق وهي تتجه قاصدة پاول، يتبعها الصّمت.

كانت تعرف معنى الصّمت، أسئلة الناس غير المنطوقة، هيبة السّيدة الموقرة.

عندما اقتربت منهم انسحب الشباب مبتعدين عن پاول، وأرعبها ما جدّ عليهم من إذعان له. لدى بني-جيزيرت مقولة في هذا الشّأن: "كل الرّجال الأدنى منك مرتبة يشتهون منصبك"، لكنها لم تجد اشتهاء على هذه الوجوه، إذ كان يمنعهم من هذا ما يحيط بمركز پاول القيادي من هالة دينية، وهنا استعادت مقولة بني-جيزيرتية أخرى: "غالباً ما ينتهي الأنبياء بموتٍ عنيف".

نظر لها پاول.

قالت: "حان الوقت"، وناولته أسطوانة الرّسالة.

أحد رفاق پاول الأشجع من الآخرين رمق ستيلغار وقال: "هل ستتحداه في النزال يا مؤدّب؟ لا شك أن هذا هو الوقت المناسب، قد يظنون إنك جبان لو..."

قال پاول بصوت مرتفع: "من يجرؤ على وصفي بالجبان؟"، وأسرعت يده نحو مقبض سكينه الكريسْنايف.

خيّم على المجموعة صمتٌ محبوس الأنفاس، وانتشرت أصداءه بين الحشد كله.

انكمش الرجل متراجعاً بعيداً، فقال پاول: "هناك أعمال علينا إنجازها".

استدار پاول واقتحم الحشد بكتفيه متجهاً للحافّة، ووثب عليها بخفّة ثم واجه القوم.

صرخ أحدهم: "افعلها!" ومن وراء الصّرخة ارتفعت غمغمات وهمسات.

تريّث پاول حتى يحل الصّمت، وحل الصّمت ببطء وسط أصوات حركات مبعثرة وسعال، وعندما أصبح الكهف هادئاً رفع پاول ذقنه وتكلّم بصوتٍ وصل لأبعد الأركان.

قال پاول: "لقد تعبتم من الانتظار".

ومرة أخرى انتظر إلى أن هدأت الصيحات المجيبة.

. أحس بثقل أسطوانة الرّسالة، مفكراً فيما تحويه. كانت والدته قد أرتها له، شارحة له كيف تم الاستيلاء عليها من مبعوث هاركوني، كانت الرّسالة واضحة: أصبح رابان مهجوراً هنا على آرّاكس، وحيداً! لم يعد باستطاعته طلب المساعدة أو التعزيزات!

ومن جديد رفع پاول صوته: "تظنون أن الوقت قد حان لأواجه ستيلغار وأقوم بتغيير قائد القوات!"، وقبل أن يتمكنوا من الرد اندفع صوت پاول نحوهم في غضب: "أتظنون لسان الغيب بهذا الغباء؟"

خيّم صمتٌ مصعوق.

فكّرت جيسيكا: . !

صاح أحدهم: "هذا هو العرف!"

قال پاول في نبرة جافة، تجسّ تياراتهم العاطفية الخفية: "الأعراف تتغير".

ارتفع صوت غاضب من ركن في الكهف: "نحن من يحدد ما يتغير!"

ووسط الحشد ارتفعت صيحات موافقة متفرقة.

قال پاول: "كما تريدون".

وسمعت جيسيكا في صوته النغمات الخفية، إذ كان يستخدم قدرة الإقناع الصوتي التي علمته إياها.

قال موافقا لهم: "أنتم من سيحدد، لكن أولاً ستصغون لما أقول".

سار ستيلغار على الحافة، ولم يكشف وجهه الملتحي أية تعابير، وقال: "وهذا أيضاً من العرف، إذ يُسمح لأي فريمني بأن يتكلم في مجالس الشورى، وپاول-مؤدّب من الفريمن".

قال پاول: "مصلحة القبيلة... هذا هو أهم شيء، أليس كذلك؟"

قال ستيلغار وهو لا يزال يتكلم بنفس الصوت الوقور خالي النبرة: "هذا هو ما يرشد خطانا".

قال پاول: "طيب، من يحكم إذن مجموعة قبيلتنا هذه... ومن يحكم كل القبائل والجنود عن طريق المدربين القتاليين الذين دربناهم على الطريقة العجائبية؟"

انتظر پاول، ناظراً لرؤوس الحشد الممتدة، لم تأته إجابة.

قال بعد برهة: "هل يحكمهم ستيلغار؟ هو بنفسه ينفي هذا. هل أنا من يحكم؟ ستيلغار نفسه ينفذ أوامري من وقت لآخر، والشيوخ - أحكم الحكماء - يستمعون لي ويكرموننني في مجالس الشورى".

صدر من الحشد صمتٌ مرتبك.

قال پاول: "هل أمي إذن هي من تحكم؟"، وأشار لجيسيكا والتي وقفت وسطهم مرتديةً ثياب منصبها السوداء، "ستيلغار وكل قادة القوات الآخرين يطلبون نصيحتها في كل قرار هام تقريباً، تعلمون هذا. لكن هل تقطع السيدة الموقرة الرّمال أو تقود الغزوات ضد الهاركونِن؟"

تجعّدت الجبهات بتقطيباتٍ مفكرة، لكن استمرت الغمغمات الغاضبة.

فكّرت جيسيكا: . لكنها تذكرت أسطوانة الرّسالة ومغزاها، ففهمت غرض پاول: اقتحم عمق شكوكهم، ثم تخلص منها، وستتبعها باقي الأمور.

قال پاول: "إذن لا تعترفون لرجل بالقيادة دون التحدي والنزال؟"

صاح أحدهم: "هذا هو العرف المتبع!"

قال پاول: "ما هدفنا؟ أن نزيل رابان - الوحش الهاركوني - من كرسي السلطة، وأن نعيد تشكيل كوكبنا ليصبح مكاناً يمكننا أن نربي فيه أسرنا في سعادة وسط وفرة من الماء، أهذا هو هدفنا؟"

صاح أحدهم: "المهام الصعبة تستلزم قرارات صعبة".

ألح پاول: "وهل تُهشم سكينك قبل المعركة؟ هذه حقيقة واقعة، لا أقصد منها التفاخر أو التحدي: لا يوجد هنا رجل - بما فيهم ستيلغار - يستطيع الوقوف ضدي في قتال فردي، وهذا باعتراف ستيلغار نفسه، هو يعلم هذا، وكلكم تعلمونه أيضاً".

ومن جديد تصاعدت الغمغمات الغاضبة من الحشد.

قال پاول: "كثير منكم جربني في ساحات التّمرين، وتعلمون أن هذا ليس تفاخر مزيف، أقول هذا لأنه حقيقة معروفة لنا جميعا، وسأكون أحمقاً إن لم أعلم هذا عن نفسي. لقد بدأت أتدرب على هذه الأساليب في سن أصغر منكم، وكان أساتذتي أقوى من أي مدربين رأيتموهم، وإلا فكيف تظنون أني هزمت جامِس في عمر يكون أولادكم فيه لا يزالون يقاتلون معارك مزيفة؟"

فكّرت جيسيكا: .

. .

قال پاول: "والآن ننتقل لهذا"، ورفع أسطوانة الرّسالة ونزع عنها قصاصة الشريط: "أخذنا هذا من مبعوث هاركوني كان يحملها. صحتها لا جدال فيها. إنها موجهة إلى رابان، وتخبره أن طلبه لقوات جديدة مرفوض، وأن حصاده من السپايس منخفض كثيراً عن الحصة المطلوبة، وأن عليه أن يعتصر من آرِّاكس المزيد من السپايس مستعينا بما يملكه من أفراد".

اقترب ستيلغار من پاول.

قال پاول: "كم منكم فهم ما يعنيه هذا؟ ستيلغار فهمها في الحال".

صاح أحدهم: "انقطعت عنهم المعونة".

دسّ پاول الرّسالة والأسطوانة في وشاحه، ومن حول رقبته تناول سلك شيجاواير مجدول ونزع منه خاتماً، ثم رفع الخاتم عالياً.

قال: "هذا ختم أبي الدّوقي، وكنت أقسمت ألا أرتديه ثانية إلى أن أكون جاهزاً لقيادة قواتي على كل أراضي آرِّاكس وأن أطالب به بصفته إقطاعيتي التي من حقي"، ووضع الخاتم في إصبعه، وجمع أصابعه في قبضة.

استحوذ على الكهف صمتٌ مطبق.

قال پاول: "من الذي يحكم هنا؟"، ورفع قبضته. "أنا الذي يحكم! أنا من يحكم كل بوصة مربعة من آرِّاكس! إنه إقطاعي الدّوقي سواء قبِل الإمبراطور أم لم يقبل! لقد منحه لأبي، وورثته أنا عن أبي!"

رفع پاول نفسه على أصابع قدميه ثم عاد يقف على عقبيه، فحص الحشد، شاعراً بانفعالهم.

وفكّر: .

قال پاول: "يوجد هنا رجال سيشغلون مناصب هامة على آرِّاكس عندما أنال حقوقي الإمبراطورية هذه، ستيلغار أحد هؤلاء الرجال. لا لأني أرغب في أن أرشيه! ولا كنوع من الامتنان، رغم أنني واحد فقط من كثيرين هنا يدينون له بأرواحهم، لا! بل لأنه حكيم وقوي، لأنه يحكم هذه الفرقة بذكائه الخاص لا بمجرد القوانين، أتظنونني غبي؟ أتظنونني سأبتر ذراعي اليمنى وأتركها تدمي على أرض هذا الكهف لمجرد أن أوفر لكم بعض السيرك الترفيهي؟"

أدار پاول نظرةً حادةً في الحشد، "من هنا يجرؤ أن يقول أنني لست الحاكم الشرعي لآرِّاكس؟ أيجب أن أثبت الأمر بأن أترك كل قبيلة من قبائل الفريمن في العِرق بلا قائد؟"

رمى ستيلغار پاول، بنظرة تساؤل.

قال پاول: "هل أُنقِص من قوتنا في وقت أقصى احتياجنا لها؟ أنا قائدكم، وأخبركم أنه حان الوقت لأن نتوقف عن قتل أفضل رجالنا وأن نبدأ في قتل أعدائنا... الهاركونِن!"

في حركة خاطفة أخرج ستيلغار سكينه الكريسْنايف وأشار بها فوق رؤوس المحتشدين وصاح: "فليحيا الدّوق پاول-مؤدّب!"

امتلأ الكهف بزئير يصم الآذان، تردد صداه في الأرجاء وتكرر. كانوا يهتفون وينشدون: "يا حيّ الشهداء! Ya hya chouhada مؤدّب! مؤدّب! مؤدّب! يا حيّ الشهداء!"

ترجمت جيسيكا هذا لنفسها: "يحيا مقاتلو مؤدّب!"

لقد نجح المشهد الذي طبخته هي وپاول وستيلغار كما خططوا له.

هدأ الصّخب ببطء.

عندما عاد الصمت واجه پاول ستيلغار وقال: "اركع يا ستيلغار".

خر ستيلغار لركبتيه.

قال پاول: "ناولني الكريسْنايف".

أطاعه ستيلغار.

فكّرت جيسيكا: .

قال پاول: "ردد خلفي يا ستيلغار"، واستحضر كلمات تقليد المناصب، كما سمع أباه يستخدمها: "أنا، ستيلغار، أتناول هذا السّكين من يد دوقي".

قال ستيلغار: " أنا، ستيلغار، أتناول هذا السكين من يد دوقي".

وأخذ النصل الأبيض من پاول.

قال پاول: "وحيثما يأمر دوقي سأضع هذا النصل".

كرّر ستيلغار الكلمات ببطء ووقار.

عندما تذكرت جيسيكا مصدر هذا الطقس طرفت بعينيها لتمنع الدّموع، وهزّت رأسها.

قال پاول: "أكرّس هذا النصل لمصلحة دوقي ولموت أعدائه ما حييت".

كررها ستيلغار خلفه.

قال پاول آمراً: "قبّل النصل".

أطاعه ستيلغار، ثم - تبعاً لعادة الفريمن - قبّل ذراع پاول التي يستخدم بها السّكين.

وبإيماءة من پاول أغمد النصل ونهض.

سرت في الحشد تنهيدة انبهار هامسة، وسمعت جيسيكا الكلمات: "إنها النبوءة... امرأة من بني-جيزيرت سترشدنا للطريق، وستشهده سيدة موقرة"، ومن موضع أبعد سمعت من يقول: "إنها ترشدنا عبر ابنها!"

قال پاول: "ستيلغار هو قائد هذه القبيلة، فلا ينسى أحدكم هذا. إنه يأمركم بصوتي، كل ما يقوله لكم فكأني أنا من قاله".

فكّرت جيسيكا:

خفض پاول صوته وقال: "ستيلغار، أريد أن يخرج مسافرون صحراويون هذه الليلة وأن نبعث رسائل بالسييلاغو لجمع مجلس شورى عام، بعد أن ترسلهم أحضر تشات وكوربا وعُثيم، وضابطين آخرين من اختيارك، أحضرهم لحجراتي للتخطيط للمعركة. يجب أن نحقق انتصاراً نريه لمجلس القادة عندما يحضرون".

أومأ پاول لأمه كي ترافقه، وتقدم هابطاً من على الحافة، مخترقاً الحشد، قاصداً الممر الأوسط وحجرات المعيشة المعدة هناك، وأثناء مروره بين الحشد امتدت الأيدي لتلمسه، ونادته الأصوات.

"سيمضي سكيني أينما يأمره ستيلغار يا پاول-مؤدّب! فلنحاربهم قريباً يا پاول-مؤدّب! دعنا نبلل أرضنا بدماء الهاركونِن!"

شعرت جيسيكا بانفعالات الحشد وأحست بالنزعة القتالية لهؤلاء القوم، إنهم في أقصى حالات الاستعداد.

في الحجرة الداخلية أشار پاول لأمه بالجلوس، وقال: "انتظري هنا"، وانحنى عابرا الستائر إلى الممر الجانبي.

كانت الحجرة هادئة بعد ذهاب پاول، هدوء تام وراء الستائر حتى إن الأزيز الخافت للمضخات التي تحرك الهواء داخل السيآتش لم يصل صوته لمكان جلوسها.

وتعجبت من خليط المشاعر الغريب الذي غمرها. فجيرني وموسيقاه كانا جزءاً من الكثير من الأوقات السعيدة على كالادان قبل الانتقال لآرّاكس، وكأن ذكريات كالادن حدثت لشخص آخر غيرها، فقد تحولت لشخص آخر خلال قرابة الثلاث سنوات، وأجبرها الاضطرار لمقابلة جيرني على إعادة تقييم هذه التغيرات.

على يمينها قبعت على منضدة منخفضة أدوات تقديم القهوة الخاصة بپاول - ذاك الخليط المعدني المحزز المصنوع من الفضة والجاسميوم والذي ورثه من جامِس، تأملتها مفكرة في عدد الأيدي التي لمست هذا المعدن، تشاني تقدم القهوة له منها.

تخيلت جيسيكا نفسها تترك ظروف آرِّاكس القاسية وتنتقل لحياة السلطة والأمان التي يمكن أن تعيشها بصفتها أم فرد ملكي. رمقت الستائر الثقيلة التي تخفي وراءها صخور هذه الحجرة الكهفية، مفكرة في الطريقة التي وصلت بها إلى هنا، راكبة وسط عدة ديدان، والمحفات ومنصات الحمولة مكدسة عالياً بأشياء ضرورية للحملة العسكرية القادمة.

غمرها شوقٌ مفاجئ لرؤية حفيدها، الطفل الذي تشبه ملامحه كثيراً ملامح جده ليتو، وضعت جيسيكا راحتيها على وجنتيها وشرعت في أداء التنفس الطقوسي الذي يهدئ المشاعر ويصفي الذهن، ثم انثنت من منطقة الوسط في تمرين تعبدي يهيئ الجسد لتلبية أوامر العقل.

لا غبار على اختيار پاول لكهف الطير هذا كمقر قيادة له، إنه مكان مثالي. وفي الشمال منه يقع 'ممر الريح' الذي ينفتح مؤديا لقرية محمية في منطقة حوض صحراوي محاط بجدران جرف. كانت قرية هامة، موطنا لحرفيين وتقنيين، مركز صيانة لقطاع هاركوني دفاعي كامل.

صدر صوت سعال من خارج ستائر الحجرة، اعتدلت جيسيكا وأخذت نفسا عميقا ثم زفرته ببطء وقالت: "ادخل".

أزيحت الستائر جانباً ووثب جيرني هاليك إلى داخل الحجرة، في لمحة خاطفة رأت وجهه بتكشيرته الغريبة، ثم صار وراءها، رافعا إياها على قدميها بذراع مفتول العضلات تحت ذقنها.

قالت بحدة: "جيرني أيها الأحمق، ما هذا الذي تفعله؟"

ثم شعرت بطرف السكين في ظهرها، وانتشرت من تلك النقطة قشعريرة استيعاب: ينوي جيرني قتلها. عجزت عن التفكير في سبب، إذ لم يكن من النوع الخائن. لكنها كانت متأكدة من نيته، واستيعابها لذلك جعل ذهنها يتدبر بعنف، فهو رجل لا يسهل التغلب عليه، رجل يقظ لأي استخدام لقدرة الصوت، يقظ لكل خدعة قتالية، لكل حيلة مميتة أو عنيفة، إنه أداة قد ساعدت هي بنفسها في تدريبها عن طريق تلميحات واقتراحات مبطنة.

زمجر جيرني قائلاً: "كنت تظنين إنك أفلتّي أيتها الساحرة، هه؟"

وقبل أن تتمكن من إدارة السؤال في عقلها أو أن تحاول الإجابة انفتحت الستائر وولج پاول. "ها هو يا أم..." قطع پاول كلامه، محاولاً استيعاب المشهد المتوتر.

قال جيرني: "مكانك يا سيدي".

"ماذا..."، وهزّ پاول رأسه.

شرعت جيسيكا في الكلام فازداد ضغط الذراع على حلقها.

قال جيرني: "لن تتكلمي إلا عندما أسمح لك يا ساحرة، كل ما أريده منك هو شيء واحد يجب أن يسمعه ابنك، ومستعد لغرز هذا السكين وإيصاله لقلبك كرد فعل تلقائي عند أول بادرة هجوم مضاد تصدر عنك، صوتك سيظل على نغمة واحدة بسيطة، لن تحركي أو تقبضي عضلات معينة. ستتصرفين بأقصى حذر ممكن لتمنحي نفسك بضعة ثوان إضافية من الحياة. وأؤكد لك، هذه الثواني هي كل ما تبقى لك".

تقدم پاول خطوة للأمام: "جيرني يا رجل، ما الذي ت..."

قال جيرني بحدة: "توقف مكانك! خطوة أخرى وأقتلها".

انزلقت يد پاول لمقبض سكينه، وتكلم في هدوء مخيف: "الأفضل لك أن توضح موقفك هذا يا جيرني".

قال جيرني: "لقد أقسمت أن أقتل من خان أباك، أتظن أن بإمكاني أن أنسى الرجل الذي أنقذني من حفرة عبيد الهاركونِن، ووهبني الحرية والحياة والشرف، ومنحني صداقته، والتي أعتبرها أغلى ما أعطاني؟ إن خائنه تحت سكيني الآن، لا يمكن أن يوقفني أحد من أ ..."

قال پاول: "ظنك خاطئ يا جيرني".

وفكرت جيسيكا: ! !

قال جيرني: "أنا مخطئ؟ دعنا نسمعها من المرأة ذاتها، وليكن في علمها أنني قدمت رشاوي وتجسست وغششت كي أستوثق من هذه التهمة، بل ودفعت بالسيموتا لأحد قادة الحرس الهاركونيين كي أعرف جزءاً من الحقيقة".

شعرت جيسيكا بالذراع المحيطة بعنقها ترتخي قليلًا، لكن قبل أن تتكلم قال پاول: "الخائن كان يُوي، سأقول لك هذا مرة واحدة فقط يا جيرني. الدّليل مكتمل، ولا يمكن التشكيك فيه. يُوي هو الفاعل، لا يهمني كيف وصلت لشكوكك هذه - والتي لا يمكن أن تتعدى مجرد الشكوك - لكن إن آذيت أمي..."، ونزع پاول الكريسنايف من غمده ورفع النصل للأمام: "... فسأسفك دمك".

زمجر جيرني قائلاً: "كان يُوي طبيباً مبرمجاً عقلياً، يؤتمن على العمل في البيوت الملكية، يستحيل أن يتحول لخائن!"

قال پاول: "أعرف طريقة لإزالة هذه البرمجة".

قال جيرني بإصرار: "الدليل".

قال پاول: "الدليل ليس هنا. إنه في سيآتش طبر، بعيدًا في اتجاه الجنوب، لكن لو..."

صاح جيرني: "إنها خدعة"، وضاقت ذراعه حول عنق جيسيكا.

قال پاول: "ليست خدعة يا جيرني"، وبدت في صوته نبرة حزن رهيب لدرجة أن الصوت كاد يمزق نياط قلب جيسيكا.

قال جيرني: "رأيتُ الرسالة المأخوذة من العميل الهاركوني، الرسالة أشارت بشكل مباشر ل-..."

قال پاول: "أنا أيضاً رأيتها. أبي أراني إياها في الليلة التي شرح لي فيها حتمية كونها حيلة هاركونية مقصود منها أن يشك في المرأة التي يحبها".

قال جيرني: "إنك لا..."

قال پاول: "اصمـــت"، وكان ثبات كلماته مشبعا بنبرة آمرة تفوق كل ما سمعته جيسيكا في أي صوت آخر.

فكّرت: .

ارتجفت ذراع جيرني حول رقبتها، تحرك طرف السّكين في ظهرها في اضطراب.

قال پاول: "أنت لم تسمع أمي تنتحب في الليل على دوقها الفقيد، لم تر عينيها ينطلق منهما الشّرر عندما تتحدث عن قتل الهاركونِن".

فكّرت: .أعمت الدموع عينيها.

تابع پاول: "أنت نسيت الدروس التي تعلمتها في حفرة العبيد الهاركونية، تتحدث عن فخرك بصداقة أبي! ألم تتعلم الفرق بين هاركونِن وآتريديز بحيث تستطيع شم رائحة الخدعة الهاركونية من آثارها العفنة؟ ألم تتعلم أن ولاء الآتريديز يُشترى بالحب بينما عملة الهاركونِن هي البغض؟ ألم تتمكن من رؤية طبيعة هذه الخيانة على حقيقتها؟"

تمتم جيرني: "لكن... يُوي؟"

قال پاول: "الدّليل الذي معنا هو رسالة يُوي لنا، معترفا بخيانته. أقسم لك على هذا بالحب الذي أكنّه لك، حب سأظل أكنّه حتى بعد أن أتركك على هذه الأرضية ميتاً".

عندما سمعت جيسيكا ابنها تعجبت لوعيه، ولرؤية ذكائه الثاقبة.

قال پاول: "كان أبي يتمتع بغريزة فطرية في اختيار أصدقائه. لم يكن يغدق حبه على كثيرين لكنه لم يخطئ أبدا في اختيار من يحبهم، نقطة ضعفه كانت في سوء فهمه للكراهية، فقد ظن أن من الهاركونِن يستحيل أن يخونه"، وألقى نظرة على أمه: "هي تعرف هذا، لقد نقلت لها رسالة أبي التي تقول إنه لم يشك فيها أبداً".

أحست جيسيكا بأنها تفقد سيطرتها على نفسها، فعضت شفتها السفلى. لما رأت الأسلوب المتصلب والرسمي البادي على پاول أدركت كم تكلفه هذه الكلمات، أرادت أن تركض ناحيته، وأن تحتضن رأسه على صدرها كما لم يسبق لها أن فعلت من قبل، لكن الذراع المحيطة بحلقها توقفت عن الارتجاف، واستمر طرف السّكين في ضغطه الحاد في ظهرها.

قال پاول: "من أشّد اللحظات شناعة في حياة الصبي عندما يكتشف أن أباه وأمه مخلوقات بشرية تتشارك حباً يستحيل عليه أن يتذوقه بنفس الدرجة. إنها لحظة خسارة، يقظة تُنبهه لحقيقة أن الدنيا وأننا فيها بمفردنا، وتلك اللحظة تحمل معها شيئاً من الحقيقة، فلا تقدر على تجنبها. لقد سمعتُ أبي وهو يتحدث عن أمي، ليست الخائن يا جيرني".

استطاعت جيسيكا التحدث فقالت: "جيرني، أطلقني"، لم يكن في الكلمات نبرة آمرة خاصة، ولا حيلة موجهة لوعيه، لكن يد جيرني سقطت.

عبرت الحجرة إلى پاول ووقفت أمامه، دون أن تلمسه.

قالت: "پاول، في هذا الكون يقظات منبهة أخرى، فجأة أصبحت أعي إنني قمت باستغلالك وتشكيلك والتلاعب بك بهدف وضعك في مسار اخترته أنا... مسار كنت مضطرة لاختياره - إن كان هذا عذراً - بسبب ما تلقيتُه أنا من تدريب"، ازدردت ريقها فمر بغصة في حلقها، ورفعت بصرها لعيني ابنها: "پاول، أريدك أن تقوم بشيء من أجل خاطري، اختر طريق السعادة. امرأتك الصحراوية، تزوجها إن كنت ترغب في هذا، تحدى كل شخص وكل شيء، لكن اختر طريقك بنفسك، فأنا..." قطعت كلامها، إذ أوقفها صوت الغمغمة القادم من خلفها.

!

رأت عيني پاول تنظران لما وراءها، فاستدارت.

كان جيرني واقفا في نفس البقعة، لكنه قد أغمد سكينه، وأزاح الثوب عن صدره ليكشف اللون الرمادي الأملس لبذلة تقطير من النوع الذي يشتريه المهربون من سكان السيآتشات.

غمغم جيرني: "ضع سكينك هنا في صدري. أقول لك اقتلني وأنهها، لقد لوثتُ سمعتي. خنت دوقي! أشرف من..."

قال پاول: "اصمـــت!"

حدّق جيرني فيه.

قال پاول: "أغلق هذا الثوب وتوقف عن التصرف كأحمق، يكفيني ما تعرضت له من حماقة اليوم".

قال جيرني في هياج: "أقول لك اقتلني!"

قال پاول: "أنت تعرف طبعي، أي أبله تظنونني كلكم؟ هل سأضطر للتعرض لهذا مع كل رجل أحتاجه؟"

نظر جيرني لجيسيكا وتحدّث في نبرة بائسة متوسلة ليست من طبعه: "إذن افعليها أنت يا سيدتي اقتليني".

اقتربت منه جيسيكا ووضعت يديها على كتفيه: "جيرني، لماذا تصر على أن يقتل آل آتريديز أحباءهم؟"، وبرفق سحبت الثوب من بين أصابعه وأغلقت القماش وأحكمته على صدره.

تكلم جيرني بكلمات متكسرة: "لكن... أنا..."

قالت: "كنت تعتقد إنك تؤدي خدمة لليتو، ولهذا السبب أقدُّرك".

قال جيرني: "سيدتي"، وهوت ذقنه على صدره، ورصّ أجفانه ليغلقها سداً ضد الدموع.

قالت: "دعنا ننظر لهذا على أنه سـوء تفـاهم حدث بين أصدقـاء"، وسمع پاول في صوتها نبرات التهدئة والضبط. "انقضى الأمـر، ولحسن حظنا، لن يمـر بنـا سـوء فهـم مثل هذا مرة أخرى".

فتح جيرني عينين تلمعان، ونظر لها.

قالت جيسيكا: "كان جيرني هاليك الذي أعرفه رجلاً بارعاً في النصل وعزف القانون، وكان يعجبني رجل القانون أكثر، ألا يتذكر هذا الجيرني هاليك كيف اعتدت أن أستمتع بسماعه لساعات وهو يعزف لي؟ أما زالت معك آلة قانون موسيقية يا جيرني؟"

قال جيرني: "معي واحدة جديدة، من كوكب شوسوك. آلة جميلة، عزفها وكأنها أصلية من صنع ڤاروتا، على الرغم من أنها خالية من التوقيع. عن نفسي أظنها مصنوعة على يد تلميذٍ من تلاميذ ڤاروتا قام بـ..." ثم قطع كلامه وقال: "ما هذا الذي أقوله يا سيدتي؟ ها نحن نثرثر عن الـ..."

قال پاول: "ليست ثرثرة يا جيرني".

وعبر الحجرة ليقف جوار أمه وعيناه في عيني جيرني: "ليست ثرثرة، بل شيء يجلب سعادة بين الأصدقاء، سأعتبرها طيبة منك إن عزفت لها الآن، يمكن للتخطيط للمعركة أن ينتظر قليلاً ولن نبدأ القتال حتى الغد".

قال جيرني: "سـ... سأحضر آلتي، إنّها في الممر"، ودار حولهما ثم خرج عبر الستائر.

وضع پاول يده على ذراع أمه فوجدها ترتجف.

قال: "انتهى الموقف يا أمي".

ودون أن تدير رأسها رفعت له بصرها ونظرت من طرف عينها: "انتهى؟"

"بالطبع، إن جيرني..."

"جيرني؟ آه... صحيح"، وخفضت بصرها.

صدر من الستائر حفيف مع عودة جيرني ومعه آلة القانونٍ. بدأ يضبطها، متحاشياً أعينهما، كتمت الستائر المعلقة على الجدران صدى الصوت، فجعلته ضئيلاً وحميمياً.

قاد پاول والدته لإحدى الوسائد وأجلسها هناك وظهرها لستائر الجدار السميكة.

غمرته صدمة مفاجئة لبوادر التقدم في السن البادية على وجهها، تجاعيد جفاف الصحراء، والجلد المتدلي عند جانبي عينيها المغطاتين بطبقة من الزرقة.

. .

ضرب جيرني وتراً.

نظر له پاول وقال: "لديّ أمور تستوجب انتباهي، انتظرني هنا".

أومأ جيرني، بدا ذهنه سارحاً بعيداً، كما لو كان تحت سماء كالادان الواسعة، وفي الأفق سحاب كالصوف يعد بهطول الأمطار.

أجبر پاول نفسه على الاستدارة، وخرج عبر الستائر الثقيلة التي تحجب الممر الجانبي. سمع جيرني خلفه يبدأ عزف نغمة، فوقف للحظة خارج الحجرة ليستمع للموسيقى المكتومة.

"بساتين وكروم

وحوريات جميلات

وكأس يفيض أمامي

لماذا أثرثر عن المعارك

وعن جبال تصبح ترابا؟

لماذا أشعر بهذه الدموع؟

السماوات تنفتح

وتنثر ثرواتها

كل ما تحتاجه يدي هو أن تجمع كنوزها

لماذا أفكر في كمين

وفي سم بكأس منصهر؟

لماذا أشعر بوطأة سنيني؟

أذرع الحب تدعوني

بمباهجها العارية

وتعدني جنة عدن بالنشوة

لماذا أتذكر الندوب

وأحلم بخطاياي القديمة

ولماذا أنام خائفا؟"

لمح پاول في الممر أحد حملة الرسائل الفدائيين، كانت قلنسوة الرجل ملقاة للخلف وأشرطة ربط بذلة

تقطيره محلولة حول عنقه، دليلاً على أنه قد جاء لتوه من الصحراء.

أشار له پاول بالانتظار، وترك ستائر الباب متجهاً نحو المبعوث.

انحنى الرجل ويداه متشابكتين أمامه كما لو كان يؤدي التحية لسيدة موقرة أو سيّادينا الشعائر. قال: "يا مؤدّب، بدأ القادة في الوصول استعداداً للمجلس".

"بهذه السرعة؟"

"هؤلاء من أرسل ستيلغار يستدعيهم من قبل، عندما كنا نظن..."، ثم هزّ كتفيه.

"فهمت"، ألقى پاول نظرة خلفه نحو صوت الموسيقى الخافت، مفكراً في الأغنية القديمة التي تحبها أمه، مزيج عجيب من النغم السعيد والكلمات الحزينة، "سيأتي ستيلغار إلى هنا قريباً مع آخرين. أرشدهم للمكان الذي تنتظر أمي فيه".

قال المبعوث: "سأنتظر هنا يا مؤدّب".

"أجل، أجل، انتظر هنا".

ترك پاول الرّجل واتجه لعمق الكهف، قاصداً المكان الذي يتوافر في كل كهف من هذه الكهوف، مكان بقرب حوض تخزين الماء. في هذا المكان يوجد شاي-هولود صغير، مخلوق لا يتعدى طوله التسعة أمتار، قزّموه وحبسوه بإحاطته بأنفاق مائية، فالصانع، بعد أن يخرج من طور دودة الصانع الصغيرة، يتجنب الماء لأنه يصيبه بالتسمم، ومن أكبر أسرار الفريمين إغراقهم لدودة صانع، فبذلك ينتجون مادة اتحادهم، ماء الحياة، السّم الذي لا تقدر على تغييره سوى سيّدة موقرة.

اتخذ پاول هذا القرار أثناء مواجهته للتوتر الناتج عن الخطر الذي هدد أمه، إذ لم يكن قد رأى تلك اللحظة - أي قدوم التهديد من جيرني هاليك - في المسارات المستقبلية التي رآها من قبل. فالمستقبل الضبابي - بما فيه من شعور بأن الكون كله يندفع نحو مفترق طرق هائج - كان معلقاً من حوله كعالم شبحي.

.

لقد اكتسب جسده قدراً من المناعة ضد السپايس، مما جعل رؤاه الاستبصارية تقل شيئاً فشيئاً، وتبهت بالتدريج. وبدا له الحل واضحاً.

.

.

45

"وحدث في السنة الثالثة من سنوات حرب الصحراء أن پاول-مؤدّب رقد وحيداً في كهف الطير، في حجرة داخلية، تحت ستارة معلقة وعليها تصاوير. رقد وكأنه ميت، غارقاً في إلهام ماء الحياة، وانتقلت نفسه لما وراء حدود الزّمن، بسبب السّم الذي يمنح الحياة. وهكذا انطبقت عليه النبوءة القائلة إن لسان الغيب سيكون حياً وميتاً في الوقت ذاته".

من كتاب (أساطير آرّاكس المجمعة)، تأليف الأميرة إيرولان

برزت تشاني من حوض حبانيا الصّحراوي في ظلمة ما قبل الفجر، وسمعت طنين الثوبتر - التي أتت بها من الجنوب - وهي تبتعد متجهة لمخبأٍ ما في الصحراء الواسعة، ومن حولها حافظت رفقة الحرسعلى بمسافة بينهم وبينها، منتشرين على صخور السلسلة الجبلية ليرصدوا الأخطار، وليمنحوا خليلة المؤدّب - أم ابنه البكر - ما طلبته: الاختلاء بنفسها.

.

جمعت ثوبها حولها ووثبت بخفةٍ فوق حاجز صخري، ثم إلى طريق يصعب تمييزه في الظلام على من لم يتدربوا على حياة الصحراء، انزلق الحصى تحت قدميها فتحركت فوقه دون أن تلاحظ ما تطلبه هذا من رشاقة.

أنعشها التسلق، مهدئاً المخاوف التي أثارها في نفسها صمت الحرس المرافقين وانسحابهم داخل ذواتهم، وبسبب استخدامها لطائرة ثوبتر - وهي من الموارد التي لا تهدر هكذا. شعرت بالبهجة لقرب ملاقاتها لپاول-مؤدّب، حبيبها أصول. قد يكون اسمه صيحة قتالية في البلاد كلها: "مؤدّب! مؤدّب! مؤدّب!"، لكنها كانت تعرفه بصفته رجل آخر له اسم آخر، والد ابنها، العاشق الرقيق.

ظهر عند الصّخور أعلاها شخصٌ ضخمٌ يومئ لها بالإسراع، فأسرعت الخطى. شقشقت طيور الفجر وحلّقت صاعدةً في السماء، وبزغت على الأفق الشرقي بقعةٌ من الضّوء الخافت.

لم يكن أحد مرافقيها، تساءلت عندما لاحظت حركاته وتصرفاته المألوفة: أهو عُثيم؟ اقتربت منه فتعرفت - على هدى الضوء المتزايد - ملامح الضابط الفدائي العريضة المنبسطة، وأن قلنسوته مفتوحة ومرشح فمه مربوط دون إحكام، كما يفعل المرء أحياناً عندما ينوي الخروج للصحراء لما لا يزيد عن بضعة لحظات.

قال في هسيس: "أسرعي"، وقادها عبر الصّدع السّري إلى داخل الكهف المخفي، همس وهو يزيح أمامها غطاء فتحة الباب: "نور الصبح يقترب، ويأس الهاركونِن دفعهم لإرسال دوريات لبعض هذه المناطق، لا نجرؤ على المخاطرة بالانفضاح الآن".

ولجا إلى الممر الجانبي الضّيق، المدخل المؤدي لكهف الطير، أضيئت كرات إنارة وتجاوزها عثيم وهو يقول: "اتبعيني، وأسرعي".

قطعا الممر، ثم أسرعا عبر باب آخر له صمّام، فممر آخر، ثم عبر ستائر تؤدي لما كان يستخدم مختلى للسيّادينا عندما كان هذا الكهف مقر استراحةٍ مؤقت. غطت الأرض طبقاتٌ من السجاد والوسائد. وأخفت الجدران الصّخرية ستائر منسوجة، عليها صورة صقر أحمر، وفي أحد الجوانب قبع مكتب ميداني منخفض تناثرت عليه أوراق تفوح منها رائحة السپايس.

جلست السّيدة الموقرة بمفردها في مواجهة المدخل بالضبط. رفعت بصرها بتلك النظرة الباطنية التي تجعل غير المتمرسين يرتجفون.

ضغط عثيم راحتيه معا وقال: "لقد أحضرت تشاني"، انحنى وتراجع عبر الستائر.

فكرت جيسيكا:

قالت جيسيكا: "كيف حال حفيدي؟"

فكّرت تشاني: . وعادت لها مخاوفها.

قالت تشاني: "إنه بصحة وسعادة يا أمي، تركته هو وعاليه في رعاية هارا".

فكّرت جيسيكا: . . .

.

قالت جيسيكا: "سمعت أن هدية من القماش قد أرسلت لكم من سيآتش كوانوا".

قالت تشاني: "إنه قماش جميل".

"هل أرسلت عاليه معك رسائل؟"

"لا رسائل، لكن السيآتش يعمل بسلاسة أكبر الآن بعد أن بدأ الناس يتقبلون وضعها الإعجازي".

تساءلت تشاني: لماذا

!

قالت جيسيكا: "علينا أن نقتطع شيئاً من القماش الجديد لنصنع منه ملابس لليتو الصغير".

قالت تشاني: "كما تحبين يا أمي"، وخفضت بصرها: "هل من أخبار عن المعارك؟"

أرغمت تعابير وجهها ألا تكشف الحقيقة لجيسيكا... أن السؤال كان عن پاول-مؤدّب.

قالت جيسيكا: "انتصارات جديدة، وأرسل رابان مفاتحات حذرة يعرض عقد هدنة. أعدنا له رسله دون مائهم، بل وقد خفف رابان الضغط على الناس في بعض قرى الحوض، لكنه تأخر في هذا كثيراً، فالناس تعرف إنه يفعل هذا لخوفه منا".

قالت تشاني: "وهذا ما توقعه مؤدّب".

حدقت في جيسيكا محاولةً أن تحتفظ بمخاوفها لنفسها. .

.

قالت جيسيكا: "كنت أتمنى لو أننا الآن في الجنوب. كانت الواحات شديدة الجمال عندما رحلنا، ألا تشتاقين ليوم تزدهر فيه الأرض كلها بهذه الطريقة؟"

قالت تشاني: "الأرض جميلة حقاً، لكن بها الكثير من الأحزان".

قالت جيسيكا: "الحزن ثمن النصر".

قالت: "الكثير من النساء بلا رجال، غارت النساء عندما علمن باستدعائي للشمال.".

قالت جيسيكا: "أنا من استدعاكِ".

دقّ قلب تشاني بعنف، أرادت أن تغطي أذنيها بيديها خوفاً مما قد تسمعه. ومع ذلك حافظت على هدوء صوتها: "كانت الرسالة ممهورة بتوقيع مؤدّب".

قالت جيسيكا: "أنا من وقعها بهذه الطريقة، في حضور ضباطه، كانت حيلة اضطررنا لها".

وفكّرت جيسيكا: . .

.

ثم قالت تشاني بنبرة فيها قدر من الاستسلام للمحتوم: "والآن بإمكانك أن تبوحي بالأمر الذي لا مفر من قوله".

قالت جيسيكا: "نحتاجك هنا لإعانتي على إفاقة پاول". ! . .

.

استغرقت تشاني دقيقة لتهدئ نفسها ثم قالت: "كيف يمكنني المساعدة؟" كانت تتوق للقفز على جيسيكا وتهزها صارخة: "خذيني إليه"، لكنها انتظرت الإجابة في صمت.

قالت جيسيكا: "أظن أن الهاركونِن نجحوا في إرسال عميل بيننا وضع سماً لپاول. يبدو هذا هو التفسير الوحيد. سمّ غير معتاد. فقد فحصت دمه بأدق الأساليب ولم أجد له أثراً".

دفعت تشاني نفسها على ركبتيها: "سم؟ هل يتألم؟ أيمكنني أن..."

قالت جيسيكا: "إنه غائبٌ عن الوعي. وظائفه الحيوية ضعيفة للغاية لدرجة لا يمكن ملاحظتها سوى بأدق الطرق، أرتعد عند التفكير فيما كان سيحدث لو لم أكن أنا أول من اكتشفه، إذ يبدو ميتاً للعين غير الخبيرة".

قالت تشاني: "لم تستدعني لأسباب مجاملة اجتماعية، فأنا أعرفك يا سيدتنا الموقرة، ما الذي تظنين أن بإمكاني فعله ولا يمكنك أنت فعله؟"

فكّرت جيسيكا: . - .

قالت جيسيكا: "تشاني، قد يصعب تصديق ما سأقوله، في الحقيقة لا أعلم بالضبط لماذا أرسلت لاستدعائك، لكنه كان شيئاً غريزياً، حدساً فطرياً. جاءتني الخاطرة هكذا: استدعِ تشاني".

ولأول مرة رأت تشاني الحزن على ملامح جيسيكا، الألم الواضح وقد غيّر النظرة الباطنية.

قالت جيسيكا: "نفذت جميع الطرق التي أعرفها. وعندما أقول جميع، فأنا أعني شمولية يصعب على العامة فهمها، وعلى الرغم من ذلك... فشلت".

قالت تشاني: "هاليك، رفيقه القديم، أمن المحتمل إنه خائن؟"

قالت جيسيكا: "ليس جيرني".

وتضمنت هاتان الكلمتان حواراً كاملاً، ورأت تشاني فيهما ما تم من بحث واختبارات، وذكريات الإخفاقات القديمة التي بدت في هذا الإنكار الصريح.

نهضت تشاني وسوّت ثوبها المبقع من آثار السفر في الصحراء وقالت: "خذيني إليه".

نهضت جيسيكا وعبرت ستائر معلقة على الحائط الأيسر.

تبعتها تشاني فوجدت نفسها في حجرة كانت في السابق مخصصة للتخزين، تختفي جدرانها الصخرية خلف ستائر سميكة. وعند الجدار البعيد رقد پاول على لفة سرير ميداني، أضاءت وجهه كرة إنارة واحدة فوقه، غطاه ثوبٌ أسود حتى صدره، وذراعاه ممتدان على جانبيه. بدا عارياً تحت الثوب. بدت أجزاء البشرة المكشوفة شمعيّة باهتة، ومتصلبة، ولم تظهر عليه حركة.

كبحت تشاني رغبتها في الاندفاع وإلقاء جسدها عليه. وبدلاً من ذلك، وجدت أفكارها تتجه لابنها،

ليتو. وأدركت في تلك اللحظة أن جيسيكا مرّت في السّابق بموقفٍ مماثل، رجلها يهدّده الموت، وعقلها يجبرها على التفكير فيما يمكن عمله لإنقاذ الابن الصغير.

هذا الإدراك صنع رابطة فجائية بينها وبين السّيدة التي تكبرها، فمدت تشاني يدها وأمسكت يد جيسيكا. أجابتها قبضة مؤلمة في قوتها.

قالت جيسيكا: "إنه حي، أؤكد لك إنه حي. لكن الخيط الممسك بحياته رفيع للغاية بحيث يَسهل عدم الانتباه له، يوجد بين القادة من يتمتم قائلاً أن الأم هي من تتحدث لا السيدة الموقرة، أن ابني قد مات وإنني لا أرغب في إعطاء ماءه للقبيلة".

قالت تشاني: "منذ متى وهو على هذه الحال؟" نزعت يدها من قبضة جيسيكا وتقدمت في الحجرة.

قالت جيسيكا: "ثلاثة أسابيع، قضيت أسبوعاً تقريباً محاولةً إفاقته. ثم حدثت اجتماعات وجدالات، وتحقيقات. ثم أرسلت لكِ، الفدائيون يطيعون أوامري، وإلا لما كنت سأستطيع تأخير ال-..." رطبت شفتيها بلسانها، وراقبت تشاني تقترب من پاول.

وقفت تشاني قريبة منه، تنظر للحيتة الفتية الناعمة المحيطة بوجهه، متتبعة بعينيها خط الجبين المرتفع والأنف الصارمة والعينين المغلقتين، كانت ملامحه مسالمة في وضعه المتصلب هذا.

قالت تشاني: "كيف يتغذى؟"

قالت جيسيكا: "أصبحت متطلبات جسده ضئيلة للغاية لدرجة أنه لم يحتاج الطعام حتى الآن".

قالت تشاني: "كم عدد من يعلمون بما حدث؟"

"فقط أقرب مستشاريه، وبعض القادة، والفدائيين، وبالطبع من أعطاه السّم".

"لا دليل يشير لشخصية من سممه؟"

قالت جيسيكا: "لا، حتى بعد كل التحقيقات الشاملة".

قالت تشاني: "وماذا يقول الفدائيون؟"

"يعتقدون أن پاول دخل في إغشاءة دينية، وأنه يجمع قواه المقدسة قبل المعارك النهائية، وهي فكرة قمت بالتشجيع عليها".

نزلت تشاني على ركبتيها جوار الحاشية ومالت مقتربة من وجه پاول. شعرت فوراً باختلاف في الهواء المحيط بوجهه، لكنه لم يكن سوى السپايس، السپايس الموجود في كل شيء والذي تتخلل رائحته كل حياة الفريمن. ومع ذلك...

قالت تشاني: "لم تولدا معتادين على السپايس مثلنا، هل حققتِ في احتمالية أن جسده قد تمرد على وجود كمية سپايس كبيرة في طعامه؟"

قالت جيسيكا: "كل فحوصات الحساسية سلبية".

أغمضت عينيها، لتخفي هذا المشهد وفي الوقت ذاته كنتيجة لإدراكها فجأة بالإرهاق.

.

قالت تشاني: "عندما تقومين بتغيير ماء الحياة فإنك تفعلين هذا داخل جسدك، باستخدام وعيك الداخلي. هل استخدمتِ هذا الوعي لفحص دمه؟"

قالت جيسيكا: "دم فريمني عادي، متكيف تماماً مع الطعام والحياة هنا".

جلست تشاني على عقبيها، وأغرقت مخاوفها تحت أفكارها وهي تفحص وجه پاول. كانت هذه حيلة تعلمتها من مراقبة السّيدات الموقرات. فيمكن إرغام الزمن على خدمة الذّهن، بأن يقوم المرء بتكثيف انتباهه كله.

بعد قليل قالت تشاني: "هل يوجد هنا صانع؟"

قالت جيسيكا بشيء من الضجر: "عدة ديدان، يكاد لا يخلو يومنا منهم. فكل نصر يحتاج مباركة خاصة، وكل طقس يسبق الغارات ..."

قالت تشاني: "لكن پاول-مؤدّب يتحاشى هذه الطقوس الاحتفالية وينعزل عنها".

أومأت جيسيكا لنفسها، متذكرة أحاسيس ابنها المتأرجحة فيما يتعلق بعقار السپايس وما يكثفه من إدراك استبصاري.

قالت جيسيكا: "وكيف عرفتِ هذا؟"

"يقال".

قالت جيسيكا في مرارة: "زاد القيل والقال".

قالت تشاني: "أحضري لي ماء خام من دودة صانع".

تصلبت جيسيكا للنبرة الآمرة في صوت تشاني، ثم لاحظت التركيز العميق على الشابة، فقالت: "حالاً"، وخرجت عبر الستائر لتبعث بأحد رجال المياه.

جلست تشاني تحدّق في پاول. ... ...

ركعت جيسيكا جوار تشاني، حاملة إبريقاً عادياً من أباريق المعسكر. كانت رائحة السّم المميزة قوية في فتحتي أنف تشاني. غمست إصبعاً في السائل ووضعته قريباً من أنف پاول.

تجعد جلد مقدمة أنفه بعض الشيء. ثم اتسعت فتحتا الأنف.

شهقت جيسيكا.

مسّت تشاني شفة پاول العليا بالإصبع الرّطب، فسحب شهيقاً طويلاً في تنشج.

قالت جيسيكا: "ما هذا؟"

قالت تشاني: "اهدئي، يجب أن تقومي بتحويل كمية صغيرة من الماء المقدس، بسرعة!"

ودون أسئلة - لأنها لاحظت نبرة الفهم في صوت تشاني - رفعت جيسيكا الإبريق إلى فمها وسحبت رشفة صغيرة.

انفتحت عينا پاول وحدّق في تشاني.

وقال بصوت ضعيف لكنه ثابت: "ليس من الضروري أن تقوم بتغيير الماء."

جيسيكا - ورشفة السائل على لسانها - وجدت جسدها يسرع محولاً السم بطريق شبه أوتوماتيكية. وفي حالة الانتعاش الخفيفة التي يمنحها لها الطقس دائماً أحست بهالة الحياة في پاول، إشعاع ينطبع منه على حواسها، وفي تلك اللحظة فهمت ما حدث.

قالت دون تفكير: "لقد شربتَ من الماء المقدس!"

قال پاول: "قطرة واحدة. صغيرة للغاية، مجرد قطرة".

قالت بنبرة حادة: "وكيف سمحت لنفسك بتصرف طائش كهذا؟"

قالت تشاني: "إنه ابنك".

حدجتها جيسيكا.

ارتسمت على شفتي پاول ابتسامة نادرة، دافئة ومفعمة بالفهم. قال: "أصغِ لحبيبتي، استمعي لها يا أمي. فهي تعرف".

قالت تشاني: "ما يفعله الآخرون، يجب أن يفعله هو أيضاً".

قال: "عندما أخذت القطرة في فمي، عندما أحسست بها وشممت رائحتها، عندما أدركت ما تفعله بي، عندها علمت أن بإمكاني القيام بما فعلتِه أنتِ، تتكلم كبار كاهنات بني-جيزيرِت عن الكويزاتس هاديراك، لكنهن عاجزات عن تخمين الأماكن العديدة التي كنتُ فيها، ففي هذه الدقائق القليلة التي..."

قطع حديثه، ناظراً لتشاني بتقطيبة حائرة: "تشاني؟ كيف وصلتِ إلى هنا؟ من المفترض إنك في... لماذا أنت هنا؟"

حاول أن يرفع نفسه معتمداً على كوعيه، فدفعته تشاني للخلف برفق.

قالت: "أرجوك يا أصول".

قال: "أشعر بضعفٍ شديد"، وثب بصره في أرجاء الحجرة: "منذ متى وأنا هنا؟"

قالت جيسيكا: "لثلاثة أسابيع كنت في غيبوبة عميقة لدرجة أن شعلة الحياة بدت وكأنها قد هربت منك".

"لكن الأمر لم يستغرق، لقد تناولتها منذ لحظة واحدة و ..."

قالت جيسيكا: "لحظة بالنسبة لك، وثلاثة أسابيع خوف بالنسبة لي".

قال پاول: "كانت مجرد قطرة واحدة، لكني قمت بتحويلها. لقد غيرتُ ماء الحياة." وقبل أن تتمكن تشاني أو جيسيكا من منعه غمس يده في الإبريق على الأرض جواره، ورفع إلى فمه وبلع ما في راحة يده.

صرخت جيسيكا: "پاول!"

قبض على يدها وواجهها بابتسامة مخيفة، ثم غمر ذهنها بوعيه الإدراكي.

لم تكن الرابطة بمثل ما كانت عليه من رقة ومشاركة واحتواء كما حصل مع عاليه والسّيدة الموقرة العجوز في الكهف، لكنها كانت رابطة فعلاً، حواس مشتركة في الكيان كله. هزّتها الرّابطة وأضعفتها، وانكمشت جيسيكا داخل ذهنها متراجعة، خائفةً منه.

قال بصوت مرتفع: "تتكلمين عن مكان لا يمكن أن تدخلوه؟ ذلك المكان الذي لا يمكن للسّيدة الموقرة أن تواجهه، أريه لي".

هزّت رأسها، مرعوبة من مجرد الفكرة.

قال آمرا: "أريه لي!"

"كلا!"

لكنها لم تستطع التملّص منه. تحت إجبار قوته الرهيبة أغمضت عينيها وركزت داخلياً، في الاتجاه

المظلم.

انساب وعي پاول عبرها وحولها وإلى داخل الظلمة، رأت المكان في لمحة خاطفة ضبابية قبل أن ينغلق ذهنها متحاشياً الرعب. ودون أن تعلم السّبب ارتجف كيانها كله لِما رأته، منطقة تهب فيها الرياح وتبرق الشرارات، تنبسط فيها حلقات من النور وتنقبض، مكان تتدفق فيه صفوف من الأشكال البيضاء المنتفخة فوق الأضواء وتحتها وحولها، يحركها الظلام والرياح من العدم.

فتحت عينيها بعد برهة، ورأت پاول يحدّق فيها. كان لا يزال قابضاً على يدها لكن الرّابطة الرّهيبة قد انتهت، هدأت من ارتجافها، وترك پاول يدها.

وكأن عكازاً ما قد أزيل. ترنحت وهي تنهض وتتراجع، وكانت ستقع لو لم تسرع تشاني لإسنادها.

قالت تشاني: "أيتها السيدة الموقرة؟ ما الخطب؟"

همست جيسيكا: "متعبة، إنني متعبة جداً".

قالت تشاني: "هاك"، وأعانت جيسيكا على الجلوس على وسادة وظهرها للجدار.

ارتاحت للذراعين الفتيتين القويتين، فتعلقت بتشاني.

قالت تشاني: "هل رأى ماء الحياة فعلاً؟" وحرّرت نفسها من قبضة جيسيكا.

همست جيسيكا: "رآها".

عقلها لا يزال مضطرباً ومائجاً بسبب رابطة الاتصال. كأنها وطئت أرضاً يابسة صلبة بعد أسابيع في بحر متلاطم. أحست بالسّيدة الموقرة العجوز داخلها - وكل الأخريات - يستيقظن ويسألن:

وأثناء هذا كله، سرى فيها إدراك أن ابنها الكويزاتس هاديراك، من يقدر على أن يكون في عدة أماكن في نفس الوقت. بات الحقيقة التي خرجت من حلم بني-جيزيرِت، ولم ترتاح من هذه المعلومة.

قالت تشاني: "ماذا حدث؟"

هزّت جيسيكا رأسها.

قال پاول: "في كل منا قوّة قديمة تأخذ، وقوة قديمة تمنح. لا يجد الذكر صعوبةً في مواجهة ذلك المكان الموجود داخله والذي تسكنه القوة الآخذة، لكن يكاد يكون من المستحيل عليه أن يرى داخل القوة المانحة دون أن يتغير ويصبح شيئاً آخر يختلف عن الذكور. وبالنسبة للمرأة فإن الوضع معكوس".

رفعت جيسيكا بصرها فرأت تشاني تحدّق فيها وهي تستمع لپاول.

قال پاول: "هل تفهميني يا أمي؟"

لم تملك سوى الإيماء.

قال پاول: "هذه الأشياء بالغة القدم داخلنا لدرجة أنها متأصلة في كل خلية من خلايا أجسادنا، تقوم هذه القوى بتشكيلنا، بإمكانك أن تقول لنفسك: 'أجل، أفهم كيف يمكن لشيء كهذا أن يكون'، لكن عندما تنظر داخلك وتقف وجهاً لوجه دون حاجز يحميك من قوة الحياة الخام فسترى هلاكك، سترى كيف يمكن لهذه القوة أن تغلبك. أعظم خطر على المانح هي القوة التي تأخذ، وأعظم خطر على الآخذ هي القوة التي تمنح، فسهولة الاندحار أمام المنح تساوي سهولة الاندحار أمام الأخذ".

قالت جيسيكا: "وأنت يا بني، أأنت ممن يمنحون أم ممن يأخذون؟"

قال: "أنا نقطة الارتكاز، لا يمكنني المنح دون أخذ، ولا الأخذ دون..." قطع كلامه ناظراً نحو الجدار على يمينه.

لامست حركة هواء خد تشاني، فالتفتت فرأت الستائر يتم غلقها.

قال پاول: "عثيم، كان يستمع".

صدّقته تشاني، ومسّها شيء من ذلك الاستبصار الملازم لپاول، وأدركت شيئاً لم يحدث بعد، وكأنه قد حدث بالفعل. سيتكلم عثيم عما رآه وسمعه، سينشر الآخرون القصة إلى أن تمتد كالنار في الهشيم. سيقولون: پاول-مؤدّب ليس كباقي الرجال. لا مجال للشك. إنه رجل، ومع ذلك بإمكانه أن يرى خلال ماء الحياة كما تفعل السيدة الموقرة، إنه بالفعل لسان الغيب.

قالت جيسيكا: "رأيتَ المستقبل يا پاول، هل ستخبرنا بما رأيت؟"

قال پاول: "ليس المستقبل، بل رأيت الحاضر"، وأرغم نفسه علي الجلوس ولوح لتشاني بالبقاء مكانها عندما تحركت لتساعده: "يكتظ الفضاء فوق آرّاكس بسفن النقابة".

ارتعدت جيسيكا للثّقة الواضحة في صوته.

قال پاول: "حضر الإمبراطور الپاديشي بنفسه"، ونظر لسقف حجرته الصّخري: "ومعه كاهنته المفضلة، كاشفة الأكاذيب، وخمسة فيالق ساردوكار، ومعهم أيضا البارون العجوز ڤلاديمير هاركونِن وجواره ظافر حواط، وسبع سفن ممتلئة عن آخرها بكل جندي استطاع جمعه، كل أسرة من أسر كبار النبلاء معهم غزاة يقفون فوقنا، منتظرين".

هزّت تشاني رأسها، عاجزة عن الإشاحة بعيداً عن پاول. فغرابته، وصوته الخالي النبرة، والطريقة التي كان يخترقها بنظراته، ملأتها رهبة.

حاولت جيسيكا أن تبتلع ريقها في حلق جاف: "وماذا ينتظرون؟"

نظر پاول لها: "ينتظرون إذن النقابة لهم بالهبوط، فلا أحد يهبط على آرّاكس دون إذن من نقابة الفضاء، وإلا سيبقى على سطحه للأبد".

قالت جيسيكا: "النقابة تحمينا؟"

"تحمينا! بل النقابة نفسها هي من تسببت في هذا عن طريق نشر حكايات عما نفعله هنا، وخفضت أجرة نقل الجنود حتى سمحت لأفقر الأسر النبيلة بأن تكون فوقنا الآن في انتظار فرصة النهب".

لاحظت جيسيكا نبرته الخالية من المرارة، وتعجبت. لم يكن بإمكانها أن تشك في صحة كلامهم، فقد كان لكلماته نفس الحدة التي رأتها فيه تلك الليلة التي كشف فيها المسار المستقبلي الذي أوصلهما للفريمن.

أخذ پاول نفساً عميقاً وقال: "أمي، عليك أن تغيري لنا كمية من الماء. نحتاج للعامل المحفّز. تشاني، أرسلي فرقة استطلاع، للعثور على كتلة سپايس أوّلي، إذا وضعنا كمية من ماء الحياة فوق كتلة سپايس أولي، أتعلمين ماذا سيحدث؟"

تدبرت جيسيكا كلماته ثم فهمت مغزاها، فشهقت: "پاول!"

قال: "سيصبح ماء الموت، وسيكون تفاعلاً متسلسلاً"، وأشار للأرضية: "ناشراً الموت بين ديدان الصانع الصغيرة، قاتلاً طوراً من أطوار دورة الحياة التي تشمل السپايس وديدان الصانع، سيصبح آرّاكس خراباً بحق، بلا سپايس ولا صانع".

وضعت تشاني يداَ على فمها، وقد أخرستها صدمتها من خطورة التجديف المتدفق من شفتي پاول.

قال پاول: "من يقدر على تدمير شيء يصبح المتحكم الحقيقي به، ونحن بإمكاننا تدمير السپايس".

همست جيسيكا: "وما الذي يعيق النقابة؟"

قال پاول: "يبحثون عني، تدبري دلالة هذا! صفوة ملاحي النقابة، الرّجال الذين يستطيعون استشراف الزمن ليعثروا على أكثر الطرق الفضائية أماناً كي تسير فيها أسرع سفن الهايلاينر، كلهم يبحثون عني، وعاجزين عن العثور عليّ. يا لارتجافهم! يعرفون إنني أعرف سرّهم!"، ورفع پاول يده الحاوية للسائل: "هم عميان دون السپايس!"

أخيراً تكلمت تشاني: "قلت إنك ترى الحاضر!"

عاد پاول بظهره للوراء، باحثاً في الحاضر المنتشر أمامه، والذي تمتد حدوده حتى المستقبل وإلى الماضي، وكانت سيطرته على الوعي الإدراكي تضعف، إذ بدأت إشراقة السپايس في الذبول.

قال: "اذهبا وافعلا ما أمرتكما به. فالمستقبل بدأ يصبح ضبابياً أمام النقابة وأمامي. خطوط الرؤية تضيق. كل شيء يرتكز على مكاننا هذا، حيث يوجد السپايس، حيث لم يجرؤوا على التدخل من قبل، لأن التدخل سيجعلهم يفقدون ما يجب أن يحصلوا عليه. لكنهم الآن في وضع يائس، فكل المسارات نهايتها مظلمة".

46

"وجاء اليوم الذي أصبح فيه آرِّاكس محور الكون، وعجلته متأهبةً للدّوران".

من كتاب (يقظة آرِّاكس)، تأليف الأميرة إيرولان

همس ستيلغار: "انظرا لهذا!"

رقد پاول بجوار ستيلغار، داخل شقٍّ صخري طولي على حافة الجدار الجبلي، وعيناه مثبتتين عند عدسة تليسكوب فريمني. تركّزت العدسة الزّيتية على سفينة لايتر فضائية صغيرة تقبع تحتهم في الحوض الصّحراوي يغمرها ضوء الفجر. وفي ضوء الشّمس المباشر برق جانب السّفينة الشّرقي الطويل، أما الجانب المظلل فكشف عن فتحاتٍ صفراء تبدو منها كرات الإنارة الليلية، وخلف السّفينة قبعت مدينة آرّاكين باردة، تتلألأ تحت ضوء الشمس الشمالية.

كان پاول يعرف أن ما أثار انبهار ستيلغار لم يكن سفينة اللايتر، بل المُنشأة، والتي لم تكن اللايتر سوى قطعتها المركزية الوسطى. معسكر معدني واحد، بارتفاع عدة طوابق، يمتد على دائرة نصف قطرها ألف متر - بدءاً من قاعدة اللايتر، كان خيمة مكونة من صفائح معدنية متداخلة، وتأوي مؤقتاً خمسة فيالق من الساردوكار، وجلالة الإمبراطور الپاديشي شدوم الرابع.

قال جيرني هاليك حيث جثم على يسار پاول: "تسعة طوابق، يحوي عدداً لا بأس به من الساردوكار، بلا شك".

قال پاول: "خمسة فيالق".

قال ستيلغار هامساً: "نور الصبح يزداد. لا نحب كشفك لنفسك بهذه الطريقة يا مؤدّب، دعنا نرجع الآن لما بين الصخور".

قال پاول: "أنا هنا بأمانٍ تام".

قال جيرني: "هذه السّفينة مسلّحة بأسلحةٍ قاذفة".

قال پاول: "يظنوننا نحمل دروعاً، لن يهدروا طلقاتهم على ثلاثي لم يتم التعرّف على هويتهم، حتى لو رأونا".

أدار پاول التليسكوب ليفحص الجدار البعيد للحوض، فرأى الجروف الصّخرية بما عليها من علامات كالبثور. تلك كانت الانهيارات التي تشير لمواقع قبور العديد من جنود أبيه، فشعر للحظة بموائمة هذا للموقف، حيث ستطل أرواح هؤلاء الرجال على هذه اللحظة، لقد وقعت في يدِ الفريمين قلاع وبِلدات الهاركونِن، وتم عزل الباقي عن منابع إمدادات الهاركونِن، وكأنها سوق قد قُطعت عن النبتة وتُركت لتذوى، ولم يبق في يد العدو إلا هذا الحوض ومدينته.

قال ستيلغار: "قد يرسلوا طلعات ثوبتر إن شاهدونا".

قال پاول: "دعهم يفعلوا، فاليوم عندنا ما يكفي ويفيض من الثوبترات، ونعلم أن هناك عاصفة تقترب".

ثم أدار التليسكوب للطرف البعيد لمهبط طائرات مدينة آرّاكين، للفرقاطات الهاركونية المصطفة هناك، وراية شركة كوآم ترفرف على ساريتها، وفكر في مستوى اليأس الذي أرغم النقابة على السماح لهاتين المجموعتين بالهبوط بينما أرغم البقية على البقاء في الفضاء، صارت النقابة الآن

كرجل يختبر الرّمال بإصبع قدمه ليقيس درجة حرارته قبل أن ينصب خيمته.

قال جيرني: "أي جديد يمكن أن نراه من هذا الموقع؟ علينا أن نحتمي، فالعاصفة آتية".

أعاد پاول انتباهه لخيمة المعسكر العملاقة وقال: "جاؤوا حتى بنسائهم، وأتباعهم وخدمهم، آه يا إمبراطوري العزيز، ما أشدّ ثقتك في نفسك!"

قال ستيلغار: "رجال قادمون عبر الطريق السّري، ربما عاد عثيم وكوربا".

قال پاول: "طيب يا ستيل، سنعود".

لكنه ألقى حوله نظرةً أخيرة عبر التليسكوب، فاحصاً الوادي بما فيه من سفنٍ مرتفعة، ومعسكرٍ معدني برّاق، والمدينة الصّامتة، وفرقاطات جنود الهاركونِن المرتزقة. ثم انزلق لِلخلف مستديراً عندَ منحدر صخري، وحلّ محله أمام التليسكوب أحد الحرس الفدائيين.

وصل پاول إلى منخفضٍ ضحلٍ يقع على سطح الجدار الجبلي، كان مكانا قطره حوالي الـ 30 متر، وعمقه 3 أمتار تقريباً، تجويفٌ طبيعي من تضاريس الصّخرة التي أخفاها الفريمن تحت غطاء تمويهي نصف شفاف. تجمعت أجهزة الاتصالات حول حفرة في الجدار ناحية اليمين، واتخذ الحرس الفدائيون مواقعهم في أرجاء المنخفض، ينتظرون أمر المؤدّب بالهجوم.

برز رجلان من الحفرة المجاورة لأجهزة الاتصالات، وتكلّما مع الحرس الواقفين هناك.

نظر پاول لستيلغار وأومأ له في اتجاه الرجلين: "تلقى تقريرهم يا ستيل".

تحرّك ستيلغار ليطيع الأمر.

ربض پاول وظهره للصّخرة، وتمطى ممدداً عضلاته، ثم اعتدل. رأى ستيلغار يعيد إرسال الرّجلين عبر الحفرة المظلمة في الصّخرة، فخطر له ما سيقومان به من هبوط عبر هذا النفق الصناعي المؤدي لقاع الحوض.

تقدّم ستيلغار من مكان پاول.

قال پاول: "ما هذا الأمر البالغ الأهمية لدرجة أنهما لم يطمئنا لإرساله باستخدام سييلاغو؟"

قال ستيلغار: "إنهم يوفرون طيورهم لوقت المعركة"، ونظر لأجهزة الاتصال ثم عاد ببصره لپاول: "حتى لو كان خطها الإشعاعي مستقيماً تماماً، من الخطأ استخدام هذه الأشياء يا مؤدّب. بإمكانهم أن يعثروا عليك عن طريق تحديد الاتجاه الذي صدرت منه".

قال پاول: "قريباً سينشغلون تماما عن التفكير في العثور عليّ، ماذا قال الرّجال في تقريرهم؟"

"أطلقنا سراح الساردوكار المحتجزين عندنا، قرب منطقة الفجوة القديمة الواقعة في مكان منخفض قرب الحافة، وهم الآن في طريقهم لسيّدهم، وضعنا قاذفات الصواريخ وباقي الأسلحة القاذفة في مواقعها، وتم نشر الرجال كما أمرت، كل الأمور روتينية".

رمق پاول أرجاء التّجويف المنخفض، متأملاً رجاله في الضّوء الباهت المار عبر الغطاء التمويهي. شعر وكأن الزّمن يزحف، كحشرةٍ تقطع طريقاً عبر صخرةٍ مكشوفة.

قال پاول: "سيستغرق ساردوكارنا بعض الوقت مشياً على الأقدام قبل أن يتمكنوا من إرسال إشارة لحاملة جنود، هل تتم مراقبتهم؟"

قال ستيلغار: "إنهم تحت المراقبة".

تنحنح جيرني هاليك في مكانه المجاور لپاول: "أليس من الأفضل أن نتوجه لمكان آمن؟"

قال پاول: "لم تعد توجد أماكن آمنة، لا يزال تقرير الطقس ملائماً؟"

قال ستيلغار: "عاصفة عظيمة تقترب، ألا تشعر بها يا مؤدّب؟"

وافقه پاول: "الهواء ينذر بها، لكني أحب اليقين النابع من سواري توقع الطقس".

قال ستيلغار: "ستصل العاصفة في غضون الساعة"، وأومأ ناحية الفجوة المطلة على معسكر الإمبراطور والفرقاطات الهاركونية: "ومن بالداخل يعلمون هذا أيضاً فلا توجد ولا ثوبتر واحدة في السماء، كل الأشياء موقوفة ومربوطة، وصلهم تقرير عن الطقس من أصدقائهم في الفضاء".

قال پاول: "هل أرسلوا غارات جوية استطلاعية؟"

قال ستيلغار: "لم يحدث شيء منذ هبوطهم اللّيلة الماضية. يعلمون أننا هنا، أظنهم ينتظرون الآن كي يختاروا لحظتهم المناسبة".

قال پاول: "نحن من سيختار اللحظة المناسبة".

رفع جيرني بصره للأعلى وزمجر: "إن سمحوا لنا".

قال پاول: "سيبقى هذا الأسطول في الفضاء".

هزّ جيرني رأسه.

قال پاول: "ليس أمامهم خيار. بإمكاننا تدمير السپايس، ولا تجرؤ النقابة على المخاطرة بهذا".

قال جيرني: "من يقع في وضع يائس يصبح من أخطر الناس".

قال ستيلغار: "أولسنا يائسين؟"

عبس جيرني في وجهه.

قال پاول: "أنت لم تعايش حلم الفريمن. فستيل يفكر في كميات المياه التي أنفقناها على الرّشاوي، في سنين الانتظار التي أضفناها قبل أن يمكن لآرِّاكس أن يزدهر. إنه لي-..."

عبس جيرني وزمجر.

قال ستيلغار: "لم هو مكفهّر هكذا؟"

قال پاول: "دائماً يكفهر قبل المعارك. إنه نوع المرح الوحيد الذي يسمح به جيرني لنفسه".

ارتسمت على وجه جيرني ابتسامة شرسة، فبدت الأسنان بيضاء فوق حافة بذلة تقطيره: "ما يشعرني بالاكفهرار هو التفكير في أرواح هؤلاء الهاركونِن المساكين الذين سنخلص عليهم دون أن ينالوا فرصة الاعتراف بذنوبهم لكاهن".

قهقه ستيلغار: "إنه يتكلم كالفدائيين".

قال پاول: "جيرني من مغاوير الموت بالفطرة"

.

نظر للفجوة في الحائط الصّخري ثم عاد ببصره لجيرني فوجد أن الشّاعر المحارب قد استأنف عبوسه المكفهر.

تمتم پاول: "القلق يستنزف القوى، أنت من أخبرني بهذا في الماضي يا جيرني".

قال جيرني: "سيّدي الدّوق، السّبب الرئيسي لقلقي هو الأسلحة الذرية، فإن استخدمتَها لتفجير فتحة في الجدار الجبلي فـ..."

قال پاول: "لن يستخدم هؤلاء الناس أسلحة ذريّة ضدنا. لا يجرؤون... ولنفس السّبب الذي يجعلهم غير قادرين على المجازفة بتدميرنا: مصدر السپايس".

"لكن الإلزام القضائي ضد..."

صاح پاول: "الإلزام القضائي! ما يمنع الأسر النبيلة من إلقاء القنابل الذّرية على بعضها البعض ليس الإلزام القضائي، بل الخوف، فنص الميثاق العظيم واضح للغاية: 'عقوبة استخدام الأسلحة الذرية ضد البشر هي تدمير الكوكب'، ونحن سنفجر الجدار الجبلي، لا البشر".

قال جيرني: "إنها نقطة اختلاف دقيقة جداً".

قال پاول: "أولئك الذين يحبون المراء حول حرفية الألفاظ سيرحبون بقبول أي نقطة، دعنا نتوقف عن الكلام في هذا الأمر" وأشاح بوجهه متمنياً لو كان يشعر في قرارة نفسه بهذه الثّقة فعلاً.

ثم قال بعد برهة: "ماذا عن أهل المدينة؟ هل اتخذوا مواقعهم؟"

غمغم ستيلغار: "أجل".

نظر له پاول: "ما الذي يقلقك؟"

قال ستيلغار: "لا أعتقد أن أهل المدن محل ثقة".

قال پاول: "أنا نفسي كنت من سكان المدن فيما مضى".

تصلّب ستيلغار واسود وجهه لاحتقان الدّم فيه وقال: "يعلم المؤدّب أنني لم أقصد إطلاق-..."

"أفهم ما قصدته يا ستيل، لكن الاختبار الحقيقي لمعدن الرجل ليس ما تظن أنه سيقوم به، بل ما يقوم به فعلاً. يملك أهل المدينة دم فريمني، إلا أنهم لم يتعلموا بعد كيفية التّحرر من قيودهم، ونحن سنعلمهم".

أومأ ستيلغار وتحدث في نبرة آسفة: "إنها عادات قد تأصلت على مرّ العمر يا مؤدّب، فعلى السهل الجنائزي تعلمنا أن نبغض سكان الحضر".

نظر پاول لجيرني فرآه يراقب ستيلغار: "أخبرنا يا جيرني، لماذا أرغم الساردوكار أهل المدينة على إخلاء منازلهم؟"

"إنها حيلة قديمة أيها الدّوق. أرادوا إرهاقنا باللاجئين".

قال پاول: "لقد مضى وقت طويل منذ كانت حروب العصابات مؤثرة، لدرجة أن الأكابر نسوا أساليبها الحربية. لقد فعل الساردوكار شيئا عاد علينا بالنفع؛ أسروا عدّة نساء من أهل المدينة للعبث بهن، وزيّنوا راياتهم الحربية برؤوس الرّجال الذين اعترضوا، وتسببوا في إذكاء حالة من الكراهية المشتعلة في ناس كانوا سينظرون لهذه المعركة القادمة كمجرد فوضى كبيرة عابرة، مجرّد تبادل محتمل يتغير فيه السّيد بسيدٍ جديد، لقد جنّد الساردوكار لنا النّاس يا ستيلغار".

قال ستيلغار: "تبدو الحماسة فعلاً على سكان المدينة".

قال پاول: "إن الكراهية داخلهم طازجة وواضحة، ولهذا السّبب سنستخدمهم كقوات صدامية أمامية".

قال جيرني: "سيكون عدد قتلاهم رهيباً".

أومأ ستيلغار موافقاً.

قال پاول: "أخبرناهم بالنسب المتوقعة، ويعرفون أن كل ساردوكار يقتلونه سيوفر علينا القتال. أيها السادة، لقد وجد هؤلاء القوم هدفاً يموتون لأجله، اكتشفوا أنهم شعب، إنهم يستيقظون!".

صدرت من المراقب أمام التليسكوب صيحة تعجّب، فانتقل پاول للشّق الصّخري وقال: "ماذا يحدث هناك؟"

همس المراقب: "اضطراب كبير يا مؤدّب، حدث عند تلك الخيمة المعدنية الهائلة. جاءت سيّارة صحراوية من عند الحافة الغربية للجدار، وكانت مسرعة وكأنها صقر ينقض على عش لطيور الحجل".

قال پاول: "وصل الأسرى الساردوكار".

قال المراقب: "قاموا الآن بإحاطة المهبط كله بدرع طاقة، بإمكاني أن أرى تراقصه في الهواء حتى نهاية ساحة التخزين التي يحتفظون فيها بالسپايس".

قال جيرني: "عرفوا الآن هويّة عدوهم الذي يقاتلونه. دع وحوش الهاركونِن يرتجفون ويأكلهم الرّعب عندما يكتشفوا أن أحد آل آتريديز لا زال حياً!"

قال پاول لفدائي التليسكوب: "راقب سارية العلم فوق سفينة الإمبراطور. إن رفعوا رايتي عليها ف-..."

قال جيرني: "لن يحدث".

رأى پاول التّقطيبة الحائرة على وجه ستيلغار، فقال: "إن اعترف الإمبراطور بحقي في الأرض فسيشير لهذا الأمر بإعادة راية آتريديز على آرّاكس، وعندها سنستخدم الخطّة الثانية، ونهجم على الهاركونِن فقط، إذ سيتنحى الساردوكار جانباً ويتركوننا نحل المسألة فيما بيننا".

قال ستيلغار: "ليست عندي خبرة في الأمور الأجنبية هذه. سمعت عنها، لكن من غير المحتمل أن ي-..."

قال جيرني: "لستَ بحاجة للخبرة لتعرف ما سيفعلونه".

قال المراقب: "إنهم يرفعون علماً جديداً على السفينة العالية. العلم أصفر، وفي منتصفه دائرة سوداء وحمراء".

قال پاول: "تصرُّف ماكرُ بحق، راية شركة كوآم".

قال الجندي الفدائي: "نفس الرّاية التي على السّفن الأخرى".

قال ستيلغار: "لا أفهم".

قال جيرني: "تصرف ماكر فعلاً، فلو رفَع راية آتريديز سيضطر للالتزام بما يعنيه هذا، إذ يوجد الكثير من الشهود. وكان بإمكانه أن يرفع على ساريته راية هاركونِن، مما كان سيعتبر إعلاناً صريحاً. لكن لا، قام برفع راية كوآم، وبهذا يخبر الناس فوقنا..."، وأشار جيرني للفضاء: "... أين تقع الأرباح، ما يقوله هو أنه لا يهتم إن كان الموجود هنا آتريدي أم لا".

قال پاول: "كم بقي على موعد ضرب العاصفة للجدار الجبلي؟"

استدار ستيلغار مبتعداً واستشار أحد الفدائيين في التَجويف الصّخري، ثم لم يلبث أن عاد وقال: "قريباً جداً يا مؤدّب. أقرب مما كنا نتوقع. إنها أم العواصف كلها، بل ربما تزيد في قوتها على ما كنت تريده".

قال پاول: "إنها عاصفتي"، ورأى الانبهار الصّامت على وجوه الفدائيين الذين سمعوه: "حتى لو هزت العالم بأكمله فلن تزيد في قوتها عما أريده، هل ستضرب الجدار الجبلي بشكل مباشر؟"

قال ستيلغار: "مع انحراف طفيف لن يتسبب لنا في مشكلة".

اقترب حامل الرسالة، قادماً من عند الفتحة المؤدية للحوض وقال: "دوريات الساردوكار والهاركونِن تتراجع يا مؤدّب".

قال ستيلغار: "يتوقعون أن تسكب العاصفة الكثير من الرّمال في حوض الوادي بحيث تتعذر الرؤية، ويظنون أننا سنتعرض لنفس المشكلة".

قال پاول: "قل لقنّاصتنا بأن يوجهوا أسلحتهم لأهدافها قبل أن تصبح الرّؤية صعبة، ينبغي أن يصيبوا مقدمة كل واحدة من هذه السفن فور تدمير العاصفة لدروع الطاقة"، خطا إلى جدار التجويف وأزال طيَّة من الغطاء التمويهي ورفع بصره للسماء، رأى هبات الرّمال الملتوية كذيول الأحصنة على خلفية السماء الدّاكنة. أعاد پاول الغطاء مكانه وقال: "ابدأ في إرسال رجالنا للأسفل يا ستيل".

قال ستيلغار: "ألن تذهب معنا؟"

قال پاول: "سأنتظر هنا قليلاً مع الفدائيين".

هزّ ستيلغار كتفيه لجيرني في حركةٍ متفهمة، واتّجه للحفرة المفتوحة في الحائط الصّخري، وغاب في ظلمتها.

قال پاول: "المفجر الذي سيفجر جانباً من الجدار الجبلي، سأتركه في يدك يا جيرني، ستفعلها؟"

"سأفعلها".

أشار پاول لأحد ضباط الفدائيين وقال: "عثيم، ابدأ في تحريك دوريات المراقبة بعيداً عن منطقة الانفجار، عليهم أن يخرجوا من هناك قبل أن تهب العاصفة".

انحنى الرجل وتبع ستيلغار.

مال جيرني على الشّق الصّخري وكلّم الرّجل الجالس أمام التليسكوب: "ركّز على الجدار الجنوبي. فسيظل بلا دفاعات إلى أن نقوم بتفجيره".

قال پاول آمراً: "أرسل إشارة التوقيت مع سييلاغو".

قال الرجل الجالس أمام التليسكوب: "بعض العربات تتجه إلى الجدار الجنوبي، وبعضهم يستخدم أسلحة قاذفة، كنوع من الاختبار، رجالنا يستخدمون دروع جسدية كما أمرتهم، توقفت العربات".

في الصمت المفاجئ سمع پاول دوامات الرّيح الشّيطانية تدور فوق رأسه، مقدمة العاصفة. بدأت الرّمال تنجرف إلى تجويفهم الصّخري من خلال فتحات في الغطاء. أصابت الغطاء هبة ريح فنزعته بعيداً.

لوح پاول لفدائييه بأن يحتموا، ثم اتجه للرّجال الجالسين أمام أجهزة الاتصالات قرب فتحة النفق. ظلّ جيرني جواره. ربض پاول مقترباً من رجال الإشارات اللاسلكية.

قال أحدهم: "إنها أمّ العواصف كلها يا مؤدّب".

رفع پاول بصره للسماء المظلمة وقال: "جيرني، وجه أمراً لمراقبي الجدار الجنوبي بالتراجع"، واضطر لتكرار الأمر، صائحاً كي يُسمع صوته فوق ضوضاء العاصفة المتزايدة.

استدار جيرني لينفذ الأمر.

ربط پاول مرشح وجهه وأحكم قلنسوة بذلة التقطير.

عاد جيرني.

لمس پاول كتفه وأشار للمفجر في فتحة النفق خلف رجال الاتصالات، دخل جيرني النفق ثم توقف ويده على زناد المفجر، وبصره على پاول.

قال رجل الإشارات اللاسلكية المجاور لپاول: "لا تصلنا رسائل، زادت الشوشرة الاستاتيكية".

أومأ پاول، وتعلقت عيناه بمؤشر التوقيت القياسي أمام رجل الاتصالات. بعد برهة نظر پاول لجيرني ورفع يده وعاد بانتباهه للمؤشر، زحف العداد الزمني دائراً دورته الأخيرة.

صرخ پاول: "الآن!"، وأنزل يده.

ضغط جيرني زناد المفجر.

بدا أن ثانية كاملة قد انقضت قبل أن يشعروا بالأرض تتموج وتهتز تحتهم، أضيف لزئير العاصفة صوت هادر.

ظهر فدائي التلسيكوب جوار پاول، ضاماً التليسكوب تحت ذراعه، وصاح: "تم اختراق الجدار الجبلي يا مؤدّب! العاصفة تهاجمهم، وقناصتنا بدؤوا القذف بالفعل".

فكر پاول في العاصفة وهي تندفع عبر الحوض، وما بهذا الحائط الرملي من شحنة استاتيكية دمّرت كل حواجز دروع الطاقة في معسكر العدو.

صاح أحدهم: "العاصفة! علينا أن نحتمي يا مؤدّب!"

عاد لپاول صوابه، وشعر بإبر الرّمل تلدغ وجنتيه المكشوفتين.
.وضع ذراعه حول كتف رجل الاتصالات وقال: "اترك الأجهزة! يوجد غيرها في النفق"، شعر بهم يجرونه، وأن الفدائيين يتزاحمون حوله ليحموه. انحشروا في فتحة النّفق، شاعرين بما فيه من هدوء نسبي، ثم انحرفوا عند ركن ودخلوا حجرة صغيرة بها كرات إنارة، وفي نهايتها فتحة نفق آخر.

جلس هنا رجل اتصالات آخر أمام أجهزته.

قال الرجل: "الكثير من الاستاتيكية".

هبّت دوامة رملية فملأت الهواء من حولهم.

صاح پاول: "اغلقوا هذا النّفق!" ولما ساد ضغط السّكون المفاجئ عرف أنهم نفذوا أوامره.

قال پاول: "لا يزال الطريق المؤدي للحوض مفتوحاً؟"

انطلق أحد الفدائيين ليتقصى ثم عاد وقال: "تسبب الانفجار في سقوط بعض الأحجار، لكن المهندسين يقولون أنه لا زال سالكاً ينظفونه بأشعة ليزر".

صاح پاول: "أخبرهم أن يستخدموا أيديهم! توجد بالأسفل دروع نشطة!"

قال الرجل: "إنهم حريصون يا مؤدّب"، لكنه استدار لينفذ الأمر.

مرّ بهم رجال الاتصالات الذين كانوا بالخارج، حاملين أجهزتهم.

قال پاول: "لقد أخبرت هؤلاء الرجال أن يتركوا أجهزتهم!"

قال أحد فدائييه موبخاً: "الفريمن لا يحبون التّخلي عن أجهزتهم يا مؤدّب".

قال پاول: "الرجال الآن أهم من الأجهزة. قريباً إما سيكون عندنا من الأجهزة ما يفوق حاجتنا أو لن نحتاج لأجهزة أصلاً".

جاء جيرني لجواره وقال: "سمعتهم يقولون أن الطريق للأسفل مفتوح، نحن هنا قريبون من السطح أكثر من اللازم يا سيدي، إن حاول الهاركونِن ردّ الضربة بالمثل".

قال پاول: "هم في وضع لا يسمح لهم بالانتقام، فمنذ لحظات اكتشفوا أنهم بلا دروع وأنهم لا يستطيعون مغادرة آرّاكس على متن السّفن".

قال جيرني: "على أية حال تم إعداد مقرّ القيادة الجديد يا سيدي".

قال پاول: "ليسوا بحاجة إلى وجودي في مقر القيادة بعد، فالخطة ستستمر بدوني، علينا أن ننتظر ل-..."

قال رجل الاتصالات: "إنني أتلقى رسالة يا مؤدّب." وهزّ الرجل رأسه وضغط سماعة الهاتف على أذنه: "تشويش استاتيكي كبير!"، وبدأ يخربش بالقلم على لوح أمامه. أخذ يهزّ رأسه، ثم ينتظر، ثم يستأنف الكتابة، ثم ينتظر.

سارع پاول إلى جوار رجل الاتصالات. تراجع الفدائيون، مفسحون له المكان. ركّز على ما كتبه الرجل، فقرأ: "غارة... على سيآتش طبر... أسرى... عاليه ... عائلات ... موتى... إنهم ... ابن المؤدّب..."

ومن جديد هزّ رجل الاتصالات رأسه.

رفع پاول بصره فرأى جيرني يحدّق فيه.

قال جيرني: "الرّسالة مشوهة، بسبب الاستاتيكية. لا يمكن أن تتأكد من..."

قال پاول: "مات ابني"، وعرف وهو ينطقها أنها حقيقة. "ابني مات... وعاليه أسيرة... رهينة"، شعر بخواءٍ داخله، وكأنه قشرة بلا عواطف. كل ما يلمسه يصيبه الموت والأسى، إنه كمرض يمكن أن ينتشر في الكون كله.

كان يشعر داخله بحكمة الرّجل المسن، تراكم خبرات عدد لا يحصى من الحيوات المحتملة، وداخله بدا أن شيئاً ما يضحك ويفرك يديه.

وفكّر پاول: *!*

47

"ووقف المؤدّب أمامهم وقال: رغم احتسابنا الأسيرة ميتة، إلا أنها ما زالت حية، لأن بذرتها هي بذرتي، وصوتها هو صوتي. وبإمكانها أن ترى حتى أبعد مناطق الاحتمالات المستقبلية. أجل، يمتد بصرها حتى وادي المجهول، بسببي أنا".

من كتاب (يقظة آرِّاكس)، تأليف الأميرة إيرولان

وقف البارون ڤلاديمير هاركونِن خافضاً البصر في قاعة المقابلات الإمبراطورية، ذلك السلِاملك selamlik البيضاوي داخل خيمة معسكر الإمبراطور الپاديشي. كان البارون قد اختلس النظرات في القاعة ذات الجدران المعدنية، وفي نزلائها، الضباط النواكير noukkers، والغلمان الخدم، والحرس، وجنود البيت الساردوكاري المصطفين على امتداد الجدران - في وضع الاستراحة العسكري – وحولهم ما استولوا عليه من رايات حربية دامية ممزقة، والتي كانت الزينة الوحيدة في القاعة.

تصاعدت أصوات من يمين القاعة، فتردد صداها من ممر مرتفع: "أفسحوا الطريق! أفسحوا الطريق لجلالته!"

خرج الإمبراطور الپاديشي شدّوم الرابع من الممر إلى قاعة المقابلات الرّسمية، تتبعه حاشيته. وقف منتظراً إحضار عرشه، متجاهلاً البارون، وبدا أنه يتجاهل كل من بالقاعة أيضاً.

أما البارون فوجد نفسه عاجزاً عن تجاهل شخص الإمبراطور، فتأمله باحثاً عن إشارة، عن دليل يخبره بغرض هذه المقابلة. وقف الإمبراطور مشدود القامة، منتظراً، بجسده النحيل الأنيق، وبذلة ساردوكار رمادية مزينة بالفضي والذهبي. وجهه الرفيع وعيناه الباردتان ذكّرا البارون بالدّوق ليتو المتوفى منذ زمن طويل. كانت بهما نفس نظرة الطائر الجارح، إلا أن شعر الإمبراطور كان أحمر، لا أسود، واختفى أغلب هذا الشعر تحت خوذة بورسيغ سوداء وعلى قمتها الشعار الإمبراطوري الذهبي.

جلب الخدم العرش. كان مقعداً ضخماً منحوتاً بالكامل من قطعة واحدة من كوارتز هاغال، أخضر مزرق، نصف شفاف، تتخلله خطوط صفراء نارية. وضعوه على المنصة، فارتقاه الإمبراطور وجلس.

انفصلت عن حاشية الإمبراطور امرأة عجوز ترتدي عباءة سوداء تغطي جبهتها قلنسوة، ثم وقفت خلف العرش ويدها الهزيلة مستندة على الظهر الكوارتز، بدى وجهها من تحت القلنسوة كصورة هزلية لإحدى الساحرات، الوجنتان والعينان غائرتان، الأنف طويل، البشرة مبرقشة بالبقع وعروقها بارزة.

هدأ البارون ارتجافه الناتج عن رؤيته لها. فحضور السيدة الموقرة غاياس هيلين موهيم - كاهنة الإمبراطور الكاشفة للأكاذيب - كشف أهمية هذا الاستدعاء. أشاح البارون بوجهه عنها وتأمل الحاشية باحثاً عن مفتاح يوضح ما يجري. تواجد في القاعة اثنان من وكلاء النقابة، أحدهما طويل وسمين والآخر قصير وسمين، وعيونهما رمادية غير معبرة. ووسط الأتباع وقفت إحدى بنات الإمبراطور، الأميرة إيرولان، امرأة يقال إنها تخضع لتدريبات في أعمق أساليب بني-جيزيرِت، ومقدر لها أن تصبح سيدة موقرة. كانت طويلة شقراء، ولها وجه ذو جمال مصقول، وعينان خضراوان اخترقتاه دون أن تلقي له بالاً.

"عزيزي البارون".

تنازل الإمبراطور أخيراَ ولاحظه، كان صوته جهورياَ ومضبوطاَ بإتقان، بنبرة تحيي البارون وتقصيه في الوقت ذاته.

انحنى البارون انحناءة منخفضة، وتقدم للموقع المتعارف عليه، على بعد عشرة خطوات من المنصة، وقال: "جئت بناء على استدعائك، جلالتك".

ضحكت الساحرة العجوز: "استدعاء!"

وبّخها الإمبراطور: "ليس هكذا أيتها السيدة الموقرة"، لكنه ابتسم لما أصاب البارون من ارتباك، وقال: "أولا، عليك أن تخبرني إلى أين أرسلت تابعك ظافر حواط".

أدار البارون بصره بسرعة يمنة ويسرة، لاعناً نفسه على مجيئه إلى هنا دون حرسه الخاص، حتى إن كانوا بلا فائدة في مواجهة الساردوكار، لكن ربما...

قال الإمبراطور: "نعم؟"

"رحل منذ خمسة أيام، فخامتك"، ورمى البارون نظرة نحو وكلاء النقابة ثم عاد ببصره للإمبراطور: "كان من المفترض أن يهبط في قاعدة تابعة للمهربين وأن يحاول التسلل لمعسكر المتطرف الفريمني المسمى المؤدّب".

قال الإمبراطور: "عجيب!"

نقرت الساحرة كتف الإمبراطور بيدها المخلبية، ومالت للأمام هامسة في أذنه.

أومأ الإمبراطور ثم قال: "خمسة أيام يا بارون. أخبرني، لم لستَ قلقا لغيابه؟"

"لكني قلق فعلاً جلالتك!"

حملق فيه الإمبراطور طويلاً، منتظراً، صدرت من السيدة الموقرة ضحكة عالية.

قال البارون: "ما أقصده جلالتك هو أن حواط سيموت خلال ساعات على أية حال"، ثم شرح موضوع السّم الكامن والحاجة للترياق.

قال الإمبراطور: "يا لبراعتك يا بارون! وأين ابنا أخيك، رابان، والشاب فايد راوثا؟"

"العاصفة تقترب، جلالتك. أرسلتهما ليفحصا محيطنا الخارجي، احترازاً من أن يقوم الفريمن بالهجوم متخفين تحت ستر الرمال".

قال الإمبراطور: "المحيط"، وخرجت الكلمة بمرارة من فمه، "لن يكون للعاصفة تأثير كبير داخل هذا الحوض، وحثالة الفريمن هؤلاء لن يقدموا على الهجوم بينما أنا هنا ومعي خمسة فيالق من الساردوكار".

قال البارون: "بالتأكيد لن يفعلوا جلالتك، لكن لا يلام المرء على الاحتياط الواجب".

قال الإمبراطور: "آآه... اللوم. إذن عليّ ألا أذكر ما يستهلكه عبث آرّاكس هذا من وقتي؟ ولا ما ننفقه هنا في جحر الفأر هذا من أرباح شركة كوآم؟ ولا حفلات البلاط وشؤون الحكم التي اضطررت لتأجيلها - بل ولإلغائها - بسبب هذا الموضوع الغبي؟"

أطرق البارون، وقد أخافه الغضب الإمبراطوري. وأخافته أيضاً حساسية موقفه هنا، وحيداً، معتمداً على الميثاق وقوانين حماية النبلاء.

!

.

قال الإمبراطور: "هل أسرت رهائن؟"

قال البارون: "إنه أمر عديم النفع يا سيدي، فهؤلاء الفريمن المجانين يقيمون جنازة لكل أسير ويتصرفون وكأنه قد مات".

قال الإمبراطور: "ثم؟"

تريث البارون، ناظراً يميناً ويساراً لجدران السِلاملك المعدنية، مُطرقاً فيما يحيط به من خيمة هائلة مصنوعة من معدن الطي. إنها رمزٌ لثراء غير محدود، حتى إن البارون ذاته كان منبهراً.

... .

. .

قال الإمبراطور: "ربما لم تسع للنّوع المناسب من الرّهائن".

فكر البارون: . قبع الخوف في معدته كالحجر، حتى كاد يشمئز من فكرة الأكل، ورغم ذلك كان الإحساس يشبه الإحساس بالجوع، أعاد توزيع وزنه في مضادات جاذبيته، وهمّ أن يأمر بجلب الطعام له. لكن لا يوجد هنا من ينفذ أوامره.

قال الإمبراطور: "عندك فكرة عن هوية هذا المؤدّب؟"

قال البارون: "أحد الأمة Umma بالتأكيد. متطرف فريمني، مغامر ديني، يظهرون بانتظام في المناطق النائية عن الحضارة. جلالتك تعلم هذا".

رمى الإمبراطور بنظرة نحو كاشفة الأكاذيب ثم عاد يلتفت للبارون عابساً: "ولا تعرف شيئاً عن هذا المؤدّب؟"

قال البارون: "إنه مجنون، لكن كل الفريمن مجانين بدرجةٍ ما".

"مجانين؟!!"

"قومه يصرخون باسمه وهم يقفزون للمعارك، النساء تلقي بأطفالها علينا ويدفعن بأنفسهن على سكاكيننا ليفتحوا ثغرة أمام رجالهم للهجوم منها، إنهم يفتقدون لأي... أي... آداب!"

غمغم الإمبراطور: "لهذه الدّرجة"، ولم تفت البارون نبرته الساخرة، "قل لي يا عزيزي البارون، هل تحققت من حال مناطق آرِّاكس القطبية الجنوبية؟"

حدّق البارون في الإمبراطور وقد صدمه تغيير الموضوع: "لكن... إحم، كما تعلم جلالتك... المنطقة كلها غير صالحة للسكنى... عُرضة للرياح والديدان. بل ولا يوجد سپايس في تلك الأقاليم".

"ألم تصلك تقارير من سفن نقل السپايس بوجود بقع نباتية خضراء هناك؟"

"لطالما سمعنا مثل هذه التقارير. وتحققنا من صحة بعضها، منذ زمن طويل، شوهدت بضعة نباتات. فقدنا الكثير من الثوبترات، أمر مكلف جداً جلالتك، إنه مكان لا يبقى الرجال فيه أحياءً لمدة طويلة".

قال الإمبراطور: "هكذا"، وفرقع أصابعه فانفتح على يساره باب خلف العرش، دخل من الباب اثنان من الساردوكار يسوقان أمامهما طفلة بدا أنها في الرابعة من عمرها. كانت ترتدي عباءة سوداء، وقلنسوتها ملقاة للخلف كاشفة عن أجزاء بذلة تقطير متدلية حول حلقها. كان لعينيها زرقة فريمنية، يحيط بهما وجه ناعم مستدير، لم يظهر عليها خوف على الإطلاق، وكان في نظرتها شيء جعل البارون يشعر بالقلق دون أن يعلم السبب.

حتى الكاهنة البني-جيزيرِتية العجوز تراجعت عندما مرت الطفلة بقربها، وأشارت في اتجاهها بعلامة استعاذة، بدا واضحاً أن الساحرة العجوز مهزوزة لوجود الطفلة.

تنحنح الإمبراطور وشرع في الكلام لكن الطفلة تكلمت أولاً، صوت رفيع تظهر فيه آثار لثغة ناتجة عن رخاوة سقف الفم، لكن كلماتها كانت واضحة: "ها هو إذن"، وتقدمت من حافة المنصة: "شكله لا يوحي بقيمة حقيقية، أليس كذلك؟ مجرد رجل عجوز سمين مذعور، ضعيف حتى لا يقدر على حمل جسده دون الاستعانة بمضادات الجاذبية".

كان تصريحاً غير متوقع صدوره من فم طفلة، لدرجة أن البارون حملق فيها عاجزاً عن الكلام على الرّغم من غضبه، وسأل نفسه:

قال الإمبراطور: "عزيزي البارون... أقدم لك أخت المؤدّب".

"أخت ال-...". نقل البارون انتباهه للإمبراطور: "لم أفهم".

قال الإمبراطور: "أنا أيضاً أتصرف بمبدأ الاحتياط الواجب، وصلتني تقارير أن مناطقك القطبية الجنوبية غير المأهولة تظهر عليها آثار نشاطٍ بشري".

قال البارون محتجاً: "لكن هذا مستحيل! فالدّيدان... والرّمال ممتدة حتى..."

قال الإمبراطور: "يبدو أن هؤلاء الناس قادرون على تجنب الديدان".

جلست الطفلة على المنصة جوار العرش، ودلدلت قدميها من على الحافة، وأخذت تأرجحهما، كانت تتأمل محيطها بثقة كاملة.

حدّق البارون في القدمين المتأرجحتين، وفي طريقة تحريكهما للثّوب الأسود، وفي الخفّ الذي يظهر من تحت القماش مع كل حركة.

قال الإمبراطور: "لسوء الحظ لم أرسل سوى خمس حاملات جنود وبهم قوة هجومية خفيفة، بغرض أسر بعض الأفراد لاستجوابهم. عدنا بصعوبة بالغة ومعنا ثلاثة سجناء وحاملة واحدة. تصور يا بارون، كاد ساردوكاري أن يبادوا على يد قوة مكونة في غالبها من نساء وأطفال وشيوخ، هذه الطفلة كانت تقود إحدى المجموعات المهاجمة".

قال البارون: "أرأيت، جلالتك! أرأيت طبيعتهم!"

قالت الطفلة: "سمحتُ - عن قصد - بأن يتم أسري، لم أرغب أن أواجه أخي واضطر لإبلاغه أن ابنه قد قُتل".

قال الإمبراطور: "لم ينج من رجالنا سوى حفنة، نفدوا بجلدهم! سمعت؟"

قالت الطفلة: "كنا سنتمكن من هؤلاء أيضاً، لولا اللهب".

قال الإمبراطور: "استخدم جنودي الساردوكار الدافعات النفاثة في حاملاتهم الطائرة كقاذفات لهب. حركة يائسة، وكانت الشيء الوحيد الذي سمح لهم بالهرب ومعهم هؤلاء الأسرى الثلاثة، استوعب هذا الكلام يا باروني العزيز: أجبر الساردوكار على الانسحاب المرتبك أمام نساء وأطفال وشيوخ!"

قال البارون منزعجاً: "يجب أن نهجم بقوات كبيرة، يجب أن ندمر كل أثر بقي من ه-..."

زأر الإمبراطور صائحاً: "اخرس!" واندفع للأمام على عرشه: "توقف عن إهانة ذكائي، أتجرؤ على الوقوف مكانك متظاهراً بالبراءة الحمقاء و ..."

قالت كاشفة الأكاذيب العجوز: "جلالتك".

أشار لها بأن تصمت: "تقول إنك لا تعلم بأمر النشاطات التي عثرنا عليها، ولا القدرات القتالية التي يتمتع بها هؤلاء الناس!"، وبدأ الإمبراطور بنصف قيام من على عرشه وأكمل: "ماذا تظنني يا

بارون؟"

تراجع البارون خطوتين: . . ...

قال الإمبراطور بصوتٍ خفيض وهو يعود ليغوص في عرشه: "وهذا النزاع المصطنع بينك وبين الدّوق ليتو، يا لبراعتك في حبك للخدعة!"

قال البارون متوسلاً: "جلالتك، ما الذي ..."

"اصمت!"

وضعت بني-جيزيرِت العجوز يدها على كتف الإمبراطور، ومالت مقتربة منه لتهمس في أذنه.

توقّفت الطفلة - الجالسة على المنصّة - عن الرّفس بقدميها، وقالت: "أخِفه أكثر يا شدّوم، ليس من المفترض أن أستمتع بهذا، لكني أجد صعوبة في كبت بهجتي بما يحدث".

قال الإمبراطور: "اصمتي أيتها الطفلة"، ثم مال للأمام ووضع يداً على رأسها ثم حدّق في البارون: "أيعقل يا بارون؟ أيعقل أنك بالسّذاجة التي تقترحها كاهنتي؟ ألم تتعرف على هذه الطفلة، ابنة حليفك، الدّوق ليتو؟"

قالت الطفلة: "أبي لم يكن حليفاً له أبداً. أبي ميت، وهذا الوحش الهاركوني لم يشاهدني من قبل".

لم يملك البارون سوى أن يحدّق مشدوهاً، وعندما تمكن من الكلام، لم يزد على أن قال بصوت مبحوح: "من؟"

قالت الطفلة: "أنا عاليه، ابنة الدوق ليتو واللّيدي جيسيكا، وأخت الدّوق پاول-مؤدّب." دفعت نفسها من على المنصة، ووثبت لأرضية قاعة المقابلات، "لقد تعهد أخي بأن يضع رأسك فوق سارية رايته الحربية، وأظنه سيفعل".

قال الإمبراطور: "اسكتي أيتها الطفلة"، وغاص بظهره في عرشه ويده على ذقنه، متأملاً البارون.

قالت عاليه: "أنا لا أخضع لأوامر الإمبراطور"، واستدارت ورفعت بصرها للسيدة الموقرة العجوز وقالت: "هي تعلم هذا".

رمق الإمبراطور كاهنته وقال: "ماذا تقصد؟"

قالت العجوز: "هذه الطفلة رجس! تستحق أمها عقاباً يفوق أقسى عقاب في التاريخ. الموت! يجب ألا يتأخر إنزاله بهذه الطفلة ولا بمن أنجبتها!" ثم أشارت العجوز بإصبعها لعاليه وقالت: "اخرجي من رأسي!"

همس الإمبراطور: "تخاطر؟"، وعاد بانتباهه لعاليه: "يا للأم العظمى!"

قالت العجوز: "أنت لا تفهم ما يحدث جلالتك، ليس تخاطراً. إنها داخل عقلي، إنها كمن سبقني من النساء، من منحوني ذكرياتهن. إنها تقف في عقلي! يستحيل أن تتواجد في ذلك المكان، لكنها موجودة فيه بالفعل!"

قال الإمبراطور: "أي أخريات؟ ما هذا الكلام الفارغ؟"

شدّت العجوز قامتها وخفضت يدها: "لقد تفوهتُ بأكثر مما يجب، لكن تظل الحقيقة هي أن هذه الطفلة - والتي ليست طفلة في الواقع - يجب تدميرها. منذ قديم الزّمان تم تحذيرنا من مثل هذه المخلوقة، وتعلمنا طريقة منع ولادة كهذه، لكن خانتنا إحدى أخواتنا".

قالت عاليه: "أنت تثرثرين أيتها العجوز، لا تعرفين كيف حدث الأمر لكنك مستمرة في الثرثرة كأحمق بليد العقل"، أغمضت عاليه عينيها وأخذت نفساً عميقاً وحبسته.

أنَّت السّيدة الموقرة العجوز وترنحت.

فتحت عاليه عينيها وقالت: "هذا ما حدث... حادثة كونية... وأنت لعبت دورك فيها".

مدّت السيدة الموقرة كلتا يديها أمامها، وراحتيها تدفعان الهواء في اتجاه عاليا.

قال الإمبراطور: "ما الذي يحدث هنا؟ يا بنت، أفعلاً بإمكانك إيصال أفكارك لعقول الآخرين؟"

قالت عاليه: "ليس هكذا. فلكي أفكر تفكيرك يجب أن أولد مكانك".

تمتمت العجوز: "اقتلها"، وقبضت على ظهر العرش لتسند نفسها: "اقتلها!" وحدقت العينان الغائرتان في عاليه.

قال الإمبراطور: "صمتاً"، ثم دّقق في عاليه: "أيتها الطفلة، بإمكانك التواصل مع أخيك؟"

قالت عاليه: "أخي يعلم أنني هنا".

"هل يمكن أن تخبريه أن استسلامه هو ثمن الإبقاء على حياتك؟"

ابتسمت له عاليه في براءة صريحة وقالت: "لن أفعل".

تعثّر البارون وهو يتقدم ليقف جوار عاليه، وقال في مناشدة: "جلالتك، لم أكن أعلم أي ش-..."

قال الإمبراطور: "إذا قاطعتني مرة أخرى يا بارون فستفقد القدرة على المقاطعة... للأبد"، وصبّ انتباهه على عاليه، متأملاً إياها من بين جفنين شبه مطبقين: "لن تفعلي؟ بإمكانك أن تقرئي في عقلي ما سأفعله إن عصيتِ أمري؟"

قالت: "قلت لك إنني لا أقرأ العقول، لكن لا أحتاج للتخاطر لأفهم نواياك".

عبس الإمبراطور: "قضيتك ميؤوس منها يا بنت، فما عليّ سوى أن أحشد قواتي وأدمّر هذا الكوكب بحي-..."

قالت عاليه: "ليس الأمر بهذه البساطة"، ونظرت لرجلي النقابة: "اسألهما".

قال الإمبراطور: "ليس من الحكمة أن تعارضي رغباتي، يجب ألا تحجبي عني ولو أقل الأشياء".

قالت عاليه: "أخي سيأتي الآن، حتى الإمبراطور نفسه سيرتجف أمام المؤدّب، لأن معه قوة الحق، والسّماء تبتسم مباركة له".

وثب الإمبراطور ناهضاً: "لقد طالت هذه المسرحية أكثر من اللازم، سآخذ أخيك وهذا الكوكب وأسحقهما ل-..."

قعقعت القاعة من حولهم واهتزّت. انسدل الرّمل خلف العرش بشكل مفاجئ، تماماً حيث ترتبط خيمة المعسكر بسفينة الإمبراطور الفضائية، وشعر الجميع بضغط البشرة المشدودة دلالة على تفعيل مجال طاقة درعي واسع النطاق.

قالت عاليه: "كما أخبرتك... أتى أخي".

وقف الإمبراطور أمام عرشه، ويده اليمنى تغطي أذنه، يستمع لتقرير المركبة، تحرّك البارون خطوتين خلف عاليه، بينما تواثب الساردوكار متخذين أماكنهم عند الأبواب.

قال الإمبراطور: "سنتراجع للفضاء ونعيد تنظيم أنفسنا. وأقدم لك اعتذاري يا بارون، فهؤلاء المجانين فعلاً يهجمون متخذين العاصفة كغطاء لهم، سنريهم إذن الغضب الإمبراطوري"، ثم أشار ناحية عاليه: "ألقوا بجسدها للعاصفة".

فرت عاليه متراجعة، متظاهرة بالرعب، وصرخت: "فلتحصل العاصفة على ما تقدر عليه!" وتراجعت حتى وقعت بين ذراعي البارون.

صاح البارون: "أمسكتها، جلالتك! هل أخلص عليها الآ.... آآآي!" ودفعها للأرض وقبض على ذراعه الأيسر.

قالت عاليه: "آسفة يا جدي، أقدم لك غوم-جبار آل آتريديز"، ونهضت، ورمت من يدها إبرة داكنة.

رمى البارون بجسده للخلف، وجحظت عيناه وهو يحدق في جرح أحمر في راحة يده اليسرى. "أنت... أنت..."، وتدحرج جانباً في مضادات جاذبيته، فأصبح كتلة لحم متراخية مرفوعة عن الأرض عدة بوصات، ورأسه متدلية وفمه مفغور.

زمجر الإمبراطور قائلاً: "مجانين هؤلاء القوم. بسرعة! إلى السفن، سنطهر هذا الكوكب من كل..."

لمع شيء على يساره، ارتدت من على الحائط كرة تشبه البرق، وصدرت عنها فرقعة عند ملامستها الباب المعدني، وانتشرت في السِلاملك رائحة عازل محترق.

صاح أحد ضباط الساردوكار: "الدّرع! تعطلت الدّروع الخارجية! إنهم..."

غرقت كلماته وسط زئير معدني إذ ارتجف جدار السفينة خلف الإمبراطور واهتز.

صاح أحد الأشخاص: "دمروا مقدمة سفينتنا بطلقاتهم!"

هاج الغبار في القاعة، وتحت ستاره وثبت عاليه للأعلى وركضت نحو الباب الخارجي.

استدار الإمبراطور بسرعة وأشار لرجاله نحو باب طوارئ انفتح على مصراعيه في جانب السفينة خلف العرش، أعطى إشارة يد خاطفة لضابط ساردوكار يثب وسط سحابة الغبار، وأمره قائلاً: "سندافع عن موقعنا هنا!"

اهتزّ المعسكر تحت وطأة صدمة أخرى، فانفتحت الأبواب المزدوجة بفرقعة عند طرف القاعة البعيد، فسمحت بدخول الرياح المحملة بالرّمال وأصوات الصّيحات. وللحظة قصيرة برز وسط الضوء شخصٌ صغيرٌ في عباءة سوداء. اندفعت عاليه كالسهم باحثة عن سكين، لتقتل جرحى الهاركونِن والساردوكار كما علمها الفريمن، اندفع جنود الساردوكار وسط سحابة الغبار الخضراء المصفرة، متجهين للفتحة، وأسلحتهم مشهرة، مشكلين نصف دائرة ليحموا الإمبراطور أثناء انسحابه.

صرخ ضابط ساردوكاري: "أنقذ نفسك يا مولاي! ادخل السفينة!"

لكن الإمبراطور كان يقف وحيداً على منصة عرشه مشيراً للأبواب. فقد تم تفجير فجوة في خيمة المعسكر عرضها 40 متر، وأصبحت أبواب السِلاملك مفتوحة على الرّمل المنجرف. خيمت على العالم الخارجي سحابة غبار تهب من على بعد، وتخللت السحابة فرقعة شحنات برق استاتيكية، وفي طياتها تكرّر وميض الدّروع ومجالات طاقتها تحترق وتنطفئ بسبب شحنات العاصفة. وماج الوادي بأشخاص يتقاتلون، ساردوكار ورجال يلتحفون أثواب، يقفزون وكأنهم يهبطون من العاصفة ذاتها.

لكن يد الإمبراطور كانت تشير إلى هدف يتوسط اللوحة الثائرة أمامهم.

ففي وسط سحابة الرّمال ظهرت كتلة منظمة من الأشكال الوامضة، منحنيات عظيمة صاعدة، لها سنون كريستالية اتضح بالتدريج إنها ديدان رمال فاغرة الفم، حائط ضخم من الدّيدان، وعلى كل

واحدة فرقة جنود فريمن يمتطونها مهاجمين. اخترقوا المكان كإسفين صامت، وأثوابهم تخفق في الرياح، يقطعون ساحة المعركة في الوادي.

تقدموا متجهين لمعسكر الإمبراطور، ولأول مرة في تاريخهم وقف الساردوكار مذهولون لمرأى هجمة يصعب على عقولهم تقبلها.

لكن من قفزوا من على ظهور الدّيدان كانوا رجالاً، والنّصال اللامعة في هذا الضوء الأصفر المشؤوم كانت أشياء تدرّب الساردوكار على مواجهته، فدفعوا بأنفسهم وسط المعركة. ودار اشتباك رجلا برجل، في وادي آرّاكين، فيما قامت نخبة مختارة من الحرس الساردوكار بدفع الإمبراطور إلى داخل السفينة، حيث أحكموا غلق الباب خلفه، ووقفوا مستعدين للموت أمام هذا الباب كجزء من درعه التي تحميه.

في صدمة الهدوء النسبي داخل السفينة حدق الإمبراطور في عيون حاشيته المتسعة على آخرها، فرأى كبرى بناته وحمرة الإجهاد ظاهرة على وجنتيها، والكاهنة المسنة واقفة كظل أسود وغطاء رأسها مسحوب على وجهها، ثم عثر أخيراً على الوجوه التي كان يبحث عنها، رجلي النقابة. وقف الرجلان في زيهما الرّمادي المميز للنقابة، بلا شارات تزينه، محتفظين بهدوئهما على الرغم مما يثور حولهما من عواطف.

لكن أطولهما كان يضع يده على عينه اليسرى. وفيما راقبه الإمبراطور اصطدم شخص بذراع رجل النقابة فتحركت اليد وانكشفت العين. كان الرجل قد فقد إحدى عدستيه اللاصقتين، فبدت العين محدقة بزرقة تامة، تكاد تجعلها تظهر سوداء.

تقدّم أصغرهما من الإمبراطور، مفسحاً الطريق بمرفقه، وقال: "لا نعرف كيف سينتهي الأمر"، وأضاف رفيقه الأطول في صوت بارد - بعد أن أعاد وضع يده على عينه -: "لكن حتى هذا المؤدّب لا يعرف ما سيحدث".

تلك الكلمات صدمت الإمبراطور وأفاقته من ذهوله. وبجهد بالغ كبح تهكمه، فلا يحتاج المرء للتركيز التوقعي لملاحي النقابة ليتنبأ بالمحصلة الفورية لما يجري الآن في الوادي، وتساءل إن كانا معتمدان اعتماداً كليا على قدرتهما بحيث فقدا القدرة على استخدام أعينهم وعقولهم؟

قال: "أيتها السّيدة الموقرة، علينا أن ندبر خطة".

نزعت القلنسوة عن وجهها وقابلت نظرته بحملقة لا يطرف لها جفن، حملت النظرة التي تبادلاها تفاهما كاملاً. لم يبق لديهما سوى سلاح واحد، وكلاهما يعرفه: الخيانة.

قالت السّيدة الموقرة: "استدع الكونت فينرنغ من حجراته".

أومأ الإمبراطور الپاديشي وأشار لأحد مساعديه بأن يطيع الأمر.

48

"لقد كان محارباً وصوفياً، غولاً وقديساً، كالثّعلب وكالبريء السّاذج، شهماً وقاسياً، أدنى من الآلهة وأعظم من البشر، لا يمكن قياس دوافع المؤدّب بالمعايير التقليدية، في لحظة انتصاره أدرك الفخ المميت الذي كان معداً له، ومع ذلك قبِل بتعريض نفسه للخائن. أيمكن أن نقول أنه فعل هذا بدافع احترامه للعدالة؟ إذن، كانت عدالة من؟ وتذكر أننا نتحدث الآن عن المؤدّب الذي أصدر أوامره بأن تُصنع طبول الحرب من جلود أعدائه، المؤدّب الذي تجاهل - دون أدنى تردد - الأعراف التي يمليها عليه ماضيه بصفته دوق، ولم يزد على أن قال: أنا الكويزاتس هاديراك، هذا في حد ذاته مبرر كاف".

من كتاب (يقظة آرّاكس)، تأليف الأميرة إيرولان

في ليلة انتصاره انتقل پاول-مؤدّب لقصر الحكم بمدينة آرّاكين، مقر سكنى آل آتريديز عندما وصلوا لآرّاكس أول مرة. كان المبنى على حالته التي استعادها رابان، وبدا وكأن المعركة لم تمسه إطلاقاً، على الرّغم من أن أهل المدينة قد قاموا بنهب بعض الأشياء، بعض أثاث القاعة الرئيسية كان مقلوباً أو محطماً.

أسرع پاول الخطى عبر المدخل الرئيسي وخلفه بخطوة سار جيرني هاليك وستيلغار، انتشر أفراد الحرس المرافقون لهما في أرجاء القاعة الكبرى، وقاموا بترتيب المكان وبإفساح مساحة نظيفة للمؤدّب. إحدى فرقهم بدأت تفتش لتتأكد من عدم وجود أفخاخ خفيّة في المكان.

قال جيرني: "أتذكر اليوم الذي جئنا فيه إلى هنا مع والدك لأول مرة"، وأدار بصره في الأعمدة وفي النوافذ العالية المائلة: "لم يعجبني هذا المكان وقتها، ويقل إعجابي به الآن أكثر، كهوفنا أكثر أمناً"

قال ستيلغار: "تتحدّث كفريمني حقيقي"، ولاحظ الابتسامة الباردة التي رسمتها كلماته على شفتي المؤدّب. "هل ستعيد النظر في الأمر يا مؤدّب؟"

قال پاول: "لهذا المكان رمزية، فرابان كان يعيش هنا. وباحتلالي هذا المكان فإني أعزز نصري ليستوعبه الجميع، أرسل الرجال في أنحاء المبنى. لا تلمسوا شيئاً، احرصوا فقط على التأكد من عدم بقاء رجال تابعين للهاركونِن وعدم وجود مصائد مخفية".

قال ستيلغار: "تحت أمرك"، وكانت نبرته - وهو يستدير لإطاعة الأمر - مثقلة بالمعارضة.

سارع الرّجال المسؤولون عن الاتصالات داخلين القاعة بأجهزتهم، وشرعوا في نصبها جوار المدفأة الضخمة، وفي أركان القاعة اتخذ الحرس الفريمني - تعزيزات من نجى من الفدائيين - أماكنهم. كانوا يتبادلون الغمغمات، وتصدر عنهم نظرات الشّك، فلطالما اعتبروا هذا المكان مقراً للعدو، ولم يكن من اليسير عليهم تقبل وجودهم فيه.

قال پاول: "جيرني، ابعث بجنود لاصطحاب أمي وتشاني، هل علمت تشاني بما حدث لابننا؟"

"تم إرسال رسالة يا مولاي".

"هل يتم إخراج ديدان الصّانع خارج منطقة الحوض؟"

"أجل مولاي، أوشكت العاصفة على التبدد".

قال پاول: "ما مدى التّخريب الذي أحدثته العاصفة؟"

قال جيرني: "في طريقها المباشر، فوق مهبط الطائرات وعبر ساحات تخزين السپايس في الخلاء، تدمير هائل، السبب هو المعركة أيضا بالإضافة للعاصفة".

قال پاول: "أتوقع أنها أشياء لن يعجز المال عن إصلاحها".

قال جيرني: "باستثناء الأرواح يا سيدي"، وكانت في صوته نبرة لوم، كما لو أنه يقول: ومتى كان آل آتريديز يقلقون أولاً على الأشياء عندما يتهدد الخطر بالبشر؟

لكن پاول كان منشغلاً بعينه الدّاخلية والفجوات الظاهرة له في جدار الزّمن والتي لا تزال موجودة على امتداد مساره، في داخل كل فجوة كان الجهاد يشتعل في نهاية أروقة المستقبل.

تنهّد وعبر القاعة فرأى مقعداً مستنداً على الجدار. كان هذا المقعد موجوداً في السّابق في قاعة الطعام وربما جلس فيه والده بنفسه. لكن في هذه اللحظة لم يكن سوى وسيلة يريح عليها إرهاقه ويخفيه عن الرّجال. جلس، ضاماً ثوبه حول ساقيه، وفكّ أربطة بذلة تقطيره عند الرّقبة.

قال جيرني: "لا يزال الإمبراطور مختبئاً داخل حطام سفينته".

قال پاول: "تحفّظ عليه هناك في الوقت الحالي، هل عثروا على آل هاركونِن بعد؟"

"ما زالوا يفحصون الموتى".

"وما الجواب الذي وردنا من السّفن الموجودة بالأعلى؟"، ورفع ذقنه نحو السّقف.

"لم تردنا منهم إجابة حتى الآن يا مولاي".

أطلق پاول تنهيدةً وعاد بظهره نحو المقعد، ثم لم يلبث أن قال: "جئني بأحد الساردوكار المأسورين، ينبغي أن نبعث برسالة لإمبراطورنا، حان وقت التفاوض".

"أمرك مولاي".

استدار جيرني واشار لأحد الفدائيين فسارع الأخير باتخاذ موقع حراسة بجوار پاول.

همس پاول: "جيرني، منذ أن التقينا مجدداً لم أسمعك تستشهد بالمقولة المناسبة للأحداث"، والتفت فرأى ازدراد جيرني لريقه والتصلّب المفاجئ في فكّ الرّجل.

قال جيرني: "كما تحب يا مولاي"، وتنحنح ثم قال بصوت أجش: "فانقلب النّصر في ذلك اليوم إلى مناحة عند كل الشّعب، لأن الشّعب سمع في ذلك اليوم من يقول إن الملك حزين على ابنه".

أغمض پاول عينيه مجبراً الأسى على الخروج من ذهنه، وجعله ينتظر كما فعل في السابق عند رثاء أبيه، ثم ركز أفكاره على الاكتشافات التي تراكمت هذا اليوم، المسارات المستقبلية المختلطة، وتواجد 'عاليا' الخفي داخل وعيه الإدراكي.

من أغرب وظائف 'الرّؤية الزّمنية' ما قالته له عاليه: "لقد تقدمتُ وواجهتُ المستقبل كي أضع كلماتي في موقع لن يسمعها فيه أحد سواك، حتى أنت لا تستطيع تحقيق هذا يا أخي، إنها لعبة عجيبة، آه وبالمناسبة... لقد قتلتُ جدنا، البارون العجوز الخرف. لم يتألم كثيراً".

صمتٌ. ثم أنبأته حاسته الزّمنية بانسحاب عاليه.

"مؤدّب!".

فتح پاول عينيه فرأى فوقه لحية ستيلغار السّوداء، والعينين الداكنتين تشعان ببريق المعركة.

قال پاول: "عثرتم على جثة البارون العجوز".

حلّ على ستيلغار صمت مفاجئ، ثم همس: "كيف عرفت؟ لقد عثرنا لتونا على الجثة في كومة المعدن الهائلة تلك التي بناها الإمبراطور".

تجاهل پاول السؤال إذ رأى جيرني يعود وبصحبته اثنين من الفريمن يسندان ساردوكار أسير.

قال جيرني: "ها هو أحدهم يا مولاي"، وأشار للحرس بأن يوقفا الأسير على بعد خمس خطوات من پاول.

لاحظ پاول في عيني الساردوكار نظرة صدمة مذهولة. وامتدت كدمةٌ زرقاء من أرنبة أنفه إلى جانب فمه. كان من الفئة الشّقراء ذات الملامح المصقولة، ملامح ترتبط بالرتب العليا بين الساردوكار، لكن غابت الشّارة من على سترته الممزقة باستثناء الأزرار الذهبية ذات العلامة الإمبراطورية، وجدائل بنطاله الممزقة.

قال جيرني: "أظنه ضابط يا مولاي".

أومأ پاول وقال: "أنا الدّوق پاول آتريديز، أتفهم هذا يا رجل؟"

حدّق الساردوكار فيه دون حركة.

قال پاول: "تكلم، وإلا مات إمبراطورك".

طرفت عينا الرّجل وابتلع ريقه.

قال پاول ملحاً: "من أنا؟"

قال الرجل بصوت مبحوح: "أنت الدّوق پاول آتريديز".

بدا لپاول أن الرجل مستسلماً أكثر من المتوقع، لكن لم يواجه الساردوكار يوم كهذا من قبل. لم يجربوا سوى الإنتصارات، وهو شيء - كما أدرك پاول - يمكن أن يصبح ضعفاً في حد ذاته. نحى هذه الفكرة جانباً لتدبرها لاحقاً كجزء من برنامجه التدريبي.

قال پاول: "عندي رسالة ستحملها للإمبراطور"، وصاغ كلماته حسب النمط العرفي القديم: "بصفتي دوق من أسرة نبيلة، وقريب من أقرباء الإمبراطور، أتعهد أنا ملتزماً بضوابط الميثاق، إن تخلى الإمبراطور ورجاله عن أسلحتهم وجاؤوني إلى هنا سأحمي أرواحهم بروحي"، ورفع پاول يده اليسرى ليرى الساردوكار الختم الدّوقي وأكمل: "أقسم بهذا".

رطّب الرّجل شفتيه بلسانه ورمى بنظرةٍ نحو جيرني.

قال پاول: "أجل، لا يمكن أن يحوز على ولاء جيرني هاليك سوى فردٌ من آل آتريديز".

قال الساردوكار: "سأحمل الرّسالة".

قال پاول: "خذه لنقطة عسكرية على الجبهة الأمامية وأرسله".

"حاضر يا مولاي"، وأشار جيرني للحارسين بأن ينفّذا الأمر، وتقدّمهما.

التفت پاول نحو لستيلغار.

قال ستيلغار: "وصلت تشاني ووالدتك، تشاني طلبت أن تختلي بحزنها لبعض الوقت. أما السّيدة الموقرة فأرادت البقاء قليلاً في الغرفة العجائبية، ولا أعلم السّبب".

قال پاول: "أمي تحنّ لكوكب قد لا تراه ثانية أبداً، كوكب يهطل فيه الماء من السّماء وتنمو النباتات بكثافة حتى يعجز المرء عن السّير بينها".

همس ستيلغار: "ماءٌ من السماء!"

وفي تلك اللّحظة رأى پاول أن ستيلغار قد تحول من نائب فريمني إلى مخلوق تابع للسان الغيب، وعاء للانبهار والطاعة، تحول تسبب في انحسار لشخصيّة الرّجل، وشعر پاول فيه برياح الجهاد الخفية.

جال پاول ببصره في القاعة فقد هاجمته الوحدة، ولاحظ كيف أصبح حرسه منضبطين ومتأنقين في حضوره، وأحسّ بمنافسةٍ خفيّة مزهوّة بينهم، إذ يأمل كلّ فردٍ منهم بأن يخصّه المؤدّب بنظرة.

.وكانت فكرة مريرة عليه.

تنحنح ستيلغار وقال: "رابان أيضاً مات".

أومأ پاول.

تحرّك الحرس الواقفون على اليمين جانباً، متّخذين وضع انتباه ومفسحين لجيسيكا طريقاً. كانت ترتدي عباءتها السّوداء، وسارت وكأنّها تسرع على الرّمال، وانتبه پاول كيف أعاد لها هذا المنزل بعض من طبعها السّابق، خليلة الدوق الحاكم. كان يتجلى في شخصيتها شيء من الصرامة القديمة.

توقّفت جيسيكا أمام پاول ونظرت له. رأت تعبه، ومحاولته إخفاء ذلك، لكن لم تشعر نحوه بشفقة. وكأنّها عاجزة عن الشعور نحو ابنها بأي عاطفة.

كانت جيسيكا قد دخلت القاعة الكبرى متسائلة عن سبب عدم مطابقة المكان لما كان عليه شكله في ذاكرتها، ظلت القاعة أجنبية عليها، وكأنها لم تمشِ فيها من قبل، ولا رافقت فيها ليتو الحبيب، ولا واجهت دَنكِن آيداهو وهو سكران.. ولا، ولا، ولا...

فكّرت:

قالت: "أين عاليه؟"

قال پاول: "بالخارج، تقوم بما يجب على كل طفل فريمني أن يفعله الآن، تقتل جرحى الأعداء وتضع علامة على أجسادهم لتتعرف عليها فرق استعادة الماء".

"پاول!"

قال: "عليك أن تفهمي أنها تفعل هذا بدافع الرّحمة، أليس غريباً كيف نُسيء فهم التّلازم الخفي بين الرّحمة والقسوة؟"

حدّقت جيسيكا في ابنها وقد صدمها التغير العميق الذي حدث له.
وقالت: "يردد الرجال حكايات غريبة عنك يا پاول، يقولون إنك تتمتع بكل القدرات المذكورة في الأسطورة، وأنه لا شيء يمكن أن يخفى عليك، وأنك ترى ما لا يستطيع الآخرون رؤيته!"

قال: "معقول أن تسأل عن الأساطير واحدة من بني-جيزيرِت؟"

قالت معترفة: "صحيح أن لي يد فيما أصبحتَ عليه، لكن لا يمكن أن تتوقع مني أن..."

قال پاول: "كيف سيكون حالك لو عشتِ مليارات من الحيوات؟ ما رأيك في هذه الأسطورة! فكّري في كل تلك الخبرات، والحكمة التي تأتي معها، لكن الحكمة تطفئ الحب بعض الشيء، أليس كذلك؟ وتجعل للكراهية شكلاً جديداً. كيف تميزين القسوة إلا بعد أن تغوصي في أعماق كل من القسوة والشفقة؟ عليك أن تخشيني يا أمي، فأنا الكويزاتس هاديراك".

حاولت جيسيكا أن تزدرد ريقها لكن حلقها كان جافاً"، في السابق أنكرت أمامي أنك الكويزاتس هاديراك".

هزّ پاول رأسه: "لا أستطيع إنكار شيء بعد الآن"، ومن موقع جلوسه رفع بصره ليلتقي ببصرها: "سيحضر الإمبراطور ورجاله الآن، سيتم الإعلان عن قدومهم في أي لحظة. قفي بجانبي، أرغب في رؤيتهم بوضوح، فبينهم ستأتي زوجة المستقبل".

قالت جيسيكا بحدة: "پاول! لا تكرّر غلطة والدك!"

قال پاول: "إنها أميرة، هي مفتاحي للوصول للعرش، ولن يزيد دورها عن هذا أبداً، غلطة؟ أتظنين لأنك قد صنعتيني على ما أنا عليه أني لست قادراً على الشّعور بالرغبة في الانتقام؟"

قالت: "حتى من الأبرياء؟"

قال پاول: "لم يعد هناك أبرياء بعد الآن".

قالت جيسيكا: "قل هذا لتشاني"، وأشارت للممر المؤدي للجزء الخلفي من المسكن.

عندها ولجت تشاني القاعة الكبرى، ماشية بين الحرس الفريمني كما لو أنها غير مدركة لوجودهم. تدلّت قلنسوتها ورأس بذلة تقطيرها للخلف، وكمامة الوجه مزالة للجانب. قطعت القاعة في انكسار هشّ لتقف جوار جيسيكا. رأى پاول آثار الدموع على وجنتيها. شعر بالأسى يسري فيه فجأة، لكن وكأنه لا يستطيع الإحساس بهذا سوى من خلال حضور تشاني.

قالت تشاني: "مات يا حبيبي، مات ابننا".

تحامل پاول واقفاً على قدميه، متحكماً بمشاعره. مدّ يده ومسّ خد تشاني، شاعراً برطوبة دموعها. قال: "لن يوجد له بديل، لكن سيكون لنا أبناء آخرون، يعدك أصول بهذا"، وأخذها برفق، مشيراً لستيلغار.

قال ستيلغار: "أمرك يا مؤدّب".

قال پاول: "إنهم قادمون من السّفينة، الإمبراطور ومن معه، سأقف أنا هنا. اجمع الأسرى في مكان متسع في منتصف القاعة. سيبقون على مسافة 10 أمتار مني إلا إذا أمرتك بشيء مختلف".

"كما تأمر يا مؤدّب".

وفيما استدار ستيلغار لينفذ الأمر سمع پاول التّمتمات المنبهرة من الحرس الفريمن: "أرأيت؟ كان يعلم! لم يخبره أحد، لكنه علِم!"

كان الآن بالإمكان سماع حاشية الإمبراطور وهي تقترب، ودندن ساردوكار بنغمة من أناشيدهم العسكرية ليرفعوا من روحهم المعنوية. ثم جاءت من عند المدخل أصوات لغط، ومرّ جيرني هاليك بين الحرس، واقترب من ستيلغار للتشاور معه، ثم انتقل لجوار پاول وفي عينيه نظرة غريبة.

تساءل پاول:

قال جيرني: "ليست معهم أسلحة يمكن رميها، تأكدت من هذا بنفسي"، وجال بنظره في أرجاء القاعة فرأى التحضيرات التي أمر بها پاول. "فايد راوثا هاركونِن بينهم. هل أعزله عنهم؟"

"دعه".

"ويوجد بعض رجال النقابة أيضاً، يطالبون بمعاملة خاصة، ويهدّدون بحصار تجاري ضد آرّاكس، أخبرتهم أني سأوصل لك رسالتهم".

"دعهم يهدّدون".

قالت جيسيكا خلفه في هسيس: "پاول! إنه يتحدث عن نقابة الفضاء!"

قال پاول: "سأنزع أنيابهم حالاً".

وفكّر في النقابة، في تلك القوة التي أفرطت في تخصّصها لمدة طويلة حتى أصبحت مخلوقاً طفيلياً، غير قادر على البقاء حياً بشكل مستقل عن الكائن الذي يتغذى عليه. لم يجرؤ أبداً على امتشاق الحسام، والآن لم يعد قادراً على امتشاقه. كان ممكنا لهم الاستيلاء على آرّاكس عندما أدركوا خطأ التخصص واقتصار ملاحيهم على تناول مزيج المخدر المحفز للمدى الطيفي الإدراكي. كان بإمكانهم فعل هذا، وأن يعيشوا مجدهم لفترة ثم يموتوا. لكن بدلاً من ذلك، كانوا يعيشون من لحظة للحظة، آملين أن توفر البحار التي يسبحون فيها جسداً جديداً يستضيفهم عندما يموت القديم.

من خلال تمتعهم بقدر محدود من القدرة الاستبصارية اتخذ ملاحو النقابة قراراً مهلكاً: دائماً كانوا يختارون المسار المستقبلي الواضح والآمن، والذي يؤدي في النهاية للركود.

فكّر پاول: .

قال جيرني: "وتوجد أيضاً سيدة موقرة من بني-جيزيرِت تقول إنها صديقة لوالدتك".

"ليس لوالدتي صديقات من بني-جيزيرِت".

أدار جيرني بصره مرَّة أخرى في القاعة الكبرى، ثم مال مقترباً من أذن پاول: "ظافر حواط معهم يا مولاي، لم تسنح لي فرصة لمقابلته على انفراد، لكنه استخدم إشاراتنا اليدوية السّرية القديمة ليخبرني أنه كان يعمل مع الهاركونِن، وأنه كان يظنك ميتاً، وقال يجب تركه معهم".

"تركت ظافر مع أو..."

"هو من أراد هذا، ورأيت أن هذا أفضل. فإن كان بالأمر... خطبٌ ما... سيكون ساعتها محصوراً في مكان نتحكم به، أما إن كان الأمر على العكس، سنحظى بجاسوس في الجانب الآخر".

خطرت لپاول حينئذ لمحات استبصارية عن الاحتمالات المختلفة لهذه اللحظة، وفكّر في أحد الخطوط الزمنية التي يحمل فيها ظافر إبرة مسمومة أمره الإمبراطور باستخدامها ضدّ هذا الدّوق المدّعي.

تنحى حرس المدخل جانباً وشكّلوا برماحهم ممراً قصيراً، انتشر في المكان حفيف ملابس، وأقدام تحك في الرّمل الذي انجرف بعضه لداخل القصر.

تقدم الإمبراطور الپاديشي شدّوم الرّابع رجاله داخلاً القاعة. غابت خوذة البورسيغ، وبدا الشّعر الأحمر واضحاً وسط ملابسه المبهدلة. كم سترته العسكرية الأيسر كان ممزقاً على طول درز الخياطة المبطنة. ولم يكن يرتدي حزاماً ولا يحمل أسلحة، لكن حضوره الطاغي تحرك معه وكأنه فقاعة درع طاقة أفسحت المكان من حوله.

هبط رمح أحد الفريمن ليسدّ الطريق أمامه، فأوقفه في الموقع الذي أمر به پاول. احتشد الآخرون خلفه، كأنهم مونتاج من الألوان والوجوه المختلطة المحملقة.

مسح پاول المجموعة ببصره فرأى نساءً يخفين آثار نحيب، وأتباعاً كانوا قد جاؤوا ليستمتعوا بمشاهدة انتصار الساردوكار من مقاعد المتفرجين الأمامية، ووقفوا الآن في صمت تخنقتهم الهزيمة، رأى پاول عيني السّيدة الموقرة غاياس هيلين موهيم، الثاقبتين كعيون الطيور، تحدقان من تحت قلنسوتها السّوداء، وجوارها عيني فايد راوثا هاركونِن الضّيقتين الماكرتين تختلسان النظرات.

فكّر پاول: .

ثم نظر لما خلف فايد راوثا وقد جذبت انتباهه حركة، فرأى وجهاً ضئيلاً مراوغاً كابن عرس لم يره من قبل، لا في الزمن ولا خارجه. شعر أنه وجه من المفترض أن يعرفه، وحمل هذا الشعور معه شيئاً من الخوف.

مال على أمه وهمس: "ذاك الرجل الواقف على يسار السّيدة الموقرة، الذي تبدو عليه ملامح الشر.. من هو؟"

نظرت جيسيكا فتعرّفت على صاحب الوجه من دفاتر دوقها، وقالت: "الكونت فينرنغ، كان يعيش في هذا القصر قبلنا مباشرة. مخصي جينياً... وقاتل".

فكّر پاول: . وصدمت الفكرة وعيه الإدراكي وهزّته، لأنه قد رأى الإمبراطور في مواقف لا حصر لها، منتشرة عبر المسارات المستقبلية المحتملة، لكن لم يظهر له الكونت فينرنغ ولا مرة ضمن هذه الرّؤى الاستبصارية.

وهنا خطر لپاول أنه قد رأى جثته هو عبر امتدادات لا حصر لها في شبكة الزّمن لكنه لم ير أبداً لحظة موته.

فتساءل:

انساب في ذهنه نذير شؤم مفاجئ. أجبر انتباهه بعيداً عن فينرنغ ونظر لبقايا جنود الساردوكار وضباطهم، ولما على وجوهِهم من مرارة ويأس. انجذب انتباه پاول لحظياً لوجوه متناثرة بينهم هنا وهناك، ضباط ساردوكار يقيّمون التحضيرات الدفاعية في القاعة، ويخططون ويدبرون لطريقة يمكن بها تحويل الهزيمة لنصر.

وأخيراً وقع انتباه پاول على امرأة شقراء فارعة، خضراء العينين، بوجه ذي جمال أرستقراطي، وملامح غطرسة كلاسيكية لم تمسها دموع، ولا يبدو عليها انكسار. عرفها پاول دون أن يخبره أحد باسمها، أميرة ملكية، تم تدريبها كبني-جيزيرِت، وجه قد كشفته له رؤاه الزمنية في مواقع كثيرة: إيرولان.

.

ثم رأى حركةً بين المجموعة المحتشدة، وظهر بينهم وجه، ظافر حواط، الملامح المسنة المجعدة والشفتان ببقعهما الداكنة، الكتفان المحدبان، ومنظر ضعف الشيخوخة الذي يبدو عليه.

قال پاول: "ها هو ظافر حواط، دعه يمر بحرية يا جيرني".

قال جيرني: "مولاي".

كرّر پاول: "دعه يمر".

أومأ جيرني.

تقدم حواط في خطوات متثاقلة إذ ارتفع رمح أحد الفريمن من أمامه ثم عاد الرّمح لموضعه من خلفه. صوبت العينان الرطبتان النظر لپاول، فاحصتين، مدققتين في التفاصيل.

تقدم پاول خطوة للأمام، وشعر بحركة متوترة بين الإمبراطور ورجاله، تنتظر شيء ما.

صوب حواط بصره لما خلف پاول وقال: "ليدي جيسيكا، اليوم فقط علمت بما ارتكبته في حقك من ظن خاطئ. لستِ مجبرة على مسامحتي".

انتظر پاول، لكن التزمت والدته الصمت.

قال پاول: "ظافر، يا صديقي القديم، كما ترى، ظهري ليس مداراً نحو باب".

قال حواط: "الكون مليء بالأبواب".

قال پاول: "هل صرتُ ابن أبي بحق؟"

قال حواط بصوت مبحوح: "بل أنت الآن أقرب لأن تكون ابن جدك، أسلوبه ونظرته واضحان في عينيك".

قال پاول: "لكني أيضاً ابن أبي، لأني أقول لك الآن يا ظافر أن بإمكانك أن تطلب مني أي شيء ترغب فيه، لرد جميل السنوات التي خدمت فيها أسرتي. أي شيء ترغب فيه مهما كان، أتريد حياتي مثلا يا ظافر؟ إنها لك"، وتقدم پاول خطوة ويداه بجانبه، فرأى نظرة الفهم تنمو في عيني حواط.

فكّر پاول: .

قال پاول بصوت يكاد يكون هامساً كي يصل لأذني حواط فقط: "أعني ما أقوله يا حواط، إن كنت تريد قتلي فافعلها الآن".

قال حواط: "جُلّ ما أردته هو أن أقف أمامك من جديد يا دوقي"، وانتبه پاول لأول مرة للجهد الذي يبذله العجوز ليمنع نفسه من السقوط أرضاً. مدّ له پاول يده وأمسك حواط من الكتفين ليعينه، فأحس بارتجاف العضلات تحت يديه.

قال پاول: "أتشعر بألم يا صديقي القديم؟"

ردّ حواط بالإيجاب: "يوجد ألم يا دوقي العزيز، لكن المتعة أكبر".

واستدار بين ذراعي پاول نصف استدارة ومدّ يده اليسرى، رافعاً راحتها نحو الإمبراطور، كاشفا عن الإبرة الدقيقة بين أصابعه وصاح قائلاً: "أترى، جلالتك. أترى إبرة خائنك؟ هل كنت تظنني أنا - الذي وهب حياته لخدمة آل آتريديز - سأعاملهم الآن بأقل من هذا؟"

ترنّح پاول لتراخى الرّجل بين ذراعيه وشعر بوقوع الموت، وبالارتخاء التام للجسد. أنزل پاول حواط على الأرض برفق، ثم اعتدل وأشار للحراس بأن يحملوا الجثة.

خيّم الصمت على القاعة أثناء تنفيذ أوامره.

وبدت الآن على وجه الإمبراطور نظرة انتظار مميتة، العينان اللّتان لم تبوحا بخوف في الماضي باحتا به أخيراً.

قال پاول: "ج-لالت-ك..."، ولاحظ رعدة الاندهاش في الأميرة الملكية طويلة القامة، إذ نطق الكلمة بتحكم بني-جيزيرِتي، بحيث تحمل كل ما أمكن لپاول أن يحمّلها من درجات الاحتقار والتوبيخ.

فكّر پاول: - .

تنحنح الإمبراطور وقال: "ربما يظن قريبي المحترم أن كل الأمور قد أصبحت على هواه الآن. هذا في الواقع أبعد ما يكون عن الحقيقة. لقد خرقتَ بنود الميثاق، فاستخدمت أسلحة ذرية ضد..."

قال پاول: "استخدمت الأسلحة الذرية ضد أحد التضاريس الصحراوية الطبيعية، كانت تعترض طريقي، وكنتُ متعجلاً للقائك يا جلالة الإمبراطور، لأطلب منك تفسير بعض أفعالك الغريبة".

قال الإمبراطور: "هناك أسطول ضخم تابع لأسر كبار النبلاء، في الفضاء فوق آرِّاكس في هذه

اللحظة. وبمجرد كلمة مني فسي-..."

قال پاول: "آه، صحيح، كدت أنسى أمرهم"، وبحث ببصره بين حاشية الإمبراطور إلى أن رأى وجه اثنين من رجال النقابة، فوجه كلامه لجيرني: "هل هذان هما وكلاء نقابة الفضاء يا جيرني، السّمينان الواقفان هناك بملابس رمادية؟"

"أجل يا مولاي".

قال پاول مشيراً لهما: "أنتما الاثنان. اخرجا من مكانكما على الفور وأرسلا رسائل تأمر هذا الأسطول بالعودة لوطنه حالاً، وفيما بعد سيكون عليكما أن تطلبا مني الإذن قبل..."

صاح أطول الاثنين: "النّقابة لا تتلقى منك الأوامر!"

واندفع مع زميله ناحية حاجز الرّماح، والذي أزيل بإيماءة من پاول. تقدم الرّجلان ورفع أطولهما ذراعه أمام پاول وقال: "أغلب الظن أنك الآن تحت طائلة حظر اقتصادي ل-..."

قال پاول: "إن سمعت منكما المزيد من هذا الكلام الفارغ فسأصدر الأمر الذي سيدمر كل إنتاج السپايس على آرّاكس... للأبد".

قال رجل النقابة الطويل: "أأنت مجنون؟"، وتراجع نصف خطوة.

قال پاول: "إذن تعترف أنني أملك القدرة على فعلها؟"

حدّق رجل النقابة في الهواء للحظة ثم قال: "أجل، قد تفعلها، لكن يجب ألا تفعلها".

قال پاول وهو يومئ لنفسه "آآه. كلاكما من ملاحي النقابة إذن؟"

"أجل!"

قال أقصرهما: "إن فعلتها ستعمي نفسك أيضاً، وتحكم علينا جميعاً بالموت البطيء. هل تعرف ما يحدث عندما يُمنع مزيج السپايس عن المرء بعد إدمانه عليه؟"

قال پاول: "ستصبح العين التي ترى المسار الفضائي الآمن مغلقة للأبد، وتبات النقابة عاجزة، والبشر مجرد تجمعات صغيرة، منعزلة على كواكبها المعزولة عن بعضها البعض. أتعلم شيئاً، قد أفعلها لمجرد النّكاية... أو لشعوري بالسّأم".

قال رجل النقابة الطويل: "دعنا نناقش هذا على انفراد، إنني متأكد من إمكانية الوصول لتسوية س-..."

قال پاول: "أرسل الرّسالة لزملائك المحلقين فوق آرّاكس، إذ أعياني هذا الجدال. إن لم يرحل هذا الأسطول الذي فوقنا قريباً فلن تكون هناك حاجة لكلامنا أصلاً"، وأشار لرجال اتصالاته في ركن القاعة: "بإمكانك استخدام أجهزتنا".

قال رجل النقابة الطويل: "يجب أولاً أن نناقش هذا، لا يمكن أن نقوم بالأمر بمج-..."

صاح پاول: "نفّذ! إن القدرة على تدمير الشيء هي أقصى درجات التحكم به. وقد اعترفتَ أني أملك هذه القدرة، لسنا هنا للمناقشة أو التفاوض أو البحث عن حل وسط. ستطيعون أوامري أو ستعانون من العواقب الفورية!"

قال رجل النقابة الأقصر: "إنه يعني ما يقول"، ورأى پاول الخوف يسيطر عليه.

وببطء تقدم الاثنان قاصدين أجهزة الاتصالات الفريمنية.

قال جيرني: "هل سيطيعان؟"

قال پاول: "يتمتعان بقدر من الرؤية الزّمنية المحدودة. وبإمكانهما أن يريا في المستقبل القريب حائطاً سداً سيكون عاقبة العصيان. كل ملاح من ملاحي النقابة على متن كل سفينة من السفن الفضائية التي فوقنا يستطيع أن ينظر للمستقبل ويرى هذا الحائط، سيطيعان".

التفت پاول لينظر للإمبراطور وقال: "عندما سمحوا لك باعتلاء عرش أبيك كان هذا بشرط ضمان تدفق السپايس، وقد خذلتَهم يا جلالة الإمبراطور، هل تعرف عواقب هذا؟"

"لم يسمح لي أحد ب-..."

صاح پاول: "لا تتظاهر بالغباء، إن النقابة كقرية على نهر. يحتاجون الماء لكن لا يملكون سوى غرف ما يلزمهم، ليس بمقدورهم حجز النهر بسد ولا التحكم به، لأن هذا سيجعل الأنظار تنتبه للمقدار الذي يأخذونه، مما يؤدي في النهاية لدمارهم، تدفُق السپايس هو نهرهم، وأنا بنيت سداً، لكن سدي من النوع الذي لا يمكن تدميره دون تدمير النهر أيضاً بالتبعية".

مرّر الإمبراطور يده خلال شعره الأحمر، ورمق ظهر رجلي النقابة.

قال پاول: "حتى كاهنتك البني-جيزيرِتية، كاشفة الأكاذيب، ترتجف. توجد سموم أخرى يمكن للسّيدات الموقرات استخدامها لتنفيذ 'حِيلهم السّحرية'، لكن بعد استخدامهن لمزيج السپايس تفقد كل الأنواع الأخرى فعاليتها".

جمعت العجوز ثوبها الأسود حول جسدها وتقدمت من بين الحشد لتقف أمام حاجز الرماح.

قال پاول: "السّيدة الموقرة غاياس هيلين موهيم، مرّ وقت طويل منذ لقائنا على كالادان، أليس كذلك؟"

نظرت خلفه، نحو جيسيكا، وقالت: "طيب يا جيسيكا. أرى الآن أن ابنك هو فعلا المنتظَر، وبسبب هذا يمكن مسامحتك حتى على إنجابك لابنتك الرجس".

كظم پاول غضبه المشتعل وقال: "ليست لك سلطة مسامحة أمي على شيء، وهي لم ترتكب خطأ أصلاً".

حدّقت العجوز في عينيه بثبات.

قال پاول: "جرّبي حيلك ضدي أيّتها الساحرة العجوز. أين الغوم جبار؟ حاولي النظر لذلك المكان الذي لا تجرؤين على النظر إليه! ستجديني هناك أحدق فيكِ!"

خفضت العجوز عينيها.

قال پاول بنبرة آمرة: "أليس لديك شيء تقولينه؟"

غمغمت: "لقد رحبتُ بك بين صفوف البشر بصفتك إنسان، لا تلطخ هذا".

رفع پاول صوته قائلاً: "انظروا لها يا رفاق! إنّها سيدة موقرة من سيدات بني-جيزيرت، صبورة تعمل لقضية طويلة الأمد، أمكنها أن تنتظر - مع أخواتها - طوال 90 جيلاً، كي ينجح خَليط الجينات والبيئة المناسب في إنتاج الشخص الوحيد الذي تحتاجه خططهم. انظروا لها! فقد اكتشفت الآن أن الـ 90 جيلاً قد أنتج فعلاً هذا الشخص. فها أنا ذا. لكني... لن... أخضع... لها... أبداً!"

صرخت العجوز قائلة: "جيسيكا! أسكتيه!"

قالت جيسيكا: "أسكتيه أنت".

حدّق پاول في المرأة العجوز وقال: "كعقاب على دورك الذي قمتِ به في هذا الأمر فبإمكاني أن آمر بقتلك خنقاً"، ثم لما تصلبت في غضب أكمل بحدة: "ولن تستطيعي منعي! لكني أظن أن العقاب الأفضل هو أن تعيشي سنوات عمرك عاجزة عن المساس بي وعن إرغامي على تنفيذ ولو أمر واحد مما تشتهي خططك تنفيذه".

قالت العجوز: "جيسيكا، ماذا فعلتِ؟"

قال پاول: "سأمنحك اعترافاً بشيء واحد. لقد عرفتن بعض ما يحتاجه الجنس البشري فعلاً، لكن لم تفهموه جيداً. تظنون أن بإمكانكن التحكم بالتناسل البشري وأن تمزجن بين قلة مختارة تبعا لخطتكن الكبرى! يا لجهلكن بطبيعة ال-..."

قالت العجوز: "لا يجب أن تتكلم عن هذه الأمور!"

صاح پاول في صوت هادر: "اص-م-تي!" وتحولت الكلمة - بتحكم من پاول - إلى كتلة تمر بينهما عبر الهواء.

ترنحت العجوز للخلف فوقعت بين أذرع من يقفون خلفها، ووجهها شاحب من أثر الصدمة بسبب القوة التي سيطر فيها على عقلها.

همست: "جيسيكا، جيسيكا."

قال پاول: "أتذكر الغوم جبار الذي استخدمتيه ضدي، فتذكري أنت ما فعلته أنا بك، بإمكاني أن أقتلك بمجرد كلمة".

تبادل الفريمن المحيطون بالحشد نظرات فاهمة. ألم تقل النبوءة: "وستحمل كلمته موتاً أبدياً لمن يقفون ضد الحق".

التفت پاول صاباً انتباهه على الأميرة الملكية طويلة القامة، الواقفة جوار أبيها الإمبراطور، وقال بينما عيناه مركزتين عليها: "جلالة الإمبراطور، كلانا يعلم المخرج من هذا المأزق الصعب".

رمى الإمبراطور بنظرة نحو ابنته ثم عاد ببصره لپاول: "أتجرؤ؟ أنت! مجرد مغامر بلا أسرة، شخص بلا..."

قال پاول: "لقد اعترفتَ وصرّحت بهويتي، أيها القريب الملكي، فدعنا نتوقف عن هذا الكلام الفارغ".

قال الإمبراطور: "أنا حاكمك".

رمى پاول نظرة نحو رجلي النقابة الواقفان قرب أجهزة الاتصالات ينظران إليه، أومأ له أحدهما.

قال پاول: "بإمكاني إرغامك".

كزّ الإمبراطور على أسنانه: "لن تجرؤ!"

لم يزد پاول على أن حدّق فيه.

وضعت الأميرة الملكية يدها على ذراع أبيها وقالت بنبرة ناعمة كالحرير ومهدئة للأعصاب: "أبي".

قال الإمبراطور: "لا تحاولي استخدامك حيلك عليّ"، ثم نظر لها: "لستِ مجبرة على القيام بهذا يا ابنتي، عندنا أدوات أخرى يمك-..."

قالت: "لكنه رجل يستحق أن يكون ابناً لك".

دفعت السّيدة الموقرة العجوز نفسها بين الحشد، بعد أن استعادت ضبطها لنفسها، ووقفت جوار الإمبراطور ومالت على أذنه هامسة.

قالت جيسيكا: "إنها تناشده تنفيذ طلبك".

حدّق پاول في الأميرة ذات الشّعر الذهبي، ثم تحدث جانباً لأمه: "إنها إيرولان، أكبر أخواتها، أليس كذلك؟"

"أجل".

انتقلت تشاني للجانب الآخر من پاول وقالت: "أتريدني أن أرحل يا مؤدّب؟"

رمقها وقال: "ترحلي؟ لن تفارقي جانبي مرة أخرى أبداً".

قالت تشاني: "ليس بيننا رباط يلزمك بشيء".

نظر لها پاول للحظة صمتٍ ثم قال: "لا تخاطبيني إلا بالحقائق يا حبيبتي سِهايا"، وعندما بدأت تجيبه أسكتها بإصبع على شفتيها: "ما يربطنا لا يمكن حله، والآن راقبي هذه الأحداث بدقة، ففيما بعد سأريد أن أرى ما دار في هذه القاعة عبر منظار حكمتك".

انشغل الإمبراطور وكاهنته في مناقشة حامية، منخفضة الصوت.

خاطب پاول والدته: "إنها تذكّره بأن جزءاً من اتفاقهم يقول بضرورة وضعه إحدى بني-جيزيرِت على العرش، وإيرولان هي من أعدوها لهذا الأمر".

قالت جيسيكا: "هل كانت هذه هي خطتهم فعلاً؟"

قال پاول: "أليس أمراً واضحاً؟"

قالت جيسيكا بحدّة: "إنني أرى الدّلالات! القصد من سؤالي تذكيرك بأنه لا ينبغي أن تعلّمني أشياء قد دربتك أنا عليها".

نظر إليها پاول فرأى على شفتيها شبح ابتسامة باردة.

مال جيرني هاليك مدخلاً رأسه بينهما وقال: "أذكرك يا مولاي بوجود أحد أفراد أسرة هاركونِن ضمن هذه المجموعة"، وأومأ برأسه نحو فايد راوثا ذي الشّعر الأسود، يقف خلف حاجز رماح على اليسار. "الشّخص ذو العينين الضيقتين ناحية اليسار. وجه على درجة من الشّر لم أر مثلها، وقد وعدتني مرة أن..."

قال پاول: "شكراً لك يا جيرني".

قال جيرني: "إنه النا-بارون، يعتبر البارون الآن بعد موت العجوز، سيؤدي الغرض الذي أريده فـ-..."

"وهل بمقدورك التغلب عليه يا جيرني؟"

"مولاي يمزح بالتأكيد!"

"يكفي هذا الجدال بين الإمبراطور وساحرته، أليس كذلك يا أمي؟"

أومأت موافقة: "فعلاً".

رفع پاول صوته وصاح بالإمبراطور: "جلالتك، هل بينكم أحد من الهاركونِن؟"

كشف الازدراء الملكي عن نفسه في الطريقة التي استدار بها الإمبراطور لينظر لپاول: "أعتقد أن حاشيتي تحت حماية تعهدك الدّوقي".

قال پاول: "كان سؤالي لمجرد الاستفهام. أريد أن أعلم إن كان واحد من آل هاركونِن جزء من حاشيتك رسمياً، أم أن الهاركوني يحتمي فقط وراء تفاصيل شكلية، بسبب جبنه".

كانت ابتسامة الإمبراطور محسوبة: "كل شخصٍ قبلتُ انضمامه للصّحبة الإمبراطورية يعتبر جزءاً من حاشيتي".

قال پاول: "لقد تعهدت لك بصفتي دوق، لكن المؤدّب مسألة أخرى، إذ قد لا يأخذ بتعريفك لمعنى كلمة حاشية، صديقي جيرني هاليك يرغب في قتل شخص من آل هاركونن. لو..."

صاح فايد راوثا: "كانلي!" واندفع نحو حاجز الرماح. "أبوك هو من دعا هذا ثأراً يا آتريديز، تصفني أنا بالجبان بينما تتستر أنت بين نسائك وترسل أحد أتباعك ضدي!"

همست الكاهنة العجوز بقوّة في أذن الإمبراطور لكنه دفعها جانباً وقال: "كانلي إذن؟ إن للكانلي قواعد صارمة".

قالت جيسيكا: "پاول، أوقف هذا الأمر".

قال جيرني: "سيدي، وعدتني بيوم أنتقم فيه من الهاركونِن".

قال پاول: "وحصلت على يومك ضدهم بالفعل"، وشعر بإحساسٍ غامرٍ بالمرح أنساه كل شيء. فنزع ثوبه وأزال قلنسوته عن كتفيه وناولهما لوالدته ومعهما حزامه وسكّين الكريسْنايف وبدأ يفك بذلة تقطيره، شعر الآن بأن الكون يرتكز على هذه اللحظة.

قالت جيسيكا: "لا داع لهذا، توجد طرق أسهل يا پاول".

خلع پاول بذلته وأخرج الكريسْنايف من غمدها الذي تمسك به والدته وقال: "أعلم. سمّ... اغتيال... كل الطرق القديمة المألوفة".

قال جيرني في هسيس: "وعدتني أن أقتل هاركونياً!"، ولاحظ پاول الغضب العارم على وجه الرّجل، والطريقة التي برزت بها ندبة الإنكْاين، داكنة وناتئة: "يحق لي أن أطالب بهذا".

قال پاول: "وهل عانيتَ منهم أكثر ممّا عانيت أنا؟"

قال جيرني بصوتٍ متحشرج: "أختي، سنواتي التي قضيتها في حفرة العبيد..."

قال پاول: "أبي، أصدقائي ورفاقي الطيبون، ظافر حواط ودَنكِن آيداهو. سنواتي كهارب بلا رتبة ولا مأوى... وشيء آخر إضافي... لقد صار الأمر الآن عبارة عن كانلي، وتعلم جيداً - كما أعلم أنا - القواعد التي يجب الالتزام بها".

تراخت كتفا هاليك وقال: "مولاي، إن قام هذا الخنزير ب-... إنه ليس سوى حيوان تدوسه بقدمك ثم ترمي الحذاء لأنه قد تلوث. استدعِ جلادا يعدمه إن لزم الأمر، أو دعني أقم أنا بالأمر، لكن لا تعرض نفسك ل-..."

قالت تشاني: "لا يحتاج المؤدّب للقيام بهذا الأمر".

نظر لها فرأى في عينيها الخوف عليه، فقال: "لكن يجب على الدّوق پاول القيام به".

قال جيرني بصوت مبحوح: "إنه مجرّد حيوان هاركوني!"

تردّد پاول موشكاَ على كشف أصله الهاركوني، لكنّه توقف لما رأى نظرة والدته الحادة، ولم يزد على أن قال: "لكن هذا المخلوق له صورة البشر يا جيرني، ويستحق شكوكك البشر".

قال جيرني: "لو تجرأ ومس منك ش-..."

قال پاول: "تنح جانباً من فضلك"، وازن الكريسْنايف في يده ودفع جيرني جانباً برفق.

قالت جيسيكا: "جيرني!"، ولمست ذراع جيرني، "إنه مثل جده في هذه الحالة المزاجية. فلا تشتت انتباهه. فهذا كل ما بإمكانك أن تفعله له الآن"، وفكرت: ! .

راقب الإمبراطور فايد راوثا، متفحصاً الكتفين العريضين، والعضلات السميكة. ثم عاد ونظر لپاول، شاب نحيل كحبل مجدول. ليس جافاً بنفس درجة جفاف المواطنين المحليين على آرِّاكس، لكن ضلوعه بارزة ويمكن عدها، وغائرة في الخاصرة بحيث يمكن متابعة تموج وتجمع العضلات تحت الجلد.

مالت جيسيكا مقتربة من پاول وخفضت مستوى صوتها ليصل لِسمعه هو فقط: "نقطة هامة يا بني، أحيانا تقوم بني-جيزيرِت بتهيئة الأشخاص الخطرين بزرع كلمةً في أعمق تجاويف العقل باستخدام الأساليب القديمة للمتعة والألم. الكلمة الصوتية الشائع استخدامها لهذا الغرض هي أورشنور، إذا تمت تهيئة هذا الشخص - وهو شيء أظنه قد حدث فعلاً - فإن نطق هذه الكلمة قرب أذنه سيرخي عضلاته وسي-..."

قال پاول: "لا أريد في هذا النزال ميزة أستغلها لمصلحتي، ابتعدي عن طريقي".

وجّه جيرني كلامه لها: "لم يفعل هذا؟ أيريد أن يتسبب في مقتله ويتحول لشهيد؟ هل ذلك الكلام الفارغ الفريمني الدّيني هو ما يشوش تفكيره المنطقي؟"

أخفت جيسيكا وجهها بين يديها، وقد أدركت أنها لا تفهم لماذا أقدم پاول على هذا المسار. شعرت بالموت يخيم على القاعة، وتعلم أن پاول بعد تغيره بمقدوره أن يقوم بالذي اقترحه جيرني. انصبت كل جوارحها ومواهبها في حاجتها لحماية ابنها، لكن لم يكن بيدها شيء.

قال جيرني بإصرار: "هل السّبب هو ذلك الكلام الديني؟"

همست جيسيكا: "اصمت، وقم بالدعاء".

ارتسمت ابتسامةٌ مفاجئةٌ على وجه الإمبراطور، وقال: "إن رغب فايد راوثا هاركونِن في هذا، وهو أحد أفراد حاشيتي، فإني أعفيه من القيود وأعطيه حرية اختيار طريقه الخاص في هذا الأمر"، وأشار الإمبراطور نحو حرس پاول الفدائيين: "أحد الغوغاء التابعين لك معه حزامي ونصلي القصير، إن رغب فايد راوثا فبإمكانه أن ينزل ضدك ونصلي في يده".

قال فايد راوثا: "أرغب"، ورأى پاول الابتهاج على وجه الرّجل.

فكّر پاول: . .

قال پاول: "هاتوا نصل الإمبراطور"، وراقبهم ينفذون أمره. أشار لمكان على الأرض وقال: "ضعوه هناك على الأرض، وأبعدوا الغوغاء التابعين للإمبراطور للخلف بقرب الجدار، ودعوا الهاركوني يقف بحرية".

صاحب تنفيذ أوامر پاول حفيف أثواب وحركة أقدام وأوامر منخفضة الصوت واحتجاجات، ظلّ رجلا نقابة الفضاء واقفين قرب أجهزة الاتصالات، وعبسا لپاول وحيرتهما واضحة.

فكّر پاول: . ... .

وحاول تذوّق رياح الزّمن، الاضطرابات، مفترق طرق العاصفة الذي ارتكز الآن على هذه اللحظة وهذا المكان. حتى الفرجات الصغيرة كانت مغلقة الآن. كان يعرف أن الجهاد ها هنا، لم يولد بعد. ها هنا وعي الجنس البشري الإدراكي، والذي عرفه في السابق باسم غايته الشّخصية الرّهيبة. ها هنا سبب كاف لوجود الكويزاتس هاديراك أو لسان الغيب أو حتى خطط بني-جيزيرِت العرجاء. قد أحس الجنس البشري بسباته، وشعر بأن البشرية أصبحت راكدة ولم يعد يفكر سوى في الحاجة الملحة للمرور بحالة فوضى تسمح للجينات الوراثية بالاختلاط وبأن تبقى الأخلاط الجديدة القوية على قيد الحياة. كل البشر كانوا أحياءً في هذه اللحظة، ككائن واحد لا-واعي، يمر بحالة تشبه الشبق الجنسي تطغى على كل الحواجز.

وعلم پاول أن أي جهود يبذلها لتغيير ولو جزء صغير من هذا هي جهود عديمة الفائدة. كان يظن أنه سيقاوم الجهاد داخله، لكن الجهاد سيحدث لا محالة، ستنطلق فيالقه من على آرِّاكس حتى لو لم يكن هو موجوداً. فكل ما كانوا يحتاجونه هو الأسطورة التي أصبح عليها. لقد أراهم الطريق، بل وجعل لهم اليد العليا على نقابة الفضاء ذاتها والتي تحتاج للسپايس ليستمر وجودها.

غمره إحساس بالفشل، ورأى أن فايد راوثا هاركونن قد نزع الزّي الممزق، وخلع كل شيء إلا حزاماً قتالياً مدعوماً ببطانة معدنية.

فكّر پاول: . . .

صاح فايد راوثا مستخدماً كلمات طقس الكاتلي القديم: "هل الآتريديز جاهز؟"

اختار پاول أن يجيبه على الطريقة الفريمنية: "فلتنكسر سكينك وتتهشم!" وأشار لنصل الإمبراطور على الأرض، موضحاً أن على فايد راوثا أن يتقدم ويأخذه.

التقط فايد راوثا السّكين، صابًّا انتباهه على پاول، ثم وازنها في يده لبعض الوقت ليتأكد من ثقلها. اشتعلت إثارته، هذا قتال لطالما حلم به... رجل لرجل، المهارة ضد المهارة، دون تدخل الدّروع. كان بإمكانه أن يرى طريق السلطة ينفتح أمامه لأن الإمبراطور بلا شك سيكافئ من يقتل هذا الدّوق المشاغب. بل ربما تكون المكافأة تلك الابنة المتغطرسة، ونصيباً في العرش. وهذا الدّوق الفلّاح، هذا المغامر الذي يعيش في بلد متخلفة، يستحيل أن يكون خصماً مساوياً لهاركوني تم تدريبه على استخدام كل أداة وكل خيانة عبر ألف نزال في الحلبة. بالإضافة إلى أن الفلاح لا يعلم أنه يواجه في هذا الموقف أسلحة أخرى غير السكين.

فكر فايد راوثا: !

أدى لپاول التّحية بنصل الإمبراطور وقال: "قابل موتك أيها الأحمق".

قال پاول: "هلا تقاتلنا يا ابن العم؟"، وتقدم للأمام بخطوات القطط، وعيناه على النصل الذي ينتظره، وجسده رابض لأسفل، وسكينه الكريسْنايف البيضاء كاللبن مشهرة للأمام وكأنّها امتداد لذراعه.

دار أحدهما حول الآخر، وأقدامهما تحكّ الأرض، يراقبان بعضهما بعيونٍ متحفزةٍ لاستغلال أقل فرجة.

قال فايد راوثا: "يا لجمال رقصك!"

فكرّ پاول: . . .

قال فايد راوثا: "هل تبت من ذنوبك على يد كاهن استعداداً للموت؟"

لكن پاول استمر في الدّوران في صمت.

ارتجف جسد السّيدة الموقرة العجوز وهي تشاهد النزال من مكانها بين حشد حاشية الإمبراطور. لقد دعا الشاب الآتريدي الهاركوني بكلمة: ابن العم. وهذا ليس له سوى معنى واحد، إنه يعلم اشتراكهما في السّلف، وهو شيء يمكن فهمه بسهولة حيث إنه الكويزاتس هاديراك. لكن الكلمات أجبرتها على التركيز على الأمر الوحيد الذي كان يهمها هنا.

إن ما يحدث قد يشكّل كارثةً كبرى تحيق بخطة بني-جيزيرِت التّناسلية.

رأت هنا شيئاً قد رآه پاول أيضاً، قد ينجح فايد راوثا في القتل دون أن ينتصر. ثم داهمتها خاطرة أخرى. محصلتان نهائيتان ناتجتان عن هذا البرنامج المكلف وطويل الأمد يواجهان الآن بعضهما البعض في نزال حتى الموت قد يؤدي في نهايته لموت الاثنين.

إن مات الاثنان هنا فلن يبقى سوى ابنة فايد راوثا غير الشّرعية، والتي لا زالت طفلة، مجهولة الصفات، عنصر لم يقاس بعد... وعاليه، الرّجس.

قال فايد راوثا: "ربما ليس متاحاً لك هنا سوى الطّقوس الوثنية. أتحب أن تقوم كاهنة الإمبراطور بتهيئة روحك لرحلتها؟"

ابتسم پاول، دائراً ناحية اليمين، متحفزاً، وأفكاره السوداوية كتمتها احتياجاته اللحظية.

وثب فايد راوثا، مراوغاً بحركة خادعة من يده اليمنى، بينما انتقلت السّكين بسرعةٍ خاطفةٍ ليده اليسرى.

تجنّبه پاول بيسر، ملاحظاً ما باندفاعة فايد راوثا من تردّد ناتج عن التّعود على استخدام الدّرع. لكنه لم يكن اعتماداً قوياً بنفس الدّرجة التي رآها پاول في الآخرين، إذ شعر أن فايد راوثا قد قاتل من قبل ضد خصومٍ لا يرتدون دروع.

قال فايد راوثا: "هل يهرب الآتريدي أم يبقى ويقاتل؟"

استمرّ پاول في دورانه الصّامت، وقد تذكر كلمات آيداهو، أثناء تمرين قديم على أرضية التدريب على كالادان: "استغل اللّحظات الأولى في دراسة غريمك، قد تفقد عدّة فرصٍ للفوز السّريع، لكن لحظات الدّراسة تجعل انتصارك مؤكداً. خذ وقتك، وكن متيقناً"

قال فايد راوثا: "ربما تظن أن هذه الرّقصة تطيل حياتك لبضعة لحظات إضافية. لا بأس"، وتوقف عن الدوران، واعتدل واقفاً.

رأى پاول ما يكفي لعمل تقدير مبدئي، تحرك فايد راوثا بشقه الأيسر، مقدماً الورك الأيمن للأمام كما لو أن حزام القتال المقوى بالمعدن بإمكانه أن يحمي شقه كله. كانت هذه حركات شخص مدرب على الدّروع ومعتاد مسك سكّين في كل يد من يديه.

أو... وهنا تردد پاول... ربما يكون الحزام أكثر من مجرد حزام.

إذ بدا الهاركوني واثقاً أكثر من اللازم في مواجهة رجل قاد قواته اليوم للانتصار على فيالق الساردوكار.

لاحظ فايد راوثا التردّد فقال: "لماذا تؤخر المحتوم؟ كل ما تفعله هو تأخيري عن إثبات حقّي في تملك كرة التراب هذه".

فكرّ پاول: . .

قال فايد راوثا: "لماذا لا تتكلم؟"

استمر پاول في دورانه الفاحص، سامحاً لنفسه بابتسامة باردة، سعيداً لنبرة القلق في صوت فايد راوثا، والتي تعتبر دليلاً على أن ضغط الصّمت يتزايد عليه.

قال فايد راوثا: "تبتسم؟"، ووثب قبل أن يكمل الجملة.

ولأن پاول كان يتوقع حدوث التّردد الطّفيف كاد يفشل في تجنب النّصل الذي هوى عليه بسرعة خاطفة، وأحس بطرفه يخدش ذراعه الأيسر. أخرسه الألم المفاجئ، وغمر عقله إدراك أن التّردد الذي حدث في البداية كان خدعة... خدعة مركبة. إنه أمام خصم لا يستهان به. سيكون في هذا النّزال خدعة متداخلة مع خدعة والتي هي أيضاً تختبئ خلف خدع أخرى.

قال فايد راوثا: "رجلك ظافر حواط علمني بعض ما أتمتع به من مهارات، وأعطاني بهذا فرصة سفك أول دم، من المؤسف أن الأحمق العجوز لم يعش ليرى الأمر بنفسه".

وتذكر پاول ما قاله آيداهو مرة: "توقع كل شيء في القتال، وبهذه الطريقة لن تتفاجأ أبداً".

ومن جديد عاد الاثنان يحومان حول بعضهما، رابضين، حذرين.

رأى پاول الابتهاج يعود لخصمه، فتعجب من الأمر. ألهذه الدّرجة يبهجه خدش؟ إلا لو كان على النصل سم! لكن كيف؟ رجاله هم من تعامل مع السّلاح، وفحصوه بالأجهزة قبل تمريره لفايد، وهم مدربون بشكل جيد فصعب أن يفوتهم شيئ واضح كهذا.

قال فايد راوثا: "تلك المرأة التي كنت تتحدث معها هناك، ضئيلة الحجم. هل لها مكانة خاصة عندك؟ هل هي كائن أليف تلاعبه ربما؟ هل ستستحق مني اهتمام خاص؟"

التزم پاول الصمت، مدققاً بحواسه الداخلية، فاحصاً دم الجرح، فعثر على بقية مخدر منوم جاء من نصل الإمبراطور. أعاد ضبط عملية أيضه للتكيف مع هذا التهديد وتغيير جزيئات المخدر، لكن سرت الشّكوك في ذهنه. لقد كانوا مستعدين ووضعوا مخدراً على النصل. منوم. شيء لن ينتبه له تباع السّموم، لكنه قوي بما يكفي لإبطاء العضلات التي يمسها، لدى أعدائه خطط متداخلة مع خطط... خيانات متراكمة.

ومرة أخرى وثب فايد راوثا، طاعناً.

تجّمدت الابتسامة على وجه پاول، وتحرّك ببطء خادع كما لو أن المخدّر يعوقه، ثم تجنب النّصل في اللّحظة الأخيرة وقابل الذّراع التي تهوي ناحيته بطرف سكّينه الكريسْنايف.

انزاح فايد راوثا جانباً وابتعد، وانتقل نصله ليده اليسرى، ولم يفضح ألم جرحه سوى شحوب في فكّه.

فكّر پاول:

.

صاح فايد راوثا: "خيانة! لقد سمّمني! أشعر بالسّم في ذراعي!"

نزع پاول رداء الصّمت وقال: "بعض الحمض ليرد على المخدّر المندس في نصل الإمبراطور".

ابتسم فايد راوثا ابتسامة باردة كالتي ابتسمها پاول، ورفع النّصل في يسراه بتحية هازئة، وعيناه تشعان غضباً خلف السّكين.

نقل پاول الكريسْنايف ليسراه، كي يماثل خصمه، ومن جديد دارا، متفحصين.

بدأ فايد راوثا يغزو المسافة الفاصلة بينهما، والجاً بجانبه، وسكّينه مشهرةً عالياً، والغضب بادياً في ضيق عينه وفي تصلب فكه، هجم بحركةٍ خادعةٍ يميناً للأسفل، فالتحم الاثنان وتصارعت يداهما

الممسكان بالسّكين، وشدّ أحدهما الآخر.

أجبر پاول جسديهما على الاستدارة يميناً، لحذره من ورك فايد راوثا الأيمن الذي يتوقع أن ينطلق منه سهم. فكاد لا ينتبه للإبرة التي انفتحت منبثقة من تحت خط الحزام. إشارته الوحيدة تغير طفيف طرأ على حركة فايد راوثا، فلت جسده من سن الإبرة بمقدار طفيف لا يكاد يذكر.

!

ذكّر پاول نفسه: . ارتخى مستخدماً العضلات التي تدربت على يد بني-جيزيرِت، لينال من فايد راوثا ردّ فعل لا إرادي، لكن اضطراره لتجنب السن الدّقيق المنبثق من ورك خصمه أربك پاول وأفقده توازنه، فوجد نفسه على الأرض، وفايد راوثا فوقه.

همس فايد راوثا: "أتراها على وركي؟ إنّها موتك يا أحمق"، وبدأ يلوي نفسه، مقترباً بالإبرة المسمومة أكثر وأكثر، "ستشل عضلاتك فيقوم سكيني بالقضاء عليك، ولن يبق أثر يمكن أن يفحصه أحد!"

شدّ پاول عضلاته، مصغياً في ذهنه لصرخات صامتة، إذ طالبه أسلافه المحفورون في خلاياه باستخدام الكلمة السّرية ليقوم بإبطاء فايد راوثا، ولينقذ نفسه.

شهق پاول: "لن أقولها!"

فغر فايد راوثا فمه، وتردّد للحظة خاطفة، لكنها كانت كافية لأن يجد پاول نقطة توازن ضعيفة في عضلات ساق خصمه، فانعكس وضعهما. ورقد فايد راوثا تحته جزئياً، ووركه الأيمن مرفوعاً، عاجز عن الاستدارة بسبب سن الإبرة الضئيل المحشور في الأرض.

أدار پاول يده اليسرى وحررها، مستفيداً من لزوجة الدّم المنبثق من جرح ذراعه، ودفع النّصل بقوة تحت فك فايد راوثا، فانزلق الطرف مستقراً في المخ. تشنج فايد راوثا، ثم ارتخى للوراء، وجسده ما زال مرفوعاً على جانبه جزئياً، بسبب الإبرة المحشورة في الأرض.

دفع پاول نفسه بعيداً وهو يتنفس بعمق ليستعيد هدوءه، ثم نهض. وقف أمام الجثّة وسكينه في يده، ورفع عينيه بتريثٍ متعمد لينظر عبر القاعة إلى الإمبراطور.

قال پاول: "جلالتك، جنودك قد قلوا واحداً. هلّا توقفنا الآن عن المراوغات والتظاهر؟ هلا بدأنا نناقش ما يجب أن يحدث؟ ابنتك زوجة لي وينفتح الطريق أمام آتريدز للجلوس على العرش".

استدار الإمبراطور ونظر للكونت فينرنغ، بادله الكونت النظرة... العينان الرماديتان في مواجهة الخضراوين. انتقلت الفكرة بينهما، فعلاقتهما تعود لزمنٍ بعيدٍ بحيث يمكن لأحدهما فهم الآخر بمجرد نظرة.

قالت نظرات الإمبراطور: اقتل من أجلي هذا المبتدئ الطامح، أي نعم الآتريدي شاب ومتعدد المواهب لكنه أيضاً مرهق من الصراع الطويل ولن يكون مكافئا لقدراتك أصلا. اطلبه للنزال الآن... أنت تعلم الطريقة. اقتله.

وببطء حرك فينرنغ رأسه، التفاتة متباطئة إلى أن نظر لپاول مباشرة.

قال الإمبراطور في هسيس: "افعلها!"

ركّز الكونت على پاول، ناظراً بعينين تدربتاً على يد زوجته الليدي مارغو في أساليب بني-جيزيرِت، ومدركاً للغموض والعظمة الخفية في هذا الشاب الآتريدي.

فكّر فينرنغ: . كان على يقين.

ثم منعه شيء نابع من أعماقه السّرية، ورأى - في لمحة خاطفة وغير واضحة - الأفضلية التي يمتاز بها على پاول... طريقة تخفيه عن الشاب... خلسة في الشّخصية والدّوافع تعجز أي عين عن اختراقها.

أمّا پاول، ولإدراكه لبعض هذا الأمر من الطريقة التي كان يغلي بها مفترق الطرق الزمني، فهم أخيراً لماذا لم ير فينرنغ أبداً في شِباك الاستبصار. كان فينرنغ أحد "الاحتمالات التي كادت"... ممن كادوا يصبحون الكويزاتس هاديراك، لكن أعاقه خطأ في ترتيبه الجيني... الإخصاء، فتحولت موهبته للمكر وللانعزال الدّاخلي.

سرى في پاول تعاطف بالغ مع الكونت... أول إحساس بالأخوة أحسّ به على الإطلاق.

قرأ فينرنغ هذا الشّعور في پاول، وقال: "جلالتك، أنا مضطر للرّفض".

تغلب الغضب على شدّوم الرّابع، فتقدم خطوتين قصيرتين عبر حاشيته، ولكم فينرنغ على فكه.

اسود وجه الكونت، فنظر للإمبراطور مباشرة وتكلم دون انفعال: "كنا أصدقاء يا جلالة الإمبراطور. ما أقوم به الآن نابع عن الصداقة، وسأنسى ضربتك لي".

تنحنح پاول وقال: "كنّا نتحدث عن العرش، جلالتك".

استدار الإمبراطور بسرعةٍ وحدّق في پاول ثم صاح: "أنا من يجلس على العرش!"

قال پاول: "سيكون لك عرش على سالوسا سيكوندس".

صاح الإمبراطور: "لقد وضعت أسلحتي وأتيت هنا بناء على كلمة شرف منك! أتجرؤ على تهديد..."

قال پاول: "حياتك آمنة في حضرتي، هذا وعد من آل آتريدز. أما المؤدّب فيحكم عليك بالبقاء في الكوكب السّجن، لكن لا تخف يا جلالة الإمبراطور. فسأقلل قسوة بيئة المكان بكل ما بيدي من سلطات، سيصبح كوكباً بستاناً، مليئاً بالأشياء اللطيفة".

وبينما أخذ المغزى الخفي لكلمات پاول ينمو في ذهن الإمبراطور نظر عبر القاعة لپاول وقال متهكماً: "والآن رأينا الدوافع الحقيقية".

قال پاول: "فعلاً".

قال الإمبراطور: "وماذا عن آرّاكس؟ كوكبٌ بستانيٌّ آخر مليء بالأشياء اللطيفة؟"

قال پاول: "لقد أعطى المؤدّب كلمته للفريمن، ستوجد هنا مياه متدفقة مفتوحة للسماء، وواحات خضراء غنية بالطيبات. لكن علينا التفكير في السپايس أيضاً، ولهذا ستظل مناطق صحراوية على آرّاكس دائماً، ورياح عنيفة، ومِحن كي يخشوشن الرّجال، فنحن الفريمن عندنا حكمة تقول: 'خلق الرّب آرّاكس بهدف تدريب المؤمنين'، ولا يمكن للمرء أن يعارض كلام الرّب".

نظرت الكاهنة العجوز، كاشفة الأكاذيب، السّيدة الموقرة غاياس هيلين موهيم، للمغزى الخفي لكلمات پاول، رأت الجهاد في لمحة، فقالت: "لا يمكن أن تطلق هؤلاء القوم على الكون ليهاجموه!"

قال پاول بنبرة قاطعة: "ستترحمين على أيام وأساليب الساردوكار الرّقيقة!"

همست: "لا يمكنك".

قال پاول: "أنت كاشفة للأكاذيب، فتدبري حقيقة كلماتك"، ثم نظر نحو الأميرة الملكية وعاد ببصره للإمبراطور: "من الأفضل أن ننتهي من الأمر سريعاً، جلالتك".

التفت الإمبراطور لابنته بنظرة مصدومة، فمست ذراعه وتكلمت بصوت مهدئ: "لهذا الأمر تم تدريبي يا أبي".

أخذ نفساً عميقاً.

غمغمت الكاهنة العجوز: "ليس بيدك أن تمنع ما يحدث".

شدّ الإمبراطور قامته، متبنياً مظهره السابق الوقور الذي يتذكره وقال: "من سيتفاوض باسمك يا قريبي؟"

استدار پاول فرأى والدته، وعيناها مثقلتين، تقف مع تشاني وسط فرقة من الحرس الفدائيين، اقترب منهم ووقف ناظراً لتشاني.

همست تشاني: "أعرف الأسباب، أصول، إن كان لا مفر..."

لمس پاول وجنتها عندما سمع في صوتها العبرات الخفية، وهمس: " حبيبتي سهايا لا تحتاج أن تخشى شيئا أبداً" أنزل ذراعه ووقف في مواجهة والدته: "أنت من سيفاوض باسمي يا أمي، وتشاني بجانبك. إنها تتمتع بحكمة وبعينين فاحصتين، وصدق القول في أنه لا يفاوض أحد أفضل من الفريمني، ستنظر عبر عيني حبها لي وفي بالها مصلحة أبناءها المستقبليين وما سيحتاجونه. اصغي لها".

سمعت جيسيكا الحسابات الجافة في ذهن ابنها، فكتمت رعشةً انتابتها، وقالت: "ما تعليماتك؟"

قال: "حصة الإمبراطور الكاملة في شركة كوآم، تقدم لي مهر زواج".

"كاملة؟"، وكانت مصدومة بحيث كادت تعجز عن الكلام.

"وأن تنزع عنه أملاكه، ولجيرني هاليك سأريد رتبة إيرل وحصة أسهم في كوآم، وأن يكون إقطاع كالادان له. ولكل تابع آتريدي بقي على قيد الحياة ستكون هناك ألقاب وسلطات، دون استثناء حتى أقل الجنود مكانة".

قالت جيسيكا: "وماذا عن الفريمن؟"

قال پاول: "إن الفريمن لي، ما سيتلقونه هو ما سيوزعه المؤدّب عليهم، وأول هذا هو تعيين ستيلغار كحاكم آرّاكس، لكن يمكن لهذه الأمور أن تنتظر".

قالت جيسيكا: "وأنا؟"

"أهناك شيء معين ترغبين فيه؟"

قالت وهي تنظر لجيرني: "ربما كالادان، لست متأكدة. لقد أصبحت فريمنية بدرجة كبيرة، وسيدتهم الموقرة، أحتاج وقتاً هادئا وساكنا لأفكر."

قال پاول: "لك هذا. وكل ما يمكن لي ولجيرني أن نعطيه لك".

أومأت جيسيكا، وقد أحست فجأة بأنها مسّنة ومرهقة، نظرت لتشاني.

"وماذا للخليلة الملكية؟"

همست تشاني: "لا أريد ألقاباً ولا أي شيء، أتوسل إليك".

حدق پاول في عينيها، متذكراً منظرها وهي تحمل ليتو الصغير في ذراعيها، طفلهما الذي صار ميتاً الآن كنتيجة لهذا العنف.

همس: "أقسم لك الآن، أنك لن تكوني بحاجة للقب، تلك المرأة الواقفة هناك ستصير زوجتي وأنت مجرّد خليلة لأن هذا أمر سياسي ولأن علينا أن نعقد عرى السّلام من هذه اللحظة، وأن تنضم لنا أسر كبار النّبلاء المكونة لمجلس اللاندسراد. يجب أن نراعي القواعد المتبعة، ولن تحصل مني هذه الأميرة سوى على الاسم. لا طفل مني، ولا لمسة، ولا نظرة حانية، ولا لحظة شهوة".

قالت تشاني: "هذا ما تقوله الآن"، ونظرت عبر القاعة إلى الأميرة الفارعة.

همست جيسيكا: "ألا تعرفين طبع ابني؟ انظري لهذه الأميرة الواقفة هناك في شمم وثقة بالنفس، يقال إن لها تطلعات أدبيةٍ. فلنأملٍ أن تجد العزاء في مثل هذه الأمور، إذ لن يكون لديها غيرها"، وفلتت من جيسيكا ضحكةٌ مريرة: "فكّري في الأمر يا تشاني: سيكون لهذه الأميرة الاسم، لكنها ستعيش كأقل الخليلات حظاً، دون أن تشعر بلحظة رقيقة واحدة من الرّجل الذي ارتبطت به، أما نحن يا تشاني - من يقال لنا الخليلات - فسيسمينا التاريخ زوجات".

الملاحق

==========

ملحق 1: بيئة كثيب

==========

"عند تجاوز نقطة حرجة في مكان محدود تتضاءل الحرية كلما تزايدت الأعداد. هذا هو الحال بالنسبة للبشرية في فضاء محدود داخل نظام كوكبي، وكما هو الحال بالنسبة لجزيئات الغاز داخل قارورةٍ مغلقةٍ. ولا يكون السؤال البشري: كم عدد المتوقع ممن بقي حياً داخل هذا النظام، بل ما نوع الحياة التي سيقضيها ممن بقي على قيد الحياة."

\- -

عادةً، يترك آرّاكس على ذهن الوافد الجديد انطباعاً محدداً وهو أنّ الأرض قاحلةً. وقد يعتقد الغريب استحالة أن يحيا أو ينمو شيء في صحراء هذا المكان، وأنها أرضٌ قفرٌ بحق، لم تكن خصبة أبداً ولن تكون كذلكَ أبداً.

في نظر پاردوت كاينز لم يكن الكوكب سوى تعبيرٍ عن عنصر الطاقة، آلةٌ تُحركها شَمسها. وأن ما يحتاجه الكوكب هو إعادة تَشكيله ليتواءمَ مع احتياجات الإنسان. فانصبَّ ذهنه مباشرةً نحو القطاع السكاني المتنقل بحريةٍ، الفريمن. يا له من تحدي مثير! وأي أداةٍ عجيبةٍ سَيكونونَها! فالفريمن قوة بيئيةٌ وجيولوجيةٌ تتمتع بإمكانياتها اللا محدودة.

كان پاردوت كاينز في المجمل رجلاً بسيطاً وحاسماً. إذن، على المرء أن يتملّص من قيود الهاركونِن؟ ممتاز! ثم يتزوج امرأةً من الفريمن. وعندما تنجب لكَ ابناً فريمنياً فإنّك تبدأ به، بـ ليّيت-كاينز، وكذلك باقي الأطفال، فتثقفهم بيئياً، وتبتكر لغةً جديدةً تَضمُ رُموزاً تُسلّح العقل بحيث يكون باستطاعتهم التّلاعب بتضاريس كاملةٍ، بمناخها، وبحدودها الموسمية. وفي النهاية، يتم اختراق كافة أفكار القوة للوصول للإدراك المُبهر لمبدأ النظام.

قال كاينز: "على أي كوكبٍ صالحٍ للحياةِ هناكَ جمالٌ داخليٌ يمكن إدركه في الحركةِ والتوازن. بإمكانك في هذا الجمال أن ترى تأثيراً ثابتاً ديناميكياً ضرورياً لكل الكائنات الحية، هدفه بسيط: هو الحفاظ على إنتاج أنماطٍ متسقةٍ لتنوع أكبر وأكبر، فالحياة تُبلور قدرة النظام المغلق لتستمرَّ الحياة. فالحياة - كل أنواع الحياة – تكون لخدمة الحياة. إن الضروريات الحياتية وجدت بوفرة من قبل الحياة لأجل الحياة، فتنتعش البيئة كلها بالحياة، فتملؤها علاقات، لعلاقاتٍ ضمن علاقاتٍ."

هذا ما قاله پاردوت كاينز وهو يلقى محاضرة في إحدى فصول السيآتش السكانية.

على أي حالٍ، قبل المحاضرات كان عليه إقناع الفريمن. لتدرك كيفية حدوث ذلك، عليك أولاً أن تتفهم العقلية الفردية الضخمة، البراءة مع ما يقدمه لأي مشكلة، هو لم يكن ساذجاً، إنما سمح لنفسه بعدم التَّشتت.

في ظهر يوم حارٍ كان يستكشف تضاريس آرّاكس، راكباً سيَّارة فرديةً، عندما صادف موقفاً بائساً محزناً يتكررً في كثيب. حاصر ستة من القتلة الهاركونيين بأسلحتهم ودروعهم، ثلاثة فتيانٍ من الفريمن في مكان مفتوح يقع وراء الجدار الجبلي، قرب قرية ويندساك. بالنسبة لكاينز كانت معركة هزلية، كوميديا أكثر منها واقعية، حتى تيقّن من حقيقة أنّ الهاركونِن ينوون قتل الفريمن. عند هذه النقطة كان أحد الفتيان قد سقط مقطوع الشريان، وسقط اثنان من القتلة أيضاً، ومع ذلك، ما زال أمامه أربعة رجالٍ مسلّحين ضد اثنين من المراهقين.

لم يكن كاينز رجلاً شجاعاً، إلا إنه كان متنبهاً وحذراً. بالنسبة له، كان الهاركونِن يقتلون الفريمن.

يدمرون الأداة التي ينوي بها إعادة تشكيل الكوكب! أشعل درعه وخاض المعركة فقتل اثنين من الهاركونِن بنصل المراوغة قبل أن يدركوا تسلله خلفهما. تحاشى طعنة سيف أحدهم، ونحره بحركة متداخلة متقنة، تاركاً القاتل المتبقي للشابين الفريمنيين، وصب انتباهه كله على إنقاذ الفتى الملقى أرضاً.

وفعلاً أنقذ الفتى، بينما يتم التخلص من الهاركوني السادس.

وهنا أحسوا بالمأزق! فلم يعرف الفريمن ما يفعلون بكاينز. طبعاً كانوا يعرفون من يكون، إذ لا يصل شخص لآرِّاكس دون وصول لحصون الفريمن ملفٌ كاملٌ عنه. كانوا يعرفونه: إنه موظف عند الإمبراطور.

ولكنّه قتل هاركونِن!

لو أن هذا الموقف جرى مع البالغين لكانوا هزّوا أكتافهم وتأسّفوا وهم يرسلون روحه لتنضم لأرواح القتلى السّتة. لكنّ هؤلاء كانوا فتياناً دونَ الخبرة، وشعروا بأنّهم مدينون بحياتهم لهذا الموظف الإمبراطوري.

بعدها بيومين وصل كاينز لسيآتش المطلّة على مجرى الريح. بالنسبة له كان الأمر طبيعياً. حَدّث الفريمن عن الماء، وعن الكثبان الرّملية المرتكزة على العشبِ، وعن نخيلٍ يَعجُّ بالتمر، وعن قنواتٍ مائيةٍ مفتوحةٍ تتدفق في الصحراء. تكلّم وتكلّم وتكلّم.

احتدّ حول كاينز جدالٌ لم يدركه. ماذا سنفعل بهذا المجنون؟ لصار يعلم موقع سيآتش الرئيسيي. ماذا سنفعل؟ ماذا عن كلماته... كلامه المجنون عن جنة فوق آرِّاكس؟ مجرد كلام. صار يعرف أكثر من اللازم. لكنه قتل هاركونِن! وماذا عن عبء الماء الذي أثقلنا به؟ ومتى كنا ندين للإمبراطور بشيء؟ لقد قتل هاركونِن. كلنا نقتل الهاركونيين. أنا نفسي فعلتها في السابق.

لكن ماذا عن هذا الكلام المتعلّق بازدهار آرِّاكس؟

الجواب بسيط: أين الماء الكافي لشيء كهذا؟

يقول إنه متوفر هنا! ثم لا تنسَ أنّه أنقذ ثلاثةً منّا.

أنقذ ثلاثة من الحمقى الذين وضعوا أنفسهم في قبضة الهاركونِن! ولا تنس أنه رأى سكاكين الكريسنايف!

كان القرار معروفاً قبل التفوه به بساعات. فالتاو الذي يجمع السيآتش يبلغ أعضاءه بما عليهم فعله، وإن كانت اللّحظة القاسية معروفة. فقد تم إرسال مقاتل متمرس ومعه سكين مكرّس للقيام بالمهمة. تبعه رجلان من حفظة الماء للحصول على الماء من الجثّة. ضرورة قاسية.

لا نعتقد أن يكون كاينز قد انتبه أصلاً لمن ينوي إعدامه. كان يكلم مجموعة انتشرت حوله على مسافة حذرة. كان يسير أثناء الكلام، في دائرة صغيرة، ملوحاً بيده. تكلم كاينز عن مسطحات مائية مفتوحة، السير في العراء دون بذلات تقطير، ماء متوفر في برك للانغماس فيها! برتقال!

واجهه حامل السكين.

قال كاينز: "تنحَ جانباً"، واستمر في حديثه عن مصائد رياحٍ سرية. مر متجاوزاً الرجل فصار ظهر كاينز هدفاً مكشوفاً، مهيئاً لتلقي ضربةٍ طقوسيةٍ.

لا أحد يعلم ما دار بذهن هذا الرجل المكلف بمهمة الإعدام. هل أصغى لكاينز وصدّق كلامه؟ من يدري؟ لكن التاريخ سجل ما فعله. كان اسمه أوليّيت، أي ليّيت الأكبر. مشى أولييت ثلاث خطوات

وهوى عمداً على سكينه، وعندها "تنحى" فعلاً.

انتحار؟ يقول البعض أن شي-هولود هو من دفعه لهذا.

يا له من فأل!

ومنذ تلك اللحظة، ما كان على كاينز سوى أن يشير قائلاً: "اذهبوا إلى هناك"، لتذهب قبائل فريمنية كاملة. مات رجال، وماتت نساء، ومات أطفال. لكنهم ذهبوا.

عاد كاينز لمهام وظيفته الإمبراطورية، مديراً لمحطات الاختبار البيولوجية. وبدأ الفريمن يظهرون ضمن طاقم المحطات. نظر الفريمن لبعضهم البعض، كانوا يخترقون "النظام"، احتمالية لم ترد في أذهانهم من قبل، بدأت أدوات المحطة تجد طريقها للسيآتش السكانية، خصوصاً المشارط الشعاعية التي استخدمت في حفر أحواضٍ تجميعيةٍ تحت الأرض ومصائد رياحٍ مخفية.

وبدأ الماء يتجمع في الأحواض.

اتضح للفريمن أن كاينز لم يكن معتوهاً، لكنّ به بعض الجنون الذي يؤدي إلى الورع. كان واحداً من الأمّة الأتقياء، التابعين للأنبياء. رُفعت روح أوليّيت لمصاف القديسين، إلى عرش القضاة السماويين.

كان كاينز حاسماً وطيد العزم، يعلم أن الأبحاث المنظمة بشكل مبالغ فيه لن تنتج شيئاً جديداً. فأنشأ وحداتٍ تجريبيةٍ صغيرةٍ تتبادل البيانات بشكل دوري لتصل لتأثير تانزلي السريع **Tansley**، وترك كل مجموعة تجد مساراً خاصاً بها. كان عليهم أن يراكموا ملايين الحقائق الصغيرة، وقام بتنظيم اختبارات منعزلة، خاطفة وعشوائية، ليوائم تلك الصعوبات في منظورها الصحيح.

على امتداد الفيافي أُخذت عينات لعمق التربة، وتم رسم خرائط لتقلبات الطّقس الطويلة المسماة مناخ، ووجد أنه في نطاق الحزام العريض المحدودة بين خطي ال- 70 درجة الشمالي والجنوبي لم تتجاوز الحرارة - طوال آلاف السنين - نطاق ال- 254-332 درجة مطلقة. وأن لهذا الحزام مواسم إنماء طويلة تتراوح خلالها الحرارة بين 284 و 302 درجة مطلقة: أي "المدى الذهبي" **bonanza range** الملائم للكائنات الحيّة المستوطنة **Terraform**... هذا طبعاً عندما يتمكنوا من حل مشكلة المياه.

سأله الفريمن: ومتى سنحلها؟ متى سنرى آرّاكس جنة؟

أجابهم كاينز وكأنه مدرس يجيب طفلاً يتساءل عن حاصل جمع 2 و 2: "من 300 إلى 500 عام."

لو كان القوم ضعافاً لصرخوا كمداً، لكن الفريمن تعلموا الصبر على يد رجال يمسكون بالسياط، كانت الفترة أطول قليلاً مما توقعوه، لكن أصبح بإمكانهم جميعاً رؤية اليوم الموعود، شدوا أوشحتهم وعادوا للعمل، وكأن خيبة الأمل جعلت إمكانية رؤية الجنة أمراً واقعياً أكثر.

لم يكنِ الماء هو القضية الكبرى على آرّاكس، بل الرّطوبة، حيث كانت الحيوانات الأليفة والمواشي منعدمة تقريباً. إذ قام بعض المهربين بتوظيف حُمُرٍ صحراويةٍ مستأنسةٍ تدعى "الكولون"**Kulon**، لكن ثمن الماء كان مرتفعاً حتى بعد تغطية الحيوان بـ بذَلٍ تقطيريةٍ معدلةٍ.

فكر كاينز في إنشاء مصانع اختزالٍ لاستعادة الماء من الهيدروجين والأكسجين المخزنين في الصخور الطبيعية، لكن كلفة الطاقة كانت عاليةً للغاية. أما القمتان القطبيتان (بغض النظر عما يمنحاه للسكان الكادحين من إحساس مزيف بوجود أمان مائي) فالماء المتواجد بهما يقل كثيراً عن احتياجات مشروعه، وكانت الظنون قد بدأت تساوره بالفعل عن المكان الحقيقي لوجود الماء، فعند الارتفاعات الوسطى كان هناك تزايداً للرطوبة بمعدلٍ ثابتٍ مع وجود رياحٍ معينة، وكان ذلك دليلاً

بارزاً على توازن الهواء: 23% أكسجين، 75.4% نيتروجين، 0.023% ثاني أكسيد الكربون، والباقي غازات أخرى بنسب ضئيلة.

تنمو في الإقليم الشمالي المعتدل نبتةً محليةً جذريةً نادرة فوق مستوى الـ 2500 متر تدعى "درنة" طولها متران وتحوي نصف لتر من الماء، بالإضافة إلى ذلك توجد النباتات الصحراوية رملية الشكل، بدت على قوامها ملامح مزهرة إن تم زرعها في منخفضات مبطنة بمكثفات الندى.

ثم رأى كاينز الغورَ الملحي.

ففي رحلة بين محطتين في عمق الفلاة، انحرفت طائرته الثوبتر عن مسارها بسبب عاصفة. وعندما هدأت العاصفة ظهر الغور، منخفضاً وهائلاً، بيضاوي الشكل، يقترب محور طوله من الـ 300 كيلو متر. مفاجأةٌ بيضاءَ لامعةً في الصحراء المفتوحة. هبط كاينز، وتذوق سطح الغور الذي كشفتهُ العاصفة.

ملح!

عندها تيقن.

فيما مضى كان يتواجد مسطحٌ مائيٌ مفتوح على آرِّاكس. شرع في إعادة فحص الأدلة على الآبار الجافة، التي لاح عليها وجود تدفق مائي هزيل ثم اختفى دون أن يعود مرة أخرى.

حثّ كاينز الفريمن - المدرَّبين حديثاً "ليمنولوجيي" Limnologists (دارسي المياه العذبة) - على أن يبدؤوا العمل. مفتاحهم الأساسي بقايا لمادة جلدية توجد أحياناً ضمن كتلة السپايس بعد الهبّة الانفجارية. وكان هذا يُعزى لـ "سمكة رمال" خياليّة في القصص الشعبيّة الفريمني. ومع تحول الحقائق إلى أدلة برز مخلوق يفسّر هذه البقايا الجلدية، كائن سابح في الرمال يحجز المياه في جيوبٍ خصبةٍ داخل الطبقات الأرضية المسامية تحت خط الـ 280 درجة مطلقة.

يموت "سارقو الماء" بالملايين مع كل هبّة سپايس انفجارية، فتغيير بسيط في الحرارة حتى بمقدار خمس درجات كافي لقتلهم. القلة التي تنجو تدخل في بيات حوصلي شبه خامل ثم تخرج بعد ست سنوات كدودة رمال صغيرة (طولها ثلاثة أمتار تقريبا). ولا تنجح سوى قلة منها في تجنب إخوتها الكبار والجيوب المائية للسپايس الأوّلي، إلى أن تصل إلى طور النضج وتصبح شي-هولود عملاق. (وكما كان يعلم الفريمن فالماء سام لشي-هولود إذ كانوا يُغرقون الديدان القزمة النادرة في منطقة العرق الأصغر كي ينتجوا عقار الطيف الإدراكي المخدر الذي يطلقون عليه اسم ماء الحياة. وما الدودة القزمة سوى نوع بدائي من شي-هولود لا يزيد طوله عن تسع أمتار.)

وهكذا فهموا العلاقة الدائرية: علاقة ديدان الصانع الصغيرة بكتلة السپايس الأولي، وديدان الصانع الصغيرة التي تتحول إلى شي-هولود، ثم ينثر شي-هولود السپايس الذي تتغذى عليه مخلوقات ميكروسكوبية تسمى العوالق الرملية، وتصبح العوالق الرملية غذاءً لشي-هولود، وتنمو وتحفر لتتحول إلى ديدان صانع صغيرة.

أشاح كاينز ورجاله بانتباههم بعيداً عن هذه العلاقات الكبرى، وركزوا على النظام البيئي الدقيق، في البداية، المناخ: إذ يصل سطح الرمال غالباً لدرجات حرارة من 344 إلى 350 درجة مطلقة، وعند الانخفاض لمسافة قدم تحت الأرض يمكن أن تقل الحرارة بمقدار 55 درجة، أما فوق السطح بقدم تقل الحرارة بمقدار 25 درجة، ويمكن لأوراق النبات أو مناطق الظل أن توفر تبريداً إضافياً يصل لـ 18 درجة، ثم تأتي المواد الغذائية. رمال آرِّاكس في أغلبها نتاج هضم الديدان، فالغبار (وهو المشكلة الحقيقية الموجودة بكل مكان) ينتج عن الزحف السطحي المستمر، أو ما يسمى حركة "التمليح" الرملية، وفي جوانب الكثبان البعيدة عن مسار الريح توجد الحبات الخشنة، أما الجوانب المواجهة

لمهب الريح فتنضغط بشكل ناعم وتصبح صلبة، الكثبان القديمة الصفراء (متأكسدة)، بينما تكون الكثبان الحديثة بلون صخورها الأم، غالبا رمادية.

وهكذا تحولت الجوانب البعيدة عن مهب الريح في الكثبان القديمة إلى مساحات زراعية أولية. كان هدف الفريمن الأول هو دورة حياتية للعشب شحيح الماء ذي الأهداب الشعيرية الشبيهة بالخُث peatlike hair ciliaكي يتخلل الكثبان ويكسوها ويثبّتها عن طريق حرمان الريح من أكبر أسلحتها: حبات رمالٍ قابلة للحركة.

تم تخطيط مناطق متكيفة في عمق الجنوب، بعيداً عن المراقبين الهاركونِن. زُرِعت أولاً الأعشاب المتحولة بالطفرة، قليلة الحاجة للمياه على طول الجوانب البعيدة عن مهب الريح في كثبان مختارة تقف في مسار الرياح الغربية السائدة. وبعد تثبيت الجانب البعيد عن الريح يتزايد طول الجانب المواجه للريح، فيتم نقل العشب لمسايرة هذا الامتداد. وبهذه الطريقة نتجت سِفسٌ Sifs عملاقة (أي كثبان طويلة ذات قمم متعرجة) يزيد طولها عن الـ 1500 متر.

عندما تصل الكثبان الحاجزة ارتفاعات كافية فإن الجوانب المواجهة للريح يتم زرعها بأعشاب نصلية أقوى. ويتم "تثبيت" كل بناء على قاعدة سمكها بستة أضعاف ارتفاعها.

ثم بدؤوا زراعات أعمق: النباتات سريعة الزوال (كبداية: نبتة رِجل الإوز Chenopod، وعشبة سالف العروس Pigweed، ونبتة القطيفة Amaranth). ثم الوزّال المعيق scotch broom، والترمس المنخفض low lupine، وعريشة الأوكالبتس (النوع المتكيف مع الحياة على مناطق كالادان الشمالية)، وشجرة الطرفاء القزمة tamarisk، والصنوبر المسنود. ثم النباتات الصحراوية الفعلية: الكاندليلا candelilla، الساغوارو saguaro، بيس-ناجا bis-naga، والصبار البرميلي. وحيثما أمكن قاموا بزراعة مريمية الجمل camel sage، والعشب البصلي، وعشب جوبي gobi الريشي، ونبتة الفِصة البرية wild alfalfa، وشجيرة الحمار، وفيربينا الرمال، وزهرة بريمروز المساء، وشجيرة البخور، وشجرة الدخان، والشجيرة الزيتية.

وعندها انتقلوا للحياة الحيوانية الضرورية، المخلوقات الحفارة التي ستفتح التربة لتهويتها: الثعلب القطي، والفأر الكنغري، والأرنب الصحراوي، وسلحفاة الرمال، والحيوانات المفترسة اللازمة لإبقاء عددها محكوماً: صقر الصحراء، والبومة القزمة، والنسر، بوومة الصحراء، وحشرات لتملأ المواضع التي يصعب على هؤلاء الوصول إليها: العقرب، والحريش (أم أربعة وأربعين)، والعنكبوت البابي، والزنبور القارص، وذبابة الدود، ثم خفاش الصحراء، كي يتحكم في أعداد هذه الحشرات.

ثم حانت مرحلة الاختبار الحاسم: نخيل تمر، وقطن، وشمام، وقهوة، وأعشاب طبية - أكثر من 200 نبتة غذائية يجب اختبارها وتكييفها.

قال كاينز: "ما لا يدركه المصابون بالأمية البيئية عن النظام البيئي هو أنه نظام؛ نظام! والنظم تحتفظ باستقرار انسيابي معين يمكن تدميره بخطوة واحدة خاطئة تطرأ في أحد المواقع. فالنظام له ترتيب، وتدفق من نقطة لنقطة. لو قام شيء ما بسد مسار هذا التدفق ينهار الترتيب. يمكن لغير المتمرس أن يفوته الانتباه لهذا الانهيار إلى أن يفوت الأوان. ولهذا فإن أهم وظائف علم البيئة هي فهم العواقب المترتبة على الأفعال."

هل نجحوا فعلياً في تحقيق نظام؟

ترقّب كاينز وقومه، وانتظروا. فهم الفريمن الآن ما كان يعنيه عندما جعل توقعاته مفتوحة بحيث تمتد لـ 500 سنة.

ووصل التقرير من مزارع النخيل:

عند الحواف الصحراوية للمزارع تتسمم العوالق الرملية عند تفاعلها مع أشكال الحياة الجديدة. والسبب: عدم توافق بروتيني. تتكون في تلك المناطق مياه سامة ترفض الحياة الآرِّاكسية أن تمسّها. وأحاطت بالمزارع منطقة قاحلة، لا يقتحمها حتى شي-هولود.

ذهب كاينز لمزارع النخيل بنفسه، رحلة طولها عشرون دقّاق (في محفة، وكأنه جريح أو سيدة موقرة، إذ يكن "راكب رمال" أبداً). اختبر المنطقة القاحلة (والتي تعالت منها رائحة عفنة) وخرج بعلاوة إضافية - هدية من آرِّاكس.

إضافة الكبريت والنيتروجين المثبَّت حوّلت المنطقة القاحلة لتربة زراعية غنية صالحة للحياة المستوطنة. ويمكن توسيع المزارع حسب الرغبة!

سأله الفريمن: "هل يغيّر هذا من الجدول الزمني؟"

رجع كاينز لمعادلاته الكوكبية. في تلك المرحلة كانت أرقام مصائد الرياح معلومة بشكل جيد. كان سخياً في أرقامه التقريبية، لعلمه أنه ليس بالإمكان إحاطة المسائل البيئية بخطوط أنيقة واضحة. إذ يجب طرح كمية معينة من الغطاء النباتي جانباً كي تستخدم لتثبيت الكثبان في أماكنها، وكمية معينة للاستخدام كمواد غذائية (للبشر والحيوانات)، وكمية معينة لحجز الرطوبة في أنظمة الجذور ولمدّ المياه للمناطق الجافّة المحيطة. وفي تلك الفترة كانوا قد حدّدوا مواقع المناطق الباردة المتجولة في الفلاة المفتوحة، وكان من الضروري أخذ هذا في الاعتبار عند حساب المعادلات، حتى شي-هولود كان له مكان في الحسابات. لا يجب تدميره أبداً، وإلا نفدت ثروة السپايس. ناهيك عن أن مصنعه الهضمي الداخلي - بتركيزه العالي من الألدهايدات والأحماض - كان مصدراً هائلا للأكسجين. فالدودة المتوسطة (بطول 200 متر تقريباً) تضخ في الغلاف الجوي من الأكسجين ما يعادل 10 كيلو متر مربع من المسطحات الخضراء النامية التي تقوم بعملية تمثيل ضوئي.

وكان عليه أخذ النقابة في الاعتبار. فرشاوي السپايس المقدمة للنقابة مقابل منع أقمار الطقس الصناعية ووسائل المراقبة الأخرى من الوجود في سماء آرِّاكس كانت قد وصلت بالفعل لمبالغ ضخمةٍ.

ولا يمكن تجاهل الفريمن أيضاً؛ خصوصاً الفريمن، بمصائد رياحهم وتوزيعهم غير المنتظم لملكية الأرض حول مصادر المياه، الفريمن بثقافتهم البيئية الجديدة وأحلامهم بتحويل مساحات هائلة من آرِّاكس - عبر المرور بمرحلة مروج - إلى غطاء من الغابات.

وأخيراً أنتجت حساباته رقماً. أخبرهم كاينز به، 3 بالمائة، لو نجحوا في تسخير 3% من العنصر النباتي الأخضر على آرِّاكس للمشاركة في تكوين مركبات كربونية فسيحصلون على دورة ذات اكتفاء ذاتي.

ألح الفريمن في السؤال: "لكن متى؟"

"أوه. حوالي 350 سنة."

إذن ما قاله هذا الأمة التقي في البداية كان صحيحاً... لن يتحقق الأمر خلال حياة أي شخص على قيد الحياة حالياً، ولا في حياة ثمانية أجيال متعاقبة من الأحفاد... لكنه سيتحقق.

واستمر العمل: بناء، زرع، حفر، تدريب الأطفال.

ثم مات "كاينز الأمة" في انهيار صخري في منطقة حوض الجصّ Plaster Basin.

يومها كان ابنه ليّيت-كاينز في التاسعة عشرة، فريمني كامل وراكب رمال قد قتل ما يزيد عن ال-1 هاركوني. تمت الموافقة بشكل تلقائي على طلب التعيين الإمبراطوري الذي كان كاينز الأب قد تقدم

به باسم ابنه. وحققت الهيكلة الصارمة للنظام الطبقي في هذه المناسبة هدفها الصحيح. إذ كان الابن مدرَّباً بحيث يخلف أباه.

وبحلول هذا الوقت كان المسار قد رُسم، تابع الفريمن البيئيين مسارهم، وما كان على ليّيت-كاينز سوى أن يراقب ويوجه برفق، وأن يتجسس على الهاركونِن، إلى أن جاء اليوم الذي ابتُلي فيه كوكبه من بطله.

==========

ملحق 2: عقيدة كثيب

==========

قبل مجيء المؤدِّب كان فريمن آرِّاكس يعتنقون ديانة تبدو جذورها المقتبسة من الماومِث ساري Maometh Saari واضحة لكل باحث. تتبّع الكثيرون اقتباساتها الغزيرة من الديانات الأخرى. أشهر مثال هو الترنيمة الموجهة للماء، فهي نسخ مباشر من دليل الطقوس الكاثوليكي البرتقالي Orange Catholic Liturgical Manual، وتدعو طالبة سُحباً مطرية في حين أن آرِّاكس لم يشهد شيئاً كهذا أبداً، لكن هناك نقاط اتفاق أعمق بين كتاب العِبر الفريمني Kitab al-Ibar وتعاليم الإنجيل والعلم Ilm والفقه Figh.

وكل مقارنة بين المعتقدات الدينية السائدة في الإمبراطورية حتى زمن ظهور المؤدب يجب أن تبدأ بالقوى الكبرى التي شكّلت هذه المعتقدات:

1 - أتباع الحكماء الـ 14، والذين كان كتابهم هو الإنجيل الكاثوليكي البرتقالي، والذين عبروا عن وجهات نظرهم في "التفاسير" والكتابات الأخرى التي أصدرتها لجنة المترجمين المسكونية Commission of Ecumenical Translators (C.E.T.

2 - بني-جيزيرت، اللائي ينكرن في السّر أنهن تنظيم ديني، لكن تتم أعمالهن خلف ستارٍ من الطقوس الصوفيّة الباطنيّة لا يكاد يمكن اختراقه، وكان تدريبهن ورموزهن ومنظمتهن وأساليب تدرسيهن الداخلية دينية بصورة تكاد تكون تامة.

3 - الطبقة الحاكمة لا الأدرية Agnostic (بما فيها النقابة) والتي نظرت للدين على أنه مسرح دمى لتسلية الشعب والإبقاء عليه خانعاً، والتي كانت تؤمن في المجمل أن كل الظواهر - بما فيها الظواهر الدينية - يمكن اختزالها في تفسيرات ميكانيكية.

4 - ما يسمى "التعاليم القديمة"، بما في ذلك تلك التي عرفها الجوالة الزينسوني Zensunni Wanderersمن الحركة المسالمة الأولى والثانية والثالثة، والناثِامسيحية من كوكب شوسوك، وتنوعات البوديسلام كتلك السائدة في لانكيثِيل وسايكون، والكتب المزجية في ماهاينا لانكافارتاMahayana Lankavatara، والزن هيكيجانشو على كوكب ديلتا بافونيس الثالث، وزبور والتوراة وتالموديك زابور الباقيين على سالوسا سيكوندس، وطقوس أوبيا المنتشر، وقرآن معاذ Muadh Quran والذي ظل علمه وفقهه محفوظين بشكل نقي بين مزارعي أرز الباندي على كالادان، والتجمعات الهندوسية الصغيرة المتفرقة في الكون كله بين عمال كادحين منعزلين، وأخيراً نضال البتلري.

وهناك قوة خامسة شكلت المعتقدات الدينية، لكن أثرها الشامل والعميق يحتم علينا أن نضعها منفردة.

وهي - بلا شك - السفر الفضائي، والذي يستحق - في أي مناقشة للدين - أن يُكتب بحروف كبيرة هكذا:

السفر الفضائي!

وضعت حركة البشرية عبر الفضاء العميق بصمة مميزة على الدين خلال الـ 110 قرن السابقة للجهاد البتلري. ففي البداية كان السفر الفضائي - على الرغم من انتشاره - غير منظم في المجمل، وبطيئاً، ومحفوفاً بالمخاطر، وقبل احتكار النقابة للسفر الفضائي كان يتم عن طريق خليط غير

متجانس من الأساليب. وكانت الخبرات الفضائية الأولى - والتي تم نقل أخبارها بصورة رديئة وأصبحت عرضة للتحريف الشديد - مثيراً خصباً للتأملات الباطنية.

وعلى الفور أعطى الفضاء للأفكار المتعلقة بالخلق نكهة وإحساساً مختلفين. بل ويمكن رؤية هذا الاختلاف في أكبر الإنجازات الدينية لتلك الفترة. إذ أثرت الظلمة الخارجية على الأحاسيس المقدسة فمست جميع أجزاء الدين بشيء من الفوضوية.

وكأن جوبيتر - وكل صوره المقتبسة عنه فيما بعد - قد تراجع إلى داخل الظلام الأمومي وطغى عليه فيض أنثوي مملوء بالغموض ووجهه المرعب.

تشابكت الصيغ القديمة وانعقدت مع بعضها البعض فيما تم توفيقها مع احتياجات الفتوح الجديدة ورموز الحكم الجديدة، كان عصر صراع بين شياطين وحشية في جانب، وصلوات وابتهالات في الجانب الآخر.

ولم ينته الأمر لقرار نهائي واضح.

وخلال تلك الفترة يقال إن سِفر التكوين أعيد تفسيره بحيث يقول الرّب:

"أثمروا وتكاثروا واملأوا الكون وأخضعوه، وتسلطوا على كل الحيوانات الغريبة والكائنات الحية الأجواء اللا محدودة، والأرضين اللا محدودة، وما تحتها."

كان عصر الساحرات وكانت قوتهن حقيقية، ودليل قوتهن واضح في حقيقة أنهن لم يتفاخرن أبدا بطريقة حيازتهن للشعلة.

ثم جاء الجهاد البتلري، فوضى استمرت قرب جيلين، انهزم إله المنطق الآلي في نظر العامة، وصعد مفهوم جديد:

"يجب ألا يستبدل الإنسان."

كان عنف هذين الجيلين وقفة مِهادية للبشرية جمعاء، نظر البشر لآلهتهم ولطقوسهم فرأوا أنها مليئة بأفظع المعادلات: سيادة الخوف على الطموح.

وفي تردد بدأت قيادات الأديان التي سفك أتباعها دماء المليارات تتقابل لتبادل وجهات النظر، كانت خطوة شجعتها نقابة الفضاء - التي كانت قد شرعت في تأسيس احتكارها لكل رحلات السفر بين النجوم - وبتشجيع من طائفة بني-جيزيرِت التي كانت تجمّع الساحرات في عصبة واحدة.

ومن تلك الاجتماعات التوفيقية الأولى صدر تطوران رئيسيان:

1 - إدراك أن كل الأديان تشترك في وصية واحدة على الأقل: "لا تشوّه الروح."

2 - لجنة المترجمين المسكونية C.E.T

انعقدت لقاءات اللجنة على جزيرة محايدة تقع على كوكب الأرض القديم، المصدر الأصلي للديانات الأم، التقوا متفقين على أنه هناك "جوهر إلهي في الكون"، كان هناك ممثل لكل دين يفوق عدد أتباعه المليون، وفي سرعة مدهشة وصلوا لاتفاق على نص هدفهم المشترك:

"اجتمعنا هنا لنزع سلاح رئيسي من أيدي الأديان المتنازعة، هذا السلاح هو زعم امتلاك الوحي الوحيد والحقيقي."

لكن الابتهاج الناتج عن الوصول إلى "علامة الاتفاق العميق" هذه كان سابق لأوانه. فلمدة سنة قياسية كاملة كان هذا التصريح هو الشيء الوحيد الذي صدر عن اللجنة. بدأ الناس يذكرون التأخير

بمرارة. قام الشعراء المغنون بتأليف أغاني ذكية وساخرة عن الـ 121 "كرانك العجوز"، إذ أصبح هذا هو لقب المندوبين الشائع. (جاء اللقب من مزحة بذيئة لعبت على الحروف الأولى للـ C.E.T ووصفت المندوبين بأنهم Cranks-Effing-Turners"من يلفون أذرع الكرانكات اللعينة"). ومن فترة لفترة، يعاد إحياء تلك الأغنية "استجمامٌ بني اللون"، بل ولا زالت شهيرة حتى اليوم:

" تأمل أكاليل الزهور

استجمامٌ بُنِّي

مأساةُ كل هؤلاء

الكرانكس

كل هؤلاء الكرانكس!

كَسالى... كسالى جداً

طيلة حياتهم

لقد أزف الوقت

لسيدي اللورد ساندوتش!"

تسرّبت - من وقت لآخر - شائعات من جلسات لجنة المترجمين المسكونية، قيل إنهم يقارنون نصوصهم، وتسرّبت - في تصرف متهوّر - عناوين هذه النصوص، مثل هذه الشائعات أدت بصورة حتمية لأعمال شغب معارضة للتوفيق المسكوني، وكما هو متوقع أيضا كان هذا مصدر إلهام لمزحاتٍ جديدةٍ.

مرت سنتان... ثلاثة.

توقف أعضاء اللجنة لبرهة ليقوموا بمراسم تنصيب بعض الأعضاء البدلاء، حيث أن تسعة من العدد الأصلي كانوا قد ماتوا، وأعلنوا أنهم يعملون جاهدين على تأليف كتاب واحد، حاذفين كل "الأعراض المَرَضية" من الماضي الديني.

قالوا: "إننا ننتج آلة حب يمكن عزفها بكل الطرق."

يستغرب البعض كيف أثار هذا التّصريح أسوأ موجة عنف ضد اللّجنة المسكونية، تم استدعاء عشرين مندوباً على يد طوائفهم، انتحر أحدهم بسرقته لفرقاطة فضائية وقيادتها نحو الشمس.

يقدّر المؤرخون أن أعمال الشغب أدت لمقتل 80 مليون شخص، أي حوالي 6 آلاف لكل كوكب من الكواكب المشكّلة لعصبة اللاندسراد في ذلك الوقت، وبالنظر للاضطراب الذي ساد ذلك العهد فقد لا يكون عدداً مبالغاً فيه، مع أن أي ادعاء بأنه عدد دقيق هو مجرد ادعاء، فالتواصل بين الكواكب وقتها كان في أدنى مستوياته.

وبطبيعة الحال استغل الشعراء الموقف أكبر استغلال، ففي مسرحية كوميدية موسيقية مشهورة في تلك الفترة يظهر المندوبون جالسين على شاطئ ذي رمال بيضاء، تحت نخلة، يغنّون:

"عن الرّب والنساء وروعة الحبّ

نتهادى هنا، بلا خوفٍ بلا وهمٍ

يا شاعر! يا شاعر! دَمْدِمْ لحناً آخر

عن الرّب والنساء وروعة الحبّ!"

وما الشّغب والكوميديا سوى أعراضٍ لزمنها، وعامل يكشف أمور عميقة. إذ كشف عن النبرة السيكولوجية، والشكوك العميقة... والكفاح الساعي لشيء أفضل، بالإضافة للخوف من أنه سيكون بلا نتيجة.

كانت السّدود الكبرى الكابحة للفوضى في ذلك العهد هي النقابة الوليدة بني-جيزيرت واللاندسراد، والتي استمرت في عقد اجتماعاتها الدورية التي بدأت منذ 2000 سنة، على الرغم من العقبات الكبيرة. بدا دور النقابة واضحا: إذ وفرت مواصلات مجانية لكل نشاطات اللاندسراد واللجنة. أما دور بني-جيزيرت فكان أشدّ غموضاً. فبلا شك أنهن في ذلك الوقت أحكمن سيطرتهن على الساحرات، واختبرن تأثيرات المخدرات الباطنية، وطورن تدريب البرانا-بيندو، وأسسن البعثات الإرسالية الوقائية التي تعتبر الذراع الأسود للخرافات. لكنها نفس الفترة التي شهدت تأليف الاستعاذة من الخوف، وجمع الكتاب الأزهر، تلك الأعجوبة البيبليوجرافية التي تحفظ الأسرار العظمى لأقدم العقائد.

ربما ما قاله إنجزلي Ingsley هو أنسب تعليق:

"كانت عصور مليئة بالتناقضات العميقة."

كدحت لجنة المترجمين المسكونية لسبع سنواتٍ تقريباً. ومع اقتراب سنويّتهم السّابعة قاموا بتهيئة الكون البشري لتوقع إعلان هام، وفي تلك السّنوية السّابعة كشفوا السّتار عن الإنجيل الكاثوليكي البُرتقالي.

قالوا: "هذا كتاب يتسم بالكرامة والجوهر، إنه طريقة لجعل البشرية واعية بنفسها بصفتها مخلوق ألوهي كامل."

تم وصف رجال اللّجنة بأنهم علماء آثار ينقبون عن الأفكار، ألهمهم الرّب بحالة إعادة اكتشاف مجيدة، قيل إنهم "أخرجوا للنور حيوية الأفكار العظيمة التي غطتها رواسب القرون"، وأنهم "شحذوا الأوامر الأخلاقية النابعة من الضمير الديني."

مع الإنجيل البرتقالي قدمت لجنة اللّجنة دليل الطّقوس، والتّفاسير، والتي يُعتبر - من نواح كثيرة - عملاً في بالغ الأهمية وليس ذلك بسبب حجمه فقط (إذ أنه أقل من نصف حجم الإنجيل الكاثوليكي البرتقالي) بل لصراحته أيضاً، ولمزجه بين التواضع وبين الثقة في أن الحق معه.

المقدمة هي مناشدة واضحة موجهة للحكام وليس للأدريين:

"لما لم يجد البشر إجابات على سُنَنِ الأسفار (ال- 10 آلاف سؤال ديني الموجودة في تلك الشريعة Shari-ah) أصبحوا يحتكمون لمنطقهم الخاص، كل البشر يسعون للفهم، وما الدين إلا أقدم وأشرف طريقة حاول البشر بها فهم كون الإله، العلماء التجريبيون يسعون لفهم مشروعية الأحداث، مهمة الدين هي ملائمة الإنسان مع هذه المشروعية."

إلا أنه في خاتمة التفاسير تبدو نبرتهم صارمة، فيما يمكن أن يعتبر تنبؤ بمصيرهم:

"الكثير مما سُمي دينا كان يحمل نزعة عدائية لا واعية ضد الحياة، الدين الحقيقي يجب أن يقول إن الحياة مليئة بالمتع المبهجة في نظر الرب... أن المعرفة دون فعل هي أمر فارغ، على كل البشر أن يفهموا أن تدريس الدين بالقواعد والروتين هو - في غالبه - خدعة. ويمكن بسهولة التعرف على التعاليم الحقيقية، بإمكانك أن التعرف عليها لأنها تحيي فيك إحساس بأنك كنت تعرفها من البداية."

كان هناك إحساس غريب بالهدوء عندما بدأت المطابع وناسخات الشيجاواير تدور وانتشر الإنجيل

الكاثوليكي البرتقالي بين الكواكب، رأى البعض في هذا علامة من الرّب، بشارة بالاتحاد.

لكن حتى مندوبي اللّجنة أنفسهم أفشوا السّر بأنّه هدوءٌ واهمٌ عندما عاد كل منهم لطائفته، ففي غضون شهرين أعدمت العامة 18 منهم دون محاكمة، وقبل مرور سنة تاب 53 منهم.

اتُهم الإنجيل الكاثوليكي البرتقالي بأنه كتاب أنتجه "غرور العقل"، وقيل إن صفحاته مليئة باهتمام كبير بالمنطق بشكل يصيب بالإغواء، بدأت تظهر نسخ معدلة متوافقة مع التعصبات الشعبية، اعتمدت هذه النسخ المنقحة على الرمزيات المقبولة (الصليب والهلال والشخشيخة الريشية وال- 12 قديس وبوذا النحيف وما إلى ذلك)، وأصبح من الواضح بعد فترة قصيرة أن الخرافات والمعتقدات القديمة لم يتم امتصاصها تحت مظلة التوفيق المسكوني الجديد.

وصف هالوواي Halloway جهود اللّجنة التي استمرت سبع سنواتٍ بأنها مذهب "الحتمية المجرّيةGalactophasic Determinism"، وتلقف المليارات من البشر هذا لوصف، وفسروا الحروف الأولى G.D بأنها تشير لكلمة "لعنةُ الرّبGod-Damned".

رئيس اللّجنة توري بوموكوToure Bomoko، أحد علماء دين زينسوني وواحد من ال- 14 مندوب الذين لم يتراجعوا أبدا (والمعروفين تاريخياً ب- الحكماء الأربعة عشر) اعترف أخيراً بأن لجنة المترجمين المسكونية قد أخطأت، فقال:

"ما كان يجب أن نحاول خلق رموز جديدة، كان علينا أن ندرك أنه من غير المناسب أن ندخل الشكوك إلى المعتقد المتعارف عليه، ولا أن نثير الفضول حول الرّب، نحن نواجه يومياً عدم الاستقرار المرعب في كل شؤون البشرية، لكننا نترك أديانّنا تتصلب أكثر وتصبح محكومة وخانعة ومستبدة، ما هذه الظلال التي تخيّم على سبيل الأمر الإلهي؟ إنه تحذير يخبرنا أن المؤسسات تنجح في البقاء، أن الرموز تستمر حتى بعد فقدان معانيها، وأنه لا توجد خلاصة مُثريَة لكل المَعرفة المُتاحة."

لم يغفل نقّاد بوموكو عن النبرة اللاذعة ذات الحدين المُضمنة في هذا "الاعتراف"، وبعدها بوقت قصير تم إجباره على الهروب للمنفى، وأصبحت حياته معتمدة على وفاء النقابة بتعهدها بالحفاظ على سرية مكانه، يقال إنه مات على كوكب توبيل، مكرماً ومحبوباً، وأن كلماته الأخيرة كانت: "يجب أن يظل الدين متنفساً لمن يقولون لأنفسهم (لم أتحول بعد لذاك الشخص المستقيم الذي أتمناه) ويجب ألا ينحدر الدين ويصبح جمعية تجمع الراضين عن أنفسهم."

ومن المدهش أن بوموكو كان مستوعباً لما في كلماته من نبوءة: "المؤسسات تنجح في البقاء." فبعد هذا ب- 90 جيلا تخلل الإنجيل الكاثوليكي البرتقالي والتفاسير كل ديانات الكون.

عندما وقف پاول-مؤدب ويده اليمنى على الضريح الصخري الذي يضم جمجمة أبيه (اليمنى الخاصة بالمباركين لا اليسرى الخاصة بالملعونين) اقتبس - كلمة بكلمة - من كتاب ميراث بوموكو:

"إنكم - يا من انتصرتم علينا - تقولون لأنفسكم أن بابل قد سقطت وأعمالها انهارت، لكني أقول لكم أن الإنسان لا يزال يقف أمام محكمة الاختبار، كل إنسان في قفص اتهامه، كل إنسان حرب مصغرة."

يقول الفريمن عن مُؤدب أنه كان كأبي زيد Abu Zide الذي قامت فرقاطته بتحدي النقابة وذهبت يوما إلى ثم عادت، في هذا السياق فإن كلمة "هناك" تترجم مباشرة من الميثولوجيا الفريمنية بمعنى أرض الأرواح، عالم المِثال الذي تُزال فيه كل القيود.

وواضح هنا التناظر بين هذا وبين الكويزاتس هاديراك؛ فالكويزاتس هاديراك الذي سعت طائفة الأخوات لتكوينه عبر برنامجها التناسلي يعني اسمه 'اختصار الطريق' أو 'من بإمكانه أن يكون في

مكانين في الوقت ذاته'.

ويتضح أن هذين التفسيرين قد نبعا مباشرة من 'التفاسير': "عندما يصبح القانون والواجب الديني شيئاً واحداً يُطوّق كيانَ الكون كله."

وقد قال مُؤدب عن نفسه: "أنا شبكة في بحر الزمن، حر في أن أكتسح المستقبل والماضي، أنا غشاء متحرك لا يمكن أن تفوته أية احتمالية."

كل هذه الأفكار متماثلة، وتعود للكلمة Kalima رقم 22 في الإنجيل البرتقالي حيث يرد النص القائل: "سواء نُطقت الفكرة أم لم تنطق فإنها شيء حقيقي وله سلطة على الواقع."

ويمكن أن نرى بوضوح أكبر ما يدين به المؤدب للجنة المترجمين المسكونية والزينسوني الفريمني عندما نفحص تفاسيره المنشورة في "أعمدة الكون" والتي فسرها كهنته، مفوَّضو الكيزارا Qizara Tafwid.

: " ... .

. .

".'.

الإنجيل الكاثوليكي البرتقالي: نص مطابق (في الرؤيا 61)

: "

".

تفاسير اللّجنة: نص مطابق (يُرجِع الكتابُ *Azhar* أصل هذا التصريح للمؤلف الديني الذي عاش في القرن الأول "نيشو" .)

: "

".

الإنجيل الكاثوليكي البرتقالي: "يمكن إرجاع أي معصية - على الأقل جزئياً - لنزعة طبيعية فاسدة هي ظرف تخفيفي مقبول عند الرب" (يعود الكتاب الأزهر بأصل هذا الكلام للتوراة الساميّة القديمة.)

: " ".

الإنجيل البرتقالي: صياغة أخرى لها معنى مطابق. (يُرجع الكتاب أصل هذا الكلام - في صياغة مختلفة قليلاً - للحركة المُسالمة الأولى.)

: " ".

كتاب العِبر الفريمني: "مخيفة هي وطأة الرّب العطوف. ألم يمنحنا الرّب الشمس الحارقة (اللّات)؟ ألم يمنحنا الرّب أمهات الرطوبة (السيدات الموقرات)؟ ألم يمنحنا الرّب الشيطان Shaitan (إبليسIblis)؟ ومن الشيطان ألم يأتنا أذى العُجالة؟"

(هذا هو أصل المقولة الفريمنية: "العَجلة من الشيطان". لاحظ أنه مقابل كل 100 سعرة حرارية تنتج عن النشاط/السرعة يتبخر من الجسد ستّ أونصات من العرق. الكلمة الفريمنية التي تصف العَرَق هي بكاء Bakka أو دموع، والتي يمكن ترجمتها تبعا لإحدى اللهجات بـ: جوهر الحياة الذي يعتصره الشيطان من روحك.)

وصف المؤلف كونيويل ظهور المؤدب بأنه "جاء في وقته من الناحية الدينية"، لكن لم يكن للتوقيت اعتبار كبير في المسألة، فكما قال المؤدب عن نفسه: "أنا هنا، إذن..."

لكن لفهم الأثر الديني للمؤدب من الضروري ألا تغفل أبداً هذه الحقيقة: كان الفريمن شعب صحراوي تكيّف أسلافهم مع التضاريس العدائية. ليس من الصعب الاتجاه للفكر الباطني عندما تعيش كل لحظة وأنت تكافح للتغلب على العداء الصريح. فـ "أنت هناك، إذن..."

وعند العيش وسط تقاليد كهذه يصبح العذاب مقبولاً - ربما كعقاب لا واعي، لكنّه مقبول.

ومن المستحسن أن نشير إلى أن طقوس الفريمن تؤدي لتخلص شبه تام من أي شعور بالذنب، ليس سبب هذا بالضرورة هو تطابق قانونهم ودينهم، والذي يجعل العصيان معصية، بل ربما الأقرب للصواب أن نقول إنهم طهروا أنفسهم من مشاعر الذنب بسهولة لأن حياتهم اليومية تطلبت منهم قرارات قاسية (وغالباً مميتة)، قرارات لو كانت في أرض مريحة أكثر لأثقلت البشر بمشاعر ذنب لا يُحتمل.

وهذا في الغالب هو أحد جذور تركيز الفريمن على الخرافات (حتى لو أغفلنا ما نشرته بينهم البعثات الإرسالية). فما المشكلة في النظر لصفير الرمال على أنه نذير شؤم؟ أو أن عليك عمل علامة القبضة عندما ترى القمر الأول للمرة الأولى؟ إن لحم الإنسان ملكه وماءه ملك لقبيلته، ولغز الحياة ليس مسألة مستعصية تحتاج حلاً، بل هو واقع يعاش. النُذُر تساعدك على تذكر هذا. ولأنك هنا، ولأنك تملك الديانة الحقيقية، فالنصر لن يفلت من يدك في النهاية.

وكما قالت بني-جيزيرِت في تعليمها لقرون قبل أن يخرج الفريمن عن طوعهم: "عندما يمتطي الدين والسياسة نفس العربة، وعندما يكون قائد هذه العربة رجلاً مباركاً baraka فلا يمكن أن يقف أمامهما شيء."

==========

ملحق 3: تقرير عن دوافع بني-جيزيرِت وأهدافهن

==========

ما يلي هو مقتطف من الخلاصة البحثية التي طلبت الليدي جيسيكا من وكلائها إعدادها بعد أحداث آرِّاكس مباشرة. يعد هذا التقرير قيماً للغاية لما يظهره من شجاعة أدبية.

أثناء تنفيذ برنامجهن السلالي الانتقائي بين البشر، عملت مدرسة بني-جيزيرِت لقرون وراء ستار مدرسة شبه باطنية، لذا فإننا نميل لمنحهن مكانة تفوق ما يستحقونه. حيثُ يثيرُ كشف تحليل "تجاربهن الفعلية" الذي تم في أحداث آرِّاكس جهل المدرسة العميق بدورها هي نفسها، يمكن أن يقال إن ليس بيد بني-جيزيرِت سوى فحص الحقائق المتوفرة لهن، وأنهن تعذر عليهن الوصول المباشر لشخصية الورعِ المؤدب، لكن سبق للمدرسة أن تغلبت على عقبات أكبر من هذا، وزللها هنا أعمق.

كان برنامج بني-جيزيرِت يهدف لإنتاج شخص أسموه الكويزاتس هاديراك، مصطلح يعني "من بإمكانه الوجود في عدة أماكن في نفس الوقت". أي في تعبير أبسط، كن يهدفنَ لإنسان له قدرات ذهنية تسمح له بفهم واستخدام الأبعاد ذات الرتبة الأعلى.

وبمزج السلالات كن يحاولن الحصول على مِنتاتٍ خارق، حاسوب بشري له بعض القدرات الاستبصارية التي يتحلى بها ملاحي النقابة. والآن، دقق النظر في هذه الحقائق:

المؤدب، المولود باسم پاول آتريديز، كان ابن الدوق ليتو، الرجل الذي كانت سلالته تحت مراقبة دقيقة لأكثر من ألف عام. أمُّه، الليدي جيسيكا، كانت ابنة بيولوجية للبارون ڤلاديمير هاركونِن، وحملت جينات وراثية يعرفون أهميتها الفائقة لبرنامج التناسل لما يقارب الـ 2000 عام. كانت من بني-جيزيرِت في نشأتها وتدريبها، وكان من المفترض أن تصبح أداة طيّعة في المشروع.

صدر أمر لليدي جيسيكا بأن تنجب ابنة آتريدية، تلخصت الخطة في تزويج هذه الابنة بفايد-راوثا هاركونِن، ابن أخ البارون ڤلاديمير، مع احتمالية عالية بأن ينتج من هذا الاتحاد كويزاتس هاديراك. لكن بدلا من ذلك، ولأسباب اعترفت إنها لم تكن واضحة لها تمام الوضوح، عصت المحظية الليدي جيسيكا ما صدر لها من أوامر وأنجبت ابناً.

هذا وحده كان من المفترض أن ينبه بني-جيزيرِت لاحتمالية دخول متغيرات جديدة في خططهن، كما توجد إشارات أكثر أهمية تجاهلنها بشكل شبه تام:

1 - في صباه، أظهر پاول آتريديز مؤشرات تدل على قدرته التنبؤ بالمستقبل. وكان معروفاً تعرضه لرؤى استبصارية صحيحة وثاقبة، تتعارض مع إمكانية تبريرها تبعا للأبعاد الأربعة.

2 - السيدة الموقرة غاياس هيلين موهيم، مشرفة بني-جيزيرِت التي اختبرت إنسانية پاول عندما كان في الخامسة عشرة، شهدت شخصياً كيف احتمل في الاختبار قدراً من الألم يفوق ما تم تسجيله لأي إنسان آخر، إلا إنها لم تركز على هذه النقطة في تقريرها!

3 - عندما انتقلت أسرة آتريديز لكوكب آرِّاكس هتف السكان الفريمن هناك بنبوءة پاول الشاب، "الصوت القادم من العالم الخارجي"، كانت طائفة بني-جيزيرِت تعلم جيدا الظروف القاسية على كوكب مثل آرِّاكس، بتضاريسه الصحراوية بالكامل، وبانعدام المسطحات المائية عليه، وبتركيزه على أكثر لوازم الحياة بدائية، وكيف يمكن لكل هذا أن ينتج نسبة مرتفعة ممن يتحلون بقدرات خاصة؛ لكن أغفلت مراقبات بني-جيزيرِت رد الفعل الفريمنية هذه والعنصر الواضح المتعلق بتشبع

الطعام الآرِّاكسي بالسپايس.

4 - عندما أعاد الهاركونِن وجنود الإمبراطور الباديشي المتطرفين احتلال آرِّاكس، قاتلين والد پاول وغالبية الجنود الآتريديين، اختفى پاول وأمه. لكن بعد هذا مباشرة وصلت تقارير عن زعيم ديني جديد بين الفريمن، رجل يسمى المؤدب، وُصف أيضا بأنه "الصوت القادم من العالم الخارجي". وأشارت التقارير بصراحة بمرافقه سيدة موقرة جديدة له من كاهنات السيّادينا "هي من أنجبته". التقارير المتوفرة لبني-جيزيرِت ذكرت بكلمات صريحة أن أساطير الفريمن عن المؤدّب تحوي هذه الكلمات: "سيولد من ساحرةٍ بَني-جيزيرِتية".

(يمكن للمجادل هنا أن يقول إن بني-جيزيرِت أرسلن بعثاتهن الإرسالية الوقائية لآرِّاكس قبل هذا بقرون لزرع مثل هذه الأسطورة كحماية احترازية في حالة احتجاز أي من أعضاء المدرسة هناك وحاجتها لمأوى، وأن أسطورة "صوت العالم الخارجي" هذه كان من الطبيعي تجاهلها لأنها بدت كالخدع بني-جيزيرِتية المعتادة، لكن لا يصح هذا إلا في حالة تسليمك بصحة ما فعلته بني-جيزيرِت من تجاهل للعلامات الأخرى الدالة على پاول-مؤدب).

5 - عندما ثارت أحداث آرِّاكس قدمت نقابة الفضاء اقتراحات لبني-جيزيرِت، لمّحت النقابة إلى أن ملاحيها - الذين يستخدمون عقار سپايس آرِّاكس لتفعيل الاستبصار المحدود الضروري لإرشاد سفن الفضاء خلال الفراغ - كانوا "قلقين على المستقبل" أو رأوا "مشاكل تلوح في الأفق"، لا يمكن أن يعني هذا سوى أنهم شاهدوا مفترق طرق، نقطة التقاء قرارات حساسة لا حصر لها، والمسار بعدها مخفي عن العين المستبصرة، كان هذا دليلاً واضحاً على وجود قوة تقوم بالتدخل في الأبعاد ذات الرتبة العليا!

(كان بعض بني-جيزيرِت يدركن منذ وقت طويل أنه ليس بإمكان النقابة التدخل مباشرةً في مصدر السپايس الحيوي لأن ملاحي النقابة كانوا بالفعل يتعاملون - بطريقتهم الخاصة قليلة الكفاءة - مع أبعاد الرتبة العليا، على الأقل إلى الحد الذي أنذرهم بأن أصغر خطوة خاطئة يقومون بها على آرِّاكس يمكن أن تكون نتائجها كارثية، كان من المعلوم أن ملاحي النقابة عاجزون عن التنبؤ بأي طريقة يمكن بها فرض تحكمهم على السپايس دون إنتاج مفترق طرق مثل هذا، الاستنتاج الواضح هو أن شخصاً له سلطة أعلى كان يقوم بفرض سلطته على مصدر السپايس، إلا أن بني-جيزيرِت غُفِلنَ عن هذه النقطة بالكامل!)

عند مواجهة هذه الحقائق يضطر المرء لاستنتاج أمرٍ لا نفاذَ منه، هو أن سلوك بني-جيزيرِت عديمُ الكفاءة في هذه الحادثة، كان نتاج خطةٍ تفوق المَستوى، لم ينتبهوا لها إطلاقاً!

==========

ملحق 4: التاريخ الأشرف (مختارات من سير النبلاء)

The Almanak en-Ashraf

==========

شدّوم الرابع (من 10134 إلى 10202)

الإمبراطور الباديشيّ، الشخص الـ 81 من سلسلة خلفاء عائلته (آل كورّينو Corrino) الذي جلس على عرش الأسد الذهبي. حكم من 10156 (تاريخ موت أبيه، إلرود التاسع Elrood IX، نتيجة لسمّ الشومركي) وحتى التنصيب الملكي الذي حدث في 10196 باسم كبرى بناته، إيرولان. اشتهر عهده بثورة آرّاكس، والتي يلقي كثير من المؤرخين بلائمتها على لهوِ شدّوم الرابع باحتفالات البلاط وأبهة المنصب، في أول 16 عام من حكمه تضاعف عدد مارشالات البورسيغ، وتناقصت مخصصات تدريب الساردوكار بمعدل ثابت خلال الثلاثين عام الأخيرة السابقة لثورة آرّاكس، كان له 5 بنات (إيرولان Irulan، شاليس Chalice، وينسيشيا Wensicia، جوسيفا Josifa، روغي Rugi) ولم يكن له أبناء ذكور شرعيون، رافقته أربع من بناته إلى مكان تقاعده، ماتت في 10176 زوجته أنيرول Anirul، والتي كانت من بني-جيزيرِت مجهولة الرتبة.

ليتو آتريديز (من 10140 إلى 10191)

قريب لآل كورينو من طرف الأم، ويشار له غالباً بلقب الدوق الأحمر، حكم آل آتريديز كالادان كسردار إقطاع طوال عشرون جيلاً إلى أن أُرغموا على الانتقال لآرّاكس. مشهور بكونه والد الدوق پاول-مؤدب، الملك الأمة Umma Regent. توجد بقايا الدوق ليتو في "مقبرة الجمجمة" على آرّاكس، يُعزى موته لخيانة طبيب سووك، وهي فعلة مرتبطة بالسردار بارون ڤلاديمير هاركونِن.

الليدي جيسيكا (المنتسبة شرفيا لـ آل آتريديز) (من 10154 إلى 10256)

ابنة بيولوجية (حسب مراجع بني-جيزيرِت) للسردار بارون ڤلاديمير هاركونِن. أم الدوق پاول-مؤدب. تخرجت من مدرسة بني-جيزيرِت على والاش 9.

الليدي عاليه آتريديز (10191 -)

الابنة الشرعية للدوق ليتو آتريديز ولمحظيته السابقة الليدي جيسيكا. ولدت الليدي عاليه على آرّاكس بعد 8 شهور تقريباً من موت الدوق ليتو، تعرضها كجنين لمخدر من الطيف الإدراكي هو السبب الذي يقال عادة لتفسير وصف مراجع بني-جيزيرِت لها بأنها "الملعونة". مشهورة في التاريخ الشائع بلقب القديسة عاليه أو القديسة عاليه ذات السكين. (لتاريخ مفصل انظر: القديسة عاليه، صيادة مليار كوكب، تأليف باندر أولسون)

ڤلاديمير هاركونِن (من 10110 إلى 10193)

معروف بـ البارون هاركونِن، لقبه الرسمي سردار Siridar (أي حاكم كوكبي) بارون، ڤلاديمير هاركونِن هو الخلف الذكر المباشر لسلالة الباشار أبولورد Abulurd هاركونِن، والذي تم نفيه لجبنه بعد معركة كورينو، تُعزى عودة آل هاركونِن للسلطة بشكل عام للبراعة في التلاعب بسوق فرو الحيتان ثم تعزيز هذا فيما بعد بثروة مزيج السپايس من آرّاكس، مات السردار بارون على آرّاكس خلال الثورة، انتقل اللقب لفترة قصيرة للنا-بارون، فايد-راوثا هاركونِن.

الكونت هازِمير فينرنغ (من 10133 إلى 10225)

قريب لآل كورينو من ناحية الأم، كان رفيق طفولة لشدّوم الرابع. (كتاب تاريخ كورينو المقرصن، الذي كثيرا ما يتم تكذيبه، يروي حكاية مثيرة تقول إن فينرنغ كان مسؤولاً عن سمّ الشومركي الذي قضى على إلرود التاسع)، كل الروايات تتفق على أن فينرنغ كان أقرب أصدقاء شدّوم الرابع، من ضمن المهام الإمبراطورية التي نفذها الكونت فينرنغ منصبه كوكيل إمبراطوري على آرِّاكس خلال فترة حكم الهاركونِن هناك، وفيما بعد سردار غيابي لكالادان، رافق شدّوم الرابع في تقاعده على سالوسا سيكوندس.

الكونت غلوسو رابان (من 10132 إلى 10193)

كان غلوسو رابان، كونت لانك‌ڤيل، أكبر أبناء أخ ڤ‌لاديمير هاركونِن، كان غلوسو رابان وفايد-راوثا رابان (الذي غير اسمه لهاركونِن عندما اختير ضمن أهل بيت السردار بارون) ابنين شرعيين لأبولورد، الأخ الأصغر غير الشقيق للسردار بارون، تبرأ أبولورد من اسم الهاركونِن وتخلى عن كل حقوقه في اللقب عندما مُنح حكم الإقطاعية الجزئية رابان-لانك‌ڤيل، كان رابان اسم أسرة أمه.

==========

قاموس مصطلحات الإمبراطورية

==========

من خلال دراسة الإمبراطورية، وآرِّاكس، والثقافة المجتمعية الكاملة التي أنتجت "المؤدب"، تظهر العديد من المصطلحات غير المألوفة. وفي رفع مستوى الفهم هدف نبيل، ولهذا وضعنا التعريفات والشروح الواردة بالأسفل.

طوائف ومناصب

BENE GESSERIT

بِني-جيزيرِت

مدرسة قديمة للتدريب الذهني والجسدي، أُنشئت بشكل أساسي لتعليم الطالبات الإناث، بعد أن دمر الجهاد البَتلَري كل ما يوصف بأنه "آلات مفكرة" وروبوتات.

B.G.

اختصار اصطلاحي لاسم بني-جيزيرِت، إلا في حالة استخدامه مضافا لتاريخ. عندما يضاف لتاريخ فإنه يعني Before Guild

ق ن، أي "قبل النقابة"، ويشير للتقويم الإمبراطوري والذي يبدأ من سنة احتكار نقابة الفضاء لعمليات السفر الفضائي.

REVEREND MOTHER

السيدة الموقرة

تقال في الأصل لمشرفات طائفة بني-جيزيرِت، عندما تقوم إحداهن بتحويل سم إشراقي داخل جسدها، مرتقية لمستوى إدراكي أعلى. وتبنى الفريمن اللقب ليشير لزعاماتهم الدينية اللاتي حققن إشراقا مماثلا. (انظر: بني-جيزيرِت، وماء الحياة)

PROCTOR SUPERIOR

المشرفة العليا

سيدة موقرة من بني-جيزيرِت عندما تكون أيضا مديرة لإحدى مدارس بني-جيزيرِت. (وصفها الشائع: بني-جيزيرِت بصيرة.)

TRUTHSAYER

الكاهنة كاشفة الأكاذيب

سيدة موقرة مؤهلة للدخول في "إغشاءة الحقيقة" واكتشاف الكلام الزائف والكاذب.

CAID

قائد

رتبة عسكرية للساردوكار، تمنح للموظف العسكري المكلف بالتعامل مع المدنيين في الغالب، حاكم عسكري لمقاطعة كوكبية كاملة، تفوق رتبة الباشار لكن لا تصل لمارشال البورسيغ.

BASHAR

باشار

رتبة عسكرية عند الساردوكار تفوق رتبة العقيد/كولونيل المعتادة بدرجة طفيفة، تم إنشاء الرتبة للحكام العسكريين لمقاطعة كوكبية جزئية. يقتصر "ضابط باشار" على الاستخدام الحربي.

BURSEG

بورسيغ

رتبة مارشال ساردوكار.

CHOAM

كوآم

حروف مختصرة لاسم "اتحاد الأشراف للارتقاء التجاري" Combine Honnete Ober Advancer Mercantiles... مؤسسة تنموية كونية يتحكم فيها الإمبراطور وكبار النبلاء، وتبقى النقابة وبني-جيزيرِت شركاء "صامتون".

FREE TRADERS

التجار الأحرار

وصف شائع للمهربين.

GINAZ, HOUSE OF

آل جِناز

كانوا حلفاء في السابق للدوق ليتو آتريديز. انهزموا في حرب اغتيالات ضد كوكب جرومان.

GUILD

النقابة

نقابة الفضاء، أحد الأعمدة السياسية الثلاثة المحافظة على استمرارية الميثاق العظيم، كانت النقابة ثاني مدرسة تدريب ذهني-جسدي بعد الجهاد البتلري (انظر: بني-جيزيرِت). احتكار النقابة للسفر الفضائي وللنقل وللمعاملات البنكية الدولية هو نقطة البدء في التقويم الإمبراطوري.

JUDGE OF THE CHANGE

قاضي التحكيم في فترة التغيير

مسؤول رسمي يقوم المجلس الأعلى لـ اللاندسراد والإمبراطور بتعيينه لمراقبة تغيير ملكية إقطاع أو مفاوضات ثأر كانلي أو حرب اغتيالات رسمية، سلطة القاضي التحكيمية لا يمكن نقضها إلا أمام المجلس الأعلى وفي حضور الإمبراطور.

MENTAT

مِنتات

طبقة من مواطني الإمبراطورية تم تدريبها على إنجاز عمليات ذهنية فائقة. "حاسوب بشري".

-Na

نا

بادئة تعني "ولي العهد" أو المنتخَب للمنصب. ولهذا فإن نا-بارون تعني ولي عهد البارونية.

NOUKKERS

النواكير

ضباط من الحرس الإمبراطوري لهم صلة قرابة بالإمبراطور. رتبة تمنح في العادة لأبناء المحظيات الملكيات.

PYONS

العمال الكادحون

فلاحون أو عمال يعيشون على كوكب ولا يفارقونه. إحدى الطبقات الدنيا في النظام الطبقي. قانونا هم أوصياء الكوكب.

SARDAUKAR

ساردوكار

جنود الإمبراطور الباديشي المتطرفون. جاؤوا من بيئة شرسة للغاية لدرجة إنها تقتل ما معدله 6 من كل 13 شخص قبل أن يصل لسن الحادية عشرة. يركز تدريبهم العسكري على القسوة وعلى المخاطرة بالنفس لدرجة شبه انتحارية. تعلموا منذ الطفولة أن يستخدموا القسوة كسلاح، فيضعفون الخصم بإرعابه. في ذروة سيطرتهم على شؤون الكون كانت براعتهم في المبارزة توصف بأنها تساوي المستوى العاشر لآل جناز، واشتهرت قدرتهم على استخدام المكر في القتال يدا ليد حتى تقارب مستوى خبيرات البني-جيزيرِت. يمكن للفرد فيهم أن يصمد أمام عشرة من جنود اللاندسراد العاديين. بحلول عهد شدّوم الرابع - وعلى الرغم من كونهم لا زالوا مرعبين - إلا أن قوتهم استنزفت لثقتهم الزائدة بالنفس، وهالة الغموض المحيطة بديانتهم الحربية ضعفت كثيرا بسبب ما طرأ عليهم من شكوك وتهكم.

فضاء وكواكب

AL-LAT

اللات

شمس البشر الأصلية. صارت الكلمة تستخدم للإشارة للنجم الرئيسي لأي كوكب.

ARRAKIS

آرِّاكس

الكوكب المعروف باسم: كثيب، ثالث الكواكب بُعدا عن النجم سُهيل Canopus.

AMPOLIROS

أمبوليروز

سفينة فضائية تحيط بها أسطورة تشبه ما قيل عن سفينة "الهولندي الطائر".

BELA TEGEUSE

بيلا تيغيوس

الكوكب الخامس للنجم Kuentsing [ألفا الأرنب Alpha Leporis]، ثالث محطة توقف فيها الفريمن الزن-سني خلال تهجيرهم القسري.

FIRST MOON

القمر الأول

أكبر تابعي آرِّاكس حجما، وهو أول ما يطلع خلال الليل، يميزه شكل على سطحه يشبه القبضة البشرية.

SECOND MOON

القمر الثاني

أصغر تابعي آرِّاكس، يميزه شكل الفأر الكنغري الظاهر على سطحه.

CALADAN

كالادان

ثالث كوكب للنجم دلتا كوكبة الطاووس Delta Pavonis، مكان ميلاد پاول-مؤدب.

CHUSUK

شوسوك

رابع كوكب للنجم Theta Shalish، يسمى الكوكب الموسيقي لتميز آلاته الموسيقية. (انظر: ڤاروتا)

ECAZ

إكاز

رابع كواكب ألفا القنطور Alpha Centauri B. جنة النحاتين، معروف بهذا الوصف لأنه موطن الخشب الضبابي، نبتة يمكن تشكيلها بمجرد التفكير البشري.

GAMONT

غامونت

ثالث كواكب النجم Niushe، معروف بثقافته المتحللة والممارسات الجنسية الغريبة.

GIEDI PRIME

غيدي برايم

كوكب النجم Ophiuchi B (36)، موطن آل هاركونِن، كوكب مقوماته الحياتية متوسطة، ومستوى التمثيل الضوئي عليه ضعيف.

GRUMMAN

جرومان

ثاني كواكب Niushe، سبب شهرته هو نزاع أسرته الحاكمة (آل موريتاني Moritani) مع آل جناز.

HAGAL

هاجال

"كوكب الجواهر"، (II Theta Shaowei)، استنفذت مناجمه في عهد شدّوم الأول.

HARMONTHEP

هارمونحب

يقول الكاتب إنجزلي أن هذا هو اسم كوكب المحطة السادسة في هجرة الزينسوني، يقال إنه كان يدور حول نجم دلتا كوكبة الطاووس ولم يعد له وجود.

IX

إكس

(انظر: ريشيس)

RICHESE

ريشيس

رابع كواكب النجم Eridani A [كوكبة النهر]، ويصنف - مع إكس - كمنتج ممتاز للآلات، مشهور بالأجهزة صغيرة الحجم. (لدراسة مفصلة حول كيفية تجنب ريشيس وإكس للآثار الصارمة المترتبة على الجهاد البتلري، انظر كتاب "الجهاد الأخير"، تأليف سومر وكواتمان)

PORITRIN

بوريترِن

ثالث كواكب النجم Epsilon Alangue، يعتقد الكثير من جوالة الزينسوني أنه موطنهم الأصلي، إلا إنه توجد في لغتهم وأساطيرهم أدلة تشير لأصل كوكبي أقدم بكثير.

SALUSA SECUNDUS

سالوسا سيكوندس

ثالث كوكب للنجم جاما وايبِنغ، تحول إلى سجن كوكبي تابع للإمبراطور بعد نقل البلاط الإمبراطوري ل- Kaitain، سالوسا سيكوندس هو موطن آل كورينو الأصلي، وثاني محطة في هجرات جوالة الزن-سني. يقول التقليد الفريمني إنهم كانوا عبيدا على س س لمدة 9 أجيال.

TLEILAX

تليلاكس

الكوكب الوحيد للنجم Thalim، معروف بأنه مركز تدريب منشق للمِنتات، وهو مصدر المِنتات "المنحرفين".

TUPILE

توبيل

الموصوف بكوكب اللجوء (وفي الغالب هو عدة كواكب) للعائلات النبيلة المنهزمة في الإمبراطورية، موقعه معروف للنقابة فحسب، ولا زال السر محفوظا بتعهد أمان من نقابة الفضاء.

WALLACH IX

والاش 9

الكوكب التاسع لـ Laoujin، مكان المدرسة الأم لبني-جيزيرِت.

تضاريس آرِّاكس

ARRAKEEN

آراكين

أول مستوطنة على آرِّاكس، كانت - لفترة طويلة - مقر الحكومة الكوكبية.

EL-SAYAL

السيال

"مطر الرمال"، سقوط الغبار بعد أن رفعته عاصفة كوريولس لارتفاعات متوسطة (حوالي 2000 متر)، السيال غالباً يجلب الرطوبة لمستوى السطح.

ERG

عرق

منطقة كثبان متسعة، "بحر رمال".

BLED

الفلاة

صحراء واسعة منبسطة.

PAN

الغور

على كوكب آرِّاكس، كل منطقة منخفضة تكونت نتيجة لانهيار القاع من تحتها، (أما على الكواكب ذات الوفرة المائية فإن الغور يشير لمنطقة كانت مغطاة بمسطحات مائية، يعتقد البعض أن على آرِّاكس منطقة واحدة على الأقل من هذا النوع، إلا إن الموضوع لا زال محل جدل.)

DRUM SAND

رملي طبلي

اندماج الرمال بطريقة تؤدي إلى تحول الخبط المفاجئ على سطحه لصوت دق طبول واضح.

DUST CHASM

أخدود غباري

صدع أرضي عميق أو منخفض في صحراء آرِّاكس ملأه غبار لا يظهر اختلافه عما حوله، شرك قاتل، إذ يغوص البشر والحيوانات فيه ويختنقون. (انظر: حوض غباري مَدّي)

SANDTIDE

المد الرملي

لفظ شائع للمد والجزر الغباري، اختلافات العمق التي تحدث لبعض الأحواض المملوءة بالغبار على آرِّاكس بسبب آثار جاذبية الشمس والقمرين. (انظر: حوض غباري مَدّي)

SINK

حوض

منطقة منخفضة صالحة للسكنى على آرِّاكس تحيطها مرتفعات تحميها من العواصف السائدة.

TIDAL DUST BASIN

حوض غباري مَدّي

منخفضات متناثرة على سطح آرِّاكس يملأها الغبار على مر القرون، شوهدت فيها اختلافات مد وجزر تحدث للغبار (مد رملي.)

GRABEN

الوادي

خندق جيولوجي طويل يتكون عندما تغور الأرض بسبب حركات طبقات الصفائح تحتها.

RIMWALL

حافة الجدار

الحافة الثانية العلوية لجروف الحماية الصخرية الطبيعية الموجودة بالجدار الجبلي بآرِّاكس. (انظر: الجدار الجبلي)

SHIELD WALL

الجدار الجبلي

تضاريس جغرافية جبلية في المناطق الشمالية لآرِّاكس، تحمي منطقة صغيرة من قوة عواصف كوريولس الكوكبية.

نباتات وحيوانات

AKARSO

أكارسو

نبتة، موطنها الأصلي كوكب سايكون (Sikun ، 70 Ophiuchi A) تتميز بأوراق تكاد تكون مستطيلة، خطوطها الخضراء والبيضاء تشير لمناطق متوازية يتبادل الكلوروفيل فيها حالتي النشاط والخمول.

CIELAGO

سييلاغو

أي خفاش على آرِّاكس تم تعديله بحيث يصلح لنقل رسائل الترجوم الطيري.

INKVINE

إنك ڤاين

نبتة زاحفة، موطنها الأصلي غيدي برايم، ويشيع استخدامها كسوط في حظائر العبيد، تترك على الضحايا وشوما بلون البنجر، يستمر ألمها لعدة سنوات.

KULON

كولون

حمار وحشي يعيش في السهول، وتم تكييفها للعيش في بيئة آرِّاكس.

LITTLE MAKER

الصانع الصغير

طور حياة (نصف نبات ونصف حيوان) لدودة رمال آرِّاكس، يعيش في الرمال العميقة، تقوم إفرازات ديدان الصانع الصغيرة بتكوين كتل السپايس الأولي.

SANDWORM

دودة الرمال

(انظر: شي-هولود)

MISH-MISH

مشمش

MUAD'DIB

مؤدب

الفأر الكنغري المتكيف مع بيئة آرِّاكس، مخلوق مرتبط - في الميثولوجيا الفريمنية المقدسة لروح الأرض - بشكل يظهر على القمر الثاني للكوكب، يثير إعجاب الفريمن لقدرته على البقاء حيا في الصحراء المفتوحة.

PLENISCENTA

بلينيسينتا

زهرة خضراء غريبة تنمو على إكاز، تتميز برائحتها العطرية الجميلة.

PUNDI RICE

رز باندي

رز حدثت له طفرة، حبوبه الغنية بالسكر الطبيعي قد يصل طولها إلى 4 سنتيمترات، المنتج الرئيس لصادرات كالادان.

PORTYGULS

برتقال

SCHLAG

شلاغ

حيوان موطنه الأصلي كوكب توبيل، تعرض للصيد حتى كاد أن ينقرض، بسبب جلده الرقيق المتين.

SONDAGI

سونداغي

زهرة توليب السرخس على توبالي Tupali

مصطلحات ذهنية

ALAM AL-MITHAL

عالم المِثال

عالم الأشباه الباطني والذي تزول فيه كل الحدود المادية.

ADAB

أدب

ذكرى تقتحم عليك ذهنك رغماً عنك.

CANTO and RESPONDU

كانتو وريسبوندو

طقس ابتهالي، جزء من الشريعة العامة النبوئية التي تنشرها البعثات الإرسالية.

BINDU

بيندو

متعلق بالجهاز العصبي البشري، خصوصا تدريب الأعصاب، يستخدم غالبا في المصطلح "تفاصيل البيندو العصبية". (انظر: پرانا)

BINDU SUSPENSION

حالة جمود بيندو عصبي

حالة خاصة من الجمود التخشبي، إرادية.

(PRANA (Prana-musculature

پرانا (تفاصيل البرانا العضلية)

عضلات الجسد عندما يُنظر لها كوحدات يجب تدريبها أقصى تدريب. (انظر: بيندو)

IMPERIAL CONDITIONING

برمجة ذهنية إمبراطورية

أسلوب طورته مدارس السووك الطبية، برمجة ذهنية تمنع الشخص من قتل الآخرين، يحمل الخاضعون لها علامة وشم - على شكل ماسة - على الجبهة، ومسموح لهم بإطالة شعرهم وأن يجمعوه بحلقة سووك فضية.

PYRETIC CONSCIENCE

الجزء الضميري الناري

المستوى الذهني المانع الذي يتأثر بالبرمجة الذهنية الإمبراطورية. (انظر: البرمجة الذهنية الإمبراطورية)

TRAINING

التدريب

عند استخدام هذه الكلمة الشائعة لوصف بني-جيزيرِت يصبح لها معنى خاصاً، فتشير للتهيئة العصبية والعضلية (انظر: بيندو وبرانا) التي ترتقي بقدرتهما لأعلى مستوى أدائي ممكن.

TRUTHTRANCE

إغشاءة الحقيقة

حالة إغشاء تشبه التنويم المغناطيسي، تنتج عن عقاقير مخدرة يطلق عليها اسم "الطيف الإدراكي"، ويتمكن خلالها الداخل في الإغشاءة من التعرف على أدق علامات الزيف المتعمد. (لاحظ أن عقاقير الطيف الإدراكي قاتلة في الغالب إلا لو تناولها شخص تعود عليها بالتدريج وأصبح قادراً على تحويل تركيب السم لشيء آخر داخل جسده.)

UROSHNOR

أورُشنور

واحد من عدة أصوات خالية المعنى والتي تزرعها بني-جيزيرِت داخل أذهان ضحايا معينين بغرض التحكم بهم، ويقع الشخص الخاضع لها في شلل مؤقت عند سماعه للكلمة.

VOICE

قدرة "الصوت"

مجموعة من التمارين - ابتكرتها بني جيزيرِت - تسمح للمتمرس بالتحكم بالآخرين بمجرد انتقاء نبرات صوتية معينة.

WAY, BENE GESSERIT

أسلوب بني-جيزيرِت

أي ملاحظة أدق التفاصيل.

مصطلحات تقنية وأدوات وعقاقير

AUMAS/CHAUMAS

أوماس

سم يوضع في الطعام (في الأطعمة الصلبة على وجه الخصوص)، يسمى في بعض اللهجات: شوماس.

BARADYE PISTOL

مسدس رش الصبغة

مسدس غبار ذو شحنة استاتيكية، تم تطويره على آرِّاكس لرش الصبغة لتحديد مساحة رملية كبيرة.

BALISET

آلة القانون الموسيقية (باليسِت)

أداة موسيقية تساعية الأوتار، متفرعة عن آلة القانون zither، ومضبوطة على سلم شوسوك الموسيقي، ويُعزف عليها بالضرب على الأوتار. الآلة المفضلة للمغنيين الإمبراطوريين.

CRUSHERS

صادمات

مركبات فضائية حربية مكونة من عدة مركبات أصغر تم ربطها ببعضها، ومصممة للسقوط على مواقع العدو لسحقها.

CUTTERAY

المشرط الليزري

نوع قصير المدى من المسدسات الليزرية، يستخدم غالبا كأداة قطع وكمشرط جراحي.

DEW COLLECTORS or DEW PRECIPITATORS

مكثفات الندى

لا تخلط بينها وبين "جامعي الندى"، فمكثفات الندى أجهزة لها شكل البيضة، طولها حوالي 4 سنتيمتر، مصنوعة من الكروموبلاستيك والذي يتحول للون أبيض عاكس عند تعرضه للضوء، ويعود لحالة الشفافية في الظلام، يصبح المكثف سطحاً بارداً إلى حد ما مما يقوم بتكثيف ندى الفجر عليه، يستخدمها الفريمن لتبطين قيعان حفر زراعية حيث يوفر المكثف مصدر مائي ضئيل يمكن الاعتماد عليه.

CARRYALL

الحاملة الطائرة

مركبة طائرة (يشيع وصفها بـ "الجناح"). أقوى مركبة جوية على آرِّاكس، وظيفتها نقل الآلات المستخدمة في تعدين السبايس والبحث عنه وتكريره.

CATCHPOCKET

جيب تجميعي

أي جيب بذلة تقطير يتجمع فيه الماء المفلتر ويتم تخزينه.

(CHAUMURKY (Musky or Murky in some dialects

شومركي ("موسكي" في بعض اللهجات)

سم يوضع في المشروبات.

CHEOPS

خوفو

شطرنج هرمي، من 9 مستويات، وهدفه مزدوج: أن تضع الوزير على القمة وأن تحاصر ملك الخصم.

BATTLE LANGUAGE

لغة القتال

أي لغة خاصة ألفاظها سرية، تستخدم للتواصل أثناء المعارك.

CONE OF SILENCE

مخروط صمتي

حقل مجال تشويش يحد من انتشار الصوت وأي جسم مهتز، عن طريق تثبيط الاهتزازات بتعريضها لاهتزاز معكوس يختلف تردده 180 درجة.

CORIOLIS STORM

عاصفة كوريولِس

أي عاصفة كبرى على آرِّاكس، عندما يقوم دوران الكوكب بتضخيم قوة الرياح التي تهب على الأراضي المنبسطة بحيث تصل لسرعات تقترب من الـ 700 كم/ساعة.

DISTRANS

جهاز الترجوم الطيري

جهاز يدمغ الجهاز العصبي للخفافيش أو الطيور بصورة مؤقتة، عندها تحمل صيحة المخلوق العادية رسالة يمكن فيما بعد فصلها - باستخدام ترجوم آخر.

DOORSEAL

غطاء الباب

غطاء غلق محكم بلاستيكي متنقل، يستخدم لتأمين الرطوبة في كهوف الفريمن.

DUMP BOXES

حاويات إلقاء

الاسم الشائع لأي حاملة بضائع لها شكل غير مألوف ومزودة بسطوح استئصالية وأنظمة إخماد مضادات الجاذبية. تستخدم لإلقاء المواد من الفضاء إلى سطح الكواكب.

EGO-LIKENESS

الصورة المجسدة

بورتريهات تصدر عن بروجيكتور شيجاواير، بإمكانها إظهار حركات دقيقة يقال إنها توضح جوهر الشخصية.

ELACCA DRUG

مخدر الـ إلاكة

مخدر يصنع عن طريق حرق خشب الإلاكة الحُبيبي الأحمر الموجود على إكاز، يزيل إرادة الشخص

في حفظ حياته. تتحول بشرة المخدّرين للون مميز يشبه الجزر، يستخدم غالبا لتهيئة العبيد المصارعين قبل نزولهم للحلبة.

FANMETAL

معدن الطي

معدن يصنع عن طريق إنماء كريستالات الجاسميوم في ألومنيوم متين، مشهور بقوة شد عظيمة مقارنة بوزنه. اشتُق الاسم من استخدامه الشائع في الهياكل القابلة للفك، والتي يتم فتحها عن طريق فردها كالمروحة.

FILMBOOK

كتاب ميكروفيلم

مطبوع بالشيجاواير ويستخدم في التدريب وحمل نبضات تذكريّة.

FILT-PLUG

سدادات الفلاتر الأنفية

مرشح أنفي يوضع أثناء ارتداء بذلة التقطير ليجمع الرطوبة الخارجة مع هواء الزفير.

FIRE, PILLAR OF

عمود النار الإشاري

صاروخ ناري بسيط غرضه إرسال الإشارات عبر الصحراء المفتوحة.

FREMKIT

عُدة فريمنية

حقيبة أدوات للبقاء حياً في الصحراء، يصنعها الفريمن.

FRIGATE

فُرقاطة

أكبر سفينة فضاء يمكن إنزالها على أرض كوكب، ثم تُقلع كقطعة واحدة.

GLOWGLOBE

كرة إنارة

جهاز للإضاءة محمول على مضادات الجاذبية، طاقته ذاتية (في الغالب عن طريق بطاريات عضوية.)

GOM JABBAR

غوم جبّار

الخصم الذي لا يُقهر، إبرة مسمومة مغموسة في ميتا-سيانيد، تستخدمها مشرفات بني-جيزيرِت في اختبار لقدرة الوعي البشري، قد يتسبب في الموت.

HARVESTER or HARVESTER FACTORY

حاصدة مصنعية

آلة كبيرة للتنقيب عن السپايس (غالبا 120 متر × 40 متر) يشيع توظيفها على هبّات السپايس الوفيرة غير الملوثة بشوائب. (توصف غالبا بـ "الزاحفة" لأن جسمها السائر على مجنزرات مستقلة يشبه الحشرة.)

HEIGHLINER

سفينة هايلاينر

حاملة بضائع كبيرة، جزء من منظومة النقل عند نقابة الفضاء.

HOLTZMAN EFFECT

تأثير هولتزمان

تأثير التنافر السلبي الناتج عن مولد طاقة درعي.

GRIDEX PLANE

شبكة مصفاة

أداة فارزة للمواد باستخدام شحنة متباينة، تستخدم لإزالة الرمل من كتل مزيج السپايس، الجهاز جزء من المرحلة الثانية لتكرير السپايس.

HUNTER-SEEKER

جهاز الصياد المتتبع

شظية معدنية قنصية مضادة للجاذبية، يتم توجيهها كسلاح عن طريق لوحة تحكم قريبة، أداة اغتيال شائعة.

KINDJAL

خنجر

سيف قصير (أو سكين طويل) ذو حدين، طوله حوالي 20 سم ومقوس قليلا.

LASGUN

مسدس ليزر

جهاز يصدر موجة ليزر مستمرة. انخفضت نسبة استخدامه كسلاح بسبب شيوع دروع الطاقة، حيث أن التقاء الشعاع بحقل طاقة ينتج عنه انفجار ناري ذري (هو في الحقيقة اندماج دون ذري).

KRIMSKELL FIBER or KRIMSKELL ROPE

ألياف/حبال الكريمسكيل

نسيج المخلب، يُنسج من جدائل نبتة الهفوف المتوافرة على كوكب إكاز، تتميز العقد المصنوعة من الكريمسكيل بانكماشها أكثر وأكثر - لمقادير محددة مسبقا - إن تم شدها. (لدراسة أوسع انظر كتاب المؤلف هولجانس فونبروك: نبتة إكاز الخانقة.)

LITERJON

قِربة لِترية

وعاء سعته لتر واحد، لنقل الماء على آرِّاكس، مصنوع من بلاستيك شديد الكثافة وغير قابل للكسر، وله غطاء عملي.

MATING INDEX

سجل التناسل

سجل بني-جيزيرت الرئيس لبرنامجهن الخاص بتهجين السلالات البشرية الهادف إلى إنتاج الكويزاتس هاديراك.

MAULA PISTOL

مسدس المولا

مسدس يعمل بالزنبرك لإطلاق سهام مسمومة. يصل مداه إلى 40 متر.

MAKER HOOKS

خطّاف الصانع

الخطاطيف المستخدمة لاقتناص دودة الرمال وامتطاءها وتوجيهها على رمال آرِّاكس.

MELANGE

مزيج السپايس

أهم "بهار" في الكون. مادة لا توجد سوى على آرِّاكس، مشهور بصفاته المضادة للشيخوخة، ويسبب إدماناً خفيفاً حين يؤخذ بكميات صغيرة وإدماناً شديداً حين تناوله بكمية تفوق 2 جرام يوميا لكل 70 كيلو من وزن الشخص. (انظر: عيون العباد، ماء الحياة، كتلة السپايس الأولي). زعم المؤدب أن السپايس هو مفتاح قدراته التنبؤية، يدعي ملاحو النقابة شيئاً مماثلاً. يصل سعره في سوق الإمبراطورية أحياناً إلى 620000 سولاريس لكل ديكاجرام.

MINIMIC FILM

شريط ميكروني

سلك شيجاوایر قطره ميكرون واحد، يستخدم غالباً لبث بيانات التجسسّ والتجسسّ المضاد.

METAGLASS

ميتا-زجاج

زجاج يصنع عن طريق وضع غاز في حرارة عالية مدمجاً داخل طبقات من كوارتز الجاسميوم، يتميز بقابليته للشد (إذ يمكن أن يصل السنتيمتر المكعب لمساحة 450 ألف كيلو، وبسمك 2 سم) وبعمله كمرشح يمرر الأشعة بشكل انتقائي حسب المراد.

MONITOR

سفن مراقبة

مركبة فضاء ذات عشرة قطاعات، مزودة بحماية درعية شديدةً تم تصميمها بحيث تنفصل لأجزائها المكونة لها للإقلاع بعد النزول على الكوكب.

OIL LENS

عدسة زيتية

زيت نبتة الهفوف عندما يتم تعليقه في مجال توتري استاتيكي - بواسطة مجال طاقة محيط - داخل أنبوب رؤية، كجزء من نظام يستخدم للتكبير أو للتلاعب بالضوء، ويمكن تعديل كل ميكرون من ميكروناته على انفراد لذا للعدسة الزيتية دقة قصوى عند التلاعب بالضوء المرئي.

OPAFIRE

جواهر أوبالية

من جواهر كوكب هاجال النادرة.

(ORNITHOPTER (commonly: 'thopter

أورنيثوپتر (الاسم الشائع: ثوپتر)

مركبة طائرة قادرة على الطيران بخفق الأجنحة المستمر كالطيور.

PALM LOCK

قفل يدوي

قفل أو سدادة يمكن فتحها بلمس راحة اليد البشرية التي تم ربطها بها.

PARACOMPASS

بوصلة

بوصلة تحدد الاتجاه عن طريق الانحراف المغناطيسي المحلي، تستخدم عند توفر الخرائط المناسبة وعندما يكون الحقل المغناطيسي الكلي للكوكب غير مستقر أو عرضة للإخفاء بسبب العواصف المغناطيسية الشديدة.

PENTASHIELD

حاجز طاقة خماسي

حقل مولد درعي خماسي الطبقات مناسب للمساحات الصغير مثل مداخل الأبواب أو الممرات (تصبح الدروع المقوية الكبيرة غير مستقرة بشكل مطرد مع كل طبقة مضافة) ويكاد يستحيل عبوره على أي شخص غير مرتدي لغلاف طاقة مضبوط على نفس شفرات الدرع. (انظر: باب طاقة احترازي.)

PRUDENCE DOOR or PRUDENCE BARRIER

(idiomatically: pru-door or pru-barrier)

باب طاقة احترازي

حاجز طاقة خماسي يتيح فرصة لفرار أشخاص معينين عندما يتعرضون للمطاردة. (انظر: حاجز الطاقة الخماسي)

PLASTEEL

صلب البلاستيل

حديد صلب تثبته أنسجة سترافيديوم مدمجة وسط تركيبته الكريستالية.

POLING THE SAND

غرز السواري في الرمال

فن وضع سواري بلاستيكية ونسيجية في خرائب صحراء آرِّاكس المفتوحة ثم قراءة الأنماط التي تخدشها العواصف الرملية على السواري كمفتاح لتوقع الطقس.

PRE-SPICE MASS

كتلة سپايس أوّلي

مرحلة النمو البري شبه الفطري التي تتحقق عندما يختلط الماء بإفرازات ديدان الصانع الصغيرة، في هذه المرحلة يكوّن سپايس آرِّاكس هبة انفجارية مميزة، فتأخذ المواد الموجودة تحت عمق الأرض مكان المواد الموجودة على السطح أعلاها. هذه الكتلة - بعد تعرضها للشمس والهواء - تصبح مزيج السپايس. (انظر أيضا: مزيج السپايس، ماء الحياة.)

RACHAG

راشاغ

منبه شبيه بالكافيين يستخرج من توت أكارسو الأصفر. (انظر: أكارسو)

RECATHS

أنابيب فلترة الإخراج

أنابيب وظائف الإخراج الجسدية تربط جهاز التخلص من الفضلات البشرية بمرشحات إعادة التدوير في بذلة التقطير.

REPKIT

أدوات إصلاح بذلة التقطير

ضروريات إصلاح واستبدال مكونات بذلة تقطير.

RESIDUAL POISON

سُم كامن

ابتكار يُنسب إلى المِنتات پايتر دي ڤرايز، حيث يتم تلقيح الجسد بمادة يجب تحييدها عن طريق تناول ترياق بشكل مستمر، وفي حال منع الترياق - في أي وقت – تحدث الوفاة.

SANDCRAWLER

زاحفة رملية

مصطلح عام يصف الآلات المصممة لتعمل على سطح آرِّاكس في البحث عن مزيج السپايس وجمعه.

SANDSNORK

أنبوب التنفس الصحراوي

أداة تنفس لضخ هواء السطح إلى داخل خيمة تقطير مغطاة بالرمال.

SAPHO

سافو

مشروب طاقة مستخلص من جذور نبتة تنمو على كوكب إكاز، يشيع استخدامه بين المِنتات الذين يزعمون إنه يزيد من قدراتهم الذهنية، تظهر على فم وشفتي المتعاطي بقعا حمراء داكنة.

SEMUTA

سيموتا

ثاني مخدر مستخلص بصورة كريستالات من البقايا المحترقة لخشب إلاكة، يتضاعف التأثير - والذي يوصف بأنه نشوة سرمدية - مع وجود اهتزازات غير نغمية يقال لها موسيقى السيموتا.

SERVOK

سير□وك أوتوماتيكي

آلي زنبركي يؤدي مهاما بسيطة. أحد الأجهزة المؤتمتة المحدودة المسموح بها بعد الجهاد البتلري.

SHIELD, DEFENSIVE

درع طاقة دفاعي

مجال طاقة واقي، ناتج عن مولد هولتزمان، يتكون هذا المجال من مرحلة الطور الأول من عملية إبطال المجالات المضادة للجاذبية. يسمح الدرع بمرور أشياء تتحرك بسرعات بطيئة (وتبعا للضبط المختار فإن هذه السرعة تتراوح بين 6 و 9 سم/ث)، ولا يمكن إيقاف تفعيله إلا عن طريق مجال كهربائي ضخم الحجم. (انظر: مسدس الليزر.)

SHIGAWIRE

سلك شيجاوایر

انبثاق معدني يخرج من نبتة زاحفة (Narvi narviium) تنمو فقط على سالوسا سيكوندس و III Delta Kaising، يتميز بقابليته للمط.

SINKCHART

خرائط

خريطة لسطح آرِّاكس عليها إشارات مرجعية لمسارات البوصلة التي يمكن الاعتماد عليها للتنقل بين مأوى وآخر. (انظر: بوصلة.)

SLIP-TIP

نصل المراوغة

أي نصل رفيع وقصير (غالبا طرفه مسموم) يستخدم باليد اليسرى أثناء القتال بالدروع.

SNOOPER, POISON

تَبّاع السموم

محلل إشعاعي يعمل ضمن طيف الروائح، ومضبوط للكشف عن المواد السامة.

SOLARI

سولاريس

العملة النقدية الرسمية في الإمبراطورية. يعاد تقييم قوتها الشرائية كل ربع قرن في مفاوضات تحدث بين النقابة واللاندسراد والإمبراطور.

SOLIDO

هولوجرام

صورة ثلاثية الأبعاد تخرج من جهاز عارض بروجيكتور يستخدم إشارات مرجعية ملتقطة من 360 درجة ومطبوعة على بكرة شيجاوایر، تعتبر أجهزة عرض الهولوجرام المصنوعة على كوكب إكس الأفضل من نوعها.

SPICE FACTORY

مصنع معالجة السپايس

(انظر: زاحفة رملية)

SPOTTER CONTROL

طائرة المراقبة

طائرة أورنيثوپتر خفيفة ضمن مجموعة البحث عن السپايس، مكلفة بمهام المراقبة والحماية.

STILLSUIT

بذلة تقطير

لباس يغلف الجسد، تم اختراعه على آرّاكس، عبارة عن طبقات رفيعة تقوم بمهام تبديد الحرارة وفلترة الفضلات الجسدية، ويمكن استعادة الرطوبة عن طريق أنابيب تخرج من جيوب التجميع.

STILLTENT

خيمة تقطير

مأوى صغير يمكن تصغيره وتكبيره، مصنوع من طبقات رقيقة مصممة لاستعادة الرطوبة من أنفاس الموجودين بالخيمة، ثم جمعها كماء صالح للشرب.

STUNNER

صاعق

سلاح قاذف بطيء الطلقات يطلق أسهما مغموسة في السم أو في المخدر، التأثير محدود تبعا لاختلاف ضبط الدرع وللحركة النسبية بين الهدف والقاذف.

SUSPENSOR

مضاد الجاذبية

طور ثاني (قليل الاستهلاك) من مولد مجال هولتزمان، يبطل تأثير الجاذبية إلى حدٍ ما، تبعا للعلاقة بين الكتلة واستهلاك الطاقة.

THUMPER

دقّاق

قضيب قصير له - عند أحد طرفيه - ضاغط يعمل بالزنبرك، يتم غرزه في الرمال ليدقّ ويستدعي شي-هولود. (انظر: خطافا الصانع)

TROOP CARRIER

حاملة جنود

سفينة من سفن نقابة الفضاء تم تصميمها لنقل الجنود بين الكواكب على وجه الخصوص.

VERITE

الڤيريتا

أحد عقاقير إكاز المدمرة للإرادة، تجعل الشخص عاجزا عن الكذب.

WATERCOUNTERS

عملات مائية

حلقات معدنية مختلفة الأحجام، كل منها يدل على كمية معينة من الماء يمكن سحبها من رصيد الماء المخزن في مستودعات الفريمن. للعملات المائية دلائل عميقة تفوق الاستخدام المعتاد للعملات النقدية، خصوصا في مناسبات الولادة والموت أو التقدم للخِطبة.

WATERTUBE

أنبوب

أنبوب في بذلة التقطير أو خيمة التقطير يحمل الماء المستعاد إلى جيب تجميعي، أو من الجيب التجميعي للشخص.

WINDTRAP

مصيدة رياح

جهاز يوضع في مسار الريح الغالبة، وقادر على تكثيف الرطوبة من الهواء المار خلاله، يحدث هذا في العادة عن طريق انخفاض واضح وحاد في درجة الحرارة داخل المصيدة.

DUNE MEN

عمال الكثبان

وصف شائع لمن يعملون في التنقيب عن السپايس في صحراء آرّاكس.

SANDMASTER

مشرف على عمليات التنقيب

مشرف عام على عمليات التنقيب عن السپايس.

SPICE

السپايس

(انظر: مزيج السپايس)

SPICE DRIVER

قائد مركبات السپايس

فرد من عمال الكثبان يتحكم في - ويوجه حركة - الآلات المتحركة على سطح آرِّاكس الصحراوي.

مصطلحات من لغة الفريمن ومجتمع آرِّاكس

ABA

عباءة

ثوب فضفاض ترتديه نساء الفريمن، لونه أسود في الغالب.

ACH

آش

الاتجاه يساراً. صيحة تقال للرجال المسؤولين عن توجيه مسار الدودة.

DERCH

ديرتش

الاتجاه يميناً، صيحة تقال للرجال المسؤولين عن توجيه مسار الدودة.

GEYRAT

جيراط

التقدم للأمام. صيحة تقال للرجال المسؤولين عن توجيه مسار الدودة.

HAIIIII-YOH

هاي يوه!

فعل أمر بمعنى "تحرك!". يقال للمسؤولين عن مهمة توجيه الدودة.

AULIYA

عولِيّا

في ديانة جوّالة الزينسوني هي الأنثى الجالسة على يسار الرّب، وصيفة الرّب.

AYAT

آيات

علامات الحياة. (انظر: برهان)

BURHAN

برهان

أدلة الحياة. (تستخدم غالبا في تعبير شائع "آيات وبراهين الحياة". انظر: آيات)

AQL

عقل

اختبار العقل، كانت الكلمة تشير في الأصل للأسئلة الباطنية السبعة والتي تبدأ بسؤال: "من المفكر؟"

BAKKA

البكّاء

في أساطير الفريمن هو الباكي الذي ينتحب على البشرية كلها.

BAKLAWA

بقلاوة

حلوى سكرية ثقيلة تصنع من شراب التمر.

BARAKA

برَكة

رجل مبارك يتمتع بقدرات سحرية.

BHOTANIJIB

بوتاني جِب

لغة. (انظر: تشاكوبسا)

FIQH

فقه

معرفة، التشريع الديني. أحد الأصول شبه الأسطورية لديانة جوالة الزن-سني.

GIUDICHAR

جيوديشار

حقيقة مقدسة. (ترد الكلمة غالبا في التعبير: جيوديشار مانتيني، أي حقيقة أصلية وداعمة كدليل.)

MANTENE

مانتيني

الحكمة الباطنة، الدليل الجدلي الداعم، القاعدة المنطقية الأولى. (انظر: جيوديشار)

HOOKMAN

رجل الخطّاف

أحد الفريمن معه خطافاً صانع ومستعد لاقتناص دودة رمال.

ICHWAN BEDWINE

الإخوان البدو

الأخوة التي تجمع كل الفريمن على آرِّاكس.

IBAD, EYES OF

عيون العِباد

تأثير معتاد ينتج عن التناول المستمر لطعام غني بمزيج السپايس، حيث يتحول بياض العين ولون البؤبؤ إلى أزرق داكن. (دليل على إدمان شديد للمزيج)

IBN QIRTAIBA

ابن قرطايبا

أي: هكذا قال الرّب، الافتتاحية الرسمية لأدعية الفريمن الدينية. (مقتبسة من الشريعة العامة النبوئية.)

IJAZ

إعجاز

نبوءة لا يمكن إنكارها لقوتها، نبوءة ثابتة.

ILM

علم

دراسة العقيدة الدينية، أحد الأصول شبه الأسطورية لعقيدة جوالة الزينسوني.

AMTAL or AMTAL RULE

قاعدة الأمتال

قانون شائع على الكواكب البدائية، يتم فيه اختبار الشيء لمعرفة حدوده أو عيوبه. في الاستخدام السائد: الاختبار حتى التدمير.

FREMEN

الفريمن

قبائل آرِّاكس الأحرار، يسكنون الصحراء، وهم بقايا جوالة الزينسوني. (يسميهم القاموس الإمبراطوري "قراصنة رمال".)

CHAKOBSA

تشاكوبسا

ما يقال لها "اللغة المغناطيسية"، والتي اقتبست جزئيا من البوتاني القدماء (بوتاني جِب، حيث جب تعني لهجة). وهي مجموعة من اللهجات القديمة تم تطويرها بغرض السرّية. لكنها فِي المجمل لغة الصيد التي استخدمها البوتاني، وهم المغتالون المستأجَرون في أولى حروب الاغتيالات.

CRYSKNIFE

كريسنايف

السكين المقدس للفريمن على آرِّاكس، تصنع بطريقتين من أسنان تؤخذ من ديدان الرمال الميتة،

الطريقتان هما ما "تم تثبيته" وما "لم يتم تثبيته"، السكين التي لم يتم تثبيت تفاعلاتها تحتاج البقاء بقرب الكهرباء المنبعثة من الجسد البشري كي لا تتحلل، أما السكاكين التي تم تثبيتها فتمت معالجتها بغرض تخزينها، طولها حوالي 20 سنتيمتر.

DAR AL-HIKMAN

دار الحكمة

مدرسة الترجمة الدينية والتفسير.

DARK THINGS

طقوس الظلام

وصف شائع للخرافات التي تنتشر كالعدوى، والتي تقوم البعثات الإرسالية بنشرها وسط الحضارات القابلة للتأثر بها.

DEATH TRIPOD

ثلاثي قوائم الموت

في الأصل كان المنصة ثلاثية الأرجل التي يعلق منها منفذو أحكام الإعدام في الصحراء ضحاياهم، لكن في الاستخدام الشائع أصبحت الكلمة تعني الأشخاص الثلاثة الذين يتجمعون في "عصبة ثأر" ويقسمون على تنفيذ انتقام معين.

NAIB

نائب

الشخص الذي أقسم ألا يقع في يد الأعداء حيا أبداً، وهو قسم تقليدي يأخذه القائد الفريمني.

NEZHONI SCARF

وشاح الأمومة (النيزوني)

الوشاح الذي يتم ارتداؤه على الجبهة تحت قلنسوة بذلة التقطير عندما تنجب المرأة الفريمنية المتزوجة (أو المرتبطة) ابنها الأول.

BI-LA KAIFA

بلا كيفَ

أي "آمين". (حرفياً: لا حاجة لمزيد من الشرح.)

BOURKA

بُرقع

غطاء عازل يرتديه الفريمن في الصحراء المفتوحة.

CHEREM

عصبة الثأر

أخوة تجتمع على الكراهية (بغرض الثأر في الغالب.)

ISTISLAH

استصلاح

حكم للصالح العام، وغالبا يتم استخدامه كتبرير لإجراء صارم ضروري.

FAI

الفيء

جزية الماء، الضريبة الرئيسية على آرِّاكس.

FEDAYKIN

الفدائيون

مغاوير الموت الفريمن، تاريخياً هم مجموعة تتعهد بتقديم أرواحها لتصحيح وضع خاطئ.

GATHERING

مجلس

يختلف عن "مجلس الشورى العام"، اجتماع رسمي لقادة الفريمن ليشاهدوا نزالاً سيحدد زعامة إحدى القبائل. (مجلس الشورى العام هو اجتماع للوصول لقرارات تخص كل القبائل.)

GHAFLA

الغفلة

انقياد المرء لمشتتات مزعجة، أي أن يصبح هوائيا ولا يمكن الثقة به.

GHANIMA

غنيمة

شيء غُنِم خلال معركة أو نزال فردي، يشيع استخدام الكلمة للإشارة لتذكار من الحرب يحتفظ به المرء لمجرد استعادة الذكريات.

HAJJ

حج

رحلة مقدسة.

HAJR

هجر

سفر صحراوي، هجرة.

HAJRA

هجرة

رحلة سعي.

HAL YAWM

ها اليوم!

"أخيرا!"، صيحة انفعال عند الفريمن.

HIEREG

مخيم مؤقت (حيرِق)

يقيمه الفريمن على الرمال لفترة مؤقتة.

JUBBA CLOAK

جُبَّة

رداء متعدد الأغراض (يمكن أن يعكس الحرارة المشعة أو يسمح بمرورها، ويمكن تحويله لسرير أرجوحة شبكي أو مسكن). يشيع ارتداؤه على آرِّاكس فوق بذلة التقطير.

KARAMA

كرامة

معجزة، فعل نبع من عالم الأرواح.

KISWA

كسوة

شكل أو تصميم مأخوذ من أساطير الميثولوجيا الفريمنية.

LA, LA, LA

لا، لا، لا

صيحة أسى فريمنية. (لا: تعني أقصى إنكار. رفض لا يمكن تغييره.)

LISAN AL-GAIB

لسان الغيب

الصوت القادم من العالم الخارجي. هو نبي من كوكب آخر في أساطير الفريمن المنتظرة للمسيح المخلّص، تترجم أحيانا بـ واهب الماء. (انظر: المهدي)

LIBAN

لبان

عند الفريمن هو ماء سپايس عليه دقيق اليوكا yucca. في الأصل، مشروب لبني متخمر.

MAHDI

المهدي

في العقائد الفريمنية المسيحانية هو "من سيقودنا للجنة".

MAKER

الصانع

(انظر: شي-هولود)

SHAI-HULUD

شي-هولود

ديدان الرمال التي تعيش على آرّاكس، شيخ الصحراء، الشيخ الخالد، الجد الصحراوي. جدير بالذكر إن هذا الاسم - عندما يقال بنبرة معينة أو يكتب بحروف كبيرة - فإنه يشير لإله الفريمن الأرضي الذي يتكلمون عنه في خرافاتهم. ديدان الرمال تنمو لأحجام هائلة (شوهدت في الصحراء العميقة أنواعا تصل لـ 400 متر) وتعيش لأعمار طويلة إلا لو قتلتها دودة أخرى أو غرقت في الماء، حيث أن الماء سام بالنسبة لها. يسود الاعتقاد إن أغلب الرمال الموجودة على آرّاكس ناتجة عن نشاطات ديدان الرمال. (انظر: الصانع الصغير).

MAULA

مولى

عبد.

MIHNA

محنة

موسم اختبار شباب الفريمن الراغبين في اكتساب حقوق الرجولة.

MISR

مصر

مصطلح الزينسوني تاريخي، فريمني، يسمون به أنفسهم. معناه: القوم.

MUSHTAMAL

مشتمَل

فناء بستان أو ساحة صغيرة ملحقة بالبستان.

MUDIR NAHYA

مدير ناحية

الاسم الذي أطلقه الفريمن على رابان الوحش (الكونت رابان من لانكيڤيل)، ابن الأخ الهاركوني الذي كان الحاكم السردار لآرّاكس لسنوات طويلة. غالبا تتم ترجمة الاسم إلى: الحاكم الشيطاني.

MU ZEIN WALLAH

مو زين والله!

تعني: ليس خيراً. افتتاحية لعنة فريمنية ضد العدو، وتعتبر صيحة التعجب الأخيرة تأكيدية.

QANAT

قناة

مجرى مائي مفتوح يجري فيه ماء الري تحت ضوابط معينة عبر الصحراء.

QIRTAIBA

قرطايبا

(انظر: ابن قرطايبا)

QUIZARA TAFWID

تفويض الكرازة

كهنة الفريمن بعد ظهور المؤدب.

RAMADHAN

رمضان

فترة دينية قديمة مخصصة للصيام والصلاة. الشهر التاسع من التقويم الشمسي-القمري، يحسبه الفريمن كقطع القمر الأول لخط الزوال للمرة التاسعة خلال دوراته.

RAZZIA

غارة

غزوة من أهدافها الجزئية النهب.

RUH-SPIRIT

الروح

في معتقدات الفريمن هي جزء من الشخص متجذر دائماً في العالم فوق الطبيعي وقادر على الإحساس به. (انظر: عالم المثال.)

SADUS

القديسون

عند الفريمن هم قضاة الحساب السماوي.

SANDRIDER

راكب الرمال

وصف فريمني للقادر على اقتناص دودة الرمال وامتطاؤها.

SANDWALKER

مسافر صحراوي

فرد من الفريمن تدرب على النجاة في الصحراء.

SARFA

الصَرفة

الانحراف عن الرب.

SAYYADINA

سيّادينا

في منظومة الفريمن الدينية هي من تقوم بمساعدة الكاهنة.

SHADOUT

شادوت

الغارفة من البئر. لقب تشريفي عند الفريمن.

SHAITAN

الشيطان

SIETCH

سيآتش

عند الفريمن تعني مكان التجمع في أوقات الخطر. ولأن الفريمن قد عاشوا لفترات طويلة في خطر فإن المصطلح أصبح يعني بشكل عام أي مسكن كهفي يقيم فيه أحد مجتمعاتهم القبائلية.

SIHAYA

سِهايا

عند الفريمن: ربيع الصحراء، وللكلمة مضامين دينية تشير لفترة الإثمار والجنة المستقبلية.

IKHUT-EIGH

إيخوتيه!

نداء باعة الماء على آرِّاكس، الأصل اللغوي مجهول. (انظر: سو-سو-سوق)

SOO-SOO SOOK

سو-سو-سوق!

نداء باعة الماء على آرِّاكس، السوق هو مكان شراء البضائع. (انظر: إيخوتيه)

SUBAKH UL KUHAR

صباح الخير

تحية فريمنية تعني: هل أنت بخير؟

SUBAKH UN NAR

صباح النور

الإجابة التقليدية: أنا بخير، وأنت؟

TAHADDI AL-BURHAN

تحدي البرهان

الاختبار النهائي الذي لا استئناف لحكمه (لأنه في الغالب يأتي بالموت أو الدمار.)

TAHADDI CHALLENGE

نزال التحدي

تحدي فريمني عبارة عن قتال حتى الموت، هدفه غالبا اختبار مسألة رئيسية.

TAQWA

تقوى

"ثمن الحرية". شيء عظيم القيمة، ما يطلبه الإله من الشخص الفاني (والخوف الذي يبعثه الطلب.)

TAU, THE

الطاو

حسب التعريف الفريمني هو اتحاد مجتمع السيآتش والذي يزيد منه تناولهم لأطعمة السپايس، خصوصا وحدتهم خلال المتعة الجماعية الناتجة عن شرب ماء الحياة.

TEST-MASHAD

اختبار الشرف

ULEMA

عالم دين

متخصص في عقائد الزينسوني.

UMMA

أمة

أحد التابعين للأنبياء. (مصطلح للتهكم في الإمبراطورية، يعني أي شخص غريب يميل للتنبؤ بأشياء متطرفة.

USUL

أصول

عند الفريمن: قاعدة العمود.

WALI

ولي (ولد)

صبي فريمني لم يختبر بعد.

WATER BURDEN

عبء ماء (الإثقال بمعروف)، عند الفريمن: التزام لا مفر منه.

WATER DISCIPLINE

ضوابط توفير الماء

تدريب قاس يجعل سكان آرِّاكس مهيئين للحياة عليه دون إهدار الرطوبة.

WATER OF LIFE

ماء الحياة

سم "إشراقي" (انظر: السيدة الموقرة). وبالأخص، هو السائل الذي يخرج مع زفير دودة الرمال لحظة موتها غرقا (انظر: شي-هولود) ثم يتم تغييره داخل جسد سيدة موقرة ليصبح مخدراً يستخدم في متعة الطاو الجماعية بالسيآتش، وهو أحد عقاقير "الطيف الإدراكي".

WEIRDING

عجائبي

وصف شعبي لكل ما يتعلق بالباطنية أو السحر.

YA HYA CHOUHADA

يحيا الشهداء

صيحة الفدائيين الحربية. يمزج التعبير بين الزمن الحاضر والاستمرار الأبدي. كلمة الشهداء لها دلالة تشير أيضا للقتال ضد الظلم، وأنهم لا يسعون "لشيء" بل "ضد شيء".

YALI

يالي

المأوى الشخصي للفريمني داخل السيآتش.

YA! YA! YAWM

يا! يا! يوم!

إيقاع فريمني منغوم يستخدمونه أثناء الطقوس عميقة الأهمية. يا: للتنبيه اللحظي، يوم: دعوة للتعجل الفوري. غالبا يترجم التعبير بـ "الآن اسمع هذا!"

DEW GATHERERS

جامعو الندى

عمال يجمعون الندى من نباتات آرِّاكس مستخدمين "حاصد ندى" يشبه المنجل.

WATERMAN

حافظ المياه

شخص من الفريمن توكل إليه مسؤولية الواجبات الطقوسية المتعلقة بالمياه وبماء الحياة.

WEATHER SCANNER

كشاف الطقس

الشخص المدرب على أساليب توقع الطقس على آرِّاكس، بما في ذلك القدرة على غرز سواري الرمال وفهم أنماط الرياح المؤثرة عليها.

مصطلحات سياسية

DICTUM FAMILIA

قانون حماية النبلاء

من قوانين الميثاق العظيم التي تمنع قتل فرد ملكي أو أحد أفراد أسر كبار النبلاء عن طريق خيانة غير رسمية، يحدد القانون الطرق الرسمية لهذا ويضع حدودا لوسائل الاغتيال.

FAUFRELUCHES

النظام الطبقي

قواعد صارمة للتمييز الطبقي تفرضها الإمبراطورية، "هناك مكان متاح لكل رجل، وكل رجل يجب أن يظل في مكانته."

GREAT CONVENTION

الميثاق العظيم

الهدنة الكونية التي يحافظ على استمرار تطبيقها توازن القوى بين النقابة والنبلاء والإمبراطور، قاعدتها الأساسية تمنع استخدام الأسلحة الذرية ضد الأهداف البشرية، كل قاعدة من قواعد الميثاق العظيم تبدأ بهذه الصيغة: "من اللازم طاعة الأعراف".

HIGH COUNCIL

المجلس الأعلى

الدائرة الداخلية في اللاندسراد، مخولة للتصرف كمحكمة عليا تفصل في النزاعات التي تنشب بين أسرة نبيلة وأخرى.

HOUSE

آل

كلمة شائعة لوصف الأسرة الحاكمة لكوكب أو منظومة كوكبية.

HOUSES MAJOR

أسر كبار النبلاء

المتحكمون في إقطاع كوكبي، رأسماليون يمتد نشاطهم لعدة كواكب.

HOUSES MINOR

أسر صغار النبلاء

طبقات رأسمالية استثماراتها محصورة على كوكبها فقط، في اللغة الجالاكية تسمى: Richece

KANLY

كانلي

نزاع أو ثأر رسمي تحت ضوابط الميثاق العظيم، ينفذ تبعا لحدود ضيقة للغاية. (انظر: قاضي التحكيم). كان الهدف من وضع هذه الضوابط في الأصل حماية الأبرياء الذين لا صلة لهم بالنزاع.

PROCES VERBAL

وشاية شفهية

تبليغ شبه رسمي يتهم شخصا بارتكاب جريمة ضد الإمبراطور، قانوناً: فعل يقع في مرتبة وسيطة

بين اتهام شفهي عابر واتهام رسمي بجريمة.

WAR OF ASSASSINS

حرب اغتيالات

نوع الحرب المحدودة المسموح به تبعا للميثاق العظيم وسلام النقابة Guild Peace، ويهدف للحد من إصابة الأبرياء المتفرجين. تصف القواعد إعلان النوايا الرسمي وتضع قيودا على الأسلحة الممكن استخدامها.

CORRINO, BATTLE OF

معركة كورّينو

المعركة الفضائية التي أخذ بيت كورينو الإمبراطوري اسمه منها، وقعت قرب النجم سيجما التنين Sigma Draconis سنة 88 ق ن. ورسّخت هيمنة الأسرة الحاكمة القادمة من سالوسا سيكوندس.

GREAT REVOLT

الثورة الكبرى

وصف شائع للجهاد البتلري. (انظر: الجهاد البتلري)

JIHAD, BUTLERIAN

الجهاد البتلري

الحرب ضد الحواسيب والآلات المفكرة والروبوتات الواعية. (انظر: الثورة الكبرى). بدأت سنة 201 ق ن، وانتهت 108 ق ن. وصيتها الأساسية لا زالت في الإنجيل الكاثوليكي البرتقالي: لا تصنع آلة تحاكي عقل البشر.

مصطلحات دينية عامة

GREAT MOTHER

الأم العظمى

الإلهة ذات القرنين، الجانب المؤنث للفضاء (يشيع وصفها بـ "أمنا الفضاء"). الوجه الأنثوي للثالوث ذكر-أنثى-محايد والذي يعتبر الكائن العلوي لدى الأديان داخل الإمبراطورية.

JIHAD

جهاد

حرب دينية حماسية.

KHALA

أستعيذ من اسمه!

ابتهال تقليدي لإخماد غضب أرواح مكان قمت بذكر اسمه.

KULL WAHAD

يا واحد الكل! (عجب العجاب!)

أي "إني مضطرب لهذا بشدة!"، تعجب شائع استخدامه في الإمبراطورية، ويعتمد التفسير الدقيق له على السياق. (يقال إن المؤدب رأى في إحدى المرات فرخ صقر صحراوي يخرج من البيضة فهمس: يا واحد الكل!)

KWISATZ HADERACH

كويزاتس هاديراك (قافز الطريق)

اختصار الطريق، الاسم الذي أطلقته بني-جيزيرت على المجهول الذي يسعون لإيجاد حل جيني له: بني-جيزيرِت مذكر سيكون لقواه الذهنية القدرة على الوصل بين المكان والزمان.

MISSIONARIA PROTECTIVA

البعثات الإرسالية الوقائية

فرقة تابعة لتنظيم بني-جيزيرِت، مهمتها بذر الخرافات على الكواكب البدائية، وبهذا تتيح لبني-جيزيرِت استغلال هذه المناطق. (انظر: الشريعة العامة النبوئية)

PANOPLIA PROPHETICUS

الشريعة العامة النبوئية

مصطلح يشير للخرافات التي تنتشر بالعدوى، والتي تستخدمها بني-جيزيرِت لاستغلال المناطق البدائية. (انظر: البعثات الإرسالية)

SHARI-A

الشريعة

جزء من الشريعة العامة النبوئية يمهد للطقس الديني. (انظر: البعثات الإرسالية)

SIRAT

صراط

فقرة في الإنجيل الكاثوليكي البرتقالي تصف الحياة البشرية بأنها رحلة على جسر ضيق (السراط) بحيث تكون "الجنة على يميني والنار على يساري وملك الموت خلفي".

ZENSUNNI

الزينسوني أتباع فرقة منشقة، انفصلت عن تعاليم ماومِت الثالث حوالي 1381 ق ن. ديانة الزينسوني مشهورة بتركيزها على الباطن، وعلى العودة لـ "طرق الآباء". يقول أغلب الباحثين إن الزعيم الأصلي للفرقة كان علي بن أوحاشي، لكن تشير بعض الأدلة تشير إنه مجرد متحدث بأفكار زوجته الثانية نيساي.

كتب

ASSASSINS' HANDBOOK

كتاب دليل الاغتيال

تجميع من القرن الثالث للسموم الشائع استخدامها في حرب الاغتيالات، أضيف له لاحقا الأجهزة

القاتلة المسموح بها تبعا لسلام النقابة والميثاق العظيم.

KITAB AL-IBAR

كتاب العِبر

كتاب يجمع بين دليل نجاة عملي ودليل ديني، طوره الفريمن على آرِّاكس.

ORANGE CATHOLIC BIBLE

الإنجيل الكاثوليكي البرتقالي

"الكتاب التراكمي". النص الديني الذي أنتجته لجنة المترجمين المسكونيين، يحوي عناصر من أغلب الديانات القديمة، بما فيها الماومِت ساري، ومسيحية الماهايا، وكاثوليكية الزينسونية ، والتقاليد البوديسلام. تتلخص وصيته الكبرى في مفهوم "لا تشوّه الروح."

SHAH-NAMA

الشاهنامة: كتاب شبه أسطوري، أول كتب شعب الزينسوني المتجول.

كلمات أخرى

GALACH

اللغة الجالاكية

اللغة الرسمية في الإمبراطورية. خليط أنجلو-سلاڤي ومعه بقايا قوية من المصطلحات الثقافية التخصصية التي تم تبنيها خلال سلسلة الهجرات البشرية الطويلة.

GARE

هضبة شديدة الانحدار.

SELAMLIK

السِلاملِك

قاعة الاستقبال الإمبراطورية.

COUSINES

أقارب

أقارب أبعد من أبناء العم.

DEMIBROTHERS

أنصاف أشقاء

أبناء المحظيات، وتم التأكد من اشتراكهم في الأب.

OUT-FREYN

أجنبي

كلمة جالاكية للأجنبي، أي الذي ليس عضواً في دائرتك المجتمعية، شخص غير مميَّز.

LEGION, IMPERIAL

فيلق إمبراطوري

10 فرق عسكرية (حوالي 30 ألف رجل)

VAROTA

ڤاروتا

صانع آلات القانون Baliset الموسيقية الشهير، موطنه كوكب شوسوك.